تقديم واشراف

سماحة المرجع الديني

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مدظله

منتخب الأثر

من بحار الأنوار

بمساعدة

جماعة من الفضلاء

تقديم وإشراف

سماحة آية الله العظمى

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مدظله

منتخب الآثار

من بحار الأنوار

بمساعدة

جماعة من فضلاء

الحوزة العلمية

فهرستنویسی پیش از انتشار: توسط انتشارات امام علی بن‌ابی‌طالب علیه السلام.

سرشناسه: مجلسی، محمدباقر بن محمدتقی، ۱۰۳۷-۱۱۱۱ ق.
عنوان قراردادی: بحار الأنوار. برگزیده
عنوان و نام پدیدآور: منتخب الآثار من بحار الأنوار / ناصر مکارم الشیرازی؛ بمساعدة جماعة من الفضلاء
مشخصات نشر: قم: دار الإمام علي بن أبي‌طالب علیه السلام للنشر، ۱٤۳۷ق = ۱۳۹٤.
مشخصات ظاهری:
شابک: (ج.۳) 978-964-533-225-7
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: کتابنامه.
موضوع: احادیث شیعه ـ قرن ۱۲ ق.
شناسه افزوده: مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ ـ گردآورنده.
رده‌بندی کنگره: ٤۰۱۸ ب ۳م/ ۱۳۵ BP
رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۲۱۲
شماره کتابشناسی: ۳۸۷۲۲۵٤

الناشر الأفضل

لمعرض الدولي التاسع عشر ـ طهران

منتخب الآثار من بحار الأنوار / ج ۳

سماحة المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ (مدّ ظلّه)

بمساعدة جماعة من الفضلاء

الطّبعة: **الأولىٰ**
تاريخ النّشر: **۱٤۳۷ هـ. ق، ۱۳۹٤ هـ. ش**
الكمية: **۱۰۰۰ نسخة**
رقم الصّفحات: **٦٤۸ صفحة**
حجم الغلاف: **رحلي**
المطبعة: **سليمانزاده - قم**
الناشر: **دار الإمام علي بن أبي طالب علیه السلام للنشر**
ردمك: **۹۷۸-۹٦٤-۵۳۳-۲۲۵-۷**

عنوان الناشر: إيران ـ قم ـ شارع الشهداء ـ فرع ۲۲
تلفون: ++۹۸-۲۵-۳۷۷۳۲٤۷۸
فكس: ++۹۸-۲۵-۳۷۸٤۰۰۹۹
www.imamalipub.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيئة العلميّة

«رصد المكرّرات»

١. مهدي الدربانيّ (مراقب لجنة التحقيق) ٢. السيّد رضا الموسويّ

«المصادر»

١. السيّد حسين العباديّ ٢. السيّد عبّاس النوريّ
٣. أحد المحمّديّ ٤. رضا الكهنوئيّ

«اللغة»

١. هاشم المحمّديّ ٢. السيّد حميد الموسويّ

«الدراية»

١. سعيد يزدان برست ٢. قادر الأمينيّ

«التصحيح والتنقيح»

١. عيسى الأناريّ ٢. السيّد علي النوري
٣. حامد المحقّق المنتظريّ

«التدقيق»

عبّاس زينلي

«ديتا»

١. علي دهقاني ٢. مقصود أفشار
٣. كاظم الآخونديّ

المجلد الثالث

كتاب العدل والمعاد

أبواب العدل

﴿باب ١﴾

«نفي الظلم والجور عنه تعالى، وإبطال الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين، وإثبات الاختيار والاستطاعة»

الآيات:

آل عمران/١٨٢: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١]

النساء/٤٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[٢]

---

١. **نقول:** إن هذه الآية تعدّ من الآيات التي تفنّد ـ من جهة ـ مقولة الجبريين، وتعمم ـ من جهة أُخرى ـ أصل العدالة وتسحبه على كل الأفعال الإلهية، فتكون جميعا مطابقة للعدالة. وتوضيح ذلك: أن الآية الحاضرة تصرّح بأن كل جزاء ـ من ثواب أو عقاب ـ ينال الناس من جانب اللَّه سبحانه فإنما هو جزاء أعمالهم التي ارتكبوها بمحض إرادتهم واختيارهم: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وتصرّح من جانب آخر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وأن قانونه في الجزاء يدور على محور العدل المطلق، وهذا هو نفس ما تعتقد به العدلية ـ وهم القائلون بالعدل الإلهي، وهم الشيعة وطائفة من أهل السنة المسمّون بالمعتزلة.

غير أن هناك في الطرف الآخر جماعة من أهل السنة ـ وهم الذين يسمّون بالأشاعرة ـ لهم اعتقاد غريب في هذا المجال فهم يقولون: إنه تعالى هو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفا، ولو أدخلهم النار لم يكن جورا، فلا يتصور منه ظلم، ولا ينسب إليه جور. والآية الحاضرة تفنّد هذا النوع من الآراء والمقالات تفنيدا باتا ومطلقا وتقول بصراحة لا غبش فيها ولا غموض: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

على أن لفظة «ظلّام» صيغة مبالغة، وتعني من يظلم كثيرا، ولعل اختيار هذه الصيغة في هذا المكان مع أن اللَّه سبحانه لا يظلم حتى إذا كان الظلم صغيرا، لأجل أنه إذا أجبر الناس على الكفر والمعصية وخلق فيهم دواعي العمل القبيح ودوافعه ثم عاقبهم على ما فعلوه بإجباره وإكراهه لم يكن بذلك قد ارتكب ظلما صغيرا فحسب بل كان «ظلّاما». (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٣، ص ٢٧)

٢. **نقول:** لما ذا لا يظلم اللَّه سبحانه؟ فإن السبب فيه واضح، لأن الظلم عادة إما ناشئ عن الجهل، وإما ناشئ عن الحاجة، وإما ناشئ عن نقص نفسي. ومن كان عالما بكل شيء، وكان غنيّا عن كل شيء، ولم يكن يعاني من أيّ نقص، لا يمكن صدور الظلم منه، فهو لا يظلم أساسا، لا أنه تعالى لا يقدر على الظلم، ولا أن الظلم غير متصور في حقه ـ كما تذهب إليه طائفة من الأشاعرة ـ بل مع قدرته تعالى على الظلم لا يظلم أبدا

←

النساء/٤٩: ﴿... وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾

النساء/٧٩: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ...﴾[1]

النساء/١٤٧: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

الأنعام/١٣١ و١٣٢: ﴿ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

الأعراف/٢٧ و٢٨: ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...﴾

الأنفال/٥١: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

التوبة/٧٠: ﴿... فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

يونس/٤٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

يونس/١٠٨: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

النحل/٣٣ و٣٤: ﴿... وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ...﴾

الحجّ/١٠: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

المؤمنون/٦٢: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

النور/١١: ﴿... لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ...﴾

سبأ/٢٥: ﴿قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

فاطر/١٨: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ...﴾

← لحكمته وعلمه، فهو يضع كل شيء في عالم الوجود موضعه، ويعامل كل أحد حسب عمله، وطبقا لسلوكه وسيرته. (الأمثل في تفسير كتاب اللّٰه المنزل، ج ٣، ص ٢٣٨)

١. **نقول:** إن الحسنة والسيئة وإن كانت لهما نسبة واحدة للّٰه تعالى، لأنه خالق الإنسان ومودع فيه العقل والاختيار والإرادة، فهو عندئذ خالق للأفعال بالواسطة، لكن حيث كان فعل الحسنة بتوفيق ولطف من اللّٰه تعالى نسبها له تعالى؛ أما السيئة فإنها حيث تصدر عن العبد بمحض إراداته ومن دون إعانة منه تعالى بل تصدر مع معارضة اللّٰه تعالى لها وزجره ونهيه عن فعلها، ولهذا كانت نسبتها للعبد أولى من نسبتها للّٰه تعالى.

ص/٢٨: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾

الزمر/٧: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ...﴾

غافر/١٧: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

غافر/٣١: ﴿... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾

غافر/٤٠: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ...﴾

فصّلت/٤٦: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

الزخرف/٧٦: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾

ق/٢٨ و٢٩: ﴿... لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

الطور/١٦: ﴿... إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الطور/١٩: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الطور/٢١: ﴿... كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾

النجم/٣١-٤١: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾

الواقعة/٢٤: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

تفسير:

المبالغة في قوله تعالى: ﴿بِظَلَّامٍ﴾ إمّا غير مقصودة، أو هي لكثرة العبيد أو لبيان أنّ ما ينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم، أو لبيان أنّه لو اتّصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه. و«الفتيل»: الخيط الذي في شقّ النواة؛ وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: هي القشرة التي على النواة[1].

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ١٤٠.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي إن تدع نفس أثقلتها الأوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعوّ ذا قرابتها.

الروايات:

١٦٤٣. الأمالي للصدوق[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ صَبَّاحِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَهِشَامٍ وَحَفْصٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ قَالُوا: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ عليه السلام: إِنَّا لَا نَقُولُ جَبْراً وَلَا تَفْوِيضاً[٢].

١٦٤٤. التوحيد، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الأمالي للصدوق[٣]: السِّنَانِيُّ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ الرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليهما السلام قَالَ: خَرَجَ أَبُو حَنِيفَةَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ عِنْدِ الصَّادِقِ عليه السلام فَاسْتَقْبَلَهُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليهما السلام فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ مِمَّنِ الْمَعْصِيَةُ؟ فَقَالَ عليه السلام: لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَتْ مِنْهُ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْكَرِيمِ أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ بِمَا لَمْ يَكْتَسِبْهُ[٤]، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَ الْعَبْدِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلشَّرِيكِ الْقَوِيِّ أَنْ يَظْلِمَ الشَّرِيكَ الضَّعِيفَ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ وَهِيَ مِنْهُ، فَإِنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ فَبِذَنْبِهِ، وَإِنْ عَفَى عَنْهُ فَبِكَرَمِهِ وَجُودِهِ.

١٦٤٥. قرب الإسناد[٥]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام إِذَا نَاجَى رَبَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ قَوِيتُ عَلَى مَعْصِيَتِكَ بِنِعْمَتِكَ. قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾[٦] فَقَالَ: إِنَّ الْقَدَرِيَّةَ يَحْتَجُّونَ بِأَوَّلِهَا وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ. أَ لَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ وَقَالَ نُوحٌ «عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ»: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[٧] قَالَ: الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ.

بيان:

اعلم أنّ لفظ القدريّ يطلق في أخبارنا على الجبريّ وعلى التفويضيّ، والمراد في هذا الخبر هو الثاني،

---

١. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٧٩، ح ٨؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٨؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٣٣، ح ٢١٧.

٢. في المصدر: «أنا لا أقول جبرا ولا تفويضا».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٩٦، ح ٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٨، ح ٣٧؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٤١٠، ح ٤.

٤. في التوحيد والعيون: «بما لا يكتسبه».

٥. قرب الإسناد، ص ٣٥٨، ح ١٢٨١ و ١٢٨٢؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٦، ح ٨.

٦. الرعد/ ١١.

٧. هود/ ٣٤.

وقد أحال كلّ من الفريقين ما ورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد: لا خلاف في ذمّ القدريّة، وَقَدْ وَرَدَ فِي صِحَاحِ الأَحَادِيثِ: لَعَنَ اللَّهُ الْقَدَرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشرّ كلّه بتقدير اللّه ومشيّته، سُمّوا بذلك لمبالغتهم في نفيه؛ وقيل: لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء، لأنّ المناسب حينئذ القدريّ بضمّ القاف.

وقالت المعتزلة: القدريّة هم القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه من اللّه وبتقديره ومشيّته، لأنّ الشائع نسبة الشخص إلى ما يثبته ويقول به كالجبريّة والحنفيّة والشافعيّة، لا إلى ما ينفيه، وردّ بأنّه صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَوْلُهُ: الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ أُمَّتِي. وَقَوْلُهُ: إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ نَادَى مُنَادٍ: أَهْلَ الْجَمْعِ أَيْنَ خُصَمَاءُ اللَّهِ؟ فَتَقُومُ الْقَدَرِيَّةُ. ولا خفاء في أنّ المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى اللّه والشرّ إلى الشيطان، ويسمّونهما «يزدان وأهرمن» وأنّ من لا يفوّض الأُمور كلّها إلى اللّه تعالى ويفرز[1] بعضها فينسبه إلى نفسه يكون هو المخاصم للّه تعالى، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمقدّر أولى باسم القدريّ ممّن يضيفه إلى ربّه[2]. انتهى.

وقال العلّامة «رحمه اللّه» في شرحه على التجريد: قال أبو الحسن البصريّ ومحمود الخوارزميّ: وجه تشبيهه عليه السلام المجبّرة بالمجوس من وجوه:

أحدها: أنّ المجوس اختصّوا بمقالات سخيفة، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبّرة.

وثانيها: أنّ مذهب المجوس أنّ اللّه تعالى يخلق فعله ثمّ يتبرّأ منه، كما خلق إبليس ثمّ انتفى عنه، وكذلك المجبّرة قالوا: إنّه تعالى يفعل القبايح ثمّ يتبرّأ منه.

وثالثها: أنّ المجوس قالوا: إنّ نكاح الأخوات والأُمّهات بقضاء اللّه وقدره وإرادته، ووافقهم المجبّرة حيث قالوا: إنّ نكاح المجوس لأخواتهم وأُمّهاتهم بقضاء اللّه وقدره وإرادته.

ورابعها: أنّ المجوس قالوا: إنّ القادر على الخير لا يقدر على الشرّ وبالعكس؛ والمجبّرة قالوا: إنّ القدرة موجبة للفعل غير متقدّمة عليه، فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضدّه وبالعكس[3]. انتهى.

أقول:

سيتّضح لك أنّ كلّاً منهما ضالّ، صادق فيما نسب إلى الآخر، وأنّ الحقّ غير ما ذهبا إليه، وهو الأمر بين الأمرين.

---

١. فرزت الشيء من الشيء: فصلته، راجع لسان العرب.

٢. شرح المقاصد (للتفتازاني)، ج ٤، ص ٢٦٧.

٣. كشف المراد، ص ٣١٧.

١٦٤٦. تفسير القمّيّ[١]: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾[٢] قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إِنَّ هٰذَا الْقَوْلَ مِنَ اللَّهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ الْعِبَادَ، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ.

بيان:

الظاهر أنّه عليه السلام جعل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ من جملة قول الذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسّرون من أنّه من كلامه تعالى جواباً لقولهم[٣].

١٦٤٧. الخصال[٤]: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ مَنِيعٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٥]: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، والْقَدَرِيَّةُ[٦].

١٦٤٨. كنز الكراجكيّ[٧]: عن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الصّخر البصريّ، عن عمر بن محمّد بن سيف[٨]، عن عليّ بن محمّد بن مهرويه القزوينيّ، عن داود بن سليمان، عن الرّضا، عن آبائه عليهم السلام مثله.

بيان:

قال الكراجكيّ: ظنّت المعتزلة أنّ الشيعة هم المرجئة لقولهم: إنّا نرجو من اللّه تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة، وهذا غلط منهم في التسمية، لأنّ المرجئة مشتقّ من الإرجاء وهو

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٤؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ١٦١، ح ٣٦٣.

٢. البقرة/٢٦.

٣. ولعل الحديث مربوط بآخر الآية، وهو قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الآية. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٤. الخصال، ج ١، ص ٧٢، ح ١١٠؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٩١، ح ٢٣؛ مختصر البصائر، ص ٣٤٥، ح ٣٨٨.

٥. في مختصر البصائر بهذا الإسناد: «محمد بن علي، عن علي بن أحمد، عن محمد بن جعفر، عن مسلمة بن عبد الملك، عن داود بن سليمان، عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٦. **نقول:** المرجئة هم الذين يقولون: «الإيمان قول بلا عمل، وأنه لا يضرّ مع الايمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة». والقدرية هم الجبرية، ولا منافاة بين هذا الحديث وما ورد في الخصال (ج ١، ص ٧٢، ح ١٠٩) من ذكر هذين الصنفين بعنوان «الغلاة والقدرية» وحديث آخر رواه في من لا يحضره الفقيه (ج ٣، ص ٤٠٨) بعنوان: «الناصب لأهل بيتي حرباً وغال في الدين مارق منه» لأن جميع هؤلاء ليس لهم في الإسلام نصيب.

٧. كنز الفوائد، ج ١، ص ١٢٥.

٨. في المصدر: «يوسف».

التأخير[١]، بل هم الذين أخّروا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان. ثمّ قال: إنّ المعتزلة لها من الزلّات الفظيعة ما يكثر تعداده وقد صنّف ابن الراونديّ[٢] كتاب فضائحهم، فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم ممّا ينافر العقول ويضادّ شريعة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد وردت الأخبار بذمّهم عن أهل البيت عليهم السلام، **وَلَعَنَهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليه السلام فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُعْتَزِلَةَ أَرَادَتْ أَنْ تَوَحَّدَتْ فَأَلْحَدَتْ، وَرَامَتْ أَنْ تَرْفَعَ التَّشْبِيهَ فَأَثْبَتَتْ**[٣].

١٦٤٩. الخصال[٤]: **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَشَّارٍ الْقَزْوِينِيُّ، عَنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ أَحْمَدَ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ الْكُوفِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليهما السلام: أَدْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَالٍ وَيَسْتَمِعَ إِلَى حَدِيثِهِ، وَيُصَدِّقَهُ عَلَى قَوْلِهِ. إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا نَصِيبَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ: الْغُلَاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ.**

١٦٥٠. العقائد[٥]: **اعْتِقَادُنَا فِي الِاسْتِطَاعَةِ مَا قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ مَسْطُورٌ: يَا مُوسَى إِنِّي خَلَقْتُكَ وَاصْطَفَيْتُكَ وَقَوَّيْتُكَ، وَأَمَرْتُكَ بِطَاعَتِي، وَنَهَيْتُكَ عَنْ مَعْصِيَتِي، فَإِنْ أَطَعْتَنِي أَعَنْتُكَ عَلَى طَاعَتِي، وَإِنْ عَصَيْتَنِي لَمْ أُعِنْكَ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَلِيَ الْمِنَّةُ عَلَيْكَ فِي طَاعَتِكَ، وَلِيَ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ فِي مَعْصِيَتِكَ.**

١٦٥١. تفسير القمّيّ[٦]: **فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ**[٧] **قَوْلُهُ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قَالَ: خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ مُؤْمِناً وَكَافِراً وَشَقِيّاً وَسَعِيداً، وَكَذٰلِكَ يَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهْتَدٍ وَضَالٌّ، يَقُولُ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**[٨] **وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ:**

---

١. قال في الكنز بعد ذلك ص ١٢٥: يقال لمن أخّر أمرا: أرجأت الأمر يا رجل، فأنت مرجئ. قال اللّه: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ (الأعراف/١١١) أي أخّره، وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (التوبة/١٠٦) أي مؤخرون إلى مشيته، وأما الرجاء فإنما يقال: منه رجوت فأنا راج، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا المرجئة، والمرجئة هم الذين أخروا الأعمال، ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان، وقد لعنهم النبي صلى الله عليه وآله فيما وردت به الأخبار. انتهى. ثم ذكر الحديث المتقدم. (هامش المطبوع)

٢. أبو الحسين أحمد بن يحيى بن محمد بن إسحاق الراوندي، المعروف بابن الراوندي من مؤلفاته: «فضيحة المعتزلة» في رد كتاب فضيلة المعتزلة تأليف أبي الحسين الخياط، راجع أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

٣. كنز الفوائد، ج ١، ص ١٢٤-١٢٦.

٤. الخصال، ج ١، ص ٧٢، ح ١٠٩ و ١١٠؛ إثبات الهداة، ج ٥، ص ٣٨٢، ح ٣٤.

٥. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٩؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٢١؛ قصص الأنبياء عليهم السلام (للروانديّ)، ص ١٦٧، ح ١٨٦.

٦. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٢٦؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٨٨.

٧. في المصدر والصافي: «أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام».

٨. الأعراف/٢٩ و ٣٠.

لَا قَدَرَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، وَذٰلِكَ إِلَيْهِمْ إِنْ شَاؤُوا اهْتَدَوْا، وَإِنْ شَاؤُوا ضَلُّوا، وَهُمْ مَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ، الْمَشِيَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ شَقِيّاً يَوْمَ خَلَقَهُ كَذٰلِكَ يَعُودُ إِلَيْهِ[١]، وَمَنْ خَلَقَهُ سَعِيداً يَوْمَ خَلَقَهُ كَذٰلِكَ يَعُودُ إِلَيْهِ سَعِيداً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ[٢].

١٦٥٢. الخصال[٣]: الْفَامِيُّ وَابْنُ مَسْرُورٍ، عَنْ ابْنِ بُطَّةَ، عَنِ الصَّفَّارِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: النَّاسُ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: رَجُلٍ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْبَرَ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي، فَهٰذَا قَدْ ظَلَّمَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حُكْمِهِ وَهُوَ كَافِرٌ[٤]، وَرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِمْ، فَهٰذَا وَهَّنَ اللَّهَ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ كَافِرٌ[٥]، وَرَجُلٍ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يُطِيقُونَ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَإِذَا أَحْسَنَ حَمِدَ اللَّهَ، وإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ، فَهٰذَا مُسْلِمٌ بَالِغٌ[٦].

١٦٥٣. الخصال[٧]: أَبِي، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْفَارِسِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام[٨] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ خَلَقَهَا مِنْ لَبِنَتَيْنِ، لَبِنَةٍ[٩] مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٍ مِنْ

---

١. في المصدر: «يعود إليه شقيّاً».

٢. **نقول:** قد ذكرنا في أبحاثنا الأُصولية والكلامية أن المراد من هذا الحديث ـ ومثله حديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ـ اختلاف الأفراد في الاقتضاء أي القرب والبعد من الطاعة أو المعصية من دون أن يكون هذا بمعنى العلة التامة؛ مثلا أن القوي البنية أقرب إلى طاعة أمر اللَّه في الصيام بالنسبة إلى ضعيف البنية ولكن لا هذا مجبور على تركه ولا ذاك مجبور إلى فعله ويتفاوت ثوابهما بهذه المناسبة؛ واختلاف الأفراد إنما هو من طبيعة عالم المادة، فهل يمكن أن توجد هناك مدينة تكون نسبة جميع بيوتها إلى المسجد الذي موجود في أيّ ناحية منها على السواء؟ قطعا لا يمكن هذا، وكذا جميع الاختلافات في عالم المادة تنشأ من طبيعة هذا العالم.

٣. الخصال، ج ١، ص ١٩٥، ح ٢٧١؛ في تحف العقول، ص ٣٧١، ضمن رسالة عن علي بن محمد الهادي عليه السلام؛ نزهة الناظر (للحلواني)، ص ١١٨، ح ٦٢.

٤. في التحف: «فهو هالك».

٥. في التحف: «فهو هالك».

٦. في المصدر مع زيادة: «واللَّه الموفق».

٧. الخصال، ج ٢، ص ٤٣٥، ح ٢٢؛ وفي من لايحضره الفقيه، ج ٤، باب النوادر، ص ٣٥٥، ضمن ح ٥٧٦٢؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٥١؛ وفي الأخيرين مع اختلاف العبارات.

٨. في المصدر: «... عن الحسين بن الحسن الفارسي، عن سليمان بن حفص البصري ...»، وفي الفقيه: «حماد بن عمرو وأنس بن محمّد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام ...».

٩. اللبنة بفتح اللام وكسر الباء: واحدة اللبن التي يبنى بها الجدار، راجع لسان العرب.

فِضَّةٍ، وَجَعَلَ حِيطَانَهَا الْيَاقُوتَ، وَسَقْفَهَا الزَّبَرْجَدَ، وَحَصْبَائَهَا[١] اللُّؤْلُؤَ[٢]، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانَ وَالْمِسْكَ الْأَزْفَرَ[٣]، فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قَدْ سَعِدَ مَنْ يَدْخُلُنِي. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: بِعِزَّتِي وَعَظَمَتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِي لَا يَدْخُلُهَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا سِكِّيرٌ، وَلَا قَتَّاتٌ وَهُوَ النَّمَّامُ، وَلَا دَيُّوثٌ وَهُوَ الْقَلْطَبَانُ، وَلَا قَلَّاعٌ وَهُوَ الشُّرْطِيُّ، وَلَا زَنُّوقٌ وَهُوَ الْخُنْثَى، وَلَا خَيُّوفٌ[٤] وَهُوَ النَّبَّاشُ، وَلَا عَشَّارٌ[٥]، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا قَدَرِيٌّ[٦].

توضيح:

«السكّير» بالكسر وتشديد الكاف: الكثير السُّكر، والفرق بينه وبين المُدمن إمّا بكون المراد بالخمر ما يتّخذ من العنب وبالسكّير من يسكر من غيره، أو بكون المراد بالمدمن أعمّ ممّن يسكر. وشُرَط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدّمهم على غيرهم من جنده، والنسبة إليهم «شرطيّ» كتركيّ، ولم أجد اللغويّين فسّروا «الزنّوق» و«الخيّوف» بما فسّرا به في الخبر.

١٦٥٤. الخصال[٧]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ وَمُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بِإِسْنَادٍ لَهُ يَرْفَعُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا سِكِّيرٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا شَدِيدُ السَّوَادِ[٨]، وَلَا دَيُّوثٌ[٩]، وَلَا قَلَّاعٌ وَهُوَ الشُّرْطِيُّ، وَلَا زَنُّوقٌ وَهُوَ الْخُنْثَى[١٠]، وَلَا خَيُّوفٌ وَهُوَ النَّبَّاشُ، وَلَا عَشَّارٌ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا قَدَرِيٌّ.

قال الصدوق «رحمه اللّه»: يعني بشديد السواد الذي لا يبيضّ شيء من شعر رأسه، ولا من شعر لحيته مع كبر السنّ، ويسمّى الغربيب.

---

١. الحصباء: الحصى، راجع لسان العرب.

٢. في نسخة: وحصاها اللؤلؤ. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر والفقيه وجامع الأخبار: «الأذفر».

٤. في نسخة من الكتاب: «ولا خنّوف»، وفي الخصال المطبوع: «ولا خيّوق» في الموضعين. (هامش المطبوع)

٥. عشّرهم: أخذ عُشر أموالهم، والعشّار: قابض العُشْر، راجع لسان العرب.

٦. **نقول:** هذا الحديث ناظر إلى العشّار والشرطي للحاكم الجائر الذي كان الغالب في تلك الأيام، والمراد من الخنثى هنا المخنّث (المخنّث المتكسّر الأعضاء، المتشبّه بالنساء في الانثناء والتكسّر والكلام ...، راجع: الكافي في الفقه، ص ٤٠٩؛ تاج العروس، ج ٣، ص ٢٠٦؛ مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٥٢ مادة خنث) الذي يرغب أن يلاط به ويتزيّن بزيّ المرأة.

٧. الخصال، ج ٢، ص ٤٣٦، ح ٢٣؛ وفي روضة المتقين، ج ١٢، ص ٤٩، ذيل رواية مع نقصان؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ٣، ص ٢٦٠، ح ٢٩١١.

٨. **نقول:** وفقاً للمبادئ القرآنية القاضية بأنه لا فرق بين أبيض وأسود بل المعيار هو التقوى ينبغي أن يحمل معنى السواد هنا على غير اللون، كما لو يحمل مثلا على سواد القلب.

٩. في الروضة: «لا يدخلها مدمن خمر ولا نمّام ولا ديّوث».

١٠. لم يرد في الفصول: «وهو الخنثى».

١٦٥٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام[١]: السِّنَانِيُّ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مَحْمُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢] فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالتَّرْكِ كَمَا يُوصَفُ خَلْقُهُ، وَلٰكِنَّهُ مَتَى عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مَنَعَهُمُ الْمُعَاوَنَةَ وَاللُّطْفَ، وَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اخْتِيَارِهِمْ. قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾[٣] قَالَ: الْخَتْمُ هُوَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ عُقُوبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٤]. قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ يُجْبِرُ عِبَادَهُ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ: بَلْ يُخَيِّرُهُمْ وَيُمْهِلُهُمْ حَتَّى يَتُوبُوا. قُلْتُ: فَهَلْ يُكَلِّفُ عِبَادَهُ مَا لَا يُطِيقُونَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥]؟ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام[٦] أَنَّهُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُجْبِرُ عِبَادَهُ عَلَى الْمَعَاصِي أَوْ يُكَلِّفُهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَلَا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ، وَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ، وَلَا تُصَلُّوا وَرَائَهُ، وَلَا تُعْطُوهُ مِنَ الزَّكَاةِ شَيْئاً.

١٦٥٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٧]: تَمِيمٌ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ يَزِيدَ[٨] بْنِ عُمَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الشَّامِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ رُوِيَ لَنَا عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، فَمَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ أَفْعَالَنَا ثُمَّ يُعَذِّبُنَا عَلَيْهَا فَقَدْ قَالَ بِالْجَبْرِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ أَمْرَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ إِلَى حُجَجِهِ عليهم السلام فَقَدْ قَالَ بِالتَّفْوِيضِ، فَالْقَائِلُ بِالْجَبْرِ كَافِرٌ، وَالْقَائِلُ بِالتَّفْوِيضِ مُشْرِكٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ فَقَالَ: وُجُودُ السَّبِيلِ إِلَى إِتْيَانِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَتَرْكِ مَا نُهُوا عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ لِلَّهِ[٩] عَزَّ وَجَلَّ مَشِيَّةٌ وَإِرَادَةٌ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا الطَّاعَاتُ فَإِرَادَةُ اللَّهِ، وَمَشِيَّتُهُ فِيهَا الْأَمْرُ بِهَا، وَالرِّضَا لَهَا،

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٣، ح ١٦؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٣٨، ح ٢٢٧.

٢. البقرة/١٧.

٣. البقرة/٧.

٤. النساء/١٥٥.

٥. فصّلت/٤٦.

٦. في الإحتجاج: «أبا الحسن الرضا عليه السلام، حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبيطالب عليهم السلام».

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٤، ح ١٧؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٨؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ١٩٣.

٨. في المصدر: «بريد».

٩. في المتشابه: «فقال عليه السلام: وجود السبيل إلى إتيان ما نهو عنه قال: فهل للّه ...».

والْمُعَاوَنَةُ عَلَيْهَا؛ وَإِرَادَتُهُ وَمَشِيَّتُهُ فِي الْمَعَاصِي النَّهْيُ عَنْهَا، وَالسَّخَطُ لَهَا، وَالْخِذْلَانُ عَلَيْهَا[١]. قُلْتُ: فَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا الْقَضَاءُ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَا مِنْ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ قَضَاءٌ. قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى هٰذَا الْقَضَاءِ؟ قَالَ: الْحُكْمُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى أَفْعَالِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

١٦٥٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٢]: الدَّقَّاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّائِيِّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ الْكُوفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ عليهما السلام يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ الرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام.

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ الْبَغْدَادِيُّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهما السلام.

وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيُّ الْغَرَائِمِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحٍ النَّسَوِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عِيسَى الْمَرْوَزِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجِيحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، عَنِ السُّكَّرِيِّ، عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ بَكَّارٍ الضَّبِّيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالُوا: لَمَّا انْصَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مِنْ صِفِّينَ قَامَ إِلَيْهِ شَيْخٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ مَعَهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا هٰذَا أَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟ وَقَالَ الرِّضَا فِي رِوَايَتِهِ عَنْ آبَائِهِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْنَا عَنْ خُرُوجِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَجَلْ يَا شَيْخُ، فَوَ اللَّهِ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ. فَقَالَ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ: مَهْلاً يَا شَيْخُ، لَعَلَّكَ تَظُنُّ قَضَاءاً حَتْماً وَقَدَراً لَازِماً[٣]، لَوْ كَانَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ، وَلَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَمْ تَكُنْ عَلَى مُسِيءٍ لَائِمَةٌ، وَلَا لِمُحْسِنٍ مَحْمَدَةٌ، وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِاللَّائِمَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ، وَالْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ، تِلْكَ مَقَالَةُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَخُصَمَاءِ الرَّحْمٰنِ، وَقَدَرِيَّةِ هٰذِهِ

---

١. في الروضة والمتشابه: «السخط لها والعقوبة عليها والخذلان لها».

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٨، ح ٣٨؛ وفي الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٥، ح ١، مع اختلاف يسير؛ وفي تحف العقول، ص ٤٦٨، ضمن رسالة أبي الحسن الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض مع نقصان.

٣. في الكافي هكذا: «فقال عليه السلام له: مه يا شيخ فو اللّه لقد عظّم اللّه الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطرين. فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له: وتظن أنّه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً ...».

الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا. يَا شَيْخُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْذِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً[١]، ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَنَهَضَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمٰنِ غُفْرَاناً
أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَاناً[٢]
فَلَيْسَ مَعْذِرَةٌ فِي فِعْلِ فَاحِشَةٍ ... قَدْ كُنْتُ رَاكِبَهَا فِسْقاً وَعِصْيَاناً
لَا لَا وَلَا قَائِلاً نَاهِيهِ أَوْقَعَهُ ... فِيهَا عَبَدْتُ إِذاً يَا قَوْمِ شَيْطَاناً
وَلَا أَحَبَّ وَلَا شَاءَ الْفُسُوقَ وَلَا ... قَتْلَ الْوَلِيِّ لَهُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً
أَنَّى يُحِبُّ وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتُهُ؟ ... ذُو الْعَرْشِ أَعْلَنَ ذَاكَ اللَّهُ إِعْلَاناً

لَمْ يَذْكُرْ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ فِي آخِرِ هٰذَا الْحَدِيثِ مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا بَيْتَيْنِ مِنْ أَوَّلِهِ.

التوحيد[٣]: زَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ اللَّذَانِ سَاقَانَا؟ وَمَا هَبَطْنَا وَادِياً وَمَا عَلَوْنَا تَلْعَةً إِلَّا بِهِمَا؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُكْمُ، ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[٤].

بيان:

«التلعة»: ما ارتفَع من الأرض. قوله: «عند اللَّه أحتسب عنائي» أي لمّا لم نكن مستحقّين للأجر لكوننا مجبورين فأحتسب أجر مشقّتي عند اللَّه لعلَّه يُثيبني بلطفه؛ ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار، وقال الجزريّ: الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ، وإنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه اللَّه: احتسبه لأنّ له حينئذ أن يعتدّ عمله، والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها. انتهى.

قوله عليه السلام: «ولكان المذنب أولى بالإحسان» أقول: لأنّه حمله على ما هو قبيح عقلاً وشرعاً، وصيّره بذلك محلّاً للائمة الناس، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك، وأيضاً لمّا حمل المحسن على ما هو حسن عقلاً

---

١. في الكافي مع زيادة: «ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً».

٢. في الكافي تمت الرواية بهذا العبارة: «أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا * جزاك ربك بالإحسان إحسانا».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٢، ذيل ح ٢٨.

٤. الإسراء/٢٣.

وشرعاً وصار بذلك مورداً لمدح الناس فإن عاقبه وأضرّ به تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسيء؛ وقيل: إنّما كان المذنب أولى بالإحسان لأنّه لا يرضى بالذنب كما يدلّ عليه جبره عليه، والمحسن أولى بالعقوبة لأنّه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه، ومن لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الذي يرضى به.

ويحتمل أن يكون هذا متفرّعاً على ما مرّ أي إذا بطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي، والوعد والوعيد لكان المذنب أولى إلخ. ووجهه أنّه لم يبق حينئذ إلّا الإحسان والعقوبة الدنيويّة، والمذنب في الدنيا متنعّم بأنواع اللذّات، وليست له مشقّة التكاليف الشرعيّة، والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها، وترك ما يلتذّ بها مقتّر عليه لاجتناب المحرّمات من الأموال، فحينئذ الإحسان الواقع للمذنب أكثر ممّا وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممّا وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب[1]. والقدريّة في هذا الخبر أُطلقت على الجبريّة.

وقوله عليه السلام: «لم يعص» على بناء المفعول، وكذا قوله عليه السلام: «ولم يطع مكرهاً» بكسر الراء، وفي الفتح تكلّف. وفي الكافي بعد ذلك: «ولم يملك مفوّضاً». إشارة إلى نفي التفويض التامّ، بحيث لا يقدر على صرفهم عنه، أو بحيث لا يكون لتوفيقه وهدايته مدخل فيه.

١٦٥٨. التوحيد، عيون أخبار الرضا عليه السلام[2]: الطَّالَقَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِالْجَبْرِ فَلَا تُعْطُوهُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَا يُحَمِّلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.

---

١. وذكر وجهين آخرين في كتابه المرآة أيضاً، أحدهما أنه لمّا اقتضى ذات المذنب أن يحسن إليه في الدنيا بإحداث اللذّات فيه فينبغي أن يكون في الآخرة أيضاً كذلك، لعدم تغير الذوات في النشأتين، وإذا اقتضى ذات المحسن المشقة في الدنيا وإيلامه بالتكاليف الشاقة ففي الآخرة أيضاً ينبغي أن يكون كذلك. الثاني ما قيل: لعل وجه ذلك أن المذنب بصدور القبائح والسيّئات منه متألّم منكسر البال، لظنه أنها وقعت منه باختياره وقد كانت بجبر جابر وقهر قاهر، فيستحقّ الإحسان، وأن المحسن لفرحاته بصدور الحسنات عنه وزعمه أنه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب.

أقول: لعل قوله عليه السلام: «ولكان المحسن أولى ...» فيه تصحيف، وصحيحه كما في شرح التجريد في رواية الأصبغ: «ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن»، أو كما يأتي في حديث من الباب الثالث: «ولا كان المحسن أولى ...»، ومعناه ظاهر لا يحتاج إلى شيء من التوجيهات المذكورة، لأن العبد إذا كان مجبوراً على الفعل مسلوباً عنه الاختيار كان المحسن والمسيء كلاهما متساويين في عدم صحة استناد الإحسان والإساءة إليهما، فلا يكون أحدهما أولى بالمدح أو الذمّ من الآخر. (هامش المطبوع)

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٢، ح ٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٧؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٩.

١٦٥٩. التوحيد، عيون أخبار الرضا عليه السلام[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَبْرُ وَالتَّفْوِيضُ فَقَالَ: أَ لَا أُعْطِيكُمْ فِي هٰذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَا يُخَاصِمُكُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا كَسَرْتُمُوهُ[٢]؟ قُلْنَا: إِنْ رَأَيْتَ ذٰلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمِلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ، هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنِ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَنْهَا صَادّاً[٣]، وَلَا مِنْهَا مَانِعاً، وَإِنِ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذٰلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: مَنْ يَضْبِطْ حُدُودَ هٰذَا الْكَلَامِ فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ.

بيان:

لعلّ ذكر الإئتمار ثانياً للمشاكلة، أو هو بمعنى الهمّ، أو الفعل من غير مشاورة، كما ذكر في النهاية والقاموس.

١٦٦٠. التوحيد، معاني الأخبار[٤]: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحْتَمِلُ بْنُ سَعِيدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ[٥]، الْفَقِيهُ بِأَرْضِ بَلْخٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الزَّاهِدِ السَّمَرْقَنْدِيُّ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الصَّادِقِ عليه السلام: أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَسَاسَ الدِّينِ التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ، وَعِلْمُهُ كَثِيرٌ لَا بُدَّ لِعَاقِلٍ مِنْهُ، فَاذْكُرْ مَا يَسْهُلُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ، وَيَتَهَيَّأُ حِفْظُهُ، فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا التَّوْحِيدُ فَأَنْ لَا تُجَوِّزَ عَلَى رَبِّكَ مَا جَازَ عَلَيْكَ، وَأَمَّا الْعَدْلُ فَأَنْ لَا تَنْسُبَ إِلَى خَالِقِكَ مَا لَامَكَ عَلَيْهِ.

١٦٦١. تفسير القمّيّ[٦]: قَوْلُهُ: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَابِقِينَ﴾ فَهٰذَا رَدٌّ عَلَى الْمُجَبِّرَةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْأَفْعَالَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا صُنْعَ لَهُمْ فِيهَا وَلَا اكْتِسَابَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾[٧]، وَلَمْ يَقُلْ: بِفِعْلِنَا، لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَ الْعَبْدَ عَلَى فِعْلِهِ الَّذِي يُجْبِرُهُ عَلَيْهِ.

١٦٦٢. تفسير القمّيّ[٨]: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عليه السلام: وَجَدْتُ لِأَهْلِ الْقَدَرِ أَسْمَاءً فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٩] فَهُمُ الْمُجْرِمُونَ.

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦١، ح ٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٨؛ الإختصاص، ص ١٩٨.

٢. في التوحيد: «ولا تخاصمون عليه أحداً إلّا كسرتموه».

٣. الصدّ: الصرف والمنع، راجع النهاية.

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٩٦، ح ١؛ معاني الأخبار، ص ١١، ح ٢؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٩.

٥. في المصدر والمعاني: «أبو الحسن محمد بن سعيد بن عزيز السمرقندي».

٦. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٥٠؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٢١، ح ٨٢٧٢.

٧. العنكبوت/٣٩ و ٤٠.

٨. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٢؛ مختصر البصائر، ص ٣٦١، ح ٤٠٣؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٢٢٣، ح ١٠٢٨٢.

٩. القمر/٤٧-٤٩.

١٦٦٣. الإحتجاج[١]: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: إِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ بِالتَّفْوِيضِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُفَوِّضِ الْأَمْرَ إِلَى خَلْقِهِ وَهْناً مِنْهُ وَضَعْفاً، وَلَا أَجْبَرَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِ[٢] ظُلْماً؛ الْخَبَرَ.

١٦٦٤. التوحيد[٣]: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ خُنَيْسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَزَّازِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلٰكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: مَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَنَهَيْتَهُ فَلَمْ يَنْتَهِ، فَتَرَكْتَهُ فَفَعَلَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ، فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

١٦٦٥. العقائد[٤]: اعْتِقَادُنَا فِي الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ.

أقول:

وساق الخبر إلى آخر ما رواه المفضّل، وقال الشيخ المفيد «قدّس اللّه روحه» في شرحه: الجبر هو الحمل على الفعل، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبّر عمّا يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء أنّه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدّمناه، وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم: أنّ اللّه تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها والامتناع منها، وخلق فيهم المعصية كذلك، فهم المجبّرة حقّاً، والجبر مذهبهم على التحقيق.

والتفويض هو القول برفع الحظر[٥] عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم، مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أنّ اللّه أقدر الخلق على أفعالهم، ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع

---

١. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٢٧؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٥١٦، ح ٨٧٧٣.

٢. في نسخة: المعاصي. (هامش المطبوع)

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٢، ح ٨؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٦٠، ح ١٣؛ تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٤٦.

٤. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٢٩؛ وفي تحف العقول، ص ٤٦٠، ضمن رواية؛ وفي نزهة الناظر(للحواني)، ص ١٣١، ح ٢٢ مع زيادة، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

٥. الحظر: المنع، وظاهره أنه «رحمه اللّه» يفسّر التفويض بالإلحاد مع أن الظاهر أن المراد بالتفويض في الأخبار هو ما قالت به المعتزلة في مقابل الأشاعرة، وهو أن الأفعال مخلوقة للإنسان، وإن كانت القوى والأدوات مخلوقة للّه، خلافا لما ينسب إلى الأشاعرة أن الجميع مخلوقة للّه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

الحدود لهم فيها، أمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيّنّاه[١].

١٦٦٦. الإحتجاج[٢]: عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ[٣] قَالَ: سَأَلَ الزِّنْدِيقُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مُطِيعِينَ مُوَحِّدِينَ وَكَانَ عَلَى ذٰلِكَ قَادِراً؟ قَالَ: لَوْ خَلَقَهُمْ مُطِيعِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ثَوَابٌ، لِأَنَّ الطَّاعَةَ إِذَا مَا كَانَتْ فِعْلَهُمْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ، وَلٰكِنْ خَلَقَ خَلْقَهُ فَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِرُسُلِهِ، وَقَطَعَ عُذْرَهُمْ بِكُتُبِهِ، لِيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يُطِيعُونَ وَيَعْصُونَ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ الثَّوَابَ، وَبِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ الْعِقَابَ.

قَالَ: فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فِعْلُهُ، وَالْعَمَلُ الشَّرُّ مِنَ الْعَبْدِ هُوَ فِعْلُهُ؟ قَالَ عليه السلام: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْعَبْدُ يَفْعَلُهُ وَاللَّهُ بِهِ أَمَرَهُ، وَالْعَمَلُ الشَّرُّ الْعَبْدُ يَفْعَلُهُ وَاللَّهُ عَنْهُ نَهَاهُ. قَالَ: أَ لَيْسَ فَعَلَهُ بِالْآلَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا فِيهِ[٤]؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلٰكِنْ بِالْآلَةِ الَّتِي عَمِلَ بِهَا الْخَيْرَ قَدَرَ بِهَا عَلَى الشَّرِّ الَّذِي نَهَاهُ عَنْهُ[٥]. قَالَ: فَإِلَى الْعَبْدِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ؟ قَالَ: مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُطِيقُ تَرْكَهُ، وَلَا أَمَرَهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ الْجَوْرُ وَالْعَبَثُ وَالظُّلْمُ وَتَكْلِيفُ الْعِبَادِ مَا لَا يُطِيقُونَ.

قَالَ: فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ كَافِراً يَسْتَطِيعُ الْإِيمَانَ، وَلَهُ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ الْإِيمَانَ حُجَّةٌ؟ قَالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ جَمِيعاً مُسْلِمِينَ، أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، وَالْكُفْرُ اسْمٌ يَلْحَقُ الْفِعْلَ حِينَ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْعَبْدَ حِينَ خَلَقَهُ كَافِراً، إِنَّهُ إِنَّمَا كَفَرَ مِنْ بَعْدِ أَنْ بَلَغَ وَقْتاً لَزِمَتْهُ الْحُجَّةُ مِنَ اللَّهِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْحَقَّ فَجَحَدَهُ، فَبِإِنْكَارِهِ الْحَقَّ صَارَ كَافِراً. قَالَ: فَيَجُوزُ أَنْ يُقَدِّرَ عَلَى الْعَبْدِ الشَّرَّ وَيَأْمُرَهُ بِالْخَيْرِ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الْخَيْرَ أَنْ يَعْمَلَهُ وَيُعَذِّبَهُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِعَدْلِ اللَّهِ وَرَأْفَتِهِ أَنْ يُقَدِّرَ عَلَى الْعَبْدِ الشَّرَّ وَيُرِيدَهُ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْمُرَهُ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ، والْإِنْزَاعِ عَمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ، ثُمَّ يُعَذِّبَهُ عَلَى تَرْكِهِ أَمْرَهُ الَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ؛ الْخَبَرَ.

العقائد[٦]: اعتقادنا في أفعال العباد: أنّها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنّه لم يزل اللّه عالماً بمقاديرها.

---

١. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٤٦ و٤٧.

٢. في الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٤٠، ضمن رواية.

٣. في المصدر: «عن عبد اللّه بن سنان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. وهي قدرته وإرادته ومشيّته. (هامش المطبوع)

٥. أي الآلة التي جعلها اللّه في العبد لا يقتضي طرفاً من الفعل دون طرفه الآخر حتى يكون العبد مقهوراً لها ومجبوراً على الفعل بسببها فيستند الفعل إلى اللّه وينفى عن العبد، بل الآلة وهي قدرة العبد وإرادته يقتضي طرفي الفعل من الوجود والعدم، ويمكن أن يستعملها في الخير والشر، فتخصيص طرفي الفعل أو الخير والشر بالوجود من العبد. (هامش المطبوع)

٦. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٢٩.

أقول:

قال الشيخ المفيد «قدّس اللّه روحه» في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الذي ذكره أبو جعفر «رحمه اللّه»: قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضيّ الإسناد[١]، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس نعرف في لغة العرب أنّ العلم بالشيء هو خلق له، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحقّ لوجب أن يكون من علم النبيّ صلى الله عليه وآله فقد خلقه، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع اللّه تعالى وقرّره في نفسه أن يكون خالقاً له؛ وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعيّة الأئمّة عليهم السلام فضلاً عنهم.

فأمّا التقدير فهو الخلق في اللغة، لأنّ التقدير لا يكون إلّا بالفعل، فأمّا بالعلم فلا يكون تقديراً، ولا يكون أيضاً بالفكر، واللّه متعال عن خلق الفواحش والقبائح على كلّ حال.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ أَ هِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ خَالِقاً لَهَا لَمَا تَبَرَّأَ مِنْهَا وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢] وَلَمْ يُرِدِ الْبَرَاءَةَ مِنْ خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا تَبَرَّأَ مِنْ شِرْكِهِمْ وَقَبَائِحِهِمْ.

وكتاب اللّه تعالى المقدّم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه، قال اللّه تعالى: **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾**[٣] فخبّر بأنّ كلّ شيء خلقه فهو حسن غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق، وقال تعالى: **﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾**[٤] فنفى التفاوت عن خلقه، وقد ثبت أنّ الكفر والكذب متفاوت في نفسه، والمتضادّ من الكلام متفاوت، فكيف يجوز أن يطلقوا على اللّه تعالى أنّه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه؟[٥]

١٦٦٧. [٦] الإحتجاج[٧]: مِمَّا أَجَابَ بِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ الْأَهْوَازِ حِينَ سَأَلُوهُ عَنِ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ أَنْ قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ قَاطِبَةً لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذٰلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ

---

١. وهو الحديث الآتي عن عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الفضل، عن الرضا عليه السلام، وفيه عبد الواحد بن محمد بن عبدوس، ولم يرو توثيقه من قدماء أهل الرجال. (هامش المطبوع)

٢. التوبة/٣.

٣. السجدة/٧.

٤. الملك/٣.

٥. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٤٢-٤٥.

٦. سيأتي الحديث مفصلا في الباب الآتي بصورة أُخرى عن تحف العقول. (هامش المطبوع)

٧. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤٥٠؛ وفي تحف العقول، ص ٤٥٨، بمضمونه؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٣٥، ح ١٠٩١١.

جَمِيعِ فِرَقِهَا، فَهُمْ فِي حَالَةِ الاِجْتِمَاعِ[١] عَلَيْهِ مُصِيبُونَ، وَعَلَى تَصْدِيقِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مُهْتَدُونَ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَنَّ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ وَلَمْ يُخَالِفْ بَعْضُهَا بَعْضاً هُوَ الْحَقُّ، فَهٰذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ لَا مَا تَأَوَّلَهُ الْجَاهِلُونَ، وَلَا مَا قَالَهُ الْمُعَانِدُونَ مِنْ إِبْطَالِ حُكْمِ الْكِتَابِ، وَاتِّبَاعِ حُكْمِ الْأَحَادِيثِ الْمُزَوَّرَةِ[٢]، وَالرِّوَايَاتِ الْمُزَخْرَفَةِ[٣]، وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ[٤] الْمُهْلِكَةِ الَّتِي تُخَالِفُ نَصَّ الْكِتَابِ وَتَحْقِيقَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ النَّيِّرَاتِ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلصَّوَابِ، وَيَهْدِيَنَا إِلَى الرَّشَادِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَإِذَا شَهِدَ الْكِتَابُ بِتَصْدِيقِ خَبَرٍ وَتَحْقِيقِهِ فَأَنْكَرَتْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ، وَعَارَضَتْهُ بِحَدِيثٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُزَوَّرَةِ فَصَارَتْ بِإِنْكَارِهَا وَدَفْعِهَا الْكِتَابَ كُفَّاراً ضُلَّالاً، وَأَصَحُّ خَبَرٍ مَا عُرِفَ تَحْقِيقُهُ مِنَ الْكِتَابِ مِثْلُ الْخَبَرِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، حَيْثُ قَالَ: إِنِّي مُسْتَخْلِفٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، وَأَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. وَاللَّفْظَةُ الْأُخْرَى عَنْهُ فِي هٰذَا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَأَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، أَمَا إِنَّكُمْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا. فَلَمَّا وَجَدْنَا شَوَاهِدَ هٰذَا الْحَدِيثِ نَصّاً فِي كِتَابِ اللَّهِ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٥] ثُمَّ اتَّفَقَتْ رِوَايَاتُ الْعُلَمَاءِ فِي ذٰلِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَشَكَرَ اللَّهُ ذٰلِكَ لَهُ وَأَنْزَلَ الْآيَةَ فِيهِ، ثُمَّ وَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ أَبَانَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِهٰذِهِ اللَّفْظَةِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: عَلِيٌّ يَقْضِي دَيْنِي، وَيُنْجِزُ مَوْعِدِي، وَهُوَ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ بَعْدِي، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: حَيْثُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَ تُخَلِّفُنِي عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: أَ مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. فَعَلِمْنَا أَنَّ الْكِتَابَ شَهِدَ بِتَصْدِيقِ هٰذِهِ الْأَخْبَارِ، وَتَحْقِيقِ هٰذِهِ الشَّوَاهِدِ، فَيَلْزَمُ الْأُمَّةَ الْإِقْرَارُ بِهَا كَانَتْ هٰذِهِ الْأَخْبَارُ مُوَافِقَةً لِلْقُرْآنِ، وَوَافَقَ الْقُرْآنُ هٰذِهِ الْأَخْبَارَ، فَلَمَّا وَجَدْنَا ذٰلِكَ مُوَافِقاً لِكِتَابِ اللَّهِ وَجَدْنَا كِتَابَ اللَّهِ مُوَافِقاً لِهٰذِهِ الْأَخْبَارِ وَعَلَيْهَا دَلِيلاً كَانَ الِاقْتِدَاءُ بِهٰذِهِ الْأَخْبَارِ فَرْضاً لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَّا أَهْلُ الْعِنَادِ وَالْفَسَادِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: وَمُرَادُنَا وَقَصْدُنَا الْكَلَامُ فِي الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ وَشَرْحُهُمَا وَبَيَانُهُمَا، وَإِنَّمَا قَدَّمْنَا مَا قَدَّمْنَا لِكَوْنِ اتِّفَاقِ الْكِتَابِ وَالْخَبَرِ إِذَا اتَّفَقَا دَلِيلاً لِمَا أَرَدْنَاهُ وَقُوَّةً لِمَا نَحْنُ مُبَيِّنُوهُ مِنْ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ: الْجَبْرُ وَالتَّفْوِيضُ بِقَوْلِ

---

١. في المصدر: «الإجماع».

٢. أي الأحاديث المتزينة بالكذب، أو الأحاديث الكاذبة. (هامش المطبوع)

٣. أي الروايات المموّهة بالكذب. (هامش المطبوع)

٤. المردي: المهلك، راجع مجمع البحرين.

٥. المائدة / ٥٥.

الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام عِنْدَ مَا سُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ. وَقِيلَ: فَمَاذَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: صِحَّةُ الْعَقْلِ، وَتَخْلِيَةُ السَّرْبِ[١]، وَالْمُهْلَةُ فِي الْوَقْتِ، وَالزَّادُ مِنْ قِبَلِ الرَّاحِلَةِ، وَالسَّبَبُ الْمُهَيِّجُ لِلْفَاعِلِ عَلَى فِعْلِهِ، فَهٰذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ فَإِذَا نَقَصَ الْعَبْدُ مِنْهَا خَلَّةً[٢] كَانَ الْعَمَلُ عَنْهُ مُطَّرَحاً بِحَسَبِهِ، وَأَنَا أَضْرِبُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ ـ وَهِيَ الْجَبْرُ وَالتَّفْوِيضُ وَالْمَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ ـ مَثَلاً يُقَرِّبُ الْمَعْنَى لِلطَّالِبِ، وَيُسَهِّلُ لَهُ الْبَحْثَ مِنْ شَرْحِهِ، وَيَشْهَدُ بِهِ الْقُرْآنُ بِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَتَحَقُّقِ تَصْدِيقِهِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَأَمَّا الْجَبْرُ فَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ بِهٰذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَّمَ اللَّهَ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٣] وَقَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٤] مَعَ آيٍ كَثِيرَةٍ فِي مِثْلِ هٰذَا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَجْبُورٌ عَلَى الْمَعَاصِي فَقَدْ أَحَالَ بِذَنْبِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَظَلَّمَهُ فِي عُقُوبَتِهِ لَهُ، وَمَنْ ظَلَّمَ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَّبَ كِتَابَهُ، وَمَنْ كَذَّبَ كِتَابَهُ لَزِمَهُ الْكُفْرُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ.

وَالْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ مَلَكَ عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَمْلِكُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَمْلِكُ عَرَضاً مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا[٥]، وَيَعْلَمُ مَوْلَاهُ ذٰلِكَ مِنْهُ، فَأَمَرَهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِالْمَصِيرِ إِلَى السُّوقِ بِحَاجَةٍ يَأْتِيهِ بِهَا، وَلَا يُمَلِّكُهُ ثَمَنَ مَا يَأْتِيهِ بِهِ، وَعَلِمَ الْمَالِكُ أَنَّ عَلَى الْحَاجَةِ رَقِيباً لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَخْذِهَا مِنْهُ إِلَّا بِمَا يَرْضَى بِهِ مِنَ الثَّمَنِ، وَقَدْ وَصَفَ مَالِكُ هٰذَا الْعَبْدِ نَفْسَهُ بِالْعَدْلِ وَالنَّصَفَةِ وَإِظْهَارِ الْحِكْمَةِ وَنَفْيِ الْجَوْرِ، فَأَوْعَدَ عَبْدَهُ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ بِالْحَاجَةِ أَنْ يُعَاقِبَهُ، فَلَمَّا صَارَ الْعَبْدُ إِلَى السُّوقِ وَحَاوَلَ أَخْذَ الْحَاجَةِ الَّتِي بَعَثَهُ الْمَوْلَى لِلْإِتْيَانِ بِهَا وَجَدَ عَلَيْهَا مَانِعاً يَمْنَعُهُ مِنْهَا إِلَّا بِالثَّمَنِ، وَلَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ ثَمَنَهَا، فَانْصَرَفَ إِلَى مَوْلَاهُ خَائِباً بِغَيْرِ قَضَاءِ حَاجَتِهِ فَاغْتَاظَ مَوْلَاهُ لِذٰلِكَ، وَعَاقَبَهُ عَلَى ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ ظَالِماً مُتَعَدِّياً مُبْطِلاً لِمَا وَصَفَ مِنْ عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَنَصَفَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعَاقِبْهُ كَذَّبَ نَفْسَهُ، أَ لَيْسَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعَاقِبَهُ؟ وَالْكَذِبُ وَالظُّلْمُ يَنْفِيَانِ الْعَدْلَ وَالْحِكْمَةَ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُجَبِّرَةُ عُلُوّاً كَبِيراً.

ثُمَّ قَالَ الْعَالِمُ عليه السلام بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: فَأَمَّا التَّفْوِيضُ الَّذِي أَبْطَلَهُ الصَّادِقُ عليه السلام وَخَطَّأَ مَنْ دَانَ بِهِ فَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوَّضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ[٦]، وَفِي هٰذَا كَلَامٌ دَقِيقٌ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى غَوْرِهِ وَدِقَّتِهِ إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيَّةُ عليهم السلام مِنْ عِتْرَةِ آلِ الرَّسُولِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ فَوَّضَ اللَّهُ أَمْرَهُ إِلَيْهِمْ عَلَى جِهَةِ الْإِهْمَالِ

---

١. السرب: الطريق، ويقال: «فلان مخلّى السرب» أي موسّعا عليه غير مضيّق عليه، راجع لسان العرب والمغرب.

٢. الخلّة: الخصلة، راجع لسان العرب.

٣. الكهف/٤٩.

٤. الحجّ/١٠.

٥. عرض الدنيا: ما كان من مال، قلّ أو كثر، راجع لسان العرب.

٦. أهمله: تركه، راجع القاموس المحيط.

لَكَانَ لَازِماً لَهُ رِضَا مَا اخْتَارَهُ، وَاسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنَ الثَّوَابِ[١]، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ فِيمَا اجْتَرَمُوا الْعِقَابُ[٢] إِذَا كَانَ الْإِهْمَالُ وَاقِعاً، وَتَنْصَرِفُ هٰذِهِ الْمَقَالَةُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْعِبَادُ تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ فَأَلْزَمُوهُ قَبُولَ اخْتِيَارِهِمْ بِآرَائِهِمْ ضَرُورَةً، كَرِهَ ذٰلِكَ أَمْ أَحَبَّهُ، فَقَدْ لَزِمَهُ الْوَهْنُ، أَوْ يَكُونُ جَلَّ وَتَقَدَّسَ عَجَزَ عَنْ تَعَبُّدِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَفَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَجْرَاهُمَا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، إِذْ عَجَزَ عَنْ تَعَبُّدِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَى إِرَادَتِهِ فَجَعَلَ الِاخْتِيَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ مَلَكَ عَبْداً ابْتَاعَهُ لِيَخْدُمَهُ، وَيُعَرِّفَ لَهُ فَضْلَ وِلَايَتِهِ، وَيَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَادَّعَى مَالِكُ الْعَبْدِ أَنَّهُ قَادِرٌ قَاهِرٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فَأَمَرَ عَبْدَهُ وَنَهَاهُ، وَوَعَدَهُ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ أَلِيمَ الْعِقَابِ، فَخَالَفَ الْعَبْدُ إِرَادَةَ مَالِكِهِ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأَيُّ أَمْرٍ أَمَرَهُ بِهِ أَوْ نَهْيٍ نَهَاهُ عَنْهُ لَمْ يَأْتَمِرْ عَلَى إِرَادَةِ الْمَوْلَى بَلْ كَانَ الْعَبْدُ يَتَّبِعُ إِرَادَةَ نَفْسِهِ، وَبَعَثَهُ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ وَفِيهَا الْحَاجَةُ لَهُ، فَصَارَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ تِلْكَ الْحَاجَةِ خِلَافاً عَلَى مَوْلَاهُ، وَقَصَدَ إِرَادَةَ نَفْسِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَوْلَاهُ نَظَرَ إِلَى مَا أَتَاهُ فَإِذَا هُوَ خِلَافُ مَا أَمَرَهُ، فَقَالَ الْعَبْدُ: اتَّكَلْتُ عَلَى تَفْوِيضِكَ الْأَمْرَ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ هَوَايَ وَإِرَادَتِي لِأَنَّ الْمُفَوَّضَ إِلَيْهِ غَيْرُ مَحْظُورٍ عَلَيْهِ لِاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ التَّفْوِيضِ وَالتَّحْصِيرِ[٣].

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَوَّضَ قَبُولَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ فَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ الْعَجْزَ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ قَبُولَ كُلِّ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَبْطَلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَنَهْيَهُ[٤]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَمَلَّكَهُمُ اسْتِطَاعَةَ مَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ، وَرَضِيَ بِذٰلِكَ مِنْهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَذَمَّ مَنْ عَصَاهُ وَعَاقَبَهُ عَلَيْهَا، وَلِلَّهِ الْخِيَرَةُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، يَخْتَارُ مَا يُرِيدُ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا يَكْرَهُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَهَا عِبَادَهُ لِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، لِأَنَّهُ الْعَدْلُ، وَمِنْهُ النَّصَفَةُ وَالْحُكُومَةُ، بَالَغَ الْحُجَّةَ بِالْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ، وَإِلَيْهِ الصَّفْوَةُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، اصْطَفَى مُحَمَّداً «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، وَبَعَثَهُ بِالرِّسَالَةِ إِلَى خَلْقِهِ، وَلَوْ فَوَّضَ اخْتِيَارَ أُمُورِهِ إِلَى عِبَادِهِ لَأَجَازَ لِقُرَيْشٍ اخْتِيَارَ أُمَيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ وَأَبِي مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ إِذْ كَانَا عِنْدَهُمْ أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ لِمَا قَالُوا: ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٥] يَعْنُونَهُمَا بِذٰلِكَ، فَهٰذَا هُوَ الْقَوْلُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ لَيْسَ بِجَبْرٍ وَلَا تَفْوِيضٍ.

---

١. في المصدر: «ما اختاروه واستوجبوا به الثواب»، وفي التحف: «واستوجبوا منه الثواب».

٢. أي لم يكن عليهم فيما اكتسبوا العقاب. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر والبرهان: «التحظير».

٤. لم يرد في المصدر من «ثم قال عليه السلام: فمن زعم» إلى «وأبطل أمر اللّه تعالى ونهيه».

٥. الزخرف/٣١.

بِذٰلِكَ أَخْبَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حِينَ سَأَلَهُ عَبَايَةُ بْنُ رِبْعِيٍّ الْأَسَدِيُّ، عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَمْلِكُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَبَايَةُ بْنُ رِبْعِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا عَبَايَةُ، قَالَ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ قُلْتَ: تَمْلِكُهَا مَعَ اللَّهِ قَتَلْتُكَ وَإِنْ قُلْتَ: تَمْلِكُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَتَلْتُكَ، قَالَ: وَمَا أَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: تَقُولُ: تَمْلِكُهَا بِاللَّهِ الَّذِي يَمْلِكُهَا مِنْ دُونِكَ، فَإِنْ مَلَّكَكَهَا كَانَ ذٰلِكَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ سَلَبَكَهَا كَانَ ذٰلِكَ مِنْ بَلَائِهِ، وَهُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَكَ، وَالْمَالِكُ لِمَا عَلَيْهِ أَقْدَرَكَ، أَ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَسْأَلُونَ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ حَيْثُ يَقُولُونَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَمَا تَأْوِيلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ لَنَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، قَالَ: فَوَثَبَ[١] الرَّجُلُ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾[٢]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٤]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾[٥]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٦]، وَقَوْلِ مُوسَى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[١٢]، وَقَوْلِهِ: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ»[١٣] إِنَّ جَمِيعَهَا جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى الِاخْتِبَارِ.

---

١. وثب: قام بسرعة، راجع مجمع البحرين.

٢. محمّد/٣١.

٣. الأعراف/١٨٢.

٤. العنكبوت/٢.

٥. ص/٣٤.

٦. في المصحف الشريف: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ...﴾ (طه/٨٥).

٧. الأعراف/١٥٥.

٨. المائدة/٤٨.

٩. آل عمران/١٥٢.

١٠. القلم/١٧.

١١. هود/٧.

١٢. البقرة/١٢٤.

١٣. في المصحف الشريف: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ...﴾ (محمّد/٤).

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَإِنْ قَالُوا: مَا الْحُجَّةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ»[١] وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ؟ قُلْنَا: فَعَلَى مَجَازِ هٰذِهِ الْآيَةِ يَقْتَضِي مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ كَوْنِهِ تَعَالَى قَادِراً عَلَى هِدَايَةِ مَنْ يَشَاءُ، وَضَلَالَةِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى أَحَدِهِمَا لَمْ يَجِبْ لَهُمْ ثَوَابٌ، وَلَا عَلَيْهِمْ عِقَابٌ عَلَى مَا شَرَحْنَاهُ. وَالْمَعْنَى الْآخَرُ: أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنْهُ: التَّعْرِيفُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٢] وَلَيْسَ كُلُّ آيَةٍ مُشْتَبِهَةً فِي الْقُرْآنِ كَانَتِ الْآيَةُ حُجَّةً عَلَى حُكْمِ الْآيَاتِ اللَّاتِي أُمِرَ بِالْأَخْذِ بِهَا وَتَقْلِيدِهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ الْآيَةِ[٣]؛ وَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٤] وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَيُقَرِّبُ لَنَا وَلَكُمُ الْكَرَامَةَ وَالزُّلْفَى، وَهَدَانَا لِمَا هُوَ لَنَا وَلَكُمْ خَيْرٌ وَأَبْقَى، إِنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، الْحَكِيمُ الْجَوَادُ الْمَجِيدُ.

١٦٦٨. الإحتجاج[٥]: عَنْ دَاوُدَ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: سُئِلَ أَبِي عليه السلام هَلْ مَنَعَ اللَّهُ عَمَّا أَمَرَ بِهِ؟ وَهَلْ نَهَى عَمَّا أَرَادَ؟ وَهَلْ أَعَانَ عَلَى مَا لَمْ يُرِدْ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا مَا سَأَلْتَ: هَلْ مَنَعَ اللَّهُ عَمَّا أَمَرَ بِهِ؟ فَلَا يَجُوزُ ذٰلِكَ، وَلَوْ جَازَ ذٰلِكَ لَكَانَ قَدْ مَنَعَ إِبْلِيسَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ عليه السلام، وَلَوْ مَنَعَ إِبْلِيسَ لَعَذَرَهُ[٦] وَلَمْ يَلْعَنْهُ. وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ: هَلْ نَهَى عَمَّا أَرَادَ؟ فَلَا يَجُوزُ ذٰلِكَ، وَلَوْ جَازَ ذٰلِكَ لَكَانَ حَيْثُ نَهَى آدَمَ عليه السلام عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ أَرَادَ مِنْهُ أَكْلَهَا، وَلَوْ أَرَادَ مِنْهُ أَكْلَهَا مَا نَادَى عَلَيْهِ صِبْيَانُ الْكَتَاتِيبِ[٧] ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[٨] وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ وَيُرِيدَ غَيْرَهُ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِكَ: هَلْ أَعَانَ عَلَى مَا لَمْ يُرِدْ؟ فَلَا يَجُوزُ ذٰلِكَ، وَجَلَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ يُعِينَ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَتَكْذِيبِهِمْ، وَقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام الْفُضَلَاءِ مِنْ وُلْدِهِ، وَكَيْفَ يُعِينُ عَلَى مَا لَمْ يُرِدْ وَقَدْ أَعَدَّ جَهَنَّمَ لِمُخَالِفِيهِ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ لِطَاعَتِهِ، وَارْتِكَابِهِم لِمُخَالَفَتِهِ؛ وَلَوْ جَازَ أَنْ يُعِينَ عَلَى مَا لَمْ يُرِدْ لَكَانَ أَعَانَ فِرْعَوْنَ عَلَى كُفْرِهِ وَادِّعَائِهِ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ! أَ فَتَرَى أَرَادَ اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يَدَّعِيَ الرُّبُوبِيَّةَ؟ يُسْتَتَابُ قَائِلُ هٰذَا فَإِنْ تَابَ مِنْ كَذِبِهِ عَلَى اللَّهِ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

---

١. في المصحف الشريف: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النحل/٩٣).

٢. فصّلت/١٧.

٣. آل عمران/٧.

٤. في المصحف الشريف: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ...﴾ (الزمر/١٧ و١٨).

٥. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٨٧؛ وفي تحف العقول، ص ٤٨٥، مع اختلاف يسير.

٦. عذرته: رفعت عنه اللَّوْم، راجع مجمع البحرين.

٧. الكُتّاب: موضع التعليم، والجمع كتاتيب، راجع القاموس المحيط.

٨. طه/١٢١.

١٦٦٩. الإحتجاج[١]: وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليهما السلام[٢] أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ[٣]: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ فَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الْأَخْذِ بِهِ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ[٤] فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ، وَلَا يَكُونُونَ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِهِ[٥]، وَمَا جَبَرَ اللَّهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، بَلِ اخْتَبَرَهُمْ بِالْبَلْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٦].

قوله عليه السلام: «ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه» أي بتخليته وعلمه.

١٦٧٠. الإحتجاج[٧]: وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ أَبُو حَنِيفَةَ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ إِنَّ هَاهُنَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ مِنْ عُلَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ نَقْتَبِسْ مِنْهُ عِلْماً، فَلَمَّا أَتَيَا إِذَا هُمَا بِجَمَاعَةٍ مِنْ شِيعَتِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ أَوْ دُخُولَهُمْ عَلَيْهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ خَرَجَ غُلَامٌ حَدَثٌ[٨] فَقَامَ النَّاسُ هَيْبَةً لَهُ، فَالْتَفَتَ أَبُو حَنِيفَةَ فَقَالَ: يَا ابْنَ مُسْلِمٍ مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا مُوسَى ابْنُهُ، قَالَ: وَاللَّهِ لَأَجْبَهَنَّهُ[٩] بَيْنَ يَدَيْ شِيعَتِهِ، قَالَ: مَهْ، لَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذٰلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّهُ[١٠].

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَيْنَ يَضَعُ الْغَرِيبُ حَاجَتَهُ فِي بَلْدَتِكُمْ هٰذِهِ؟ قَالَ عليه السلام: يَتَوَارَى خَلْفَ الْجِدَارِ، وَيَتَوَقَّى أَعْيُنَ الْجَارِ، وَشُطُوطَ الْأَنْهَارِ، وَمَسْقَطَ الثِّمَارِ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا، فَحِينَئِذٍ يَضَعُ حَيْثُ

---

١. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٨٧؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٨، ح ٥؛ التوحيد(للصدوق)، ص ٣٥٩، ح ١.

٢. في المصدر: «عن الحسن بن علي بن محمد العسكري عليهما السلام».

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي التوحيد: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. لم يرد في الكافي: «فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به وما نهاهم عنه من شيء».

٥. في الكافي والتوحيد: «بإذن اللّه» بدلاً من «بإذنه» وبه تمت الرواية فيهما.

٦. هود/٧.

٧. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٨٧؛ أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٥١؛ دلائل الإمامة، ص ٢٢؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٨. رجلٌ حدثٌ: شابٌّ، راجع لسان العرب؛ والحدَث: الصغير السنّ.

٩. أي لأنكسنّ رأسه، وفي نسخة: لأهجبنّه، لعله من (الهجب): السوق والسرعة؛ الضرب بالعصا. وفي الإحتجاج المطبوع: واللّه أخجله. (هامش المطبوع)

١٠. يعرف من هذا نفسيات إمام السنة ورزانته وعفافه في الحجاج! هبه لم يكن يرى لسلالة النبوة قداسة وحرمة فبم كان يرى إباحة تخجيل امرئ مسلم، وهو يراه غلاما حدثا؟ لم يكن بينه وبينه عداوة ولا خصام؛ كما يعرف تبحّر الإمام عليه السلام في الأُصول والفروع وقوة حجاجه وهو غلام حدث. (هامش المطبوع)

شَاءَ[١]. ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ مِمَّنِ الْمَعْصِيَةُ؟ قَالَ: يَا شَيْخُ لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَبْدِ شَيْءٌ، فَلَيْسَ لِلْحَكِيمِ أَنْ يَأْخُذَ عَبْدَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ؛ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ وَمِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَقْوَى الشَّرِيكَيْنِ، فَلَيْسَ لِلشَّرِيكِ الْأَكْبَرِ أَنْ يَأْخُذَ الشَّرِيكَ الْأَصْغَرَ بِذَنْبِهِ؛ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ، فَإِنْ شَاءَ عَفَى وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَ. قَالَ: فَأَصَابَتْ أَبَا حَنِيفَةَ سَكْتَةٌ كَأَنَّمَا أُلْقِمَ فُوهُ[٢] الْحَجَرَ[٣]، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَتَعَرَّضْ لِأَوْلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟

وفي ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذمّ بها ... إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ... ذنب فما الذنب إلّا ذنب جانيها

١٦٧١. تفسير القمّيّ[٤]: وَأَمَّا الرَّدُّ عَلَى الْمُجَبِّرَةِ الَّذِينَ قَالُوا: لَيْسَ لَنَا صُنْعٌ وَنَحْنُ مُجَبَّرُونَ، يُحْدِثُ اللَّهُ لَنَا الْفِعْلَ عِنْدَ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا الْأَفْعَالُ هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى النَّاسِ عَلَى الْمَجَازِ لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَتَأَوَّلُوا فِي ذٰلِكَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهَا، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٦] وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَأْوِيلُهَا عَلَى خِلَافِ مَعَانِيهَا، وَفِيمَا قَالُوهُ إِبْطَالُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَإِذَا قَالُوا ذٰلِكَ ثُمَّ أَقَرُّوا بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ نَسَبُوا اللَّهَ إِلَى الْجَوْرِ، وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ عَلَى غَيْرِ اكْتِسَابٍ وَفِعْلٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً أَنْ يُعَاقِبَ أَحَداً عَلَى غَيْرِ فِعْلٍ وَبِغَيْرِ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ عَلَيْهِ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ رَدٌّ عَلَيْهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٧]، فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَهَا» وَ«عَلَيْهَا» هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِفِعْلِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

---

١. أقول: أخرج الكليني صدر الحديث من قوله: «يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم» في المجلد الأول من فروع الكافي ص ١٦، عن علي بن إبراهيم رفعه، وفيه زيادة وهو هكذا: فقال عليه السلام: «اجتنب أفنية المساجد، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزال، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول، وارفع ثوبك، وضع حيث شئت». وأورده الشيخ بإسناده عن الكليني في التهذيب ج ١، ص ٣٠. (هامش المطبوع)

٢. الفوه: الفم، راجع لسان العرب.

٣. مَثَل سائر يضرب لمن تكلّم فأُجيب بمسكتة. (هامش المطبوع)

٤. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٢.

٥. الإنسان/٣٠.

٦. في المصحف الشريف: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ ...﴾.

٧. البقرة/٢٨٦.

خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ يَعْنِي بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ فَلَمْ يَقُلْ بِفِعْلِنَا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَكَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦]؛ وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

أقول:

سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعمانيّ فيما رواه عن أميرالمؤمنين عليه السلام[٧].

١٦٧٢. التوحيد[٨]: الْمُفَسِّرُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام: مَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ، وَلَا وَصَفَهُ بِالْعَدْلِ[٩] مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ؛ الْخَبَرَ.

١٦٧٣. عيون أخبارالرضا عليه السلام[١٠]: ابْنُ عُبْدُوسٍ، عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ أَمَخْلُوقَةٌ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟ فَكَتَبَ: أَفْعَالُ الْعِبَادِ مُقَدَّرَةٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَبْلَ خَلْقِ الْعِبَادِ بِأَلْفَيْ عَامٍ.

١٦٧٤. التوحيد، الخصال، عيون أخبار الرضا عليه السلام[١١]: أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ

---

١. الزلزلة/٧و٨.

٢. المدّثّر/٣٨.

٣. آل عمران/١٨٢.

٤. فصّلت/١٧.

٥. الإنسان/٣.

٦. العنكبوت/٣٨-٤٠.

٧. بحارالأنوار، كتاب القرآن، أبواب فضائل سور القرآن وآياته، باب ما ورد عن أمير المؤمنين «صلوات اللّه عليه» في أصناف آيات القرآن وأنواعها وتفسير بعض آياتها برواية النعماني.

٨. التوحيد (للصدوق)، ح ٤٧، ح ١٠؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٢، ح ٢٤؛ وفيهما: «عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليهم السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٩. في التفسير المنسوب: «ولا عدّله».

١٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٦، ح ٣٤؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤١٦، ح ١٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠١، ح ٣.

١١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٩، ح ٩؛ الخصال، ج ١، ص ١٦٨، ح ٢٢١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٤.

الْحَسَنِ الْمِيثَمِيِّ[١]، **عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْرَوَيْهِ الْقَزْوِينِيِّ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الْغَازِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ** عليهم السلام **قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام **يَقُولُ: الْأَعْمَالُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: فَرَائِضُ، وَفَضَائِلُ، وَمَعَاصِي، فَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَبِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرِضَى اللَّهِ وَبِقَضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَمَشِيَّتِهِ وَعِلْمِهِ؛ وَأَمَّا الْفَضَائِلُ فَلَيْسَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ**[٢] **وَلٰكِنْ بِرِضَى اللَّهِ وَبِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدَرِ اللَّهِ وَبِمَشِيَّةِ اللَّهِ وَبِعِلْمِ اللَّهِ؛ وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلَيْسَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ**[٣] **وَلٰكِنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدَرِ اللَّهِ وَبِمَشِيَّةِ اللَّهِ وَبِعِلْمِهِ**[٤]**، ثُمَّ يُعَاقِبُ عَلَيْهَا.**

التوحيد، عيون أخبار الرضا عليه السلام[٥]: قال مصنّف هذا الكتاب: «المعاصي بقضاء اللّه» معناه بنهي اللّه، لأنّ حكمه عزّ وجلّ فيها على عباده الانتهاء عنها[٦]، ومعنى قوله عليه السلام: «بقدر اللّه» أي بعلم اللّه بمبلغها ومقدارها، ومعنى قوله عليه السلام: «بمشية اللّه» فإنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يمنع العاصي إلّا بالزجر والقول والنهي والتحذير، دون الجبر والمنع بالقوّة، والدفع بالقدرة[٧].

١٦٧٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٨]: **ابْنُ عُبْدُوسٍ، عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، عَنِ الْفَضْلِ، عَنِ الرِّضَا** عليه السلام[٩] **فِيمَا كَتَبَ لِلْمَأْمُونِ: مِنْ مَحْضِ الْإِسْلَامِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، وَأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ خَلْقَ تَقْدِيرٍ لَا خَلْقَ تَكْوِينٍ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا نَقُولُ بِالْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ؛ الْخَبَرَ.**

---

١. في التوحيد: «أبو الحسن علي بن الحسن المثنّى».

٢. أي الأمر الوجوبي. (هامش المطبوع)

٣. ولا برضاه، لأن اللّه لا يرضى بالكفر والمعاصي. (هامش المطبوع)

٤. في العيون: «ولكن بقدر اللّه وبعلمه».

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٧٠، الخصال، ج ١، ص ١٦٨؛ وفي العيون بدون بيان عن المصنف.

٦. هذا على أحد معاني القضاء وهو الحكم والإلزام كما قال اللّه تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء/٢٣)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف/٢٠) أي يحكم. أقول: ويمكن أن يكون بمعنى الفصل والقطع وتحتّم الأمر، لوقوعه قبال القدر وهو التقدير، وإسناد ذلك إلى اللّه تعالى بحيث لا يستلزم الجبر إما بواسطة علمه تعالى بحصول ذلك الفعل عند وجود سببه وعلته التامة ومنها إرادة الإنسان واختيار فاعله، أو بواسطة جعله الإنسان مختاراً، وعدم ردعه التكويني وكفّه عن الفعل مع قدرته عليه، أو لصحة إسناد الفعل إلى أحد علله الطولية. (هامش المطبوع)

٧. في التوحيد: «قال مصنف هذا الكتاب: قضاء اللّه عز وجل في المعاصي حكمه فيها، ومشيته في المعاصي نهيه عنها، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها».

٨. في عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢٥، ضمن ح ١، التوحيد (للصدوق)، ص ٤٠٦، ح ٥؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠١، ح ٤.

٩. في التوحيد بهذا الإسناد: «حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي وأحمد بن الحسن القطان ومحمد بن أحمد السناني والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب وعبد اللّه بن محمد الصائغ وعلي بن عبد اللّه الورّاق قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطّان قال: حدثنا بكر بن عبد اللّه بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام».

١٦٧٦. التوحيد[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ[٢]، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَشْيَاءَ قَدْ كَتَبْتُ بِهَا إِلَيْكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَنْ تَشْرَحَ لِي جَمِيعَ مَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ، اخْتَلَفَ النَّاسُ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ بِالْعِرَاقِ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْجُحُودِ، فَأَخْبِرْنِي ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَ هُمَا مَخْلُوقَتَانِ؟ وَاخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ فَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَعَنِ الِاسْتِطَاعَةِ أَ قَبْلَ الْفِعْلِ أَوْ مَعَ الْفِعْلِ؟ فَإِنَّ أَصْحَابَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَرَوَوْا فِيهِ، وَعَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلْ يُوصَفُ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ؟ فَإِنْ رَأَيْتَ ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَعَنِ الْحَرَكَاتِ، أَ هِيَ مَخْلُوقَةٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟

فَكَتَبَ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ» عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ: سَأَلْتَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَا هِيَ؟ فَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقَلْبِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْجُحُودَ صُنْعُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهِمَا مِنْ صُنْعٍ، وَلَهُمْ فِيهِمَا الِاخْتِيَارُ مِنَ الِاكْتِسَابِ، فَبِشَهْوَتِهِمُ الْإِيمَانَ اخْتَارُوا الْمَعْرِفَةَ، فَكَانُوا بِذٰلِكَ مُؤْمِنِينَ عَارِفِينَ، وَبِشَهْوَتِهِمُ الْكُفْرَ اخْتَارُوا الْجُحُودَ فَكَانُوا بِذٰلِكَ كَافِرِينَ جَاحِدِينَ ضُلَّالاً، وَذٰلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُمْ، وَخِذْلَانِ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ، فَبِالِاخْتِيَارِ وَالِاكْتِسَابِ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ وَأَثَابَهُمْ.

وسَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ عَنِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِ النَّاسِ قِبَلَكُمْ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُحْدَثٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَغَيْرُ أَزَلِيٍّ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَتَعَالَى عَنْ ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا شَيْءَ غَيْرَ اللَّهِ مَعْرُوفٌ وَلَا مَجْهُولٌ، كَانَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمَ وَلَا مُرِيدَ وَلَا مُتَحَرِّكَ وَلَا فَاعِلَ، جَلَّ وَعَزَّ رَبُّنَا، فَجَمِيعُ هٰذِهِ الصِّفَاتِ مُحْدَثَةٌ عِنْدَ حُدُوثِ الْفِعْلِ مِنْهُ، جَلَّ وَعَزَّ رَبُّنَا، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فِيهِ خَبَرُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا يَكُونُ بَعْدَكُمْ[٣]، أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

وَسَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ لِلْفِعْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَبْدَ وَجَعَلَ لَهُ الْآلَةَ وَالصِّحَّةَ، وَهِيَ الْقُوَّةُ الَّتِي يَكُونُ الْعَبْدُ بِهَا مُتَحَرِّكاً مُسْتَطِيعاً لِلْفِعْلِ، وَلَا مُتَحَرِّكٌ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ الْفِعْلَ، وَهِيَ صِفَةٌ مُضَافَةٌ إِلَى الشَّهْوَةِ الَّتِي هِيَ خَلْقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُرَكَّبَةٌ فِي الْإِنْسَانِ، فَإِذَا تَحَرَّكَتِ الشَّهْوَةُ لِلْإِنْسَانِ[٤] اشْتَهَى الشَّيْءَ وَأَرَادَهُ، فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلْإِنْسَانِ: مُرِيدٌ، فَإِذَا أَرَادَ الْفِعْلَ وَفَعَلَ كَانَ مَعَ الِاسْتِطَاعَةِ وَالْحَرَكَةِ، فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلْعَبْدِ: مُسْتَطِيعٌ مُتَحَرِّكٌ، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ سَاكِناً

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٢٦، ح ٧؛ وفي الكافي، ج ١، باب النهي عن الصفة، ص ١٠٠، ح ١، وج ٢، باب أن الإسلام قبل الإيمان، باب آخر منه، ص ٢٧، ح ١، مقطعا.

٢. في الكافي، ج ٢، ح ١: «علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف ...».

٣. في نسخة: وخبر من يكون بعدكم. (هامش المطبوع)

٤. في التوحيد: «في الإنسان».

غَيْرَ مُرِيدٍ لِلْفِعْلِ وَكَانَ مَعَهُ الْآلَةُ وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالصِّحَّةُ اللَّتَانِ بِهِمَا تَكُونُ حَرَكَاتُ الْإِنْسَانِ وَفِعْلُهُ كَانَ سُكُونُهُ لِعِلَّةِ سُكُونِ الشَّهْوَةِ فَقِيلَ: سَاكِنٌ، فَوُصِفَ بِالسُّكُونِ فَإِذَا اشْتَهَى الْإِنْسَانُ وَتَحَرَّكَتْ شَهْوَتُهُ الَّتِي رُكِّبَتْ فِيهِ اشْتَهَى الْفِعْلَ وَتَحَرَّكَ بِالْقُوَّةِ الْمُرَكَّبَةِ فِيهِ، وَاسْتَعْمَلَ الْآلَةَ الَّتِي يَفْعَلُ بِهَا الْفِعْلَ، فَيَكُونُ الْفِعْلُ مِنْهُ عِنْدَ مَا تَحَرَّكَ وَاكْتَسَبَهُ فَقِيلَ: فَاعِلٌ وَمُتَحَرِّكٌ وَمُكْتَسِبٌ وَمُسْتَطِيعٌ، أَ وَلَا تَرَى أَنَّ جَمِيعَ ذٰلِكَ صِفَاتٌ يُوصَفُ بِهَا الْإِنْسَانُ؟

وَسَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ عَنِ التَّوْحِيدِ وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ قِبَلَكَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِخَلْقِهِ، الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَانْفِ عَنِ اللَّهِ الْبُطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ فَلَا نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ، هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الثَّابِتُ، الْمَوْجُودُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا تَعْدُ الْقُرْآنَ[1] فَتَضِلَّ بَعْدَ الْبَيَانِ.

وَسَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ عَنِ الْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ هُوَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَقْدٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، فَالْإِيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ[2]، وَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِماً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ مُسْلِماً، فَالْإِسْلَامُ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَهُوَ يُشَارِكُ الْإِيمَانَ، فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ بِكَبِيرَةٍ مِنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي، أَوْ صَغِيرَةٍ مِنْ صَغَائِرِ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا كَانَ خَارِجاً مِنَ الْإِيمَانِ، وسَاقِطاً عَنْهُ اسْمُ الْإِيمَانِ، وَثَابِتاً عَلَيْهِ اسْمُ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ عَادَ إِلَى الْإِيمَانِ[3]، وَلَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ والِاسْتِحْلَالِ[4]، وَإِذَا قَالَ لِلْحَلَالِ: هٰذَا حَرَامٌ، وَلِلْحَرَامِ: هٰذَا حَلَالٌ وَدَانَ بِذٰلِكَ فَعِنْدَهَا يَكُونُ خَارِجاً مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ دَخَلَ الْحَرَمَ ثُمَّ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَأَحْدَثَ فِي الْكَعْبَةِ حَدَثاً فَأُخْرِجَ عَنِ الْكَعْبَةِ وَعَنِ الْحَرَمِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَصَارَ إِلَى النَّارِ.

قال الصدوق «رحمه اللّٰه»: كأنّ المراد من هذا الحديث ما كان فيه من ذكر القرآن، ومعنى ما فيه أنّه غير مخلوق أي غير مكذوب، ولا يعني به أنّه غير محدث لأنّه قال عليه السلام: «محدث غير مخلوق، وغير أزليّ مع اللّٰه تعالى ذكره».

بيان:

قوله: «على يدي عبد الملك» أي أرسلت الكتاب معه. قوله عليه السلام: «إنّ المعرفة من صنع اللّٰه» أي أصل المعرفة، أو كمالها من اللّٰه تعالى بعد اكتسابهم وتفكّرهم فالمفيض للمعارف هو الربّ تعالى، وللتفكّر والنظر

---

١. عدا الأمر: تجاوزه، راجع لسان العرب.

٢. في الكافي مع زيادة: «وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار».

٣. في الكافي: «إلى دار الإيمان».

٤. في الكافي: «ولا يخرجه إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال ...».

والطلب مدخل فيها، وإنّما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها، أو المعنى أنّ المعرفة ليست إلّا من قبله تعالى، إمّا بإلقائها في قلوبهم، أو ببيان الأنبياء والحجج عليهم السلام، وإنّما كلّف العباد بقبول ذلك وإقرارهم به ظاهراً وتخلية النفس قبل ذلك لطلب الحقّ عن العصبيّة والعناد، وعمّا يوجب الحرمان عن الحقّ من تقليد أهل الفساد، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب.

ثمّ بيّن عليه السلام أنّ لتوفيق اللّه وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي[١] تحقيقه؛ ولعلّ المنع من إطلاق الخلق على القرآن إمّا للتقيّة مماشاة مع العامّة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفّار عليه بهذا المعنى فقالوا: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٢]، كما أشار إليه الصدوق «رحمه اللّه»[٣]. قوله عليه السلام: «معروف ولا مجهول» أي لم يكن مع اللّه شيء يعرفه الخلق أو يجهلونه.

١٦٧٧. التوحيد[٤]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ الْمَحَامِلِيِّ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الْجَمَّالِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٥] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ فَقَالَ عليه السلام: لَيْسَتِ الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ كَلَامِي وَلَا مِنْ كَلَامِ آبَائِي[٦].

قال الصدوق «رحمه اللّه»: يعني بذلك أنّه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن يقول للّه عزّ وجلّ: إنّه مستطيع كما قال الذين كانوا على عهد عيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[٧].

بيان:

لعلّ منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا يليق إطلاقه بجنابه تعالى، أو لأنّ الاستطاعة إنّما تطلق على القدرة المتفرّعة على حصول الآلات والأدوات[٨]، واللّه تعالى منزّه عن ذلك، وسيأتي تحقيق معنى الخبر.

---

١. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب أن المعرفة منه تعالى.

٢. ص/٧.

٣. بل الحق أن الكلام هو اللفظ لا بما أنه صوت بل بما أنه دالّ على المعنى، أي المعنى المدلول عليه بما أنه مرتبط بالصوت الذي هو كيف مسموع، وهذا معنى اعتباري لا يتعلق به الجعل وهذا بخلاف الحدوث؛ ولتفصيل الكلام محل آخر. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٤، ح ١؛ وفي رجال الكشي، ص ١٥٠، صدر ح ٢٤٣.

٥. في رجال الكشي بهذا الإسناد: «محمد بن مسعود، عن محمد بن عيسى، عن حريز، عن الحلبي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٦. في رجال الكشي: «ليس من ديني ولا دين آبائي».

٧. المائدة/١١٢.

٨. هذا وما ذكره الصدوق «رحمه اللّه» من عجيب التأويل. وظاهر الرواية أن المراد بالاستطاعة قول دائر بين الناس وليس إلا ما كان دائراً بين

←

١٦٧٨. التوحيد[١]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ مَعاً، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٣] قَالَ: وَهُمْ مُسْتَطِيعُونَ، يَسْتَطِيعُونَ الْأَخْذَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَالتَّرْكَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَبِذٰلِكَ ابْتُلُوا. قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ مَاتَ وَتَرَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَمْ يَحُجَّ حَتَّى مَاتَ، هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّمَا اسْتَغْنَى عَنْهُ بِمَالِهِ وَصِحَّتِهِ[٤].

بيان:

ليس «عنه» في بعض النسخ وهو أظهر، ومع وجوده يحتمل أن يكون «عن» بمعنى «اللام» كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾[٥]؛ ويحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك، و«الباء» بمعنى «مع» أي تركه مع وجود ماله وصحّته.

١٦٧٩. التوحيد[٦]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٨] قَالَ: صَارَتْ أَصْلَابُهُمْ كَصَيَاصِي الْبَقَرِ ـ يَعْنِي قُرُونَهَا[٩] ـ ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[١٠] قَالَ عليه السلام: وَهُمْ سَالِمُونَ[١١]، وَهُمْ مُسْتَطِيعُونَ.

← المعتزلة يومئذ من القول بالاستطاعة وهو استناد الفعل إلى قدرة العبد واستطاعته من غير أن يكون للَّه سبحانه فيه صنع؛ يمكن أن يكون إشارة إلى مسألة تحقق الاستطاعة قبل الفعل الذي نفتها الأشاعرة ويكون الخبر وارداً على التقيّة. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللَّه»)

١. في التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٥، هامش ح ٢، نقل من نسختي التوحيد؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٦٢، ح ١٠٩٨٥.

٢. في المصدر والبرهان بهذا الإسناد: «ابن الوليد، عن ابن أبان، عن ابن سعيد، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن حمزة بن محمد الطيّار، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام».

٣. القلم/٤٣.

٤. تمت الرواية في البرهان بهذه العبارة: «وبذلك ابتلوا، ثم قال: ليس شيء مما أُمروا به ونهوا عنه إلا ومن اللَّه عز وجل فيه ابتلاء وقضاء».

٥. التوبة/١١٤.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٦، هامش ح ٢، وص ٣٥١، ح ١٧.

٧. في التوحيد، ح ١٧، بهذا الإسناد: «أبي وابن الوليد، عن سعد بن عبد اللَّه، عن ابن عيسى، عن علي بن عبد اللَّه، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الحذاء، عن معلّى بن خنيس، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام».

٨. القلم/٤٢.

٩. لم يرد في التوحيد، ح ١٧: «قال صارت أصلابهم كصياصي البقر ـ يعني قرونها ـ».

١٠. القلم/٤٣.

١١. لم يرد في التوحيد في الموضعين: «و هم سالمون».

١٦٨٠. التوحيد[١]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ صَبَّاحٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلَهُ زُرَارَةُ ـ وَأَنَا حَاضِرٌ ـ فَقَالَ: أَ فَرَأَيْتَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ وَمَا نَهَانَا عَنْهُ؟ جَعَلَنَا مُسْتَطِيعِينَ لِمَا افْتَرَضَ عَلَيْنَا، مُسْتَطِيعِينَ لِتَرْكِ مَا نَهَانَا عَنْهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

١٦٨١. التوحيد[٢]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَنَاحٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: وَقَدْ فَعَلُوا، فَقُلْتُ: نَعَمْ، زَعَمُوا أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ الْفِعْلِ وَإِرَادَةٍ فِي حَالِ الْفِعْلِ لَا قَبْلَهُ، فَقَالَ: أَشْرَكَ الْقَوْمُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «وقد فعلوا» أي نفوا الاستطاعة أيضاً بعد ما نفوا سائر ضروريّات الدين؛ أو المعنى أنّهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لا يستطيعون.

١٦٨٢. التوحيد[٣]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ جَمِيعاً، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ فَاعِلاً[٤] وَلَا مُتَحَرِّكاً إِلَّا وَالِاسْتِطَاعَةُ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّكْلِيفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الِاسْتِطَاعَةِ، فَلَا يَكُونُ مُكَلَّفاً لِلْفِعْلِ إِلَّا مُسْتَطِيعاً.

١٦٨٣. التوحيد[٥]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ بَزِيعٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ[٦]، عَمَّنْ رَوَاهُ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ فَاعِلاً إِلَّا وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَطِيعاً غَيْرَ فَاعِلٍ، وَلَا يَكُونُ فَاعِلاً أَبَداً حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ الِاسْتِطَاعَةُ.

١٦٨٤. التوحيد[٧]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عِيسَى، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٨] فِي هٰذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٩] إِنَّهُمْ كَانُوا

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٧، ح ٤.

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٠، ح ١٢؛ الحاشية على أُصول الكافي (للأسترآبادي)، ص ١٣٤.

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥١، ح ١٨؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢٦٨؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٩، ح ٧٥٠٣.

٤. في مجموعة ورّام: «قاعداً».

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٠، ح ١٣؛ الحاشية على أُصول الكافي (للأسترآبادي)، ص ١٣٣.

٦. في المصدر والحاشية على الكافي: «أبي، عن سعد، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير ...».

٧. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥١، ح ١٥؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٨٩، ح ٥٩؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٧٨٥، ح ٤٥٥٧.

٨. في تفسير العياشي بهذا الإسناد: «عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام».

٩. التوبة/٤٢.

يَسْتَطِيعُونَ لِلْخُرُوجِ[١]، وَقَدْ كَانَ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَفَعَلُوا.

١٦٨٥. التوحيد[٢]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ وَالْحِمْيَرِيُّ، هُمَا عَنْ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣] قَالَ: مَا أُمِرَ الْعِبَادُ إِلَّا بِدُونِ سَعَتِهِمْ، فَكُلُّ شَيْءٍ أُمِرَ النَّاسُ بِأَخْذِهِ فَهُمْ مُتَّسِعُونَ لَهُ، وَمَا لَا يَتَّسِعُونَ لَهُ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ[٤].

١٦٨٦. التوحيد[٥]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ[٦]، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ فَلَمْ يُجِبْنِي، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ دَخْلَةً أُخْرَى فَقُلْتُ: ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي مِنْهَا شَيْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا شَيْءٌ أَسْمَعُهُ مِنْكَ، قَالَ عليه السلام: فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا كَانَ فِي قَلْبِكَ. قُلْتُ: ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفِ الْعِبَادَ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُونَ وَإِلَّا مَا يُطِيقُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَصْنَعُونَ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيَّتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، قَالَ: هٰذَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَآبَائِي؛ أَوْ كَمَا قَالَ.

قال الصدوق «رحمه اللّه»: مشيّة اللّه وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير.

١٦٨٧. التوحيد[٧]: الْعَطَّارُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ لَنَا كَلَاماً نَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: هَاتِهِ. قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ وَنَهَى، وَكَتَبَ الْآجَالَ وَالْآثَارَ لِكُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ لَهَا وَأَرَادَ، وَجَعَلَ فِيهِمْ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ لِطَاعَتِهِ مَا يَعْمَلُونَ بِهِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا تَرَكُوا ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ كَانُوا مَحْجُوجِينَ[٨] بِمَا صَيَّرَ فِيهِمْ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ وَالْقُوَّةِ لِطَاعَتِهِ، فَقَالَ: هٰذَا هُوَ الْحَقُّ إِذَا لَمْ تَعْدُهُ إِلَى غَيْرِهِ.

---

١. لم يرد في المصدر وتفسير العياشي والبرهان: «للخروج».

٢. التوحيد (للصدوق)، ص٣٤٧، ح٦؛ المحاسن، ج ١، ص٢٣٦، ح ٢٠٤؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٠٤، ح ١٠٠؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

٣. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن علي بن الحكم، عن أبان الأحمر، عن حمزة بن الطيّار، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي تفسير العياشي: «عن الحلبي، عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن الصادقين عليهما السلام».

٤. **نقول:** أي أكثر الناس قادرون على إطاعة الأوامر والنواهي ولكن يرفضونها.

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٦، ح ٣؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٦٠؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٨، ح ٧٤٩٨.

٦. أقول: أخرج الحديث ثقة الإسلام في باب الاستطاعة من كتابه الكافي [ج ١، ص ١٦٢، ح ٤] عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن بعض أصحابنا، عن عبيد بن زرارة. والظاهر أنه الصحيح لبعد رواية الحسين بن سعيد، عن عبيد بن زرارة بلا واسطة. (هامش المطبوع)

٧. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٧، ح ٥.

٨. المحجوج: المغلوب، راجع المغرب.

١٦٨٨. التوحيد[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنِ ابْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام[٢] عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ بَعْدَ أَرْبَعِ خِصَالٍ: أَنْ يَكُونَ مُخَلَّى السَّرْبِ، صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَلِيمَ الْجَوَارِحِ، لَهُ سَبَبٌ وَارِدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَسِّرْهَا لِي، قَالَ: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُخَلَّى السَّرْبِ، صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَلِيمَ الْجَوَارِحِ، يُرِيدُ أَنْ يَزْنِيَ فَلَا يَجِدُ امْرَأَةً ثُمَّ يَجِدُهَا، فَإِمَّا أَنْ يَعْصِمَ[٣] فَيَمْتَنِعَ كَمَا امْتَنَعَ يُوسُفُ عليه السلام، أَوْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ فَيَزْنِيَ فَيُسَمَّى زَانِياً، وَلَمْ يُطِعِ اللَّهَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يَعْصِ بِغَلَبَةٍ.

بيان:

السبب الوارد من اللّه هو العصمة أو التخلية.

١٦٨٩. التوحيد[٤]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٥] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الْأَخْذِ بِهِ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ، وَلَا يَكُونُونَ[٦] فِيهِ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قال الصدوق «رحمه اللّه» يعني: بعلمه.

١٦٩٠. التوحيد[٧]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٨] قَالَ: مُسْتَطِيعُونَ

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٨، ح ٧؛ الكافي، ج ١، باب الاستطاعة، ص ١٦٠، ح ١؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٧، ح ٧٤٩٥.

٢. في الكافي والبرهان بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن الحسن بن محمد، عن على بن محمد القاساني، عن علي بن أسباط، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام».

٣. **نقول:** عصمة اللّه تعالى لبعض العباد لا تكون بلا مبرّر، فقد تكون نتيجة لأعمال العبد الصالحة وتوكله على اللّه فيها، فيمنع اللّه تعالى عنه المعصية بسبب هذه الأعمال وهذا التوكل، كما في قصة يوسف عليه السلام قال اللّه تعالى: ﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف/٢٤).

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٩، ح ٨، وص ٣٥٩، ح ١؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر...، ص ١٥٨، ح ٥.

٥. في التوحيد، ح ١، بهذا الإسناد: «أبي، عن سعد بن عبد اللّه، عن يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبداللّه عليه السلام»

٦. في الكافي: «فما أمَرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ولا يكونون ...».

٧. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٩، ح ٩؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢١٤؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٦٢، ح ١٠٩٨٥.

٨. القلم/٤٣.

يَسْتَطِيعُونَ الْأَخْذَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَالتَّرْكَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَبِذٰلِكَ ابْتُلُوا، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ إِلَّا وَمِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ابْتِلَاءٌ وَقَضَاءٌ.

المحاسن[١]: ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ مثله[٢].

١٦٩١. التوحيد[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ[٤]، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا كَلَّفَ اللَّهُ الْعِبَادَ كُلْفَةَ فِعْلٍ، وَلَا نَهَاهُمْ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى جَعَلَ لَهُمُ الِاسْتِطَاعَةَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ آخِذاً وَلَا تَارِكاً إِلَّا بِاسْتِطَاعَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبْلَ الْأَخْذِ وَالتَّرْكِ، وَقَبْلَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ.

١٦٩٢. التوحيد[٥]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَرْوَكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَمْرٍ وَرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَمَّنْ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي أَهْلَ بَيْتٍ قَدَرِيَّةً يَقُولُونَ: نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْمَلَ كَذَا وَكَذَا، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ لَا نَعْمَلَ، قَالَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قُلْ لَهُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ لَا تَذْكُرَ مَا تَكْرَهُ وَأَنْ لَا تَنْسَى مَا تُحِبُّ؟ فَإِنْ قَالَ لَا فَقَدْ تَرَكَ قَوْلَهُ، وَإِنْ قَالَ نَعَمْ فَلَا تُكَلِّمْهُ أَبَداً، فَقَدْ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ.

١٦٩٣. التوحيد[٦]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ السِّجِسْتَانِيِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ: مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِجَمَاعَةٍ بِالْكُوفَةِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ لِمُتَكَلِّمِهِمْ: أَ بِاللَّهِ تَسْتَطِيعُ؟ أَمْ مَعَ اللَّهِ أَمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَسْتَطِيعُ؟ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ بِاللَّهِ تَسْتَطِيعُ فَلَيْسَ إِلَيْكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ مَعَ اللَّهِ تَسْتَطِيعُ فَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ شَرِيكٌ مَعَهُ فِي مِلْكِهِ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَسْتَطِيعُ فَقَدِ ادَّعَيْتَ الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَلْ بِاللَّهِ أَسْتَطِيعُ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ غَيْرَ هٰذَا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ[٧].

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٤٠٤.

٢. في المحاسن: «ولذلك ابتلوا، وقال عليه السلام: ليس في العبد قبض ولا بسط ممّا أمر اللّه به أو نهى عنه إلا ومن اللّه فيه ابتلاء وقضاء».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٢، ح ١٩؛ شرح الكافي (للمازندراني)، ج ٥، ص ٥٥؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٩، ح ٧٥٠٠.

٤. في التوحيد المطبوع: «سعد، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن سعيد»، وهو الصحيح، لأن سعد لا يروي عن الحسن أو الحسين إلا بواسطة وهي أحمد بن محمد بن عيسى، نصّ على ذلك الكاظمي في المشتركات، وأما الحسين بن سعيد فهو شريك أخيه الحسن في رواياته ومشايخه إلا في زرعة بن محمد وفضالة بن أيوب، فإن الحسين يروي عنهما بواسطة أخيه الحسن، فعلى ذلك يصح أن يكون ما في السند الحسين أو الحسن كما في التوحيد المطبوع. (هامش المطبوع)

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٢، ح ٢٢؛ الحاشية على أُصول الكافي (للأسترآبادي)، ص ١٣٤؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٧، ح ١٠.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٢، ح ٢٣.

٧. لا ريب أن أسباب الفعل والآلات والقوى كلها من اللّه، ولا خلاف فيه من معتزلي ولا أشعري ولا إمامي، وإنما الكلام في أن استطاعة الفعل ←

بيان:

لعلّه أراد عليه السلام بقوله: «باللّه تستطيع» أنّ اللّه يجبره على الفعل، فلذا قال: فليس إليك من الأمر شيء، ولمّا نفي المتكلّم الثلاثة وقال: «باللّه أستطيع» علم أنّ مراده أنّي مستطيع قادر بما ملّكني اللّه من الأسباب والآلات، فلذا لم يردّ عليه السلام كلامه وقبل منه؛ ويحتمل على بُعد أن يكون اختار الشقّ الأوّل، فقوله عليه السلام: «ليس إليك من الأمر شيء» أي لا تستقلّ في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع ما يتوقّف عليه الفعل. والحاصل أنّه لما كان قدريّاً تفويضيّاً قال عليه السلام: إن اخترت هذا فقد أقررت ببطلان ما تعتقده من استقلال العبد ولا بدّ لك من اختياره.

١٦٩٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، التوحيد[١]: تَمِيمٌ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْمَأْمُونُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾[٢] فَقَالَ: إِنَّ غِطَاءَ الْعَيْنِ لَا يَمْنَعُ مِنَ الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ لَا يُرَى بِالْعُيُونِ، وَلٰكِنَّ اللَّهَ شَبَّهَ الْكَافِرِينَ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِالْعُمْيَانِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِيهِ، وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: فَرَّجْتَ عَنِّي فَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ.

١٦٩٥. تحف العقول[٣]: كَتَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ الْفُلْكُ الْجَارِيَةُ فِي اللُّجَجِ الْغَامِرَةِ، وَالْأَعْلَامُ النَّيِّرَةُ الشَّاهِرَةُ، أَوْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ عليه السلام الَّتِي نَزَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَنَجَا فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ اخْتِلَافِنَا فِي الْقَدَرِ، وَحَيْرَتِنَا فِي الِاسْتِطَاعَةِ، فَأَخْبِرْنَا بِالَّذِي عَلَيْهِ رَأْيُكَ وَرَأْيُ آبَائِكَ عليهم السلام، فَإِنَّ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمَكُمْ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، وَاللَّهُ الشَّاهِدُ عَلَيْكُمْ، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

← هل هي قبل الفعل أو معه؟ الثاني للاشعري وغيره لغيرهم. ثم اختلف في الاستطاعة قبل الفعل هل العبد مستقل بها بحيث يتصرف في الأسباب وآلات الفعل من غير أن يرتبط شيء من تصرفه باللّه، أم للّه فيه صنع بحيث أن القدرة للّه مضافة إلى سائر الأسباب وإنما يقدر العبد بتمليك اللّه إياه شيئاً منها؟ المعتزلة على الأوّل، والمتحصّل من أخبار أهل البيت عليهم السلام هو الثاني، إذا عرفت ذلك ظهر لك ما في تفسير المصنف «رحمه اللّه» لمعنى الحديث، فقد أوّله تاويلاً عجيباً مع أن الروايات صريحة في خلافه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٦، ح ٣٣؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٣، ح ٢٥؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٣؛ في العيون والإحتجاج ذيل رواية.

٢. الكهف/١٠١.

٣. تحف العقول، ص ٢٣١؛ كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٥؛ أعلام الدين، ص ٣١٦؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٤. آل عمران/٣٤.

فَأَجَابَهُ الْحَسَنُ عليه السلام: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ، وَلَوْ لَا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ حَيْرَتِكَ وَحَيْرَةِ مَنْ مَضَى قَبْلَكَ إِذاً مَا أَخْبَرْتُكَ، أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَحَالَ الْمَعَاصِيَ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ فَجَرَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُهْمِلِ الْعِبَادَ سُدًى مِنَ الْمَمْلَكَةِ، بَلْ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَقْدَرَهُمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، فَإِنِ ائْتَمَرُوا لِلطَّاعَةِ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا صَادّاً، وَإِنِ انْتَهَوْا إِلَى الْمَعْصِيَةِ فَشَاءَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا جَبْراً، وَلَا أَلْزَمُوهَا كَرْهاً، بَلْ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْ بَصَّرَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، لَا جَبْلاً لَهُمْ[1] عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَيَكُونُوا كَالْمَلَائِكَةِ، وَلَا جَبْراً لَهُمْ عَلَى مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أقول:

سيأتي في كتاب الاحتجاجات[2] بسند آخر أبسط من هذا.

١٦٩٦. المحاسن[3]: عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ النَّاسَ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِهِ مَا لَا يُرِيدُ.

١٦٩٧. المحاسن[4]: عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[5] قَالَ: مَا كَلَّفَ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ[6]، وَإِنَّمَا كَلَّفَهُمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَكَلَّفَهُمْ مِنْ كُلِّ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ[7]، وَكَلَّفَهُمْ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ، وَكَلَّفَهُمْ حَجَّةً وَاحِدَةً وَهُمْ يُطِيقُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا كَلَّفَهُمْ دُونَ مَا يُطِيقُونَ وَنَحْوَ هٰذَا[8].

١٦٩٨. المحاسن[9]: أَبِي، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، عَنْ

---

١. جبَله اللَّه على الكَرَم: خلقه، وهو مجبول عيله، راجع أساس البلاغة.

٢. بحار الأنوار، كتاب الاحتجاج، أبواب احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام، باب مناظرات الحسن والحسين «صلوات اللَّه عليهما».

٣. المحاسن، ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤٦٤؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر ...، ص ١٦٠، ح ١٤؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٠، ح ٤.

٤. المحاسن، ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤٦٥؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٣١، ح ٩؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٨، ح ٣٧.

٥. في الخصال بهذا الإسناد: «أحمد بن الحسن القطّان، عن أحمد بن يحيى بن زكريا، عن بكر بن عبد اللَّه بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبي معاوية، عن إسماعيل بن مهران قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول».

٦. في الخصال: «إلا دون ما يطيقون».

٧. في الخصال: «وكلفهم في كل ألف درهم خمسة وعشرين درهما».

٨. لم يرد في الخصال والوسائل: «وإنما كلّفهم دون مايطيقون ونحو هذا».

٩. المحاسن، ج ١، ص ٢٩٥، ح ٤٦٣؛ وفي الكافي، ج ٤، باب استطاعة الحج، ص ٢٦٧، ح ٢، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣٨، ح١٤١٨٢.

أَبِي‌عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلَهُ حَفْصٌ الْأَعْوَرُ[١] ـ وَأَنَا أَسْمَعُ ـ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ[٢]: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٣] قَالَ: ذٰلِكَ الْقُوَّةُ فِي الْمَالِ أَوِ الْيَسَارُ. قَالَ: فَإِنْ كَانُوا مُوسِرِينَ فَهُمْ مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ[٤]. فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَيَّابَةَ: بَلَغَنَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يُكْتَبُ وَفْدُ الْحَاجِّ، فَقَطَعَ كَلَامَهُ فَقَالَ: كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: يُكْتَبُونَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٥]. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُكْتَبْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ؟ قَالَ: لَا مَعَاذَ اللَّهِ. فَتَكَلَّمَ حَفْصٌ فَقَالَ: لَسْتُ مِنْ خُصُومَتِكُمْ فِي شَيْءٍ، هٰكَذَا الْأَمْرُ.

١٦٩٩. فقه الرضا عليه السلام[٦]: أَرْوِي أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ الْعَالِمَ عليه السلام فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَ لَيْسَ أَنَا مُسْتَطِيعٌ لِمَا كُلِّفْتُ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا الِاسْتِطَاعَةُ عِنْدَكَ؟ قَالَ: الْقُوَّةُ عَلَى الْعَمَلِ، قَالَ لَهُ: قَدْ أُعْطِيتَ الْقُوَّةَ إِنْ أُعْطِيتَ الْمَعُونَةَ. قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَمَا الْمَعُونَةُ؟ قَالَ: التَّوْفِيقُ. قَالَ: فَلِمَ إِعْطَاءُ التَّوْفِيقِ؟ قَالَ: لَوْ كُنْتَ مُوَفَّقاً كُنْتَ عَامِلاً، وَقَدْ يَكُونُ الْكَافِرُ أَقْوَى مِنْكَ وَلَا يُعْطَى التَّوْفِيقَ فَلَا يَكُونُ عَامِلاً. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْكَ مَنْ خَلَقَ فِيكَ الْقُوَّةَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. قَالَ الْعَالِمُ عليه السلام: هَلْ تَسْتَطِيعُ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ دَفْعَ الضَّرِّ[٧] عَنْ نَفْسِكَ وَأَخْذَ النَّفْعِ إِلَيْهَا بِغَيْرِ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالَ: لَا. قَالَ عليه السلام: فَلِمَ تَنْتَحِلُ[٨] مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ؟! ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ[٩]: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

١٧٠٠. وَأَرْوِي[١٠] أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ عليه السلام: أَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ مَا لَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ عليه السلام: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَهِيَ عَمَّا يَكُونُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَفِيمَا أَنْتَ مُسْتَطِيعٌ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ الْعَالِمُ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ خَلْقاً فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الْفِعْلِ، ثُمَّ لَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ مُسْتَطِيعُونَ لِلْفِعْلِ فِي وَقْتِ الْفِعْلِ مَعَ الْفِعْلِ. قَالَ لَهُ

---

١. في الكافي بهذا الإسناد: «علي، عن أبيه، عن أبي عمير، عن محمد بن يحيى الخثعمي قال: سأل حفص الكناسي أبا عبد اللّه عليه السلام».

٢. في المصدر: «فقال: ـ جعلني اللّه فداك ـ ما قول اللّه».

٣. آل عمران/٩٧.

٤. إلى هنا تمت الرواية في الكافي والوسائل.

٥. الدخان/٤.

٦. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٥١.

٧. في الفقه المنسوب: «دفع الضرر».

٨. انتحله: ادّعاه لنفسه وهو لغيره، راجع القاموس المحيط.

٩. أي شعيب «على نبيّنا وآله وعليه السلام» حيث قال: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود/٨٨). (هامش المطبوع)

١٠. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٥٢؛ الكافي، ج ١، باب الاستطاعة، ص ١٦١، ح ٢؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٦١؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

الرَّجُلُ: فَالْعِبَادُ مَجْبُورُونَ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانُوا مَجْبُورِينَ كَانُوا مَعْذُورِينَ. قَالَ الرَّجُلُ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ قَالَ الْعَالِمُ عليه السلام: عَلِمَ مِنْهُمْ فِعْلاً فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الْفِعْلِ، فَإِذَا فَعَلُوا كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ.

بيان:

ما ورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً:

الأوّل: التقيّة لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ للعبد قدرة وكسباً، مقارنة للفعل، غير مؤثّرة فيه، ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالّة على تقدّم الاستطاعة وأنّ من لا يقول به فهو مشرك.

الثاني: أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانع، ولا يكون هذا إلّا في حال الفعل، إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله اللّه عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله، أو شيء آخر ممّا يتوقّف عليه الفعل.

الثالث: أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة ويعلم أنّه كان مستطيعاً قبله، بأن أذن اللّه له في الفعل، كما ورد أنّ بعد القضاء لا بداء؛ والأوّل أظهر.

١٧٠١. المجالس للمفيد[١]: عَلِيُّ بْنُ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَاتِبِ، عَنْ يَمُوتَ بْنِ الْمُزَرِّعِ، عَنْ عِيسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ ذُو الرُّمَّةِ الشَّاعِرُ[٢] يَذْهَبُ إِلَى النَّفْيِ فِي الْأَفْعَالِ، وَكَانَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ[٣] إِلَى الْإِثْبَاتِ فِيهَا، فَاجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِمَا عِنْدَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ـ وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ ـ وَبِلَالٌ يَعْرِفُ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخِلَافِ، فَحَضَّهُمَا عَلَى الْمُنَاظَرَةِ فَقَالَ رُؤْبَةُ: وَاللَّهِ مَا يَفْحَصُ طَائِرٌ أُفْحُوصاً وَلَا يُقَرْمِصُ سَبُعٌ قُرْمُوصاً إِلَّا كَانَ ذٰلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الرُّمَّةِ: وَاللَّهِ مَا أَذِنَ اللَّهُ لِلذِّئْبِ أَنْ يَأْخُذَ حَلُوبَةَ عَالَةٍ عَيَايِلَ ضَرَائِكَ، فَقَالَ لَهُ رُؤْبَةُ: أَ فَبِمَشِيَّتِهِ أَخَذَهَا، أَمْ بِمَشِيَّةِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: بَلْ بِمَشِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ. فَقَالَ رُؤْبَةُ: هٰذَا وَاللَّهِ الْكَذِبُ عَلَى الذِّئْبِ. فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: وَاللَّهِ الْكَذِبُ عَلَى الذِّئْبِ أَهْوَنُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَبِّ الذِّئْبِ. فَقَالَ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ فِي أَثَرِ هٰذَا الْحَدِيثِ لِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ:

---

١. الأمالي (للمفيد)، ص ١٠٧، ح ٧.

٢. اسمه غيلان بن عقبة، وكنيته أبو الحارث، أورد ذكره وأخباره ومن أشعاره أبو الفرج في الأغاني ج ١٨، ص ٢٥٩، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة. (هامش المطبوع)

٣. واسم العجّاج عبد اللّه بن رؤبة، يتصل نسبه بزيد بن مناة الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة، سمع من أبي هريرة والنسابة البكري، وعداده في التابعين، روى عنه معمّر بن المثنّى والنضر بن شميل، مات في زمن المنصور سنة ١٤٥، قاله ياقوت في إرشاد الأريب ج ١١، ص ١٤٩. (هامش المطبوع)

أَ عَاذِلُ[١] لَمْ آتِ الذُّنُوبَ عَلَى جَهْلٍ وَلَا أَنَّهَا مِنْ فِعْلِ غَيْرِي وَلَا فِعْلِي
وَلَا جُرْأَةٍ مِنِّي عَلَى اللَّهِ جِئْتُهَا وَلَا أَنَّ جَهْلِي لَا يُحِيطُ بِهِ عَقْلِي
وَلٰكِنْ بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنِّي بِعَفْوِ مَنْ تَفَرَّدَ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ وَبِالْفَضْلِ
فَإِنْ صَدَقَ الظَّنُّ الَّذِي قَدْ ظَنَنْتُهُ فَفِي فَضْلِهِ مَا صَدَّقَ الظَّنَّ مِنْ مِثْلِي
وَإِنْ نَالَنِي مِنْهُ الْعِقَابُ فَإِنَّمَا أَتَيْتُ مِنَ الْإِنْصَافِ فِي الْحُكْمِ وَالْعَدْلِ

أقول:

روى السيّد المرتضى في الغرر هذا الخبر بسند آخر عن أبي عبيدة.

بيان:

قال الجزريّ: أُفحوص القطاة: موضعها الذي تجثم[٢] فيه وتبيض كأنّها تفحص عنه التراب أي تكشفه، و«الفحص»: البحث والكشف. وقال: في مناظرة ذي الرمّة ورؤبة: «ما تقرمص سبع قرموصاً إلّا بقضاء»، «القرموص»: حفرة يحفرها الرجل يكتنّ فيها من البرد، يأوي إليها الصيد، وهي واسعة الجوف ضيّقة الرأس، وقرمص وتقرمص: إذا دخلها، وتقرمص السبع: إذا دخلها للاصطياد.

وقال: في قصّة ذي‌الرمّة ورؤبة: «عالة ضرائك»، «الضرائك» جمع ضريك، وهوالفقير سيّئ‌الحال؛ وقيل:الهزيل.

وقال السيّد في الغرر: «العيايل» جميع عيّل، وهو ذو العيال، و«الضرائك» جميع ضريك، وهو الفقير. وفي رواية السيّد: «هذا كذب على الذئب ثان»، فالمعنى أنّه كذب ثان على الذئب بعد ما كذب عليه في قصّة يوسف عليه السلام[٣].

١٧٠٢. رجال الكشّيّ[٤]: حَمْدَوَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا نُصَيْرٍ، عَنِ الْعُبَيْدِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَشْرِقِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الْخُرَاسَانِيُّ عليه السلام: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي الِاسْتِطَاعَةِ بَعْدَ يُونُسَ؟ فَذَهَبَ فِيهَا مَذْهَبَ زُرَارَةَ وَمَذْهَبُ زُرَارَةَ هُوَ الْخَطَأُ؛ فَقُلْتُ: لَا وَلٰكِنَّهُ ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ـ مَا يَقُولُ زُرَارَةُ فِي الِاسْتِطَاعَةِ، وَقَوْلُ زُرَارَةَ هُمْ قُدَّرُ[٥]، وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَآءُ، وَلَيْسَ مِنْ دِينِ آبَائِكَ عليهم السلام[٦]، قَالَ عليه السلام: فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُونَ؟ قُلْتُ: بِقَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

---

١. العذل: اللوم، راجع لسان العرب.

٢. جثم الطائر: إذا ألصق صدره بالأرض، راجع جمهرة اللغة.

٣. أمالي المرتضى (غرر الفوائد و درر القلائد)، ج ١، ص ١٩ و ٢٠.

٤. رجال الكشي، ص ١٤٥، ح ٢٢٩.

٥. في المصدر: «وقول زرارة فيمن قدّر».

٦. في المصدر مع زيادة: «وقال الآخرون بالجبر ونحن منه براء وليس من دين آبائك».

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١] مَا اسْتِطَاعَتُهُ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: صِحَّتُهُ وَمَالُهُ، فَنَحْنُ بِقَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام نَأْخُذُ، قَالَ عليه السلام: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، هٰذَا هُوَ الْحَقُّ[٢].

بيان:

قوله عليه السلام: «ما يقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدّر» كذا في بعض النسخ، فلعلّ المعنى أنّ زرارة لا يقول بالاستطاعة، بل إنّما يقول بها فيمن قدّر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى، ونحن من القول بالاستطاعة المحضة برآء، فكلمة «ما» نافية؛ ويحتمل أن يكون استفهاماً للإنكار والتحقير أي أيّ شيء قول زرارة فنقول به؟ ثمّ بيّن أنّه قوله بالاستطاعة فيمن قدّر على الفعل، وفي أكثر النسخ «هم قدّر» فيحتمل الوجه الثاني، ويكون «قدّر» بضمّ القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول: هم قادرون بالاستقلال. وفي بعض النسخ «قذر» بالذال المعجمة وربّما قرأ قوم زرارة، وقد يقرأ: «هيّم قذر»، و«الهيّم» بالكسر: الإبل العطاش، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر.

١٧٠٣. رجال الكشّيّ[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى فَارِسَ، وَخَرَجَ مَعَنَا مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ إِلَى مَكَّةَ، فَاتَّفَقَ قُدُومُنَا جَمِيعاً إِلَى حُنَيْنٍ، فَسَأَلْتُ الْحَلَبِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: أَطْرِفْنَا بِشَيْءٍ[٤]. قَالَ: نَعَمْ، جِئْتُكَ بِمَا تَكْرَهُ، قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِي الِاسْتِطَاعَةِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ دِينِي وَلَا مِنْ دِينِ آبَائِي عليهم السلام. فَقُلْتُ: الْآنَ ثُلِجَ[٥] عَنْ صَدْرِي، وَاللَّهِ لَا أَعُودُ لَهُمْ مَرِيضاً، وَلَا أُشَيِّعُ لَهُمْ جَنَازَةً، وَلَا أُعْطِيهِمْ شَيْئاً مِنْ زَكَاةِ مَالِي. قَالَ: فَاسْتَوَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِساً وَقَالَ لِي: كَيْفَ قُلْتَ؟ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: أُولٰئِكَ قَوْمٌ حَرَّمَ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَقُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ وَكَيْفَ قُلْتَ لِي: لَيْسَ مِنْ دِينِي وَلَا مِنْ دِينِ آبَائِي عليهم السلام؟ قَالَ: إِنَّمَا أَعْنِي بِذٰلِكَ قَوْلَ زُرَارَةَ وَأَشْبَاهِهِ.

بيان:

قوله: «لا أعود لهم مريضاً» أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة، فعرف عليه السلام أنّ مراده مطلق القائلين

---

١. آل عمران/٩٧.

٢. أقول: حمله الأصحاب وأمثاله مما ورد في ذمّ زرارة ونظرائه من أجلّاء الأصحاب على التقية حفظاً لهم وحقناً لدمائهم، ويدل على صحة هذا الحمل ما ورد من الروايات، من الاعتذار عن ذمّهم مثل قول الصادق عليه السلام لعبد اللّه بن زرارة: أقرء مني على والدك السلام، قل له أنّي إنّما أُعيبك دفاعاً مني عنك، فإن الناس والعدوّ يسارعون إلى كل من قرّبناه وحمدنا مكانه لإدخال أذى فيمن نحبّه ونقرّبه، ويذمّونه لمحبتنا له، وقربه ودنوّه منا. والحديث طويل فليراجعه. (هامش المطبوع)

٣. رجال الكشي، ص ١٥٠، ح ٢٤٣؛ روضة المتقين، ج ١٤، ص ١٢٣.

٤. أطرفت فلاناً شيئاً: أعطيته شيئاً لم يملك مثله فأعجبه، راجع لسان العرب.

٥. ثلجت نفسي بالأمر: إذا اطمأنّت إليه وسكنت ووثقت به، راجع لسان العرب.

بالاستطاعة، فردّ عليه بأنّ ما نفيته هو ما ينسب إلى زرارة موافقاً لمذهب التفويض، بل الحقّ الأمر بين الأمرين كما مرّ، وهذا هو معنى الخبر، لا ما حمله عليه الصدوق «رحمه اللّه» سابقاً.

١٧٠٤. الطرائف[١]: رَوَى جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، عَنْ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ[٢] عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً. قِيلَ: وَمَنِ الْقَدَرِيَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ عَلَيْهِمُ الْمَعَاصِيَ وَعَذَّبَهُمْ عَلَيْهَا[٣].

١٧٠٥. وَرَوَى[٤] صَاحِبُ الْفَائِقِ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَكِّيِّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَخْبِرْنِي بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَ، قَالَ رَأَيْتُ قَوْماً يَنْكِحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَأَخَوَاتِهِمْ فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: لِمَ تَفْعَلُونَ ذٰلِكَ؟ قَالُوا: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَقَدَرُهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ، أُولٰئِكَ مَجُوسُ أُمَّتِي.

١٧٠٦. وَرَوَى[٥] صَاحِبُ الْفَائِقِ وَغَيْرُهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ[٦] قَوْمٌ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِيَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَهَا عَلَيْهِمْ، الرَّادُّ عَلَيْهِمْ كَشَاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٧].

١٧٠٧. رجال الكشّيّ[٨]: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ: مَرَرْتُ فِي الرَّوْضَةِ بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا إِنْسَانٌ قَدْ جَذَبَنِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِزُرَارَةَ فَقَالَ لِيَ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى صَاحِبِكَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَأْذَنْ لَهُ ـ ثَلَاثاً ـ فَإِنَّ زُرَارَةَ يُرِيدُنِي عَلَى الْقَدَرِ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ، وَلَيْسَ مِنْ دِينِي وَلَا دِينِ آبَائِي عليهم السلام.

١٧٠٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٩]: الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعْفَرَانِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٠] قَالَ:

---

١. الطرائف، ج ٢، ص ٣٤٤؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ٢٠٢؛ الصراط المستقيم، ج ١، ص ٣٩.

٢. في متشابه القرآن والصراط: «القدرية والمرجئة».

٣. في متشابه القرآن: «قيل وما القدرية؟ قال: قوم يفعلون المعاصي ثم يقولون: اللّه قدّرها عليهم».

٤. الطرائف، ج ٢، ص ٣٤٤؛ وفي الصراط المستقيم، ج ٣، ص ٦٤، بمضمونه؛ الحاشية على أُصول الكافي (للعلوي العاملي)، ص ٣٧٨.

٥. الطرائف، ج ٢، ص ٣٤٤؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ٢٠٢؛ الصراط المستقيم، ج ١، ص ٣٢.

٦. في الصراط: «في آخر هذه الأُمة».

٧. في الصراط: «ثم يقولون: هي من اللّه قضاء وقدراً فإذا لقيتموهم فأعلموهم أني بريء منهم».

٨. رجال الكشي، ص ١٥٩، ح ٢٦٦.

٩. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٦١، ح ١٣٧٤؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٣٠، ح ١٤٦؛ وفي التوحيد (للصدوق)، ص ١٦٧، ح ١، مع زيادة.

١٠. في تفسير العياشي: «عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام»، وفي التوحيد بهذا الإسناد: «أبي، عن سعد بن عبد اللّه، عن البرقي، عن أبيه، عن علي بن نعمان، عن إسحاق بن عمار، عمّن سمعه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[١] فَقَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: قَدْ فَرَغَ مِنَ الْأَمْرِ[٢].

١٧٠٩. التوحيد[٣]: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْأَسْوَارِيُّ، عَنْ مَكِّيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْدَعِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَشْرَسَ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ الْحَكَمِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ[٤]، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هَارُونَ، عَنْ غِيَاثِ بْنِ الْمُجِيبِ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٥] قَالَ: قَالَ: سَبَقَ الْعِلْمُ، وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَتَمَّ الْقَضَاءُ بِتَحْقِيقِ الْكِتَابِ وَتَصْدِيقِ الرِّسَالَةِ، وَالسَّعَادَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّقَاوَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَرْوِي حَدِيثَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيَّتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِإِرَادَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تُرِيدُ لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ، وَبِفَضْلِ نِعْمَتِي عَلَيْكَ قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَبِعِصْمَتِي وَعَفْوِي وَعَافِيَتِي أَدَّيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، فَأَنَا أَوْلَى بِإِحْسَانِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِذَنْبِكَ مِنِّي، فَالْخَيْرُ مِنِّي إِلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتُ بَدْأً، وَالشَّرُّ مِنِّي إِلَيْكَ بِمَا جَنَيْتَ جَزَاءً، وَبِسُوءِ ظَنِّكَ بِي قَنَطْتَ مِنْ رَحْمَتِي، فَلِيَ الْحَمْدُ وَالْحُجَّةُ عَلَيْكَ بِالْبَيَانِ، وَلِيَ السَّبِيلُ عَلَيْكَ بِالْعِصْيَانِ، وَلَكَ الْجَزَاءُ الْحُسْنَى عِنْدِي بِالْإِحْسَانِ، لَمْ أَدَعْ تَحْذِيرَكَ، وَلَمْ أَخْذُلْ عِنْدَ عِزَّتِكَ، وَلَمْ أُكَلِّفْكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَلَمْ أُحَمِّلْكَ مِنَ الْأَمَانَةِ إِلَّا مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ، رَضِيتُ مِنْكَ لِنَفْسِي مَا رَضِيتُ بِهِ لِنَفْسِكَ مِنِّي. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَنْ أُعَذِّبَكَ إِلَّا بِمَا عَمِلْتَ.

بيان:

قال الجزريّ: فيه: جفّت الأقلام، وطويت الصحف، يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته ويبس قلمه. انتهى. قوله تعالى: «بدأ» كفعل أو كفعال أي ابتدأ من غير استحقاق؛ وفي بعض النسخ: «يداً» أي نعمة.

أقول:

قول عبد الملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للفقرة الأخيرة أي رضيت بسببك، أو من الأُمور المتعلّقة بك لنفسي، إن أُعذّبك كما رضيت لنفسك بفعل ما يوجبه فيرجع حاصله إلى أنّه لن أُعذّبك إلّا بما عملت.

---

١. المائدة/ ٦٤.

٢. في تفسير العياشي: «فقال لي: كذا وقال بيده إلى عنقه ولكنه قال: قد فرغ من الأشياء»، وفي التوحيد: «لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٠، ح ١٠، وص ٣٤٣، ح ١٣؛ وفي تفسير القمي، ج ٢، ص ٢١٠، مع اختلاف يسير.

٤. في التوحيد، ح ١٠: «بشر بن الحكم وإبراهيم بن نصر السوريانى».

٥. في التوحيد، ح ١٣، بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه وابن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن يعقوب بن يزيد، عن علي بن حسّان، عن إسماعيل بن أبي زياد الشعيري، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن سعدان، عن معاذ بن جبل، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله»، وفي تفسير القمي: «أبي، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

١٧١٠. التوحيد[١]: تَمِيمٌ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْمَأْمُونُ يَوْماً عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢]؟ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ أَكْرَهْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ لَكَثُرَ عَدَدُنَا، وَقَوِينَا عَلَى عَدُوِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا كُنْتُ لِأَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِبِدْعَةٍ لَمْ يُحْدِثْ إِلَيَّ فِيهَا شَيْئاً، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ وَالِاضْطِرَارِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يُؤْمِنُونَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ وَرُؤْيَةِ الْبَأْسِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَوْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ بِهِمْ لَمْ يَسْتَحِقُّوا مِنِّي ثَوَاباً وَلَا مَدْحاً، لَكِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا مُخْتَارِينَ غَيْرَ مُضْطَرِّينَ، لِيَسْتَحِقُّوا مِنِّيَ الزُّلْفَى وَالْكَرَامَةَ وَدَوَامَ الْخُلُودِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ ﴿أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فَلَيْسَ ذٰلِكَ عَلَى سَبِيلِ تَحْرِيمِ الْإِيمَانِ عَلَيْهَا، وَلٰكِنْ عَلَى مَعْنَى أَنَّهَا مَا كَانَتْ لِتُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذْنُهُ أَمْرُهُ لَهَا بِالْإِيمَانِ، مَا كَانَتْ مُكَلَّفَةً مُتَعَبِّدَةً وَإِلْجَاؤُهُ إِيَّاهَا إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ زَوَالِ التَّكْلِيفِ وَالتَّعَبُّدِ عَنْهَا[٣]. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: فَرَّجْتَ عَنِّي يَا أَبَا الْحَسَنِ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ.

بيان:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: معناه الإخبار عن قدرة اللّه تعالى، وأنّه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٤] ولذلك قال بعد ذلك: ﴿أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ومعناه أنّه لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان، مع أنّك لا تقدر عليه، لأنّ اللّه تعالى يقدر عليه ولا يريده، لأنّه ينافي التكليف. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ معناه أنّه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلّا بإطلاق اللّه له في الإيمان، وتمكينه منه، ودعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك؛ وقيل: إنّ إذنه هاهنا أمره كما قال:

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤١، ح ١١؛ وفي الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٢، ضمن رواية؛ شرح الكافي (للمولى صالح المازندراني)، ج ٥، ص ٩١.

٢. يونس/٩٩ و ١٠٠.

٣. **نقول:** هذه الرواية ناظرة إلى القضاء والقدر التشريعيين بوضوح، ومن أحسن ما يدل على أن القضاء والقدر عند إطلاقهما كثيرا ما يكونان ناظرين إلى مقام التشريع والإذن والتكليف، كما ورد في قضية سؤال شيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عند رجوعه من صفين، وفي ذيل الحديث إشارة واضحة إلى أن الإلجاء والإجبار ينافي التكليف والثواب والعقاب.

٤. الشعراء/ ٤.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[١]؛ وقيل: إنّ إذنه هاهنا علمه، أي لا تؤمن نفس إلّا بعلم اللّه، من قولهم: أذنت لكذا: إذا سمعته وعلمته، وآذنته: أعلمته، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات؛ ويجوز أن يكون معناه إعلام اللّه تعالى المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه[٢].

١٧١١. التوحيد[٣]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ مَعاً، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ وَأَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، هُمَا عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ دُرُسْتَ، عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] يَقُولُ: شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ مُسْتَطِيعاً لِمَا لَمْ يَشَأْ أَنْ أَكُونَ فَاعِلَهُ؛ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: شَاءَ وَأَرَادَ وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ، شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَأَرَادَ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[٥] وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

١٧١٢. التوحيد[٦]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام قَالَا[٧]: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْراً فَلَا يَكُونَ، قَالَ: فَسُئِلَا عليهما السلام: هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قَالَا: نَعَمْ، أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

١٧١٣. التوحيد[٨]: أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَفْصِ بْنِ قُرْطٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٩]: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ

---

١. النساء/ ١٧٠.

٢. مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٠٦.

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٣، ح ١٢؛ الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥١، ح ٥؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٥٨؛ وتبدأ الرواية في الأخيرين من: «شاء وأراد ولم يحبّ».

٤. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن دُرُست بن أبي منصور، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٥. **نقول:** التثليث والاعتقاد بأن اللّه ثالث ثلاثة شرك وكفر باللّه العظيم، نفاه القرآن والعقل السليم، والمعروف أنه لم يكن فى القرن الأول من ظهور المسيح أثر منه، وإنما نشأ من ناحية الغلو في حق المسيح ومريم بعد هذا القرن، والعجب أنهم اليوم يقولون: اللّه تعالى واحد في عين التثليث! وإذا قيل لهم: العقل لا يقبل ذلك يقولون: ليس المذهب بالعقل بل بالقلب! وقد صرّح بذلك بعض أساقفهم المشهورين بذلك عندنا؛ وما يقال: إن الاعتقاد بالتثليث كان قبل المسيح لا ينافي ما ذكرنا، لأن المسيحيون لم يأخذوها في القرن الأول كما يصرّحون بذلك.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٠، ح ٣؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٩، ح ٩؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٠، ح ٣٨٠.

٧. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن الصادقين عليهما السلام قالا».

٨. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٩، ح ٢؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ١١، ح ١٤؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٨، ح ٦.

٩. في تفسير العياشي بهذا الإسناد: «عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

وَالشَّرَّ بِغَيْرِ مَشِيَّةِ اللَّهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ[١]، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ بِغَيْرِ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ[٢]. يَعْنِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ الصِّحَّةَ وَالْمَرَضَ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣].

١٧١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، التوحيد[٤]: الْفَامِيُّ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَنْسُبُونَنَا إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ، لِمَا رُوِيَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي ذٰلِكَ عَنْ آبَائِكَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، فَقَالَ: يَا ابْنَ خَالِدٍ أَخْبِرْنِي عَنِ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ آبَائِي فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ أَكْثَرُ أَمِ الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي ذٰلِكَ؟ فَقُلْتُ: بَلْ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي ذٰلِكَ أَكْثَرُ، قَالَ عليه السلام: فَلْيَقُولُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ إِذاً. قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمْ يَقُلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً وَإِنَّمَا رُوِيَ عَلَيْهِ، قَالَ عليه السلام: فَلْيَقُولُوا: فِي آبَائِي عليهم السلام إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً وَإِنَّمَا رُوِيَ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ فَهُوَ كَافِرٌ وَمُشْرِكٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَآءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يَا ابْنَ خَالِدٍ إِنَّمَا وَضَعَ الْأَخْبَارَ عَنَّا فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ الْغُلَاةُ الَّذِينَ صَغَّرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنَا، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنَا، وَمَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ عَادَانَا، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ وَالَانَا، وَمَنْ وَصَلَهُمْ فَقَدْ قَطَعَنَا، وَمَنْ قَطَعَهُمْ فَقَدْ وَصَلَنَا، وَمَنْ جَفَاهُمْ فَقَدْ بَرَّنَا، وَمَنْ بَرَّهُمْ فَقَدْ جَفَانَا، وَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَهَانَنَا، وَمَنْ أَهَانَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنَا، وَمَنْ قَبِلَهُمْ فَقَدْ رَدَّنَا، وَمَنْ رَدَّهُمْ فَقَدْ قَبِلَنَا، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْنَا، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَمَنْ صَدَّقَهُمْ فَقَدْ كَذَّبَنَا، وَمَنْ كَذَّبَهُمْ فَقَدْ صَدَّقَنَا، وَمَنْ أَعْطَاهُمْ فَقَدْ حَرَّمَنَا، وَمَنْ حَرَّمَهُمْ فَقَدْ أَعْطَانَا. يَا ابْنَ خَالِدٍ مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا فَلَا يَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً.

١٧١٥. التوحيد[٥]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ، عَنِ اللُّؤْلُؤِيِّ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ،

---

١. فإن من زعم استقلال الخلق وعدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم وعدم مدخليته سبحانه في أعمالهم بوجه فقد أخرج اللّه من سلطانه وعزله عن التصرّف في ملكه، قاله المصنف في المرآة [ج ٢، ص ١٨٩].

أقول: أورده الكليني في الكافي إلى قوله: «أدخله اللّه النار» والظاهر أنّ ما بعده من كلام الصدوق. (هامش المطبوع) وفي تفسير العياشي مثل الكافي.

٢. **نقول:** فإنه لا شك في أن الإنسان له القدرة والاختيار على الفعل والترك، ولكن اللّه تعالى هو الذي أقدره عليهما وزوّده بهما، وهو تعالى قادر على سلبهما منه متى شاء.

٣. الأنبياء/٣٥.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٥؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٣، ح ١٢؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٤.

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٣، ح ١١.

عَنْ مِهْزَمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَمَّا اخْتَلَفَ فِيهِ مَنْ خَلَّفْتَ مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَقُلْتُ: فِي الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ، قَالَ: فَاسْأَلْنِي، قُلْتُ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: اللَّهُ أَقْهَرُ لَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ؟ قَالَ: اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ هٰذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَقَلَّبَ يَدَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَجَبْتُكَ فِيهِ لَكَفَرْتَ.

بيان:

قوله عليه السلام: «اللّه أقهر لهم من ذلك» لعلّ المعنى أنّ جبرهم على المعاصي ثمّ تعذيبهم عليها هو الظلم، والظلم فعل العاجزين، **كَمَا قَالَ سَيِّدَ السَّاجِدِينَ عليه السلام: إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَاللَّهُ أَقْهَرُ مِنْ ذٰلِكَ**[1]. أو المعنى أنّه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنعه عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلّفهم ثمّ يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها، فإنّ هذا تلبيس يفعله من لا يقدر على التعذيب ابتداءاً، وهو أقهر لهم من ذلك، والظاهر أنّه تصحيف أرأف أو نحوه؛ وإنّما امتنع عليه السلام عن بيان الأمر بين الأمرين لأنّه كان يعلم أنّه لا يدركه عقل السائل فيشكّ فيه أو يجحده فيكفر.

١٧١٦. فقه الرضا عليه السلام[2]: سَأَلْتُ الْعَالِمَ عليه السلام: أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذٰلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ: فَمُفَوِّضٌ إِلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: هُوَ أَعَزُّ مِنْ ذٰلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ: فَصِفْ لَنَا الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَقَالَ: الْجَبْرُ هُوَ الْكُرْهُ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُكْرِهْ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّمَا الْجَبْرُ أَنْ يُجْبَرَ الرَّجُلُ عَلَى مَا يَكْرَهُ وَعَلَى مَا لَا يَشْتَهِي، كَالرَّجُلِ يُغْلَبُ عَلَى أَنْ يُضْرَبَ أَوْ يُقْطَعَ يَدُهُ، أَوْ يُؤْخَذَ مَالُهُ، أَوْ يُغْصَبَ[3] عَلَى حُرْمَتِهِ، أَوْ مَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ وَمَنَعَةٌ فَقُهِرَ، فَأَمَّا مَنْ أَتَى إِلَى أَمْرٍ طَائِعاً مُحِبّاً لَهُ يُعْطِي عَلَيْهِ مَالَهُ لِيَنَالَ شَهْوَتَهُ فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِجَبْرٍ، إِنَّمَا الْجَبْرُ مَنْ أَكْرَهَهُ عَلَيْهِ، أَوْ أُغْضِبَ حَتَّى فَعَلَ مَا لَا يُرِيدُ وَلَا يَشْتَهِيهِ، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ هَوًى وَلَا شَهْوَةً وَلَا مَحَبَّةً وَلَا مَشِيَّةً إِلَّا فِيمَا عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا يُجْرَوْنَ[4] فِي عِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ عَلَى الَّذِي فِي عِلْمِهِ وَكِتَابِهِ السَّابِقِ فِيهِمْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ، وَالَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُمْ هُوَ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ فِيهِ شَهْوَةً وَلَا إِرَادَةً[5].

---

١. الصحيفة السجادية، ص ٢٤٠، وفيه: «وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف وقد تعاليت يا الهي عن ذلك علوا كبيرا».

٢. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٨، وقد تمت الرواية فيه إلى عبارة: «فليس ذلك بجبر».

٣. في المصدر: «يغضب».

٤. في المصدر: «يجزون».

٥. **نقول:** قد يقال: لا يوجد تهافت بين الذيل والصدر، فالذيل يفسر الصدر في هذه الرواية بالخصوص، والمعنى: إن اللّه تعالى قد علم في علمه الأزلي أن فلانا من الناس قد اشتهى فعلا معينا وقد أراده، عندئذ فاللّه تعالى يسمح لهذا الفعل أن يصدر من العبد وذلك بأن يسمح لشهوة هذا الإنسان وإرادته في أن تتعلق بالفعل لكي يتحقق خارجا، فيكون الفاعلُ الإنسانَ بإرادته لكن في طول إرادة اللّه تعالى. وما كان في علمه أنه غير كائن منه ولا رغبة له فيه ولا إرادة عندئذ لا يجيزه ولا يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة، فيمتنع الفعل من التحقق خارجا، فيكون امتناعا عن الفعل بإرادة العبد لكن في طول منع اللّه له.

١٧١٧. وَأَرْوِي[١] عَنِ الْعَالِمِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَنْزِلَةٌ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ فِي الْمَعَاصِي وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ الْفَاعِلُ لَهَا وَالْقَاضِي وَالْمُقَدِّرُ وَالْمُدَبِّرُ.

١٧١٨. وَقَدْ أَرْوِي[٢] أَنَّهُ[٣] قَالَ: لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَقّاً حَتَّى يَعْلَمَ[٤] أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

١٧١٩. وَأَرْوِي[٥] عَنِ الْعَالِمِ عليه السلام [٦] أَنَّهُ قَالَ: مَسَاكِينُ الْقَدَرِيَّةِ أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعَدْلِهِ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

١٧٢٠. وَرُوِيَ[٧]: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ.

١٧٢١. وَأَرْوِي[٨] أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ الْعَالِمَ عليه السلام: أَكَلَّفَ اللَّهُ الْعِبَادَ مَا لَا يُطِيقُونَ؟ فَقَالَ: كَلَّفَ اللَّهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ مَا لَا يُطِيقُونَ إِنْ لَمْ يُعِنْهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَعَانَهُمْ عَلَيْهِ أَطَاقُوهُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٩].

١٧٢٢. قُلْتُ وَرُوِيتُ عَنِ الْعَالِمِ عليه السلام [١٠] أَنَّهُ قَالَ: الْقَدَرُ وَالْعَمَلُ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَالرُّوحُ بِغَيْرِ الْجَسَدِ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يُرَى[١١]، وَالْجَسَدُ بِغَيْرِ الرُّوحِ صُورَةٌ لَا حِرَاكَ لَهُ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَا وَصَلُحَا وَحَسُنَا وَمَلُحَا[١٢]، كَذٰلِكَ الْقَدَرُ وَالْعَمَلُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْقَدَرُ وَاقِعاً عَلَى الْعَمَلِ لَمْ يُعْرَفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ[١٣]،[١٤] وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِمُوَافَقَةٍ مِنَ الْقَدَرِ لَمْ

---

١. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٨.

٢. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٨؛ الكافي، ج ٢، باب فضل اليقين، ص ٥٨، ح ٤؛ التمحيص، ص ٦٢، ح ١٣٩.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن زرارة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام»، وفي التمحيص: «عن أمير المؤمنين عليه السلام».

٤. في الكافي والتمحيص: «لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتّى يعلم ...».

٥. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٩؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٢، ح ٢٩؛ الكشف الوافي (للشريف الشيرازي)، ص ٦٥٥؛ وفي الأخيرين صدر رواية، مع اختلاف يسير.

٦. في التوحيد بهذا الإسناد: «الدقاق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٧. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٩.

٨. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٩؛ وفي تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٦٧، ذيل ح ٦١٩٢.

٩. النحل/١٢٧.

١٠. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ٣٤٩؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٦، ح ٤؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٨، ح ٣٩٧؛ وفي الأخيرين مع زيادة بهذا الإسناد: «أبي، عن سعد، عن القاسم بن محمد الأصبهاني، عن المنقري، عن بن عيينة، عن الزهري، عن زين العابدين عليه السلام».

١١. في التوحيد والمختصر: «فالروح بغير جسد لا تحسّ».

١٢. لم يرد في التوحيد والمختصر: «حسنا وملحا».

١٣. في التوحيد والمختصر مع زيادة: «وكان القدر شيئاً لا يحسّ».

يَمْضِ وَلَمْ يَتِمَّ، وَلٰكِنْ بِاجْتِمَاعِهِمَا قَوِيَا وَصَلُحَا، وَلِلَّهِ فِيهِ الْعَوْنُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ[١٥]. ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الْآيَةَ[١٦]؛ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: وَجَدْتُ ابْنَ آدَمَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ خَلَّصَهُ وَاسْتَخْلَصَهُ[١٧]، وَإِلَّا خَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ.

١٧٢٣. تفسير العيّاشيّ[١٨]: عَنِ الْحَسَنِ[١٩] بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَمَّالِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ أَنْ وَجِّهْ إِلَيَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَلَا تُهَيِّجْهُ، وَلَا تُرَوِّعْهُ[٢٠]، وَاقْضِ لَهُ حَوَائِجَهُ. وَقَدْ كَانَ وَرَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ فَحَضَرَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالشَّامِ فَأَعْيَاهُمْ جَمِيعاً، فَقَالَ: مَا لِهٰذَا إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَحْمِلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِكِتَابِهِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَقْوَى عَلَى الْخُرُوجِ، وَهٰذَا جَعْفَرُ ابْنِي يَقُومُ مَقَامِي فَوَجِّهْهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْأُمَوِيِّ أَزْرَاهُ[٢١][٢٢] لِصِغَرِهِ، وَكَرِهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَدَرِيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَغْلِبَهُ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِالشَّامِ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ لِمُخَاصَمَةِ الْقَدَرِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِخُصُومَتِهِمَا، فَقَالَ الْأُمَوِيُّ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّهُ قَدْ أَعْيَانَا أَمْرُ هٰذَا الْقَدَرِيِّ، وَإِنَّمَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ لِأَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ[٢٣]، فَإِنَّهُ لَمْ يَدَعْ عِنْدَنَا أَحَداً إِلَّا خَصَمَهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَاهُ.

قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ الْقَدَرِيُّ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَلْ عَمَّا شِئْتَ! فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ سُورَةَ الْحَمْدِ، قَالَ: فَقَرَأَهَا، وَقَالَ الْأُمَوِيُّ ـ وَإِنَّا مَعَهُ ـ: مَا فِي سُورَةِ الْحَمْدِ غُلِبْنَا[٢٤]، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَالَ: فَجَعَلَ الْقَدَرِيُّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْحَمْدِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢٥] فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ عليه السلام: قِفْ، مَنْ تَسْتَعِينُ؟ وَمَا حَاجَتُكَ إِلَى الْمَعُونَةِ، إِنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ؟ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

---

١٤. **نقول:** معناه أنه إذا لم تتغير الأعمال في بعض الأوقات بإرادة اللّه كان معناه أن الإنسان مستقل في أعماله، كما أن اللّه مستقل في إراداته، فهو مثل ما روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «عرفت اللّه بفسخ العزائم... ونقض الهمم».

١٥. إلى هنا تمت الرواية في التوحيد والمختصر.

١٦. الحجرات/٧.

١٧. بتوفيقه وتسديده وتأييده وعدم إيكاله على نفسه، وتوجيه الأسباب له نحو مطلوب الخير وإلا فتركه بحاله، ولم ينصره على عدوّه، وهذا معنى التوفيق والخذلان، والهداية والإضلال. (هامش المطبوع)

١٨. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٣، ح ٢٤؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ١١٦، ح ٢٩٩.

١٩. في نسخة: الحسين. (هامش المطبوع)

٢٠. رعتُ فلاناً وروّعتُه: أفزعته، راجع الصحاح.

٢١. أزرى به: حقّره وهوّنه، راجع لسان العرب.

٢٢. في المصدر والبرهان: «أزدراه».

٢٣. في المصدر والبرهان: «بينك وبينه».

٢٤. في المصدر والبرهان: «الحمد علينا».

٢٥. الفاتحة/٥.

١٧٢٤. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢] فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّكَ لَتَسْأَلُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْقَدَرِ وَمَا هُوَ مِنْ دِينِي وَلَا دِينِ آبَائِي، وَلَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُولُ بِهِ.

١٧٢٥. تفسير العيّاشيّ[٣]: عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَيْحَ هٰذِهِ الْقَدَرِيَّةِ إِنَّمَا يَقْرَؤُونَ هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٤] وَيْحَهُمْ مَنْ قَدَّرَهَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟!

١٧٢٦. من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة البيهقيّ[٥]: بِإِسْنَادِهِ عَنِ الشَّافِعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمٍ، عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، عَنِ الْجَمِيعِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٦] أَنَّهُ قَالَ يَوْماً: أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ فِيهِ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ لَهَا مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ[٧] لَهُ الرَّجَاءُ وَلَّهَهُ[٨] الطَّمَعُ[٩]، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَإِنْ أُسْعِدَ بِالرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحُزْنُ[١٠]، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَصَمَهُ[١١] الْجَزَعُ[١٢]، وَإِنْ وَجَدَ مَالاً[١٣] أَطْغَاهُ الْغِنَى، وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ[١٤] شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَإِنْ أَجْهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ[١٥]، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ[١٦].

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٦١، ح ٢١٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ١٣٨، ح ٢٥٨٩.

٢. النساء/٨٣.

٣. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٣، ح ٥٧؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٦، ح ٧.

٤. النمل/٥٧.

٥. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، ص ١٥٠؛ والكافي، ج ٨، ص ٢١، ح ٤، (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة)؛ تحف العقول، ص ٩٥؛ وفي الأخيرين ضمن خطبة.

٦. لم يرد في المصدر: «عن الجميع»، وفي الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن علي بن عكاية التميمي، عن الحسين بن النضر الفهري، عن أبي عمرو الأوزاعي، عن عمر بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام».

٧. سنح لي الشيء: إذا عرض، راجع لسان العرب.

٨. الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، راجع الصحاح.

٩. في الكافي والتحف: «أذلّه الطمع».

١٠. في الكافي: «شغله الحذر».

١١. في الكافي والتحف: «فضحه».

١٢. أي هلكه الجزع. (هامش المطبوع)

١٣. في الكافي والتحف: «إن أفاد مالا».

١٤. عضّه الأمرُ: اشتدّ عليه، راجع أساس البلاغة.

١٥. كظّه الطعام: إذا ملأه حتى لا يطيق على النفَس. والبطنة: امتلأ البطن من الطعام، راجع لسان العرب.

١٦. الى هنا تمت الرواية في الكافي والتحف.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِمَّنْ شَهِدَ وَقْعَةَ الْجَمَلِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجْهُ؛ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: بَيْتٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَدْخُلْهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَبْحَثْ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: لَمَّا أَبَيْتَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فُلَاناً يَقُولُ بِالِاسْتِطَاعَةِ وَهُوَ حَاضِرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: عَلَيَّ بِهِ، فَأَقَامُوهُ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ لَهُ: الِاسْتِطَاعَةَ تَمْلِكُهَا مَعَ اللَّهِ أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا فَتَرْتَدَّ، فَقَالَ: وَمَا أَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْ: أَمْلِكُهَا بِاللَّهِ الَّذِي أَنْشَأَ مَلْكَتَهَا[1].

١٧٢٧. قرب الإسناد[2]: ابْنُ حُكَيْمٍ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ[3] قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: إِنَّ أَصْحَابَنَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ بِالْجَبْرِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ بِالِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ لِيَ: اكْتُبْ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيَّتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذٰلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، وَذٰلِكَ أَنِّي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ فَقَدْ نَظَمْتُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ تُرِيدُ.

١٧٢٨. أعلام الدين للديلميّ[4]: وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: أَلَا أُعْطِيكَ جُمْلَةً فِي الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ؟ قَالَ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: مِنَ الْعَدْلِ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ، وَمِنَ التَّوْحِيدِ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ.

١٧٢٩. الطرائف[5]: رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْماً لِبَعْضِ الْمُجَبِّرَةِ: هَلْ يَكُونُ أَحَدٌ أَقْبَلَ لِلْعُذْرِ الصَّحِيحِ مِنَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ مَا أَقْدِرُ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ؟ أَيَكُونُ مَعْذُوراً أَمْ لَا؟ فَقَالَ الْمُجَبِّرُ: يَكُونُ مَعْذُوراً. قَالَ لَهُ: فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى طَاعَتِهِ، وَقَالَ لِسَانُ حَالِهِمْ أَوْ مَقَالُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبِّ مَا قَدَرْنَا عَلَى طَاعَتِكَ لِأَنَّكَ مَنَعْتَنَا مِنْهَا، أَ مَا يَكُونُ قَوْلُهُمْ وَعُذْرُهُمْ صَحِيحاً عَلَى قَوْلِ الْمُجَبِّرَةِ؟ فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ. فَقَالَ: فَيَجِبُ عَلَى قَوْلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ هٰذَا الْعُذْرَ الصَّحِيحَ، وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَداً أَبَداً، وَهٰذَا خِلَافُ قَوْلِ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهِمْ. فَتَابَ الْمُجَبِّرُ مِنْ قَوْلِهِ بِالْجَبْرِ فِي الْحَالِ.

١٧٣٠. الطرائف[6]: رُوِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَإِلَى عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ وَإِلَى وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ

---

١. في المصدر: «الذي إن شاء ملّكنيها».

٢. قرب الإسناد، ص ٣٥٤، ح ١٢٦٧؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٩، ح ١٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٨، ح ٦.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن أبي عبد اللّه وغيره، عن سهل بن زياد، عن البزنطي»، وفي التوحيد: «أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطي».

٤. أعلام الدين، ص ٣١٨؛ خصائص الأئمة عليهم السلام، ص ١٢٤؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٩؛ وفي الأخيرين عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥. الطرائف، ج ٢، ص ٣٢٧؛ وفي الصراط المستقيم، ج ٣، ص ٦٠، مع اختلاف العبارة؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٩، ح ٨.

٦. الطرائف، ج ٢، ص ٣٢٩؛ وفي نزهة الناظر (للحلواني)، ص ٥١، ح ٢٥، بمضمونه.

وَإِلَى عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ أَنْ يَذْكُرُوا مَا عِنْدَهُمْ وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَنَّ أَحْسَنَ مَا انْتَهَى إِلَيَّ مَا سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَ تَظُنُّ أَنَّ الَّذِي نَهَاكَ دَهَاكَ؟ وَإِنَّمَا دَهَاكَ أَسْفَلُكَ وَأَعْلَاكَ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْ ذَاكَ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: لَوْ كَانَ الزُّورُ فِي الْأَصْلِ مَحْتُوماً كَانَ الْمُزَوَّرُ فِي الْقِصَاصِ مَظْلُوماً[١].

وَكَتَبَ إِلَيْهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ: أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَيَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَيَأْخُذُ عَلَيْكَ الْمَضِيقَ؟

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الشَّعْبِيُّ: أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: كُلُّ مَا اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ مِنْهُ فَهُوَ مِنْكَ، وَكُلُّ مَا حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ. فَلَمَّا وَصَلَتْ كُتُبُهُمْ إِلَى الْحَجَّاجِ وَوَقَفَ عَلَيْهَا قَالَ: لَقَدْ أَخَذُوهَا مِنْ عَيْنٍ صَافِيَةٍ.

أقول:

رَوَى الْكَرَاجُكِيُّ مِثْلَهُ[٢]، وَفِيهِ: مَنْ وَسَّعَ عَلَيْكَ الطَّرِيقَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَيْكَ الْمَضِيقَ. وفي القاموس: «دهاه»: أصابه بداهية، وهي الأمر العظيم.

١٧٣١. الطرائف[٣]: رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عليه السلام عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَقَالَ: مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلُومَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ، وَمَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلُومَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: لِمَ عَصَيْتَ؟ لِمَ فَسَقْتَ؟ لِمَ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ لِمَ زَنَيْتَ؟ فَهٰذَا فِعْلُ الْعَبْدِ؛ وَلَا يَقُولُ لَهُ: لِمَ مَرِضْتَ؟[٤] لِمَ قَصُرْتَ؟ لِمَ ابْيَضَضْتَ؟ لِمَ اسْوَدَدْتَ؟ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى[٥].

١٧٣٢. الطرائف[٦]: رُوِيَ أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ سَأَلَ الرِّضَا عليه السلام بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ الْخَلْقُ مَجْبُورُونَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ. قَالَ: فَمُطْلَقُونَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَحْكَمُ مِنْ أَنْ يُهْمِلَ عَبْدَهُ وَيَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ.

---

١. في المصدر: «لو كان الوزر في الأصل محتوما كان الموزور في القصاص مظلوما».

٢. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٤.

٣. الطرائف، ج ٢، ص ٣٣٠؛ شرح أُصول الكافي (للصدرا)، ج ٤، ص ٢٨٩؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٨، ح ٤.

٤. في المصدر مع زيادة: «لم علوْت؟».

٥. **نقول:** ولا شك أن فعل اللّه موافق للحكمة والمصلحة لأنه خالق حكيم، فليس في أفعاله مجال للسؤال.

٦. الطرائف، ج ٢، ص ٣٣٠.

١٧٣٣. الطرائف[١]: وَمِنَ الْحِكَايَاتِ مَا رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعَدْلِ وَقَفَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُجَبِّرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مَا أَعْرِفُ الْمُجَادَلَةَ وَالْإِطَالَةَ لَكِنِّي أَسْمَعُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[٢] وَمَفْهُومُ هٰذَا الْكَلَامِ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْمُوقِدَ لِلنَّارِ غَيْرُ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمُطْفِئَ لِلنَّارِ هُوَ اللَّهُ، وَكَيْفَ تَقْبَلُ الْعُقُولُ أَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ؟ وَأَنَّ الْمُوقِدَ لِلنَّارِ هُوَ الْمُطْفِئُ لَهَا؟ فَانْقَطَعُوا وَلَمْ يَرُدُّوا جَوَاباً.

١٧٣٤. وَمِنَ الْحِكَايَاتِ[٣]: أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ اجْتَمَعُوا إِلَى أَبِي بَحْرٍ الْخَاقَانِيِّ فَقَالُوا لَهُ: مَا مَعْنَاهُ أَنْتَ سُلْطَانٌ عَادِلٌ مُنْصِفٌ، وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَلَدِكَ الْمُجَبِّرَةُ وَهُمُ الَّذِينَ يُعَوِّلُونَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ لَنَا أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا الْإِيمَانِ، فَكَيْفَ تَأْخُذُ الْجِزْيَةَ مِنْ قَوْمٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا الْإِيمَانِ؟! فَجَمَعَ الْمُجَبِّرَةَ وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِيمَا قَدْ ذَكَرَهُ الْيَهُودُ مِنِ احْتِجَاجِهِمْ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا: كَذَا نَقُولُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. فَطَالَبَهُمْ بِالدَّلِيلِ عَلَى قَوْلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ فَنَفَاهُمْ.

١٧٣٥. وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي ذٰلِكَ[٤] مَا رُوِيَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ زِيَادٍ الدِّمَشْقِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ فِي حَرَسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَدَخَلَ غَيْلَانُ فَقَالَ: يَا عُمَرُ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ قَضَاءُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ تَقُولُ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا غَيْلَانُ! أَ وَلَسْتَ تَرَانِي أُسَمِّي مَظَالِمَ بَنِي مَرْوَانَ ظُلْماً وَأَرُدُّهَا؟ أَ فَتَرَانِي أُسَمِّي قَضَاءَ اللَّهِ ظُلْماً وَأَرُدُّهُ؟

أقول:

أورد السيّد في الطرائف فصلاً مشبعاً في الردّ على المجبّرة تركنا إيراده لئلّا يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطّلاع عليه فليراجع إلى الكتاب المذكور؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه.

١٧٣٦. وقال الكراجكيّ في كنز الفوائد[٥]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام لِزُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ[٦]: يَا زُرَارَةُ أُعْطِيكَ جُمْلَةً فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ قَالَ: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَجَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ سَأَلَهُمْ عَمَّا عَهِدَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ عَمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ.

---

١. الطرائف، ج ٢، ص ٣٣١.

٢. المائدة/٦٤.

٣. الطرائف، ج ٢، ص ٣٣٢.

٤. المصدر السابق، ص ٣٤٤.

٥. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٧؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٥، ح ٢؛ الإرشاد (للمفيد)، ج ٢، ص ٢٠٤.

٦. في التوحيد: «عن ابن أُذنيه، عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: قلت له: ـ جعلت فداك ـ ما تقول في القضاء والقدر؟».

١٧٣٧. وَرُوِيَ[١] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَاذَانَ الْقُمِّيِّ، عَنِ الصَّدُوقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خَمْسَةٌ لَا تَطْفَأُ نِيرَانُهُمْ، وَلَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ: رَجُلٌ أَشْرَكَ، وَرَجُلٌ عَقَّ وَالِدَيْهِ، وَرَجُلٌ سَعَى بِأَخِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَتَلَهُ، وَرَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ، وَرَجُلٌ أَذْنَبَ وَحَمَلَ ذَنْبَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

فائدة:

قال السيّد المرتضى «قدّس اللّه روحه»: إن سأل سائل فقال: بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أنّ المكلّف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلّق بقوله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾[٢] فإنّ الظاهر من هذه الآية يوجب أنّهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له، وأنّ القدرة مع الفعل؛ وإذا تعلّق بقوله تعالى في قصّة موسى: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾[٣] وأنّه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر، وهذا يوجب أنّ القدرة مع الفعل؛ وبقوله تعالى: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾[٤]؟

يقال له: أوّل ما نقوله: إنّ المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصحّ له فيه التعلّق بالسمع، لأنّ مذهبه لا تسلم معه صحّة السمع، ولا يتمكّن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلّته، وإنّما قلنا ذلك لأنّ من جوّز تكليف اللّه تعالى الكافر بالإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن اللّه عزّ وجلّ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا بدّ من أن يلزمه تجويز القبائح على اللّه في أفعاله وأخباره، ولا يأمن من أن يرسل كذّاباً، وأن يخبرهم بالكذب، تعالى عن ذلك، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجّته تجويز الكذب عليه، وإن كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذّاب، وإنّما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه، وليس لهم أن يقولوا: إنّ أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه، لأنّه تشاغل بالكفر فترك الإيمان، وإنّما كان يبطل تعلّقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح، وذلك لأنّ ما قالوه إذا لم يؤثّر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثّر في نفي ما ألزمناه عنهم، لأنّه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه، وليس قولهم: إنّا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء يعتمد، بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً، ويدّعي مع ذلك صحّة معرفة السمع بأن يقول: إنّني لم أضف إليه قبيحاً فيلزمني إفساد طريقة السمع، فلمّا كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله.

---

١. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ٢، ص ٤٧.

٢. الإسراء/٤٨.

٣. الكهف/٦٧.

٤. هود/٢٠.

ونعود إلى تأويل الآي: أمّا قوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له، وإنّما يصحّ ما قالوه لو بيّن لهم أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معيّن، فأمّا إذا لم يذكر ذلك كذلك فلا متعلّق لهم.

فإن قيل: فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى مفارقة الضلال.

قلنا: إنّه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم، فيجوز أن يريد أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع، والظاهر أنّ هذا الوجه أولى، لأنّه تعالى حكى عنهم أنّهم ضربوا له الأمثال، وجعل ضلالهم وأنّهم لا يستطيعون السبيل متعلّقاً بما تقدّم ذكره، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه، وأنّهم ضلّوا بضرب المثل، وأنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من المثل، على أنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنّهم ضلّوا وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم، فإن كان قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ يرجع إليه، فيجب أن يدلّ على أنّهم لا يقدرون في المستقبل على ترك الماضي، وهذا ممّا لا يخالف فيه، وليس فيه ما نأباه من أنّهم لا يقدرون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذّر تركه.

وبعد فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى منّا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلّفوه؟ أو على أنّه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقّة عليهم، وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً: إنّه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكّن منه؛ ألا ترى أنّهم يقولون: فلان لا يستطيع أن يكلّم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنّما غرضهم الاستثقال وشدّة الكلفة والمشقّة.

فإن قيل: فإذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم؟ قلنا: قد ذكر أبو عليّ أنّ المراد أنّهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنّهم ضربوا الأمثال ظنّاً منهم بأنّ ذلك يبيّن كذبه، فأخبر تعالى أنّ ذلك غير مستطاع لأنّ تكذيب صادق وإبطال حقّ ممّا لا تتعلّق به قدرة ولا تتناوله استطاعة. وقد ذكر أبو هاشم أنّ المراد بالآية أنّهم لأجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب، وليس يمكن على هذا أن يقال: كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة؟ ومتى فعلوا ذلك استحقّوا الثواب، لأنّ المراد أنّهم مع التمسّك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير وهدى، وإنّما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدّم ذكره من أنّ المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنّهم مستثقلون للإيمان، فقد يخبر عمّن يستثقل شيئاً بأنّه لا يستطيعه على ما تقدّم ذكره، كذا في كتاب الغرر للسيّد «رحمه اللّه».

فأمّا قوله تعالى في قصّة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ فظاهره يقتضي أنّك لا تستطيع ذلك في المستقبل، ولا يدلّ على أنّه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله في الثاني، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له، غير أنّ الآية تقتضي خلاف ذلك، لأنّه قد صبر عن المسألة أوقاتاً، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات، فلمَ تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلة؟

على أنّ المراد بذلك واضح، وإنّه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عمّا لا يعرف ولا يقف عليه، لأنّ مثل ذلك يصعب على النفس، ولهذا يجد أحدنا إذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه إلى المسألة عنه البحث عن حقيقته، ويثقل عليه الكفّ عن الفحص عن أمره، فلّما حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[1] فبيّن أنّ العلّة في قلّة صبره ما ذكرناه دون غيره، ولو كان الأمر على ما ظنّوا لوجب أن يقول: وكيف تصبر أنت غير مطيق للصبر؟

وأمّا قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ فلا تعلّق لهم بظاهره، لأنّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً، لأنّ الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى، ولو ثبت أنّه معنى على ما يقوله أبو عليّ لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختصّ القديم تعالى بالقدرة عليه. هذا إن أُريد بالسمع الإدراك، وإن أُريد به نفس الحاسّة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد، لأنّ الجواهر وما تخصّص به الحواس من البيّنة والمعاني ليصحّ به الإدراك ممّا ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه[2] فالظاهر لا حجّة لهم فيه.

فإن قالوا: ولعلّ المراد بالسمع كونهم سامعين، كأنّه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا.

قلنا: هذا خلاف الظاهر، ولو ثبت أنّ المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة هاهنا على ما تقدّم ذكره من الاستثقال وشدّة المشقّة كما يقول القائل: فلان لا يستطيع أن يراني، ولا يقدر على أن يكلّمني، وما أشبه ذلك، وهذا بيّن لمن تأمّله[3].

وقال «رضي اللّه عنه»: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿قَالَ أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] فقال: أ ليس ظاهر هذا القول يقتضي أنّه خالق لأعمال العباد؟ لأنّ «ما» هاهنا بمعنى «الذي» فكأنّه قال: خلقكم وخلق أعمالكم.

---

١. الكهف/٦٨.

٢. هكذا في النسخ ولكنّ الصحيح كما في الأمالي المطبوع: لا يصح بها الإدراك، فإنه مما ينفرد به القديم تعالى بالقدرة عليه. (هامش المطبوع)

٣. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ص ١٦٣ - ١٦٧.

٤. الصافّات/٩٥ و٩٦.

قلنا: قد حمل أهل الحقّ هذه الآية على أنّ المراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما ممّا كانوا يتّخذونه أصناماً ويعبدونها، قالوا: وغير منكر أن يريد بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذلك، كما أنّه قد أراد ما ذكرناه بقوله: ﴿أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ لأنّه لم يرد أنكّم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت، كما قال تعالى في عصا موسى عليه السلام: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[1]، ﴿وتَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾[2] وإنمّا أراد أنّ العصا تلقف الحبال التي أظهروا سحرهم فيها، وهي التي حلّتها صنعتهم وإفكهم فقال: ﴿مَا صَنَعُوا﴾ و﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وأراد ما صنعوا فيه، وما يأفكون فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ﴾[3] وإنّما أراد المعمول فيه دون العمل ـ وهذا الاستعمال أيضاً سائع[4][5] شائع ـ لأنّهم يقولون: هذا الباب عمل النجّار، وفي الخلخال: هذا من عمل الصائغ، وإن كانت الأجسام التي أُشير إليها ليست أعمالاً لهم، وإنّما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة.

فإن قيل: كلّ الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتّساع، لأنّ العمل في الحقيقة لا يجري إلّا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه، وإن استعير في بعض المواضع.

قلنا: ليس نسلّم لكم أنّ الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز، بل نقول: هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لأنّ القائل إذا قال: هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلّا أنّه عمل فيه، وما رأينا أحداً قطّ يقول في الثوب بدلاً من قوله: هذا من عمل فلان: هذا ممّا حلّه عمل فلان؛ فالأوّل أولى بأن يكون حقيقة، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكروه، ثمّ انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه، وصار أخصّ به وممّا لا يستفاد من الكلام سواه، كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ، ولا اعتبار بالمفهوم من الألفاظ إلّا بما استقرّ عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل، فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه.

على أنّا لو سلّمنا أنّ ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه، فمن ذلك أنّه تعالى أخرج[6] الكلام مخرج التهجين[7] لهم، والتوبيخ لأفعالهم، والإزراء على مذاهبهم، فقال: ﴿أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ

---

١. الأعراف/١١٧.

٢. طه/٦٩.

٣. سبأ/١٣.

٤. ساع الماء: جرى، راجع القاموس المحيط.

٥. في الأمالي: «سائغ».

٦. في الأمالي: «منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه. ومنها ما تقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية، فمن ذلك أنّه تعالى أخرج».

٧. التهجين: التقبيح، راجع القاموس المحيط.

وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ومتى لم يكن قوله: **﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام التي تنحتونها، واللّه خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ، ويصير على ما يذكره المخالف كأنّه قال: أتعبدون ما تنحتون واللّه خلقكم وخلق عباداتكم، فأيّ وجه للتقريع[1]، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً، لأنّه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأيّ وجه للومهم عليها.

على أنّ قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** بعد قوله: **﴿أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾** إنمّا خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بدّ أن يكون متعلّقاً بما تقدّم من قوله: **﴿أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾** ومؤثّراً في المنع من عبادة غير اللّه، فلو أفاد قوله: **﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾** نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لأنّ القوم لم يكونوا يعبدون النحت، وإنمّا كانوا يعبدون محلّه، وأنّه كان لا حظّ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام، وكذلك إن حمل قوله تعالى: **﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾** على أعمال أُخر ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلّق بما تقدّم، فلم يبق إلّا أنّه أراد أنّه خلقكم وما تعملون فيه النحت، فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم؟

فإن قيل: لمَ زعمتم أنّه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظّ في باب المنع من عبادة الأصنام؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك، على أنّ ما ذكرتموه أيضاً لو أُريد لكان وجهاً، وهو أنّ من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلّا الإله القديم الذي تحقّ له العبادة، وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير.

قلنا: معلوم أنّ الثاني إذا كان كالتعليل للأوّل والمؤثّر في المنع من العبادة فلأن يتضمّن أنّكم مخلوقان وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه ممّا لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه، فإنّه لا شيء أدلّ على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة، كما أنّ عابدها مخلوق، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر: **﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾**[2]، فاحتجّ تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لا تخلق شيئاً، ولا تدفع عن أنفسها ضرّاً ولا عنهم، وهذا واضح. على أنّه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلّق بالأوّل لم يسغ حمله على ما ادّعوه، لأنّ فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنّفوا به وقرّعوا من أجله، وقبيح أن يوبّخهم بما يعذرهم، ويذمّهم بما ينزههم على ما تقدّم.

---

١. التقريع: التوبيخ، راجع الإفصاح.

٢. الأعراف/١٩١ و١٩٢.

على أنّا لا نسلّم أنّ من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحقّ العبادة، لأنّ من جملة أفعالهم القبائح، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحقّ العبادة له، فخرج ما ذكروه من أن يكون مؤثّراً في انفراده بالعبادة. على أنّ إضافته العمل إليهم بقوله تعالى: ﴿**تَعْمَلُونَ**﴾ يبطل تأويلهم هذه الآية، لأنّه لو كان خالقاً له لم يكن عملاً لهم، لأنّ العمل إنّما يكون عملاً لمن يحدثه ويوجده، فكيف يكون عملاً لهم واللّه خلقه؟ وهذه مناقضة لهم، فثبت بهذا أنّ الظاهر شاهد لنا أيضاً. على أنّ قوله: ﴿**وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ يقتضي الاستقبال، وكلّ فعل لم يوجد فهو معدوم، ومحال أن يقول تعالى: إنّي خالق للمعدوم.

فإن قالوا: اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنّه قال: واللّه خلقكم وما عملتم.

قلنا: هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم أنّكم متمسّكون به، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا، بل نحن أحقّ، لأنّا نعدل عنه بدلالة، وأنتم تعدلون بغير حجّة.

فإن قالوا: فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي.

قلنا: نحن لا نحتاج في تأويلنا إلى ذلك، لأنّا إذا حملنا قوله: ﴿**وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أنّ الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى: إنّي خلقتها، ولا يجوز أن يقول: إنّي خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل. على أنّه لو أراد بذلك أعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجّة على ما يريدون، لأنّ الخلق هو التقدير والتدبير، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدّره ودبّره. ألا ترى أنّهم يقولون: خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنّه مقدّر لها معرّف لنا مقاديرها ومراتبها، وما به نستحقّ عليها من الجزاء[1].

ꕥ

١. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ص ٢٣٦-٢٤٠.

﴿باب ٢﴾

«باب آخر وهو من الباب الأوّل»

«وفيه رسالة أبي الحسن الثالث «صلوات اللّه عليه» في الردّ على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط ممّا مرّ»

١٧٣٨. تحف العقول[١]: مِنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ، فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكُمْ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنِ اخْتِلَافِكُمْ فِي دِينِكُمْ وَخَوْضِكُمْ فِي الْقَدَرِ، وَمَقَالَةِ مَنْ يَقُولُ مِنْكُمْ بِالْجَبْرِ، وَمَنْ يَقُولُ بِالتَّفْوِيضِ، وتَفَرُّقِكُمْ فِي ذٰلِكَ وَتَقَاطُعِكُمْ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ وَبَيَانَهُ لَكُمْ، وَفَهِمْتُ ذٰلِكَ كُلَّهُ، اعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ أَنَّا نَظَرْنَا فِي الْآثَارِ وَكَثْرَةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فَوَجَدْنَاهَا عِنْدَ جَمِيعِ مَنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ[٢] مِمَّنْ يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وعَزَّ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا حَقٌّ فَيُتَّبَعُ، وَإِمَّا بَاطِلٌ فَيُجْتَنَبُ، وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ قَاطِبَةً لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفِرَقِ، وَفِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ مُقِرُّونَ بِتَصْدِيقِ الْكِتَابِ وَتَحْقِيقِهِ مُصِيبُونَ مُهْتَدُونَ، وَذٰلِكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» فَأَخْبَرَ أَنَّ جَمِيعَ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا حَقٌّ.

هٰذَا إِذَا لَمْ يُخَالِفْ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَإِذَا شَهِدَ الْقُرْآنُ بِتَصْدِيقِ خَبَرٍ وَتَحْقِيقِهِ وَأَنْكَرَ الْخَبَرَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ لَزِمَهُمُ الْإِقْرَارُ بِهِ ضَرُورَةً، حِينَ[٣] اجْتَمَعَتْ فِي الْأَصْلِ عَلَى تَصْدِيقِ الْكِتَابِ، فَإِنْ هِيَ جَحَدَتْ وَأَنْكَرَتْ لَزِمَهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْمِلَّةِ، فَأَوَّلُ خَبَرٍ يُعْرَفُ تَحْقِيقُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَتَصْدِيقُهُ وَالْتِمَاسُ شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ

---

١. تحف العقول، ص ٤٥٨ – ٤٧٥؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤٥٠ – ٤٥٣؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٣٥ – ٤٤٠، ح ١٠٩١١؛ وفي الأخيرين مقطعا.

٢. فلان ينتحل مذهب كذا: إذا انتسب إليه، راجع لسان العرب.

٣. في نسخة: حيث. (هامش المطبوع)

خَبَرٌ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَوُجِدَ بِمُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَتَصْدِيقِهِ، بِحَيْثُ لَا تُخَالِفُهُ أَقَاوِيلُهُمْ حَيْثُ قَالَ: «إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا وَأَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». فَلَمَّا وَجَدْنَا شَوَاهِدَ هٰذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ اللَّهِ نَصّاً مِثْلَ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وَرَوَتِ الْعَامَّةُ فِي ذٰلِكَ أَخْبَاراً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ فَشَكَرَ اللَّهُ ذٰلِكَ لَهُ وَأَنْزَلَ الْآيَةَ فِيهِ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ أَتَى بِقَوْلِهِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» وَبِقَوْلِهِ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي». وَوَجَدْنَاهُ يَقُولُ: «عَلِيٌّ يَقْضِي دَيْنِي وَيُنْجِزُ مَوْعِدِي وَهُوَ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي».

فَالْخَبَرُ الْأَوَّلُ الَّذِي اسْتُنْبِطَ مِنْهُ هٰذِهِ الْأَخْبَارُ خَبَرٌ صَحِيحٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ أَيْضاً مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ، فَلَمَّا شَهِدَ الْكِتَابُ بِتَصْدِيقِ الْخَبَرِ وَهٰذِهِ الشَّوَاهِدُ الْأُخَرُ لَزِمَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِقْرَارُ بِهَا ضَرُورَةً، إِذْ كَانَتْ هٰذِهِ الْأَخْبَارُ شَوَاهِدُهَا مِنَ الْقُرْآنِ نَاطِقَةٌ، وَوَافَقَتِ الْقُرْآنَ وَالْقُرْآنُ وَافَقَهَا، ثُمَّ وَرَدَتْ حَقَائِقُ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، عَنِ الصَّادِقِينَ عليهم السلام نَقَلَهَا قَوْمٌ ثِقَاتٌ مَعْرُوفُونَ فَصَارَ الِاقْتِدَاءُ بِهٰذِهِ الْأَخْبَارِ فَرْضاً وَاجِباً عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَّا أَهْلُ الْعِنَادِ، وَذٰلِكَ أَنَّ أَقَاوِيلَ آلِ رَسُولِ اللَّهِ عليهم السلام مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِ اللَّهِ، وَذٰلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[2].

وَوَجَدْنَا نَظِيرَ هٰذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ آذَى عَلِيّاً فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ». وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله[3]: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ». وَمِثْلُ قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله فِي بَنِي وَلِيعَةَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلاً كَنَفْسِي يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قُمْ يَا عَلِيُّ فَسِرْ إِلَيْهِمْ»، وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وآله يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّارٍ، لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْفَتْحِ قَبْلَ التَّوْجِيهِ، فَاسْتَشْرَفَ لِكَلَامِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عَلِيّاً عليه السلام فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَاصْطَفَاهُ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ[4] وَسَمَّاهُ كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّارٍ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ مُحِبّاً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُحِبَّانِهِ.

وَإِنَّمَا قَدَّمْنَا هٰذَا الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ دَلِيلاً عَلَى مَا أَرَدْنَا وَقُوَّةً لِمَا نَحْنُ مُبَيِّنُوهُ مِنْ أَمْرِ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ، وَالْمَنْزِلَةِ بَيْنَ

---

١. المائدة/ ٥٥ و٥٦.

٢. الأحزاب/٥٧.

٣. وأيضاً ورد في الأُصول الستة عشر، ص ٢١٤، ح ٢٠٦.

٤. في نسخة: المنقية. (هامش المطبوع)

الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَبِاللَّهِ الْعَوْنُ وَالْقُوَّةُ وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، فَإِنَّا نَبْدَأُ مِنْ ذٰلِكَ بِقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام: «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلٰكِنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهِيَ صِحَّةُ الْخِلْقَةِ، وَتَخْلِيَةُ السَّرْبِ[1]، وَالْمُهْلَةُ فِي الْوَقْتِ، وَالزَّادُ مِثْلُ الرَّاحِلَةِ، وَالسَّبَبُ الْمُهَيِّجُ لِلْفَاعِلِ عَلَى فِعْلِهِ».

فَهٰذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ جَمَعَ بِهَا الصَّادِقُ عليه السلام جَوَامِعُ الْفَضْلِ، فَإِذَا نَقَصَ الْعَبْدُ مِنْهَا خَلَّةً[2] كَانَ الْعَمَلُ عَنْهُ مَطْرُوحاً بِحَسَبِهِ، فَأَخْبَرَ الصَّادِقُ عليه السلام بِأَصْلِ مَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ مِنْ طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ، وَنَطَقَ الْكِتَابُ بِتَصْدِيقِهِ، فَشَهِدَ بِذٰلِكَ مُحْكَمَاتُ آيَاتُ رَسُولِهِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ وَآلَهُ عليهم السلام لَا يَعْدُو شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ وَأَقَاوِيلُهُمْ حُدُودُ الْقُرْآنِ فَإِذَا وَرَدَتْ حَقَائِقُ الْأَخْبَارِ وَالْتُمِسَتْ شَوَاهِدُهَا مِنَ التَّنْزِيلِ فَوَجَدَ لَهَا مُوَافِقاً وَعَلَيْهَا دَلِيلاً كَانَ الِاقْتِدَاءُ بِهَا فَرْضاً لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَّا أَهْلُ الْعِنَادِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، وَلَمَّا الْتَمَسْنَا تَحْقِيقَ مَا قَالَهُ الصَّادِقُ عليه السلام مِنَ الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَإِنْكَارِهِ الْجَبْرَ وَالتَّفْوِيضَ وَجَدْنَا الْكِتَابَ قَدْ شَهِدَ لَهُ وَصَدَّقَ مَقَالَتَهُ فِي هٰذَا، وَخَبَّرَ عَنْهُ أَيْضاً مُوَافِقاً لِهٰذَا أَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام سُئِلَ: هَلْ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: هُوَ أَعْدَلُ مِنْ ذٰلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: فَهَلْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: هُوَ أَعَزُّ وَأَقْهَرُ لَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ.

وَرُوِيَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: النَّاسُ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: رَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِ فَقَدْ وَهَّنَ اللَّهَ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجْبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي وَكَلَّفَهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَقَدْ ظَلَّمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يُطِيقُونَ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَإِذَا أَحْسَنَ حَمِدَ اللَّهَ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فَهٰذَا مُسْلِمٌ بَالِغٌ.

فَأَخْبَرَ عليه السلام أَنَّ مَنْ تَقَلَّدَ الْجَبْرَ وَالتَّفْوِيضَ وَدَانَ بِهِمَا فَهُوَ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ، فَقَدْ شَرَحَتُ الْجَبْرَ الَّذِي مَنْ دَانَ بِهِ يَلْزَمُهُ الْخَطَأُ، وَأَنَّ الَّذِي يَتَقَلَّدُ التَّفْوِيضَ يَلْزَمُهُ الْبَاطِلُ فَصَارَتِ الْمَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: وَأَضْرِبُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَبْوَابِ مَثَلاً يُقَرِّبُ الْمَعْنَى لِلطَّالِبِ وَيُسَهِّلُ لَهُ الْبَحْثَ عَنْ شَرْحِهِ، تَشْهَدُ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِ الْكِتَابِ، وَتَحَقَّقَ تَصْدِيقُهُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يَلْزَمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطَأُ فَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجْبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ بِهٰذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَّمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ وَقَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[3]، وَقَوْلَهُ: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[4]، وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلٰكِنَّ النَّاسَ

---

١. السرب: الطريق، ويقال: «فلان مخلّي السرب» أي موسّعا عليه غير مضيق عليه، راجع لسان العرب، والمغرب.

٢. الخلّة: الخصلة، راجع لسان العرب.

٣. الكهف/٤٩.

٤. الحجّ/١٠.

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١] مَعَ آيٍ كَثِيرَةٍ فِي ذِكْرِ هٰذَا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُجْبِرٌ عَلَى الْمَعَاصِي فَقَدْ أَحَالَ بِذَنْبِهِ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ ظَلَّمَهُ فِي عُقُوبَتِهِ، وَمَنْ ظَلَّمَ اللَّهَ فَقَدْ كَذَّبَ كِتَابَهُ، وَمَنْ كَذَّبَ كِتَابَهُ فَقَدْ لَزِمَهُ الْكُفْرُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ.

وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ مَلَكَ عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ، وَلَا يَمْلِكُ عَرَضاً مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا، وَيَعْلَمُ مَوْلَاهُ ذٰلِكَ مِنْهُ، فَأَمَرَهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِالْمَصِيرِ إِلَى السُّوقِ لِحَاجَةٍ يَأْتِيهِ بِهَا وَلَمْ يُمَلِّكْهُ ثَمَنَ مَا يَأْتِيهِ بِهِ مِنْ حَاجَتِهِ، وَعَلِمَ الْمَالِكُ أَنَّ عَلَى الْحَاجَةِ رَقِيباً لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَخْذِهَا مِنْهُ إِلَّا بِمَا يَرْضَى بِهِ مِنَ الثَّمَنِ، وَقَدْ وَصَفَ مَالِكُ هٰذَا الْعَبْدِ نَفْسَهُ بِالْعَدْلِ وَالنَّصَفَةِ، وَإِظْهَارِ الْحِكْمَةِ، وَنَفْيِ الْجَوْرِ، وَأَوْعَدَ عَبْدَهُ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ بِحَاجَتِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بَالرَّقِيبِ الَّذِي عَلَى حَاجَتِهِ أَنَّهُ سَيَمْنَعُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ لَا يَمْلِكُ ثَمَنَهَا وَلَمْ يُمَلِّكْهُ ذٰلِكَ، فَلَمَّا صَارَ الْعَبْدُ إِلَى السُّوقِ وَجَاءَ لِيَأْخُذَ حَاجَتَهُ الَّتِي بَعَثَهُ الْمَوْلَى لَهَا وَجَدَ عَلَيْهَا مَانِعاً وَيَمْنَعُ مِنْهَا إِلَّا بِشِرَاءٍ وَلَيْسَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ ثَمَنَهَا فَانْصَرَفَ إِلَى مَوْلَاهُ خَائِباً بِغَيْرِ قَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَاغْتَاظَ مَوْلَاهُ مِنْ ذٰلِكَ وَعَاقَبَهُ عَلَيْهِ، أَ لَيْسَ يَجِبُ فِي عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ أَنْ لَا يُعَاقِبَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَهُ لَا يَمْلِكُ عَرَضاً مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا وَلَمْ يُمَلِّكْهُ ثَمَنَ حَاجَتِهِ؟ فَإِنْ عَاقَبَهُ عَاقَبَهُ ظَالِماً مُتَعَدِّياً عَلَيْهِ، مُبْطِلاً لِمَا وَصَفَ مِنْ عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَنَصَفَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعَاقِبْهُ كَذَّبَ نَفْسَهُ فِي وَعِيدِهِ إِيَّاهُ حِينَ أَوْعَدَهُ بِالْكِذْبِ وَالظُّلْمِ اللَّذَيْنِ يَنْفِيَانِ الْعَدْلَ وَالْحِكْمَةَ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

فَمَنْ دَانَ بِالْجَبْرِ أَوْ بِمَا يَدْعُو إِلَى الْجَبْرِ فَقَدْ ظَلَّمَ اللَّهَ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ، إِذْ أَوْجَبَ عَلَى مَنْ أَجْبَرَ الْعُقُوبَةَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَ الْعِبَادَ فَقَدْ أَوْجَبَ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُمُ الْعُقُوبَةَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الْعَذَابَ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ فِي وَعِيدِهِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢]، وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[٣]، وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٤] مَعَ آيٍ كَثِيرَةٍ فِي هٰذَا الْفَنِّ، فَمَنْ كَذَّبَ وَعِيدَ اللَّهِ يَلْزَمُهُ فِي تَكْذِيبِهِ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْكُفْرُ، وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥]، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَازَى الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى

---

١. يونس/٤٤.

٢. البقرة/٨١.

٣. النساء/١٠.

٤. النساء/٥٦.

٥. البقرة/٨٥.

أَفْعَالِهِمْ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَهُمْ إِيَّاهَا فَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ بِذٰلِكَ، وَنَطَقَ كِتَابُهُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[3]، فَهٰذِهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ تَنْفِي الْجَبْرَ وَمَنْ دَانَ بِهِ، وَمِثْلُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، اخْتَصَرْنَا ذٰلِكَ لِئَلَّا يَطُولَ الْكِتَابُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَأَمَّا التَّفْوِيضُ الَّذِي أَبْطَلَهُ الصَّادِقُ عليه السلام وَخَطَّأَ مَنْ دَانَ بِهِ وَتَقَلَّدَهُ فَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ فَوَّضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ، وَفِي هٰذَا كَلَامٌ دَقِيقٌ لِمَنْ يَذْهَبُ إِلَى تَحْرِيرِهِ وَدِقَّتِهِ، وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَتِ الْأَئِمَّةُ الْمُهْتَدِيَةُ مِنْ عِتْرَةِ الرَّسُولِ عليهم السلام، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ عَلَى جِهَةِ الْإِهْمَالِ لَكَانَ لَازِماً لَهُ رِضَى مَا اخْتَارُوهُ، وَاسْتَوْجَبُوا بِهِ الثَّوَابَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَنَوْهُ الْعِقَابُ إِذَا كَانَ الْإِهْمَالُ وَاقِعاً، وَتَنْصَرِفُ هٰذِهِ الْمَقَالَةُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْعِبَادُ تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ فَأَلْزَمُوهُ قَبُولَ اخْتِيَارِهِمْ بِآرَائِهِمْ ضَرُورَةً، كَرِهَ ذٰلِكَ أَمْ أَحَبَّ، فَقَدْ لَزِمَهُ الْوَهْنُ، أَوْ يَكُونُ جَلَّ وَعَزَّ عَجَزَ عَنْ تَعَبُّدِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَى إِرَادَتِهِ، كَرِهُوا أَوْ أَحَبُّوا، فَفَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَيْهِمْ وَأَجْرَاهُمَا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، إِذْ عَجَزَ عَنْ تَعَبُّدِهِمْ بِإِرَادَتِهِ فَجَعَلَ الِاخْتِيَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ مَلَكَ عَبْداً ابْتَاعَهُ لِيَخْدُمَهُ، وَيُعَرِّفَ لَهُ فَضْلَ وِلَايَتِهِ، وَيَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَادَّعَى مَالِكُ الْعَبْدِ أَنَّهُ قَاهِرٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فَأَمَرَ عَبْدَهُ وَنَهَاهُ وَوَعَدَهُ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ أَلِيمَ الْعِقَابِ، فَخَالَفَ الْعَبْدُ إِرَادَةَ مَالِكِهِ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأَيُّ أَمْرٍ أَمَرَهُ بِهِ أَوْ أَيُّ نَهْيٍ نَهَاهُ عَنْهُ لَمْ يَأْتِهِ عَلَى إِرَادَةِ الْمَوْلَى، بَلْ كَانَ الْعَبْدُ يَتَّبِعُ إِرَادَةَ نَفْسِهِ، وَاتِّبَاعَ هَوَاهُ، وَلَا يَطِيقُ الْمَوْلَى أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْوُقُوفِ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَفَوَّضَ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ إِلَيْهِ وَرَضِيَ مِنْهُ بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ عَلَى إِرَادَةِ الْعَبْدِ لَا عَلَى إِرَادَةِ الْمَالِكِ، وَبَعَثَهُ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ وَسَمَّى لَهُ الْحَاجَةَ فَخَالَفَ عَلَى مَوْلَاهُ، وَقَصَدَ لِإِرَادَةِ نَفْسِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَوْلَاهُ نَظَرَ إِلَى مَا أَتَاهُ بِهِ فَإِذَا هُوَ خِلَافُ مَا أَمَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ: لِمَ أَتَيْتَنِي بِخِلَافِ مَا أَمَرْتُكَ؟ فَقَالَ الْعَبْدُ: اتَّكَلْتُ عَلَى تَفْوِيضِكَ الْأَمْرَ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ هَوَايَ وَإِرَادَتِي، لِأَنَّ الْمُفَوَّضَ إِلَيْهِ غَيْرُ مَحْظُورٍ عَلَيْهِ فَاسْتَحَالَ التَّفْوِيضُ، أَوَ لَيْسَ يَجِبُ عَلَى هٰذَا السَّبَبِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَالِكُ لِلْعَبْدِ قَادِراً يَأْمُرُ عَبْدَهُ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عَلَى إِرَادَتِهِ لَا عَلَى إِرَادَةِ الْعَبْدِ، وَيُمَلِّكُهُ مِنَ الطَّاقَةِ بِقَدْرِ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ وَيَنْهَاهُ عَنْهُ. فَإِذَا أَمَرَهُ بِأَمْرٍ وَنَهَاهُ عَنْ نَهْيٍ عَرَّفَهُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ عَلَيْهِمَا وَحَذَّرَهُ وَرَغَّبَهُ بِصِفَةِ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ لِيَعْرِفَ الْعَبْدُ قُدْرَةَ مَوْلَاهُ بِمَا

---

١. الأنعام/١٦٠.

٢. آل عمران/٢٠.

٣. غافر/١٧.

مَلَّكَهُ مِنَ الطَّاقَةِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَتَرْغِيبِهِ وَتَرْهِيبِهِ فَيَكُونُ عَدْلُهُ وَإِنْصَافُهُ شَامِلاً لَـهُ، وَحُـجَّتُهُ وَاضِـحَةً عَـلَيْهِ لِـلْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ، فَإِذَا اتَّبَعَ الْعَبْدُ أَمْرَ مَوْلَاهُ جَازَاهُ، وَإِذَا لَمْ يَزْدَجِرْ عَنْ نَهْيِهِ عَاقَبَهُ.

أَوْ يَكُونُ عَاجِزاً غَيْرَ قَادِرٍ فَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ أَحْسَنَ أَمْ أَسَاءَ، أَطَاعَ أَمْ عَصىَ، عَاجِزٌ عَنْ عُقُوبَتِهِ وَرَدَّهُ إِلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَفِي إِثْبَاتِ الْعَجْزِ نَفْيُ الْقُدْرَةِ وَالتَّـأَلُّهِ، وَإِبْـطَالُ الْأَمْـرِ وَالنَّـهْيِ وَالثَّـوَابِ وَالْـعِقَابِ، وَمُـخَالَفَةُ الْكِـتَابِ، إِذْ يَـقُولُ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1]، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[3]، وَقَوْلُهُ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[4]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[5]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ الْـعَجْزَ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ قَبُولَ كُلِّ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَأَبْطَلَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ لِعِلَّةِ مَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَـوَّضَهَا إِلَيْهَا، لِأَنَّ الْمُفَوَّضَ إِلَيْهِ يَعْمَلُ بِمَشِيَّتِهِ، فَإِنْ شَاءَ الْكُفْرَ أَوِ الْإِيمَانَ كَانَ غَيْرَ مَرْدُودٍ عَلَيْهِ وَلَا مَحْظُورٍ، فَمَنْ دَانَ بِالتَّفْوِيضِ عَلَى هٰذَا الْمَعْنَى فَقَدْ أَبْطَلَ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَ فَـتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[6] تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُدِينُ بِهِ أَهْلُ التَّفْوِيضِ عُلُوّاً كَبِيراً.

لٰكِنْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَمَلَّكَهُمُ اسْتِطَاعَةَ تَعَبُّدِهِمْ بِهَا، فَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ بِمَا أَرَادَ، فَقَبِلَ مِنْهُمُ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَرَضِيَ بِذٰلِكَ لَهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَذَمَّ مَنْ عَصَاهُ، وَعَاقَبَهُ عَلَيْهَا، وَلِلَّهِ الْخِيَرَةُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، يَخْتَارُ مَا يُرِيدُ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا يَكْرَهُ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَهَا عِبَادَهُ لِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ لِأَنَّـهُ ظَاهِرُ الْعَدْلِ وَالنَّصَفَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، بَالَغَ الْحُجَّةَ بِالْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ، وَإِلَيْهِ الصَّفْوَةُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَاحْتِجَاجِهِ عَلَى عِبَادِهِ اصْطَفَى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَبَعَثَهُ بِرِسَالَاتِهِ إِلَى خَلْقِهِ، فَقَالَ مَنْ قَالَ مِنْ كُفَّارِ قَـوْمِهِ حَسَـداً وَاسْتِكْبَاراً: ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يَعْنِي بِذٰلِكَ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ وَأَبَا مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ اخْتِيَارَهُمْ وَلَمْ يُجِزْ لَهُمْ آرَاءَهُمْ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

---

١. الزمر/٧.

٢. آل عمران/١٠٢.

٣. الذاريات/٥٦ و٥٧.

٤. النساء/٣٦.

٥. المائدة/٩٢.

٦. البقرة/٨٥.

مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١] وَلِذٰلِكَ اخْتَارَ مِنَ الْأُمُورِ مَا أَحَبَّ، وَنَهَى عَمَّا كَرِهَ، فَمَنْ أَطَاعَهُ أَثَابَهُ، وَمَنْ عَصَاهُ عَاقَبَهُ، وَلَوْ فَوَّضَ مِنْ اخْتِيَارِ أَمْرِهِ إِلَى عِبَادِهِ لَأَجَازَ لِقُرَيْشٍ اخْتِيَارَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَأَبِي مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ إِذْ كَانَا عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا أَدَّبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢] فَلَمْ يَجُزْ لَهُمُ الِاخْتِيَارَ بِأَهْوَائِهِمْ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا اتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ عَلَى يَدَيْ مَنِ اصْطَفَاهُ فَمَنْ أَطَاعَهُ رَشَدَ، وَمَنْ عَصَاهُ ضَلَّ وَغَوَى وَلَزِمَتْهُ الْحُجَّةُ بِمَا مَلَّكَهُ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ لِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، فَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَرَّمَهُ ثَوَابَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ عِقَابَهُ.

وَهٰذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ لَيْسَ بِجَبْرٍ وَلَا تَفْوِيضٍ وَبِذٰلِكَ أَخْبَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» عَبَايَةَ بْنَ رِبْعِيٍّ الْأَسَدِيَّ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي بِهَا يَقُومُ وَيَقْعُدُ وَيَفْعَلُ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: سَأَلْتَ عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ تَمْلِكُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَبَايَةُ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: قُلْ يَا عَبَايَةُ. قَالَ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ تَمْلِكُهَا مَعَ اللَّهِ قَتَلْتُكَ! وَإِنْ قُلْتَ: تَمْلِكُهَا دُونَ اللَّهِ قَتَلْتُكَ! قَالَ عَبَايَةُ: فَمَا أَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: تَقُولُ: إِنَّكَ تَمْلِكُهَا بِاللَّهِ الَّذِي يَمْلِكُهَا مِنْ دُونِكَ، فَإِنْ يُمَلِّكْهَا إِيَّاكَ كَانَ ذٰلِكَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ يَسْلُبْكَهَا كَانَ ذٰلِكَ مِنْ بَلَائِهِ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَكَ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَقْدَرَكَ، أَ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَسْأَلُونَ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ حِينَ يَقُولُونَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؟ قَالَ عَبَايَةُ: وَمَا تَأْوِيلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، قَالَ: فَوَثَبَ عَبَايَةُ فَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حِينَ أَتَاهُ نَجْدَةُ يَسْأَلُهُ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِالتَّمْيِيزِ الَّذِي خَوَّلَنِي[٣]، وَالْعَقْلِ الَّذِي دَلَّنِي. قَالَ: أَفَمَجْبُولٌ[٤] أَنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ عليه السلام: لَوْ كُنْتُ مَجْبُولاً مَا كُنْتُ مَحْمُوداً عَلَى إِحْسَانٍ، وَلَا مَذْمُوماً عَلَى إِسَاءَةٍ، وَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِاللَّائِمَةِ مِنَ الْمُسِيءِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَائِمٌ بَاقٍ، وَمَا دُونَهُ حَدَثٌ حَائِلٌ زَائِلٌ، وَلَيْسَ الْقَدِيمُ الْبَاقِي كَالْحَدَثِ الزَّائِلِ. قَالَ نَجْدَةُ: أَجِدُكَ أَصْبَحْتَ حَكِيماً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَصْبَحْتُ مُخَيَّراً، فَإِنْ أَتَيْتُ السَّيِّئَةَ بِمَكَانِ الْحَسَنَةِ فَأَنَا الْمُعَاقَبُ عَلَيْهَا.

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الشَّامِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ

---

١. الزخرف/ ٣١ و ٣٢.

٢. الأحزاب/ ٣٦.

٣. خوّله المالَ: أعطاه إياه تفضّلاً، راجع لسان العرب.

٤. جبَله اللّه على الكرَم: خلقه، وهو مجبول عليه، راجع أساس البلاغة.

خُرُوجِنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا شَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً[١] وَلَا هَبَطْتُمْ وَادِياً إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ. فَقَالَ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ: مَهْ يَا شَيْخُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَظَّمَ أَجْرَكُمْ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مَقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي انْصِرَافِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ مُكْرَهِينَ، وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ قَضَاءٌ حَتْمٌ وَقَدَرٌ لَازِمٌ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَلَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَلَمَا أُلْزِمَتِ الْأَشْيَاءُ أَهْلَهَا عَلَى الْحَقَائِقِ، ذٰلِكَ مَقَالَةُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ[٢]، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَمَرَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْذِيراً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. فَقَامَ الشَّيْخُ فَقَبَّلَ رَأْسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمٰنِ غُفْرَاناً
أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ رِضْوَاناً
فَلَيْسَ مَعْذِرَةٌ فِي فِعْلِ فَاحِشَةٍ ... عِنْدِي لِرَاكِبِهَا[٣] ظُلْماً وَعِصْيَاناً

فَقَدْ دَلَّ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى مُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَنَفْيِ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ اللَّذَيْنِ يَلْزَمَانِ مَنْ دَانَ بِهِمَا وَتَقَلَّدَهُمَا الْبَاطِلَ وَالْكُفْرَ وَتَكْذِيبَ الْكِتَابِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، وَلَسْنَا نَدِينُ بِجَبْرٍ وَلَا تَفْوِيضٍ، لٰكِنَّا نَقُولُ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهُوَ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَنَا اللَّهُ وَتَعَبَّدَنَا بِهَا عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ الْكِتَابُ وَدَانَ بِهِ الْأَئِمَّةُ الْأَبْرَارُ مِنْ آلِ الرَّسُولِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

وَمَثَلُ الِاخْتِبَارِ بِالِاسْتِطَاعَةِ مَثَلُ رَجُلٍ مَلَكَ عَبْداً وَمَلَكَ مَالاً كَثِيراً أَحَبَّ أَنْ يَخْتَبِرَ عَبْدَهُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، فَمَلَّكَهُ مِنْ مَالِهِ بَعْضَ مَا أَحَبَّ، وَوَقَفَهُ عَلَى أُمُورٍ عَرَّفَهَا الْعَبْدَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَصْرِفَ ذٰلِكَ الْمَالَ فِيهَا، وَنَهَاهُ عَنْ أَسْبَابٍ لَمْ يُحِبَّهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِبَهَا، وَلَا يُنْفِقَ مِنْ مَالِهِ فِيهَا، وَالْمَالُ يَتَصَرَّفُ فِي أَيِّ الْوَجْهَيْنِ؛ فَصَرَفَ الْمَالَ أَحَدُهُمَا فِي اتِّبَاعِ أَمْرِ الْمَوْلَى وَرِضَاهُ، وَالْآخَرُ صَرَفَهُ فِي اتِّبَاعِ نَهْيِهِ وَسَخَطِهِ، وَأَسْكَنَهُ دَارَ اخْتِبَارٍ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ غَيْرُ دَائِمٍ لَهُ السُّكْنَى فِي الدَّارِ، وَأَنَّ لَهُ دَاراً غَيْرَهَا، وَهُوَ مُخْرِجُهُ إِلَيْهَا فِيهَا ثَوَابٌ وَعِقَابٌ دَائِمَانِ، فَإِنْ أَنْفَذَ الْعَبْدُ الْمَالَ الَّذِي مَلَّكَهُ مَوْلَاهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ جَعَلَ لَهُ ذٰلِكَ الثَّوَابَ الدَّائِمَ فِي تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مُخْرِجُهُ إِلَيْهَا، وَإِنْ أَنْفَقَ الْمَالَ فِي الْوَجْهِ الَّذِي نَهَاهُ عَنْ إِنْفَاقِهِ فِيهِ جَعَلَ لَهُ ذٰلِكَ الْعِقَابَ الدَّائِمَ فِي دَارِ الْخُلُودِ، وَقَدْ حَدَّ الْمَوْلَى فِي ذٰلِكَ حَدّاً مَعْرُوفاً وَهُوَ الْمَسْكَنُ الَّذِي أَسْكَنَهُ فِي الدَّارِ الْأُولَى.

---

١. التلعة: ما ارتفع من الأرض، راجع الصحاح.

٢. في المصدر: «الشيطان».

٣. في المصدر: «قد كنت راكبها».

فَإِذَا بَلَغَ الْحَدَّ اسْتَبْدَلَ الْمَوْلَى بِالْمَالِ وَبِالْعَبْدِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَالِكاً لِلْمَالِ وَالْعَبْدِ فِي الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا، إِلَّا أَنَّهُ وَعَدَ أَنْ لَا يَسْلُبَهُ ذٰلِكَ الْمَالَ مَا كَانَ فِي تِلْكَ الدَّارِ الْأُولَى إِلَّا أَنْ يَسْتَتِمَّ[١] سُكْنَاهُ فِيهَا فَوَفَى لَهُ لِأَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمَوْلَى الْعَدْلَ وَالْوَفَاءَ وَالنَّصَفَةَ[٢] وَالْحِكْمَةَ، أَ وَلَيْسَ يَجِبُ إِنْ كَانَ ذٰلِكَ الْعَبْدُ صَرَفَ ذٰلِكَ الْمَالَ فِي الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ أَنْ يَفِيَ لَهُ بِمَا وَعَدَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِأَنِ اسْتَعْمَلَهُ فِي دَارٍ فَانِيَةٍ وَأَثَابَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيهَا نَعِيماً دَائِماً فِي دَارٍ بَاقِيَةٍ دَائِمَةٍ؟ وَإِنْ صَرَفَ الْعَبْدُ الْمَالَ الَّذِي مَلَّكَهُ مَوْلَاهُ أَيَّامَ سُكْنَاهُ تِلْكَ الدَّارَ الْأُولَى فِي الْوَجْهِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَخَالَفَ أَمْرَ مَوْلَاهُ كَذٰلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي حَذَّرَهُ إِيَّاهَا غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُ لِمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ وَعَرَّفَهُ وَأَوْجَبَ لَهُ الْوَفَاءَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ بِذٰلِكَ يُوصَفُ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ؟

وَأَمَّا الْمَوْلَى فَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَأَمَّا الْعَبْدُ فَهُوَ ابْنُ آدَمَ الْمَخْلُوقُ، وَالْمَالُ قُدْرَةُ اللَّهِ الْوَاسِعَةُ، وَمِحْنَتُهُ[٣] إِظْهَارُ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ[٤]، وَالدَّارُ الْفَانِيَةُ هِيَ الدُّنْيَا، وَبَعْضُ الْمَالِ الَّذِي مَلَّكَهُ مَوْلَاهُ هُوَ الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي مَلَّكَ ابْنُ آدَمَ، وَالْأُمُورُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِصَرْفِ الْمَالِ إِلَيْهَا هُوَ الِاسْتِطَاعَةُ لِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَالْإِقْرَارُ بِمَا أَوْرَدُوهُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَاجْتِنَابُ الْأَسْبَابِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا هِيَ طُرُقُ إِبْلِيسَ؛ وَأَمَّا وَعْدُهُ فَالنَّعِيمُ الدَّائِمِ وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَأَمَّا الدَّارُ الْفَانِيَةُ فَهِيَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الدَّارُ[٥] فَهِيَ الدَّارُ الْبَاقِيَةُ وَهِيَ الْآخِرَةُ، والْقَوْلُ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ هُوَ الِاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ وَالْبَلْوَى بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَ الْعَبْدَ؛ وَشَرَحَهَا فِي خَمْسَةِ الْأَمْثَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا الصَّادِقُ عليه السلام أَنَّهَا جَمَعَتْ جَوَامِعَ الْفَضْلِ، وَأَنَا مُفَسِّرُهَا بِشَوَاهِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْبَيَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تَفْسِيرُ صِحَّةِ الْخِلْقَةِ: أَمَّا قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَمَالُ الْخَلْقِ لِلْإِنْسَانِ بِكَمَالِ الْحَوَاسِّ[٦]، وَثَبَاتِ الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالنُّطْقِ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٧] فَقَدْ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ تَفْضِيلِهِ بَنِي آدَمَ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَدَوَابِّ الْبَحْرِ وَالطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي حَرَكَةٍ تُدْرِكُهُ حَوَاسُّ بَنِي آدَمَ بِتَمْيِيزِ الْعَقْلِ وَالنُّطْقِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِى

---

١. في المصدر: «إلى أن يستتمّ».

٢. النصفة والانصاف: إعطاء الحق، راجع لسان العرب.

٣. محنته: اختبرته، والاسم المحنة، راجع المصباح المنير.

٤. في المصدر: «إظهاره الحكمة والقدرة»، والظاهر هو الصحيح.

٥. في المصدر: «وأما الدار الأُخرى».

٦. في المصدر: «وكمال الحواسّ».

٧. الإسراء / ٧٠.

٨. التين / ٤.

خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[١] وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَأَوَّلُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَتَفْضِيلِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ بِكَمَالِ الْعَقْلِ وَتَمْيِيزِ الْبَيَانِ، وَذٰلِكَ أَنَّ كُلَّ ذِي حَرَكَةٍ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ بِحَوَاسِّهِ مُسْتَكْمِلٌ فِي ذَاتِهِ، فَفَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالنُّطْقِ الَّذِي لَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ الْمُدْرِكِ بِالْحَوَاسِّ.

فَمِنْ أَجْلِ النُّطْقِ مَلَّكَ اللَّهُ ابْنَ آدَمَ غَيْرَهُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى صَارَ آمِراً نَاهِياً، وَغَيْرُهُ مُسَخَّرٌ لَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[٢]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٣]، وَقَالَ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾[٤]، فَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ دَعَا اللَّهُ الْإِنْسَانَ إِلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ بِتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ بِاسْتِوَاءِ الْخَلْقِ وَكَمَالِ النُّطْقِ وَالْمَعْرِفَةِ، بَعْدَ أَنْ مَلَّكَهُمُ اسْتِطَاعَةَ مَا كَانَ تَعَبَّدَهُمْ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[٧] وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

فَإِذَا سَلَبَ الْعَبْدَ حَاسَّةً مِنْ حَوَاسِّهِ رَفَعَ الْعَمَلَ عَنْهُ بِحَاسَّتِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ الْآيَةَ[٨]؛ فَقَدْ رَفَعَ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ الْجِهَادَ وَجَمِيعِ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا[٩]، وَكَذٰلِكَ أَوْجَبَ عَلَى ذِي الْيَسَارِ الْحَجَّ وَالزَّكَاةَ لِمَا مَلَّكَهُ مِنِ اسْتِطَاعَةِ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ عَلَى الْفَقِيرِ الزَّكَاةَ وَالْحَجَّ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١٠]، وَقَوْلُهُ فِي الظِّهَارِ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾[١١] كُلُّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْ عِبَادَهُ إِلَّا مَا مَلَّكَهُمُ اسْتِطَاعَتَهُ بِقُوَّةِ الْعَمَلِ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مِثْلِ ذٰلِكَ، فَهٰذِهِ صِحَّةُ الْخِلْقَةِ.

---

١. الانفطار/٦-٨.

٢. الحجّ/٣٧.

٣. النحل/١٤.

٤. النحل/٥-٧.

٥. التغابن/١٦.

٦. البقرة/٢٨٦.

٧. الطلاق/٧.

٨. النور/٦١.

٩. في المصدر: «لا يقوم بها».

١٠. آل عمران/٧.

١١. المجادلة/٣ و ٤.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: تَخْلِيَةُ السَّرْبِ فَهُوَ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ رَقِيبٌ يَحْظُرُ عَلَيْهِ وَيَمْنَعُهُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ فِي مَنِ اسْتُضْعِفَ وَحُظِرَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فَلَمْ يَجِدْ حِيلَةً وَلَمْ يَهْتَدِ سَبِيلاً: ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[١][٢]، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفَ لَمْ يُخَلَّ سَرْبُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ شَيْءٌ إِذَا كَانَ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ.

وَأَمَّا الْمُهْلَةُ فِي الْوَقْتِ فَهُوَ الْعُمُرُ الَّذِي يُمَتَّعُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَدِّ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ إِلَى أَجَلِ الْوَقْتِ، وَذٰلِكَ مِنْ وَقْتِ تَمْيِيزِهِ وَبُلُوغِ الْحُلُمِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى طَلَبِ الْحَقِّ وَلَمْ يُدْرِكْ كَمَالَهُ فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الْآيَةَ[٣]؛ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْمَلْ بِكَمَالِ شَرَائِعِهِ لِعِلَّةٍ مَا لَمْ يُمْهِلْهُ فِي الْوَقْتِ إِلَى اسْتِتْمَامِ أَمْرِهِ، وَقَدْ حَظَرَ عَلَى الْبَالِغِ مَا لَمْ يَحْظُرْ عَلَى الطِّفْلِ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ الْآيَةَ[٤]؛ فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِنَّ حَرَجاً فِي إِبْدَاءِ الزِّينَةِ لِلطِّفْلِ وَكَذٰلِكَ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: الزَّادُ فَمَعْنَاهُ الْجِدَةُ وَالْبُلْغَةُ[٥] الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا الْعَبْدُ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ الْآيَةَ[٦]؛ أَ لَا تَرَى أَنَّهُ قَبِلَ عُذْرَ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا يُنْفِقُ، وَأَلْزَمَ الْحُجَّةَ كُلَّ مَنْ أَمْكَنَتْهُ الْبُلْغَةُ، وَالرَّاحِلَةُ لِلْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ، كَذٰلِكَ قَبِلَ عُذْرَ الْفُقَرَاءِ وَأَوْجَبَ لَهُمْ حَقّاً فِي مَالِ الْأَغْنِيَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ[٧]؛ فَأَمَرَ بِإِعْفَائِهِمْ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْإِعْدَادَ لِمَا لَا يَسْتَطِيعُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ.

وَأَمَّا قَوْلَهُ: فِي السَّبَبِ الْمُهَيِّجِ فَهُوَ النِّيَّةُ الَّتِي هِيَ دَاعِيَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وَحَاسَّتُهَا الْقَلْبُ، فَمَنْ فَعَلَ فِعْلاً وَكَانَ بِدِينٍ لَمْ يُعْقَدْ قَلْبُهُ عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلاً إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ، كَذٰلِكَ[٨] أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٩]، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله تَوْبِيخاً لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الْآيَةَ[١٠]؛ فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ قَوْلاً وَاعْتَقَدَ فِي قَوْلِهِ دَعَتْهُ النِّيَّةُ إِلَى

---

١. النساء/٩٨.

٢. في المصدر: «ولا يهتدي سبيلا، كما قال اللّه تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾».

٣. النساء/١٠٠.

٤. النور/٣١.

٥. الجدة: الغنى وكثرة المال والاستطاعة. البلغة: الكفاية وهو ما يكتفي به في العيش، راجع مجمع البحرين.

٦. التوبة/٩١.

٧. البقرة/٢٧٣.

٨. في المصدر: «ولذلك».

٩. آل عمران/١٦٧.

١٠. الصف/٢.

تَصْدِيقِ الْقَوْلِ بِإِظْهَارِ الفِعْلِ، وَإِذَا لَمْ يَعْتَقِدِ الْقَوْلَ لَمْ يَتَبَيَّنْ حَقِيقَةُ[١]، وَقَدْ أَجَازَ اللَّهُ صِدْقَ النِّيَّةِ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ غَيْرَ مُوَافِقٍ لَهَا لِعِلَّةٍ مَانِعٍ يَمْنَعُ إِظْهَارَ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ الْآيَةَ[٣]؛ فَدَلَّ الْقُرْآنُ وَأَخْبَارُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله أَنَّ الْقَلْبَ مَالِكٌ لِجَمِيعِ الْحَوَاسِّ يُصَحِّحُ أَفْعَالَهَا، وَلَا يُبْطِلُ مَا يُصَحِّحَ الْقَلْبُ شَيْءٌ[٤].

فَهٰذَا شَرْحُ جَمِيعِ الْخَمْسَةِ الْأَمْثَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا الصَّادِقُ عليه السلام أَنَّهَا تَجْمَعُ الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهُمَا الْجَبْرُ وَالتَّفْوِيضُ، فَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الْإِنْسَانِ كَمَالُ هٰذِهِ الْخَمْسَةِ الْأَمْثَالِ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ كَمَلاً لِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَإِذَا نَقَصَ الْعَبْدُ مِنْهَا خَلَّةً كَانَ الْعَمَلُ عَنْهُ مَطْرُوحاً بِحَسَبِ ذٰلِكَ.

فَأَمَّا شَوَاهِدُ الْقُرْآنِ عَلَى الِاخْتِبَارِ وَالْبَلْوَى بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الْقَوْلَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَكَثِيرَةٌ، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾[٥]، وَقَالَ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]، وَقَالَ: ﴿الٓمٓ * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٧]، وَقَالَ فِي الْفِتَنِ الَّتِي مَعْنَاهَا الِاخْتِبَارُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ الْآيَةَ[٨]؛ وَقَالَ فِي قِصَّةِ قَوْمِ مُوسَى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٩]، وَقَوْلُ مُوسَى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[١٠] أَي اخْتِبَارُكَ، فَهٰذِهِ الْآيَاتُ يُقَاسُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، وَأَمَّا آيَاتُ الْبَلْوَى بِمَعْنَى الِاخْتِبَارِ قَوْلُهُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ

---

١. في المصدر: «حقيقته».
٢. النحل/١٠٦.
٣. البقرة/٢٢٥.
٤. في المصدر: «شيئا».
٥. محمّد/٣١.
٦. الأعراف/١٨٢.
٧. العنكبوت/١ و٢.
٨. ص/٣٤.
٩. طه/٨٥.
١٠. الأعراف/١٥٥.
١١. المائدة/٤٨.
١٢. آل عمران/١٥٢.
١٣. القلم/١٧.

وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[٣]، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَلْوَى هٰذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي شَرَحَ أَوَّلَهَا فَهِيَ اخْتِبَارٌ، وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، فَهِيَ إِثْبَاتُ الاِخْتِبَارِ وَالْبَلْوَى، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثاً، وَلَا أَهْمَلَهُمْ سُدىً، وَلَا أَظْهَرَ حِكْمَتَهُ لَعِباً، بِذٰلِكَ أَخْبَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾[٤].

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى اخْتَبَرَهُمْ؟ قُلْنَا: بَلَى قَدْ عَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[٥] وَإِنَّمَا اخْتَبَرَهُمْ لِيُعْلِمَهُمْ عَدْلَهُ وَلَا يُعَذِّبَهُمْ إِلَّا بِحُجَّةٍ بَعْدَ الْفِعْلِ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾[٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٨]، فَالاِخْتِبَارُ مِنَ اللَّهِ بِالاِسْتِطَاعَةِ الَّتِي مَلَّكَهَا عَبْدَهُ وَهُوَ الْقَوْلُ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ، بِهٰذَا نَطَقَ الْقُرْآنُ وَجَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَئِمَّةِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ عليهم السلام.

فَإِنْ قَالُوا: مَا الْحُجَّةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ»[٩] وَمَا أَشْبَهَهَا؟ قِيلَ: مَجَازُ هٰذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا عَلَى مَعْنَيَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَإِخْبَارٌ عَنْ قُدْرَتِهِ أَيْ إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى هِدَايَةِ مَنْ يَشَاءُ وَضِلَالَةِ مَنْ يَشَاءُ، وَإِذَا أَجْبَرَهُمْ بِقُدْرَتِهِ عَلَى أَحَدِهِمَا لَمْ يَجِبْ لَهُمْ ثَوَابٌ وَلَا عَلَيْهِمْ عِقَابٌ عَلَى نَحْوِ مَا شَرَحْنَا فِي الْكِتَابِ، وَالْمَعْنَى الْآخَرُ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنْهُ تَعْرِيفُهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أَيْ عَرَّفْنَاهُمْ ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[١٠]، فَلَوْ جَبَرَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَضِلُّوا، وَلَيْسَ كُلَّمَا وَرَدَتْ آيَةٌ مُشْتَبِهَةٌ كَانَتِ الْآيَةُ حُجَّةً عَلَى مُحْكَمِ الْآيَاتِ اللَّوَاتِي أُمِرْنَا بِالْأَخْذِ بِهَا، مِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ الْآيَةَ[١١]؛ وَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

---

١. الملك/٢.

٢. البقرة/١٢٤.

٣. محمّد/٤.

٤. المؤمنون/١١٥.

٥. الأنعام/٢٨.

٦. طه/١٣٤.

٧. الإسراء/١٥.

٨. النساء/١٦٥.

٩. الظاهر مراده الآية (٩٣) من سورة النحل: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

١٠. فصّلت/١٧.

١١. آل عمران/٧.

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أَيْ أَحْكَمَهُ وَأَشْرَحَهُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١].

وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَ«صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ» وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «فقد ظلّم اللّه» على بناء التفعيل أي نسبه إلى الظلم. قوله عليه السلام: «ومن زعم أنّ اللّه يدفع عن أهل المعاصي العذاب» أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة. قوله عليه السلام: «ولما ألزمت الأشياء» أي الخطايا والذنوب، وفي بعض النسخ: «الأسماء» وهو أوفق بما روي عنه عليه السلام في موضع آخر أي لا يصحّ إطلاق المؤمن والكافر والصالح والطالح وأشباهها على الحقيقة.

فذلكة[٢]:

اعلم أنّ الذي استفاض عن الأئمّة عليهم السلام هو نفي الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً، قال إمامهم الرازيّ[٣]: حال هذه المسألة عجيبة، فإنّ الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أنّ ما يمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة، فمعوّل الجبريّة على أنّه لا بدّ لترجيح الفعل على الترك من مرجّح ليس من العبد، ومعوّل القدريّة على أنّ العبد لو لم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذمّ والأمر والنهي، وهما مقدّمتان بديهيّتان، ثمّ من الأدلّة العقليّة اعتماد الجبريّة على أنّ تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد، واعتماد القدريّة على أنّ أفعال العباد واقعة على وفق تصوّرهم ودواعيهم وهما متعارضتان، ومن الإلزامات الخطابيّة أنّ القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الذي هو منبع النقصان، وأنّ أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً، فلا يليق بالمتعالي عن النقصان.

وأمّا الدلائل السمعيّة فالقرآن مملوّ بما يوهم بالأمرين وكذا الآثار، فإنّ أُمّة من الأُمم لم تكن خالية من الفرقتين، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين، حتّى قيل: إنّ وضع النرد على الجبر، ووضع الشطرنج على القدر، إلّا أنّ مذهبنا أقوى بسبب أنّ القدح في قولنا: لا يترجّح الممكن إلّا بمرجّح يوجب انسداد باب إثبات الصانع، ونحن نقول: الحقّ ما قال بعض أئمّة الدين عليهم السلام: أنّه لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، وذلك أنّ مبنى المبادي القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره، والمبادي البعيدة على

---

١. الزمر/١٧ و١٨.

٢. الفذلكة: بمعنى مجمل الكلام وخلاصته، راجع كشاف اصطلاحات الفنون.

٣. مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٢٩٤ و ٢٩٥.

عجزه واضطراره، فالإنسان مضطرّ في صورة مختار، كالقلم في يد الكاتب والوتد في شقّ الحائط، وفي كلام العقلاء: قال الحائط للوتد: لمَ تشقّني؟ فقال: سل من يدقّني[١]. انتهى.

وأمّا معنى الجبر فهو ما ذهبت إليه الأشاعرة من أنّ اللّه تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثّرة لهم فيها، وعذّبهم عليها.

وأمّا التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنّه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على تلك الأفعال، وفوّض إليهم الاختيار، فهم مستقلّون بإيجادها على وفق مشيّتهم وقدرتهم، وليس للّه في أفعالهم صنع.

وأمّا الأمر بين الأمرين فالذي ظهر ممّا سبق من الأخبار هو أنّ لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعال العباد بحيث لا يصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار، كما أنّ سيّداً أمر عبده بشيء يقدر على فعله وفهّمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه شيئاً من العقاب، فلو اكتفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنّه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يقول عاقل بأنّه أجبره على ترك الفعل، ولو لم يكتف السيّد بذلك وزاد في ألطافه، والوعد بإكرامه، والوعيد على تركه، وأكّد ذلك ببعث من يحثّه على الفعل ويرغّبه فيه، ثمّ فعل بقدرته واختياره ذلك الفعل فلا يقول عاقل بأنّه جبره على ذلك الفعل.

وأمّا فعل ذلك بالنسبة إلى جماعة وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويّتهم[٢]، أو سوء اختيارهم وقبح سريرتهم، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه تعالى بأن يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها كما يلزم الأوّلين، ولا عزله تعالى عن ملكه، واستقلال العباد بحيث لا مدخل للّه في أفعالهم فيكونون شركاء للّه في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين، وقد مرّت شواهد هذا المعنى في الأخبار، **وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْكُلَيْنِيُّ**[٣] **عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَاذَا؟ قَالَ: لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذٰلِكَ.**

ويظهر من بعض الأخبار أنّ المراد بالتفويض المنفيّ هو كون العبد مستقلّاً في الفعل بحيث لا يقدر الربّ تعالى على صرفه عنه، والأمر بين الأمرين هو أنّه جعلهم مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عمّا يختارون[٤].

---

١. شرح المقاصد، ج ٤، ص ٢٦٣ و ٢٦٤.

٢. الطويّة: الضمير والنيّة، راجع تاج العروس.

٣. الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ٥٩، ح ٨.

٤. ومرجع الخبرين في مؤدّاهما واحد، وهو الذي يشاهده كل إنسان من نفسه عياناً وهو أنه مع قطع النظر عن سائر الأسباب من الموجبات ←

ومنهم من فسّر الأمر بين الأمرين بأنّ الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد، والأسباب البعيدة كالآلات والأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الربّ تعالى، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين؛ وفيه أنّ التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتّى يردّ عليه.

ومنهم من قال: الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفيّة، وكون بعضها بغير اختياره كالصحّة والمرض والنوم واليقظة والذكر والنسيان وأشباه ذلك، ويرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق؛ واللّه تعالى يعلم وحججه عليهم السلام. وبسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ما هو الحقّ فيها ودفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ما هو المقصود من هذا الكتاب، واللّه يهدي من يشاء إلى الحقّ والصواب.

← والموانع يملك اختيار الفعل أو الترك فله أن يفعل وله أن يترك، وأما كونه مالكاً للاختيار فإنما ملّكه إياه ربه سبحانه، كما في الأخبار؛ ومن أحسن الأمثلة لذلك مثال المولى إذا ملّك عبده ما يحتاج إليه في حياته من مال يتصرّف فيه وزوجة يأنس إليها ودار يسكنها وأثاث ومتاع، فإن قلنا: إن هذا التمليك يبطل ملك المولى كان قولا بالتفويض، وإن قلنا: إن ذلك لا يوجب للعبد ملكا والمولى باق على مالكيته كما كان قولا بالجبر، وإن قلنا: إن العبد يملك بذلك والمولى مالك لجميع ما يملكه في عين ملكه وأنّه من كمال ملك المولى كان قولا بالأمر بين الأمرين. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»).

﴿باب ٣﴾

«القضاء والقدر[١] والمشيّة والإرادة وسائر أسباب الفعل»

الآيات:

البقرة/٢٥٣: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

آل عمران/١٤٥: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً... ﴾

الأنعام/١٠٧: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا... ﴾

الأنعام/١٣٧: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

الأنعام/١٤٨ و١٤٩: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

الأعراف/١٨٨: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... ﴾

الأنفال/٤٢: ﴿... وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً... ﴾

التوبة/٥١: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

التوبة/٥٥: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

---

١. مسألة القضاء والقدر من العقائد التي جاءت بها جميع الأديان، وليست خاصة بالمسلمين، ولكثرة استعمال هاتين اللفظتين ظن بعض الناس أن فيهما معنى الإكراه والإجبار وليس كما ظن، وسيوافيك الأخبار والروايات وكلمات الأعلام في ذلك فتعلم أنهما لا ينافيان الاختيار. (هامش المطبوع)

يونس/٩٩ و ١٠٠: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

الأحزاب/٣٧: ﴿... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

الأحزاب/٣٨: ﴿... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾

فاطر/١١: ﴿... وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

فصّلت/٤٥: ﴿... وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ... ﴾

الشورى/٨: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

الشورى/٢١: ﴿... وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ...﴾

الزخرف/٢٠: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

القمر/٤٩: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]

القمر/٥٢ و٥٣: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾

---

١. **نقول:** قد يتوهّم البعض من خلال ما طرحته الآية الكريمة من الاعتقاد بالتقدير والحساب الإلهي أن أعمالنا وممارساتنا التي نقوم بها لابدّ أن تكون واقعة ضمن هذا القانون، فهي مخلوقة للّه تعالى أيضا وبالتالي فلسنا مسؤولين عنها ولا اختيار لنا فيها. ولكن كما قلنا سابقا فإن أعمالنا هي بتقدير ومشيئة البارئ عز وجل، ولن تخرج عن دائرة قدرته وإرادته أبدا، وقد جعلنا اللّه سبحانه مختارين فيها ضمن ما قدّر لنا، ولذلك عيّن لنا مسؤوليات وتكاليف، فلو لم نكن مختارين فإن هذه المسؤوليات والتكاليف ستكون بلا معنى، حيث أن فقدان الإرادة يجعلنا مجبورين في أعمالنا، وهذا خلاف التقدير الإلهي.

ونلاحظ في مقابل إفراط الجبريين تفريط جماعة القدريين أو المفوّضة الذين يذهبون صراحة إلى القول بأن اللّه لا يتدخّل في أعمالنا وممارساتنا، حيث إنهم يحدّون ويحجمون دائرة الهيمنة الإلهية على الإنسان، ويعتقدون باستقلاليتهم تماما عن المشيئة الإلهية، وبذلك سلكوا طريق الشرك من هذه الجهة. والحقيقة أن الجمع بين أصلي «التوحيد والعدل» يحتاج إلى دقة وضبط، فلو فسرنا «التوحيد» بأن اللّه خالق كل شيء حتى أعمالنا بشكل لا نملك أيّ اختيار فيها فإننا نكون بذلك قد أنكرنا أصل العدل، لأن مقترفي الذنوب مجبرون على ارتكاب المعاصي، ثم ينتظرهم الجزاء المتمثل بالعقاب، وهذا خلاف العدالة. وإذا فسّرنا «العدل» بأن اللّه تعالى ليس له أيّ لون من التدخّل في أعمالنا فإننا سنخرج الإرادة الإلهية من الهيمنة علينا، وعندئذ نقع في وادي الشرك.

ويمثّل مفهوم «الأمر بين الأمرين» الإيمان الخالص والصراط المستقيم وخط الوسط بين الجبريين والقدريين، وهو أن نعتقد بأننا مختارين، واختيارنا هذا يكون ضمن الهيمنة الإلهية، حيث تستطيع الإرادة الإلهية في أيّ لحظة أن تسلب منا هذا الاختيار، وهذا ما يذهب إليه أهل البيت عليهم السلام. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ٣٥١)

الحديد/٢٢: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

الحشر/٥: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾

التغابن/١١: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾[1]

الطلاق/١٢: ﴿... يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

المدّثّر/٣١: ﴿... كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...﴾

المدّثّر/٥٦: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...﴾

الإنسان/٣٠: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...﴾

الإنسان/٣١: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ...﴾

التكوير/٢٩: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

تفسير:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل، لكنّه مناف للتكليف فلذا وكلّهم إلى اختيارهم فاقتتلوا.

و﴿إِذْنِ اللَّهِ﴾ أمره وتقديره؛ وقيل: علمه، من أذن بمعنى علم.

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي لو شاء لألجأكم إلى الإيمان، وهذه

---

١. **نقول:** ما يجري من حوادث كلها بإذن اللّه لا تخرج عن إرادته أبدا، وهذا هو معنى «التوحيد الأفعالي»، وإنما بدأ بذكر المصائب باعتبارها هي التي يستفهم عنها الإنسان دائما وتشغل تفكيره. وعند ما نقول يقع ذلك بإرادة اللّه، فإنما نعني الإرادة التكوينية لا الإرادة التشريعية.

وهنا يطرح سؤال مهم وهو: إن كثيرا من هذه الحوادث والكوارث التي تنزل بالناس تأتي من ظلم الظالمين وطغيان الجبابرة، أو أن الإنسان يبتلي بها بسبب الغفلة والجهل والتقصير، فهل أن ذلك كله بإذن اللّه؟

للإجابة على هذا السؤال نرجع إلى مجموع الآيات التي وردت في هذا المجال، فنلاحظ أنها عرضت المصائب على نوعين: الأول: ما يكون جزءاً من طبيعة تكوين الإنسان، كالموت والحوادث الطبيعية الأُخرى، وهذه لا يستطيع الإنسان أن يدفعها عنه، فيقرّر القرآن الكريم بأن ذلك يقع بإذن اللّه.

الثاني: هو تلك المصائب التي تأتي من تقصير الإنسان ومن عمل يده وله الدور الأساسي في تحققها، وهذه يقول القرآن: إنها تصيبكم بسبب أعمالكم. وبناءاً على ذلك فليس للإنسان أن يستسلم للظلم والجهل والفقر. ومن البديهي أن إرادة اللّه تتدخّل في جميع الأُمور حتى تلك الخاضعة لإرادة الإنسان وفعله، إذ لا تأثير لجميع الأسباب إلا بإذنه، وكل شيء خاضع لإرادته وسلطانه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٨، ص ٣٨٤)

المشيّة تخالف المشيّة المذكورة في الآية الأُولى لأنّ اللّه سبحانه أثبت هذه ونفى تلك، فالأُولى مشيّة الاختيار والثانية مشيّة الإلجاء؛ وقيل: إنّ المراد به: لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنّة ابتداءاً من غير تكليف[١].

قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**﴾ أي مطلقاً لأنّ ما يتوقّف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنّما هو بقدرته تعالى، وهو لا ينافي الاختيار، أو فيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا وجلب المنافع، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً**﴾ أي قدر اللّه التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لا محالة، أو من شأنه أن يكون هو إعزاز الدين وأهله، وإذلال الشرك وأهله، ومعنى ﴿**لِيَقْضِيَ**﴾ ليفعل، أو ليظهر قضاؤه[٣].

قوله تعالى: ﴿**فِي الزُّبُرِ**﴾ أي في الكتب التي كتبتها الحفظة[٤]، أو في اللوح المحفوظ. ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾ أي وما قدّموه من أعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم، أو كلّ صغير وكبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللوح[٥].

قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ أي إلّا أن يشاء أن يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً: ﴿**إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾[٦] وقيل: إلّا أن يشاء اللّه من حيث أمر به ونهى عن تركه، فكانت مشيّته سابقة أي لا يذكرون إلّا واللّه قد شاء ذلك[٧].

الروايات:

١٧٣٩. الخصال[٨]: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّنْجَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُجْرٍ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ خِرَاشٍ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعَةٍ:

---

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٨٨.

٢. الأعراف/١٨٨.

٣. مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٤١.

٤. الحفظة: الذين يحصون الأعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة، راجع لسان العرب.

٥. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٩٤و ٢٩٥.

٦. في المصحف الشريف: ﴿إِنَّهُ ...﴾ (المدّثّر/٥٣ و ٥٤).

٧. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٩٣.

٨. الخصال، ج ١، ص ١٩٨، ح ٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٢، ح ١؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٤١، ح ٤٢٤.

حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

١٧٤٠. الخصال[١]: أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبُنْدَارُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنْ بِشْرِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَرْبَعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ[٢]، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ، وَمُدْمِنُ خَمْرٍ[٣].

١٧٤١. الخصال[٤]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْكُوفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٥]: إِنِّي لَعَنْتُ سَبْعَةً لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ قَبْلِي، فَقِيلَ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَالْمُخَالِفُ لِسُنَّتِي، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبْرِيَّةِ[٦][٧] لِيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللَّهُ وَيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ، وَالْمُسْتَأْثِرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ[٨] بِفَيْئِهِمْ[٩] مُسْتَحِلّاً لَهُ، وَالْمُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١٧٤٢. الخصال[١٠]: مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ عَامِرٍ السِّنْجَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله[١١]: سَبْعَةٌ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ: الْمُغَيِّرُ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَالْمُبَدِّلُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُتَسَلِّطُ فِي سُلْطَانِهِ لِيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللَّهُ وَيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ،

---

١. الخصال، ج ١، ص ٢٠٣، ح ١٨؛ وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٣٣٥، ح ٣٢٠٥٨.

٢. المنّان: الذي لا يعطي شيئا إلا منّة واعتدّ به على من أعطاه، راجع لسان العرب.

٣. فلان مدمن خمر: مداوم شربها، راجع لسان العرب.

٤. الخصال، ج ٢، ص ٣٤٩، ح ٢٤ و ٢٥؛ المحاسن، ج ١، ص ١١، ح ٣٣؛ وفي معدن الجواهر، ص ٥٨، مع نقصان.

٥. في الخصال، ح ٢٥ بهذا الإسناد: «محمد بن عمر الحافظ، عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن ثابت بن غارم، عن عبد الملك بن الوليد، عن عمرو بن عبد الجبار، عن عبد اللّه بن زياد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله»، وفي المحاسن: «البرقي، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن حماد، عمن ذكره، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٦. المتسلّط بالجبرية أو بالجبروت أي بالقدرة والسلطة والعظمة. (هامش المطبوع)

٧. في المحاسن: «المسلّط بالجبروت».

٨. استأثر بالشيء: استبدّ به وخصّ به نفسه، راجع القاموس المحيط.

٩. الفيء: الغنيمة والخراج، راجع لسان العرب.

١٠. الخصال، ج ٢، ص ٣٥٠، ح ٢٥؛ وفي تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١١٠، بمضمونه.

١١. في مجموعة ورّام بهذا الإسناد: «سلمان الفارسي «رضي اللّه عنه»، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

وَالْمُسْتَحِلُّ لِحُرُمِ اللَّهِ[١]، وَالْمُتَكَبِّرُ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٢].

١٧٤٣. الخصال[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام[٤] قَالَ: لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ: بِقَضَاءٍ، وَقَدَرٍ، وَإِرَادَةٍ، وَمَشِيَّةٍ، وَكِتَابٍ، وَأَجَلٍ، وَإِذْنٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هٰذَا[٥] فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٦].

١٧٤٤. تفسير القمّيّ[٧]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ[٨]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ مُوسَى عليه السلام سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ عليه السلام فَجَمَعَ، فَقَالَ له مُوسَى عليه السلام: يَا أَبَتِ أَ لَمْ يَخْلُقْكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ عليهم السلام، وَأَمَرَكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَلِمَ عَصَيْتَهُ؟ قَالَ: يَا مُوسَى بِكَمْ وَجَدْتَ خَطِيئَتِي قَبْلَ خَلْقِي فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: بِثَلَاثِينَ سَنَةً[٩]، قَالَ: فَهُوَ ذٰلِكَ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: فَحَجَّ[١٠] آدَمُ مُوسَى عليهما السلام.

بيان:

من أصحابنا من حمل هذا الخبر على التقيّة، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق كثيرة، وقد رواه السيّد في الطرائف[١١] من طرقهم وردّه؛ ويمكن أن يقال: إنّ المراد أنّه كتب في التوراة أنّ اللّه وكّل آدم إلى اختياره حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الدنيا؛ وأمّا كونه قبل خلقه عليه السلام فلأنّ التوراة كتب في الألواح السماويّة في ذلك الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته؛ ويحتمل اطّلاع روح موسى عليه السلام على ذلك قبل خلق جسد آدم عليه السلام؛ واللّه يعلم.

---

١. الحرم: جمع حرام، راجع مجمع البحرين.

٢. في المصدر: «المتكبر على عباد اللّه عز وجل».

٣. الخصال، ج ٢، ص ٣٥٩، ح ٤٦؛ الكافي، ج ١، باب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة، ص ١٤٩، ح ٢؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ٢٤٤، ح ٢٣٦، مع تقديم وتأخير في العبارة.

٤. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عن فضالة بن أيوب، عن محمد بن عمارة، عن حريز بن عبد اللّه وعبد اللّه بن مسكان قالا: قال أبو جعفر عليه السلام».

٥. في الكافي: «فمن زعم غير هذا».

٦. تمت الرواية في المحاسن بهذه العبارة: «فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر».

٧. تفسير القمي، ج ١، ص ٤٤؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ١٢١؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ١٨١، ح ٤٠٣.

٨. قد عرفت سابقا عدم ثبوت رواية ابن مسكان عن أبي عبد اللّه عليه السلام بلا واسطة مما ذكرنا عن النجاشي، فإنه قال: إنه روى عن أبي عبداللّه عليه السلام وليس بثبت. انتهى. ومما نقلنا عن الكشي من أنه لم يسمع عنه عليه السلام إلا حديث من أدرك المشعر فقد أدرك الحج؛ فعلى هذا فالرواية مرسلة. (هامش المطبوع)

٩. في المصدر و تفسير الصافي والبرهان: «بثلاثين ألف سنة».

١٠. حجّه: غلبه بالحجّة، راجع الصحاح.

١١. الطرائف، ج ٢، ص ٣٢٤؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٦٤؛ صحيح مسلم، ج ٨، ص ٥٠.

١٧٤٥. علل الشرائع[١]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ بِشْرٍ الْبَزَّازِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ عليه السلام: مَا يَسْتَطِيعُ أَهْلُ الْقَدَرِ أَنْ يَقُولُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عليه السلام لِلدُّنْيَا وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ لِيَعْصِيَهُ فَيَرُدَّهُ إِلَى مَا خَلَقَهُ لَهُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «ليعصيه» أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره فيعصيه، فيكون «اللام» لام العاقبة أي ليخلّيه فيعصي بذلك مختاراً؛ واللّه يعلم.

١٧٤٦. معاني الأخبار[٢]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: شَاءَ وَأَرَادَ، وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ. قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ[٤] إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[٥] وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

١٧٤٧. العقائد[٦]: اعتقادنا في الإرادة والمشيّة قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام: شَاءَ اللَّهُ، وأَرَادَ، وَلَم يُحِبَّ، وَلَم يَرْضَ، شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ شَيءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

وقال اللّه عزّ وجلّ: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾**[٧]، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**[٨]، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[٩]، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[١٠]، كما قال: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾**[١١]، كما قال: **﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ**

---

١. علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٣.

٢. معاني الأخبار، ص ١٧٠، ح ١؛ الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥١، ح ٥؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٣، ح ١٢.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن درست بن أبي منصور، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي التوحيد: «الصدوق، عن أبيه وابن الوليد، عن محمد بن العطّار وأحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن معبد، عن درست، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. في التوحيد: «أن لا يكون في ملكه شيء».

٥. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٧١١.

٦. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٠.

٧. القصص/٥٦.

٨. الإنسان/٣٠.

٩. يونس/٩٩.

١٠. يونس/١٠٠.

١١. آل عمران/١٤٥.

شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[٣]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[٤]، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[٥]، وقال عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[٦]، وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ﴾[٧]، وقال عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٩]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[١٠]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾[١١].

فهذا اعتقادنا في الإرادة والمشيّة، ومخالفونا يشنّعون علينا في ذلك، ويقولون: إنّا نقول: إنّ اللّه عزّ وجلّ أراد المعاصي وأراد قتل الحسين عليه السلام وليس هكذا نقول، ولكنّا نقول: إنّ اللّه عزّ وجلّ أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها. ونقول: أراد اللّه أن يكون قتل الحسين عليه السلام معصية له خلاف الطاعة. ونقول: أراد أن يكون قتله منهيّاً عنه غير مأمور به. ونقول: أراد اللّه أن يكون مستقبحاً غير مستحسن. ونقول: أراد اللّه عزّ وجلّ أن يكون قتله سخطاً للّه غير رضاه. ونقول: أراد اللّه عزّ وجلّ أن لا يمنع من قتله بالجبر والقدرة كما منع منه بالنهي. ونقول: أراد اللّه أن لا يدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم عليه السلام، حين قال عزّ وجلّ للنار التي أُلقي فيها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً

---

١. آل عمران/١٥٤.
٢. الأنعام/١١٢.
٣. الأنعام/١٠٧.
٤. السجدة/١٣.
٥. الأنعام/١٢٥.
٦. النساء/٢٦.
٧. آل عمران/١٧٦.
٨. النساء/٢٧.
٩. البقرة/١٨٥.
١٠. النساء/٢٧.
١١. غافر/٣١.

وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[١]. **ونقول: لم يزل اللّه عالماً بأنّ الحسين عليه السلام سيقتل ويدرك بقتله سعادة الأبد، ويشقى قاتله شقاوة الأبد. ونقول: ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن. هذا اعتقادنا في الإرادة والمشيّة، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشنّعون علينا من أهل الإلحاد.**

أقول:

قال الشيخ المفيد «نوّر اللّه ضريحه»: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر «رحمه اللّه» في هذا الباب لا يتحصّل ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة، ولم يكن ممّن يرى النظر فيميّز بين الحقّ والباطل، ويعمل على ما توجب الحجّة! ومن عَوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه.

والحقّ في ذلك أنّ اللّه تعالى لا يريد إلّا ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلّا الجميل من الأعمال، ولا يريد القبائح، ولا يشاء الفواحش، تعالى اللّه عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً، قال اللّه تعالى: **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾**[٢]، وقال: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**[٣]، وقال: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** الآية؛ **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾**[٤]، فخبّر سبحانه أنّه لا يريد لعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنّه يريد لهم البيان، ولا يريد لهم الضلال، ويريد التخفيف عنهم، ولا يريد التثقيل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنا في ذلك إرادة البيان لهم، أو التخفيف عنهم واليسر لهم، فكتاب اللّه تعالى شاهد بضدّ ما ذهب إليه الضالّون المفترون على اللّه الكذب، تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

فأمّا ما تعلّقوا به من قوله تعالى: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾** الآية[٥]؛ فليس للمجبّرة به تعلّق ولا فيه حجّة، من قبل أنّ المعنى فيه: من أراد اللّه تعالى أن ينعمه ويثيبه جزاءاً على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطاف التي يحبّوه بها، فييسّر له بها استدامة أعمال الطاعات، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم، قال اللّه تعالى ـ فيما خبّر به أهل الجنّة ـ: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا﴾** الآية[٦]؛ أي نعّمنا به وأثابنا إيّاه،

---

١. الأنبياء/٦٩.

٢. غافر/٣١.

٣. البقرة/١٨٥.

٤. النساء/٢٦-٢٨.

٥. الأنعام/١٢٥.

٦. الأعراف/٤٣.

والضلال في هذه الآية هو العذاب، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[١] فسمّي العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أنّ الضلال هو الهلاك، والهداية هي النجاة، قال اللّه تعالى ـ حكاية عن العرب ـ: ﴿أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٢] يعنون إذا هلكنا فيها، وكأنّ المعنى في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ ما قدّمناه ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ ما وصفناه، والمعنى في قوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٣] يريد سلبه التوفيق عقوبة له على عصيانه، ومنعه الألطاف جزاء له على إساءته، فشرح الصدر: ثواب الطاعة بالتوفيق، وتضييقه: عقاب المعصية بمنع التوفيق، وليس في هذه الآية على ما بيّنّاه شبه لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أنّ اللّه تعالى يضلّ عن الإيمان، ويصدّ عن الإسلام، ويريد الكفر، ويشاء الضلال.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ فالمراد به الإخبار عن قدرته، وأنّه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً، لكنّه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع والاختيار، وآخر الآية يدلّ على ما ذكرناه وهو قوله: ﴿أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٤] يريد أنّ اللّه قادر على إكراههم على الإيمان لكنّه لا يفعل ذلك، ولو شاء لتيسّر عليه، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية، فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيّنّاه، وفرار المجبّرة من إطلاق القول: بأنّ اللّه يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل أولياؤه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ما علم كما علم ويريد أن يكون معاصيه قبائح منهيّاً عنها وقوع فيما هربوا منه، وتورّط[٥] فيما كرهوه، وذلك أنّه إذا كان ما علم من القبيح كما علم وكان تعالى مريداً لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه؟ وهربهم من معنى إلى عينه؟! فكيف يتمّ لهم ذلك مع أهل العقول؟! وهل قولهم هذا إلّا كقول إنسان: أنا لا أسبّ زيداً لكنّي أسبّ أبا عمرو وزيد هو أبو عمرو؟ وكقول اليهود إذ قالوا سخريّة بأنفسهم: نحن لا نكفر بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله لكنّا نكفر بأحمد؟! فهذا رُعُونة[٦] وجهل ممّن صار إليه[٧].

١٧٤٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٨]: أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَكْرٍ الْخُورِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ

---

١. القمر/٤٧.

٢. السجدة/١٠.

٣. الأنعام/١٢٥.

٤. يونس/٩٩.

٥. تورّط فلان في الأمر: إذا ارتبك فيه فلم يسهُل له المخرج منه، راجع لسان العرب.

٦. الرعونة: الحُمْق، راجع لسان العرب.

٧. تصحيح اعتقادات الإمامية، ٤٩-٥٣.

٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٤٠، ح ٣٩؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٦٠، ح ٨٧؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٠، ح ١.

مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُوَيْبَارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ، وَدَبَّرَ التَّدَابِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عليه السلام بِأَلْفَيْ عَامٍ.

١٧٤٩. تفسير القمّيّ[١]: أَبِي، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢]: سَبَقَ الْعِلْمُ وَجَفَّ الْقَلَمُ وَمَضَى الْقَضَاءُ وَتَمَّ الْقَدَرُ بِتَحْقِيقِ الْكِتَابِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَبِالسَّعَادَةِ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى، وَبِالشَّقَاءِ لِمَنْ كَذَّبَ وَكَفَرَ، وَبِالْوَلَايَةِ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ لِلْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ[٣]: يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيَّتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِإِرَادَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تُرِيدُ لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ، وَبِفَضْلِ نِعْمَتِي عَلَيْكَ قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَبِقُوَّتِي وَعِصْمَتِي[٤] وعَافِيَتِي أَدَّيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، وَأَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِذَنْبِكَ مِنِّي، الْخَيْرُ مِنِّي إِلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتُكَ بِهِ،[٥] وَالشَّرُّ مِنِّي إِلَيْكَ بِمَا جَنَيْتَ جَزَاءاً، وَبِكَثِيرٍ مِنْ تَسَلُّطِي لَكَ انْطَوَيْتَ عَنْ طَاعَتِي[٦]، وَبِسُوءِ ظَنِّكَ بِي قَنَطْتَ مِنْ رَحْمَتِي، فَلِيَ الْحَمْدُ وَالْحُجَّةُ عَلَيْكَ بِالْبَيَانِ، وَلِيَ السَّبِيلُ عَلَيْكَ بِالْعِصْيَانِ، وَلَكَ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ عِنْدِي بِالْإِحْسَانِ، لَمْ أَدَعْ تَحْذِيرَكَ بِي، وَلَمْ آخُذْكَ عِنْدَ عِزَّتِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[٧][٨] لَمْ أُكَلِّفْكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَلَمْ أَحْمِلْكَ مِنَ الْأَمَانَةِ إِلَّا مَا أَقْرَرْتَ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ، وَرَضِيتُ لِنَفْسِي مِنْكَ مَا رَضِيتُ بِهِ لِنَفْسِكَ مِنِّي.

١٧٥٠. التوحيد[٩]: أبي وابن الوليد معاً، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعريّ، عن ابن يزيد، عن عليّ بن حسّان، عن السّكونيّ، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن سعدان، عن معاذ بن جبل، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله مثله.

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢١٠؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٠، ح ١٠، وفي ص ٣٤٣، ح ١٣، مع اختلاف يسير.

٢. في التوحيد، بهذا الإسناد: «علي بن عبد اللّه الأصبهاني، عن مكي بن أحمد، عن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن، عن محمد بن أشرس، عن بشر بن الحكم وإبراهيم بن نصر، عن عبد الملك بن هارون، عن غياث بن المجيب، عن الحسن البصري، عن عبد اللّه بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله»، و في ح ١٣: «حدثنا أبي و ابن الوليد قالا: حدثنا محمد العطار وأحمد بن إدريس جميعاً، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن يعقوب بن يزيد، عن علي بن حسّان، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن سعدان، عن معاذ بن جبل، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٣. في التوحيد، ح ١٣: «ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: عن اللّه أروي حديثي إن اللّه تبارك وتعالى يقول ...».

٤. في التوحيد، ح ١٠: «على معصيتي وبعصمتي وعفوي وعافيتي».

٥. في المصدر: «الخير منّي إليك واصل بما أوليتك»، وفي التوحيد، في الحديثين: «فالخير منّي إليك بما أوليت بداءاً».

٦. في التوحيد، ح ١٣: «و بإحساني إليك قويت على طاعتي».

٧. فاطر/٤٥.

٨. لم يرد الآية في التوحيد، ح ١٣.

٩. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٣، ح ١٣.

بيان:

قوله ﷺ: «بتحقيق الكتاب» أي جنس الكتاب، فالمراد كلّ كتاب مُنزل، أو القرآن، أو اللوح. قوله تعالى: «بمشيّتي كنت أنت الذي تشاء» أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً، وأردت أن أجعلك مريداً فجعلتك كذلك، وفي التوحيد: «الخير منّي بما أوليت بدءاً»، فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلّم.

قوله تعالى: «وبكثير من تسلّطي لك» أي من التسلّط الذي جعلت لك على الخلق وعلى الأُمور. و«انطوى عن الشيء» أي هاجره وجانبه. وفي التوحيد مكان تلك الفقرة: «وبإحساني إليك قويت على طاعتي».

قوله تعالى: «ولم آخذك عند عزتّك» أي لم أعذّبك عند غفلتك بل وعظتك ونبّهتك وحذّرتك. وقوله: «وهو قوله» إلى قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ليس في التوحيد ولا يبعد كونه كلام عليّ بن إبراهيم.

١٧٥١. تفسير القمّيّ[١]: ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٢] قَالَ: قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ فِي التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ هَدَى إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ.

١٧٥٢. الإحتجاج[٣]: رُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا: وَكَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَتُوَهِّنُوهُ[٤]، وَلَا تَقُولُوا: جَبَرَهُمْ[٥] عَلَى الْمَعَاصِي فَتُظَلِّمُوهُ، وَلٰكِنْ قُولُوا: الْخَيْرُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَالشَّرُّ بِخِذْلَانِ اللَّهِ، وَكُلٌّ سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ.

١٧٥٣. قَالَ الرِّضَا عليه السلام[٦]: ثَمَانِيَةُ أَشْيَاءَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ: النَّوْمُ، وَالْيَقَظَةُ، وَالْقُوَّةُ، والضَّعْفُ، وَالصِّحَّةُ، وَالْمَرَضُ، وَالْمَوْتُ، وَالْحَيَاةُ.

١٧٥٤. وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله[٧]: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَشْكُرْ لِنَعْمَائِي[٨]، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فَلْيَتَّخِذْ رَبّاً سِوَائِي.

١٧٥٥. الإحتجاج[٩]: رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليهما السلام فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ الْأَهْوَازِ فِي نَفْيِ الْجَبْرِ

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤١٦؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣١٦؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٦٣٦، ح ١١٥٤٣.

٢. الأعلى /٣.

٣. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ٢٠٩؛ عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٠٩، ح ١٦٤.

٤. الوهن: الضعف في العمل والأمر، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر والعوالي: «أجبرهم».

٦. الدعوات (للراوندي)، ص ١٦٩، ح ٤٧٠.

٧. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٠؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٠؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١١٣.

٨. لم يرد في الكنز: «ولم يشكر لنعمائي».

٩. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ٢٠٨؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٥، ح ١؛ وفي التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٠، ح ٢٨، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

وَالتَّفْوِيضِ أَنَّهُ قَالَ: رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الشَّامِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ خُرُوجِنَا إِلَى الشَّامِ أَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: نَعَمْ يَا شَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي[1] وَاللَّهِ مَا أَرَى لِي مِنَ الْأَجْرِ شَيْئاً. فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: بَلَى، فَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ لَكُمُ الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ ذَاهِبُونَ، وَعَلَى مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْقَلِبُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِكُمْ مُكْرَهِينَ[2].

فَقَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ لَا نَكُونُ مُضْطَرِّينَ وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ سَاقَانَا وَعَنْهُمَا كَانَ مَسِيرُنَا؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَعَلَّكَ أَرَدْتَ قَضَاءاً لَازِماً وقَدَراً حَتْماً، لَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ وَالنَّهْيُ، وَمَا كَانَتْ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ لَائِمَةٌ لِمُذْنِبٍ، وَلَا مَحْمَدَةٌ لِمُحْسِنٍ، وَلَا كَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِثَوَابِ الْإِحْسَانِ مِنَ الْمُذْنِبِ، وَلَا الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِعُقُوبَةِ الذَّنْبِ مِنَ الْمُحْسِنِ، تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَجُنُودِ الشَّيْطَانِ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمٰنِ، وشُهَدَاءِ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، وَأَهْلِ الْعَمَى وَالطُّغْيَانِ، هُمْ قَدَرِيَّةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ تَخْيِيراً، ونَهَى تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الرُّسُلَ هَزْلاً، وَلَمْ يُنْزِلِ الْقُرْآنَ عَبَثاً، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

قَالَ: ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[3].

قَالَ: فَنَهَضَ الرَّجُلُ مَسْرُوراً وَهُوَ يَقُولُ:

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النُّشُورِ مِنَ الرَّحْمٰنِ رِضْوَاناً

وَسَاقَ الْأَبْيَاتَ إِلَى قَوْلِهِ:

أَنَّى يُحِبُّ وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتُهُ؟ ... عَلَى الَّذِي قَالَ أَعْلِنْ ذَاكَ إِعْلَاناً

١٧٥٦. وَرُوِيَ[4] أَنَّ الرَّجُلَ قَالَ: فَمَا الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالطَّاعَةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالتَّمْكِينُ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَالْمَعُونَةُ عَلَى الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ، وَالْخِذْلَانُ لِمَنْ عَصَاهُ، وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، كُلُّ ذٰلِكَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي أَفْعَالِنَا، وَقَدَرُهُ لِأَعْمَالِنَا، أَمَّا غَيْرُ ذٰلِكَ فَلَا تَظُنَّهُ فَإِنَّ الظَّنَّ لَهُ مُحْبِطٌ لِلْأَعْمَالِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: فَرَّجْتَ عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ.

---

١. العناء: التعب والمشقّة، راجع مجمع البحرين.

٢. في المصدر والكافي مع زيادة: «ولا إليه مضطرين».

٣. الإسراء/٢٣.

٤. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ٢٠٩؛ الإرشاد (للمفيد)، ج ١، ص ٢٢٦؛ كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٣.

١٧٥٧. العقائد[١]: وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْقَدَرِ: أَلَا إِنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنَ سِرِّ اللَّهِ[٢]، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللَّهِ، مَرْفُوعٌ فِي حِجَابِ اللَّهِ، مَطْوِيٌّ[٣] عَنْ خَلْقِ اللَّهِ، مَخْتُومٌ بِخَاتَمِ اللَّهِ، سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ عَنِ الْعِبَادِ عِلْمَهُ، وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِمْ[٤]، لِأَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَلَا بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ، وَلَا بِعَظَمَةِ النُّورَانِيَّةِ، وَلَا بِعِزَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ، لِأَنَّهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ[٥] مَوَّاجٌ، خَالِصٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ[٦]، كَثِيرُ الْحَيَّاتِ وَالْحِيتَانِ، تَعْلُو مَرَّةً وَتَسْفُلُ أُخْرَى، فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيءُ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا إِلَّا الْوَاحِدُ الْفَرْدُ، فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ، وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ، وَكَشَفَ عَنْ سِرِّهِ وَسِتْرِهِ، وَبَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

١٧٥٨. وَرُوِيَ[٧] أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَدَلَ مِنْ عِنْدِ حَائِطٍ مَائِلٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام[٨] عَنِ الرُّقَى[٩] هَلْ تَدْفَعُ مِنَ الْقَدَرِ شَيْئاً؟ فَقَالَ: هِيَ مِنَ الْقَدَرِ.

أقول:

قال الشيخ المفيد «رحمه اللّه» في شرح هذا الكلام: عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذّ لها وجوه تعرفها العلماء متى صحّت وثبت أسنادها، ولم يقل فيه قولاً محصّلاً، وقد كان ينبغي له لما لم يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللغة، وعليه شواهد من القرآن، فالقضاء على أربعة أضراب: أحدها الخلق، والثاني الأمر، والثالث الإعلام، والرابع القضاء بالحكم؛ فأمّا شاهد الأوّل فقوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾[١٠]، وأمّا الثاني فقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا**

---

١. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٤؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٣، ح ٣٢؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٧، ح ٣٩٥.

٢. في المصدر والتوحيد والمختصر: «سر من سر اللّه وستر من ستر اللّه».

٣. طوى عنّي أمره: كتمه، راجع لسان العرب.

٤. في التوحيد والمختصر: «ورفعه فوق شهاداتهم ومَبلغ عقولهم».

٥. الزاخر: الشرف العالي، زخر البحر: كثر ماءه وارتفعت أمواجه، راجع لسان العرب.

٦. الليل الدامس: الشديد الظلمة، راجع لسان العرب.

٧. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٥، نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٢، ح ١٠.

٨. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٥؛ وفي قرب الإسناد، ص ٩٥، ح ٣٢٠، مع اختلاف يسير، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٢، ح ٩.

٩. الرقية: العوذة التي يُرقى صاحب الآفة كالحُمّى والصرع وغير ذلك من الآفات، والجمع رقى، راجع لسان العرب.

١٠. فصّلت/١٢.

إِيَّاهُ﴾[١]، وأمّا الثالث فقوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[٢]، وأمّا الرابع فقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ**﴾[٣] يعني يفصل بالحكم بالحقّ بين الخلق، وقوله: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾[٤]؛ وقد قيل: إنّ للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام: ﴿**قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾[٥] يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق.

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبّرة: أنّ اللّه تعالى قضى بالمعصية على خلقه، لأنّه لا يخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أنّ اللّه خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا: قضى في خلقه بالعصيان، ولا يقولوا: قضى عليهم، لأنّ الخلق فيهم لا عليهم، مع أنّ اللّه تعالى قد أكذب من زعم أنّه خلق المعاصي بقوله سبحانه: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾[٦] كما مرّ؛ ولا وجه لقولهم: قضى المعاصي على معنى أمر بها، لأنّه تعالى قد أكذب مدّعي ذلك بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٧] ولا معنى لقول من زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لا يعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أو يعصون، ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفضيل؛ ولا وجه لقولهم: إنّه قضى بالذنوب على معنى أنّه حكم بها بين العباد، لأنّ أحكام اللّه تعالى حقّ، والمعاصي منهم، ولا لذلك فائدة وهو لغو باتّفاق، فبطل قول من زعم أنّ اللّه تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيّنّاه أنّ للّه تعالى في خلقه قضاءاً وقدراً في أفعالهم أيضاً قضاءاً وقدراً معلوماً، ويكون المراد بذلك أنّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقّه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب، لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه وموضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً.

فإذا فسّر القضاء في أفعال اللّه تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه، وثبتت الحجّة به ووضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال.

---

١. الإسراء/٢٣.

٢. الإسراء/٤.

٣. غافر/٢٠.

٤. الزمر/٧٥.

٥. يوسف/٤١.

٦. السجدة/٧.

٧. الأعراف/٢٨.

فأمّا الأخبار التي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون النهي خاصّاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم إلّا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافّة المكلّفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبّر الأئمّة عليهم السلام أشياعهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه.

والوجه الآخر: أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق اللّه تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً، لأنّ اللّه تعالى سترها من أكثر خلقه. ألا ترى أنّه لا يجوز لأحد أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات، فيقول: لمَ خلق كذا وكذا؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها، ولا يجوز أن يقول: لمَ أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا؟ إذ تعبّده بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق، ولم يطّلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد، وإن كان قد أعلم في الجملة أنّه لم يخلق الخلق عبثاً، وإنّما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع، فقال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾[1] وقال: ﴿**أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً**﴾[2] وقال: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[3] يعني بحقّ، ووضعناه في موضعه، وقال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[4] وقال فيما تعبّد: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾[5].

وقد يصحّ أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه تعالى بأنّه يؤمن عند خلقه كفّار، أو يتوب عند ذلك فسّاق، أو ينفع به مؤمنون، أو يتّعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء، وذلك يغيب عنّا، وإن قطعنا في الجملة أنّ جميع ما صنع اللّه تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة، ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته وتبعّدنا عن معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافّة المتعبّدين بها أو لبعضهم.

فلمّا خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنّا ولم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو عن طلب علل لها مفصّلة فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء والقدر.

---

١. الأنبياء/١٦.

٢. المؤمنون/١١٥.

٣. القمر/٤٩.

٤. الذاريات/٥٦.

٥. الحجّ/٣٧.

هذا إن سلمت الأخبار التي رواها أبو جعفر «رحمه اللّه»، فأمّا إن بطلت أو اختلّ سندها فقد سقط عنّا عهدة الكلام فيها، والحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيّد للقول بالعدل. أ لا ترى إلى **مَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِنْ قَوْلِهِ: إِذَا حَشَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلَائِقَ سَأَلَهُمْ عَمَّا عَهِدَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ عَمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ**. وقد نطق القرآن بأنّ الخلق مسؤولون عن أعمالهم. انتهى كلامه «رحمه اللّه»[١].

وأقول:

من تفكّر في الشبه الواردة على اختيار العباد وفروع مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهي المعصوم عن التفكّر فيها، فإنّه قلّ من أمعن النظر فيها ولم يزل قدمه إلّا من عصمه اللّه بفضله.

١٧٥٩. التوحيد[٢]: الْمُفَسِّرُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام ـ فِيمَا يَصِفُ بِهِ الرَّبَّ ـ: لَا يَجُورُ فِي قَضِيَّتِهِ، الْخَلْقُ إِلَى مَا عَلِمَ مُنْقَادُونَ، وَعَلَى مَا سَطَرَ فِي كِتَابِهِ مَاضُونَ[٣]، لَا يَعْمَلُونَ خِلَافَ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ، وَلَا غَيْرَهُ يُرِيدُونَ؛[٤] الْخَبَرَ.

١٧٦٠. التوحيد[٥]: فِي خَبَرِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ وَمَشِيَّتَيْنِ: إِرَادَةَ حَتْمٍ، وَإِرَادَةَ عَزْمٍ، يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ، وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشَاءُ، أَ وَمَا رَأَيْتَ أَنَّ اللَّهَ نَهَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ عليهما السلام أَنْ يَأْكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ شَاءَ ذٰلِكَ؟ وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْكُلَا، وَلَوْ أَكَلَا لَغَلَبَتْ مَشِيَّتُهُمَا مَشِيَّةَ اللَّهِ، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِذَبْحِ ابْنِهِ[٦] وَشَاءَ أَنْ لَا يَذْبَحَهُ، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ لَا يَذْبَحَهُ لَغَلَبَتْ مَشِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ مَشِيَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

١. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٥٤-٥٩.

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٤٧، ح ٩ ؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥١؛ الذريعة إلى حافظ الشريعة، ج ١، ص ٤٧٤؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية.

٣. في المصدر والذريعة: «وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون»، وفي التفسير المنسوب: «على ما سطره في المكنون من كتابه ماضون».

٤. **نقول:** ظاهر الرواية فى بدو النظر وإن كان يعطى مذهب الجبر ولكنها عند الدقة تدلّ على المذهب الحق وهو الأمر بين الأمرين، لأنّ اللّه تعالى أعطى الإنسان الاختيار في أعماله وهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً، فهم على ما سطر في كتابه: «لهم الخيرة من أمرهم» ماضون لا يعملون خلافه.

٥. في التوحيد (للصدوق)، ص ٦٤، ضمن ح ١٨؛ الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥١، ح ٤؛ وفي مختصر البصائر، ص ٣٦٨، ذيل ح ٤٣٤.

٦. في المصدر: «أمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل...»، وفي الكافي: «أمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة اللّه تعالى».

أقول:

أوردنا الخبر بإسناده وتمامه في باب جوامع التوحيد[١]، قال الصدوق «رحمه اللّه» بعد إيراد هذا الخبر: إنّ اللّه تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وقد علم أنّهما يأكلان منها، لكنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة، كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر، فهذا معنى مشيّته فيهما، ولو شاء عزّ وجلّ منعهما من الأكل بالجبر ثم أكلا منها لكان مشيّتهما قد غلبت مشيّة اللّه كما قال العالم عليه السلام، تعالى اللّه عن العجز علوّاً كبيراً.

بيان:

قيل: المراد بالمشيّة في تلك الأخبار هو العلم[٢]؛ وقيل: هي تهيئة أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك الفعل؛ وقيل: إرادة بالعرض يتعلّق بفعل العبد[٣]، والأصوب أنّها عبارة عن منع الألطاف والهدايات الصارفة عن الفعل الداعية إليه لضرب من المصلحة، أو عقوبة لما صنع العبد بسوء اختياره كما مرّ بيانه[٤].[٥]

١٧٦١. التوحيد[٦]: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ، عَنِ ابْنِ عَامِرٍ، عَنِ الْمُعَلَّى قَالَ: سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام كَيْفَ عَلِمَ اللَّهُ؟ قَالَ: عَلِمَ وَشَاءَ، وَأَرَادَ وَقَدَّرَ، وَقَضَى أَمْضَى[٧]، فَأَمْضَى مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمِهِ كَانَتِ الْمَشِيَّةُ، وَبِمَشِيَّتِهِ كَانَتِ الْإِرَادَةُ، وبِإِرَادَتِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ، وَبِتَقْدِيرِهِ كَانَ الْقَضَاءُ، وبِقَضَائِهِ كَانَ الْإِمْضَاءُ، فَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيَّةِ، وَالْمَشِيَّةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ، فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ، وَفِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ، فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ فَلَا بَدَاءَ.

فَالْعِلْمُ بِالْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَالْمَشِيَّةُ فِي الْمُشَاءِ قَبْلَ عَيْنِهِ، وَالْإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ، وَالتَّقْدِيرُ لِهٰذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا وَتَوْصِيلِهَا عِيَاناً[٨] وَقِيَاماً[٩]، وَالْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ ذَوَاتِ الْأَجْسَامِ الْمُدْرَكَاتِ

---

١. بحار الأنوار، كتاب التوحيد، أبواب أسمائه تعالى و حقائقها، باب جوامع التوحيد.

٢. شرح الكافي (للمولى صالح المازندراني)، ج ٤، ص ٣٤٧.

٣. راجع تفصيل القولين في الوافي، ج ١، ص ٤٥٦ ذيل ح ٣٦٩، عن الكافي.

٤. ما تضمّنه الخبر هي الإرادة التشريعيّة، والإرادة التكوينية المتعلقة بأفعال العباد من طريق اختيارهم وإرادتهم، والذي ذكره المصنف «رحمه اللّه» بقوله: والأصوب إلخ من لوازم تعلق الإرادة من طريق الاختيار. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٥. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب القضاء والقدر والمشية.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٤، ح ٩؛ الكافي، ج ١، باب البداء، ص ١٤٨، ح ١٦؛ مختصر البصائر، ص ٣٦٨، ح ٤٣٥.

٧. في المصدر والمختصر: «وقضى وأبدى».

٨. عاينت الشيء عياناً: إذا رأيته بعينك، راجع الصحاح.

٩. في الكافي: «عياناً ووقتاً».

بِالْحَوَاسِّ، مِنْ ذِي لَوْنٍ وَرِيحٍ، وَوَزْنٍ وكَيْلٍ، وَمَا دَبَّ[١] وَدَرَجَ[٢]، مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَطَيْرٍ وَسِبَاعٍ، وغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لَا عَيْنَ لَهُ، فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكُ فَلَا بَدَاءَ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وبِالْعِلْمِ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا، وَبِالْمَشِيَّةِ عَرَّفَ صِفَاتِهَا وَحُدُودَهَا وَأَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا، وَبِالْإِرَادَةِ مَيَّزَ أَنْفُسَهَا فِي أَلْوَانِهَا وَصِفَاتِهَا وَحُدُودِهَا، وَبِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا[٣]، وَعَرَّفَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا، وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهَا، وَبِالْإِمْضَاءِ شَرَحَ عِلَلَهَا وَأَبَانَ أَمْرَهَا، ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

بيان:

قوله عليه السلام: «قبل تفصيلها وتوصيلها» أي في لوح المحو والإثبات، أو في الخارج. قوله عليه السلام: «فإذا وقع العين المفهوم المدرك» أي فصّل وميّز في اللوح، أو أوجد في الخارج، ولعلّ تلك الأُمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو والإثبات، قد جعلها اللّه من أسباب وجود الشيء وشرائطه لمصالح، وقد مرّ بيانها في باب البداء[٤]، فالمشيّة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً، والإرادة كتابة العزم عليه بتّاً[٥] مع كتابة بعض صفاته أيضاً، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً، والقضاء تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد، والعلم بجميع تلك الأُمور أزليّ قديم، فقوله عليه السلام: «وبالمشيّة عرّف» على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الإيجاد.

و قال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنّه كيف علم اللّه؟ أ بعلم مستند إلى الحضور العينيّ في وقته والشهود لموجود عينيّ[٦]؟ أو في موجود عينيّ كما في علومنا؟ أو بعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء؟ فأجاب عليه السلام: بأنّ العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال: «علم وشاء، وأراد وقدّر، وقضى وأمضى»، فالعلم ما به ينكشف الشيء، و«المشيّة» ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيّة له سبحانه لتعاليه عن التغيّر والاتّصاف بالصفة الزائدة، و«الإرادة» تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانيّة فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، و«القدر» التحديد وتعيين الحدود والأوقات، و«القضاء» هو الإيجاب، و«الإمضاء» هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب.

---

١. الدبّ والدبيب: مشي خفيف، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

٢. درج: مشى، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «بالتقدير قدر أوقاتها».

٤. بحار الأنوار، كتاب التوحيد، أبواب الصفات، باب البداء والنسخ.

٥. البَتّ: القطع، راجع لسان العرب.

٦. في بعض النسخ هكذا: أ بعلم مستند إلى الحضور العينيّ في وقته والشهود في وقته بموجود؟ (هامش المطبوع)

وقوله عليه السلام: «فأمضى ما قضى» أي فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدّر، وقدّر ما أراد، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال عليه السلام: «بعلمه كانت المشيّة» وهي مسبوقة بالعلم، «وبمشيّته كانت الإرادة» وهي مسبوقة بالمشيّة، «وبإرادته كان التقدير» والتقدير مسبوق بالإرادة، «وبتقديره كان القضاء» والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلّا للمحدّد الموقوف، وبقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد.

وللّه تعالى البداء فيما علم متى شاء، فإنّ الدخول في العلم أوّل مراتب السلوك إلى الوجود العينيّ، وله البداء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد، وحرّك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب، فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبّساً بالإمضاء والإيجاد فلا بداء، فعلم أنّ في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيّة قبل عينه ووجوده العينيّ.

وفي أكثر النسخ: «المنشأ» ولعلّ المراد به الإنشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العينيّ في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الذي يلزمه وجود المقضيّ، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتحدّدة، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانكشاف للأشياء إنشاءها، وبالمشيّة ومعرفتها بصفاتها وحدودها أنشأها إنشاء قبل الإظهار والإدخال في الوجود العينيّ، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العينيّ ميّز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدّرها وعيّن وحدّد أقواتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلّهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها[١].

١٧٦٢. التوحيد[٢]: الْقَطَّانُ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ[٣]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنِ ابْنِ طَرِيفٍ، عَنِ الْأَصْبَغِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: يَا دَاوُدُ تُرِيدُ وَأُرِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ لِمَا أُرِيدُ أَعْطَيْتُكَ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ لَمْ تُسْلِمْ لِمَا أُرِيدُ أَتْعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ.

---

١. الحاشية على أُصول الكافي (لمحمد بن حيدر النائيني)، ص ٤٨١-٤٨٣.

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٧، ح ٤؛ وفي تحف العقول، ص ٣٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع اختلاف يسير؛ غرر الحكم، ص ٨٠١، ح ٢١.

٣. في المصدر: «علي بن الحسن بن علي بن فضّال».

١٧٦٣. التوحيد[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ الْعَرْزَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: كَانَ لِعَلِيٍّ عليه السلام غُلَامٌ اسْمُهُ قَنْبَرُ، وَكَانَ يُحِبُّ عَلِيّاً عليه السلام حُبّاً شَدِيداً، فَإِذَا خَرَجَ عَلِيٌّ عليه السلام خَرَجَ عَلَى أَثَرِهِ بِالسَّيْفِ، فَرَآهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: يَا قَنْبَرُ مَا لَكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِأَمْشِيَ خَلْفَكَ فَإِنَّ النَّاسَ كَمَا تَرَاهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَخِفْتُ عَلَيْكَ! قَالَ: وَيْحَكَ أَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ تَحْرُسُنِي أَمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُونَ بِي شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ، فَارْجِعْ فَرَجَعَ.

١٧٦٤. الكافي[٣]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَلَسَ إِلَى حَائِطٍ مَائِلٍ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَقْعُدْ تَحْتَ هٰذَا الْحَائِطِ فَإِنَّهُ مُعْوِرٌ[٤]، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: حَرَسُ امْرِئٍ أَجَلُهُ، فَلَمَّا قَامَ سَقَطَ الْحَائِطُ. قَالَ: وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَفْعَلُ هٰذَا وَأَشْبَاهَهُ وَهٰذَا الْيَقِينُ[٥].

١٧٦٥. الكافي[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيِّ[٧] قَالَ: نَظَرْتُ يَوْماً فِي الْحَرْبِ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ فَحَرَّكْتُ فَرَسِي فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَوْضِعِ؟! فَقَالَ: نَعَمْ يَا سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَافِظٌ وَوَاقِيَةٌ مَعَهُ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ، أَوْ يَقَعَ فِي بِئْرٍ، فَإِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ[٨].

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٨، ح ٧؛ الكافي، ج ٢، باب فضل اليقين، ص ٥٩، ح ١٠؛ مشكاة الأنوار، ص ١٣.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العرزمي، عن أبيه، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٣. الكافي، ج ٢، باب فضل اليقين، ص ٥٨، ح ٥؛ روضة المتقين، ج ١٣، ص ٩٦؛ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٠١، ح ٢٠٢٧٨.

٤. شيء معور: لا حافظ له، راجع لسان العرب.

٥. **نقول:** عند التأمل يظهر أنه لا منافاة بين هذا الحديث والحديث المتقدم في عدول أمير المؤمنين عليه السلام عن الحائط، لأن الأجل المقدّر من اللّه تعالى يحفظ الإنسان عن الموت قبله، فمن علم علما يقينيا بأجله مثل أميرالمؤمنين عليه السلام فإنه علم أجله بإخبار رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأنه يكون شهيداً في شهر رمضان، فكان لا يخاف من الحائط المائل، وكان في موضع آخر يقوم من تحت حائل آخر يريد أن ينقض لعلمه بأنّ الأجل حارس لولا إلقاء النفس إلى التهلكة ويمكن أن يكون من باب التعليم لسائر الناس؛ واللّه العالم.

٦. الكافي، ج ٢، باب فضل اليقين، ص ٥٨، ح ٨؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٧٩، ح ٢٦؛ المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٣، ص ٢٩٧.

٧. في التوحيد بهذا الإسناد: «حدثنا عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب، عن منصور بن عبد اللّه، عن علي بن عبد اللّه، عن محمد بن جعفر، عن إسحاق بن إبراهيم، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب قال: كنّا مع سعيد بن قيس ...».

٨. في التوحيد: «معه ملكان موكلان به أن يقع في بئر أو تضرّ به دابّة أو يتردّى من جبل حتى يأتيه القدر فإذا أتى القدر خلّوا بينه وبينه».

بيان:

يمكن أن يكون هذه الأُمور من خصائصهم عليهم السلام، لعلمهم بعدم تضرّرهم بهذه الأُمور وبوقت موتهم وسببه، ولذا فرّ عليه السلام من حائط كما سيأتي ولم يفرّ من حائط كما مرّ، لعلمه بسقوط الأوّل وعدم سقوط الثاني؛ ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب، وعدم ترك الواجبات للتوهّمات البعيدة[١].

ويؤيّده مَا رَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي الْخِصَالِ[٢]: عَنِ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خَمْسَةٌ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: أَحَدُهُمْ رَجُلٌ مَرَّ بِحَائِطٍ مَائِلٍ وَهُوَ يُقْبِلُ إِلَيْهِ وَلَمْ يُسْرِعِ الْمَشْيَ حَتَّى سَقَطَ عَلَيْهِ؛ الْخَبَرَ.

١٧٦٦. التوحيد[٣]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْقَدَّاحِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قِيلَ لِعَلِيٍّ عليه السلام: إِنَّ رَجُلاً يَتَكَلَّمُ فِي الْمَشِيَّةِ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَقَالَ: فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ خَلَقَكَ اللَّهُ لِمَا شَاءَ أَوْ لِمَا شِئْتَ؟ قَالَ: لِمَا شَاءَ، قَالَ: فَيُمْرِضُكَ إِذَا شَاءَ أَوْ إِذَا شِئْتَ؟ قَالَ: إِذَا شَاءَ، قَالَ: فَيَشْفِيكَ إِذَا شَاءَ أَوْ إِذَا شِئْتَ؟ قَالَ: إِذَا شَاءَ، قَالَ: فَيُدْخِلُكَ حَيْثُ يَشَاءُ أَوْ حَيْثُ شِئْتَ؟ فَقَالَ: حَيْثُ يَشَاءُ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَوْ قُلْتَ غَيْرَ هٰذَا لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ.

١٧٦٧. التوحيد[٤]: وَبِهٰذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: دَخَلَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَوْ أَبِي جَعْفَرٍ عليهما السلام[٥] رَجُلٌ مِنْ أَتْبَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ فَخِفْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ: لَوْ تَوَارَيْتَ وَقُلْنَا لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا! قَالَ عليه السلام: بَلَى ائْذَنُوا لَهُ[٦]، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ وَيَدِ كُلِّ بَاسِطٍ، فَهٰذَا الْقَائِلُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَهٰذَا الْبَاسِطُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْسُطَ

---

١. قوله عليه السلام في آخر الرواية الأُولى: «وهذا اليقين» الظاهر في المدح والتعظيم ينفي الاحتمال الأول، إذ لا فضل لمن لا يتقي مكروهاً لعلمه بعدم وجوده أو عدم تأثيره، وكذا قوله عليه السلام: «حرس امرأ أجله» يدفع الاحتمال الثاني إذ لا يعتدّ بالتوهمات البعيدة عند العقلاء، فلا حاجة إلى دفعه بأنّ الأجل حارس. والذي ينبغي أن يقال: إن اليقين بأن الأمر بيد اللّه لا يدع احتمالاً لتأثير مؤثر غيره حتى يتقي آثار المكاره ومع ذلك فالعادة الجارية بين العقلاء من الإنسان أن يتقي ما يعدّ عادة أثراً مكروها ولمن فاز بدرجة اليقين من أولياء اللّه أن يعمل على طبق يقينه، وأن يجري على ما يجري عليه العقلاء فكان عليه السلام يتفنّن في سيرته فتارة هكذا وتارة كذلك. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٢. الخصال، ج ١، ص ٢٩٩، ح ٧١.

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٧، ح ٢؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٥، ح ١.

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٧، ح ٣؛ مشكاة الأنوار، ص ١٥.

٥. في المشكاة: «عن أبي القداح، عن أبيه قال: استأذن رجل من أتباع بني أُمية على أبي جعفر عليه السلام».

٦. في المصدر والمشكاة: «بل ائذنوا له».

يَدَهُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ آمَنَ بِهَا وَذَهَبَ[١].

١٧٦٨. التوحيد[٢]: أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ دُرُسْتَ، عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣] يَقُولُ: شَاءَ وَأَرَادَ وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ، شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي مُلْكِهِ[٤] شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَأَرَادَ مِثْلَ ذٰلِكَ وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[٥] وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

التوحيد[٦]: إنّ اللَّه تبارك وتعالى قد قضى جميع أعمال العباد وقدّرها وجميع ما يكون في العالم من خير وشرّ.

والقضاء قد يكون بمعنى الإعلام كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ﴾[٧] يريد أعلمناهم، وكما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[٨] يريد أخبرناه وأعلمناه، فلا ينكر أن يكون اللَّه عزّ وجلّ يقضي أعمال العباد وسائر ما يكون من خير وشرّ على هذا المعنى، لأنّ اللَّه عزّ وجلّ عالم بها أجمع، ويصحّ أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها، وقد يكون القدر أيضاً في معنى الكتاب والإخبار كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٩] يعني كتبنا وأخبرنا؛ وقال العجّاج:

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ... في الصحف الأُولى التي كان سطر

وقدر معناه كتب؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[١٠] يريد حكم بذلك وألزمه خلقه، فقد يجوز أن يقال: إنّ اللَّه عزّ وجلّ قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد ألزمه عباده وحكم به عليهم وهي الفرائض دون غيرها، وقد يجوز

---

١. في المشكاة: «فسأله عن أشياء أمر فيها ثمّ ذهب».

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٣٩، ح ٩، وفي ص ٣٤٣، ح ١٢، مع زيادة في صدره؛ الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥١، ح ٥؛ معاني الأخبار، ص ١٧٠، ح ١.

٣. في التوحيد، ح ١٢، بهذا الإسناد: «حدثنا أبي وابن الوليد، عن محمد العطار وأحمد بن إدريس جميعا، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن علي بن إبراهيم، عن ابن معبد، ...»، وفي المعاني: «أبي، عن سعد بن عبد اللَّه، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن شعيب، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام».

٤. لم يرد في التوحيد، ج ٩، والكافي والمعاني: «في ملكه».

٥. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٧١١.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٤ـ٣٨٨.

٧. الإسراء/٤.

٨. الحجر/٦٦.

٩. النمل/٥٧.

١٠. الإسراء/٢٣.

أيضاً أن يقدّر اللّه عزّ وجلّ أعمال العباد بأن يبيّن مقاديرها وأحوالها من حسن وقبح وفرض ونافلة وغير ذلك، ويفعل من الأدّلة على ذلك ما يعرف به هذه الأحوال لهذه الأفعال، فيكون عزّ وجلّ مقدّراً لها في الحقيقة، وليس يقدّرها ليعرف مقدارها ولكن ليبيّن لغيره ممّن لا يعرف ذلك حال ما قدّره بتقديره إيّاه، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه.

أ لا ترى أنّا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدّروها لنا ليبيّنوا لنا مقاديرها؟ وإنّما أنكرنا أن يكون اللّه عزّ وجلّ حكم بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها وكوّنها، فأمّا أن يكون عزّوجلّ خلقها خلق تقدير فلا ننكره.

وسمعت بعض أهل العلم يقول: إنّ القضاء على عشرة أوجه:

فأوّل وجه منها: العلم وهو قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾[١] يعني علمها.

والثاني: الإعلام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾ وقوله: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ**﴾ أي أعلمناه.

والوجه الثالث: الحكم وهو قوله عزّ وجلّ: «ويقضي ربّك بالحقّ»[٢] يعني يحكم بالحقّ.

والرابع: القول وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِ**﴾[٣] أي يقول الحقّ.

والخامس: الحتم وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ**﴾[٤] يعني حتمنا فهو القضاء الحتم.

والسادس: الأمر وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾[٥] يعني أمر ربّك.

والسابع: الخلق وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[٦] يعني خلقهنّ.

والثامن: الفعل وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾[٧] أي إفعل ما أنت فاعل.

والتاسع: الإتمام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ**﴾[٨] وقوله عزّ وجلّ حكاية عن موسى: ﴿**أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾[٩] أي أتممت.

---

١. يوسف/٦٨.

٢. في المصدر: «... وهو قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أي يحكم بالحق».

٣. غافر/٢٠.

٤. سبأ/١٤.

٥. الإسراء/٢٣.

٦. فصّلت/١٢.

٧. طه/٧٢.

٨. القصص/٢٩.

٩. القصص/٢٨.

والعاشر: الفراغ من الشيء وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[١] يعني فرغ لكما منه، وقول القائل: «قد قضيت لك حاجتك» يعني فرغت لك منها فيجوز أن يقال: إنّ الأشياء كلّها بقضاء اللّه وقدره تبارك وتعالى بمعنى أنّ اللّه عزّ وجلّ قد علمها وعلم مقاديرها، وله عزّ وجلّ في جميعها حكم من خير أو شرّ، فما كان من خير فقد قضاه بمعنى أنّه أمر به وحتمه وجعله حقّاً وعلم مبلغه ومقداره، وما كان من شرّ فلم يأمر به ولم يرضه، ولكنّه عزّ وجلّ قد قضاه وقدّره بمعنى أنّه علمه بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه.

والفتنة على عشرة أوجه:

فوجه منها: الضلال.

والثاني: الاختبار وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[٢] يعني اختبرناك اختباراً، وقوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣] يعني لا يختبرون.

والثالث: الحجّة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٤].

والرابع: الشرك وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٥].

والخامس: الكفر وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[٦] يعني في الكفر.

والسادس: الإحراق بالنار وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية[٧]؛ يعني أحرقوا.

والسابع: العذاب وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٨] يعني يعذّبون، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٩] يعني عذابكم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ يعني عذابه ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾[١٠].

---

١. يوسف/٤١.

٢. طه/٤٠.

٣. العنكبوت/١ و٢.

٤. الأنعام/٢٣.

٥. البقرة/١٩١.

٦. التوبة/٤٩.

٧. البروج/١٠.

٨. الذاريات/١٣.

٩. الذاريات/١٤.

١٠. المائدة/٤١.

والثامن: القتل وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١] يعني إن خفتم أن يقتلوكم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾[٢] يعني أن يقتلهم.

والتاسع: الصدّ وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[٣] يعني ليصدّونك.

والعاشر: شدّة المحنة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٥] أي محنة فيفتنوا بذلك، ويقولوا في أنفسهم: لم نقتلهم إلّا ودينهم الباطل وديننا الحقّ فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم. وقد زاد عليّ بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشر وجهاً آخر فقال: في الوجوه من الفتنة ما هو المحبّة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٦] أي محبّة[٧]. والذي عندي في ذلك أنّ وجوه الفتنة عشرة، وأنّ الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبّة بالباء، وتصديق ذلك قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «الْوَلَدُ مَجْهَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ». وَقَدْ أَخْرَجْتُ هٰذَا الْحَدِيثَ مُسْنَداً فِي كِتَابِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام.

بيان:

قوله صلى الله عليه وآله: «مجهلة» أي يحملون آباءهم على الجهل. «مجبنة» أي يحملونهم على الجبن. «مبخلة» أي يحملونهم على البخل.

أقول:

هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعمانيّ[٨] فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن.

١٧٦٩. التوحيد[٩]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَنْتَرَةَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ،

---

١. النساء/١٠١.

٢. يونس/٨٣.

٣. الإسراء/٧٣.

٤. الممتحنة/٥.

٥. يونس/٨٥.

٦. التغابن/١٥.

٧. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٢.

٨. ناسخ القرآن، ص ٢٢٣ و ٢٢٤.

٩. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٥، ح ٣؛ الذريعة إلى حافظ الشريعة، ج ١، ص ٤٧٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٥٣، ح ٢٥٤.

عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجْهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ، قَالَ: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكْهُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ، قَالَ: سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفْهُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ، قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَإِنِّي سَائِلُكَ: أَخْبِرْنِي أَكَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْعِبَادِ قَبْلَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ أَمْ كَانَتْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ قَبْلَ رَحْمَةِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: بَلْ كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْعِبَادِ قَبْلَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: قُومُوا فَسَلِّمُوا عَلَى أَخِيكُمْ فَقَدْ أَسْلَمَ، وَقَدْ كَانَ كَافِراً.

قَالَ: وَانْطَلَقَ الرَّجُلُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَ بِالْمَشِيَّةِ الْأُولَى نَقُومُ وَنَقْعُدُ وَنَقْبِضُ وَنَبْسُطُ؟ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَإِنَّكَ لَبَعِيدٌ فِي الْمَشِيَّةِ! أَمَا إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مَخْرَجاً: أَخْبِرْنِي أَ خَلَقَ اللَّهُ الْعِبَادَ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شَاؤُوا؟ فَقَالَ: كَمَا شَاءَ، قَالَ: فَخَلَقَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِمَا شَاءَ أَوْ لِمَا شَاؤُوا؟ فَقَالَ: لِمَا شَاءَ، قَالَ: يَأْتُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شَاؤُوا؟ قَالَ: يَأْتُونَهُ كَمَا شَاءَ، قَالَ: قُمْ فَلَيْسَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَشِيَّةِ شَيْءٌ.

بيان:

لعلّ المراد المشيّة المستقلّة التي لا يحتاج معها إلى عون اللّه وتوفيقه[1].

---

١. كل واحد من آحاد الخلق محدود بحدود يتعين بها في وجوده كالطول والعرض واللون وسائر الأوصاف والروابط التي يرتبط بغيره بواسطتها ككون الإنسان ابن فلان وأخا فلان وأبا فلان وفي زمان كذا ومكان كذا وهكذا. وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده وسائر ما يتعلق بوجوده وأنّها هي التي يتقدّر بها الشيء غير أن كلّاً من الأسباب أيضاً يتقدّر بما يتقدمه من المقدرات، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه، فعنده تعالى حقيقة ما يتقدر به كل شيء ويتحدد به كل أمر.

والأشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها ويقيم صلبها ويدبر أمرها كالرحمة والرزق والهداية والإحياء والحفظ والخلق وغيرها وما يقابلها، فللّه سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق وما يتعلق به من أثر وفعل إذ لا معنى لإثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالأشياء وهي لا تتعلق بها.

ولذلك فإنه عليه السلام سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الأعمال، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها وتأثيرها فيها، فقد نظم اللّه الوجود بحيث تجري فيه الرحمة والهداية والمثوبة والمغفرة وكذا ما يقابلها ولا يوجب ذلك بطلان الاختيار في الأفعال، فإن تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الأمر المقدّر إذ لو لا الاختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية، فلم يتحقق ثواب ولا عقاب، ولا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا تبليغ. ومن هنا يظهر وجه تمسّك الإمام عليه السلام بسبق صفة الرحمة على العمل، ثم بيانه عليه السلام أن للّه مشيّة في كلّ شيء وأنّها لا تلغو ولا تغلبه مشية العبد، فالفعل لا يخطئ مشيته تعالى، ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد، فإن مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى، فإن شاء الفعل الذي يوجد بمشية العبد فلابد لمشية العبد من التحقق والتأثير، فافهم ذلك. وهذه الرواية الشريفة على ارتفاع مكانتها ولطف مضمونها يتضح به جميع ما ورد في الباب من مختلف الروايات، وكذا الآيات المختلفة من غير حاجة إلى أخذ بعض وتأويل بعض آخر. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

١٧٧٠. التوحيد[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ.

بيان:

«خلقان من خلق اللّه» بضمّ الخاء، أي صفتان من صفات اللّه؛ أو بفتحها، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماويّة، وله البداء فيها قبل الإيجاد، فذلك قوله عليه السلام: «يزيد في الخلق ما يشاء»؛ أو المعنى أنّهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء، فإنّها تتدرّج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العينيّ.

١٧٧١. التوحيد[٣]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ دُرُسْتَ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ قَالَ: أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَمَعَ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَأَلَهُمْ عَمَّا عَهِدَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ عَمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ.

بيان:

هذا الخبر يدلّ على أنّ القضاء والقدر إنّما يكون في غير الأُمور التكليفيّة كالمصائب والأمراض وأمثالها، فلعلّ المراد بهما القضاء والقدر الحتميّان[٥].

١٧٧٢. التوحيد[٦]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ أَ بِقَدَرٍ يُصِيبُ النَّاسَ مَا أَصَابَهُمْ أَمْ بِعَمَلٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ الْقَدَرَ وَالْعَمَلَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَالرُّوحُ بِغَيْرِ جَسَدٍ لَا يُحَسُّ، وَالْجَسَدُ بِغَيْرِ رُوحٍ صُورَةٌ لَا حَرَاكَ بِهَا[٧]، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَا

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٤، ح ١؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٤٥، ح ٢٤٠؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٢، ح ٣٨٤.

٢. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام وعبيد، عن حمران، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٥، ح ٢؛ الإرشاد (للمفيد)، ج ٢، ص ٢٠٤؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٢، ح ٣٨٥.

٤. في الإرشاد بهذا الإسناد: «زرارة بن أعين، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. الرواية تدل على أن التكاليف والأحكام أُمور اعتبارية غير تكوينية، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائر هو التكوينيات، فأعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر، ومن حيث تعلق الأمر والنهي والاشتمال على الطاعة والمعصية أُمور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الآخر الذي بيّنه أمير المؤمنين عليه السلام للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات، ومحصله: التكليف لمصالح تستدعي ذلك، فالقدر في الأعمال ينشأ من المصالح التي تستدعي التكليف الكذائي والقضاء هو الحكم بالوجوب والحرمة مثلاً بأمر أو نهي. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٦، ح ٤؛ وفي الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٩، مع نقصان؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٨، ح ٣٩٧.

٧. الحراك: الحركة، راجع المصباح المنير.

وَصَلُحَا، كَذٰلِكَ الْعَمَلُ وَالْقَدَرُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْقَدَرُ وَاقِعاً عَلَى الْعَمَلِ لَمْ يُعْرَفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ،[١] وَكَانَ الْقَدَرُ شَيْئاً لَمْ يُحَسَّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِمُوَافَقَةٍ مِنَ الْقَدَرِ لَمْ يَمْضِ وَلَمْ يَتِمَّ، وَلٰكِنَّهُمَا بِاجْتِمَاعِهِمَا قَوِيَا، وَلِلَّهِ فِيهِ الْعُيُونُ[٢] لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَلَا إِنَّ مِنْ أَجْوَرِ النَّاسِ مَنْ رَأَى جَوْرَهُ عَدْلاً وَعَدْلَ الْمُهْتَدِي جَوْراً، أَلَا إِنَّ لِلْعَبْدِ أَرْبَعَةَ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ آخِرَتِهِ، وَعَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دُنْيَاهُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً فَتَحَ لَهُ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ فَأَبْصَرَ بِهِمَا الْغَيْبَ، وَإِذَا أَرَادَ غَيْرَ ذٰلِكَ تَرَكَ الْقَلْبَ بِمَا فِيهِ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى السَّائِلِ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ: هٰذَا مِنْهُ هٰذَا مِنْهُ.

بيان:

أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

١٧٧٣. التوحيد[٣]: الْقَطَّانُ، عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا، عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ حَيَّانَ التَيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ[٤] ـ وَكَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ صِفِّينَ وَفِيمَا بَعْدَ ذٰلِكَ ـ قَالَ: بَيْنَمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يُعَبِّي الْكَتَائِبَ[٥] يَوْمَ صِفِّينَ، وَمُعَاوِيَةُ مُسْتَقْبِلُه عَلَى فَرَسٍ لَهُ يَتَأَكَّلُ[٦] تَحْتَهُ تَأَكُّلاً، وَعَلِيٌّ عليه السلام عَلَى فَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُرْتَجِزِ، وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ[٧] رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: احْتَرِسْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَغْتَالَكَ[٨] هٰذَا الْمَلْعُونُ! فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ إِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى دِينِهِ، وَإِنَّهُ لَأَشْقَى الْقَاسِطِينَ، وَأَلْعَنُ الْخَارِجِينَ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ، وَلٰكِنْ كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَائِكَةٌ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَنْ يَتَرَدَّى[٩] فِي بِئْرٍ أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ أَوْ يُصِيبَهُ سُوءٌ فَإِذَا حَانَ أَجَلُهُ خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُصِيبُهُ، فَكَذٰلِكَ أَنَا إِذَا حَانَ أَجَلِي انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَخَضَبَ هٰذِهِ مِنْ هٰذَا ـ وَأَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ـ عَهْداً مَعْهُوداً، وَوَعْداً غَيْرَ مَكْذُوبٍ. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

---

١. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٧٢٢.

٢. في المصدر والمختصر: «ولله فيه العون».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٧، ح ٥؛ وقعة صفّين (لنصر بن مزاحم)، ص ٢٥٠؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ٥، ص ١٩٩.

٤. في وقعة صفّين وشرح نهج البلاغة بهذا الإسناد: «نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي إسحاق».

٥. عبّى الكتائب: إذا هيّأها في مواضعها. الكتيبة: الجيش، والجمع الكتائب، راجع شمس العلوم ولسان العرب.

٦. تأكّل: غضب وهاج، راجع لسان العرب.

٧. الحربة: آلة الحرب دون الرمح، راجع الطراز الأول.

٨. إغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر، راجع لسان العرب.

٩. تردّى: سقط، راجع لسان العرب.

١٧٧٤. التوحيد[١]: الْوَرَّاقُ وَابْنُ مُغِيرَةَ مَعاً، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ عُلْوَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ ابْنِ طَرِيفٍ، عَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَدَلَ مِنْ عِنْدِ حَائِطٍ مَائِلٍ إِلَى حَائِطٍ آخَرَ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

بيان:

أي إنّ الفرار أيضاً من تقديره تعالى، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء اللّه الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه، فإنّ كلّ ذلك داخل في علمه وقضائه، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مرّ؛ ويحتمل أن يكون المراد بقدر اللّه هنا حكمه وأمره أي إنّما أفرّ من القضاء بأمره تعالى.

١٧٧٥. التوحيد[٢]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ مَعاً، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ وَأَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ مَعاً، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: كَمَا أَنَّ بَادِئَ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ نَحَلَكُمُوهُ[٣]، كَذٰلِكَ الشَّرُّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ جَرَى بِهِ قَدَرُهُ[٤].

١٧٧٦. التوحيد[٥]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْعَرْزَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ إِلَى مَنْ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

١٧٧٧. تفسير القمّيّ[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّيَّارِيِّ، عَنْ فُلَانٍ[٧]، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام[٨] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُلُوبَ الْأَئِمَّةِ مَوْرِداً لِإِرَادَتِهِ فَإِذَا شَاءَ اللَّهُ شَيْئاً شَاؤُوهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٩].

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٩، ح ٨؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ٢٠٠؛ مختصرالبصائر، ص ٣٥٧، ح ٣٩٦.

٢. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٨، ح ٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٩، ح ١٠.

٣. النحل: الإعطاء عن غير عوض، راجع شمس العلوم.

٤. **نقول:** هذا الحديث أدلّ دليل على أن مسألة تقدير المقدرات لا ينافي اختيار الإنسان، فإن كون الإنسان مختاراً في أعماله وكون الشرّ من قبل نفسه أيضا كان من المقدرات وبدونه لا يتمّ الامتحان الإلهي ولا يسير الإنسان سيره إلى الكمال والقرب إلى اللّه تعالى والحديث التالي أيضا يؤكد على هذا المعنى.

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٨، ح ٧؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٨، ح ٣٩٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠١، ح ٢.

٦. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٩؛ بصائر الدرجات، ص ٥١٧، ح ٤؛ وفي تفسير فرات الكوفي، ص ٥٢٩، ذيل ح ٦٨١، مع اختلاف العبارة.

٧. لم نجد ذكره في كتب الرجال، ويوجد في ج ٤، ص ١٨ من فروع الكافي في باب الأسماء والكنى رواية ابن ميّاح، عن فلان بن حميد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. (هامش المطبوع)

٨. في التفسير الفرات بهذا الإسناد: «جعفر بن محمّد الفزاري معنعناً، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٩. التكوير/٢٩.

١٧٧٨. تفسير القمّيّ[١]: جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، عَنِ ابْنِ الْبَطَائِنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] قَالَ: لِأَنَّ الْمَشِيَّةَ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا إِلَى النَّاسِ.

بيان:

لعلّ المراد أنّ المشيّة إنّما هي ممّا خلقها اللّه في العبد وجعله شائياً فلا يشاؤون إلّا بعد أن جعلهم اللّه بحيث يقدرون على المشيّة، أو أنّ المشيّة المستقلّة التي لا يعارضها شيء إنّما هي للّه تعالى، وأمّا مشيّة العباد فهي مشوبة[٣] بالعجز يمكن أن يصرفهم اللّه تعالى عنها إذا شاء، فهم لا يشاؤون إلّا بعد أن يهيّئ اللّه لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيّتهم، فالمعنى أنّ المشيّة المستقلّة إليه تعالى، أو أنّ أسباب المشيّة ونفوذها بقدرته تعالى.

وفي الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق، وحاصله أنّ اللّه تعالى بعد أن أكمل أوليائه وحججه عليهم السلام لا يشاؤون شيئاً إلّا بعد أن يلهمهم اللّه تعالى ويلقي المشيّة في قلوبهم، فهو المتصرّف في قلوبهم وأبدانهم والمسدّد لهم في جميع أحوالهم، فالآية خاصّة غير عامّةٍ.

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: فيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه: وما تشاؤون الاستقامة إلّا أن يشاء اللّه ذلك من قبل حيث خلقكم لها وكلّفكم بها، فمشيّته تعالى بين يدي مشيّتكم.

وثانيها: أنّه خطاب للكفّار والمراد: لا تشاؤون الإسلام إلّا أن يشاء اللّه أن يجبركم عليه ويلجئكم إليه، ولكنّه لا يفعل لأنّه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقّوا الثواب.

وثالثها: أنّ المراد: وما تشاؤون إلّا أن يشاء اللّه أن يلطف لكم في الاستقامة[٤][٥].

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٥، ح ٤؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٥٩٦، ح ١١٤٢٩.

٢. التكوير/٢٩.

٣. الشَّوْب: الخَلْط، راجع لسان العرب.

٤. قال الشيخ في التبيان [ج ١٠، ص ٢٢١]: أي وليس تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته وبما يرضاه ويوصلكم إلى ثوابه إلا واللّه يشاؤه ويريده، لأنه يريد من عباده أن يطيعوه، وليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات، لأن الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح ولا المباح، لأن ذلك صفة نقص وتعالى اللّه عن ذلك، وقد قال اللّه تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ والمعصية والكفر من أعظم العسر، فكيف يكون اللّه تعالى شائياً له؟ وهل ذلك إلّا تناقض ظاهر؟ انتهى.

أقول: النظر في الآية وسابقتها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (الإنسان/٢٩) ولاحقتها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ

←

١٧٧٩. تفسير القمّيّ[٦]: قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: وَأَمَّا الرَّدُّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فَإِنَّ الرَّدَّ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ، وذٰلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ قَالُوا: نَحْنُ نَخْلُقُ أَفْعَالَنَا، ولَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا صُنْعٌ وَلَا مَشِيَّةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، ويَكُونُ مَا شَاءَ إِبْلِيسُ، وَلَا يَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَاحْتَجُّوا أَنَّهُمْ خَالِقُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٧] فَقَالُوا: فِي الْخَلْقِ خَالِقُونَ غَيْرَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَى الْخَلْقِ وَعَلَى كَمْ وَجْهٍ هُوَ، فَسُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام: أَ فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ أَمْراً؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. فَقِيلَ: فَأَجْبَرَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى فِعْلٍ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

١٧٨٠. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ[٨] قَالَ: سُئِلَ هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ عليه السلام: نَعَمْ. فَقِيلَ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ.

١٧٨١. قَالَ[٩]: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام[١٠]: يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[١١]، وَلَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[١٢]، وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى﴾[١٣].

← اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الإنسان/ ٣٠ و ٣١) يعطي المراد ويفيد المغزى، وهو أن اللَّه تعالى أثبت لهم المشيئة وأثبت أن وقوع مشاهم إنما يكون في صورة مشيئته، فلو كان أراد ذلك حقيقة لم يكن لاستناد الظلم إليهم معنى، لأنهم كانوا فيما ظلموا كارهين غير مختارين، بل كان استناد ذلك إليه تعالى أقوى وأولى، كما أن الآيات أيضا لم تكن لهم تذكرة في مشيئتهم اتّخاذ السبيل، بل لم يكن لنسبة الحكمة إلى ذاته أيضاً معنى محصل، لأن فعل القبائح والظلم وإجبار العبد عليهما والعقاب بهما مع ذلك ينافي الحكمة، فالظاهر غير مراد، بل المراد بيان أن لتوفيقه وتأييده أيضا دخلا في أفعالهم، بحيث لو تركهم وأنفسهم ولم يؤيّدهم ويسدّدهم لكانت أنفسهم تدخلونهم مداخل السوء وتخرجونهم عن الصراط السوي والطريق المعروف. (هامش المطبوع)

٥. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٦٧٨.

٦. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٩٠.

٧. المؤمنون/ ١٤.

٨. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٩٠.

٩. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٧، ح ٤؛ مختصر البصائر، ص ٣٧٩، ح ٤٣٨؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

١٠. في الكافي والمختصر بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام».

١١. الأعراف/ ٤٣.

١٢. المؤمنون/ ١٠٦.

١٣. الحجر/ ٣٩.

فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ وَلَكِنِّي أَقُولُ: لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَقَضَى وَقَدَّرَ[١]، فَقَالَ: لَيْسَ هٰكَذَا يَا يُونُسُ وَلٰكِنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، أَ تَدْرِي مَا الْمَشِيَّةُ يَا يُونُسُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هُوَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ؛ وَتَدْرِي مَا الْإِرَادَةُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا شَاءَ؛ وَتَدْرِي مَا التَّقْدِيرُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هُوَ وَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ؛ وَتَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: هُوَ إِقَامَةُ الْعَيْنِ[٢]، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ.

بيان:

الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول: إنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدرة اللّه وبقدره، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة، كما ذهب إليه بعض المعتزلة. لا يقول بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه، والفرق بين كلامه عليه السلام وكلام يونس إنّما هو في الترتيب، فإنّ في كلامه عليه السلام التقدير مقدّم على القضاء كما هو الواقع، وفي كلام يونس بالعكس، و«الذكر» هو الكتابة مجملاً في لوح المحو والإثبات، أو العلم القديم.

١٧٨٢. ثواب الأعمال[٣]: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الْبَصْرِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْقَدَرِيَّةِ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوّاً وَعَشِيّاً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ عُذِّبُوا مَعَ أَهْلِ النَّارِ بِأَلْوَانِ[٤] الْعَذَابِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا عَذَّبْتَنَا خَاصَّةً وَتُعَذِّبُنَا عَامَّةً، فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٥].

بيان:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: أي خلقنا كلّ شيء خلقناه مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق، وكذلك كلّ شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدّراً بمقدار

---

١. في الكافي: «إلا بما شاء اللّه وأراد وقدّر وقضى».

٢. في الكافي: «قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين». أقول: إقامة العين أي إقامته في الأعيان والوجود الخارجي وهو في أفعاله بمعنى الخلق والإيجاد على وفق الحكمة، وفي أفعالنا ترتب الثواب والعقاب عليها على وجه الجزاء. (هامش المطبوع)

٣. ثواب الأعمال، ص ٢١٢؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٣، ح ٣٨٦.

٤. في المختصر: «بأنواع».

٥. القمر/٤٨ و ٤٩.

معلوم. وقيل: معناه خلقنا كلّ شيء على قدر معلوم، فخلقنا اللسان للكلام، واليد للبطش[١]، والرجل للمشي، والعين للنظر، والأُذن للسماع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص عمّا قدّرناه لما تمّ الغرض؛ وقيل: معناه: جعلنا لكلّ شيء شكلاً يوافقه ويصلح له، كالمرأة للرجل، والأتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء؛ وقيل: خلقنا كلّ شيء بقدر مقدّر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ[٢].

١٧٨٣. ثواب الأعمال[٣]: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ[٤]: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ[٥].

١٧٨٤. ثواب الأعمال[٦]: الْعَطَّارُ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْأَهْوَازِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: يُحْشَرُ الْمُكَذِّبُونَ بِقَدَرِ اللَّهِ مِنْ قُبُورِهِمْ قَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

١٧٨٥. ثواب الأعمال[٧]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ زُرَارَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٨] قَالَ: نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ فِي الْقَدَرِيَّةِ ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٩].

١٧٨٦. تفسير العيّاشيّ[١٠]: عَنْ زُرَارَةَ وَحُمْرَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[١١] قَالَ عليه السلام: قَدَّرَهُ الَّذِي قَدَّرَهُ عَلَيْهِ.

١٧٨٧. وَفِي رِوَايَةٍ[١٢] أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مَعَهُ، حَيْثُ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ حَتَّى يُعْطَى كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عَمِلَ.

---

١. البطش: الأخذ، القوي الشديد، راجع لسان العرب.

٢. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٩٤.

٣. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٢١٢؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٩١، ح ٢٣؛ كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ١٢٥.

٤. في الكنز: «في الآخرة نصيب».

٥. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٦٤٧.

٦. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٢١٢؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٤، ح ٣٨٩.

٧. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٢١٢؛ وفي تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٢، بمضمونه؛ وفي جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨. في تفسير القمي بهذا الإسناد: «محمد بن أبي عبد اللّه، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٩. القمر/٤٨ و ٤٩.

١٠. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٤، ح ٣٢؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥١٣، ح ٦٢٨٥.

١١. الإسراء/١٣.

١٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٨٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥١٤، ح ٦٢٨٦.

بيان:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: معناه وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه، أي جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه. وقيل: طائره يُمنه وشؤمه وهو ما يتطيّر به؛ وقيل: طائره حظّه من الخير والشرّ، وخصّ العنق لأنّه محلّ الطوق الذي يزيّن المحسن، والغلّ الذي يشين المسيء؛ وقيل: طائره كتابه؛ وقيل: معناه: جعلنا لكلّ إنسان دليلاً من نفسه لأنّ الطائر يستدلّ به عندهم على الأُمور الكائنة، فيكون معناه: كلّ إنسان دليل نفسه وشاهد عليها، إن كان محسناً فطائره ميمون، وإن أساء فطائره مشوم[١].

١٧٨٨. ثواب الأعمال[٢]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ النَّخَعِيِّ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» قَالَ: يُجَاءُ بِأَصْحَابِ الْبِدَعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَرَى الْقَدَرِيَّةَ مِنْ بَيْنِهِمْ، كَالشَّامَةِ[٣] الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا أَرَدْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَرَدْنَا وَجْهَكَ، فَيَقُولُ: قَدْ أَقَلْتُكُمْ عَثَرَاتِكُمْ[٤] وَغَفَرْتُ لَكُمْ زَلَّاتِكُمْ إِلَّا الْقَدَرِيَّةَ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الشِّرْكِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

بيان:

المراد بأصحاب البدع من لم ينته به بدعته إلى الكفر فضلّوا من حيث لا يعلمون.

١٧٨٩. ثواب الأعمال[٥]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٦] قَالَ: لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ[٧].

١٧٩٠. ثواب الأعمال[٨]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: دَخَلَ مُجَاهِدٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْقَدَرِ؟ ـ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ـ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَعَكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟ قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أَسْتَتِيبُهُمْ فَإِنْ تَابُوا، وَإِلَّا ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ.

---

١. مجمع البيان، ج ٦، ص ٦٢٢.

٢. ثواب الأعمال، ص ٢١٣؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٥، ح ٣٩١.

٣. الشامة: علامة مخالفة لسائر اللون، راجع لسان العرب.

٤. أقال اللّه عثرتك: صفح عنك، راجع تاج العروس.

٥. ثواب الأعمال، ص ٢١٣؛ تفسير القمي، ج ١، ص ١٩٨؛ وفي كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ١٢٣، صدر رواية.

٦. في تفسير القمي بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد، عن جعفر بن عبد اللّه، عن كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام»، وفي الكنز بهذا الإسناد: «هبة اللّه بن إبراهيم، عن أحمد بن مروان، عن عباس بن محمد، عن عثمان بن زفر، عن أبي معشر، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٧. في المصدر: «الذين يقولون بالقدر»، وفي تفسير القمي: «الذين يقولون لا قدر ويزعمون أن المشيئة والقدرة إليهم ولهم»، وفي الكنز: «مجوس هذه الأُمة القدرية».

٨. ثواب الأعمال، ص ٢١٣؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ مختصر البصائر، ص ٣٥٥، ح ٣٩٢.

١٧٩١. ثواب الأعمال[١]: بِالْإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ شُجَاعٍ، عَنْ سَالِمٍ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»: مَا غَلَا أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ[٢] إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ[٣].

١٧٩٢. ثواب الأعمال[٤]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَاصِمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٥] قَالَ: مَا اللَّيْلُ بِاللَّيْلِ وَلَا النَّهَارُ بِالنَّهَارِ أَشْبَهَ مِنَ الْمُرْجِئَةِ بِالْيَهُودِيَّةِ، وَلَا مِنَ الْقَدَرِيَّةِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ.

١٧٩٣. بصائر الدرجات[٦]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَقَالَ: هُمَا خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ[٨]، وَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ فِي الْمَشِيَّةِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ عليه السلام: يَا جَمِيلُ لَا أُجِيبُكَ فِي الْمَشِيَّةِ.

١٧٩٤. المحاسن[٩]: أَبِي، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[١٠] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[١١] فَقَالَ: كَانَ شَيْئاً وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوراً. قُلْتُ: فَقَوْلُهُ: ﴿أَ وَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[١٢] قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَيْئاً فِي كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ[١٣].

بيان:

«ولا علم» أي علم أحد من المخلوقين، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد. قوله عليه السلام: «كان شيئاً» أي مقدّراً، كما روى الكلينيّ عن مالك الجهنيّ مكان «شيئاً» مقدّراً. «غير مذكور» أي عند الخلق أي

---

١. ثواب الأعمال، ص ٢١٣؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٥٠.

٢. في المصدر: «ما خلا أحد من القدرية».

٣. في نسخة: الإسلام. (هامش المطبوع)

٤. ثواب الأعمال، ص ٢١٣؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٥٠.

٥. في المصدر: «...يحيى بن سالم، عن محمد بن سلمة، عن أبي جعفر عليه السلام».

٦. بصائر الدرجات، ص ٢٤٠، ح ١٧؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٤٥، ح ٢٤٠؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ١٦٠، ح ٧٨.

٧. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام وعبيد، عن حمران، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٨. إلى هنا تمّت الرواية في المحاسن.

٩. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٣، ح ٢٣٤؛ وفي الكافي، ج ١، باب البداء، ص ١٤٧، ح ٥، مع اختلاف العبارة؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٧٢٦، ح ٦٩٢١.

١٠. في الكافي بهذا الإسناد: «أحمد بن مهران، عن عبد العظيم الحسني، عن علي بن أسباط، عن خلف بن حماد، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١١. الإنسان/١.

١٢. في المصحف الشريف: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ...﴾ (مريم/٦٧).

١٣. في الكافي: «﴿لَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ قال: فقال عليه السلام: لا مقدرا ولا مكوّناً».

غير موجود ليذكر عند الخلق، أو كان مقدّراً في اللوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق.

١٧٩٥. المحاسن[١]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَّرَهُ، فَإِذَا قَدَّرَهُ قَضَاهُ، فَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ[٣].

١٧٩٦. المحاسن[٤]: أَبِي، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٥]: لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهٰذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعَةِ: بِمَشِيَّةٍ، وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ، وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ، وَكِتَابٍ، وَأَجَلٍ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُقَدِّرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ كَفَرَ[٦].

١٧٩٧. المحاسن[٧]: النَّضْرُ، عَنْ هِشَامٍ وَعُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ، عَنْ حُمْرَانَ[٨]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:[٩] كُنْتُ أَنَا وَالطَّيَّارُ جَالِسَيْنِ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَأَفْرَجْنَا لَهُ فَجَلَسَ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّيَّارِ، فَقَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ فَقُلْنَا: كُنَّا فِي الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: شَاءَ لَهُمُ الْكُفْرَ وَأَرَادَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَأَحَبَّ ذٰلِكَ وَرَضِيَهُ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: شَاءَ وَأَرَادَ مَا لَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ؟ قَالَ: هٰكَذَا خَرَجَ إِلَيْنَا.

١٧٩٨. المحاسن[١٠]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْمَشِيَّةُ مُحْدَثَةٌ.

١٧٩٩. المحاسن[١١]: أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام[١٢] قَالَ: قُلْتُ: لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٣، ح ٢٣٥؛ وفي الأُصول الستة عشر، ص ٢٨٩، ح ٤٢٤.

٢. في الأُصول بهذا الإسناد: «درست بن أبي المنصور، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. في الأُصول مع زيادة: «فإذا أمضاه فلا مردّ له».

٤. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٤، ح ٢٣٦؛ الكافي، ج ١، باب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة، ص ١٤٩، ح ١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٥٥.

٥. في المصدر والكافي والروضة: «... عن حريز بن عبد اللّه وعبد اللّه بن مسكان قالا: قال أبو جعفر عليه السلام».

٦. في الكافي: «على نقض واحدةٍ فقد كفر».

٧. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٥، ح ٢٣٩؛ وفي الأُصول الستة عشر، ص ٢٨٦، ح ٤١٧، مع زيادة في صدره؛ وفي الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥٠، ح ٢، بمضمونه.

٨. في الأُصول بهذا الإسناد: «درست بن أبي منصور، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٩. الظاهر أنّ ضمير «قال» يرجع إلى حمران، وأن لفظة «عن أبي عبد اللّه عليه السلام» زائدة من النساخ. (هامش المطبوع)، كما يستظهر من الأُصول الستة عشر.

١٠. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٥، ح ٢٤١؛ الكافي، ج ١، باب الإرادة أنها من صفات الفعل، ص ١١٠، ح ٧؛ التوحيد (للصدوق)، ص ١٤٧، ح ١٨.

١١. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٤، ح ٢٣٧؛ الكافي، ج ١، باب المشيئة والإرادة، ص ١٥٠، ح ١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٥٩.

وَقَضَى[١٣] قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى شَاءَ؟ قَالَ: ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ. قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى أَرَادَ؟ قَالَ: الثُّبُوتُ عَلَيْهِ[١٤]. قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَدَّرَ؟ قَالَ: تَقْدِيرُ الشَّيْءِ مِنْ طُولِهِ وَعَرْضِهِ. قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَضَى؟ قَالَ: إِذَا قَضَى أَمْضَاهُ فَذٰلِكَ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ.

بيان:

«ابتداء الفعل» أي أوّل الكتابة في اللوح، أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه ممّا يؤدّي إلى وجود المعلول.

١٨٠٠. المحاسن[١٥]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام[١٦] لِيُونُسَ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ: يَا يُونُسُ لَا تَتَكَلَّمْ بِالْقَدَرِ، قَالَ: إِنِّي لَا أَتَكَلَّمُ بِالْقَدَرِ وَلٰكِنْ أَقُولُ: لَا يَكُونُ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ وَشَاءَ وَقَضَى وَقَدَّرَ، فَقَالَ عليه السلام: لَيْسَ هٰكَذَا أَقُولُ، وَلٰكِنْ أَقُولُ: لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى؛ ثُمَّ قَالَ: أَ تَدْرِي مَا الْمَشِيَّةُ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: هَمُّهُ بِالشَّيْءِ. أَ وَتَدْرِي مَا أَرَادَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِتْمَامُهُ عَلَى الْمَشِيَّةِ؛ فَقَالَ: أَ وَتَدْرِي مَا قَدَّرَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: هُوَ الْهَنْدَسَةُ مِنَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْبَقَاءِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ إِذَا شَاءَ شَيْئاً أَرَادَهُ، وَإِذَا أَرَادَ قَدَّرَهُ، وَإِذَا قَدَّرَهُ قَضَاهُ، وَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ. يَا يُونُسُ إِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[١٧]، وَلَا قَالُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[١٨]، وَلَا قَالُوا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾[١٩]، وَلَا قَالُوا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى﴾[٢٠]، وَلَا قَالُوا بِقَوْلِ نُوحٍ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢١].

---

١٢. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن محمد بن عبد اللّه، عن البرقي، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام».

١٣. في المصدر: «قلت: لا يكون إلا ما شاء اللّه وأراد وقضى، فقال عليه السلام: لا يكون إلا ما شاء اللّه وأراد وقدّر وقضى».

١٤. لم يرد في الكافي والروضة: «قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه».

١٥. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٤، ح ٢٣٨؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٧، ح ٤؛ مختصر البصائر، ص ٣٧٩، ح ٤٣٨؛ وفي الأخيرين مع اختلاف العبارات.

١٦. في الكافي والمختصر بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام».

١٧. الإنسان/٣٠

١٨. الأعراف/٤٣.

١٩. المؤمنون/١٠٦.

٢٠. الحجر/٣٩.

٢١. هود/٣٤.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيَّتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَجَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً، فَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنِّي، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذٰلِكَ أَنِّي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ نَظَمْتُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ.

١٨٠١. فقه الرضا عليه السلام[١]: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» عَنِ الْقَدَرِ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَنْبِئْنَا عَنِ الْقَدَرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفَتِّشُوهُ. فَقِيلَ لَهُ الثَّانِيَ: أَنْبِئْنَا عَنِ الْقَدَرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْحَقُوهُ[٢]. فَقِيلَ لَهُ: أَنْبِئْنَا عَنِ الْقَدَرِ[٣]، فَقَالَ: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾[٤][٥] فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي بِهَا نَقُومُ وَنَقْعُدُ، فَقَالَ: اسْتِطَاعَةً تَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ أَمْ دُونَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَسَكَتَ الْقَوْمُ وَلَمْ يُحِرُوا[٦] جَوَاباً، فَقَالَ عليه السلام: إِنْ قُلْتُمْ: إِنَّكُمْ تَمْلِكُونَهَا مَعَ اللَّهِ قَتَلْتُكُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: دُونَ اللَّهِ قَتَلْتُكُمْ! فَقَالُوا: كَيْفَ نَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: تَمْلِكُونَهَا بِالَّذِي يَمْلِكُهَا دُونَكُمْ فَإِنْ أَمَدَّكُمْ بِهَا كَانَ ذٰلِكَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ سَلَبَهَا كَانَ ذٰلِكَ مِنْ بَلَائِهِ، إِنَّمَا هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَكُمْ، وَالْقَادِرُ لِمَا عَلَيْهِ أَقْدَرَكُمْ، أَ مَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ الْعِبَادُ وَيَسْأَلُونَهُ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ حَيْثُ يَقُولُونَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَسُئِلَ عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ عليه السلام: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِعَوْنِهِ.

١٨٠٢. قَالَ الْعَالِمُ[٧]: كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا» يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: فَاتَّبِعْ مَا شَرَحْتُ لَكَ فِي الْقَدَرِ مِمَّا أُفْضِيَ إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ حَمَلَ الْمَعَاصِيَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ افْتِرَاءً عَظِيماً، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُطَاعُ بِإِكْرَاهٍ، وَلَا يُعْصَى بِغَلَبَةٍ، وَلَا يُهْمِلُ الْعِبَادَ فِي الْهَلَكَةِ، لٰكِنَّهُ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُمْ، وَالْقَادِرُ لِمَا عَلَيْهِ أَقْدَرَهُمْ، فَإِنِ

---

١. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٠٨.

٢. في نسخة: فلا تلجوه. (هامش المطبوع) وكذا في هامش الطبعة الحجريّة.

٣. في المصدر: «فقيل له الثالث: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: طريق معوج فلا تسلكوه، ثم قيل له الرابعة: أنبئنا عن القدر».

٤. فاطر/٢.

٥. الآية تدل على سبق وجود الرحمة على إيتائها وإفاضتها فإن الفتح نوع كشف وإظهار يحتاج إلى وجود المكشوف عنه وسبقه على الكشف فتدل على تقدم الرحمة الإلهية على أعمال العباد التي تفتح لهم الرحمة فيها وبها، وحينئذ يعود مضمون الكلام إلى ما تقدم في الخبر الذي عن أمير المؤمنين عليه السلام فراجع. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٦. لم يُحِر جواباً: لم يرجع ولم يرُدّ، راجع لسان العرب. (مادة حور)

٧. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٠٨؛ وقد تمت الرواية فيه بهذه العبارة: «وجعل العذر لمن لم يجعل له السبب جهداً متقبلاً»؛ تحف العقول، ص ٢٣١؛ كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٦٥؛ وفي الأخيرين مكاتبة الحسن البصري إلى الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام، مع اختلاف العبارات.

ائْتَمَرُوا[١] بِالطَّاعَةِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ صَادّاً[٢] عَنْهَا مُبْطِئاً، وَإِنِ ائْتَمَرُوا بِالْمَعْصِيَةِ فَشَاءَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ فَيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا ائْتَمَرُوا بِهِ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ هُوَ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا قَسْراً[٣]، وَلَا كَلَّفَهُمْ جَبْراً، بَلْ بِتَمْكِينِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ إِعْذَارِهِ وَإِنْذَارِهِ لَهُمْ وَاحْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ طَوَّقَهُمْ[٤] وَمَكَّنَهُمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى أَخْذِ مَا إِلَيْهِ دَعَاهُمْ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ نَهَاهُمْ، جَعَلَهُمْ مُسْتَطِيعِينَ لِأَخْذِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ آخِذِيهِ، وَلِتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ تَارِكِيهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ عِبَادَهُ أَقْوِيَاءَ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، يَنَالُونَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَجَعَلَ الْعُذْرَ لِمَنْ يَجْعَلُ لَهُ السَّبِيلَ حَمْداً مُتَقَبَّلاً، فَأَنَا عَلَى ذٰلِكَ أَذْهَبُ وَبِهِ أَقُولُ، وَاللَّهِ وَأَنَا وَأَصْحَابِي أَيْضاً عَلَيْهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ.

١٨٠٣. فقه الرضا عليه السلام[٥]: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» عَنْ مَشِيَّةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ مَشِيَّتَيْنِ: مَشِيَّةَ حَتْمٍ، وَمَشِيَّةَ عَزْمٍ، وَكَذٰلِكَ إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ: إِرَادَةَ حَتْمٍ، وَإِرَادَةَ عَزْمٍ، إِرَادَةُ حَتْمٍ لَا تُخْطِئُ، وَإِرَادَةُ عَزْمٍ تُخْطِئُ وَتُصِيبُ، وَلَهُ مَشِيَّتَانِ: مَشِيَّةٌ يَشَاءُ، وَمَشِيَّةٌ لَا يَشَاءُ؛ يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ، وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشَاءُ، مَعْنَاهُ أَرَادَ مِنَ الْعِبَادِ وَشَاءَ[٦] وَلَمْ يُرِدِ الْمَعْصِيَةَ وَشَاءَ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَالْأُمُورُ تَجْرِي مَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا أَخْطَأَ الْقَضَاءُ لَمْ يُخْطِئِ الْقَدَرُ، وَإِذَا لَمْ يَخُطَّ الْقَدَرُ لَمْ يَخُطَّ الْقَضَاءُ، وَإِنَّمَا الْخَلْقُ مِنَ الْقَضَاءِ إِلَى الْقَدَرِ وَإِذَا يُخْطِئُ وَمِنَ الْقَدَرِ إِلَى الْقَضَاءِ؛ وَالْقَضَاءُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ النَّاطِقِ عَلَى لِسَانِ سَفِيرِهِ الصَّادِقِ صلى الله عليه وآله: مِنْهَا: قَضَاءُ الْخَلْقِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٧] مَعْنَاهُ خَلَقَهُنَّ.

وَالثَّانِي: قَضَاءُ الْحُكْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[٨] مَعْنَاهُ حُكِمَ.

وَالثَّالِثُ: قَضَاءُ الْأَمْرِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٩] مَعْنَاهُ أَمَرَ رَبُّكَ.

وَالرَّابِعُ: قَضَاءُ الْعِلْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[١٠] مَعْنَاهُ عَلِمْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمَعْصِيَةَ وَمَا أَرَادَ وَشَاءَ الطَّاعَةَ وَأَرَادَ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الْمَشِيَّةَ مَشِيَّةُ

---

١. ائتمر بالشيء: همّ به، راجع المصباح المنير.

٢. صدّه عن الأمر: منعه وصرفه عنه، راجع لسان العرب.

٣. القَسْر: القهر والغلبة، راجع لسان العرب.

٤. الطوق: القدرة على الشيء، وطوّقني اللّه أداء حقّك أي قوّاني، راجع لسان العرب.

٥. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤١٠.

٦. في المصدر: «أراد العبادة وشاء».

٧. فصّلت/١٢.

٨. الزمر/٦٩.

٩. الإسراء/٢٣.

١٠. الإسراء/٤.

الْأَمْرِ وَمَشِيَّةُ الْعِلْمِ، وَإِرَادَتَهُ إِرَادَةُ الرِّضَا وَإِرَادَةُ الْأَمْرِ، أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَرَضِيَ بِهَا، وَشَاءَ الْمَعْصِيَةَ يَعْنِي عَلِمَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَعْصِيَةَ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهَا، فَهٰذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي عِبَادِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ[١].

أقول:

كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه.

قوله عليه السلام: «إذا أخطأ القضاء» يمكن أن يقرأ بغير همز: والمعنى إذا جاوز أمر من الأُمور التي شرع في تهيئة أسباب وجوده القضاء ولم يصرّ مقضيّاً فلا يتجاوز عن القدر، ولا محالة يدخل في التقدير، وإنّما يكون البداء بعد التقدير. وإذا لم يخُطّ من المضاعف بمعنى الكتابة أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر. وإنّما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعودي يتجاوز من القضاء إلى القدر، والتخطّي والبداء إنّما يكون بعد القدر قبل القضاء، والأظهر أنّه كان «وإذا أخطأ القدر» مكان «وإذا لم يخطّ القدر» ويكون من الخطأ لا من الخطّ، فالمعنى أنّ كلّ ما يوجد من الأُمور إمّا موافق للوح القضاء، أو للوح القدر على سبيل منع الخلوّ، فإذا وقع البداء في أمر ولم يقع على ما أثبت في القدر يكون موافقاً للقضاء، ولعلّ ظاهر هذا الخبر تقدّم القضاء على القدر؛ ويحتمل أن يكون القضاء في الأُولى بمعنى الأمر، وفي الثانية بمعنى الحتم، فيستقيم ما في الرواية من النفي.

١٨٠٤. نهج البلاغة[٢]**: قَالَ** عليه السلام **: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ**[٣] **حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ**[٤].

بيان:

«المقدار»: القدر.

١٨٠٥. تفسير العيّاشيّ[٥]**: عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ** عليه السلام[٦] **قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِغَيْرِ مَشِيَّتِهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ عُمِلَتْ بِغَيْرِ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ.**

---

١. في المصدر مع زيادة: «وأنا وأصحابي أيضاً عليه وله الحمد والرضا».

٢. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٥٦، ح ٤٥٩؛ تحف العقول، ص ٢٢٣؛ تصنيف غرر الحكم، ص ١٠٣، ح ١٨٠٩.

٣. التقدير: التروية والتكفير في تسوية أمر وتهيئته، راجع لسان العرب.

٤. في التحف: «تذل الأُمور للمقدور حتى تصير الآفة في التدبير»، وفي تصنيف الغرر: «حتى يكون الحتف على التدبير».

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١١، ح ١٤؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٨، ح ٦؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٩، ح ٢.

٦. في الكافي والتوحيد بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حفص بن قرط، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله».

تتميم:

قال العلاّمة «رحمه اللّه» في شرحه على التجريد: يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال اللّه تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[١] أي خلقهنّ وأتمّهنّ، وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾[٢] أي أوجب وألزم، وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾[٣] أي أعلمناهم وأخبرناهم. ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى: ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾[٤] والكتابة كقول الشاعر:

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ... في الصحف الأُولى التي كان سطر

والبيان كقوله تعالى: ﴿**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[٥] أي بيّنّا وأخبرنا بذلك. إذا ظهر هذا فنقول للأشعري: ما تعني بقولك: إنّه تعالى قضى أعمال العباد وقدّرها؟ إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيّنا بطلانه، وأنّ الأفعال مستندة إلينا، وإن عني به الإلزام لم يصحّ إلّا في الواجب خاصّة، وإن عني به أنّه تعالى بيّنها وكتبها وعلم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح، لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ وبيّنه لملائكته، وهذا المعنى الأخير هو المتعيّن للإجماع على وجوب الرضا بقضاء اللّه تعالى وقدره، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح، ولا ينفعهم الاعتذار بوجوب الرضا به من حيث إنّه فعله، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب أوّلاً؛ وثانياً نقول: إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب، وهو خلاف قولكم، وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر[٦]. انتهى.

وقال شارح المواقف: اعلم أنّ قضاء اللّه عند الأشاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلّقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره إيجاده إيّاها على وجه مخصوص وتقدير معيّن في ذواتها وأحوالها، وأمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام، وهو المسمّى عندهم بالعناية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن

---

١. فصّلت/١٢.

٢. الإسراء/٢٣.

٣. الإسراء/٤.

٤. فصّلت/١٠.

٥. النمل/٥٧.

٦. كشف المراد، ص ٣١٥.

الوجوه وأكملها، والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينيّ بأسبابها على الوجه الذي تقرّر في القضاء، والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختياريّة الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم، بل إلى اختيار العباد، وقدرتهم[١]. انتهى.

وقال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» في كتاب الغرر والدرر: إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[٢] فظاهر هذا الكلام يدلّ على أنّ الإيمان إنّما كان لهم فعله بإذنه وأمره وليس هذا مذهبكم، فإن حمل الإذن هاهنا على الإرادة اقتضى أنّ من لم يقع منه الإيمان لم يرد اللّه تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم، ثمّ جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلّفاً، فكيف يستحقّ العذاب؟ وهذا بالضدّ من **الْخَبَرِ الْمَرْوِيّ عَنِ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله **أَنَّهُ قَالَ: أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ.**

الجواب يقال له: في قوله: ﴿**إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ وجوه:

منها: أن يكون «الإذن»: الأمر، ويكون معنى الكلام أنّ الإيمان لا يقع من أحد إلّا بعد أن يأذن اللّه فيه ويأمر به، ولا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لا يكون للفاعل فعله إلّا بإذنه، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٣] ومعلوم أنّ معنى قوله: ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

ومنها: أن يكون «الإذن»: هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا شبهة في أنّ اللّه تعالى يوفّق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه.

ومنها: أن يكون «الإذن»: العلم، من قولهم: أنت أذنت لكذا وكذا: إذا سمعته وعلمته، وأذنت فلاناً بكذا وكذا: إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنّه ممّا لا تخفى عليه الخفيّات، وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن بكسر الألف وتسكين الذال عبارة عن العلم، وزعم أنّ الذي هو العلم الأذن بالتحريك استشهد بقول الشاعر: إنّ همّي في سماع وأذن. وليس الأمر على ما توهّمه هذا المتوهّم، لأنّ الإذن هو المصدر والأذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنّه مصدر، والحذر بالتسكين الاسم؛ على أنّه لو لم يكن مسموعاً إلّا الأذن بالتحريك لجاز التسكين، مثل: مثل ومَثَل، وشبه وشبَه، ونظائر ذلك كثيرة.

---

١. شرح المواقف، ج ٨، ص ١٨٠.

٢. يونس/١٠٠.

٣. آل عمران/١٤٥.

ومنها: أن يكون «الإذن»: العلم، ومعناه إعلام اللّه المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية: وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإعلام اللّه تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها إلى فعله، فأمّا ظنّ السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل، لأنّ الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهّمه لأنّه إذا قال: إنّ الإيمان لم يقع إلّا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع، وليس في صريح الكلام ولا في دلالته شيء من ذلك[١].

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلم يعن به الناقصي العقول، وإنّما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والاعتراف بنبوّة رسله عليهم السلام، والانقياد إلى طاعتهم، ووصفهم بأنّهم لا يعقلون تشبيهاً، كما قال اللّه تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[٢] وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأُمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل. فأمّا الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه: إنّه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنّما أراد البله عن الشرّ والقبيح وسمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لا من حيث فقد العلم به، ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر[٣].[٤]

ثمّ قال «رحمه اللّه»: إن سأل سائل عن قوله تعالى ـ حاكياً عن شعيب عليه السلام ـ: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾[٥] فقال: أليس هذا تصريحاً منه بأنّ اللّه تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح؟ لأنّ ملّة قومه كانت كفراً وضلالاً، وقد أخبر أنّه لا يعود فيها إلّا أن يشاء اللّه.

---

١. قال الشيخ «قدّس سرّه»[في التبيان، ج ٥، ص ٤٣٦]: ومعنى قوله: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللّه» أنه لا يمكن أحد أن يؤمن إلا بإطلاق اللّه له في الإيمان وتمكينه منه ودعاؤه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك. وقال الحسن وأبو علي الجبائي: إذنه هاهنا: أمره وحقيقة إطلاقه في الفعل بالأمر، وقد يكون الإذن بالإطلاق في الفعل برفع التبعية. وقيل: معناه: وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم اللّه، وأصل الإذن الإطلاق في الفعل، فأما الإقدار على الفعل فلا يسمى إذنا فيه، لأن النهي ينافي الإطلاق. انتهى. (هامش المطبوع)

٢. البقرة/١٨.

٣. في المصدر: «فإن الأبله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد إليه فإذا كان المتنزّه عن الشرّ معرضا عنه هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها، ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر:

ولقد لهوت بطفلة ميّادة ... بلهاء تطلعني على أسرارها

أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة».

٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٤٠.

٥. الأعراف/٨٩.

الجواب قيل له: في هذه الآية وجوه:

أوّلها: أن تكون الملّة التي عناها اللّه تعالى إنّما هي العبادات الشرعيّات التي كانت قوم شعيب عليه السلام متمسّكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في اللّه وصفاته... .

وثانيها: أنّه أراد أنّ ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيّة اللّه تعالى، لما كان معلوماً أنّه لا يشاؤه، وكلّ أمر علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه، وتجري الآية مجرى قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾[1].

وثالثها: ما ذكره قطرب من أنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً وأنّ الاستثناء من الكفّار وقع لا من شعيب عليه السلام فكأنّه تعالى قال ـ حاكياً عن الكفّار ـ: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا**﴾[2] إلّا أن يشاء اللّه أن تعود في ملّتنا، ثمّ قال ـ حاكياً عن شعيب ـ: ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا**﴾ على كلّ حال.

ورابعها: أن تعود «الهاء» التي في قوله تعالى: ﴿**فِيهَا**﴾ إلى القرية لا إلى الملّة، لأنّ ذكر القرية قد تقدّم كما تقدّم ذكر الملّة، ويكون تلخيص الكلام: أنّا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلّا أن يشاء اللّه بما ينجّزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها.

وخامسها: أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء اللّه أن يردّكم إلى الحقّ فنكون جميعاً على ملّة واحدة غير مختلفة، لأنّه لمّا قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾[3] كان معناه أو لتكوننّ على ملّة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد: إلّا أن يشاء اللّه أن يجمعكم معنا على ملّة واحدة.

فإن قيل: الاستثناء بالمشيّة إنّما كان بعد قوله: ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا**﴾ فكأنّه قال: ليس نعود فيها إلّا أن يشاء اللّه، فكيف يصحّ هذا الجواب؟ قلنا: هو كذلك إلّا أنّه لمّا كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملّتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول: إلّا أن يشاء اللّه أن نتّفق في الملّة بأن ترجعوا أنتم إلى الحقّ.

فإن قيل: وكان اللّه ما شاء أن ترجع الكفّار إلى الحقّ؟ قلنا: بلى قد شاء ذلك إلّا أنّه ما شاء على كلّ حال، بل من وجه دون وجه، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحقّ مختارين ليستحقّوا الثواب الذي أجرى بالتكليف إليه، ولو شاءه على كلّ حال لما جاز أن لا يقع منهم[4].

---

١. الأعراف/٤٠.

٢. الأعراف/٨٨.

٣. الأعراف/٨٨.

٤. في المصدر مع زيادة: «فكأن شعيبا عليه السلام قال: إن ملّتنا لا تكون واحدة أبدا إلا أن يشاء اللّه أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا ←

وسادسها: أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء اللّه أن يمكّنكم من إكراهنا ويخلّي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين، ويقوّي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿أَ وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

وسابعها: أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء اللّه أن يتعبّدنا بإظهار ملّتكم مع الإكراه، لأنّ إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبّد اللّه تعالى بإظهاره؛ وقوله: ﴿أَ وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يقوّي هذا الوجه أيضاً.

فإن قيل: فكيف يجوز من نبيّ من أنبياء اللّه تعالى أن يتعبّد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع؟ قلنا: يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنّه قال: وما يكون لي ولا لأُمّتي أن نعود فيها إلّا يشاء اللّه أن يتعبّد أُمّتي بإظهار ملّتكم على سبيل الإكراه، وهذا جائز غير ممتنع[١].

وقال «طيّب اللّه رمسه»: إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٢] فقال: كيف يعذّبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أنّ لهم فيها سروراً ولذّة؟ وما تأويل قوله: ﴿مَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٣] فظاهره يقتضي أنّه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأنّ القائل إذا قال: أريد أن يلقاني فلان وهو لابس؛ أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنّه أراد كونه على هذه الصفة.

قلنا: أمّا التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه:

أحدها: ما روي عن ابن عبّاس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمّد! ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفّار والمنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا، إنمّا يريد اللّه ليعذّبهم بها في الآخرة عقوبة لهم علي منعهم حقوقها؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾[٤] فالمعنى: فألقه إليهم فانظر ما ذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم.

وثانيها: أن يكون المعنى: ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم، وفي ذلك لا محالة إيلام لهم واستخفاف بهم.

وثالثها: أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم

← وموافقتنا في ملّتنا، والفائدة في ذلك واضحة، لأنه لو أطلق أنّا لا نتفق أبدا ولا تصير ملّتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشية هذا الوجه، ويجري قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ (يونس/٩٩)».

١. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٤٠٢ - ٤٠٥.

٢. التوبة/٥٥.

٣. التوبة/١٢٥.

٤. النمل/٢٨.

وأولادهم التي هي لهؤلاء الكفّار والمنافقين عقاب وجزاء، وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض، ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر ـ قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنّه حيّ ـ من العذاب الدائم الذي قد أُعدّ له، وإعلامه أنّه صائر إليه.

ورابعها: أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفّار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأنّ ذلك يؤخذ منهم على كره، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقّون عليها أجراً، وفي هذا الوجه نظر[1].

ثمّ اعلم أنّ جميع الوجوه التي حكيناها في هذه الآية إلّا جواب التقديم والتأخير مبنيّة على أنّ الحياة الدنيا ظرف للعذاب، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلّفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلّق بهما، لأنّا قد علمنا أوّلاً أنّ قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ لا بدّ من الانصراف عن ظاهره، لأنّ الأموال والأولاد أنفسهما لا تكون عذاباً، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلّق بها والمضاف إليها، سواء كان إنفاقها، أو المصيبة بها والغمّ عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن

---

١. قال «قدس اللّه روحه» [في غرر الفوائد، ج ١، ص ٥١٦]: وهذا وجه غير صحيح، لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك، ومحال أن يكون إنما كلّف إخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء، لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه، والوجه في تكليف جميع هذه الأُمور هو المصلحة واللطف في التكليف، ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة، لأن تلك الأُمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً، ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلّف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين، فافترق الأمران، وليس لهم أن يقولوا: ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم، وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل التكرّه والاستثقال، وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكروه خرج الأمر من أن يكون مرادا للّه تعالى، لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة، فإذا أخرجوها متكرّهين مستثقلين لم يرد ذلك، فكيف يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾؟ ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده اللّه تعالى.

أقول: أورد شيخ الطائفة في التبيان وجوهاً أُخر، أولها ما حكى عن ابن زيد أن المعنى: إنما يريد اللّه ليعذّبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها.

ثانيها: أن مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد، لأنهم يفارقون النعم، لا يدرون إلى ما ذا يصيرون بعد الموت، فيكون حينئذ عذاباً عليهم، بمعنى أن مفارقتها غمّ وعذاب؛ ومعنى تزهق أنفسهم؛ أي تهلك وتذهب بالموت، يقال: زهق بضاعة فلان أي ذهبت أجمع. وأورد وجوها أُخر متقاربة مع ما ذكره السيد «رحمه اللّه» وقال بعد ذلك: وليس في الآية ما يدل على أن اللّه تعالى أراد الكفر على ما يقوله المجبّرة، لأن قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ في موضع الحال، كقولك: أُريد أن نذمه فهو كافر، وأُريد أن نضربه وهو عاص، وأنت لا تريد كفره ولا عصيانه، بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه، وتقدير الآية: إنما يريد اللّه عذابهم وإزهاق أنفسهم، أي إهلاكها في حال كونهم كافرين. التبيان، ج ٥، ص ٢٣٩ و ٢٤٠. (هامش المطبوع)

أيدي مالكيها، وكان تقدير الآية: إنّما يريد اللّه ليعذّبهم بكذا وكذا ممّا يتعلّق بأموالهم وأولادهم ويتّصل بها، وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب اللّه وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي، وحملهم الأولاد على الكفر، فتقدير الكلام: إنّما يريد اللّه ليعذّبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فمعناه تبطل وتخرج أي أنّهم يموتون على الكفر، ليس يجب إذا كان مريداً، لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ما ظنّوه[1]. وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم، بل يكون كأنّه كلام مستأنف، والتقدير: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد اللّه ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كلّه كافرون صائرون إلى النار، وتكون الفائدة أنّهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقّة الشديدة والكلفة الصعبة[2].

أقول:

قد مضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء[3].

---

١. قال [في غرر الفوائد، ج ١، ص ٥١٧]: لأن الواحد منّا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم محاربون، ولا يقاتلهم وهم منهزمون، ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين وإن أراد قتلهم على هذه الحالة، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إليّ في السجن وأنا محبوس، وللطبيب: صر إليّ ولازمني وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس، وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين. (هامش المطبوع)

٢. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٥١٤ – ٥١٨.

٣. بحار الأنوار، كتاب التوحيد، أبواب الصفات، باب البداء والنسخ.

﴿باب ٤﴾

«الآجال»

الآيات:

آل عمران/١٤٥: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ...﴾

آل عمران/١٥٤: ﴿... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾

الأنعام/٢: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[1]

---

١. **نقول:** «الأجل» في الأصل بمعنى المدّة المعينة، و«قضاء الأجل» يعني تعيين تلك المدّة أو إنهاءها، ولكن كثيرا ما يطلق على الفرصة الأخيرة اسم «الأجل»، فتقول مثلا: جاء أجل الدين أي أن آخر موعد التسديد الدين قد حلّ. ومن هنا أيضا يكون التعبير عن آخر لحظة من لحظات عمر الإنسان بالأجل لأنها موعد حلول الموت.

ما معنى الأجل المسمى؟ لا شك أن «الأجل المسمى» و«أجلا» في الآية مختلفتان في المعنى، أما اعتبار الاثنين بمعنى واحد فلا ينسجم مع تكرار كلمة «أجل»، خاصّة مع ذكر القيد: «مسمى» في الثاني. لذلك بحث المفسرون كثيرا في الاختلاف بين التعبيرين، والقرائن الموجودة في القرآن والروايات التي وصلتنا عن أهل البيت عليهم السلام تفيد أن «أجل» وحدها تعني غير الحتمي من العمر والوقت والمدّة، و«الأجل المسمى» بمعنى الحتمي منها، وبعبارة أُخرى «الأجل المسمى» هو الموت الطبيعي، و«الأجل» هو الموت غير الطبيعي.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الكثير من الموجودات لها من حيث البناء الطبيعي والذاتي الاستعداد القابلية للبقاء مدّة طويلة، ولكن قد تحصل خلال ذلك موانع تحول بينها وبين الوصول إلى الحد الطبيعي الأعلى، افترض سراجا نفطيا يستطيع أن يبقى مشتعلا مدّة عشرين ساعة مع الأخذ بنظر الاعتبار سعته النفطية، غير أن هبوب ريح قوية، أو هطول المطر عليه أو عدم العناية به، يكون سببا في قصر مدّة الإضاءة، فإذا لم يصادف السراج أيّ مانع وظل مشتعلا حتى آخر قطرة من نفطه ثم انطفأ نقول: إنه وصل إلى أجله المحتوم، وإذا أطفأته الموانع قبل ذلك، فيكون عمره أجل غير محتوم. والحال كذلك بالنسبة للإنسان، فإذا توفّرت جميع ظروف بقائه وزالت جميع الموانع من طريق استمرار حياته، فإن بنيته تضمن بقائه مدّة طويلة إلى حد معين، ولكنه إذا تعرّض لسوء التغذية، أو ابتلى بنوع من الإدمان، أو إذا انتحر، أو أعدم لجريمة ←

الأعراف/٣٤: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

يونس/٤٩: ﴿... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

الحجر/٤ و ٥: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

النحل/٦١: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

مريم/٨٤: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾

طه/١٢٩: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾

العنكبوت/٥٣: ﴿... وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

فاطر/١١: ﴿... وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

الشورى/١٤: ﴿... وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ...﴾

المنافقون/١١: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ...﴾

نوح/٤: ﴿... وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

تفسير:

قال الرازيّ في تفسيره: اختلفوا في تفسير الإذن:

الأوّل: أن يكون الإذن هو الأمر، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح، فلا يموت أحد إلّا بهذا الأمر.

← ومات قبل تلك المدّة، فإن موته في الحالة الأُولى يكون أجلا محتوما، وفي الحالة الثانية أجلا غير محتوم. وبعبارة أُخرى: الأجل الحتمي يكون عند ما ننظر إلى مجموع العلل التامة، والأجل غير الحتمي يكون عند ما ننظر إلى المقتضيات فقط.

استنادا إلى هذين النوعين من الأجل يتضح لنا كثير من الأُمور، من ذلك مثلا ما نقرؤه في الروايات والأحاديث من أن صلة الرحم تطيل العمر، وقطعها يقصر العمر، وواضح أن العمر هنا هو الأجل غير الحتمي.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف/٣٤) فهو الأجل المحتوم، أي أن الإنسان قد وصل إلى نهاية عمره، وهو لا يشمل الموت غير المحتوم السابق لأوانه.

ولكن علينا أن نعلم على كل حال أن الأجلين يعيّنهما اللّه، الأول بصورة مطلقة، والثاني بصورة معلقة أو مشروطة، وهذا يشبه بالضبط قولنا: إن هذا السراج ينطفئ بعد عشرين ساعة بدون قيد ولا شرط، ونقول إنه ينطفئ بعد ساعتين إذا هبت عليه ريح، كذلك الأمر بالنسبة للإنسان والأقوام والملل، فنقول: إن اللّه شاء أن يموت الشخص الفلاني، أو أن تنقرض الأُمة الفلانية بعد كذا من السنين، ونقول: إن هذه الأُمة إذا سلكت طريق الظلم والنفاق والتفرقة والكسل والتهاون فإنها ستهلك في ثلث تلك المدّة، كلا الأجلين من اللّه، الأول مطلق والآخر مقيد بشروط. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام تعقيبا على هذه الآية قوله: «هما أجلان: أجل محتوم وأجل موقوف»، كما جاء عنه في أحاديث أُخرى أن الأجل الموقوف قابل للتقديم والتأخير، والأجل الحتمي لا يقبل التغيير. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٤، ص ٢٠٥)

الثاني: أنّ المراد به الأمر التكوينيّ كقوله تعالى: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١] ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلّا اللّه.

الثالث: أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق، وترك المنع بالقهر والإجبار وبه فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بتخليته، فإنّه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر.

الرابع: أن يكون الإذن بمعنى العلم، ومعناه أنّ نفساً لا تموت إلّا في الوقت الذي علم اللّه موتها فيه.

الخامس: قال ابن عبّاس: الإذن: هو قضاء اللّه وقدره، فإنّه لا يحدث شيء إلّا بمشيّة اللّه وإرادته، والآية تدلّ على أنّ المقتول ميّت بأجله، وأنّ تغيير الآجال ممتنع[٢]. انتهى.

قوله: ﴿لَكَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٣] أي من الظفر الذي وعدنا النبيّ صلى الله عليه وآله، أو لو كنّا مختارين لما خرجنا باختيارنا.

قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: فيه قولان:

أحدهما: أنّ معناه: لو لزمتم منازلكم أيّها المنافقون والمرتابون لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين، فيقتلون ويقتلون ولما تخلّفوا بتخلّفكم.

والثاني: أنّ معناه: لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم، وذلك أنّ ما علم اللّه كونه فإنّه يكون كما علمه لا محالة، وليس في ذلك أنّ المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم اللّه ذلك منهم وكتبه، لأنّه كما علم أنّهم لا يختارون ذلك علم أنّهم قادرون، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنّه لا يفعله، والقول بذلك كفر[٤].

وقال «رحمه اللّه»: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ أي كتب وقدّر أجلاً، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّه يعني بالأجلين: أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث. وروى ابن عبّاس قال: ﴿قَضَى أَجَلاً﴾ من مولده إلى مماته، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ من الممات إلى البعث، لا يعلم أحد ميقاته سواه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد اللّه له في أجل الحياة، من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير

---

١. النحل / ٤٠.

٢. مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٣٧٨.

٣. في المصحف الشريف: ﴿لَوْ كَانَ ...﴾.

٤. مجمع البيان، ج ٢، ص ٨٦٣.

صالح ولا واصل نقصه اللّه من أجل الحياة، وزاد في أجل المبعث، قال: وذلك قوله: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾.

وثانيها: أنّه الأجل الذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا، ﴿**وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**﴾ يعني الآخرة لأنّها أجل ممدود دائم لا آخر له.

وثالثها: أنّ ﴿**أَجَلاً**﴾ يعني به أجل من مضى من الخلق،﴿**وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**﴾ يعني به آجال الباقين.

ورابعها: أنّ قوله: ﴿**قَضَى أَجَلاً**﴾ عنى به النوم يقبض الروح فيه ثمّ يرجع عند اليقظة، والأجل المسمّى هو أجل الموت؛ والأصل في الأجل هو الوقت، فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل، وما يعلم اللّه تعالى أنّ المكلّف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمّى أجلاً حقيقة، ويجوز أن يسمّى ذلك مجازاً. وما جاء في الأخبار من أنّ صلة الرحم تزيد في العمر، والصدقة تزيد في الأجل، وأنّ اللّه تعالى زاد في أجل قوم يونس عليه السلام وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ**﴾ أي لكلّ جماعة وأهل عصر وقت لاستيصالهم؛ وقيل: المراد بالأجل أجل العمر الذي هو مدّة الحياة.

قوله: ﴿**لَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾ أي لا يتأخّرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدّمون ساعة؛ وقيل: معناه: لا يبطلون التأخّر عن ذلك الوقت للإياس عنه ولا يطلبون التقدّم؛ ومعنى ﴿**جَاءَ أَجَلُهُمْ**﴾: قرب أجلهم، كما يقال: جاء الصيف: إذا قارب وقته[٢].

قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**﴾ أي في تأخير العذاب عن قومك وأنّه لا يعذّبهم وأنت فيهم. ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ أي لفرغ من عذابهم واستيصالهم؛ وقيل: معناه لو لا حكم سبق من ربّك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم.

الروايات:

١٨٠٦. تفسير القمّيّ[٣]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْأَجَلُ الْمَقْضِيُّ هُوَ الْمَحْتُومُ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ وَحَتَمَهُ، وَالْمُسَمَّى هُوَ الَّذِي فِيهِ الْبَدَاءُ، يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ، وَالْمَحْتُومُ لَيْسَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأْخِيرٌ.

---

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٢٣.

٢. المصدر السابق، ص ٦٤٠.

٣. تفسير القمي، ج ١، ص ١٩٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٦، ح ٢٨٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٠٠، ح ٣٤٠٤.

١٨٠٧. تفسير القمّيّ[١]: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[٢] أَيْ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ.

١٨٠٨. تفسير القمّيّ[٣]: أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[٤] قَالَ: إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ كُتُباً مَوْقُوفَةً[٥]، يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَنْزَلَ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى مِثْلِهَا فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ إِذَا أَنْزَلَهُ وَكَتَبَهُ كُتَّابُ السَّمَاوَاتِ وَهُوَ الَّذِي لَا يُؤَخِّرُهُ.

١٨٠٩. تفسير العيّاشيّ[٦]: عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[٧] قَالَ: الْأَجَلُ الَّذِي غَيْرُ مُسَمًّى مَوْقُوفٌ، يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا شَاءَ، وَيُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا شَاءَ، وَأَمَّا الْأَجَلُ الْمُسَمَّى فَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ، فَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٨].

١٨١٠. الأمالي للشيخ الطوسي[٩]: وَعَنْ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْمُسَمَّى مَا سُمِّيَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١٠]، وَالْآخَرُ لَهُ فِيهِ الْمَشِيَّةُ إِنْ شَاءَ قَدَّمَهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ.

١٨١١. الأمالي للشيخ الطوسيّ[١١]: الْغَضَائِرِيُّ، عَنِ التَّلَّعُكْبَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٧٣.

٢. الحجر/٤.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٠؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٩٨، ح ٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٦، ح ٢٨١.

٤. المنافقون/١١.

٥. في المصدر والنوادر: «كتباً مرقومةً».

٦. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٤، ح ٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٧، ح ٢٨٢.

٧. الأنعام/٢.

٨. في المصحف الشريف: ﴿فَإِذَا جَاءَ ...﴾ (الأعراف/٣٤).

٩. لم يرد هذا الحديث في الأمالي للشيخ الطوسي، لأن في الأمالي يورد الإسناد كاملاً وكتابه خال من قبيل هذه المرسلات؛ وهذا يشير إلى السهو في تسمية الكتاب. والذي يؤيد ذلك أنه قد أورد العلامة «رحمه اللّه» في كتاب التوحيد، باب البداء والنسخ نفس هذا الحديث من تفسير العياشي، وطبيعة الإسناد في هذا الكتاب هو الإرسال. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٤، ح ٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٧، ح ٢٨٣؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٠١، ح ٣٤٠٩.

١٠. يونس/٤٩.

١١. الأمالي (للطوسي)، ص ٧٠١، ح ١٤٩٨.

الْهَمَدَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُؤْمِنِ أَجَلاً فِي الْمَوْتِ، يُبْقِيهِ مَا أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَإِذَا عَلِمَ مِنْ أَنَّهُ سَيَأْتِي بِمَا فِيهِ بَوَارُ[١] دِينِهِ قَبَضَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى مُكْرَهاً[٢].

١٨١٢. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ[٣]: فَذَكَرْتُ هٰذَا الْحَدِيثَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ مَوْلَى الطَّالِبِيِّينَ ـ وَكَانَ رَاوِيَةً لِلْحَدِيثِ ـ فَحَدَّثَنِي عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَسَدٍ الطُّفَاوِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: مَنْ يَمُوتُ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَمُوتُ بِالْآجَالِ، وَمَنْ يَعِيشُ بِالْإِحْسَانِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَعِيشُ بِالْأَعْمَارِ.

١٨١٣. نهج البلاغة[٥]: قَالَ عليه السلام: إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ[٦] خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ.

١٨١٤. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[٨] قَالَ: هُمَا أَجَلَانِ: أَجَلٌ مَوْقُوفٌ يَصْنَعُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَأَجَلٌ مَحْتُومٌ.

١٨١٥. تفسير العيّاشيّ[٩]: عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قَالَ: الْأَجَلُ الْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي نَبَذَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَجَلُ الْمُسَمَّى عِنْدَهُ هُوَ الَّذِي سَتَرَهُ عَنِ الْخَلَائِقِ.

بيان:

ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأوّل محتوماً والثاني موقوفاً، وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأنّ المعنى أنّه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبيائه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنّه محتوم فلا يتطرّق إليه التغيير، وعنده أجل مسمّى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمّى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى:

---

١. البوار: الهلاك، راجع لسان العرب.

٢. في المصدر: «مكرّماً».

٣. في الأمالي (للطوسي)، ص ٣٠٥، ذيل ح ٦١١؛ وفي الدعوات (للراوندي)، ص ٢٩١، ح ٣٣، مع اختلاف العبارة؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٨٧.

٤. في الأمالي: «محمّد بن القاسم بن الفضيل بن يسار، عن أبيه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٠٥، ح ٢٠١؛ خصائص الأئمة عليهم السلام، ص ١١٤؛ غرر الحكم، ص ٢٣٣، ح ١٨٠.

٦. في الغرر: «فإذا جاء أجله».

٧. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٤، ح ٧؛ وفي الكافي، ج ١، باب البداء، ص ١٤٧، ح ٤، مع تقدّم وتأخر؛ وفي الغيبة (للنعماني)، ص ٣٠١، ح ٥، بمضمونه؛ وفي الأخيرين عن أبي جعفر عليه السلام.

٨. الأنعام/٢.

٩. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٥، ح ٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٨، ح ٢٨٥؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٠١، ح ٣٤١٢.

﴿عِنْدَهُ﴾ أي لم يطّلع عليه أحداً بعد، وإنّما يطلق عليه المسمّى، لأنّه بعد الإخبار يكون مسمّى، فما لم يسمّ فهو موقوف، ومنه يكون البداء فيما أخبر لا على وجه الحتم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالمسمّى ما سمّي ووصف بأنّه محتوم، فالمعنى: قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً. وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً، فيظهر منه أنّه أخبر بشيء لا على وجه الحتم فهو غير المسمّى لا الأجل الذي ذكر أوّلاً، وحاصل الوجهين مع قربهما أنّ الأجلين كليهما محتومان، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف، ويمكن أن يكون الأجل الأوّل عامّاً فيرتكب تكلّف في خبر ابن مسكان بأنّه قد يكون محتوماً، وظاهر أكثر الأخبار أنّ الأوّل موقوف والمسمّى محتوم.

١٨١٦. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ حَمَّادِ بْنِ مُوسَى[٢]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣] قَالَ: إِنَّ ذٰلِكَ كِتَابٌ[٤] يَمْحُو اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ، فَمِنْ ذٰلِكَ الَّذِي يَرُدُّ الدُّعَاءُ الْقَضَاءَ، وَذٰلِكَ الدُّعَاءُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: «الَّذِي يُرَدُّ بِهِ الْقَضَاءُ» حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى أُمِّ الْكِتَابِ لَمْ يُغْنِ الدُّعَاءُ فِيهِ شَيْئاً.

بيان:

لعلّ المراد بكونه «مكتوباً عليه» أنّ هذا الحكم ثابت له حتّى يوافق ما في اللوح من القضاء الحتميّ، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء؛ ويحتمل أن يكون المعنى أنّ ذلك الدعاء الذي يردّ به القضاء من الأسباب المقدّرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر والقضاء.

١٨١٧. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٦]: إِنَّ الْمَرْءَ لَيَصِلُ رَحِمَهُ وَمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا ثَلَاثُ سِنِينَ فَيَمُدُّهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً[٧]، وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَقْطَعُ رَحِمَهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَيَقْصِرُهَا اللَّهُ إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَدْنَى. قَالَ الْحُسَيْنُ: وَكَانَ جَعْفَرٌ عليه السلام يَتْلُو هٰذِهِ

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٧٤؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٧٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٨، ح ٢٨٦.

٢. في المصدر والفصول: «عمار بن موسى».

٣. الرعد/٣٩.

٤. في المصدر والفصول: «إن ذلك الكتاب، كتاب».

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٧٥؛ وفي قرب الإسناد، ص ٣٥٥، ح ١٢٧١، مع اختلاف يسير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ الكافي، ج ٢، باب صلة الرحم، ص ١٥٠، ح ٣.

٦. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن البزنطي، عن محمد بن عبيد اللّه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام».

٧. تمت الرواية في الكافي بهذه العبارة: «فيصيرها اللّه ثلاثين سنة ويفعل اللّه ما يشاء».

الْآيَةَ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١].

١٨١٨. نهج البلاغة[٢]: مِنْ كَلَامِهِ عليه السلام ـ لَمَّا خُوِّفَ مِنَ الْغِيلَةِ ـ وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً[٣]، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ[٤].

بيان:

«الغيلة»: القتل على غفلة. و«طاش السهم»: انحرف عن الغرض.

١٨١٩. نهج البلاغة[٥]: قَالَ عليه السلام: كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً.

تذنيب:

أقول: الأخبار الدالّة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قد مرّ في باب البداء من كتاب التوحيد[٦]. وقال المحقّق الطوسيّ «رحمه اللَّه» في التجريد: أجل الحيوان الوقت الذي علم اللَّه بطلان حياته فيه، والمقتول يجوز فيه الأمران لولاه، ويجوز أن يكون الأجل لطفاً للغير لا للمكلّف[٧].

وقال العلّامة «رحمه اللَّه» في شرحه: اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل فقالت المجبّرة: إنّه كان يموت قطعاً، وهو قول أبي هذيل العلّاف، وقال بعض البغداديّين: إنّه كان يعيش قطعاً، وقال أكثر المحقّقين: إنّه كان يجوز أن يعيش ويجوز أن يموت، ثمّ اختلفوا فقال قوم منهم: إن كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان، وقال الجبّائيّان وأصحابهما وأبو الحسين البصري: إنّ أجله هو الوقت الذي قتل فيه، ليس له أجل آخر لو لم يقتل، فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقي بل تقديريّ، واحتجّ الموجبون لموته بأنّه لولاه لزم خلاف معلوم اللَّه تعالى وهو محال، واحتجّ الموجبون لحياته بأنّه لو مات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود[٨] لأنّه لم يفوّت حياته.

والجواب عن الأوّل ما تقدّم من أنّ العلم لا يؤثّر في المعلوم، وعن الثاني بمنع الملازمة، إذ لو ماتت الغنم استحقّ ما لها عوضاً زائداً على اللَّه تعالى فيذبحه فوته الأعواض الزائدة، والقود من حيث مخالفة الشارع إذ

---

١. الرعد/٣٩.

٢. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٩٤، ح ٦٢؛ غرر الحكم، ص ٢٥٣، ح ٣٢٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٦، ح ٢٧٨.

٣. في الغرر: «إن عليّ من أجلي جُنّة حصينةً».

٤. الكلم: الجرح، راجع لسان العرب.

٥. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٢٩، ح ٣٠٦؛ وفي التوحيد (للصدوق)، ص ٣٦٨، ضمن ح ٥؛ غرر الحكم، ص ٥٢٠، ح ٢٣.

٦. بحار الأنوار، كتاب التوحيد، أبواب الصفات، باب البداء والنسخ.

٧. تجريد الاعتقاد، ص ٢٠٨.

٨. القَوَد: القصاص، راجع لسان العرب.

قتله حرام عليه وإن علم موته، ولهذا لو أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله. ثمّ قال «رحمه اللّـه»: ولا استبعاد في أن يكون أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلّفين، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلّف نفسه، لأنّ الأجل يطلق على عمره وحياته، ويطلق على أجل موته، أمّا الأوّل فليس بلطف، لأنّه تمكين له من التكليف، واللطف زائد على التمكين، وأمّا الثاني فهو قطع للتكليف فلا يصحّ أن يكلّف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلّفه من بعد، واللطف لا يصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى[1]. انتهى.

أقول:

لا يخفى ما في قوله «رحمه اللّه»: «العلم لا يؤثّر»، فإنّه غير مرتبط بالسؤال، بل الجواب هو أنّـه يـلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أيّ حال، فإنّ من علم اللّه أنّه سيقتل، إذا مات بغير قتل كان خلاف مـا علمه تعالى، وأمّا علمه بموته على أيّ حال فليس بمسلّم. وأمّا قوله: «واللطف لا يصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى» فيمكن منعه بأنّه يمكن أن يكون لطفاً من حيث علم المكلّف بوقوعه، فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرّمات، إلّا أن يقال: اللطف هو العلم بوقوع أصل الموت، فأمّا خصوص الأجل المعيّن فلعدم علمه بـه غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً، ويمكن تطبيق كلام المصنّف على هذا الوجه من غير تكلّف.

ꕥ

١. كشف المراد، ص ٣٤٠.

﴿باب ٥﴾

«الأرزاق والأسعار»[١]

الآيات:

البقرة/٢١٢: ﴿... وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

آل عمران/٣٧: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

هود/٦: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ...﴾[٢]

---

١. الأرزاق جمع الرزق، وهو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره وليس لأحد منعه منه؛ وأما إطلاق الرزق على الممنوع والمحرم فسيأتي الكلام فيه مفصلاً من المصنف؛ وأما الأسعار فهو جمع السعر بالكسر وهو الذي يقوم عليه الثمن، وهو قد يرخّص وقد يغلو، ويأتي الكلام في أنهما مستندان إلى اللّه مطلقاً أو في بعض الأحيان. (هامش المطبوع)

٢. **نقول:** هناك أبحاث مهمة في مسألة الرزق، ونأخذ بنظر الاعتبار هنا قسما منها:

١. الرزق في اللغة العطاء المستمر والدائم، وهو أعم من أن يكون رزقا ماديا أو معنويا، فعلى هذا كل ما يكون فيه نصيب للعباد من قبل اللّه وينتفعون منه من مواد غذائية ومسكن وملبس أو علم وعقل وفهم وإيمان وإخلاص يسمّى رزقا، ومن ظن أن مفهوم الرزق خاص بالجوانب المادية لم يلتفت إلى موارد استعماله في القرآن الكريم بدقة، فالقرآن يتحدّث عن الشهداء في سبيل اللّه بأنهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩). وواضح أن رزق الشهداء في عالم البرزخ ليس نعَما مادية، بل هو عبارة عن المواهب المعنوية التي يصعب علينا تصورها في هذه الحياة المادية.

٢. مسأله تأمين الحاجات بالنسبة للموجودات الحية ـ وبتعبير آخر تأمين رزقها ـ من المسائل المثيرة التي تنكشف أسرارها بمرور الزمان وتقدم العلم. وتظهر كل يوم ميادين جديدة تدعو للتعجب والدهشة. كان العلماء في الماضي يتساءلون فيما لو كان في أعماق البحار موجودات حيّة، فمن أين يتم تأمين غذائها؟ إذ أن أصل الغذاء يعود إلى النباتات والحشائش، وهي تحتاج إلى نور الشمس، ولكن على عمق ٧٠٠ متر فصاعدا لا وجود لنور الشمس أبدا، بل ليل أبدي مظلم يلقي ظلاله ويبسط أسداله هناك. ولكن اتضح بتقدم العلم أن نور الشمس يغذّي النباتات المجهرية في سطح الماء وبين الأمواج، وحين تبلغ مرحلة النضج تهبط إلى أعماق البحر كالفاكهة الناضجة، وتنظم إلى ←

الرعد/٢٦: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ...﴾
الإسراء/٣٠: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾
الحجّ/٥٨: ﴿... لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
المؤمنون/٧٢: ﴿... وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

← الأرزاق الإلهية للأحياء في تلك الأعماق، مائدة نعمة اللّه للموجودات الحيّة تحت الماء.

٣. هل أن رزق كل أحد مقدر ومعين من أول عمره إلى آخره، وهل أنه يصل إليه شاء أم أبى؟ أم أن عليه يسعى في طلبه؟

يظن بعض الأفراد السذّج استنادا إلى الآية آنفة الذكر، وإلى بعض الروايات التي تذكر أن الرزق مقدر ومعين، أنه لا داعي للسعي من أجل الرزق والمعاش، فإنه لا بدّ من وصول الرزق، ويقول بكل بساطة: «إن من خلق الأشداق قدر لها الأرزاق». إن سلوك مثل هؤلاء الأفراد الذين لا حظ لهم من المعرفة الدينية يعطي ذريعة الى الأعداء حيث يدّعون أن الدين أحد عوامل الركود الاقتصادي وتقبل الحرمان وإماتة النشاطات الإيجابية في الحياة، فيقول مثلا: إذا لم تكن الموهبة الفلانية من نصيبي فإنها لم تكن من رزقي قطعا، فلو كانت من نصيبي لوصلتني حتما من دون تكلف عناء الكسب.

وبهذا يستغل المستعمرون هذه الفرصة ليحرموا الكثير من الخلق التمتع بأسباب الحياة، في حين أن أقل معرفة بالقرآن والأحاديث الإسلامية تكفي في بيان أن الإسلام يعدّ أساس أيّ استفادة مادية ومعنوية للإنسان هو السعي والجد والمثابرة، حتى أننا نجد في القرآن جملة بمثابة الشعار لهذا الموضوع، وهي الآية الكريمة ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم/٣٩).

وكان أئمة المسلمين ـ ومن أجل أن يسنّوا للآخرين نهجا يسيرون عليه ـ يعملون في كثير من المواقع أعمالا صعبة ومجهدة. والأنبياء السابقون أيضا لم يستثنوا من هذا القانون، فكانوا يعملون على الاكتساب من رعي الأغنام إلى الخياطة إلى نسج الدروع إلى الزراعة. فإذا كان مفهوم الرزق من اللّه أن نجلس في البيت وننتظر الرزق فما كان ينبغي للأنبياء والأئمة ـ الذين هم أعرف بالمفاهيم الدينية ـ أن يسعوا هذا السعي إلى الرزق.

وعلى هذا نقول: إن رزق كل أحد مقدر وثابت، إلا أنه مشروط بالسعي والجد، وإذا لم يتوفر الشرط لم يحصل المشروط. وهذا كما نقول: إن لكل فرد أجلا ومدة من العمر، ولكن من المسلم والطبيعي أن مفهوم هذا الكلام لا يعني أن الإنسان حتى لو أقدم على الانتحار أو أضرب عن الطعام فإنه سيبقى حيا إلى أجل معين! إنما مفهوم هذا الكلام أن للبدن استعدادا للبقاء إلى مدّة معينة ولكن بشرط أن يراعي الظروف الصحية وأن يبتعد عن الأخطار، وأن يجنّب نفسه عما يكون سببا في تعجيل الموت.

المسألة المهمة في هذا المجال أن الآيات والروايات المتعلقة بتقدير الرزق في الواقع بمثابة الكابح للأشخاص الحريصين وعبّاد الدنيا الذين يلجون كل باب، ويرتكبون أنواع الظلم والجنايات، ويتصورون أنهم إذا لم يفعلوا ذلك لم يؤمنوا حياتهم. إن آيات القرآن والأحاديث الإسلامية تحذر هذا النمط من الناس ألّا يمدّوا أيديهم وأرجلهم عبثا، وألّا يطلبوا الرزق من طرق غير مشروعة ولا معقولة، بل يكفي أن يسعوا لتحصيل الرزق عن طريق مشروع، واللّه سبحانه يضمن لهم الرزق، فاللّه الذي لم ينسهم في ظلمة الرحم. وبالطبع لا يمكن أن ننكر أن بعض الأرزاق تصل إلى الإنسان سعى لها أم لم يسع. فهل يمكن أن ننكر أن نور الشمس يضيء في بيتنا من دون سعينا، وأن المطر والهواء يصلان إلينا دون سعي منا؟ وهل يمكن أن ننكر أن العقل والفكر والاستعداد المذخور فينا من أول يوم وجودنا لم يكن بسعينا؟ ولكن هذه المواهب التي تنقلها إلينا الريح ـ كما يقال ـ أو بتعبير أصح هذه المواهب التي وصلتنا بلطف اللّه ومن دون سعينا، إذا لم نحافظ عليها بالجد

←

النور/٣٨: ﴿... وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

العنكبوت/٦٠: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

العنكبوت/٦٢: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

الروم/٣٧: ﴿أَ وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

سبأ/٢٤: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ...﴾

سبأ/٣٦: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سبأ/٣٩: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

الزمر/٥٢: ﴿أَ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

الشورى/١٢: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]

← والسعي بطريقة صحيحة فستضيع من أيدينا، أو أنها ستبقى بلا أثر! هناك كلام معروف منقول عن الإمام علي عليه السلام في شأن الرزق فيقول: «واعلم يا بني، أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك»، وفي هذا الكلام إشارة إلى هذه الحقيقة.

كما لا ينكر أن بعض موارد الرزق لا يأتي تبعا لشيء ظاهر وملموس، بل يصلنا على أثر سلسلة من الاتفاقات والمصادفات، هذه الحوادث وإن كانت في نظرنا مصادفات، إلا أنها في الواقع وفي نظام الخلق قائمة على حساب دقيق. ولا شك أن حساب هذا النوع من الرزق منفصل عن الأرزاق التي تأتي تبعا للجد والسعي، والكلام آنف الذكر يمكن أن يشير إلى هذا المطلب أيضا. ولكن على كل حال فإن النقطة الأساسية هنا أن جميع التعاليم الإسلامية تأمرنا أن نسعى أكثر فأكثر لتأمين نواحي الحياة المادية والمعنوية، وأن الفرار من العمل بزعم أن الرزق مقسوم وأنه آت لا محالة غير صحيح!

٤. في الآيات المتقدمة التي هي محل البحث إشارة إلى الرزق فحسب، وبعدها ببضعة آيات يأتي التعبير عن التائبين والمؤمنين ويشار فيها إلى المتاع الحسن. وبالموازنة والمقارنة بين هذين الأمرين يدلّنا هذا الموضوع على أن الرزق معدّ لكل دابة من إنس وحشرات وحيوانات مفترسة إلخ، وللمحسنين والمسيئين جميعا! إلا أن المتاع الحسن والمواهب الجديرة والثمينة خاصة بالمؤمنين الذين يطهرون أنفسهم من كل ذنب وتلوّث بماء التوبة، ويتمتعون بنعم اللّه في مسير طاعته، لا في طريق الهوى والهوس! (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٦، ص ٤٦٤)

١. **نقول:** بعض الملاحظات حول الرزق الإلهي:

١. معيار بسط الرزق وتقديره: يجب أن لا نتصور أبدا أن بسط الرزق يعني محبة اللّه لنا، أو أن تضييق المعيشة هي دليل غضبه، لأن اللّه قد يختبر الإنسان بواسطة البسط في رزقه، وأحيانا يريد أن يمتحن صبره ومقاومته عن طريق التضييق بالمعيشة عليه، وعن هذا الطريق يصار إلى تربية الإنسان. إن الثروة الكبيرة قد تكون أحيانا سببا لعذاب أهلها وتعبهم وسلب استقرارهم وراحتهم النفسية، حيث يقول القرآن في الآية (٥٥) من سورة التوبة: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، وفي ←

الشورى/٢٧: ﴿وَلَوْ بَسطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

الزخرف/٣٢: ﴿أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾[1]

الذاريات/٢٢ و٢٣: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللَّه»: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه: يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته.

وثانيها: أنّه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم، فلا يدلّ بسط الرزق على الكفّار على منزلتهم عند اللَّه، وإن قلنا: إنّ المراد به في الآخرة فمعناه أنّ اللَّه لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضّلاً.

وثالثها: أنّه يعطيه عطاءاً لا يأخذه بذلك أحد، ولا يسأله عنه سائل، ولا يطلب عليه جزاءاً ولا مكافاة.

← الآيتين (٥٥ و٥٦) من سورة المؤمنين، نقرأ قوله تعالى: ﴿أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٢. القرآن والأسباب التي تؤدّي إلى زيادة الرزق: لقد ذكر القرآن الكريم بعض الأُمور التي تعتبر بحد ذاتها درسا لتربية الإنسان وبنائه، ففي الآية (٧) من سورة إبراهيم نقرأ قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وفي الآية (١٥) من سورة الملك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، وفي سورة الأعراف، آية (٩٦) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣. التضييق في الرزق والقضية التربويّة: أحيانا يكون ضيق الرزق لمنع الناس عن الطغيان، كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى/٢٧). (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٥، ص ٤٨١)

١. **نقول:** عند مطالعة الآية أعلاه يتبادر إلى الذهن سؤال يستخدمه أعداء الإسلام كحربة للطعن في الفلسفة الإسلامية، وهو أن الأرزاق والمعايش إذا كانت مقسّمة من قبل اللَّه تعالى فأيّ ثمرة يمكن أن تنتج عن جهودنا ومساعينا؟ أ لا يعنى هذا إطفاء مشاعل السعي ومصابيح الجهاد من أجل الحياة؟ كيف يمكن المحافظة على شعلة الجهاد والسعي والاجتهاد الوهّاجة مه كون الرزق معينا؟

فإن الاشتباه ناشئ من تصورهم أن اللَّه سبحانه لم يجعل لسعي الإنسان واجتهاده أيّ أثره أو دور. صحيح أن اللَّه سبحانه خلق القابليات متفاوتة لمختلف النشاطات، وصحيح أن العوامل الخارجة عن إرادة الإنسان مؤثرة في مسير حياته، لكن مع ذلك فإنه سبحانه قد جعل سعيه واجتهاده أيضا أحد العوامل الأساسية، وأوضح سبحانه ببيان أصل: ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم/ ٣٩)، أن سعادة الإنسان وما يجنيه ويحصل عليه يرتبط بسعيه واجتهاده. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٦، ص ٤٤ و٤٦)

ورابعها: أنّه يعطيه من العدد الشيء الذي لا يضبط بالحساب، ولا يأتي عليه العدد، لأنّ ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور، فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة.

وخامسها: أنّ معناه: يعطي أهل الجنّة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب[١].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**﴾ أي أسباب رزقكم أو تقديره. وقيل: المراد بالسماء السحاب، وبالرزق المطر لأنّه سبب الأقوات، ﴿**وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ من الثواب لأنّ الجنّة فوق السماء السابعة، أو لأنّ الأعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة في السماء؛ وقيل: إنّه مستأنف، خبره: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾ وعلى هذا فالضمير لـ«ما»، وعلى الأوّل يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعيد. ﴿**مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ أي مثل نطقكم كما أنّه لا شكّ لكم في أنّكم تنطقون ينبغي أن لا تشكّوا في تحقّق ذلك[٢]. انتهى.

وقال الوالد العلّامة «رحمه اللّه»: يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتّصال النطق وفيضان المعاني من المبدإ بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحلّ وروده فيكون التشبيه أكمل[٣].

الروايات:

١٨٢٠. قرب الإسناد[٤]: ابْنُ طَرِيفٍ، عَنِ ابْنِ عُلْوَانَ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُدِّرَ لَهَا، وَلٰكِنْ لِلَّهِ فُضُولٌ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ.

١٨٢١. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليهما السلام قَالَ: سَأَلَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ بَعْضِ أَهْلِ مَجْلِسِهِ، فَقِيلَ: عَلِيلٌ.

فَقَصَدَهُ عَائِداً، وَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَوَجَدَهُ دَنِفاً[٦]، فَقَالَ عليه السلام لَهُ: أَحْسِنْ ظَنَّكَ بِاللَّهِ، قَالَ: أَمَّا ظَنِّي بِاللَّهِ فَحَسَنٌ، وَلٰكِنْ

---

١. مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤١.

٢. أنوار التنزيل، ج ٥، ص ١٤٨.

٣. راجع روضة المتقين، ج ٧، ص ٢٩، وج ١٣، ص ٩٠.

٤. قرب الإسناد، ص ١١٧، ح ٤١١؛ وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٢١، ح ٨٩٠٤.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣، ح ٧؛ وفي وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٨، ح ٢٦١٤، وج ٢١، ص ٣٦٥، ح ٢٧٣١٧، مقطعا.

٦. رجل دنِف: براه المرض حتى أشفى على الموت، راجع لسان العرب.

غَمِّي لِبَنَاتِي مَا أَمْرَضَنِي غَيْرُ غَمِّي بِهِنَّ[١]، فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: الَّذِي تَرْجُوهُ لِتَضْعِيفِ حَسَنَاتِكَ وَمَحْوِ سَيِّئَاتِكَ فَارْجُهُ لِإِصْلَاحِ حَالِ بَنَاتِكَ، أَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: لَمَّا جَاوَزْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى[٢] وَبَلَغْتُ أَغْصَانَهَا وَقُضْبَانَهَا رَأَيْتُ بَعْضَ ثِمَارِ قُضْبَانِهَا أَثْدَاءً مُعَلَّقَةً يَقْطُرُ مِنْ بَعْضِهَا اللَّبَنُ، وَمِنْ بَعْضِهَا الْعَسَلُ، وَمِنْ بَعْضِهَا الدُّهْنُ، وَيَخْرُجُ عَنْ بَعْضِهَا شِبْهُ دَقِيقِ السَّمِيذِ[٣]، وَعَنْ بَعْضِهَا الثِّيَابُ[٤]، وَعَنْ بَعْضِهَا كَالنَّبِقِ[٥] فَيَهْوِي ذٰلِكَ كُلُّهُ نَحْوَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيْنَ مَقَرُّ[٦] هٰذِهِ الْخَارِجَاتِ عَنْ هٰذِهِ الْأَثْدَاءِ؟ وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعِي جَبْرَئِيلُ لِأَنِّي كُنْتُ جَاوَزْتُ مَرْتَبَتَهُ، وَاخْتَزَلَ دُونِي، فَنَادَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرِّي: يَا مُحَمَّدُ هٰذِهِ أَنْبَتُّهَا مِنْ هٰذَا الْمَكَانِ الْأَرْفَعِ لِأَغْذُوَ مِنْهَا بَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّتِكَ وَبَنِيهِمْ، فَقُلْ لِآبَاءِ الْبَنَاتِ: لَا تَضِيقَنَّ صُدُورُكُمْ عَلَى فَاقَتِهِنَّ فَإِنِّي كَمَا خَلَقْتُهُنَّ أَرْزُقُهُنَّ.

بيان:

«السميذ» بالذال المعجمة والمهملة: الدقيق الأبيض. و«الاختزال»: الانفراد والاقتطاع.

١٨٢٢. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٨] قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: مَا هٰذَا الْفَضْلُ؟ أَيُّكُمْ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ ذٰلِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَنَا أَسْأَلُهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذٰلِكَ الْفَضْلِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ وَقَسَّمَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ مِنْ حِلِّهَا، وَعَرَضَ لَهُمْ بِالْحَرَامِ فَمَنِ انْتَهَكَ حَرَاماً نَقَصَ لَهُ مِنَ الْحَلَالِ بِقَدْرِ مَا انْتَهَكَ مِنَ الْحَرَامِ وَحُوسِبَ بِهِ.

١٨٢٣. نهج البلاغة[٩]: قَالَ عليه السلام: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ

---

١. في المصدر: «غير رفقي بهن».

٢. هي في السماء السابعة، قيل: هي شجرة في أقصى الجنة، إليها ينتهي علم الأولين والآخرين ولا يتعداها. وقيل: شجرة نبق عن يمين العرش، وفي الحديث: سميت سدرة المنتهى. لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفع اليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهون بها إلى محل السدرة. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر والوسائل: «السميد».

٤. في المصدر: «النبات».

٥. النبْق: ثمر السِّدر، والنبق دقيق يخرج من لُبّ جذع النخلة، حُلو يُقوّى بالصَّقْر يُنبَذ فيكون نهاية في الجودة، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر: «أين مفرّ».

٧. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧٠، ح ٢٩٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٧١، ح ٢٣٣٨.

٨. النساء/٣٢.

٩. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٤٣، ح ٣٧٩؛ وفي من لا يحضره الفقيه، ج ٤، باب النوادر، ص ٣٨٦، ح ٥٨٣٤، ضمن وصية أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن الحنفية؛ وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٥٠، ح ٢١٩٥٢.

عَلَى هَمٍّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَدُّهُ[١][٢] سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَّمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ[٣] لَكَ؟ وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ[٤] مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

١٨٢٤. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنِ ابْنِ الْهُذَيْلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَفْضَلَ فَضْلاً كَبِيراً[٦] لَمْ يُقَسِّمْهُ بَيْنَ أَحَدٍ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٧].

١٨٢٥. تفسير العيّاشيّ[٨]: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَهَا رِزْقَهَا حَلَالًا يَأْتِيهَا فِي عَافِيَةٍ، وَعَرَضَ لَهَا بِالْحَرَامِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَإِنْ هِيَ تَنَاوَلَتْ مِنَ الْحَرَامِ شَيْئاً قَاصَّهَا[٩] بِهِ مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ لَهَا وَعِنْدَ اللَّهِ سِوَاهُمَا فَضْلٌ كَبِيرٌ[١٠].

١٨٢٦. تفسير العيّاشيّ[١١]: عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّوْمَ بَعْدَ الْفَجْرِ مَكْرُوهٌ لِأَنَّ الْأَرْزَاقَ تُقَسَّمُ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ، فَقَالَ: الْأَرْزَاقُ مَوْظُوفَةٌ[١٢] مَقْسُومَةٌ، وَلِلَّهِ فَضْلٌ يَقْسِمُهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١٣] ثُمَّ قَالَ: وَذِكْرُ اللَّهِ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَبْلَغُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ.

١٨٢٧. الكافي[١٤]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٥] قَالَ: إِنَّ

---

١. الجدّ: العظمة، راجع لسان العرب.

٢. لم يرد في المصدر والفقيه والوسائل: «جدّه».

٣. في المصدر: «بالهمّ فيما ليس ...»، وفي الفقيه: «بغمّ وهمّ ما ليس ...»، وفي الوسائل: «بهمّ وغمّ ما ليس ...».

٤. في الفقيه والوسائل: «لن يحتجب عنك».

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٧؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧١، ح ٢٩١؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٧١، ح ٢٣٣٩.

٦. في المصدر والفصول: «فضلا كثيرا».

٧. النساء/٣٢.

٨. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٨؛ الكافي، ج ٥، باب الإجمال في الطلب، ص ٨٠، ح ٢؛ روضة المتقين، ج ٦، ص ٤٠٨.

٩. قاصّه في الشيء: إذا أخذ منه عوضاً مكانه، راجع شمس العلوم.

١٠. في المصدر: «فضل كثير»، وفي الكافي والروضة: «...فضل كثير وهو قوله عز وجل: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾».

١١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٤٠، ح ١١٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧٢، ح ٢٩٣؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٧١، ح ٢٣٤١.

١٢. الوظيفة من كل شيء: ما يقدَّر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، راجع لسان العرب.

١٣. النساء/٣٢.

١٤. الكافي، ج ٥، باب الأسعار، ص ١٦٢، ح ٢؛ وفي التوحيد (للصدوق)، ص ٣٨٩، ح ٣٤، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤٣١، ح ٢٢٩٢١.

اللَّهَ وَكَّلَ بِالسِّعْرِ مَلَكاً فَلَنْ يَغْلُوَ[١] مِنْ قِلَّةٍ، وَلَا يَرْخُصُ مِنْ كَثْرَةٍ.

١٨٢٨. الكافي[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام[٣] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ مَلَكاً بِالسِّعْرِ يُدَبِّرُهُ بِأَمْرِهِ.

١٨٢٩. نهج البلاغة[٤]: وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَيَفْرَجُ أَفْرَاجُهَا[٥] غُصَصَ أَتْرَاحِهَا، وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا.

بيان:

«العقابيل»: بقايا المرض، واحدها عقبول. و«الأتراح»: الغموم. و«الخلج»: الجذب. و«الشطن»: الحبل. و«المرائر»: الحبال المفتولة على أكثر من طاق. و«الأقران»: الحبال.

١٨٣٠. عدّة الداعي[٦]: رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٧] قَالَ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْ لَا فُلَانٌ لَهَلَكْتُ، وَلَوْ لَا فُلَانٌ لَمَا أَصَبْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ لَا فُلَانٌ لَضَاعَ عِيَالِي؛ أَ لَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكاً فِي مُلْكِهِ يَرْزُقُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ؟ قُلْتُ: فَنَقُولُ: لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَيَّ بِفُلَانٍ لَهَلَكْتُ، قَالَ: نَعَمْ، لَا بَأْسَ بِهٰذَا وَنَحْوِهِ.

١٨٣١. الكافي[٨]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ

---

١٥. في التوحيد بهذا الإسناد: «ابن الوليد، عن الصفار، عن أيوب بن نوح، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي حمزة الثمالي، عن زين العابدين عليه السلام».

١. غلا السعر: ارتفع، ضدّ رَخُص، راجع تاج العروس.

٢. الكافي، ج ٥، باب الأسعار، ص ١٦٣، ح ٣ و ٤؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب الحكرة والأسعار، ص ٢٦٨، ح ٣٩٧٠.

٣. في الكافي، ح ٤، بهذا الإسناد: «سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عمّن ذكره، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ١٣٤، ضمن الخطبة ٩١؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٩٠؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧٣، ح ٢٩٥؛ وتمت الرواية في الأخيرين إلى عبارة: «والصبر من غنيّها وفقيرها».

٥. في المصدر: «ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج أفراحها».

٦. عدّة الداعي، ص ٩٩؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٠، ح ٩٦؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٥٣.

٧. يوسف/١٠٦.

٨. الكافي، ج ٥، باب الإجمال في الطلب، ص ٨٠، ح ١؛ التمحيص، ص ٥٢، ح ١٠٠؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، باب المكاسب، ص ٣٢١، ح ٨٨٠.

أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَلَا إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ[١] شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ[٢] بَيْنَ خَلْقِهِ حَلَالًا، وَلَمْ يُقَسِّمْهَا حَرَاماً، فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَصَبَرَ أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حِلِّهِ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ سِتْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخَذَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ[٣] قُصَّ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ الْحَلَالِ وَحُوسِبَ عَلَيْهِ[٤].

بيان:

أقول: سيأتي أكثر الآيات والأخبار المتعلّقة بهذا الباب في كتاب المكاسب[٥]. و«النفث»: النفخ. و«الروع» بالضمّ: العقل والقلب. و«الإجمال في الطلب»: ترك المبالغة فيه، أي اتّقوا اللّه في هذا الكدّ الفاحش، أو المعنى أنّكم إذا اتّقيتم اللّه لا تحتاجون إلى هذا الكدّ والتعب، لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[٦]، و«هتك الستر»: تمزيقه وخرقه.

ثمّ الظاهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أنّ اللّه تعالى قدّر في الصحف السماويّة لكلّ بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام وطلب من الحلال سبّب له ذلك ويسّره له، وإذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع ممّا قدّر له[٧].

---

١. الإبطاء: نقيض الإسراع، راجع لسان العرب.

٢. في التمحيص: «فإن اللّه لا ينال ما عنده إلا بطاعته قد قسم الأرزاق».

٣. في المصدر والتمحيص والتهذيب: «حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حلّه».

٤. في المصدر والتمحيص والتهذيب: «حُوسب عليه يوم القيامة».

٥. بحار الأنوار، كتاب العقود والايقاعات، أبواب المكاسب، باب الحث على طلب الحلال، وباب الإجمال في الطلب، وباب الربا في الدين.

٦. الطلاق/٢ و٣.

٧. لا شكّ أن ما نشاهده من الموجودات أعمّ من الجماد والنبات والحيوان والإنسان لا يكفيها أصل الوجود للبقاء بل تستمدّ في بقائها بأُمور أُخر خارجة من وجودها إما بضمّها إلى أنفسها بالاقتيات والاغتذاء، أو بوجه آخر بالإيواء واللبس والتناسل ونحوها. وهذا المعنى في الإنسان وسائر أقسام الحيوان أوضح، وهو الرزق الذي عليه يتوقّف بقاء أقسام الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلاً، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ الآية؛ فالرزق ممّا لا يستغنى عنه موجود في بقائه، وإذ خلق اللّه هذه الأشياء لبقاء ما فقد خلق لها رزقاً، فاستناد البقاء إليه تعالى يوجب استناد الرزق إليه من غير شكّ قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ الآية (الذاريات/٢٣)؛ وكون الرزق بهذا المعنى أمراً تكوينياً غير مربوط بعالم التكليف كالشمس في رائعة النهار فإن الحدوث والبقاء ولوازم كل منهما أُمور تكوينية بلا ريب.

ثم إن الإنسان لما تعلّق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالأرزاق كالأكل والشرب والنكاح واللباس ونحوها، والرزق مما يضطر إليه تكويناً

←

قال الشيخ البهائي «قدّس اللّه روحه» في شرح هذا الحديث: الرزق عند الأشاعرة كلّ ما انتفع به حيّ، سواء كان بالتغذّي أو بغيره، مباحاً كان أو لا، وخصّه بعضهم بما تربّى به الحيوان من الأغذية والأشربة، وعند المعتزلة هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره، وليس لأحد منعه منه، فليس الحرام رزقاً عندهم، وقال الأشاعرة في الردّ عليهم: لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً، وليس كذلك، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] وفيه نظر؛ فإنّ الرزق عند المعتزلة أعمّ من الغذاء، وهم لم يشرطوا الانتفاع بالفعل، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنّما يردّ عليهم لو لم ينتفع مدّة عمره بشيء انتفاعاً محلّلاً، ولو بشرب الماء والتنفّس في الهواء، بل ولا تمكّن من الانتفاع بذلك أصلاً، وظاهر أنّ هذا ممّا لا يوجد، وأيضاً فلهم أن يقولوا: لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محلّلاً ولا محرّماً يلزم أن يكون غير مرزوق، فما هو جوابكم فهو جوابنا.

هذا، ولا يخفى أنّ الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة، والمعتزلة تمسّكوا بهذا الحديث، وهو صريح في مدّعاهم غير قابل للتأويل، والأشاعرة تمسّكوا بِمَا رَوَوْهُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ[2] قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذْ جَاءَ عُمَرُ بْنُ قُرَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيَّ الشِّقْوَةَ فَلَا أَرَانِي أُرْزَقُ إِلَّا مِنْ دَفِّي بِكَفِّي، فَأْذَنْ فِي الْغِنَاءِ مِنْ غَيْرِ فَاحِشَةٍ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: لَا آذَنُ لَكَ وَلَا كَرَامَةَ وَلَا نِعْمَةَ، أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ لَقَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ طَيِّباً فَاخْتَرْتَ مَا حَرَّمَ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقِهِ مَكَانَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مِنْ حَلَالِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ بَعْدَ هٰذِهِ الْمَقَالَةِ[3] ضَرَبْتُكَ ضَرْباً وَجِيعاً.

والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارة ويؤوّلونه على تقدير سلامته أُخرى، بأنّ سياق الكلام يقتضي أن يقال: فاخترت ما حرّم اللّه عليك من حرامه مكان ما أحلّ اللّه لك من حلاله، وإنّما قال صلى الله عليه وآله: «من رزقه» مكان «من حرامه»، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله: «فلا أراني أُرزق» وقوله صلى الله عليه وآله: «لقد رزقك اللّه».

← كان لازم ذلك أن لا يتعلق الحرمة والمنع إلا بما له مندوحة وإلا كان تكليفاً بما لا يطاق، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآية (الحجّ/٧٨)؛ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ الآية (الأعراف/٢٨)؛ وكان لازم ذلك أن في موارد المحرمات أرزاقاً إلهية محلّلة هي المندوحة للعبد وهي الأرزاق المنسوبة إليه تعالى بحسب النظر التشريعي دون المحرمات. فتحصل أن الرزق رزقان: رزق تكويني، وهو كل ما يستمدّ به موجود في بقائه كيف كان، ورزق تشريعي، وهو الحلال الذي يستمدّ به الإنسان في الحياة دون الحرام فإنه ليس برزق منه تعالى؛ هذا هو الذي يتحصّل من الكتاب والسنة بعد التدبر فيهما. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

١. هود/٦.

٢. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨٧١، ح ٢٦١٣؛ مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٢٧٦.

٣. في السنن: «بعد التقدمة إليك»، وفي المفاتيح: «بعد هذه المقدمة شيئا».

وتمسّك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١] قال الشيخ في التبيان[٢] ما حاصله: أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الحرام ليس رزقاً، لأنّه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق، والإنفاق من الحرام لا يوجب المدح، وقد يقال: إنّ تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين: ما رزقه اللّه، وما لم يرزقه، وإنّ المدح إنّما هو على الإنفاق ممّا رزقهم وهو الحلال، لا ممّا سوّلت لهم أنفسهم من الحرام، ولو كان كلّ ما ينفقونه رزقاً من اللّه سبحانه لم يستقم الحصر، فتأمّل[٣]. انتهى كلامه «رفع اللّه مقامه».

أقول:

إن كان المراد بقولهم: رزقهم اللّه الحرام أنّه خلقه ومكّنهم من التصرّف فيه فلا نزاع في أنّ اللّه رزقهم بهذا المعنى؛ وإن كان المعنى أنّه المؤثّر في أفعالهم وتصرّفاتهم في الحرام فهذا إنّما يستقيم على أصلهم الذي ثبت بطلانه؛ وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرّف فيه بوجه، فظاهر أنّ الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب؛ وإن كان المعنى أنّه قدّر تصرّفهم فيه بأحد المعاني التي مضت في القضاء والقدر، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فبهذا المعنى يصدق أنّه رزقهم الحرام. وأمّا ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في أنّها منصرفة إلى الحلال، كما أومأنا إلى معناه سابقاً.

وأمّا الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنّه ليس المسعّر إلّا اللّه تعالى، بناءاً على أصلهم من أن لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه. وأمّا الإماميّة والمعتزلة فقد ذهبوا إلى أنّ الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى اللّه، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد؛ وأمّا الأخبار الدالّة على أنّهما من اللّه فالمعنى أنّ أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة اللّه، أو أنّ اللّه تعالى لمّا لم يصرف العباد عمّا يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم، أو غناهم بحسب المصالح فكأنّهما وقعا بإرادته تعالى، كما مرّ القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالّة على أنّ أفعال العباد بإرادة اللّه تعالى ومشيّته، وهدايته وإضلاله، وتوفيقه وخذلانه[٤]؛ ويمكن حمل بعض تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه؛ بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم، فيجري السعر على ما يريد اللّه تعالى.

قال العلاّمة «رحمه اللّه» في شرحه على التجريد: السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء، وليس

---

١. البقرة/٣.

٢. التبيان، ج ٤، ص ٩.

٣. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٩٦ و٩٧.

٤. مرّ باب القضاء والقدر والمشية والإرادة وسائر أسباب الفعل من أبواب العدل.

هو الثمن ولا المثمن، وهو ينقسم إلى رخص وغلاء، فالرخص هو السعر المنحطّ عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان، والغلاء زيادة السعر عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان، وإنّما اعتبرنا الزمان والمكان لأنّه لا يقال: إنّ الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله، لأنّه ليس أوان سعره، ويجوز أن يقال: رخص في الصيف إذا نقص سعره عمّا جرت عادته في ذلك الوقت. ولا يقال: رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها، لأنّها ليست مكان بيعه، ويجوز أن يقال: رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها.

واعلم أنّ كلّ واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلّل جنس المتاع المعيّن، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلّفين، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلّل رغبة الناس إليه تفضّلاً منه وإنعاماً، أو لمصلحة دينيّة فيحصل الرخص، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غال ظلماً منه، أو لاحتكار الناس، أو لمنع الطريق خوف الظلمة، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص[1].

---

١. كشف المراد، ص ٣٤٢.

﴿باب ٦﴾

«السعادة والشقاوة، والخير والشرّ، وخالقهما ومقدّرهما»

الآيات:

هود/١٠٥-١٠٨: ﴿... فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * ...وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الآية[1].

---

١. **نقول:** هنا ملاحظتان:

١- هل السعادة والشقاوة ذاتيان؟ أراد البعض أن يثبت من الآيات المتقدمة كون السعادة والشقاء ذاتيين، في حين أن الآيات المتقدمة لا تدل على هذا الأمر فحسب، بل تثبت بوضوح كون السعادة والشقاء اكتسابيين، إذ تقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ أو تقول: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ فلو كان كل من الشقاء والسعادة ذاتيين لكان ينبغي أن يقال: «أما الأشقياء وأما السعداء» وما أشبه ذلك التعبير، ومن هنا يتضح بطلان ما جاء في تفسير الفخر الرازي مما مؤداه: «إن هذه الآيات تحكم من الآن أن جماعة في القيامة سعداء وجماعة أشقياء، ومن حكم اللَّه عليه مثل هذا الحكم ويعلم أنه في القيامة إما شقي أو سعيد، فمحال عليه أن يغير ذلك وإلا للزم أن يكون ما أخبر اللَّه به كذبا ويكون علمه جهلا! وهـذا محال»، فكل ذلك لا أساس له.

وهذا هو الإشكال المعروف على «علم اللَّه» في مسألة الجبر والاختيار والذي أُجيب عليه قديما بأنه: إذا لم نرد تحميل أفكارنا وآراؤنـا المسبقة على آيات القرآن الكريم، فإن مفاهيمها تبدو واضحة، إن هذه الآيات تقول: يوم يأت يكون فيه جمع من الناس سعداء من خلال أعمالهم، وجمع آخر أشقياء بسبب أعمالهم، واللَّه سبحانه يعلم من الذي اختار طريق السعادة باختياره وبإرادته، ومن الذي خطا خطوات في مسير الشقاء بإرادته. وهذا المعنى يعطي نتيجة معاكسة تماما لما ذكره الرازي، حيث إن الناس إذا كانوا مجبورين على هذا الطريق فإن علم اللَّه سيكون جهلا ـ والعياذ باللَّه ـ لأن الجميع اختاروا طريقهم وانتخبوه بإرادتهم ورغبتهم.

الشاهد في الكلام أن الآيات المتقدمة تتحدث عن قصص الأقوام السابقين، حيث عوقبت عقابا جماعة عظيمة منهم بسبب ظلمهم وانحرافهم عن جادة الحق والعدل، وبسبب التلوّث بالمفاسد الأخلاقية الشديدة، والوقوف بوجه الأنبياء والقادة الإلهيين أليما في هذه الدنيا، والقرآن يقص علينا هذه القصص من أجل إرشادنا وتربيتنا وبيان طريق الحق من الباطل، وفصل مسير السعادة عن مسير الشقاء.

←

المؤمنون/١٠٥ و١٠٦: ﴿أَ لَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾

الزمر/٧١: ﴿... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

التغابن/٢: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ...﴾

تفسير:

قال البيضاويّ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وَسَعِيدٌ﴾ وجبت له الجنّة بموجب الوعد[1].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي شقاوتنا وهي المضرّة اللاحقة في العاقبة، والسعادة: المنفعة اللاحقة في العاقبة، والمعنى: استعلت علينا سيّئاتنا التي أوجبت لنا الشقاوة[2].

← وإذا كنا أساسا ـ كما يتصور الفخر الرازي ومن على شاكلته ـ محكومين بالسعادة والشقاء الذاتيين، ونؤخذ دون إرادتنا بالسيئات أو الصالحات، فإن التعليم والتربية سيكونان لغوا وبلا فائدة، ومجيء الأنبياء ونزول الكتب السماوية والنصيحة والموعظة والتوبيخ والملامة والمؤاخذة والسؤال والمحاكمة والثواب، كل ذلك يعدّ غير ذي فائدة، أو يعدّ ظلما. الأشخاص الذين يرون الناس مجبورين على عمل الخير أو الشر، سواء كان هذا الجبر جبرا إلهيا، أو جبرا طبيعيا، أو جبرا اقتصاديا، أو جبرا اجتماعيا متطرفون في عقيدتهم هذه في كلامهم فحسب، أو في كتاباتهم، ولكنهم حتى أنفسهم لا يعتقدون عند العمل بهذا الاعتقاد، ولهذا فلو وقع تجاوز على حقوقهم فإنهم يرون المتجاوز مستحقا للتوبيخ والملامة والمحاكمة والمجازاة، وليسوا مستعدين أبدا للإغضاء عنه بحجة أنه مجبور على هذا العمل وإن من الظلم عقابه ومجازاته، أو يقولوا أنه لم يستطع أن لا يرتكب هذا العمل لأن اللّه أراد ذلك، أو أن المحيط أجبره، أو الطبيعة، وهذا بنفسه دليل آخر على أن أصل الاختيار فطري.

وعلى كل حال، لا نجد للجبر مسلكا في أعمالنا اليومية يرتبط بهذه العقيدة، بل أعمال الناس جميعا تصدر عنهم بصورة حرّة ومختارة وهم مسؤولون عنها. وجميع الأقوام في الدنيا يقبلون حرية الإرادة، بدليل تشكيل المحاكم والإدارات القضائية لمحاكمة المتخلفين. وجميع المؤسسات التربوية في العالم تقبل بهذا الأصل ضمنا، وهو أن الإنسان يعمل بإرادته ورغبته، ويمكن بإرشاده وتعليمه وتربيته أن يتجنب الأخطاء والاشتباهات والأفكار المنحرفة.

٢- واقع الإنسان بين السعادة والشقاوة: الطريف أن لفظ «شقوا» في الآيات المتقدمة ورد بصيغة المبني للمعلوم، ولفظ «سعدوا» ورد بصيغة المبني للمجهول، ولعل في هذا الاختلاف في التعبير إشارة لطيفة إلى هذه المسألة الدقيقة، وهي أن الإنسان يطوي طريق الشقاء بخطاه، ولكن لا بدّ لطي طريق السعادة في الإمداد والعون الإلهي، وإلا فإنه لا يوفّق في مسيره، ولا شك أن هذا الإمداد والعون يشمل أولئك الذين يخطون خطواتهم الأُولى بإرادتهم واختيارهم فحسب وكانت فيهم اللياقة والجدارة لهذا الإمداد؛ فلاحظوا بدقة. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٧، ص ٦٢)

١. أنوار التنزيل، ج ٣، ص ١٤٩.

٢. مجمع البيان، ج ٧، ص ١٩٠.

وقال الزمخشريّ : قالوا: بلى أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة اللّه بسوء أعمالنا كما قالوا: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال[١].

الروايات:

١٨٣٢. الأمالي للصدوق[٢]: أَبِي، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْكِنَانِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣]: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؛ الْخَبَرَ.

١٨٣٣. قرب الإسناد[٤]: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، عَنِ الْقَدَّاحِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام[٥] قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَابِضاً عَلَى شَيْئَيْنِ فِي يَدِهِ، فَفَتَحَ يَدَهُ الْيُمْنَى ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَعْدَادِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، مُجْمَلٌ[٦] عَلَيْهِمْ، لَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يُزَادُ فِيهِمْ أَحَدٌ، ثُمَّ فَتَحَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، فِي أَهْلِ النَّارِ بِأَعْدَادِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، مُجْمَلٌ[٧] عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يُزَادُ فِيهِمْ أَحَدٌ، وَقَدْ يُسْلَكُ بِالسُّعَدَاءِ طَرِيقَ الْأَشْقِيَاءِ حَتَّى يُقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ، هُمْ هُمْ، مَا أَشْبَهَهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ يُدْرِكُ أَحَدَهُمْ سَعَادَتُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ وَلَوْ بِفُوَاقِ نَاقَةٍ[٨]، وَقَدْ يُسْلَكُ بِالْأَشْقِيَاءِ طَرِيقَ أَهْلِ السَّعَادَةِ حَتَّى يُقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ، هُمْ هُمْ، مَا أَشْبَهَهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ يُدْرِكُ أَحَدَهُمْ شِقَاهُ وَلَوْ قَبْلَ مَوْتِهِ وَلَوْ بِفُوَاقِ نَاقَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله : الْعَمَلُ بِخَوَاتِيمِهِ، الْعَمَلُ بِخَوَاتِيمِهِ، الْعَمَلُ بِخَوَاتِيمِهِ.

بيان:

قال الجزريّ في حديث القدر: كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأهل النار أُجمِل على آخرهم، تقول: أجملت الحساب: إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده، أي أُحصوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص. وقال الفيروزآباديّ: الفواق

---

١. الكشاف، ج ٤، ص ١٤٦.

٢. في الأمالي (للصدوق)، ٤٨٨، ضمن ح ١؛ الزهد، ص ١٤، ح ٢٨؛ تفسير القمي، ج ١، ص ٢٢٧؛ وفي الأخيرين صدر رواية.

٣. في الزهد بهذا الإسناد: «القاسم وفضالة، عن أبان بن عثمان، عن الصباح بن سيابة قال: سمعت كلاما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله».

٤. قرب الإسناد، ص ٢٤، ح ٨١؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٨٠، ح ٤٠٩؛ بصائر الدرجات، ص ١٩٢، ح ٤؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٥. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلّى أبي عثمان، عن علي بن حنظلة، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي البصائر: «إبراهيم بن هاشم، عن الحسين بن سيف، عن أبيه، عن أبي القاسم، عن محمد بن عبد اللّه، عن جعفر بن محمد عليهما السلام».

٦. في نسخة: يجمل. (هامش المطبوع)

٧. في نسخة: يجمل. (هامش المطبوع)

٨. فواق ناقة: هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة؛ وقيل: إذا قبض الحالب على الضرع ثم أرسله عند الحلب، راجع لسان العرب.

كغراب: ما بين الحلبتين من الوقت، ويفتح، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع.

١٨٣٤. قرب الإسناد[١]: ابْنُ عِيسَى، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام[٢] أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِنَا بِهَا حَمْلٌ: فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: الدُّعَاءُ مَا لَمْ يَمْضِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا لَهَا أَقَلُّ مِنْ هٰذَا فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ النُّطْفَةَ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ ثَلَاثِينَ يَوْماً[٣]، وَتَكُونُ عَلَقَةً ثَلَاثِينَ يَوْماً، وَتَكُونُ مُضْغَةً ثَلَاثِينَ يَوْماً، وَتَكُونُ مُخَلَّقَةً وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ ثَلَاثِينَ يَوْماً، وَإِذَا تَمَّتِ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهَا مَلَكَيْنِ خَلَّاقَيْنِ يُصَوِّرَانِهِ، وَيَكْتُبَانِ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ شَقِيّاً أَوْ سَعِيداً.

بيان:

قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿**مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾[٤] مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة، أو تامّة وساقطة؛ أو مصوّرة وغير مصوّرة[٥]. انتهى.

أقول:

لعلّ المراد بالخبر أنّ في ثلاثين يوماً بعد المضغة إمّا أن يبتدأ في تصويره بخلق عظامه، أو يسقط، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب، أو يجعل حيث يكون فيه عيب. ثمّ اعلم أنّ هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله صلى الله عليه وآله: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه»، أي يكتب شقاوته، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت.

١٨٣٥. قرب الإسناد[٦]: بِالْإِسْنَادِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: جَفَّ[٧] الْقَلَمُ بِحَقِيقَةِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ بِالسَّعَادَةِ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى، وَالشَّقَاوَةِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْ كَذَّبَ وَعَصَى[٨].

١٨٣٦. الخصال[٩]: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

---

١. قرب الإسناد، ص ٣٥٢، ح ١٢٦٢؛ وفي الكافي، ج ٦، باب بدء خلق الإنسان، ص ١٣، ح ٣، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٤٢، ح ٨٩٥١.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام».

٣. في الكافي: «أربعين يوما» بدلا من «ثلاثين يوما» إلى آخر الحديث.

٤. الحجّ/٥.

٥. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٦٥.

٦. قرب الإسناد، ص ٣٥٥، ح ١٢٧٠؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٢١٠؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٣، ح ١٣؛ وفي الأخيرين صدر رواية عن النبي صلى الله عليه وآله، مع اختلاف يسير.

٧. جَفَّ: يبس، راجع لسان العرب.

٨. في تفسير القمي والتوحيد: «لمن كذّب وكفر بالولاية من اللّه».

٩. الخصال، ج ١، ص ٥، ح ١٤؛ وفي الصحيفة السجادية، ص ٢٠٦، ضمن دعاء ٤٦، بمضمونه؛ معاني الأخبار، ص ٣٤٥، ح ١.

آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام[١] أَنَّهُ قَالَ: حَقِيقَةُ السَّعَادَةِ أَنْ يُخْتَمَ الرَّجُلُ عَمَلُهُ بِالسَّعَادَةِ، وَحَقِيقَةُ الشَّقَاءِ أَنْ يُخْتَمَ الْمَرْءُ عَمَلُهُ بِالشَّقَاءِ.

١٨٣٧. علل الشرائع[٢]: الْمُظَفَّرُ الْعَلَوِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَارَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» قَالَ: تَعْتَلِجُ النُّطْفَتَانِ[٣] فِي الرَّحِمِ فَأَيَّتُهُمَا كَانَتْ أَكْثَرَ جَاءَتْ تُشْبِهُهَا، فَإِنْ كَانَتْ نُطْفَةُ الْمَرْأَةِ أَكْثَرَ جَاءَتْ تُشْبِهُ أَخْوَالَهُ، وَإِنْ كَانَتْ نُطْفَةُ الرَّجُلِ أَكْثَرَ جَاءَتْ تُشْبِهُ أَعْمَامَهُ.

وَقَالَ: تَحَوَّلُ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَفِي تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَ الْأَرْحَامِ فَيَأْخُذُهَا فَيَصْعَدُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقِفُ مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ[٤]، فَيَقُولُ: يَا إِلَهِي أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٥] مِنْ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِلٰهِي أَ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ كَمْ رِزْقُهُ وَمَا أَجَلُهُ؟ ثُمَّ يَكْتُبُهُ وَيَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ يُصِيبُهُ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ فَيَرُدُّهُ فِي الرَّحِمِ؛ فَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[٦].

١٨٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٧]: الْمُفَسِّرُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ فُلَانٌ، يَعْمَلُ مِنَ الذُّنُوبِ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: بَلْ قَدْ نَجَا وَلَا يَخْتِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَلَهُ إِلَّا بِالْحُسْنَى، وَسَيَمْحُو اللَّهُ عَنْهُ السَّيِّئَاتِ، وَيُبَدِّلُهَا لَهُ حَسَنَاتٍ؛ إِنَّهُ كَانَ مَرَّةً يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ، عَرَضَ لَهُ مُؤْمِنٌ قَدِ انْكَشَفَ عَوْرَتُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ فَسَتَرَهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِهَا مَخَافَةَ أَنْ يَخْجَلَ، ثُمَّ إِنَّ ذٰلِكَ الْمُؤْمِنَ عَرَفَهُ فِي مَهْوَاهُ[٨] فَقَالَ لَهُ:

---

١. في المعاني بهذا الإسناد: «ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقي، عن أبيه، عن وهب القرشي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام أن عليا عليه السلام قال».

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ٩٥، ح ٤؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٢٩٩، ح ١٠٥٣٠.

٣. اعتلج الموج: التطم، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر والبرهان: «حيث يشاء اللّه».

٥. في نسخة: فيوحي اللّه عز وجل إليه. (هامش المطبوع)

٦. الحديد/٢٢.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٩، ح ١؛ دلائل الإمامة، ص ٣٧٨، ح ٣٤٠؛ مدينة معاجز الأئمة، ج ٧، ص ١٤٠، ح ٢٢٤٠؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية.

٨. المهوى: ما بين الجبلين ونحو ذلك، راجع لسان العرب.

أَجْزَلَ اللَّهُ لَكَ الثَّوَابَ، وَأَكْرَمَ لَكَ الْمَآبَ[١]، وَلَا نَاقَشَكَ الْحِسَابَ[٢]، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ، فَهٰذَا الْعَبْدُ لَا يُخْتَمُ لَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ بِدُعَاءِ ذٰلِكَ الْمُؤْمِنِ، فَاتَّصَلَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِهٰذَا الرَّجُلِ فَتَابَ وَأَنَابَ وَأَقْبَلَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أُغِيرَ[٣] عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ[٤] فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي أَثَرِهِمْ[٥] جَمَاعَةً ذٰلِكَ الرَّجُلُ أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ فِيهِمْ.

١٨٣٩. التوحيد[٦]: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ، عَنْ شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِساً وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لَحِقَ الشَّقَاءُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ حَتَّى حَكَمَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّهَا السَّائِلُ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذٰلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ[٧] لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ إِطَاقَةَ[٨] الْقَبُولِ مِنْهُ، لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ، فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ، وَإِنْ قَدَرُوا[٩] أَنْ يَأْتُوا خِلَالاً يُنْجِيهِمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَهُوَ سِرٌّ.

بيان:

هذا الخبر مأخوذ من الكافي، وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظنّ بالصدوق وإنّه إنّما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل[١٠]، وفي الكافي[١١] هكذا: أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَقُومُ أَحَدٌ[١٢] مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ فَلَمَّا حَكَمَ بِذٰلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقْلَ الْعَمَلِ بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ أَهْلُهُ، وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ

---

١. المآب: المَرجِع والمنقلَب، راجع القاموس المحيط.

٢. ناقشه الحساب وفي الحساب: استقصى في حسابه. (هامش المطبوع)

٣. أغار على العدوّ: هجم عليهم ديارَهم وأوقع بهم، راجع المصباح المنير.

٤. السرح: المال السائم، راجع لسان العرب.

٥. خرجت في أثره: بعده، راجع لسان العرب.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٤، ح ١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٦٢.

٧. في المصدر: «وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم ...».

٨. الإطاقة: القدرة على الشيء، راجع لسان العرب.

٩. في نسخة كما في التوحيد المطبوع: ولم يقدروا. (هامش المطبوع)

١٠. هذا البيان ناش عن سقوط سطر من نسخة المؤلف «رحمه اللّه» والصدوق «رحمه اللّه» أثبت وأضبط. (هامش المطبوع)

١١. الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاء، ص ١٥٣، ح ٢.

١٢. في الكافي: «لا يقوم له أحد».

الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ، وَمَنَعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَأْتُوا حَالاً تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَهُوَ سِرُّهُ.

قوله عليه السلام: «لا يقوم أحد» أي تكاليفه تعالى شاقّة لا يتيسّر الإتيان بها إلّا بهدايته تعالى، أو كيفيّة حكم اللّه وقضائه في غاية الغموض، لا تصل إليها عقول أكثر الخلق. قوله عليه السلام: «ومنعهم إطاقة القبول» قيل: هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم إطاقة القبول، والظاهر أنّه على صيغة الماضي أي منع اللّه منهم غاية الوسع والطاقة بالألطاف والهدايات التي يستحقّها أهل الطاعة بنيّاتهم الحسنة، لا أنّه سلبهم القدرة على الفعل واللّه يعلم.

١٨٤٠. التوحيد[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنِ ابْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْبَطَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[٢] قَالَ: بِأَعْمَالِهِمْ شَقُوا.

١٨٤١. التوحيد[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَلَوِيُّ، عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، عَنِ الْفَضْلِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَقَالَ: الشَّقِيُّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَنَّهُ سَيَعْمَلُ أَعْمَالَ الْأَشْقِيَاءِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَنَّهُ سَيَعْمَلُ أَعْمَالَ السُّعَدَاءِ. قُلْتُ لَهُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَعْصُوهُ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤] فَيَسَّرَ كُلّاً لِمَا خَلَقَ لَهُ، فَالْوَيْلُ لِمَنِ اسْتَحَبَّ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى.

١٨٤٢. التوحيد[٥]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنِ ابْنِ حَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؛ فَمَنْ عَلِمَهُ اللَّهُ سَعِيداً لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً، وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً أَبْغَضَ عَمَلَهُ وَلَمْ يُبْغِضْهُ، وَإِنْ عَلِمَهُ شَقِيّاً لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً، وَإِنْ عَمِلَ صَالِحاً أَحَبَّ عَمَلَهُ وَأَبْغَضَهُ لِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ شَيْئاً لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً، وَإِذَا أَبْغَضَ شَيْئاً لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً.

بيان:

خلق السعادة والشقاوة أي قدّرهما بتقدير التكاليف الموجبة لهما. قوله عليه السلام: «فمن علمه اللّه سعيداً» في

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٦، ح ٢؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤١١؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩، ح ٧٥٤٠.

٢. المؤمنون/١٠٦.

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٦، ح ٣؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٧٢، ح ١٠١٥٠.

٤. الذاريات/٥٦.

٥. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٧، ح ٥؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٤٠٥؛ الكافي، ج ١، باب السعادة والشقاء، ص ١٥٢، ح ١.

٦. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

الكافي: «فمن خلقه اللّه» أي قدّره بأن علمه كذلك، وأثبت حاله في اللوح أو خلقه حال كونه عالماً بأنّه سعيد.

١٨٤٣. التوحيد[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ وَسَعْدٍ مَعاً، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٣] قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ بِالْمَوْتِ[٤]. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يَنْقُلُ الْعَبْدَ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى السَّعَادَةِ، وَلَا يَنْقُلُهُ مِنَ السَّعَادَةِ إِلَى الشَّقَاءِ.

١٨٤٤. المحاسن[٥]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنِ ابْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُحِبُّ اللَّهُ الْعَبْدَ ثُمَّ يُبْغِضُهُ؟ أَوْ يُبْغِضُهُ ثُمَّ يُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: مَا تَزَالُ تَأْتِينِي بِشَيْءٍ! فَقُلْتُ: هٰذَا دِينِي وَبِهِ أُخَاصِمُ النَّاسَ، فَإِنْ نَهَيْتَنِي عَنْهُ تَرَكْتُهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَبْغَضَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ؟ فَقَالَ: لَوْ أَبْغَضَهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ لَمَا أَلْطَفَ لَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَجَعَلَهُ نَبِيّاً. فَقُلْتُ: أَ لَمْ تُجِبْنِي مُنْذُ سِنِينَ عَنِ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ أَنَّهُمَا كَانَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؟ قَالَ: بَلَى وَأَنَا السَّاعَةَ أَقُولُهُ. قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّعِيدِ هَلْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ؟ فَقَالَ: لَوْ أَبْغَضَهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ لَمَا أَلْطَفَ لَهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَيَجْعَلَهُ سَعِيداً. قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الشَّقِيِّ هَلْ أَحَبَّهُ اللَّهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ؟ فَقَالَ: لَوْ أَحَبَّهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ مَا تَرَكَهُ شَقِيّاً وَلَاسْتَنْقَذَهُ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى السَّعَادَةِ. قُلْتُ: فَهَلْ يُبْغِضُ اللَّهُ الْعَبْدَ ثُمَّ يُحِبُّهُ أَوْ يُحِبُّهُ ثُمَّ يُبْغِضُهُ؟ فَقَالَ: لَا.

١٨٤٥. المحاسن[٦]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ مُثَنًّى الْحَنَّاطِ[٧]، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ قَوْماً لِحُبِّنَا، وَخَلَقَ قَوْماً لِبُغْضِنَا، فَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِحُبِّنَا خَرَجُوا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِهِ لَأَعَادَهُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ رَغِمَتْ

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٨، ح ٦؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٣٧، ح ٢٠٥، وقد تمت الرواية فيه إلى: «يعلم أن الباطل حق»؛ الحاشية على أُصول الكافي (للعلوي العاملي)، ص ١٣١.

٢. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. الأنفال/ ٢٤.

٤. الظاهر أن جملة «وقد قيل إن اللّه ...» من كلام الصدوق مدرجة بين الحديثين. (هامش المطبوع)

٥. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٤٠٦.

٦. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٠، ح ٤٠٨، وفي ح ٤٠٧، مع اختلاف العبارة؛ الأُصول الستة عشر، ص ٣٠٩، ح ٤٧٠؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٦٠.

٧. في المحاسن، ح ٤٠٧، بهذا الإسناد: «الوشّاء، عن مثنّى الحنّاط، ...»، وفي الأُصول: «أحمد بن محمد بن سعيد، عن علي بن الحسن بن فضّال التيملي، عن العباس بن عامر، عن مثنى الوليد الحنّاط، ...».

آنَافُهُمْ[١]، وَخَلَقَ قَوْماً لِبُغْضِنَا فَلَا يُحِبُّونَنَا أَبَداً[٢].

١٨٤٦. المحاسن[٣]: ابْنُ مَحْبُوبٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَأَنْزَلَ فِي التَّوْرَاةِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ، وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ، فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَنَا اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ، وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُ، فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ.

١٨٤٧. المحاسن[٥]: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ[٦]، عَنْ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْجَمَّالِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] ـ وَذُكِرَ عِنْدَهُ الْقَدَرُ وَكَلَامُ الِاسْتِطَاعَةِ ـ فَقَالَ: هٰذَا كَلَامٌ خَبِيثٌ، أَنَا عَلَى دِينِ آبَائِي، لَا أَرْجِعُ عَنْهُ، الْقَدَرُ حُلْوُهُ وَمُرُّهُ مِنَ اللَّهِ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ.

١٨٤٨. المحاسن[٨]: أَبُو شُعَيْبٍ الْمَحَامِلِيُّ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الْحَمَّارِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ[٩] الْخَيْرُ وَالشَّرُّ حُلْوُهُ وَمُرُّهُ وَصَغِيرُهُ وَكَثِيرُهُ مِنَ اللَّهِ.

بيان:

المراد بخلق الخير والشرّ إمّا تقديرهما كما مرّ، أو المراد خلق الآلات والأسباب التي بها يتيسّر فعل الخير وفعل الشرّ، كما أنّه تعالى خلق الخمر وخلق في الناس القدرة على شربها، أو كناية عن أنّهما إنّما يحصلان بتوفيقه وخذلانه فكأنّه خلقهما؛ أو المراد بالخير والشرّ النعم والبلايا؛ أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنّه يكون باختياره مختاراً للخير، ومختاراً للشرّ، واللّه يعلم.

---

١. إن رَغَم أنفه: إن ذلّ أو كره، راجع لسان العرب.

٢. **نقول:** لا يبعد أن يكون اللام هنا للغاية، مثل قوله تعالى في قضية التقاط موسى من أمواج البحر(النيل): ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ (القصص/٨) وعلى ذلك فالذين اختاروا حبّ أهل البيت عليهم السلام لو كان لهم عثرات أنقذهم اللّه منها لحسن انتخابهم، ولكن الذين اختاروا البغض بسوء اختيارهم لا يهديهم اللّه ولا يكون عليهم وكيلا.

٣. في المحاسن، ج ١، ص ٢٨٣، ح ٤١٤ وفي ح ٤١٥، مع اختلاف العبارة؛ الكافي، ج ١، باب الخير والشر، ص ١٥٤، ح ١.

٤. في المحاسن، ح ٤١٥، بهذا الإسناد: «أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام».

٥. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٣، ح ٤١٧ و٤١٨؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٧٩، ح ٢٧؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٦. في المصدر: «الحسين بن علي».

٧. في المحاسن، ح ٤١٨، بهذا الإسناد: «أبو شعيب المحاملي، عن أبي سليمان الجمال، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي التوحيد: «محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن محمد بن إدريس، عن إبراهيم بن سعيد، عن أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٨. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٤١٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٣، ح ٦.

٩. تبدأ الرواية في النوادر من هنا.

١٨٤٩. المحاسن[١]: الْبَزَنْطِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ[٣].

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٤١٩؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢، ح ١٦؛ الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر، ص ١٥٦، ح ٢.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. الخير موجود مخلوق من غير شكّ، وأما الشرّ فليس بموجود ولا مخلوق بالأصالة وإنما يتحقق بالعرض وبمقايسة شيء إلى شيء نحواً من المقايسة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية (الرعد/١٦)؛ وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الآية (السجدة/٧)؛ حيث عدّ كل شيء خلقاً لنفسه ثم عدّه حسناً غير سيّيء، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ الآية (النساء/٧٩)؛ فعدّ بعض الأشياء كالبلايا والأمراض سيئات وذكرها بالمساءة، مع أنها من حيث وجودها وخلقها حسنة فليست مساءتها إلا من جملة العرض والمقايسة. فالأشياء أعم من الخيرات والشرور من حيث وجودها وخلقها مستندة إليه تعالى كما ذكر في خبر المحاسن الماضي عن الحسن بن علي وكذلك مع المقايسة إذا كان الاستناد أعم مما بالذات وبالعرض والشرور من حيث هي شرور لا تستند إليه تعالى بالأصالة كما ذكر في هذا الخبر. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

﴿باب ٧﴾

«الهداية والإضلال، والتوفيق والخذلان»

الآيات:

الفاتحة/٥ و٦: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]

---

١. **نقول:** هنا سؤال يتبادر إلى الأذهان عن سبب طلبنا من اللّه الهداية إلى الصراط المستقيم، ترى هل نحن ضالون كي نحتاج إلى هذه الهداية؟ وكيف يصدر مثل هذا الأمر عن المعصومين وهم نموذج الإنسان الكامل؟!

وفي الجواب نقول: أولا: الإنسان معرض في كل لحظة إلى خطر التعثر والانحراف عن مسير الهداية، ولهذا كان على الإنسان تفويض أمره إلى اللّه، والاستمداد منه في تثبيت قدمه على الصراط المستقيم. ينبغي أن نتذكر دائما أن نعمة الوجود وجميع المواهب الإلهية، تصلنا من المبدأ العظيم تعالى لحظة بعد لحظة. وذكرنا من قبل أننا وجميع الموجودات ـ بلحاظ معين ـ مثل مصابيح كهربائية، النور المستمر في هذه المصابيح يعود إلى وصول الطاقة إليها من المولّد الكهربائي باستمرار، فهذا المولّد ينتج كل لحظة طاقة جديدة ويرسلها عن طريق الأسلاك إلى المصابيح لتتحول إلى نور. وجودنا يشبه نور هذه المصابيح.

هذا الوجود وإن بدأ ممتدا مستمرا، هو في الحقيقة وجود متجدّد يصلنا باستمرار من مصدر الوجود الخالق الفيّاض. هذا التجدد المستمر في الوجود يتطلب باستمرار هداية جديدة، فلو حدث خلل في الأسلاك المعنوية التي تربطنا باللّه، كالظلم والإثم و... سوف ينقطع ارتباطنا بمنبع الهداية، وتزيغ أقدامنا فورا عن الصراط المستقيم. نحن نتضرع إلى اللّه في صلواتنا أن لا يعتري ارتباطنا به مثل هذا الخلل، وأن نبقى ثابتين على الصراط المستقيم.

ثانيا: الهداية هي السير على طريق التكامل، حيث يقطع فيه الإنسان تدريجيا مراحل النقصان ليصل إلى المراحل العليا. وطريق التكامل ـ كما هو معلوم ـ غير محدود، وهو مستمر إلى اللانهاية.

مما تقدّم نفهم سبب تضرع حتى الأنبياء والأئمة عليهم السلام للّه تعالى أن يهديهم الصراط المستقيم، فالكمال المطلق للّه تعالى، وجميع ما سواه يسيرون على طريق التكامل، فما الغرابة في أن يطلب المعصومون من ربّهم درجات أعلى؟! نحن نصلّي على محمد وآل محمد، والصلاة تعني طلب رحمة إلهية جديدة لمحمد وآل محمد، ومقام أعلى لهم. والرسول صلى الله عليه وآله قال: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه/١١٤)، والقرآن الكريم ←

البقرة/٦ و٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

البقرة/٢٦: ﴿... يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1]

← يقول: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (مريم/٧٦)، ويقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمّد/١٧).

ما هو الصراط المستقيم؟

هذا الصراط كما يبدو من تفحص آيات الذكر الحكيم هو دين التوحيد والالتزام بأوامر اللّه، ولكنه ورد في القرآن بتعابير مختلفة. فهو الدين القيم، ونهج إبراهيم عليه السلام، ونفي كل أشكال الشرك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/١٦١)، فهذه الآية الشريفة عرّفت الصراط المستقيم من جنبة ايديولوجية؛ وهو أيضا رفض عبادة الشيطان والاتّجاه إلى عبادة اللّه وحده، كما في قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس/٦١ و٦٢)، وفيها إشارة إلى الجنبة العملية للدين. أما الطريق إلى الصراط المستقيم فتم من خلال الاعتصام باللّه: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران/١٠١).

يلزمنا أن نذكر أن الطريق المستقيم هو طريق واحد لا أكثر، لأنه لا يوجد بين نقطتين أكثر من خط مستقيم واحد، يشكل أقصر طريق بينهما. من هنا كان الصراط المستقيم في المفهوم القرآني، هو الدين الإلهي في الجوانب العقائدية والعملية، ذلك لأن هذا الدين أقرب طريق للارتباط باللّه تعالى. ومن هنا أيضا فإن الدين الحقيقي واحد لا أكثر ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران/١٩). (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١، ص ٥٤)

١. **نقول:** ظاهر عبارة الآية المذكورة يوحي بأن الهداية والضلال جبريّان ومرتبطان بإرادة اللّه تعالى، بينما العبارة الأخيرة من الآية توضح أن الهداية والضلال مترتبان على أعمال الإنسان نفسه. ولمزيد من التوضيح نقول: إن أعمال الإنسان وتصرفاته لها نتائج وثمار معينة. لو كان العمل صالحا فنتيجته مزيد من التوفيق والهداية في السير نحو اللّه ومزيد من أداء الأعمال الصالحة. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ (الأنفال/٢٩)، وإن جنح الإنسان نحو المنكرات فإن الظلمات تتراكم على قلبه، ويزدادنّهما لارتكاب المحرمات، وقد يبلغ به الأمر إلى أن ينكر خالقه. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الروم/١٠)، وقال أيضا: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصفّ/٥)، والآية التي يدور حولها بحثنا شاهد آخر على ذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾. ممّا تقدم يتضح أن الإنسان حرّ في انتخاب الطريق في بداية الأمر، وهذه حقيقة يقبلها ضمير كل إنسان، ثم على الإنسان بعد ذلك أن ينتظر النتائج الحتمية لأعماله.

بعبارة موجزة: الهداية والضلالة في المفهوم القرآني لا يعنيان الإجبار على انتخاب الطريق الصحيح أو الخاطئ، بل إن الهداية المفهومة من الآيات المتعددة تعني توفّر سبل السعادة، والإضلال يعني زوال الأرضية المساعدة للهداية، دون أن يكون هناك إجبار في المسألة. توفّر السبل الذي نسميه التوفيق وزوال هذه السبل الذي نسميه سلب التوفيق هما نتيجة أعمال الإنسان نفسه. فلو منح اللّه فردا توفيق الهداية، أو سلب من أحد هذا التوفيق، فإنما ذلك نتيجة الأعمال المباشرة لهذا الفرد أو ذاك. ويمكن التمثيل لهذه الحقيقة بمثال بسيط: حين يمرّ الإنسان قرب هاوية خطرة فإنه يتعرض لخطر الانزلاق والسقوط فيها كلما اقترب منها أكثر، كما أن احتمال سقوطه في الهاوية يقلّ كلما ابتعد عنها أكثر، والحالة الأُولى هداية والثانية ضلال. من مجموع ما ذكرنا يتضح الجواب على ما يثار من أسئلة في حقل الهداية والضلال. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١، ص ١٣٩)

البقرة/٢١٣ و ٢١٤: ﴿... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

البقرة/٢٥٧: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...﴾

البقرة/٢٥٨: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

البقرة/٢٦٤: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

آل عمران/٧٣: ﴿... قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ...﴾

آل عمران/٨٦: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

النساء/٦٨: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[1]

المائدة/٤١: ﴿... وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ...﴾

المائدة/٤٩: ﴿... فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ...﴾

المائدة/٥٤: ﴿... ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

المائدة/٦٧: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

المائدة/١٠٨: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

الأنعام/٢٥: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ...﴾

الأنعام/٣٥: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

الأنعام/٣٩: ﴿... مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

الأنعام/٥٣: ﴿وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ...﴾

الأنعام/١١٠-١١٣: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا

---

١. **نقول:** من الواضح البين أن المراد من هذه الهداية ليس هو الإرشاد إلى أصل الدين، بل المراد ألطاف جديدة يمن بها اللَّه سبحانه على العباد الصالحين بعنوان الثواب والهداية الثانوية، فهو يشبه ما أُشير إليه في الآية (١٧) من سورة محمّد ﷺ إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٣، ص ٣١٢)

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾

الأنعام/١٢٣: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ...﴾

الأنعام/١٢٥: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

الأنعام/١٤٤: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الأنعام/١٤٩: ﴿... فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

الأعراف/٢٧: ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

الأعراف/١٧٨ و١٧٩: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

الأعراف/٣٠: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ...﴾

الأعراف/١٤٦: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾

الأعراف/١٨٦: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

الأنفال/١٧: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ رَمَى ...﴾

الأنفال/٢٤: ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ...﴾

التوبة/١٩: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

التوبة/٢٤: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

التوبة/٨٧: ﴿... وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

التوبة/١٢٧: ﴿... صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

يونس/٢٥: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

يونس/٣٣: ﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

يونس/٤٢-٤٤: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

يونس/٩٦ و٩٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

هود/٨٨: ﴿... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

هود/١١٨ و١١٩: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

هود/٣٤: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]

الرعد/٢٧: ﴿... قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾

الرعد/٣١: ﴿... أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ...﴾

الرعد/٣٣: ﴿... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

إبراهيم/٤: ﴿... فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...﴾

إبراهيم/٢٧: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

النحل/٩٣: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

النحل/١٠٧ و١٠٨: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

الإسراء/٩٧: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ...﴾[2]

---

١. الإغواء: هو الدعاء إلى الغي والضلال، وذلك غير جائز على اللّه سبحانه لقبحه، وورود أمره بضدّه، فهو من قبيل الاستعارة، والمراد هنا تخييبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم به، وذهابهم عن أمره، وخذلانهم عن سبيل الرشاد، ويجوز أن يكون بمعنى الهلاك، كما يجوز أن يكون بمعنى الحكم بالغواية عليهم. (هامش المطبوع)

٢. **نقول:** هاتان الجملتان تثبتان أن الدليل القوي والقاطع لا يكفي للإيمان، فما لم يكن هناك توفيق إلهي لا يستقر الإيمان أبدا. هذا التعبير ←

الإسراء/١٦: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾

الكهف/١٧: ﴿... مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾

مريم/٧٥: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً ...﴾[1]

مريم/٧٦: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ...﴾

مريم/٨٣: ﴿أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾

النور/٢١: ﴿... وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

النور/٤٠: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

النور/٤٦: ﴿... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

الفرقان/١٨: ﴿... وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾

الشعراء/٢٠٠ و٢٠١: ﴿كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

النمل/٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾

القصص/٤١: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ...﴾[2]

← يشبه دعوتنا لمجموعة لأن تفعل الخير بعد أن نشرح لهم أهمية الموضوع بواسطة الأدلة المختلفة، إلا أن الحصيلة العملية ستكون موافقة البعض، وامتناع البعض الآخر عن فعل الخير برغم صحة الأدلة، وبذلك لا يكون كل واحد لائقا لفعل الخير. وهذه حقيقة فليس كل قلب يليق لأن ينال نور الحق، إضافة إلى أن الكلام يثير المستمع، وقد يحدث أن يترك الشخص بتأثير هذا الكلام عناده ولجاجته ليثبت لياقته للحق ويستسلم له. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٩، ص ١٥١)

١. **نقول:** في الحقيقة، إن مثل هؤلاء الأفراد الذين لا يمكن هدايتهم ـ والملاحظ أن القرآن يقول: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ وهو إشارة إلى الاستمرار في الضلال ـ من أجل أن يروا العقاب الإلهي الشديد يجعلهم اللّه سبحانه يجعلهم أحيانا يغوصون ويغرقون في النعم لتصبح سببا لغرورهم، كما تكون سببا لنزول العذاب عليهم، فإن سلب النعم عنهم حينئذ سيجعل لوعة العذاب أشد. وهذا هو ما ذكر في بعض آيات القرآن بعنوان عقاب الاستدراج. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٩، ص ٤٩٤)

٢. **نقول:** هذا التعبير أوجد إشكالا لدى بعض المفسرين، إذ كيف يمكن أن يجعل اللّه أُناسا أئمة للباطل؟ ولكن هذا الأمر ليس معقدا، لأنه أولا: إن هؤلاء هم في مقدمة جماعة من أهل النار، وحين تتحرك الجماعات من أهل النار، فإن هؤلاء يتقدمونهم إلى النار، فكما أنهم كانوا في هذه الدنيا أئمة الضلال، فهم في الآخرة أيضا أئمة النار، لأن ذلك العالم تجسّم كبير لهذا العالم. ثانيا: كونهم أئمة الضلال في الحقيقة نتيجة أعمالهم ←

القصص/٥٦: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]

الروم/٢٩: ﴿... فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

الروم/٥٩: ﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

السجدة/١٣: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

سبأ/٥٠: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِى وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِى إِلَيَّ رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾

فاطر/٨: ﴿أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ...﴾

فاطر/٢٢: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ﴾

يس/٧-١٠: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

← أنفسهم، ونعرف أن تأثير كل سبب هو بأمر اللَّه، فهم اتخذوا طريقا يؤدي بهم إلى الضلال وينتهي بهم إلى أن يكونوا أئمة الضالين، فهذه حالهم في يوم القيامة.

ملاحظة:

أئمة «النور» وأئمة «النار»: هناك طائفتان من الأئمة في منطق القرآن الكريم، فأئمة للمتقين يهدونهم إلى الخيرات، كما ورد في شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء/٧٣). فهؤلاء أئمة أصحاب مناهج واضحة، لأن التوحيد الخالص والدعوة إلى الخير والعمل الصالح والحق والعدالة، تشكّل متن مناهجهم، فهم أئمة النور، وخطهم متصل بسلسلة الأنبياء والأوصياء إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام. وهناك أئمة للضلال، وقد عبّرت عنهم الآيات محل البحث بأنهم: ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾.

ومن خصائص هاتين الطائفتين من الأئمة، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما يلي: «إن الأئمة في كتاب اللَّه إمامان، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر الناس يقدمون أمر اللَّه قبل أمرهم، وحكم اللَّه قبل حكمهم، قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدمون أمرهم قبل أمر اللَّه، وحكمهم قبل حكم اللَّه، ويأخذون بأهوائهم خلاف كتاب اللَّه». وبهذا المعيار يتّضح معرفة هاتين الطائفتين من الأئمة، ففي يوم القيامة الذي تتمايز فيه الصفوف، كل جماعة تمضي خلف إمامها، فأهل النار إلى النار، وأهل الجنة إلى الجنة، كما يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء/٧١). (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٢، ص ٢٣٨)

١. **نقول:** ليس المقصود من الهداية إراءة الطريق، لأن إراءة الطريق هي من وظيفة النبي صلى الله عليه وآله، وتشمل جميع الناس دون استثناء، بل المقصود من الهداية هنا هو الإيصال للمطلوب والهدف، والإيصال إلى المطلوب وإلى الهدف هو بيد اللَّه وحده، الذي يغرس الإيمان في القلوب، وليس هذا العمل اعتباطا ودون حساب، فهو تعالى ينظر إلى القلوب المهيأة والمستعدة ليهبها نور السماء. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٢، ص ٢٦٠)

الزمر/٣: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾

الزمر/٢٣: ﴿... ذٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

الزمر/٣٧: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ...﴾

الزمر/٥٧: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

غافر/٣٣: ﴿... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

غافر/٣٤: ﴿... كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾

غافر/٣٥: ﴿... كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾

غافر/٧٤: ﴿... كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

فصّلت/٢٥: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾

الشورى/١٣: ﴿... اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾

الشورى/٤٤: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ...﴾

الشورى/٤٦: ﴿... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾

الزخرف/٣٢: ﴿... وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ...﴾

الزخرف/٣٦: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

الزخرف/٤٠: ﴿أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الجاثية/٢٣: ﴿أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]

---

١. **نقول:** هنا يطرح سؤال، وهو: كيف يمكن أن يتخذ الإنسان إلهه هواه؟ غير أن من الواضح الجلي أن الإنسان عند ما يضرب صفحا عن أوامر اللَّه سبحانه ويتبع ما تمليه عليه شهواته ويقدم طاعتها على طاعة اللَّه سبحانه ويعتبر ذلك حقا فقد عبد هواه، وهذا عين معنى العبادة، إذ أن أحد المعاني المعروفة للعبادة هو الطاعة.

أما في مورد جملة: ﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فالتفسير المعروف هو أن اللَّه سبحانه قد أضلهم لعلمه بأنهم لا يستحقون الهداية، وهو إشارة إلى أن هؤلاء قد أطفؤوا بأيديهم كل مصابيح الهداية وحطموها، وأغلقوا في وجوههم كل سبل النجاة، ودمروا وراءهم جسور العودة إلى طريق الحق، فعند ذلك سلبهم اللَّه تعالى رحمته ولطفه، وأفقدهم القدرة على تشخيص الصالح من الطالح، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، وكأنما ختم على قلبهم وسمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة. وما كل ذلك في الحقيقة إلا آثار لما اختط هؤلاء لأنفسهم من مسير، ونتيجة مشؤومة ←

محمّد/١٦: ﴿... أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

محمّد/١٧: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾

محمّد/٢٣: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾

الصفّ/٧: ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

المنافقون/٣: ﴿... فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

الإنسان/٣: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1]

تفسير:

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال البيضاويّ: «الختم»: الكتم، سمّي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه، لأنّه كتم له والبلوغ آخره، نظراً إلى أنّه آخر فعل يفعل في إحرازه. والغشاوة فعالة من غشاه: إذا غطّاه، بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنّما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان

← لعبادة الآلهة التي اتخذوها. ولا صنم في الحقيقة أخطر من اتباع هوى النفس الذي يوصد كل أبواب الرحمة وطرق النجاة بوجه الإنسان. وكم هو بليغ وعميق الحديث المروي عن الرسول الأكرم ﷺ: «ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى اللّه من الهوى».

إلا أن بعض المفسرين يعتبر هذه الجملة إشارة إلى أن متبعي الهوى هؤلاء قد اختاروا طريق الضلالة طريقا لهم عن علم ودراية، لأن العلم لا يقارن الهداية دائما، كما لا تكون الضلالة دائما قرينة الجهل. إن العلم الذي يتمسك الإنسان بلوازمه أساس الهداية، فعليه كي يصل إلى مراده وهدفه أن يتحرك على هدي هذا العلم، وألا يكون كأولئك الكفار العنودين الذين قال في حقهم القرآن: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ (النمل/١٤).

قرأنا في حديث أن أبغض الآلهة إلى اللّه هوى النفس، ولا مبالغة في هذا الحديث قط، لأن الأصنام العادية موجودات لا خصائص لها ولا صفات فعالة مهمة، أما صنم الهوى وأتباعه، فإنه يغوي الإنسان ويسوقه إلى ارتكاب أنواع المعاصي، والانزلاق في هاوية الانحراف. وبصورة عامة، يمكن القول بأن لهذا الصنم من الخصوصيات ما جعله مستحقا لصفة أبغض الآلهة والأصنام، فهو يزين القبائح والسيئات في نظر الإنسان حتى يصل إلى درجة يفخر عندها بتلك الأعمال الطالحة، ويكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف/١٠٤). (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٢١٤)

١. **نقول:** إن للهداية هنا معنى واسعا، فهي تشمل الهداية التكوينية والهداية الفطرية وكذلك الهداية التشريعية وإن كان سياق الآية يؤكّد على الهداية التشريعية.

توضيح: إن اللّه قد خلق الإنسان لهدف الابتلاء والاختبار والتكامل، فأوجد فيه المقدمات لكي يصل بها إلى هذا الهدف، ووهبه القوى اللازمة لذلك، وهذه هي «الهداية التكوينية»، ثم جعل في أعماق فطرته عشقا لطي هذا الطريق، وأوضح له السبيل عن طريق الإلهام الفطري، فسمي ذلك بالهداية الفطرية، ومن جهة أُخرى بعث القادة السماويين والأنبياء العظام لإراءة الطريق بالتعليمات والقوانين النيرة السماوية، وذلك هو الهداية التشريعية، وجميع شعب الهداية الثلاثة هذه لها صبغة عامة، وتشمل جميع البشر. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٩، ص ٢٤٦)

والطاعات بسبب غيّهم وانهماكهم[١] في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح، فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ، وأسماعهم تعاف استماعه، فتصير كأنّها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس، كما تجتليها أعين المستبصرين، فتصير كأنّها غطّي عليها وحيل بينها وبين الأبصار، وسمّاه على الاستعارة ختماً وتغشية؛ أو مثّل قلوبهم ومشاعرهم المئوفة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية.

وقد عبّر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾[٢]، وبالإغفال في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ**﴾[٣]، وبالإقساء في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾[٤]، وهي من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إلى اللّه واقعة بقدرته استندت إليه، ومن حيث إنّها مسبّبة ممّا اقترفوه بدليل قوله: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾[٦] وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم، واضطرّت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل:

الأوّل: إنّ القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك في قلوبهم حتّى صار كالطبيعة لهم شبّه بالوصف الخلقي المجبول عليه.

الثاني: أنّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها اللّه تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدّر ختم اللّه عليها؛ ونظيره: سال به الوادي: إذا هلك، وطارت به العنقاء: إذا طالت غيبته.

الثالث: أنّ ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر، لكن لمّا كان صدوره عنه بإقداره تعالى إيّاه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب.

الرابع: أنّ أعراقهم لمّا رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثمّ لم يقسرهم إبقاءاً على غرض التكليف عبّر عن تركه بالختم، فإنّه سدّ لإيمانهم، وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغيّ وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي.

---

١. الانهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه، راجع لسان العرب.

٢. النحل/١٠٨.

٣. الكهف/٢٨.

٤. المائدة/١٣.

٥. النساء/١٥٥.

٦. المنافقون/٣.

الخامس: أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[١] تهكّماً واستهزاءاً بهم، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٢] الآية.

السادس: أنّ ذلك في الآخرة، وإنّما أخبر عنه بالماضي لتحقّقه وتيقّن وقوعه ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[٣].

السابع: أنّ المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفّرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى اللّه تعالى من طبع وإضلال ونحوهما[٤]. انتهى.

أقول:

بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلّف الحكيم أحداً ثمّ يمنعه عن الإتيان بما كلّفه به ثمّ يعذّبه عليه وشهادة العقل بقبح ذلك وأنّه تعالى منزّه عنه لا بدّ من الحمل على أحد الوجوه التي ذكرها.

وزاد الشيخ الطبرسيّ «رحمه اللّه» على ما ذكر وجهين آخرين: أحدهما: ما سيأتي نقلاً عن تفسير العسكريّ عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أنّ المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم اللّه تعالى أنّه لا يؤمن فإنّه يعلم على قلبه علامة. وقيل: هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنّه لا يؤمن بعدها فيذمّونه ويدعون عليه كما أنّه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنّه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له، فقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما: أنّه طبع اللّه عليها جزاءاً للكفر وعقوبة عليه، والآخر أنّه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال: طبع عليه بالطين، وختم عليه بالشمع.

وثانيهما: أنّ المراد بالختم على القلوب أنّ اللّه شهد عليها وحكم بأنّها لا تقبل الحقّ، كما يقال: أراك أنّك تختم على كلّ ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدّقه، وقد ختمت عليك بأنّك لا تفلح أي شهدت، وذلك استعارة[٥].

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: فيه وجهان: أحدهما: حكي عن الفرّاء أنّه قال حكاية عمّن قال: ﴿مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً﴾ أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم، ثمّ قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ

---

١. فصّلت/٥.

٢. البيّنة/١.

٣. الإسراء/٩٧.

٤. أنوار التنزيل، ج ١، ص ٤٢.

٥. مجمع البيان، ج ١، ص ١٣٠.

بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾، فبيّن تعالى أنّه لا يضلّ إلّا فاسقاً ضالّاً، وهذا وجه حسن.

والآخر: أنّه كلامه تعالى ابتداءاً وكلاهما محتمل، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله: **﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾** أنّ الكفّار يكذبون به وينكرونه، ويقولون: ليس هو من عند اللّه فيضلّون بسببه، وإذا حصل الضلال بسببه أُضيف إليه؛ وقوله: **﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾** يعني الذين آمنوا به وصدّقوه، وقالوا: هذا في موضعه، فلمّا حصلت الهداية بسببه أُضيف إليه، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال، فالمعنى أنّ اللّه يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضلّ بها قوم كثير، ويهدي بها قوم كثير، ومثله قوله: **﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾**[1] أي ضلّوا عندها، وهذا مثل قولهم: أفسدت فلانة فلاناً وأذهبت عقله، وهي ربّما لم تعرفه، ولكن لمّا ذهب عقله وفسد من أجلها أُضيف الفساد إليها، وقد يكون الإضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الألطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاءاً على إيمانهم، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه: أفسدت سيفك، أُريد به أنّك لم تحدث فيه الإصلاح في كلّ وقت بالصقل والإحداد.

وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال: أضلّه: إذا نسبه إلى الضلال، وأكفره: إذا نسبه إلى الكفر، قال الكميت: وطائفة قد أكفروني بحبّكم. وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير، ومنه قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾**[2]، ومنه قوله تعالى: **﴿أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ﴾**[3] أي هلكنا، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾**[4] أي لم يبطل، فعلى هذا يكون المعنى: أنّ اللّه تعالى يهلك ويعذّب بالكفر به كثيراً بأن يضلّهم عن الثواب وطريق الجنّة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنّة بالإيمان به كثيراً، عن أبي عليّ الجبّائيّ، قال: ويدلّ على ذلك قوله: **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾** لأنّه لا يخلو من أن يكون أراد العقوبة على التكذيب كما قلناه، أو يكون أراد به التحيير والتشكيك، فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنّه لا يفعل إلّا بالفاسق المتحيّر الشاكّ فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدّمة التي بها صاروا فسّاقاً من فعله إلّا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً، وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أوّل، أو ثبوت إضلال لا إضلال قبله، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضلّ من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله: **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾**، وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم اللّه عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم إهلاكاً لهم، ويكون إهلاكه إضلالاً، وكلّ ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى

---

١. إبراهيم/٣٦.

٢. القمر/٤٧.

٣. السجدة/١٠.

٤. محمّد/٤.

اللّه تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى اللّه سبحانه الإضلال الذي أضافه إلى الشيطان وإلى فرعون والسامريّ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾[١]، وقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٣]، وهو أن يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال وغير ذلك، ممّا يؤدّي إلى التظليم والتجوير إلى ما يذهب إليه المجبّرة تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

وإذ قد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية التي هي ضدّه. اعلم أنّ الهداية في القرآن تقع على وجوه:

أحدها: أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال: هداه الطريق وللطريق وإلى الطريق إذا دلّه عليه، وهذا الوجه عامّ لجميع المكلّفين، فإنّ اللّه تعالى هدى كلّ مكلّف إلى الحقّ بأن دلّه عليه وأرشده إليه، لأنّه كلّفه الوصول إليه فلو لم يدلّه عليه لكان قد كلّفه ما لا يطيق؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[٥]، وقوله: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى﴾[٦]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٧]، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٨]، وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٩] وما أشبه ذلك من الآيات.

وثانيها: أن يكون بمعنى زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[١٠].

وثالثها: أن تكون بمعنى الإثابة ومنه قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١١]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ

---

١. يس/٦٢.
٢. طه/٧٩.
٣. طه/٨٥.
٤. النجم/٢٣.
٥. الدهر/٣.
٦. البقرة/١٨٥.
٧. فصّلت/١٧.
٨. الشورى/٥٢.
٩. البلد/١٠.
١٠. محمّد/١٧.
١١. يونس/٩.

بَالَهُمْ﴾[١] والهداية التي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محالة.

ورابعها: الحكم بالهداية كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾[٢] وهذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين دون غيرهم، لأنّه تعالى إنّما يثيب من يستحقّ الإثابة وهم المؤمنون، ويزيدهم ألطافاً بإيمانهم وطاعتهم، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً.

وخامسها: أن تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه، واللّه تعالى يفعل العلوم الضروريّة في القلوب فذلك هدايته منه تعالى، وهذا الوجه أيضاً عامّ لجميع العقلاء كالوجه الأوّل، فأمّا الهداية التي كلّف اللّه تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنّها من فعل العباد، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب، وإن كان اللّه سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه، ودعاهم إلى فعله وتكليفهم إيّاه وأمرهم به، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم، ومنّة منه واصلة إليهم، وفضل منه وإحسان لديهم، فهو مشكور على ذلك محمود، إذ فعله بتمكينه وألطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته[٣].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ إنّ المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام؛ أو المراد به: يهديهم باللطف فيكون خاصّاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به؛ أو المراد به: يهديهم إلى طريق الجنّة[٤].

وقال في قوله تعالى: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾ قيل: هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن وإنّما قاله الرسول استبطاءاً للنصر على جهة التمنّي؛ وقيل: إنّ معناه الدعاء للّه بالنصر؛ وقيل: إنّه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلاً: قال المؤمنون: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾، وقال الرسول ﷺ: ﴿**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[٥].

وقال في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ أي من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الهدى والإيمان، بأن هداهم إليه ونصب الأدلّة لهم عليه ورغّبهم فيه، وفعل بهم من الألطاف ما يقوّي دواعيهم إلى فعله[٦].

---

١. محمّد/٤ و ٥.

٢. الإسراء/٩٧.

٣. مجمع البيان، ج ١، ص ١٦٦-١٦٨.

٤. مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٤.

٥. المصدر السابق، ص ٥٤٦.

٦. المصدر السابق، ص ٦٣٢.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد. وقيل: لا يهديهم إلى المحاجّة كما يهدي أنبيائه؛ وقيل: لا يهديهم بألطافه وتأييده إذا علم أنّه لا لطف لهم؛ وقيل: لا يهديهم إلى الجنّة[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً﴾ معناه: كيف يسلك اللّه بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم؟ أو أنّه على طريق التبعيد كما يقال: كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته؟ أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلّا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه، أو كيف يهديهم اللّه إلى طريق الجنّة والحال هذه؟[٢]

أقول:

الأظهر أنّ المعنى أنّهم حرموا أنفسهم بما اختاروه الألطاف الخاصّة من ربّهم تعالى.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّ المراد بالفتنة العذاب أي من يرد اللّه عذابه كقوله تعالى: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذّبون، وقوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[٣] أي عذابكم.

وثانيها: أنّ معناه من يرد اللّه إهلاكه.

وثالثها: أنّ المراد به من يرد اللّه خزيه وفضيحته بإظهار ما ينطوي عليه.

ورابعها: أنّ المراد من يرد اللّه اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه. والأصحّ الأوّل.

﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر اللّه الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ معناه: أولئك اليهود لم يرد اللّه أن يطهّر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم، كما طهّر قلوب المؤمنين منها، بأن كتب في قلوبهم الإيمان، وشرح صدورهم للإسلام. وقيل: معناه: لم يرد أن يطهّرها من الكفر بالحكم عليها بأنّها بريئة منه، ممدوحة بالإيمان.

قال القاضي: وهذا لا يدلّ على أنّه سبحانه لم يرد منهم الإيمان، لأنّ ذلك لا يعقل من تطهير القلب إلّا على جهة التوسّع، ولأنّ قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ يقتضي نفي كونه مريداً، وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه، والمراد بذلك أنّه لم يرد تطهير قلوبهم ممّا يلحقها من الغموم بالذمّ والاستخفاف والعقاب، ولذا

---

١. مجمع البيان، ج ٢، ص ٦٣٦.

٢. المصدر السابق، ص ٧٨٩.

٣. الذاريات/١٣ و ١٤.

قال عقيبه: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولو كان أراد ما قاله المجبّرة لم يـجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقّبه بالذمّ، ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك فيهم[١].

أقول:

رَوَى النُّعْمَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ فِيمَا رَوَاهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ فِي تَفْسِيرِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ: مِنْهُ فِتْنَةُ الِاخْتِبَارِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢] وَقَوْلُهُ لِمُوسَى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[٣].

وَمِنْهُ فِتْنَةُ الْكُفْرِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾[٤] وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يَعْنِي ائْذَنْ لِي وَلَا تُكْفِرْنِي، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٥].

وَمِنْهُ فِتْنَةُ الْعَذَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٦] أَيْ يُعَذَّبُونَ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٧] أَيْ ذُوقُوا عَذَابَكُمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾[٨] أَيْ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْهُ فِتْنَةُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ وَالْوَلَدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٩].

وَمِنْهُ فِتْنَةُ الْمَرَضِ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَ وَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٠] أَيْ يَمْرَضُونَ وَيُقْتَلُونَ[١١]. انتهى.

---

١. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٠٢.

٢. العنكبوت/١ و٢.

٣. طه/٤٠.

٤. التوبة/٤٨.

٥. التوبة/٤٩.

٦. الذاريات/١٣.

٧. الذاريات/١٤.

٨. البروج/١٠.

٩. التغابن/١٥.

١٠. التوبة/١٢٦.

١١. ناسخ القرآن، ص ٢٢٢ و٢٢٣.

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ**﴾ قيل: في معناه أقوال: أحدها: معناه فاعلم يا محمّد أنّما يريد اللّه أن يعاقبهم ببعض أجرامهم، وذكر البعض والمراد به الكلّ، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص.

والثاني: أنّه ذكر البعض تغليظاً للعقاب، والمراد أنّه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم.

والثالث: أنّه أراد تعجيل بعض العقاب ممّا كان من التمرّد في الأجرام، لأنّ عذاب الدنيا مختصّ بـبعض الذنوب دون بعض، وعذاب الآخرة يعمّ[١].

قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾ قال الزمخشريّ: الأكنّة على القلوب، والوقر في الآذان مثل في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحتّه، ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا**﴾ للـدلالة على أنّه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنّهم مجبولون عليه، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به مـن قـولهم: ﴿**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾[٢].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: قال القاضي أبو عاصم العامريّ: أصحّ الأقوال فيه ما روي أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله كان يصلّي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبّر معانيه ويؤمن به، فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة، وكان اللّه تعالى يلقي عليهم النوم، أو يجعل في قلوبهم أكنّة ليقطعهم عن مرادهم، وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجّة وتنقطع به المعذرة، وبعد ما علم اللّه تعالى أنّهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به، فشبّه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم، وبوقر آذانهم، لأنّ ذلك كان يمنعهم من التدبّر كالوقر والغطاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً**﴾[٣].

ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنّه تعالى يعاقب هؤلاء الكفّار الذين علم أنّهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما يستمعونه؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمّى الكفر الذي في قلوبهم كنّاً تشبيهاً ومجازاً، وإعراضهم عن القرآن وقراً توسّعاً، لأنّ مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم، كـما لا يحصلان مع الكنّ والوقر، ونسب ذلك إلى نفسه، لأنّه الذي شبّه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه: جعلته فاضلاً، وبالضدّ إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول: جعلته فاسقاً[٤].

---

١. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٦.

٢. الكشاف، ج ٢، ص ١٣.

٣. الإسراء/ ٤٥.

٤. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٤٣.

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة[١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: «اللام»: لام العاقبة[٢]. وقال الزمخشريّ معناه خلّيناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر[٣]. وكذا قال: «اللام»: لام العاقبة في قوله تعالى: ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا، فآل أمرهم إلى هذه العاقبة[٤].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ وجهين:

أحدهما: أنّه يقلّبهما في جهنّم على لهب النار وحرّ الجمر كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة في الدنيا، والآخر أنّ المعنى: يقلّب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغمّ وتزعج النفس[٥].

وقال الزمخشريّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ و﴿نَذَرُهُمْ﴾ عطف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦] داخل في حكم وما يشعركم أنّهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنّا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم، فلا يفقهون ولا يبصرون الحقّ، كما كانوا عند نزول آياتنا أوّلاً، لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم، وما يشعركم أنّا نذرهم في طغيانهم أي نخلّيهم وشأنهم لا نكفّهم عن الطغيان حتّى يعمهوا فيه. وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي مشيّة إكراه واضطرار[٧].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله: ﴿كَذٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ وجوه:

أحدها: أنّ المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجنّ والإنس، ومتى أمر اللّه رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداءاً له.

وثانيها: أنّ معناه حكمنا بأنّهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرّهم، وهذا كما يقال: جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك.

وثالثها: أنّ المراد خلّينا بينهم وبين اختيارهم العداوة، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولا جبراً، لأنّ ذلك يزيل التكليف.

---

١. الكشاف، ج ٢، ص ٢٠.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٥٦.

٣. الكشاف، ج ٢، ص ٦٣.

٤. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٧٤.

٥. المصدر السابق، ص ٥٤٠.

٦. الأنعام/١٠٩.

٧. الكشاف، ج ٢، ص ٥٨.

ورابعها: أنّه سبحانه إنّما أضاف ذلك إلى نفسه، لأنّه سبحانه لمّا أرسل إليهم الرسل، وأمرهم إلى دعائهم إلى الإسلام والإيمان، وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه، ومثله قول نوح عليه السلام: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِى إِلَّا فِرَاراً﴾[١].

وقال: والعامل في قوله: ﴿وَلِتَصْغَى﴾ قوله: ﴿يُوحِى﴾ ولا يجوز أن يكون العامل فيه ﴿جَعَلْنَا﴾، لأنّ اللّه سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحي الشياطين، إلّا أن نجعلها لام العاقبة. وقال البلخيّ: «اللام» في ﴿وَلِتَصْغَىَ﴾ لام العاقبة، وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد[٢].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّ معناه فمن يرد اللّه أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنّة يشرح صدره في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسّك به، وإنّما يفعل ذلك لطفاً له ومنّاً عليه، وثواباً على اعتدائه بهدى اللّه وقبوله إيّاه، ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيّقاً حرجاً عقوبة له على تركه الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان، بل ربما يكون ذلك داعياً إليه، فإنّ من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً إلى تركه.

وثانيها: أنّ معناه فمن يرد اللّه أن يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه، جزاءاً له على إيمانه واهتدائه، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة، ومن يرد أن يضلّه أي يخذله ويخلّي بينه وبين ما يريده، لاختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل صدره ضيّقاً حرجاً بأن يمنعه الألطاف التي هو ينشرح لها صدره، لخروجه من قبولها بإقامته على كفره.

وثالثها: أنّ معناه من يرد اللّه أن يهديه زيادة الهدى التي وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة، لأنّ من حقّها أن يزيد المؤمن بصيرة، ومن يرد أن يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحّ عليه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة، لأنّها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضادّه. و﴿الرِّجْسَ﴾: العذاب[٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ أي حكمنا بذلك لأنّهم يتناصرون على الباطل، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثاً﴾[٤].[٥]

---

١. نوح/٦.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٤٤ و ٥٤٥.

٣. المصدر السابق، ص ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢.

٤. الزخرف/١٩.

٥. مجمع البيان، ج ٤، ص ٦٣٣.

وقال في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ يعني خلقناهم على أنّ عاقبتهم المصير إلى جهنّم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم، ويدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].[٢] وقال الزمخشريّ: جعلهم في أنّهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحقّ ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق اللّه نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات اللّه سماع تدبّر كأنّهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدّة شكائمهم[٣] فيه وأنّهم لا يتأتّى منهم إلّا أفعال أهل النار مخلوقين للنار، دلالة على توغّلهم في الموجبات، وتمكّنهم فيما يؤهّلهم لدخول النار[٤].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ أي جماعة حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى، أو لطف لهم بما اهتدوا عنده، أو هداهم إلى طريق الثواب، ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ﴾ أي وجب عليهم الضلالة، إذ لم يقبلوا الهدى، أو حقّ عليهم الخذلان، لأنّه لم يكن لهم لطف تنشرح لهم صدورهم، أو حقّ عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم[٥].

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكنّ اللّه قتلهم لأنّه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، وشاء النصر والظفر، وقوّى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أنت يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، يعني أنّ الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنّك لو رميتها لما بلغ أثرها إلّا ما يبلغ أثر رمي البشر، ولكنّها كانت رمية اللّه حيث أثّرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول اللّه صلى الله عليه وآله، لأنّ صورتها وجدت منه، ونفاها عنه، لأنّ أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل اللّه، فكان اللّه هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنّها لم توجد من الرسول أصلاً[٦].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ أي انصرفوا عن المجلس؛ وقيل انصرفوا عن الإيمان به. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الفوائد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها، وحرموا الاستبشار بتلك الحال؛ وقيل: معناه صرف اللّه قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الإيمان بالقرآن، وعن مجلس رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ وقيل إنّه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم اللّه باستحقاقهم ذلك، ودعاء اللّه

---

١. الذاريات/٥٦.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٧٢.

٣. فلان شديد الشكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد لما فيه من الصلابة والصعوبة، والجمع شكائم، راجع مجمع البحرين.

٤. الكشاف، ج ٢، ص ١٧٩.

٥. مجمع البيان، ج ٤، ص ٦٣٥.

٦. الكشاف، ج ٢، ص ٢٠٧.

على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم[١].

قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال الزمخشريّ: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من الكلمة أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان وعلم اللّه منهم ذلك، أو حقّ عليهم كلمة اللّه أنّهم من أهل الخذلان وأنّ إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليل بمعنى لأنّهم لا يؤمنون[٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ثبت عليهم قول اللّه الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفّاراً فلا يكون غيره فتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد؛ تعالى اللّه عن ذلك[٣].

وقال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه»: إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقال له: أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنّما عنى به المشيّة التي ينضمّ إليها الإلجاء، ولم يعن المشيّة على سبيل الاختيار، وإنّما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنّه ممّن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً، من حيث كان قادراً على الإلجاء والإكراه على ما أراده من العباد، فأمّا لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ، فأمّا دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعّد عليه، فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومجرياً بخلق العباد إليه، وأمّا شهادة اللفظ فلأنّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين أولى في لسان العرب، فأمّا ما طعن به السائل من تذكير الكناية فباطل، لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقيّ، وإذا كنّي عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى، لأنّ معناها هو الفضل والإنعام كما قالوا: سرّني كلمتك، يريدون سرّني كلامك. وقال اللّه تعالى: ﴿هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾[٤] ولم يقل: «هذه» وإنّما أراد هذا فضل من ربّي، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥] ولم يقل: «قريبة».

أقول:

ثمّ استشهد «رحمه اللّه» لذلك بكثير من الأشعار تركناها حذراً من الإطناب، ثمّ قال: وقال زياد الأعجم:

---

١. مجمع البيان، ج ٥، ص ١٢٩.

٢. الكشاف، ج ٢، ص ٣٤٥.

٣. المصدر السابق، ص ٣٧١.

٤. الكهف/٩٨.

٥. الأعراف/٥٦.

إنّ الشـــجاعة والمـروّة ضـمّنا قبراً بمرو على الطريق الواضـح

ويروى: أنّ السماحة والشجاعة؛ فقال: «ضمّنا» ولم يقل: «ضمّنتا»، قال الفرّاء: لأنّه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران، والعرب تقول: قصارة الثوب يعجبني، لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر، على أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على أن يرحم، فإذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه، لأنّ الفعل مذكّر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أُمّة واحدة لا محالة أنّه لهذا خلقهم، ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنّة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أُمّة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[2] في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنّة، فعلى هذا التأويل يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنّة، لأنّه تعالى إنّما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.

فأمّا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحقّ فيه بالهوى والشبهات. وذكر أبو مسلم محمّد بن بحر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أنّ خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، لأنّه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً وقولك: اختلفوا، كما سواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان، أي جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر؛ فأمّا الرحمة فليست رقّة القلب، لكنّها فعل النعم والإحسان؛ يدلّ على ذلك أنّ من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقّة قلبه عليه.

فإن قيل: إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أنّ نعم اللّه تعالى شاملة للخلق أجمعين فأيّ معنى للاستثناء ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة؟ وكيف يصحّ اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامّة؟

قلنا: لا شبهة في أنّ نعم اللّه سبحانه شاملة للخلق أجمعين غير أنّ في نعمه أيضاً ما يختصّ بها بعض العباد، إمّا لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص، فإذا حملنا قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لأنّ النعمة به لا تكون إلّا مستحقّة، فمن استحقّ الثواب بأعماله وصل إلى هذه

---

١. الذاريات/٥٦.

٢. السجدة/١٣.

النعمة، ومن لم يستحقّه لم يصل إليها، وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصّة، لأنّه تعالى إنّما لم ينعم على سائر المكلّفين بها من حيث لم يكن في معلومه أنّ لهم توفيقاً، وأنّ في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان، فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم، كما أنّ شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه[١]. انتهى كلامه «رفع اللّه مقامه».

وقال الزمخشريّ: ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأوّل وتضمّنه، يعني ولذلك التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحقّ بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره، ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ لعلمه بكثرة من يختار الباطل[٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿**أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ**﴾ يعني مشيّة الإلجاء والقسر ﴿**لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ ومعنى ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ**﴾: أ فلم يعلم؛ قيل: هي لغة قوم من النخع؛ وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنّه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمّن ذلك، ويدلّ عليه أنّ عليّاً عليه السلام وابن عبّاس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا: أ فلم يتبيّن وهو تفسير ﴿**أَ فَلَمْ يَيْأَسِ**﴾ ويجوز أن يتعلّق ﴿**أَنْ لَوْ يَشَاءُ**﴾ بـ﴿**آمَنُوا**﴾ أي أ ولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء اللّه لهدى الناس جميعاً ولهداهم[٣].

وقال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» في كتاب الغرر والدرر: قال اللّه جلّ من قائل: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً**﴾ الآية؛ في هذه الآية وجوه من التأويل كلّ منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتّى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه:

أوّلها: أنّ الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً، وإنّما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً، فتعلّق الإرادة لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك، وإذا علمنا بالأدلّة العقليّة تنزّه القديم تعالى عن القبائح علمنا أنّ الإرادة لم يتعلّق إلّا بالإهلاك الحسن وقوله تعالى: ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾ المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق، وإن وقع بعده الفسق، ويجري هذا مجرى قول القائل: أمرته فعصى ودعوته فأبى؛ والمراد أنّني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول.

---

١. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٧٠-٧٥.

٢. الكشاف، ج ٢، ص ٤٣٨.

٣. المصدر السابق، ص ٥٣٠.

ويمكن أن يقال على هذا الوجه: ليس موضع الشبهة ما تكلّمتم عليه، وإنّما موضعها أن يقال: أيّ معنى لتقدّم الإرادة، فإن كانت متعلّقة بإهلاك مستحقّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَدْنَا ... أَمَرْنَا﴾ لأنّ أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية، فهذا هو الذي تأبونه، لأنّه يقتضي أنّه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب.

والجواب عن ذلك أنّه تعالى لم يعلّق الإرادة إلّا بالإهلاك المستحقّ بما تقدّم من الذنوب، والذي حسّن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا ... أَمَرْنَا﴾ هو أنّ في تكرّر الأمر بالطاعة والإيمان إعذاراً إلى العصاة وإنذاراً لهم، وإيجاباً وإثباتاً للحجّة عليهم حتّى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان، بعد تكرّر الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول وتجب عليه الحجّة، ويشهد بصحّة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].

والثاني: أن يكون قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ من صفة القرية وصلتها، ولا يكون جواباً لقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ ويكون تقدير الكلام: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، ويكون ﴿إِذَا﴾ على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنّة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[2] ولم يأت لـ﴿إِذَا﴾ جواب في طول الكلام للاستغناء عنه.

والثالث: أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتّساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنّهم متى أُمروا فسقوا وخالفوا، ويجري ذكر الإرادة هاهنا مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كلّ جهة وجاءه الخسران من كلّ طريق، وقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرّع إلى كلّ ما تتوق إليه نفسه، ومعلوم أنّ التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً، ولا العليل أيضاً، لكن لمّا كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً، وكلام العرب وحي وإشارات واستعارة ومجازات، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة، فإنّ الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كلّه على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة، وكلام اللّه تعالى أفصح الكلام.

---

١. الإسراء/١٥.

٢. الزمر/٧٣ و ٧٤.

الرابع: أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها: وإذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقّوا العقاب أردنا إهلاكهم، والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير؛ وممّا يمكن أن يكون شاهداً بصحّة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾[١] والطهارة إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ**﴾[٢] وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة، لأنّ إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال، فأمّا قراءة من قرأ بالتشديد فقال: أمّرنا، وقراءة من قرأ بالمدّ والتخفيف فقال: آمرنا، فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها إلّا الوجه الأوّل، فإنّ معناه لا يليق إلّا بأن يكون ما تضمّنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الفعل[٣]. انتهى.

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: وقرأ يعقوب: «آمرنا» بالمدّ، وهو قراءة عليّ بن أبي طالب والحسين عليهما السلام وجماعة، وقرأ «أمّرنا» بالتشديد ابن عبّاس والنهدي وأبو جعفر محمّد بن علي عليه السلام بخلاف، وقرأ «أمرنا» بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر، وأُرجع الجميع إلى معنى كثرنا، **كَقَوْلِهِ** صلى الله عليه وآله[٤]: **خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ**، أي كثيرة النتاج[٥].

وقال الزمخشريّ: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا**﴾ أي وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلّا قليلاً أمرناهم ﴿**فَفَسَقُوا**﴾ أي أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز، لأنّ حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنّه صبّ عليهم النعمة صبّاً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتّباع الشهوات فكأنّهم مأمورون بذلك، لتسبّب إبلاء النعمة فيه، وإنّما خوّلهم إيّاها ليشكروا ويعملوا فيها بالخير ويتمكّنوا من الإحسان والبرّ كما خلقهم أصحّاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشرّ وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلمّا فسقوا حقّ عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمّرهم. وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثرنا؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر[٦].[٧]

---

١. المائدة/٦.

٢. النساء/١٠٢.

٣. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ١-٥.

٤. رواه الصدوق في معاني الأخبار، باب معنى السكة المأبورة مسنداً.

٥. مجمع البيان، ج ٦، ص ٦٢٤.

٦. الثبور: الهلاك، راجع لسان العرب.

٧. الكشاف، ج ٢، ص ٦٥٤.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً﴾ يعني أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنّه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل، لتقطّع معاذير الضالّ، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[١]، أو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[٢]، أو ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً﴾ في معنى الدعاء بأن يمهله اللّه وينفّس في مدّة حياته[٣].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي خلّينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعوهم إلى الضلال حتّى أغووهم، ولم يخلّ بينهم بالإلجاء ولا بالمنع، وعبّر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع، كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره أرسل كلبه عليه. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ أي تزعجهم إزعاجاً[٤] من الطاعة إلى المعصية؛ وقيل: تغريهم إغراءاً بالشيء[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أزكياء ما صار منكم أحد زكيّاً، أو ما طهر أحد من وسوسة الشيطان وما صلح، ﴿وَلٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ أي يطهّر بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، وهو من له لطيف، يفعله سبحانه به ليزكو عنده[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً﴾ أي نجاة وفرجاً، أو نوراً في القيامة[٧].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم، وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتّى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين[٨].

وفي قوله: ﴿كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي القرآن[٩].

وفي قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أعمالهم التي أمرناهم بها، وقيل: بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتهى[١٠].

---

١. فاطر/٣٧.

٢. آل عمران/١٧٨.

٣. الكشاف، ج ٣، ص ٣٧.

٤. زعج: إذا طرد وصاح، راجع تاج العروس.

٥. مجمع البيان، ج ٦، ص ٨١٩.

٦. المصدر السابق، ج ٧، ص ٢١٠.

٧. المصدر السابق، ص ٢٣٠.

٨. المصدر السابق، ص ٢٥٨.

٩. المصدر السابق، ص ٣٢٠.

١٠. المصدر السابق، ص ٣٢٩.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ قال البيضاويّ: قيل: بالتسمية كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثاً﴾[١] أو بمنع الألطاف الصارفة عنه[٢].[٣]

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي هدايته، أو من أحببته لقرابته، والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان، فإنّه لا يقدر عليه إلّا اللّه تعالى، لأنّه إمّا أن يكون من فعله خاصّة أو بإعلامه، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلّا اللّه تعالى، فإنّ الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافه سبحانه إليه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤]؛ وقيل: إنّ المراد بالهداية في الآية الإجبار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك؛ وقيل: معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحقّ[٥].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ أي بأن نفعل أمراً من الأُمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف. قال الجبّائيّ: ويجوز أن يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات، ﴿وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أن أجازيهم بالعقاب ولا أردّهم. وقيل: معناه ولو شئنا لهديناهم إلى الجنّة ﴿وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي الخير والوعيد، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي من كلا الصنفين بكفرهم[٦].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلطف له ويوفّقه، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي إنّك لا تقدر على أن تنفع الكفّار بإسماعك إيّاهم، إذ لم يقبلوا، كما لا يسمع من في القبور من الأموات[٧].

وقال في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم اللّه؛ وقيل: تقديره: لقد سبق القول على أكثرهم

---

١. الزخرف/١٩.

٢. قال الشيخ الطوسي «قدس سره» [في التبيان، ج ٨، ص ١٥٤] ذيل هذه الآية: قيل: في معناه قولان: أحدهما: إنا عرفنا الناس أنهم كانوا كذلك كما يقال جعله رجل شر بتعريفنا حاله. والثاني: إنا حكمنا عليهم بذلك، كما قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ والجعل على أربعة أقسام: أحدها: بمعنى الإحداث، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾. الثاني: بمعنى قلبه من حال إلى حال، كجعل النطفة علقة. الثالث: بمعنى الحكم أنه على صفة. الرابع: بمعنى اعتقد أنه على حال، كقولهم: جعل فلان فلانا راكبا إذا اعتقد فيه ذلك. (هامش المطبوع)

٣. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ١٧٩.

٤. الشورى/٥٢.

٥. مجمع البيان، ج ٧، ص ٤٠٦.

٦. المصدر السابق، ج ٨، ص ٥١٥.

٧. المصدر السابق، ص ٦٣٣.

أنّهم لا يؤمنون، وذلك أنّه سبحانه أخبر ملائكته أنّهم لا يؤمنون، فحقّ قوله عليهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ يعني أيديهم، كنّى عنها وإن لم يذكرها، لأنّ الأعناق والأغلال يدلّان عليهما، واختلف في معنى الآية على وجوه:

أحدها: أنّه سبحانه إنّما ذكره ضرباً للمثل، وتقديره: مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عمّا تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير، ورجل طامح[1] برأسه لا يبصر موطئي قدميه.

وثانيها: أنّ المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبّره لثقله عليهم، وذلك أنّهم لمّا استكبروا عنه وأنفوا من اتّباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه، لاوياً عنقه، شامخاً بأنفه، لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنّما غلّت أيديهم إلى أعناقهم؛ وإنّما أضاف ذلك إلى نفسه، لأنّ عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إيّاهم صاروا بهذه الصفة.

وثالثها: أنّ المعنيّ بذلك أُناس من قريش همّوا بقتل النبيّ ﷺ فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً.

ورابعها: أنّ المراد به وصف حالهم يوم القيامة، فهو مثل قوله: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾[2]، ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ أراد أنّ أيديهم لمّا غلّت إلى أعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعدا، فهم مرفوع الرأس برفع الأغلال إيّاها، و«المقمح»: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحقّ، وذلك عبارة عن خذلان اللّه إيّاهم لمّا كفروا، فكأنّه قال: وتركناهم مخذولين، فصار ذلك من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً. وإذا قلنا: إنّه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدّماً ولا متأخّراً إذ سدّ عليهم جوانبهم، وإذا حملنا على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبيّ ﷺ فالمراد جعلنا بين أيدي أُولئك الكفّار منعاً ومن خلفهم منعاً حتّى لم يبصروا النبيّ ﷺ.

وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي أغشيناهم أبصارهم فهم لا يبصرون النبيّ ﷺ؛ وقيل: أي فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى؛ وقيل: فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار؛ وقيل: معناه أنّهم لمّا انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتّى لا يكادوا يتخلّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه[3].

---

١. الطامح: المرتفع، راجع كتاب الماء.

٢. غافر/٧١.

٣. مجمع البيان، ج ٨، ص ٦٥٠-٦٥٢.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ أي عن طريق الجنّة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي لا يقدر على هدايته أحد؛ وقيل: من ضلّ عن اللّه ورحمته فلا هادي له، يقال: أضللت بعيري إذا ضلّ؛ وقيل: معناه: من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف، لأنّ الكافر لا لطف له[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي كراهة أن تقول: لو أراد اللّه هدايتي لكنت ممّن يتّقي معاصيه. وقيل: إنّهم لمّا لم ينظروا في الأدلّة واشتغلوا بالدنيا توهّموا أنّ اللّه لم يهدهم، فردّ اللّه عليهم بقوله: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ الآية[٢].[٣]

وقال الزمخشريّ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ وقدّرنا لهم، يعني لمشركي مكّة ﴿قُرَنَاءَ﴾ أخداناً[٤] من الشياطين من جمع قرين كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٥]. فإن قلت: كيف جاز أن يقيّض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتّباع خطواتهم، قلت: معناه أنّه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين، والدليل عليه ومن يعش نقيّض. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتّباع الشهوات، وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يعني كلمة العذاب ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة أُمم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب[٦].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ معناه أنّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بأحواجهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له، فينتظم بذلك قوام أمر العالم؛ وقيل: معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك[٧].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي يعرض عنه ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ أي نخلّي بينه وبين الشيطان الذي يغويه، فيصير قرينه عوضاً عن ذكر اللّه؛ وقيل: معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه، فيذهب به إلى النار، كما أنّ المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة[٨].

---

١. مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٧٣.

٢. الزمر/٥٨.

٣. مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٨٧.

٤. الخِدْن: الصديق، والجمع أخدان، راجع لسان العرب.

٥. الزخرف/٣٦.

٦. الكشاف، ج ٤، ص ١٩٦.

٧. مجمع البيان، ج ٩، ص ٧١.

٨. المصدر السابق، ص ٧٣.

وقال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» فيما مرّ في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ الآية؛ فيه وجوه:

أوّلها: أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب اللّه النظر في الآيات، وعن العزّ والكرامة اللذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه في آيات اللّه تعالى وأدلّته وتمسّك بها، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلّة، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصّة، وهذا التأويل يطابقه الظاهر، لأنّه تعالى قال: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فبيّن أنّ صرفهم من الآيات يستحقّ بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلّا بما ذكرناه.

وثانيها: أن يصرفهم عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجّة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم، لأنّه تعالى إنّما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدّم من الآيات، فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها، وصرف الذين علم من حالهم أنّهم لا يؤمنون بها عنها؛ ويكون الصرف على أحد وجهين: إمّا بأن لا يظهرها جملة، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم.

وثالثها: أن يكون معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ أي لا أُوتيها من هذه صفته، وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم، وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً.

ورابعها: أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها اللّه في قلوب المؤمنين، ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكلّ واحد منها ما يستحقّه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تأوّل أهل الحقّ الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أنّ المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن، ويكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخصّ بها المؤمنين المصدّقين بآياتي وأنبيائي.

وخامسها: أن يريد تعالى: أنّي أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها، لأنّ من الواجب على اللّه، أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنّه ينقض الغرض في البعثة.

وسادسها: أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة، ومعلوم أنّ من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له: صرفه عنه، كما يقال: أكفره وكذّبه وفسّقه.

وسابعها: أنّه تعالى لمّا علم أنّ الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ سينصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول: سأصرف عن آياتي، فيريد سأُظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه، ويجري ذلك مجرى قولهم: سأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله. و«الآيات» إمّا المعجزات أو جمع الأدلّة.

وثامنها: أن يكون الصرف هاهنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلّة وحججاً، فيكون تقدير الكلام: إنّي بما أُؤيّده من حججي وأُحكمه من آياتي وبيّناتي سأصرف المبطلين والمكذّبين عن القدح في الآيات والدلالات.

وتاسعها: أنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا وعد موسى عليه السلام وأُمّته لهلاك عدوّهم قال: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ فأراد عزّ وجلّ أنّه يهلكهم ويصطلمهم[١] ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات اللّه تعالى والردّ لحججه، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبّارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها.

وفي قوله تعالى: ﴿**يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أنّ التكبّر لا يكون إلّا بغير الحقّ.

والثاني: أنّ في التكبّر ما يكون ممدوحاً لأنّ من تكبّر وتنزّه عن الفواحش وتباعد عن فعلها وتجنّب أهلها يكون مستحقّاً للمدح، وإنّما التكبّر المذموم هو الواقع على وجه النخوة[٢] والبغي والاستطالة على ذوي الضعف، والفخر عليهم والمباهات لهم.

ثمّ المراد بالغفلة في الآية التشبيه لا الحقيقة، ووجه التشبيه أنّهم لمّا أعرضوا عن تأمّل آيات اللّه تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً، غافلاً عنها كما قال تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾[٣] على هذا المعنى[٤]. انتهى ملخّص كلامه «رحمه اللّه»، وقد بسط الكلام فيها بما لا مزيد عليه.

وقال «رضي اللّه عنه» في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ أمّا النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنّة والنار، والثواب والعقاب. وقد تصحّ الكناية عن الثواب والنعيم في الجنّة بأنّه نور، وعن العقاب في النار بأنّه ظلمة، وإذا كان المراد بهما الجنّة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى، لأنّه لا شبهة في أنّه جلّ وعزّ هو المدخل للمؤمن الجنّة، والعادل به عن طريق النار.

والظاهر بما ذكرناه أشبه، لأنّه يقتضي أنّ المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى، ولصار تقدير الكلام: أنّه يخرج المؤمن الذي تقدّم كونه مؤمناً من الكفر إلى

---

١. الصَّلْم: القطع المستأصِل، واصطُلم القوم: أُبيدوا، راجع لسان العرب.

٢. النخوة: العظمة والفخر، راجع لسان العرب.

٣. البقرة/١٨.

٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٣٠٨-٣١٧.

الإيمان، وذلك لا يصحّ؛ على أنّا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصحّ ولم يكن مقتضياً لما توهّموه، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه ـ وإن لم يكن الإيمان من فعله ـ من حيث دلّ وبيّن وأرشد ولطف وسهّل.

وقد علمنا أنّه لو لا هذه الأُمور لم يخرج المكلّف من الكفر إلى الإيمان، فتصحّ إضافة الإخراج إليه لكون ما عددناه من جهته، وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغّبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول: أنا أدخلت فلاناً البلد الفلانيّ، وأنا أخرجته من كذا وكذا.

ألا ترى أنّه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت، وإن لم يدلّ ذلك على أنّ الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفّار، بل وجه الإضافة ما تقدّم، لأنّ الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر، ويزيّنون فعله، فكيف اقتضت الإضافة الأُولى أنّ الإيمان من فعل اللّه في المؤمن، ولم تقتض الإضافة الثانية أنّ الكفر من فعل الشياطين في الكفّار لو لا بله[1] المخالفين وغفلتهم؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنّوه لما صار اللّه وليّاً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم، ولما كان خاذلاً للكفّار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم؛ ولم فصّل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولّي لفعل الأمرين فيهما؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلّا معاند مغالط لنفسه[2].

وقال «رضي اللّه عنه» في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[3] فيه وجوه:

أوّلها: أن يكون المراد بالآية: ربّنا لا تشدّد علينا المحنة في التكليف ولا تشقّ علينا فيه، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه، كما قال تعالى في السورة: «إنّها زادتهم رجساً إلى رجسهم»[4]. فإن قيل: كيف يشدّد المحنة عليهم؟ قلنا: بأن يقوي شهواتهم لما في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم، فيكون التكليف عليهم بذلك شاقّاً، والثواب المستحقّ عليهم عظيماً متضاعفاً، وإنّما يحسن أن يجعله شاقّاً تعريضاً لهذه المنزلة.

وثانيها: أن يكون ذلك دعاءاً بالتثبيت على الهداية، وإمدادهم بالألطاف التي معها يستمرّون على الإيمان.

فإن قيل: وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف؟ قلنا: من حيث كان المعلوم أنّه متى قطع إمدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا[5] وانصرفوا عن الإيمان، ويجري هذا مجرى قولهم: اللهمّ لا تسلّط علينا من

---

١. البَلَه: ضعف العقل، راجع معجم مقاييس اللغة.

٢. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ص ١٤.

٣. آل عمران/٨.

٤. إشارة إلى الآية (١٢٥) من سورة التوبة.

٥. زاغ عن الطريق: إذا عدل عنه، راجع لسان العرب.

لا يرحمنا، معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلّط علينا، فكأنّهم قالوا: لا تخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضلّ.

وثالثها: ما ذكره الجبّائيّ: وهو أنّ المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك، ومعنى هذا السؤال أنّهم سألوا اللّه أن يلطف لهم في فعل الإيمان حتّى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقّوا بترك الإيمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلاً منه العقاب.

ورابعها: أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان، ولا يقتضي ذلك أنّه تعالى سئل ما كان لا يحبّ أن يفعله، وما لو لا المسألة لجاز فعله، لأنّه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده، بأن يفعل ما نعلم أنّه لا بدّ من أن يفعله، وبأن لا يفعل ما نعلم أنّه واجب أن لا يفعله إذا تعلّق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ**﴾[١] وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ**﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾[٣].[٤]

وقال «رضي اللّه عنه» في قول نوح عليه السلام: ﴿**لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ**﴾ ليس في هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا، لأنّه تعالى لم يقل: إنّه فعل الغواية[٥] أو أرادها، وإنّما أخبر أنّ نصح النبيّ عليه السلام لا ينفع إن كان اللّه يريد غوايتهم، ووقوع الإرادة لذلك، أو جواز وقوعها لا دلالة عليهم في الظاهر، على أنّ الغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب، ويشهد بصحّة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر:

فمن يلقِ خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائماً

فكأنّه قال: إن كان اللّه يريد أن يخيّبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرّمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه، إلّا أن تقلعوا وتتوبوا، وقد سمّى اللّه تعالى العقاب غيّاً، فقال: ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾[٦] وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه، وأنّ القوم استعجلوا عقاب اللّه تعالى فقالوا: ﴿**يَا**

---

١. الشعراء/٨٧.

٢. الأنبياء/١١٢.

٣. البقرة/٢٨٦.

٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ٢٦-٢٨.

٥. الغواية: الضلال، راجع شمس العلوم.

٦. مريم/٥٩.

نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ الآية[١]؛ فأخبر أنّ نصحه لا ينفع من يريد اللّه أن ينزل به العذاب، ولا يغني عنه شيئاً.

وقال جعفر بن حرب: إنّ الآية تتعلّق بأنّه كان في قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فنبّههم اللّه تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجّب من قولهم: إن كان القول كما تقولون من أنّ اللّه يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا منّي نصحاً، فأنتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيّد.

وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنّه قال: المعنى فيها: إن كان اللّه يريد أن يعذّبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتموه وآمنتم به، لأنّ من حكم اللّه تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب، وكلّ هذا واضح في زوال الشبهة في الآية[٢].

أقول:

إنّما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الأفاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلّام لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين، وسنتلو عليك ما ورد في تأويلها نقلاً عن أئمّة الدين «صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين» ما تتخلّص به من شبه المبطلين.

الروايات:

١٨٥٠. الكافي[٣]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ، فَقَالَ: ـ وَتَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٤] ـ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي إِصَابَةِ الْقَوْلِ وَكُلُّهُمْ هَالِكٌ. قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ قَالَ: هُمْ شِيعَتُنَا وَلِرَحْمَةٍ خَلَقَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يَقُولُ: لِطَاعَةِ الْإِمَامِ.

١٨٥١. العقائد[٥]: اعتقادنا في الفطرة والهداية أنّ اللّه عزّ وجلّ فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٦].

---

١. هود/٣٢-٣٤.

٢. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ص ٢٤٦.

٣. في الكافي، ج ١، باب فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية، ص ٤٢٩، صدر ح ٨٣؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٢٣٣؛ وسائل الشيعة، ج٢٧، ص ٦٧، ح ٣٣٢١٨.

٤. هود/١١٨ و١١٩.

٥. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٦.

٦. الروم/٣٠.

١٨٥٢. وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام[١] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[٢] قَالَ: حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسْخِطُهُ.

١٨٥٣. وَقَالَ عليه السلام[٣] فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٤] قَالَ: بَيَّنَ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرُكُ.

١٨٥٤. وَقَالَ عليه السلام[٥] فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٦] قَالَ: عَرَّفْنَاهُ إِمَّا آخِذاً وَإِمَّا تَارِكاً.

١٨٥٥. وَ[٧] فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٨] قَالَ: وَهُمْ يَعْرِفُونَ.

١٨٥٦. وَقَالَ عليه السلام[٩]: مَا حَجَبَ اللَّهُ عِلْمَهُ[١٠] عَنِ الْعِبَادِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ[١١].

١٨٥٧. وَقَالَ عليه السلام[١٢]: إِنَّ اللَّهَ احْتَجَّ عَلَى النَّاسِ[١٣] بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَّفَهُمْ.

١٨٥٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[١٤]: الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعْفَرَانِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٥] فِي

---

١. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٦؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ح ٣؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٨٩؛ وفي الأخيرين صدر رواية.

٢. التوبة/١١٥.

٣. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٦؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ح ٣؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٨٩؛ وفي الأخيرين ضمن رواية.

٤. الشمس/٨.

٥. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٦؛ وفي الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ضمن ح ٣؛ وفي تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٩٨، مع اختلاف يسير.

٦. الإنسان/٣.

٧. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٦؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ح ٣؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٨٩؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

٨. فصّلت/١٧.

٩. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٧؛ الكافي، ج ١، باب حجج اللّه على خلقه، ص ١٦٤، ح ٣؛ تحف العقول، ص ٣٦٥.

١٠. لم يرد في الكافي والتحف: «علمه».

١١. في التحف: «فموضوع عنهم حتى يعرفهموه».

١٢. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٣٧؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٢، ح ١؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٣٦، ح ٢٠٣.

١٣. في المحاسن: «على العباد».

١٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٦٠، ح ١٣٦٧؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ح ٤؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤١١، ح ٥.

١٥. في الكافي والتوحيد بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن بكير، عن حمزة بن محمد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قَالَ: نَجْدَ[١] الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

١٨٥٩. نهج البلاغة[٢]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَحَلِّ الْعُقُودِ[٣][٤].

١٨٦٠. تفسير القمّيّ[٥]: فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾[٦] يَقُولُ: أَخَذَ اللَّهُ مِنْكُمُ الْهُدَى مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ.

١٨٦١. تفسير القمّيّ[٧]: فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ يَقُولُ: وَنَنْكُسُ[٨] قُلُوبَهُمْ فَيَكُونُ أَسْفَلُ قُلُوبِهِمْ أَعْلَاهَا، وَنُعْمِي أَبْصَارَهُمْ فَلَا يُبْصِرُونَ الْهُدَى.

١٨٦٢. تفسير القمّيّ[٩]: فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يَقُولُ[١٠]: طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا فَلَا تَعْقِلُ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عَلَيْهَا غِطَاءٌ عَنِ الْهُدَى ﴿لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[١١] جَعَلَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً فَلَمْ يَسْمَعُوا الْهُدَى.

١٨٦٣. تفسير القمّيّ[١٢]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ يَقُولُ: صُمٌّ عَنِ الْهُدَى، وَبُكْمٌ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِخَيْرٍ، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يَعْنِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٣] وَهُوَ رَدٌّ عَلَى قَدَرِيَّةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ فَيَقُولُونَ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

---

١. النجد: الطريق الواضح، راجع شمس العلوم.

٢. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥١١، ح ٢٥٠؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٣٠؛ تصنيف غرر الحكم، ص ٨١، ح ١٢٧٣.

٣. في المصدر: «... حلّ العقد ونقض الهمم»، وفي تصنيف الغرر: «حلّ العقد وكشف الضرّ والبلية عمّن أخلص له النيّة».

٤. العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة، وفسخها نقضها. والعقود جمع العقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر، وبهذا النقض والحل يعرف أنّ هناك قدرة سامية قاهرة فوق إرادة البشر ومشيئته تحول بين الإنسان وإرادته، وهي قدرة اللّه تعالى، ولو لا هالكان الإنسان أمضى ما عزم، وفعل ما عقد. (هامش المطبوع)

٥. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٠١؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٢١؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٢١، ح ٣٤٧٨.

٦. الأنعام/٤٦.

٧. تفسير القمي، ج ١، ص ٢١٣؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٤٩؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٦٨، ح ٣٦٢١.

٨. النَّكْس: قلب الشيء على رأسه، راجع لسان العرب.

٩. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٩؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٤؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦١٧، ح ٤٠٨٩.

١٠. في المصدر: «أي طبع اللّه».

١١. الأعراف/١٧٩.

١٢. تفسير القمي، ج ١، ص ١٩٨؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤١٧، ح ٣٤٦٦.

١٣. الأنعام/٣٩.

مُشْرِكِينَ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١] قَالَ عليه السلام: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوساً، وَمَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَشِيَّةَ وَالْقُدْرَةَ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ.

١٨٦٤. تفسير القمّيّ[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[٣]، عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» ـ وَأَنَا عِنْدَهُ ـ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَرَ رَبِّي أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٥] فَقَالَ عليه السلام: نَعَمْ، لَيْسَ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ أَمْرٌ إِلَّا الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ، فَالدُّعَاءُ مِنَ اللَّهِ عَامٌّ، وَالْهُدَى خَاصٌّ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٦] وَلَمْ يَقُلْ: وَيَهْدِي جَمِيعَ مَنْ دَعَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[٧].

١٨٦٥. الأمالي للصدوق[٨]: أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ نُوحِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنِ ابْنِ بَزِيعٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ[٩]: عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُهُ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَصَمْتُهُ[١٠].

١٨٦٦. قرب الإسناد[١١]: هَارُونُ، عَنِ ابْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِأَعْمَالِكُمْ،

---

١. الأنعام/٢٣ و ٢٤.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٨٨؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٤٨، ح ٦١٣١.

٣. في المصدر والبرهان: «محمد بن أبي عبد اللّه».

٤. النحل/٩٠.

٥. في المصحف الشريف: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا ...﴾ (يوسف/٤٠).

٦. البقرة/١٤٢.

٧. لم يرد في البرهان: «ولم يقل: ويهدي جميع من دعاه إلى صراط مستقيم».

٨. الأمالي (للصدوق)، ص ١٠١، ح ١؛ وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٢، ح ١٩، مع زيادة؛ وفي الأمالي (للطوسي) ص ١٦٦، صدر ح ٢٧٨، مع اختلاف العبارة.

٩. في الأمالي (للطوسي) بهذا الإسناد: «حدثنا محمد بن محمد، عن عمر بن محمد، عن علي بن مهرويه، عن داود بن سليمان، عن أبي الحسن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، عن اللّه جل جلاله».

١٠. في التفسير المنسوب: «إلا من غفرت».

١١. قرب الإسناد، ص ٧٧، ح ٢٥١.

وَلَا تَكُونُوا دُعَاةً بِأَلْسِنَتِكُمْ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ حَيْثُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ أَنَّهُ مِنَّا فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَّا وَلَوْ ضَرَبْنَا خَيْشُومَهُ[١] بِالسَّيْفِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَّا ثُمَّ حَبَوْنَا[٢] لَهُ الدُّنْيَا لَمْ يُحِبَّنَا.

بيان:

قوله عليه السلام: «ليس حيث يذهب إليه الناس» أي أنّهم يقدرون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم، ولعلّ المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضرّرون بها، فإنّهم كانوا يبالغون في ذلك ظنّاً منهم أنّهم يقدرون بذلك على هداية الخلق، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنّون النفع ولم يكن مظنّة ضرر، فإنّ ذلك من أعظم الواجبات.

١٨٦٧. قرب الإسناد[٣]: أَحْمَدُ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[٤] قَالَ: اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ إِنَّ قَوْماً مِنْ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مُكْتَسَبَةٌ، وَأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا مِنْهُ وَجْهَ النَّظَرِ[٥] أَدْرَكُوا، فَأَنْكَرَ عليه السلام ذٰلِكَ وَقَالَ: فَمَا لِهٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكْتَسِبُونَ الْخَيْرَ لِأَنْفُسِهِمْ؟ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ خَيْراً مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، هٰؤُلَاءِ بَنِي هَاشِمٍ مَوْضِعُهُمْ مَوْضِعُهُمْ، وَقَرَابَتُهُمْ قَرَابَتُهُمْ، وَهُمْ أَحَقُّ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، أَ فَتَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَقَدْ عَرَفْتُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوا؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَوِ اسْتَطَاعَ النَّاسُ لَأَحَبُّونَا.

١٨٦٨. التوحيد، معاني الأخبار[٦]: الْوَرَّاقُ وَالسِّنَانِيُّ، عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانِ[٧]، عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ بُهْلُولٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَصْرِيِّ، عَنِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾[٨] فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ دَارِ كَرَامَتِهِ، وَيَهْدِي أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى جَنَّتِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٩]، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ

---

١. الخيشوم: أقصى الأنف، راجع الصحاح.

٢. حبا الرجلَ: أعطاه، راجع لسان العرب.

٣. قرب الإسناد، ص ٣٥٦، ح ١٢٧٤؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٦٧٨، ح ١١٦٨٧.

٤. الليل/١٢.

٥. في المصدر: «من وجه النظر».

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٤١، ح ١؛ معاني الأخبار، ص ٢٠، ح ١؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٢٧، ح ١.

٧. في التوحيد والمعاني: «الورّاق والسناني والدقّاق قالوا: حدثنا القطّان ...».

٨. الكهف/١٧.

٩. إبراهيم/٢٧.

تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١].

قَالَ: فَقُلْتُ: فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٢] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٣] فَقَالَ: إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ كَانَ فِعْلُهُ وِفْقاً لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُمِّيَ الْعَبْدُ بِهِ مُوَفَّقاً، وَإِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَحَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ فَتَرَكَهَا كَانَ تَرْكُهُ لَهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَتَى خُلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ فَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حَتَّى يَرْتَكِبَهَا، فَقَدْ خَذَلَهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ وَلَمْ يُوَفِّقْهُ.

١٨٦٩. التوحيد، معاني الأخبار، عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]: ابْنُ عُبْدُوسٍ، عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام[٥] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قَالَ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ بِإِيمَانِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ كَرَامَتِهِ فِي الْآخِرَةِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلتَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَالثِّقَةِ بِهِ وَالسُّكُونِ إِلَى مَا وَعَدَهُ مِنْ ثَوَابِهِ حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ عَنْ جَنَّتِهِ وَدَارِ كَرَامَتِهِ فِي الْآخِرَةِ لِكُفْرِهِ بِهِ وَعِصْيَانِهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ حَتَّى يَشُكَّ فِي كُفْرِهِ، وَيَضْطَرِبَ مِنِ اعْتِقَادِهِ قَلْبُهُ حَتَّى يَصِيرَ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦].

١٨٧٠. معاني الأخبار[٧]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ فَقَالَ: قَدْ يَكُونُ ضَيِّقاً وَلَهُ مَنْفَذٌ يَسْمَعُ مِنْهُ وَيُبْصِرُ، وَالْحَرَجُ هُوَ الْمُلْتَأَمُ[٨] الَّذِي لَا مَنْفَذَ لَهُ يَسْمَعُ بِهِ وَلَا يُبْصِرُ مِنْهُ.

١٨٧١. تفسير الإمام عليه السلام، الإحتجاج[٩]: بِالْإِسْنَادِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى

---

١. يونس/٩.

٢. هود/٨٨.

٣. آل عمران/١٦٠.

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٤٢، ح ٤؛ معاني الأخبار، ص ١٤٥، ح ٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣١، ح ٢٧.

٥. في التوحيد: «سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بنيسابور».

٦. الأنعام/١٢٥.

٧. معاني الأخبار، ص ١٤٥، ح ١؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٥٥؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٧٧، ح ٣٦٥٦.

٨. تلاءم الشيئان: إذا اجتمعا واتصلا، راجع لسان العرب؛ والملتئم: المجتمع المتصل.

٩. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٩٨، ح ٥٣؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤٥٥؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٩٣؛ وفي الأخيرين مع نقصان.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١] أَيْ وَسَمَهَا بِسِمَةٍ[٢] يَعْرِفُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهَا بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ كَذٰلِكَ بِسِمَاتٍ ﴿وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ النَّظَرِ فِيمَا كُلِّفُوهُ، وَقَصَّرُوا فِيمَا أُرِيدَ مِنْهُمْ، وَجَهِلُوا مَا لَزِمَهُمُ الْإِيمَانُ بِهِ فَصَارُوا كَمَنْ عَلَى عَيْنَيْهِ غِطَاءٌ لَا يُبْصِرُ مَا أَمَامَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَعَالَى عَنِ الْعَبَثِ وَالْفَسَادِ، وَعَنِ مُطَالَبَةِ الْعِبَادِ بِمَا مَنَعَهُمْ بِالْقَهْرِ مِنْهُ، فَلَا يَأْمُرُهُمْ بِمُغَالَبَتِهِ وَلَا بِالْمَصِيرِ إِلَى مَا قَدْ صَدَّهُمْ عَنْهُ بِالْقَسْرِ عَنْهُ[٣]، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابُ الْمُعَدُّ لِلْكَافِرِينَ، وَفِي الدُّنْيَا أَيْضاً لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَصْلِحَهُ بِمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عَذَابِ الِاسْتِصْلَاحِ لِيُنَبِّهَهُ لِطَاعَتِهِ، وَمِنْ[٤] عَذَابِ الِاصْطِلَامِ[٥] لِيُصَيِّرَهُ إِلَى عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: وروى أبو محمّد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفّار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب[٦].

١٨٧٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٧]: تَمِيمٌ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٨] لَيْسَ ذٰلِكَ عَلَى سَبِيلِ تَحْرِيمِ الْإِيمَانِ عَلَيْهَا، وَلٰكِنْ عَلَى مَعْنَى أَنَّهَا مَا كَانَتْ لِتُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذْنُهُ: أَمْرُهُ لَهَا بِالْإِيمَانِ مَا كَانَتْ مُكَلَّفَةً مُتَعَبَّدَةً، وَإِلْجَاؤُهُ إِيَّاهَا إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ زَوَالِ التَّكْلِيفِ وَالتَّعَبُّدِ عَنْهَا[٩].

١٨٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام[١٠]: السِّنَانِيُّ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مَحْمُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾[١١] قَالَ:

---

١. البقرة/٧.

٢. السمة: العلامة وجمعها سمات، راجع شمس العلوم.

٣. في التفسير المنسوب: «ولا بالمسير إلى ما صدّهم بالعجز عنه».

٤. في التفسير المنسوب: «أو من».

٥. في الإحتجاج: «أو من عذاب الإصلاح».

٦. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤٥٦.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٣٤، ح ٣٣؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٤٢، ح ١١؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٣؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية.

٨. يونس/١٠٠.

٩. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٧١٠.

١٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٣، ح ١٦؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤١٣؛ وفيهما ضمن رواية؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٩٣.

١١. البقرة/٧.

«الْخَتْمُ»: هُوَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ عُقُوبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّـهُ عَـلَيْهَا بِكُـفْرِهِمْ فَـلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[١].

١٨٧٤. تفسير القمّيّ[٢]: قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ وَقَدِ اشْتَبَهَ هٰذَا عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَقَالُوا: يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ﴾ الْـحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[٣] فَكَيْفَ هٰذَا وَمَا مَعْنَى الْقَوْلَيْنِ؟

فَالْجَوَابُ فِي ذٰلِكَ مِنْ مَعْنَى الْقَوْلَيْنِ جَمِيعاً عَنِ الصَّادِقِينَ عليهم السلام أَنَّهُمْ قَالُوا: الْحَسَنَاتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى وَجْهَيْنِ، وَالسَّيِّئَاتُ عَلَى وَجْهَيْنِ، فَمِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ الصِّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ وَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ، وَقَدْ سَمَّاهَا اللَّهُ حَسَنَاتٍ، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يَعْنِي بِالسَّيِّئَةِ هَاهُنَا الْمَرَضَ وَالْخَوْفَ وَالْجُوعَ وَالشِّدَّةَ، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَـنْ مَعَهُ﴾[٤] أَيْ يَتَشَاءَمُوا بِهِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي مِنَ الْحَسَنَاتِ يَعْنِي بِهِ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٥] وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

وَكَذَا السَّيِّئَاتُ عَلَى وَجْهَيْنِ: فَمِنَ السَّيِّئَاتِ الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالشِّدَّةُ وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ وَعُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ قَدْ سَمَّاهَا اللَّـهُ السَّـيِّئَاتِ كَـقَوْلِهِ تَـعَالَى: ﴿جَـزَاءُ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٦].[٧]

وَالْوَجْهُ الثَّانِي مِنَ السَّيِّئَاتِ يَعْنِي بِهَا أَفْعَالَ الْعِبَادِ الَّذِينَ يُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾[٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ يَعْنِي مَا

---

١. النساء/١٥٥.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ١٤٤؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٢٥٧١.

٣. النساء/٧٨ و٧٩.

٤. الأعراف/١٣١.

٥. الأنعام/١٦٠.

٦. الشورى/٤٠.

٧. لم يرد في المصدر والبرهان: «كقوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾».

٨. النمل/٩٠.

عَمِلْتَ مِنْ ذُنُوبٍ فَعُوقِبْتَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَمِنْ نَفْسِكَ بِأَعْمَالِكَ، لِأَنَّ السَّارِقَ يُقْطَعُ، وَالزَّانِي يُجْلَدُ وَيُرْجَمُ، وَالْقَاتِلُ يُقْتَلُ، فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْعِلَلَ وَالْخَوْفَ وَالشِّدَّةَ وَعُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ كُلَّهَا سَيِّئَاتٍ، فَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بِأَعْمَالِكَ، قَوْلُهُ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَالسَّعَةَ وَالسَّيِّئَاتِ الَّتِي هِيَ عُقُوبَاتُ الذُّنُوبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

بيان:

لا يخفى أنّ الظاهر في الآية الأُولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح، ومن السيئة القحط والهزيمة والجوع والخوف؛ ويحتمل بعيداً ما ذكره علي بن إبراهيم من عقوبات الذنوب. وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة، فإنّها بتوفيقه تعالى، والنعمة فإنّها بأنواعها من فضله تعالى، وبالسيئة الذنوب، فإنّها باختيارنا، أو عقوباتها، فإنّها بسبب أفعالنا، ولا ينافي ذلك كونها من اللّه، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من اللّه، وفعل ما يوجبها منّا. ولعلّ كلام عليّ بن إبراهيم ناظر إلى هذا، أو البلايا والمصائب، فإنّها بسبب ذنوبنا التي نستحقّها بها، ولا ينافي أيضاً كونها من عند اللّه، إذ أعمالنا أسباب لإنزال اللّه تعالى إيّاها، فالفاعل هو اللّه ونحن الأسباب، ومنّا البواعث.

ويمكن حمل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي، إذ المعاصي صادرة منّا بسلب توفيقه تعالى عنّا، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً وإن كنّا نحن بقبائح أعمالنا باعثين لسلب التوفيق أيضاً، ولعلّه إنّما خصّ بعض الصور بالذكر لظهور البواقي.

١٨٧٥. التوحيد[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: مَا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِالتَّوْفِيقِ.

١٨٧٦. التوحيد[٣]: الْقَطَّانُ، عَنِ السُّكَّرِيِّ، عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ: مَعْنَاهُ لَا حَوْلَ لَنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٤٢، ح ٢؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١، ح ١٠٥؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢١٧، ح ٥٤٢٦.

٢. في تفسير العياشي والبرهان بهذا الإسناد: «محمد بن هارون، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٤٢، ح ٣؛ معاني الأخبار، ص ٢١، ح ١؛ وفي الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٤٥٣، ضمن رواية مع اختلاف يسير، مرويا عن العباس بن هلال، عن أبي الحسن الهادي عليه السلام.

١٨٧٧. المحاسن[١]: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ ثَابِتٍ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا ثَابِتُ مَا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ؟ كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا تَدْعُوا أَحَداً إِلَى أَمْرِكُمْ، فَوَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوا عَبْداً يُرِيدُ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَهْدُوهُ[٢]، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُضِلُّوا عَبْداً يُرِيدُ اللَّهُ هُدَاهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُضِلُّوهُ، كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَجَارِي[٣]، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً طَيَّبَ رُوحَهُ فَلَا يَسْمَعُ مَعْرُوفاً إِلَّا عَرَفَهُ، وَلَا مُنْكَراً إِلَّا أَنْكَرَهُ، ثُمَّ يَقْذِفُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ كَلِمَةً يَجْمَعُ بِهَا أَمْرَهُ.

١٨٧٨. المحاسن[٤]: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا سُلَيْمَانُ إِنَّ لَكَ قَلْباً وَمَسَامِعَ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ عَبْداً فَتَحَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذٰلِكَ خَتَمَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ فَلَا يَصْلُحُ أَبَداً؛ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٥].

١٨٧٩. المحاسن[٦]: فَضَالَةُ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَزِيدَ[٧]، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٨]: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً بَيْضَاءَ فَجَالَ الْقَلْبُ يَطْلُبُ الْحَقَّ، ثُمَّ هُوَ إِلَى أَمْرِكُمْ أَسْرَعُ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ[٩].

١٨٨٠. المحاسن[١٠]: أَبِي، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ[١١]، عَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْقَلْبَ يَنْقَلِبُ مِنْ لَدُنْ مَوْضِعِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ مَا لَمْ يُصِبِ الْحَقَّ، فَإِذَا أَصَابَ الْحَقَّ قَرَّ. ثُمَّ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وَقَرَأَ هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[١٢].

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٣٤؛ الكافي، ج ١، باب الهداية أنّها من اللّه عزّ وجلّ، ص ١٦٥، ح ١؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٦٢، ح ٢٧٣.

٢. في نسخة: على أن يهدوه. (هامش المطبوع)

٣. في الكافي والفصول: «لا يقول أحد: عمّي وأخي ابن عمّي وجاري ...».

٤. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٣٥؛ وفي تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٢١، ح ١١٠، مع اختلاف العبارة؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٨.

٥. محمّد/٢٤.

٦. في المحاسن، ج ١، ص ٢٠١، ح ٣٧ وص ٢٠٠، ح ٣٦، مع اختلاف يسير؛ وفي تحف العقول، ص ٣١٣، ضمن وصية.

٧. الموجود في نسخ الكتاب والمحاسن المطبوع: «القاسم بن يزيد»، والظاهر أنه مصحّف القاسم بن بريد. (هامش المطبوع)

٨. في المحاسن، ح ٣٦، بهذا الإسناد: «البرقي، عن القاسم بن محمد وفضالة بن أيوب، عن كليب بن معاوية، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٩. الوكر: موضع الطائر الذي يبيض فيه ويفرّخ، راجع لسان العرب.

١٠. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٢، ح ٤١؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٥؛ مشكاة الأنوار، ص ١٥٢.

١١. في المصدر: «... فضالة، عن أبي المغراء، عن أبي بصير، ...».

١٢. الأنعام/١٢٥.

١٨٨١. المحاسن[١]: صَفْوَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ فُضَيْلٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: نَدْعُو النَّاسَ إِلَى هٰذَا الْأَمْرِ فَقَالَ: لَا، يَا فُضَيْلُ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً وَكَّلَ مَلَكاً[٣] فَأَخَذَ بِعُنُقِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ طَائِعاً أَوْ كَارِهاً[٤].

١٨٨٢. المحاسن[٥]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا عَمَّا يَعْنِينِي[٦]، إِنَّ لِي أَوْلَاداً قَدْ أَدْرَكُوا فَأَدْعُوهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خُلِقَ عَلَوِيّاً أَوْ جَعْفَرِيّاً يَأْخُذُ اللَّهُ بِنَاصِيَتِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ[٧].

١٨٨٣. المحاسن[٨]: صَفْوَانُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٩] قَالَ: كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً أَخَذَ بِعُنُقِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ، قَالَ: وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِهِ[١٠].

١٨٨٤. المحاسن[١١]: عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٢] فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِهِ﴾[١٣] فَقَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ.

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٢، ح ٤٤؛ وفي قرب الإسناد، ص ٤٥، ح ١٤٥، بمضمونه؛ الكافي، ج ١، باب الهداية أنها من اللّه عزوجل، ص١٦٧، ح ٤.

٢. في القرب بهذا الإسناد:«محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين، عن نباتة بن محمد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، ...».

٣. في المصدر: «أمر ملكا».

٤. **نقول:** لا شك أن إرادة اللّه تعالى حاصلة من عدله وحكمته، فلذا لا يريد بعبد خيرا إلا أن يكون اكتسب مقدماته بإرادته واختياره، فيجزيه اللّه تعالى بإدخاله في الولاية طائعا أو كارها، كالطبيب الذي يكتسب العافية لمريضه أراد أو لم يرد، ولكن إذا دخل في الولاية يراها أمرا حسنا غاية الحسن، فيرضى بها ويسرّ منها ويختارها اختيارا، وهذا كلّه يوافق العدل والاختيار.

٥. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٢، ح ٤٥؛ وفي دعائم الإسلام، ج ١، ص ٦٠، بمضمونه.

٦. هذا الأمر لا يعنيني: لا يشغلني ولا يُهمّني، راجع لسان العرب.

٧. **نقول:** لعله كان الزمان زمان الخوف من الأعداء، وإلا فلا إشكال في أن من حق الولد على والده أن يعلّمه أركان الدين وآدابه؛ وفي الحديث إشارة إلى انتقال صفات الوالد إلى ولده ووراثته عنه.

٨. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٣، ح ٤٦، وأيضا ورد فيه بطرق متعددة مع اختلاف يسير في ح ٤٢ و٤٣ و ٤٤؛ قرب الإسناد، ص ٣٥، ح١١٣.

٩. في القرب بهذا الإسناد: «بكر بن محمد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٠. لم يرد في القرب: «وأومأ بيده إلى رأسه».

١١. المحاسن، ج ١، ص ٢٣٧، ح ٢٠٥؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٦؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٨، ح ٦.

١٢. في التوحيد بهذا الإسناد: «ابن الوليد، عن الصفّار وسعد بن عبد اللّه جميعا، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٣. الأنفال/ ٢٤.

بيان:

أي يهديه إلى الحقّ.

وقال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» في الغرر والدرر: فيه وجوه:

أوّلها: أن يريد بذلك أنّه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت، وهذا حثٌّ منه عزّ وجلّ على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت.

وثانيها: أنّه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تميّزه وإن كان حيّاً، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه: إنّه بغير قلب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾[١].

وثالثها: أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأنّ الضمائر المكنونة له ظاهرة، والخفايا المستورة لعلمه بادية، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[٢] ونحن نعلم أنّه تعالى لم يرد قرب المسافة، بل المعنى الذي ذكرناه، وإذا كان جلّ وعزّ هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضلّ عن علمه، وكلّ ذلك لا يجوز عليه، جاز أن يقول: إنّه يحول بيننا وبين قلوبنا، لأنّه معلوم في الشاهد أنّ كلّ شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما[٣]، والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة، فيقول: فلان أقرب إلى قلبي من فلان.

ورابعها: ما أجاب به بعضهم من أنّ المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدوّهم وقلّة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّله بالخوف الأمن، ويبدّل عدوّهم بظنّهم أنّهم قادرون عليهم الجبن والخور[٤].

ويمكن في الآية وجه خامس: وهو أن يكون المراد أنّه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد[٥]. انتهى.

أقول:

يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات والألطاف الخاصّة زائداً على الأمر والنهي؛ ويحتمل أن يكون

---

١. ق/٣٧.

٢. ق/١٦.

٣. في المصدر مع زيادة: «ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف؛ وإن كان القرب الذي عناه جلّت عظمته لم يرد به المسافة».

٤. الخَوَر: الضعف، راجع لسان العرب.

٥. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٥٢٦.

مخصوصاً بالمقرّبين الذين يملك اللّه قلوبهم ويستولي عليها بلطفه، ويتصرّف فيها بأمره، فلا يشاؤون شيئاً إلّا أن يشاء اللّه، ولا يريدون إلّا ما أراد اللّه، فهو تعالى في كلّ آن يفيض على أرواحهم، ويتصرّف في أبدانهم، فهم ينظرون بنور اللّه، ويبطشون بقوّة اللّه، كما قال تعالى فيهم: فبي يسمع وبي يبصر، وبي ينطق وبي يمشي، وبي يبطش. وقال جلّ وعزّ: كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه.

وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكارم[١]، وقد مرّ الكلام في الآية في باب العلم[٢].[٣]

١٨٨٥. تفسير العيّاشيّ[٤]: عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٥]: لَبَسُوا عَلَيْهِمْ لَبَسَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[٦].

١٨٨٦. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ هٰذَا لِلَّهِ وَلَا تَجْعَلُوا لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ لِلَّهِ، وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تُخَاصِمُوا النَّاسَ بِدِينِكُمْ فَإِنَّ الْخُصُومَةَ مَمْرَضَةٌ لِلْقَلْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٨]، وَقَالَ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٩]. ذَرُوا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ عليه السلام وَلَا سَوَاءٌ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا كَتَبَ إِلَى عَبْدٍ أَنْ يَدْخُلَ فِي هٰذَا الْأَمْرِ كَانَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ.

١٨٨٧. تفسير العيّاشيّ[١٠]: الْبَزَنْطِيُّ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قَالَ اللَّهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ

---

١. بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب القلب وصلاحه وفساده.

٢. بحار الأنوار، كتاب التوحيد، أبواب الصفات، باب العلم وكيفيته.

٣. لا يخفى أن جميع ما ذكر من هذه الوجوه إنما هو للفرار من نسبة فعل القبيح إليه تعالى، فإن الحيلولة والمكر والأمر بالمعصية وبالجملة كل ما هو إضلال بوجه قبيح من الحكيم فلا ينسب إليه تعالى، إلا أن ظاهر الكتاب أن جميع ذلك منه تعالى فيما نسب إليه من قبيل المجازاة على المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة/٢٦)، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف/٥) ولا يقبح الإضلال، وكل ما يرجع إليه إذا كان بعنوان المجازاة كما لا يخفى. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٥، ح ١٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٣٤١٩.

٥. في المصدر: «عبد اللّه بن يعقوب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٦. الأنعام/٩.

٧. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٣٧، ح ٤٨؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٠١، ح ٣٨؛ الكافي، ج ١، باب الهداية أنها من اللّه عز وجل، ص ١٦٦، ح ٣؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٨. القصص/٥٦.

٩. يونس/٩٩.

١٠. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٤٣، ح ١٦؛ وفي قرب الإسناد، ص ٣٥٩، ذيل ح ١٢٨٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٠٠، ح ٥٠٧٤.

أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[١] قَالَ: الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَهْدِي وَيُضِلُّ.

١٨٨٨. تفسير العيّاشيّ[٢]: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣] يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَدْعُو أَصْحَابَهُ فَمَنْ أَرَادَ اللَّه بِهِ خَيْراً سَمِعَ وَعَرَفَ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ شَرّاً طَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٤].

١٨٨٩. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[٦] ـ مُشَدَّدَةً مَنْصُوبَةً ـ تَفْسِيرُهَا: كَثَّرْنَا؛ وَقَالَ: لَا قَرَأْتُهَا مُخَفَّفَةً.

بيان:

قال الفيروزآباديّ: أمِر كفرح أمَراً وأمَرَة: كثُر، وتمّ، فهو أمِر، والأمْر: اشتدّ، والرجل: كثرت ماشيته، وآمره اللّه، وأمره كنصره لُغَيَّةٌ كثّر ماشيته ونسله.

١٨٩٠. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قَالَ: تَفْسِيرُهَا: أَمَرْنَا أَكَابِرَهَا[٨].

١٨٩١. تفسير النعمانيّ[٩]: بِالْإِسْنَادِ الْآتِي فِي كِتَابِ الْقُرْآنِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: الضَّلَالَةُ عَلَى وُجُوهٍ: فَمِنْهُ مَحْمُودٌ، وَمِنْهُ مَذْمُومٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْمُودٍ وَلَا مَذْمُومٍ، وَمِنْهُ ضَلَالُ النِّسْيَانِ، فَأَمَّا الضَّلَالُ الْمَحْمُودُ وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَقَوْلِهِ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾[١٠] هُوَ ضَلَالُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِفِعْلِهِمْ، وَالْمَذْمُومُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[١١]، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[١٢] وَمِثْلُ ذٰلِكَ كَثِيرٌ؛ وَأَمَّا الضَّلَالُ الْمَنْسُوبُ إِلَى

---

١. هود/٣٤.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧٣، ح ٧٧؛ الأُصول الستّة عشر، ص ٢٢٢، ح ٢٣١؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٥٨.

٣. في الأُصول الستة عشر بهذا الإسناد: «جابر، عن جعفر بن محمد عليهما السلام».

٤. النحل/١٠٨.

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٤، ح ٣٤؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٨٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥١٥، ح ٦٢٩١.

٦. في المصحف الشريف: ﴿... أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ (الإسراء/١٦).

٧. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٤، ح ٣٥؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٨٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥١٥، ح ٦٢٩٢.

٨. **نقول:** لا يبعد صحة التفسيرين في الآية، وكم له من نظير.

٩. ناسخ القرآن، ص ٢١٢-٢١٥.

١٠. المدّثّر/٣١.

١١. طه/٨٥.

١٢. طه/٧٩.

الْأَصْنَامِ فَقَوْلُهُ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ الْآيَةَ[١]؛ وَالْأَصْنَامُ لَا يُضْلِلْنَ أَحَداً عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا ضَلَّ النَّاسُ بِهَا وَكَفَرُوا حِينَ عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمَّا الضَّلَالُ الَّذِي هُوَ النِّسْيَانُ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[٢] وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الضَّلَالَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، فَمِنْهُمْ مَا نَسَبَهُ إِلَى نَبِيِّهِ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾[٣] مَعْنَاهُ وَجَدْنَاكَ فِي قَوْمٍ لَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّتَكَ فَهَدَيْنَاهُمْ بِكَ؛ وَأَمَّا الضَّلَالُ الْمَنْسُوبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْهُدَى وَالْهُدَى هُوَ الْبَيَانُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَ وَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾[٤] مَعْنَاهُ: أَ وَلَمْ أُبَيِّنْ لَهُمْ، مِثْلُ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٥] أَيْ بَيَّنَّا لَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[٦].

وَأَمَّا مَعْنَى الْهُدَى فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٧] وَمَعْنَى الْهَادِي الْمُبَيِّنُ لِمَا جَاءَ بِهِ الْمُنْذِرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَدِ احْتَجَّ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[٨]، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: ﴿مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فَهٰذَا مَعْنَى الضَّلَالِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ أَقَامَ لَهُمُ الْإِمَامَ الْهَادِيَ لِمَا جَاءَ بِهِ الْمُنْذِرُ، فَخَالَفُوهُ وَصَرَفُوا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَقَرُّوا بِفَرْضِ طَاعَتِهِ، وَلَمَّا بَيَّنَ لَهُمْ مَا يَأْخُذُونَ وَمَا يَذَرُونَ فَخَالَفُوهُ ضَلُّوا، هٰذَا مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ قَوْلُهُ: لَا تُصَلُّوا عَلَيَّ صَلَاةً مَبْتُورَةً إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ، بَلْ صَلُّوا عَلَى أَهْلِ بَيْتِي وَلَا تَقْطَعُوهُمْ مِنِّي، فَإِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي.

وَلَمَّا خَالَفُوا اللَّهَ تَعَالَى ضَلُّوا فَأَضَلُّوا فَحَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأُمَّةَ مِنِ اتِّبَاعِهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ

---

١. إبراهيم/٣٥ و ٣٦.

٢. البقرة/٢٨٢.

٣. الضحى/٧.

٤. السجدة/٢٦.

٥. فصّلت/١٧.

٦. التوبة/١١٥.

٧. الرعد/٧.

٨. البقرة/٢٦.

قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[١] وَالسَّبِيلُ هَاهُنَا الْوَصِيُّ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ الْآيَةَ[٢]؛ فَخَالَفُوا مَا وَصَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَحَرَّفُوا دِينَ اللَّهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَشَرَائِعَهُ، وَبَدَّلُوا فَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ وَجَمِيعَ مَا أُمِرُوا بِهِ، كَمَا عَدَلُوا عَمَّنْ أُمِرُوا بِطَاعَتِهِ، وَأُخِذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ بِمُوَالاتِهِ، وَاضْطَرَّهُمْ ذٰلِكَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، فَزَادَهُمْ ذٰلِكَ حَيْرَةً وَالْتِبَاساً. وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهٰذَا مَثَلاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣] فَكَانَ تَرْكُهُمُ اتِّبَاعَ الدَّلِيلِ الَّذِي أَقَامَ لَهُمْ ضَلَالَةً لَهُمْ، فَصَارَ ذٰلِكَ كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ تَعَالَى لَمَّا خَالَفُوا أَمْرَهُ فِي اتِّبَاعِ الْإِمَامِ، ثُمَّ افْتَرَقُوا وَاخْتَلَفُوا، وَلَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَاسْتَحَلَّ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟

١٨٩٢. نهج البلاغة[٤]: قَالَ عليه السلام ـ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ـ: إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا، فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا[٥].

١٨٩٣. كنز الكراجكيّ[٦]: قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: مَا كُلُّ مَنْ نَوَى شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ، وَلَا كُلُّ مَنْ قَدَرَ عَلَى شَيْءٍ وُفِّقَ لَهُ، وَلَا كُلُّ مَنْ وُفِّقَ لِشَيْءٍ أَصَابَ لَهُ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِصَابَةُ فَهُنَالِكَ تَمَّتِ السَّعَادَةُ.

---

١. المائدة/٧٧.

٢. الأنعام/١٥٣.

٣. المدّثّر/٣١.

٤. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٤٧، ح ٤٠٤؛ شرح الكافي (للمولى صالح المازندراني)، ج ١٠، ص ٢٧٧.

٥. حاصله: أنّ اختيارنا وقوّة تعاطينا الأفعال والأُمور إنّما هو منه سبحانه، وليس لنا في حد ذاتنا وهويّاتنا أمر واختيار دونه، فنحن المالكون لها بالعرض وهو المالك بالذات والحقيقة، فبما أعطانا من القوّة على الأفعال والأعمال ـ وهي منه واختيارها بيده وقبضته عليها أشدّ من قبضتنا عليها ـ كلّفنا وأوجب علينا أشياء، وحرّم أُمورا، ومتى أخذ هذه القوّة والمقدرة عنّا وضع تكليفه أيضا عنّا، فالمغزى أنّ لأفعالنا إسنادا إليه تعالى بما أقدرنا عليها وأمكنه روعنا عنها وأخذ القوّة منّا، كما أنّ لها أيضا إسنادا إلينا، بما أوجدناها واخترنا فعلها على تركها، فليس أجبرنا على أعمالنا بحيث لم تصح إسنادها إلينا، ولا فوّض أمرها إلينا بحيث لم تكن له مشيئة وأمر فيها. (هامش المطبوع)

٦. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ٢، ص ٣٣؛ الإرشاد (للمفيد)، ج ٢، ص ٢٠٤؛ وفي نزهة الناظر (للحلواني)، ص ١٩٩، ح ٦٤، مع اختلاف يسير.

﴿باب ٨﴾

«التمحيص والاستدراج والابتلاء والاختبار»

الآيات:

آل عمران/١٧٨ و١٧٩: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...﴾[1]

---

١. **نقول:** إن المستفاد من الآيات القرآنية هو أن اللَّه سبحانه ينبّه العصاة الذين لم يتوغّلوا في الخطيئة ولم يغرقوا في الآثام غرقا، فهو سبحانه ينبّههم بالنذر تارة، وبما يتناسب مع أعمالهم من البلاء والجزاء تارة أُخرى، فيعيدهم بذلك إلى جادة الحق والصواب. وهؤلاء هم الذين لم يفقدوا بالمرّة قابلية الهداية، فيشملهم اللطف الإلهي، فتكون المحن والبلايا نعمة بالنسبة إليهم، لأنها تكون بمثابة جرس إنذار لهم تنبّههم من غفلتهم، وتنتشلهم من غَفْوتهم، كما يقول اللَّه سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم/٤١).

ولكن الذين تمادوا في الذنوب وغرقوا فيها، وبلغ طغيانهم نهايته فإن اللَّه يخذلهم، ويكلهم إلى نفوسهم، أي أنه يملي لهم لتثقل ظهورهم بأوزارهم، ويستحقوا الحدّ الأكثر من العقوبة والعذاب المهين. هؤلاء هم الذين نسفوا كل الجسور، وقطعوا كل علاقاتهم مع اللَّه، ولم يتركوا لأنفسهم طريق لا العودة إلى ربهم، وهتكوا كل الحجب، وفقدوا كل قابلية للهداية الإلهية، وكل أهلية للطف الرباني.

جواب على سؤال: إن الآية الحاضرة تجيب ضمنا على سؤال يخالج أذهان كثير من الناس وهو: لماذا يرفل بعض العصاة والمجرمين في مثل هذا النعيم، ولا يلقون جزاءهم العادل على إجرامهم؟ فإن القرآن الكريم يردّ على هذا التساؤل الشائع قائلا: إن هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الذين تقتضي سنة الخلق ومبدأ حرّية الإنسان واختياره أن يتركوا لشأنهم ويوكّلوا إلى أنفسهم ليصلوا إلى مرحلة السقوط الكامل، ويستحقوا الحد الأكثر من العذاب والعقوبة.

هذا مضافا إلى ما يستفاد من بعض الآيات القرآنية من أنه سبحانه قد يمدّ البعض بالنعم الوافرة وهو بذلك يستدرجهم، أي أنه يأخذهم فجأة وهم في ذروة التنعم، ويسلبهم كل شيء وهم في أوج اللذة والتمتع، ليكونوا بذلك أشقى من كل شقي، ويواجهوا في هذه الدنيا أكبر قدر ممكن ←

آل عمران/١٤٠-١٤٢: ﴿... وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

آل عمران/١٥٤: ﴿... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾

آل عمران/١٨٦: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ...﴾

المائدة/٧١: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ...﴾

الأنعام/١٦٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ...﴾

الأعراف/١٨٢ و١٨٣: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1]

← من العذاب، لأن فقدان هذا النعيم أشد وقعا على النفس وأكثر مرارة، كما نقرأ في الكتاب العزيز: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام/٤٤). ومثل هؤلاء في الحقيقة مثل الذي يتسلق شجرة، فإنه كلما ازداد رقيا ازداد فرحا في نفسه، حتى إذا بلغ قمتها فاجأته عاصفة شديدة، فهوى على أثرها من ذلك المترفع الشاهق إلى الأرض فتحطمت عظامه، فتبدل فرحه البالغ إلى حزن شديد. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٣، ص ١٤)

المسلمون في بوتقة الاختبار والفرز

لم تكن قضية المنافقين مطروحة بقوة قبل حادثة معركة أُحد، ولهذا لم يكن المسلمون يعرفون عدواً لهم غير الكفار، ولكن الهزيمة التى أفرزتها أُحد، وما دبّ في المسلمين على أثرها من الضعف الموقت مهّد الأرضية لنشاط المنافقين المندسّين في صفوف المسلمين، وعلى أثر ذلك عرف المسلمون وأدركوا بأن لهم عدواً آخر أخطر يجب أن يراقبوا تحركاته ونشاطاته وهو المنافقون، وكان هذا إحدى أهمّ معطيات حادثة، أُحد ونتائجها الإيجابية.

هنا يمكن أن يطرح سؤال ـ وهو السؤال الذي كان مطروحا بين المسلمين آنذاك أيضا حسب بعض الأحاديث والروايات ـ وهو: إذا كان اللّه عالما بسريرة كل إنسان وأسراره فلماذا لا يخبر بها الناس عن طريق العلم بالغيب ويعرفهم بالمؤمن والمنافق؟ إن المقطع الثاني من الآية وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ يجيب على هذا السؤال، أي أن اللّه سبحانه لن يوقفكم على الأسرار، لأن الوقوف على الأسرار ـ على عكس ما يظن كثيرون ـ لا يحل مشكلة، ولا يفك عقدة، بل سيؤدي إلى الهرج والمرج والفوضى، وإلى تمزّق العلاقات الاجتماعية وانهيارها، وانطفاء شعلة الأمل في النفوس وتبدده، وتوقف الناس عن الحركة والنشاط والفعالية. والأهم من كل ذلك هو أنه لا بدّ أن تتضح قيمة الأشخاص من خلال المواقف العملية والسلوكية، وليس عن أيّ طريق آخر، ومسألة الاختبار الإلهي لا تعني سوى هذا الأمر، ولهذا فإن الطريق الوحيد لمعرفة الأشخاص وتقويمهم هو أعمالهم فقط. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٣، ص ١٩)

١. **نقول:** الاستدراج جاء في موطنين من القرآن: أحدهما في الآيتين محل البحث، والآخر في الآية (٤٤) من سورة القلم، وكلا الموطنين ←

الأنفال/٢٥: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ...﴾[1]

← يتعلقان بمكذّبي آيات اللَّه والمنكر بها.

وكما يقول أهل اللغة، فإن للاستدراج معنيين: أحدهما: أخذ الشيء تدريجا، لأن أصل الاستدراج مشتق من الدرجة فكما أن الإنسان ينزل من أعلى العمارة إلى أسفلها بالسلالم درجة درجة، أو يصعد من الأسفل إلى الأعلى درجة درجة، ومرحلة مرحلة، فقد سمي هذا الأمر استدراجا. والمعنى الثاني للاستدراج هو، اللف والطي، كطي السجل أوالطومار ولفه. وهذان المعنيان أوردهما الراغب في مفرداته، إلا أن التأمل بدقة في المعنيين يكشف أنهما يرجعان إلى مفهوم كلي جامع واحد: وهو العمل التدريجي.

ويستفاد من الآية آنفة الذكر وآيات أُخرى وبعض الأحاديث الشريفة الواردة في شأن الاستدراج، أو العذاب الاستدراجي، أنّ اللَّه لا يتعجّل بالعذاب على الطغاة والعاصين المتجرئين وفقا لسنته في عباده، بل يفتح عليهم أبواب النعم، فكلما ازدادوا طغيانا زادهم نعما. وهذا الأمر لايخلو من إحدى حالتين؛ فإما أن تكون هذه النعم مدعاة للتنبيه والإيقاظ فتكون الهداية الإلهية في هذه الحال عملية، أو أن هذه النعم تزيدهم غرورا وجهلا، فعندئذ يكون عقاب اللَّه لهم في آخر مرحلة أوجع، لأنهم حين يغرقون في نعم اللَّه وملذّاتهم ويبطرون، فإن اللَّه سبحانه يسلب عندئذ هذه النعم منهم، ويطوي سجل حياتهم، فيكون هذا العقاب صارما وشديدا جدا، وهذا المعنى بجميع خصوصياته لايحمله لفظ الاستدراج وحده، بل يستفاد هذا المعنى من قيد ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أيضا.

وعلى كل حال، فهذه الآية تنذر جميع المجرمين والمذنبين بأن تأخير الجزاء من قبل اللَّه لا يعني صحة أعمالهم أو طهارتهم، ولا عجزا وضعفا من اللَّه، وأن لا يحسبوا أن النعم التي غرقوا فيها هي دليل على قربهم من اللَّه، فما أقرب من أن تكون هذه النعم والانتصارات مقدمة لعقاب الاستدراج، فاللَّه سبحانه يغشّيهم بالنعم ويمهلهم ويرفعهم عاليا، إلا أنه يكبسهم على الأرض فجأة حتى لا يبقى منهم أثر، ويطوي بذلك وجودهم وتأريخ حياتهم كله. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٥، ص ٣١١)

١. **نقول:** كلمة «فتنة» استعملت في القرآن المجيد بمعان مختلفة، فقد جاءت تارة بمعنى الاختبار والامتحان، وتارة بمعنى البلاء والعذاب والمصيبة، وهي في الأصل بمعنى إدخال الذهب في بوتقة النار ليتميز جيّده من رديئه، ثم استعملت بمعنى الاختبارات التي تكشف الصفات الباطنية للإنسان، واستحدثت في الابتلاء والجزاء الذي يبعث الصفاء في روح الإنسان ويطهّره من شوائب الذنوب، وأما في هذه الآية فإن كلمة «فتنة» بمعنى البلاء والمصائب الاجتماعية التي يصاب بها الجميع فيحترق فيها الأخضر مع اليابس. وفي الحقيقة فشأن الحوادث الاجتماعية هو هكذا، فإذا ما توانى مجتمع ما عن أداء رسالته، وانهارت القوانين على أثر ذلك، وانعدم الأمن، فإن نار الفتنة ستحرق الأبرار مع الأشرار، وهذا هو الخطر الذي يحذر اللَّه تبارك وتعالى منه ويحذر في هذه الآية المجتمعات البشرية كلها.

ومفهوم الآية هنا هو أن أفراد المجتمع مسؤولين عن أداء وظائفهم، وكذلك فهم مسؤولون عن حث الآخرين لأداء وظائفهم أيضا، لأن الاختلاف والتشتّت في قضايا المجتمع يؤدي إلى انهياره، ويتضرر بذلك الجميع، فلا يصح أن يقول أحد بأنني أُؤدّي رسالتي الاجتماعية ولاعلاقة لي بالآثارالسلبية الناجمة عن عدم أداءالآخرين لواجباتهم، لأن آثارالقضايا الاجتماعية ليست فردية ولاشخصية.وهذاالموضوع يشبه تماما ما لو احتجنا لصد هجوم الأعداء إلى مائة ألف مقاتل، فإذا قام خمسون ألف مقاتل بأداء وظائفهم فمن اليقين أنهم سيخسرون عند منازلتهم العدو، وهذا الانكسار سيشمل الذين أدّوا وظائفهم والذين تقاعسوا عن أدائها، وهذه هي خصوصية المسائل الاجتماعية.

ويمكن إيضاح هذه الحقيقة بصورة أجلى، وهي: أن الأخيار من أبناء المجتمع مسؤولون في التصدي للأشرار لأنهم لو اختاروا السكوت فسيشاركون أولئك مصيرهم عند اللَّه كما ورد ذلك في حديث مشهور عن النبي ﷺ حيث قال: «إن اللَّه عز وجل لا يعذّب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكرون، فإذا فعلوا ذلك عذّب اللَّه الخاصة والعامة». ويتّضح مما قلناه أن هذا

←

← الحكم يصدق في مجال الجزاء الإلهي في الدنيا والآخرة، وكذلك في مجال النتائج وآثار الأعمال الجماعية. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٥، ص ٣٩٧)

بحوث:

١. لماذا الاختبار الإلهي؟

في مجال الاختبار الإلهي تطرح بحوث كثيرة، وأول ما يتبادر للذهن في هذا المجال هو سبب هذا الاختبار، فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم. فهل أن اللّه سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده، وهو العالم بكل الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتى يظهر له بهذا الامتحان؟! والجواب أن مفهوم الاختبار الإلهي يختلف عن الاختبار البشري. اختباراتنا البشرية تستهدف رفع الإبهام والجهل، والاختبار الإلهي قصده التربية. في أكثر من عشرين موضعا تحدث القرآن عن الاختبار الإلهي، باعتباره سنة كونية لا تنقض من أجل تفجير الطاقات الكامنة، نقلها من القوة إلى الفعل، وبالتالي فالاختبار الإلهي من أجل تربية العباد، فكما أن الفولاذ يتخلص من شوائبه عند صهره في الفرن، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحديات.

الاختبار الإلهي يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة، كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثم تصارع هذه البذرة كل المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرياح العاتية والبرد الشديد والحر اللافح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهره أو شجرة مثمرة، تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب. ومن أجل تصعيد معنويات القوات المسلحة، يؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعية، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحر والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة.

وهذا هو سر الاختبارات الإلهية يقول سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران/١٥٤). ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان سبب الاختبارات الإلهية: «... وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب»، أي أن الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معيارا للثواب والعقاب، فلابدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، واللّه يختبر عباده ليتجلّى ما يضمرونه في أعمالهم، ولكي تنتقل قابلياتهم من القوة إلى الفعل، وبذلك يستحقون الثواب أو العقاب. لو لم يكن الاختبار الإلهي لما تفجرت هذه القابليات، ولما أثمرت الكفاءات، وهذه هي فلسفة الاختبار الإلهي في منطق الإسلام.

٢. الاختبار الإلهي عام

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية، وكل الموجودات الحيّة تطوي مسيرة تكاملها حتى الأشجار تعبّر عن قابلياتها الكامنة بالأثمار، من هنا فإن كل البشر حتى الأنبياء مشمولون بقانون الاختبار الإلهي كي تنجلي قدراتهم. الامتحانات تشمل الجميع وإن اختلفت شدتها وبالتالي تختلف نتائجها أيضا، يقول سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت/٢). القرآن يعرض نماذج لاختبارات الأنبياء إذ يقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ (البقرة/١٢٤). ويقول في موضع آخر بشأن اختبار سليمان: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل/٤٠).

٣. طرق الاختبار

ذكرت الآية أعلاه نماذج مما يختبر به الإنسان، كالخوف والجوع والأضرار المالية والموت، لكن سبل الاختبار الإلهي لا تنحصر بما تقدم، فذكر القرآن منها في مواضع أُخرى: البنين، والأنبياء، وأحكام اللّه، بل حتى بعض ألوان الرؤيا: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ (الأنبياء/٣٥). نعلم

←

← أن الناس في إزاء الاختبارات الإلهية على نوعين: متفوّق في الامتحان، وخاسر. فحيثما تسود حالة «الخوف» مثلا، ترى جماعة يتراجعون كي لا يصيبهم سوء، فينفضون أيديهم من المسؤولية، أو يلجؤون إلى المداهنة، أو التماس الأعذار، كقولهم الذي يحكيه القرآن: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (المائدة/٥٢). وثمة جماعة تقف كالطود الأشمّ أمام كل المخاوف، تزداد توكلا وإيمانا، وهؤلاء الذين يقول عنهم القرآن: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران/١٧٣). وهكذا موقف الناس من ألوان الامتحانات الأُخرى، يعرض القرآن نماذج لموقف الناجحين والفاشلين في الاختبار الإلهي، سنتناولها في مواضعها.

٤. عوامل النجاح في الامتحان

هنا يتعرض الإنسان لاستفهام آخر، وهو أنه إذا كان القرار أن يتعرض جميع أفراد البشر للامتحان الإلهي، فما هو السبيل لإحراز النجاح والتوفيق في هذا الامتحان؟ القرآن يعرض هذه السبل في القسم الأخير من الآية (١٥٥) من سورة البقرة وفي آيات أُخرى:

الف) أهم عامل للانتصار أشارت إليه الآية بعبارة: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، فالآية تبشّر بالنجاح أولئك الصابرين المقاومين، ومؤكدة أن الصبر رمز الانتصار.

ب) الالتفات إلى أن نكبات الحياة ومشاكلها مهما كانت شديدة وقاسية فهي مؤقّتة وعابرة وهذا الإدراك يجعل كل المشاكل والصعاب عرضا عابرا وسحابة صيف، وهذا المعنى تضمنته عبارة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/١٥٦).

«كلمة الاسترجاع» هذه خلاصة كل دروس التوحيد، والانقطاع إلى اللَّه، والاعتماد على ذاته المقدسة في كل شيء وفي كل زمان. وأولياء اللَّه ينطلقون من هذا التعليم القرآني، فيسترجعون لدى المصائب كي لا تهزمهم الشدائد، وكي يجتازوا مرحلة الاختبار بسلام في ظل الإيمان بمالكية اللَّه والرجوع إليه. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفسير الاسترجاع: «إن قولنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالهلك».

ج) الاستمداد من قوة الإيمان والألطاف الإلهية عامل مهم آخر في اجتياز الاختبار دون اضطراب وقلق وفقدان للتوازن. فالسائرون على طريق اللَّه يتقدمون بخطوات ثابتة وقلوب مطمئنة لوضوح النهج والهدف لديهم. وترافقهم الهداية الإلهية في اختيار الطريق الصحيح، يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت/٦٩).

د) التدقيق في تأريخ الأسلاف وإمعان النظر في مواقفهم من الاختبارات الإلهية، عامل مؤثر في إعداد الإنسان لاجتياز الامتحان الإلهي بنجاح. لو عرف الإنسان بأن ما أُصيب به ليس حالة شاذّة، وإنما هو قانون عام شامل لكل الأفراد والجماعات، لهان الخطب عليه، ولتفهم الحالة بوعي، ولاجتاز المرحلة بمقاومة وثبات. ولذلك يثبت اللَّه سبحانه على قلب نبيه والمؤمنين باستعراض تأريخ الماضين، وما واجهه الأنبياء، والفئات المؤمنة من محن ومصائب خلال مراحل دعوتهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (الأنعام/١٠). ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (الأنعام/٣٤).

هـ) الالتفات إلى حقيقة علم اللَّه سبحانه بكل مجريات الأُمور عامل آخر في التثبيت وزيادة المقاومة. المتسابقون في ساحة اللعب يشعرون بالارتياح حينما يعلمون أنهم في معرض أنظار أصدقائهم من المتفرجين، ويندفعون بقوة أكثر في تحمل الصعاب. إذا كان تأثير وجود الأصدقاء كذلك، فما بالك بتأثير استشعار رؤية اللَّه لما يجري على الإنسان وهو على ساحة الجهاد والمحنة؟! ما أعظم القوة التي يمنحها هذا الاستشعار لمواصلة طريق الجهاد وتحمل مشاق المحنة! حين واجه نوح عليه السلام أعظم المصائب والضغوط من قومه وهو يصنع الفلك، جاءه نداء التثبيت الإلهي ليقول له: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود/٣٧). وعبارة «بأعيننا» كان لها دون شك وقع عظيم في نفس هذا النبي ←

الأنفال/٢٨: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ...﴾[١]

التوبة/١٦: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

التوبة/١٢٦: ﴿أَ وَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٢]

← الكريم، فاستقام وواصل عمله حتى المرحلة النهائية دون الالتفات إلى تقريع الأعداء واستهزائهم. ورد عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام أنه قال بعد أن تفاقم الخطب أمامه في كربلاء، واستشهد أصحابه وأهل بيته: «هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين اللّه».

٥. الاختبار بالخير والشر

الامتحان الإلهي لا يجري عن طريق الحوادث الصعبة القاسية فحسب، بل قد يمتحن اللّه عبده بالخير وبوفور النعمة، كما يقول سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء/٣٥). ويقول سبحانه على لسان نبيه سليمان: ﴿هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل/٤٠).

وهنا ينبغي أن نشير إلى عدّة مسائل أحدها: أنه ليس من الضروري أن يختبر جميع الناس بجميع وسائل الاختبار، بل من الممكن أن يكون اختبار كل فئة بلون من الامتحان يتناسب مع الوضع الفردي والاجتماعي لتلك الفئة. والأُخرى: أنه من الممكن أن يجتاز الإنسان بعض الامتحانات، بينما يفشل في امتحانات أُخرى. وقد يكون امتحان فرد من الأفراد موضع امتحان فرد آخر، كأن يكون موت ولد لإنسان موضع امتحان أصدقائه وأقاربه، ليرى مدى اتخاذهم موقف المواساة من صاحبهم. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١، ص ٤٤٢)

١. **نقول:** كلمة «فتنة» تأتي في مثل هذه الموارد بمعنى وسيلة الامتحان، والحقيقة أن أهم وسيلة لامتحان الإيمان والكفر، والشخصية وفقدانها، وميزان القيم الإنسانية للأفراد هو هذان الموضوعان: المال والأولاد. فكيفية جمع المال وكيفية إنفاقه والمحافظة عليه وميزان التعلق به، كلها ميادين لامتحان البشر، فكم من أُناس يلتزمون بظاهر العبادة وشعائر الدين حتى المستحبات، يلتزمون بشدة في أدائها، لكنهم إذا ما ابتلوا بقضية مالية، تراهم ينسون كل شيء ويدعون الأوامر الإلهية ومسائل الحق والعدل والإنسانية جانبا.

أما عن الأبناء فهم ثمار قلب الإنسان وبراعم حياته المتفتحة، ولهذا نجد الكثير من الناس المتمسكين بالدين والمسائل الأخلاقية والإنسانية، لا يراعوا الحق والدين بالنسبة للمسائل المتعلقة بمصلحة أبنائهم، فكأن ستارا يلقى على أفكارهم، فينسون كل الأُمور، ويصير حبّهم لأبنائهم سببا ليحلّوا الحرام ويحرموا الحلال، ومن أجل توفير المستقبل لأبنائهم يستحقون كل حق ويقدمون على كل منكر، فيجب علينا الاعتصام باللّه العظيم في هذين الميدانين العظيمين للامتحان، وأن نحذر بشدة، فكم من الناس زلت أقدامهم وسقطوا فيهما، وظلت لعنة التأريخ تلاحقهم أبدا بذلك. فإذا زلت لنا قدم يوما، فيجب علينا الإسراع في تصحيح المسير كـ«أبي لبابة» وإذا كان المال هو السبب في الانحراف، فعلينا بذله وإنفاقه في سبيل اللّه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٥، ص ٤٠٣)

٢. **نقول:** هناك بحث بين المفسرين في أنه ما هو المراد من هذا الاختبار السنوي الذي يجري مرة أو مرتين؟ فالبعض يقول: إنه الأمراض؛ والبعض الآخر يقول: إنه الجوع والشدائد الأُخرى؛ وثالث يقول: إنه مشاهدة آثار عظمة الإسلام وأحقّية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ساحات الجهاد التي كان يحضرها هؤلاء المنافقون بحكم الضغط الاجتماعي وظروف البيئة التي يعيشونها؛ ورابع يعتقد: أنّه رفع الستار عن أسرارهم وفضيحتهم. غير أنا إذا قرأنا آخر الآية حيث تذكر أن هؤلاء لم يتذكروا رغم كل ذلك، سيتّضح أن هذا الاختبار من الاختبارات التي ينبغي أن تكون سببا في توعية هذه المجموعة. ويظهر أيضا من تعبير الآية أن هذا الاختبار يختلف عن الاختبار العام الذي يواجهه كل الناس في ←

هود/٧: ﴿... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...﴾

الكهف/٧: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

طه/٤٠: ﴿... وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ...﴾

طه/٨٥-٩٠: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ إلى قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ...﴾

طه/١٣١: ﴿... لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ...﴾

الأنبياء/٣٥: ﴿... وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

الأنبياء/١١١: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾

الحجّ/٥٣: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...﴾

الفرقان/٢٠: ﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[1]

النمل/٤٧: ﴿... بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾

العنكبوت/١-٣: ﴿الٓمٓ * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2]

← حياتهم. وإذا أخذنا هذا الموضوع بنظر الاعتبار فسيظهر أن التفسير الرابع أي إزاحة الستار عن أعمال هؤلاء السيئة وظهور باطنهم وحقيقتهم أقرب إلى مفهوم الآية؛ ويحتمل أيضا أن يكون للامتحان والابتلاء في هذه الآية مفهوم جامع بحيث يشمل كل هذه المواضيع. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٦، ص ٢٧٦)

١. **نقول:** هذا الامتحان قد يكون بسبب أن اختيار الأنبياء من جنس البشر ومن أوساط الجماهير المحرومة هو امتحان عظيم بذاته، لأن البعض يأبون أن ينقادوا لمن هو من جنسهم، خاصة إذا كان في مستوى واطئ من حيث الإمكانات المادية، وهم في مستوى عال ماديا، أو أن أعمارهم أكبر، أو أنهم أكثر شهرة في المجتمع. ويرد احتمال آخر في المراد بالفتنة، وهو أن الناس عموما بعضهم لبعض فتنة، ذلك أن المتقاعدين والعجزة والمرضى والأيتام والمزمنين فتنة للأقوياء والأصحاء السالمين وبالعكس، فإن الأفراد الأصحاء الأقوياء فتنة للضعفاء والعجزة. ترى هل أن الفريق الثاني راض برضا اللّه أم لا؟ وهل أن الفريق الأول يؤدي مسؤوليته وتعهده إزاء الفريق الثاني أم لا؟ من هنا لا تقاطع بين هذين التفسيرين، فمن الممكن أن يجتمع كلاهما في المفهوم الواسع للآية في أن الناس بعضهم لبعض فتنة. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١١، ص ٢٢١)

٢. **نقول:** هنابحث: الامتحانات في وجوه مختلفة:

وبالرغم من أن بيان عمومية الامتحان لجميع الأُمم والأقوام كان له أثر كبير فعّال بالنسبة لمؤمني مكة، الذين كانوا يمثلون الأقلية في ذلك العصر، وكان التفاتهم إلى هذه الحقيقة سببا في وقوفهم بوجه الأعداء بصبر واستقامة، إلا أن ذلك لم يكن منحصرا في مؤمني مكة، بل إن كل جماعة وطائفة لها نصيب من هذه السنة الإلهية فهم شركاء فيها، إلا أن الامتحانات الإلهية لهم تأتي بصور مختلفة. فالجماعة الذين يعيشون ←

الأحزاب/١١: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾

الصافّات/١٠٦: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾

ص/٣٤: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾

الزمر/٤٩: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

غافر/٤: ﴿... فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾

الدخان/١٧: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ...﴾

الدخان/٣٣: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾

← في محيط ملوّث بالمفاسد والوساوس تحيط بهم من كل جانب، فإن امتحانهم الكبير في مثل هذا الجو والظروف، هو أن لا يتأثروا بلون المحيط وأن يحفظوا أصالتهم ونقاءهم. والجماعة الذين يعيشون تحت ضغط الحرمان والفقر، يرون بأنهم لو صمموا على ترك رأس مالهم الأصيل: «الإيمان» فإنهم سرعان ما يتخلصوا من الفقر والحرمان لكن ثمن ذلك هو فقدانهم للإيمان والتقوى والكرامة والحرية والشرف، فهنا يكمن امتحانهم.

وجماعة آخرون على عكس أولئك غرقى في اللذائذ والنعم، والإمكانات المادية متوفرة لديهم من جميع الوجوه، ترى هل يؤدون في مثل هذه الظروف الشكر على النعم، أم سيبقون غرقى في اللذائذ والغفلة وحب الذات والأنانية، غرقى الشهوات والاغتراب عن المجتمع وعن أنفسهم! وجماعة منهم كالمتغرّبين في عصرنا، يرون بعض الدول بعيدة عن اللّه والفضيلة والأخلاق حقا، ولكنها تتمتع بالتمدن المادي المذهل والرفاه الاجتماعي. هنا تجذب هؤلاء المتغرّبين قوة خفية إلى سلوك هذا النوع من الحياة أو سحق جميع القيم والأُصول والأعراف التي يعتقدون بها، ويبيعون أنفسهم أذلاء عملاء لتلك الدول، ليوفروا لهم ولمجتمعهم مثل هذه الحياة، وهذا نوع آخر من الامتحان. المصائب، والآلام والهموم، والحروب والنزاعات، والقحط والغلاء، وما تثيره الحكومات الأنانية لتجذبهم إليها وتستعبدهم به، وأخيرا الأمواج النفسية القوية والشهوات كل منها وسيلة للامتحان في طريق عباد اللّه، والسائرين في الميادين التي تتميز فيها شخصية الأفراد وتقواهم وإيمانهم وطهارتهم وأمانتهم وحريتهم إلخ.

ولكن لا طريق للانتصار في هذه الامتحانات الصعبة لاجتيازها إلا الجد السعي المستمر، والاعتماد على لطف اللّه سبحانه. ومن الطريف أننا نقرأ حديثا عن أحد المعصومين في أُصول الكافي في تفسير الآية: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يقول فيه: «يفتنون كما يفتن الذهب، ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب».

وعلى كل حال، فإن طالبي العافية الذين يظنون أن إظهار الإيمان كاف بهذا المقدار ليكونوا في صفوف المؤمنين وفي أعلى عليين في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم في خطأ كبير. وعلى حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم». قال عليه السلام هذا الكلام والناس جديد وعهد ببيعته، وينتظرون ما سيفعل ببيت المال، أ يقسمه حسب الجاه والمقامات بحسب المعايير السابقة، فيبعّض في المال، فيعطى الكثير لبعضهم بحسب المقام، والقليل للبعض الآخر! أم سيسير معهم بالعدل المحمدي؟ (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٢، ص ٣٣٣)

محمّد/٤: ﴿... وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ...﴾[1]

محمّد/٣١: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾

القمر/٢٧: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ...﴾

الممتحنة/٥: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾

الملك/٢: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...﴾

القلم/١٧: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾

القلم/٤٤ و ٤٥: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2]

---

١. **نقول:** هذه المسألة هي فلسفة الحرب، والنكتة الأساسية في صراع الحق والباطل، ففي هذه الحروب ستتميز صفوف المؤمنين الحقيقيين والعاملين من أجل دينهم عن المتكلمين في المجالس المتخاذلين في ساعة العسرة، وبذلك ستتفتح براعم الاستعدادات، وتحيا قوة الاستقامة والرجولة، ويتحقق الهدف الأصلي للحياة الدنيا، وهو الابتلاء وتنمية قوة الإيمان والقيم الإنسانية الأُخرى. إذا كان المؤمنون يتوقّعون على ذواتهم وينشغلون بالحياة اليومية الرتيبة، وفي كل مرة تطغى فيها جماعة من المشركين والظالمين يدحضهم اللَّه سبحانه بالقوى الغيبية، ويدمّرهم بالطرق الإعجازية، فإن المجتمع سيكون خاملا ضعيفا عاجزا، ليس له من الإسلام والإيمان إلا اسمه.

وخلاصة القول: إن اللَّه سبحانه غني عن سعينا وجهادنا من أجل تثبيت دعائم دينه، بل نحن الذين نتربّى في ميدان جهاد الأعداء، ونحن الذين نحتاج إلى هذا الجهاد المقدس. وقد ذكر هذا المعنى في آيات القرآن الأُخرى بصيغ أُخرى، فنقرأ في الآية (١٤٢) من سورة آل عمران: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. وجاء في الآية التي سبقتها: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٦، ص ٣٢٥)

٢. **نقول:** في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أحدث العبد ذنبا جدّد له نعمة فيدع الاستغفار، فهو الاستدراج». والذي يستفاد من هذا الحديث والأحاديث الأُخرى في هذا المجال أن اللَّه تعالى يمنح أحيانا عباده المعاندين نعمة وهم غارقون في المعاصي والذنوب وذلك كعقوبة لهم. فيتصورون أن هذا اللطف الإلهي قد شملهم لجدارتهم ولياقتهم له فيأخذهم الغرور المضاعف، وتستولي عليهم الغفلة، إلا أن عذاب اللَّه ينزل عليهم فجأة ويحيط بهم وهم بين أحضان تلك النعم الإلهية العظيمة، وهذا في الحقيقة من أشد ألوان العذاب ألما. إن هذا اللون من العذاب يشمل الأشخاص الذين وصل طغيانهم وتمردّهم حده الأعلى، أما من هم دونه في ذلك فإن اللَّه تعالى ينبّههم وينذرهم عن ممارساتهم الخاطئة عسى أن يعودوا إلى رشدهم، ويستيقظوا من غفلتهم، ويتوبوا من ذنوبهم، وهذا من ألطاف البارئ عز وجل بهم.

وبعبارة أُخرى: إذا أذنب عبد فإنه لا يخرج من واحدة من الحالات الثلاث التالية: إما أن ينتبه ويرجع عن خطأه ويتوب إلى ربه، أو أن ينزل اللَّه عليه العذاب ليعود إلى رشده، أو أنه غير أهل للتوبة ولا للعودة للرشد بعد التنبيه له، فيعطيه اللَّه نعمة بدل البلاء، وهذا هو «عذاب الاستدراج» والذي أُشير له في الآيات القرآنية بالتعبير أعلاه وبتعابير أُخرى. لذا يجب على الإنسان المؤمن أن يكون يقظا عند إقبال النعم الإلهية عليه، وليحذر من أن يكون ما يمنحه اللَّه من نعم ظاهرية يمثّل في حقيقته عذاب الاستدراج، ولذلك فإن المسلمين الواعين يفكّرون في مثل هذه الأُمور ويحاسبون أنفسهم باستمرار، ويعيدون تقييم أعمالهم دائما، كي يكونوا قريبين من طاعة اللَّه، ويؤدون حق الألطاف والنعم التي وهبها اللَّه لهم. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٨، ص ٥٥٣)

الجنّ/١٧: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ...﴾
المدّثّر/٣١: ﴿... وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾[١]
الطارق/١٥ و١٦: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً﴾

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يعلمهم متميّزين بالإيمان، وإذا كان اللّه تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنّما يعلم قبل الإظهار أنّهم سيتميّزون، فإذا أظهروه علمهم متميّزين، ويكون التغيّر حاصلاً في المعلوم لا في العالم، كما أنّ أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنّه سيجيء، فإذا جاء علمه جائياً وعلمه يوماً لا غداً، وإذا انقضى فإنّما يعلمه أمس، لا يوماً ولا غداً، ويكون التغيير واقعاً في المعلوم لا في العالم؛ وقيل: معناه: وليعلم أولياء اللّه، وإنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً؛ وقيل: معناه: وليظهر المعلوم من صبر من يصبر، وجزع من يجزع، وإيمان من يؤمن؛ وقيل: ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص، ومعناه: ليعلم اللّه المؤمن من المنافق، فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أُحد، أو يتّخذ منكم شهوداً على الناس بما يكون منهم من العصيان.

وأصل «التمحيص» التخليص، و«المحق»: إفناء الشيء حالاً بعد حال أي ليبتلي اللّه الذين آمنوا وليخلّصهم من الذنوب أو ينحّيهم[٢] من الذنوب بالابتلاء، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء.

وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي ليختبر ما فيها بأعمالكم لأنّه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة، لأنّ المجازات إنّما تقع على ما يعلمه مشاهدة؛ وقيل: معناه ليعاملكم معاملة المختبرين، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي ليكشفه ويميّزه، أو يخلّصه من الوساوس.

وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في أموالكم بذهابها ونقصانها، وفي أنفسكم أيّها المؤمنون بالقتل والمصائب[٣].

---

١. **نقول:** هذا الاختبار من وجهين: أولا: لأنهم كانوا يستهزؤون بالعدد التسعة عشر، ويتساءلون عن سبب اختيار هذا العدد، في حين لو وضع عدد آخر لكانوا قد سألوا السؤال نفسه. والوجه الثاني: أنهم كانوا يستقلون هذا العدد ويسخرون من ذلك بقولهم: لكل واحد منهم عشرة منا، لتكسر شوكتهم. في حين أن ملائكة اللّه وصفوا في القرآن بأن نفرا منهم يؤمرون بإهلاك قوم لوط عليه السلام ويقلبون عليهم مدينتهم. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٩، ص ١٧٦)

٢. في الطبعة الحجريّة: «ينجّيهم».

٣. مجمع البيان، ج ٢، ص ٨٤٤.

وقال البيضاويّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال، أو المنافقين، ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾ ولم يتبيّن الخلّص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم، نفي العلم وإرادة نفي المعلوم للمبالغة، فإنّه كالبرهان عليه من حيث إنّ تعلّق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿وَلِيجَةً﴾: بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي يبتلون بأصناف البليّات، أو بالجهاد مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات[٢].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ أي اختبرناك اختباراً[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أي امتحنّاهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل، فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنّه ليس بإله، فأضاف الضلال إلى السامريّ والفتنة إلى نفسه[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى، وبالضرّاء والسرّاء، وبالشدّة والرخاء.

وَرُوِيَ[٥] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَرِضَ فَعَادَهُ إِخْوَانُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بِشَرٍّ. قَالُوا: مَا هٰذَا كَلَامُ مِثْلِكَ! فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ فَالْخَيْرُ: الصِّحَّةُ وَالْغِنَى، وَالشَّرُّ: الْمَرَضُ وَالْفَقْرُ. ﴿فِتْنَةً﴾ أي ابتلاءاً واختباراً وشدّة تعبّد[٦].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي ما آذنتكم به اختبار لكم وشدّة تكليف، ليظهر صنيعكم؛ وقيل: هذه الدنيا فتنة لكم؛ وقيل: تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عمّا أنتم عليه. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي تتمتّعون به إلى وقت انقضاء آجالكم[٧].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي امتحاناً وابتلاءاً، وهو افتنان الفقير بالغني، يقول: لو شاء اللّه لجعلني مثله غنيّاً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح[٨].

---

١. أنوار التنزيل، ج ٣، ص ٧٤.
٢. المصدر السابق، ص ١٠٣.
٣. مجمع البيان، ج ٧، ص ١٩.
٤. المصدر السابق، ص ٣٩.
٥. وأيضاً ورد في الجعفريات (الأشعثيات)، ص ٢٣٣.
٦. مجمع البيان، ج ٧، ص ٧٤.
٧. المصدر السابق، ص ١٠٧.
٨. المصدر السابق، ص ٢٥٨.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي أ ظنّ الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا: إنّا مؤمنون فقط، ويقتصر منهم على هذا القدر، ولا يمتحنون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم؟ هذا لا يكون؛ وقيل: معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون في أنفسهم وأموالهم، وهو المرويّ عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ويكون المعنى: ولا يشدّد عليهم التكليف والتعبّد، ولا يؤمرون ولا ينهون. وقيل: معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنّها لا تندفع بقولهم: ﴿آمَنَّا﴾. وقال الحسن: معناه أ حسبوا أن يتركوا أن يقولوا: لا إله إلّا اللّه ولا يختبروا أ صدقوا أم كذبوا؟ يعني أنّ مجرد الإقرار لا يكفي. والأولى حمله على الجميع، إذ لا تنافي، فإنّ المؤمن يكلّف بعد الإيمان بالشرائع، ويمتحن في النفس والمال، ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره، فينبغي أن يوطّن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أي إنّما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي، أو على خير[٢] علمه اللّه عندي، أو على علم يرضاه عنّي، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم، ثمّ قال: ليس الأمر على ما يقولون، بل هي فتنة أي بليّة واختبار يبتليه اللّه بها، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها، فيجازيه بحسبها؛ وقيل: معناه: هذه النعمة فتنة، أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم؛ وقيل: معناه: هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنّهم يعاقبون عليها[٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي إلى الهلكة حتّى يقعوا فيه بغتة؛ وقيل: يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقرّبهم إليه درجة درجة حتّى يقعوا فيه؛ وقيل: هو من المدرجة وهي الطريق، ودرج: إذا مشى سريعاً، أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أيّ طريق سلكوا، فإنّ الطريق كلّها إليّ ومرجع الجميع إليّ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب؛ وقيل: إنّه من الدرج، أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض، يقال: طويت فلاناً وطويت أمر فلان: إذا تركته وهجرته؛ وقيل: معناه: كلّما جدّدوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة[٤].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحْدَثَ الْعَبْدُ ذَنْباً جُدِّدَ لَهُ نِعْمَةٌ فَيَدَعُ الِاسْتِغْفَارَ فَهُوَ الِاسْتِدْرَاجُ[٥].

ولا يصحّ قول من قال: إنّ معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال، لأنّ الآية وردت في الكفّار وتضمّنت أنّه

---

١. مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٢٧.

٢. في المصدر: «على خبر».

٣. مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٨٣.

٤. المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٧٥.

٥. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥١٠.

يستدرجهم في المستقبل، فإنّ «السين» يختصّ المستقبل، ولأنّه جعل الاستدراج جزاءاً على كفرهم وعقوبة، فلا بدّ أن يريد معنى آخر غير الكفر[١].

وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ معناه وأُمهلهم ولا أُعاجلهم بالعقوبة، فإنّهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع، وسمّاه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون. وقيل: أراد أنّ جزاء كيدهم متين[٢].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾ أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك، ويريدون إطفاء نورك، ﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ أي أُريد أمراً آخر على ضدّ ما يريدون، وأدبّر ما ينقض تدابيرهم، فسمّاه كيداً من حيث يخفى عليهم[٣].[٤]

الروايات:

١٨٩٤. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنِ الْوَشَّاءِ بِإِسْنَادٍ لَهُ يُرْسِلُهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَاللَّهِ لَتُمَحَّصُنَّ، وَاللَّهِ لَتُمَيَّزُنَّ، وَاللَّهِ لَتُغَرْبَلُنَّ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ. قُلْتُ: وَمَا الْأَنْدَرُ؟ قَالَ عليه السلام: الْبَيْدَرُ، وَهُوَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ قُبَّةَ[٦] الطَّعَامِ يُطَيِّنُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُ، وَقَدْ تَأَكَّلَ بَعْضُهُ فَلَا يَزَالُ يُنَقِّيهِ، ثُمَّ يُكِنُّ عَلَيْهِ يُخْرِجُهُ حَتَّى يَفْعَلَ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَبْقَى مَا لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ.

بيان:

قال الفيروزآباديّ: «الأندر» البيدر، أو كُدْسُ القمح.

---

١. فيه أن الكفر كالإيمان ذو مراتب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ الآية (آل عمران/٩٠)؛ فالمعنى: أن اللّه يخرجهم من كفر إلى كفر هو أشد منه، وما ذكره في الرواية لا ينافيه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٧٥.

٣. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧١٦.

٤. النهج [ص ٤٨٣، ح ٩٣]: قال عليه السلام: لا يقولن أحدكم: اللّهمّ أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن اللّه سبحانه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب، لأن بعضهم يحبّ الذكور ويكره الإناث، وبعضهم يحبّ تثمير المال ويكره انثلام الحال.

قال الرضي: وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير. (هامش المطبوع)

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩٩، ح ١٤٦؛ وفي الغيبة (للنعماني)، ص ٢٦، بمضمونه؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٦٩٦، ح ١٩٢٧.

٦. في نسخة: بيته. (هامش المطبوع) وكذا في البرهان، وفي المصدر: «فيه».

١٨٩٥. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ زُرَارَةَ وَحُمْرَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام عَنْ قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢] قَالَ: لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَتَفْتِنَهُمْ بِنَا.

١٨٩٦. رجال الكشّيّ[٣]: خَلَفُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: إِنِّي تَرَكْتُ ابْنَ قِيَامَا[٤] مِنْ أَعْدَى خَلْقِ اللَّهِ لَكَ، قَالَ: ذٰلِكَ شَرٌّ لَهُ. قُلْتُ: مَا أَعْجَبَ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ قَالَ: أَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ إِبْلِيسُ، كَانَ فِي جِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ فَأَمَرَهُ فَأَبَى، وَتَعَزَّزَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَأَمْلَى اللَّهُ لَهُ، وَاللَّهِ مَا عَذَّبَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الْإِمْلَاءِ، وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ مَا عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ الْإِمْلَاءِ[٥].

١٨٩٧. التوحيد[٦]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ قَبْضٍ وَلَا بَسْطٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ الْمَنُّ أَوِ الِابْتِلَاءُ[٧].

١٨٩٨. التوحيد[٨]: عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٩] قَالَ: مَا مِنْ قَبْضٍ وَلَا بَسْطٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ مَشِيَّةٌ وَقَضَاءٌ[١٠] وَابْتِلَاءٌ.

بيان:

لعلّ القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير، وفي النفوس بالسرور والحزن، وفي الأبدان بالصحّة والألم، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها.

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣٨؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٤١٤؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٤، ح ٤٩٤٦.

٢. يونس/٨٥.

٣. رجال الكشي، ص ٥٥٣، ح ١٠٤٥.

٤. هو الحسين بن قياما الواقفي، كان يجحد أبا الحسن الرضا عليه السلام. (هامش المطبوع)

٥. الإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر، راجع لسان العرب.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٤، ح ١.

٧. في نسخة: والابتلاء. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٨. التوحيد(للصدوق)، ص ٣٥٤، ح ٢؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٤٠٣؛ الكافي، ج ١، باب الابتلاء والاختيار، ص ١٥٢، ح ١.

٩. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حمزة بن محمد الطيّار، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

١٠. في المحاسن: «فضل».

١٨٩٩. التوحيد[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنِ الطَّيَّارِ[٢]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ لَهُ: لَيْسَ شَيْءٌ فِيهِ قَبْضٌ أَوْ بَسْطٌ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ اللَّهِ ابْتِلَاءٌ وَقَضَاءٌ.

١٩٠٠. المحاسن[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ وَإِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ مَعاً، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فِيمَا نَاجَى اللَّهُ بِهِ مُوسَى عليه السلام أَنْ قَالَ: يَا رَبِّ هٰذَا السَّامِرِيُّ صَنَعَ الْعِجْلَ، الْخُوَارُ مَنْ صَنَعَهُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: «أَنَّ تِلْكَ فِتْنَتِي[٤] فَلَا تُفْصِحَنَّ عَنْهَا»[٥].

بيان:

أي لا تظهرنّها لأحد، فإنّ عقولهم قاصرة عن فهمها.

١٩٠١. الكافي[٦]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ[٧]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنْدَبٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ السِّمْطِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنَقِمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ الِاسْتِغْفَارَ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرّاً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ الِاسْتِغْفَارَ وَيَتَمَادَى بِهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨] بِالنِّعَمِ عِنْدَ الْمَعَاصِي.

١٩٠٢. الكافي[٩]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٠] عَنِ الِاسْتِدْرَاجِ، قَالَ: هُوَ الْعَبْدُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُمْلِي لَهُ، وَيُجَدِّدُ لَهُ عِنْدَهُ النِّعَمُ، فَيُلْهِيهِ[١١] عَنِ الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ فَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ.

---

١. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٤، ح ٣؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٧٨، ح ٤٠١؛ الكافي، ج ١، باب الابتلاء والاختبار، ص ١٥٢، ح ٢.

٢. في المحاسن: «... فضالة بن أيّوب، عن أبان الأحمر، عن حمزة بن الطيّار ...».

٣. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٤٢٠؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٩، ح ٨٠؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٠٦، ح ٩.

٤. **نقول:** قوله تعالى: «أن تلك فتنتي» إشارة إلى أن الخوار لم يكن من فعل السامري، بل كان في العجل بقدرة اللّه لامتحان الناس.

٥. في النوادر: «فلا تفضحن بها».

٦. الكافي، ج ٢، باب الاستدراج، ص ٤٥٢، ح ١؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٦١، ح ١؛ مشكاة الأنوار، ص ٣٣٣.

٧. في العلل: «حدثنا ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقي، عن علي بن الحكم ...».

٨. الأعراف/١٨٢.

٩. الكافي، ج ٢، باب الاستدراج، ص ٤٥٢، ح ٢، وفي ح ٣، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٨٢، ح ٢١٠٤١.

١٠. في الكافي، ح ٣، بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١١. ألهاني فلان عن كذا: شغلني وأنساني، راجع لسان العرب.

١٩٠٣. الكافي[١]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ وَعَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» لَمَّا بُويِعَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَخَطَبَ بِخُطْبَةٍ ذَكَرَهَا يَقُولُ فِيهَا: أَلَا إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً[٢] حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَسْمَةً[٣]، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ.

بيان:

«لتبلبلنّ» أي لتخلطنّ من تبلبلت الألسن أي اختلطت، أو من البلابل وهي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر. «ولتغربلنّ» يجوز أن يكون من الغربال الذي يغربل به الدقيق، ويجوز أن يكون من غربلت اللحم أي قطعته، فعلى الأوّل يحتمل معنيين: أحدهما: الاختلاط كما أنّ في غربلة الدقيق يختلط بعضه ببعض. والثاني: أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد ويتميّز، كما يمتاز الدقيق عند الغربلة من النخالة.

قوله عليه السلام: «حتّى يعود أسفلكم أعلاكم» أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً، أو صالحكم فاجراً وفاجركم صالحاً، ومؤمنكم كافراً وكافركم مؤمناً. وفي النهج[٤]: «لتساطنّ سوط القدر حتّى يعود»، وهو أظهر، يقال: ساط القدر إذا قلب ما فيها من طعام بالمسوط وأداره، والمسوط: خشبة يحرّك بها ما فيها ليخلط.

قوله عليه السلام: «وليسبقنّ سبّاقون» يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته، ثمّ نصروه في ذلك الوقت، وبالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته وبادروا إلى نصرته في أوّل الأمر، ثمّ خذلوه ونكثوا بيعته كطلحة والزبير.

قوله عليه السلام: «ما كتمت وسمة»، وفي بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر، قال الجزريّ: في حديث عليّ عليه السلام: «واللّه ما كتمت وشمة»، أي كلمة، وفي بعض النسخ بالسين المهملة فهو بمعنى العلامة أي ما سترت علامة تدلّ على سبيل الحقّ ولكن عميتم عنها، ولا يخفى لطف انضمام الكتم بالوسمة، إذ الكتم ـ بالتحريك ـ نبت يخلط بالوسمة يختضب به.

١٩٠٤. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْبَارِيِّ، عَنِ

---

١. الكافي، ج ١، باب التمحيص والامتحان، ص ٣٦٩، ح ١؛ الغيبة (للنعماني)، ص ٢٠١، ح ١؛ وفي شرح الأخبار، ج ١، ص ٣٧١، ضمن ح ٣١٦، مع اختلاف العبارة.

٢. في شرح الأخبار مع زيادة: «ولتساطنّ كما يساط القدر».

٣. في شرح الأخبار: «واللّه ما انتحلت وصمة».

٤. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٧، ضمن الخطبة ١٦.

٥. الكافي، ج ١، باب التمحيص والامتحان، ص ٣٧٠، ح ٢؛ الغيبة (للنعماني)، ص ٢٠٤، ح ٧؛ دلائل الإمامة، ص ٤٥٦، ح ٤٣٦.

الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ[١]، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] يَقُولُ: وَيْلٌ لِطُغَاةِ الْعَرَبِ مِنْ أَمْرٍ[٣] قَدِ اقْتَرَبَ. قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ كَمْ مَعَ الْقَائِمِ مِنَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: نَفَرٌ يَسِيرٌ. قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ مَنْ يَصِفُ هٰذَا الْأَمْرَ مِنْهُمْ لَكَثِيرٌ، قَالَ عليه السلام: لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمَحَّصُوا وَيُمَيَّزُوا وَيُغَرْبَلُوا وَيُسْتَخْرَجَ فِي الْغِرْبَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

١٩٠٥. الكافي[٤]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: ﴿الٓمٓ * أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٥] ثُمَّ قَالَ لِي: مَا الْفِتْنَةُ؟ قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ الَّذِي عِنْدَنَا الْفِتْنَةُ فِي الدِّينِ، فَقَالَ: يُفْتَنُونَ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ، ثُمَّ قَالَ: يُخَلَّصُونَ كَمَا يُخَلَّصُ الذَّهَبُ.

١٩٠٦. الكافي[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الصَّيْقَلِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَالْحَارِثُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا جُلُوساً وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] يَسْمَعُ كَلَامَنَا فَقَالَ لَنَا: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُغَرْبَلُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَحَّصُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَيَّزُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ، لَا وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى يَشْقَى مَنْ يَشْقَى وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ.

١٩٠٧. نهج البلاغة[٨]: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[٩].

---

١. في نسخة: الحسن بن علي. (هامش المطبوع)

٢. في الغيبة بهذا الإسناد: «علي بن الحسين، عن محمد بن يحيى العطّار، عن محمد بن حسّان الرازي، عن محمد بن علي الكوفي، عن الحسن بن محبوب الزراد، عن أبي المغراء، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. في الغيبة: «من شرّ».

٤. الكافي، ج ١، باب التمحيص والامتحان، ص ٣٧٠، ح ٤؛ الغيبة (للنعماني)، ص ٢٠٢، ح ٢؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ١١١.

٥. العنكبوت/١ و ٢.

٦. الكافي، ج ١، باب التمحيص والامتحان، ص ٣٧٠، ح ٦؛ وفي الإمامة والتبصرة، ص ١٣٠، ح ١٣٥، مع اختلاف العبارة؛ الغيبة (للطوسي)، ص ٣٣٥، ح ٢٨١.

٧. في الإمامة بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن أبيه، عن منصور، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الغيبة: «الحسين بن عبد اللّه، عن أبي جعفر محمد بن سفيان البزوفري، عن أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن منصور، عن أبيه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٨. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ١٥٠، ذيل الخطبة ١٠٣؛ إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ٣٥؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٩٩.

٩. المؤمنون/٣٠.

١٩٠٨. نهج البلاغة[١]: قَالَ عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسِّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ[٢].

١٩٠٩. وَقَالَ عليه السلام[٣]: أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرَكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ[٤]، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النَّقِمَةِ فَرِقِينَ[٥]، إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اخْتِيَاراً[٦] فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

أقول:

سيأتي الآيات والأخبار في الإملاء والإمهال والاستدراج في كتاب الإيمان والكفر[٧].

---

١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٨٩، ح ١١٦؛ وفي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام (لابن عقدة)، ص ١١٤، ذيل ح ١٠٩؛ تحف العقول، ص٢٠٣.

٢. في المصدر والفضائل والتحف: «الإملاء له».

٣. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٣٧، ح ٣٥٨؛ تحف العقول، ص ٢٠٦؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ص ٦٩، ح ٦١؛ وفي الأخيرين مع اختلاف العبارات.

٤. الوجل: الفزع، راجع لسان العرب.

٥. الفَرَق: الخوف، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر: «اختبارا».

٧. بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، أبواب الكفر ومساوي الأخلاق، باب الإملاء والإمهال على الكفار.

﴿باب ٩﴾

«أنّ المعرفة منه تعالى»

الآيات:

لقمان/٢٥: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الزخرف/٩: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾

الحجرات/١٧: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

الليل/١٢: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾

---

١. **نقول:** هذه مسألة مهمة أن يتصور قاصرو التفكير غالبا أنهم بقبول الإيمان وأداء العبادات والطاعات يقدمون خدمة لساحة قدس اللّه أو للنبي عليه السلام وأوصيائه عليهم السلام، ولذلك فهم ينتظرون الثواب والأجر، في حين أنه لو أشرق نور الإيمان في قلب أحد، ونال هذا التوفيق بأن كان في زمرة المؤمنين فقد شمله لطف عظيم من اللّه عز وجل.

فالإيمان قبل كل شيء يمنح الإنسان إدراكا جديدا عن عالم الوجود، ويكشف عنه حجب الأنانية والغرور، ويوسّع عليه أُفق نظرته، ويجسّد له عظمة خلقه في نظره. إنّه يلقي على عواطفه النور والضياء، ويربّيها ويحيي في نفسه القيم الإنسانية، وينمّي استعداداته العالية فيه، ويمنحه العلم والقوة والشهامة والإيثار والتضحية والعفو والتسامح والإخلاص، ويجعل منه إنسانا قويا ذا عطاء وثمر بعد أن كان موجودا ضعيفا. إنه يأخذ بيده ويصعد به في مدارج الكمال إلى قمة الفخر، ويجعله منسجما مع عالم الوجود، ويسخّر عالم الوجود طوع أمره.

أ هذه النعمة التي أنعمها اللّه على الإنسان ذات قيمة، أم ما يمنّه الإنسان على النبي صلى الله عليه وآله؟! كذلك كل عبادة وطاعة هي خطوة نحو التكامل، إذ تمنح القلب صفاء وتسيطر على الشهوات، وتقوّي فيه روح الإخلاص، وتمنح المجتمع الإسلامي الوحدة والقوة والعظمة فكأنه نسيج واحد. فكل واحدة منها درس كبير في التربية، ومرحلة من المراحل التكاملية. ومن هنا كان على الإنسان أن يؤدّي شكر نعمة اللّه صباحا ومساءاً، ←

تفسير:

قوله تعالى: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ إمّا لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتّبعوا أسلافهم، أو الخطاب مع كفّار قريش، فإنّهم كانوا معترفين بأنّ الخالق هو اللّه، وليس له شريك في الخلق لكنّهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة.

قوله تعالى: ﴿**أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ**﴾ أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، أو وفّقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها، أو ألهمكم المعرفة كما هو ظاهر الأخبار.

الروايات:

١٩١٠. قرب الإسناد[١]: مُعَاوِيَةُ بْنُ حُكَيْمٍ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: لِلنَّاسِ فِي الْمَعْرِفَةِ صُنْعٌ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابٌ؟ قَالَ: يُتَطَوَّلُ عَلَيْهِمْ[٢] بِالثَّوَابِ كَمَا يُتَطَوَّلُ عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرِفَةِ.

١٩١١. الخصال[٣]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ دُرُسْتَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ[٥]: الْمَعْرِفَةُ، وَالْجَهْلُ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبُ، والنَّوْمُ، وَالْيَقَظَةُ.

١٩١٢. التوحيد[٦]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ فَسَأَلْتُهُ عليه السلام عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْجُحُودِ أَ هُمَا مَخْلُوقَتَانِ؟ فَكَتَبَ عليه السلام:

← وأن يهوي إلى السجود بعد كل صلاة وعبادة، وأن يشكر اللّه على جميع هذه الأُمور.

فإذا كانت نظرة الإنسان في هذا المستوى من الإيمان والطاعة فإنه لا يرى نفسه متفضلا، بل يجد نفسه مُدينا للّه ولنبيه وغريق إحسانه. ويؤدّي عبادته بلهفة، ويسعى في سبيل طاعته على الرأس لا على القدم، وإذا ما أثابه اللّه أجرا فهو تفضل آخر منه ولطف وإلا فإن أداء الأعمال الصالحة يكون بنفع الإنسان، والحقيقة أنه بهذا التوفيق يضاف على ميزانه عند اللّه. فهداية اللّه ـ بناءاً على ما بيّنا ـ لطف، ودعوة النبي صلى الله عليه وآله لطف آخر، والتوفيق للطاعة مضاعف، والثواب لطف فوق لطف. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٥٧٦)

١. قرب الإسناد، ص ٣٤٧، ح ١٢٥٦؛ وفي الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٦٦، بمضمونه؛ وجاء في تحف العقول، ص ٤٤٤، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

٢. تطوّل عليه بكذا: تفضل، راجع شمس العلوم.

٣. الخصال، ج ١، ص ٣٢٥، ح ١٣؛ الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٥٢؛ المحاسن، ج ١، ص ١٠، ح ٢٩.

٤. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، رفعه إلى أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. **نقول:** المراد أن مبادئ هذه الأُمور بيد اللّه تعالى، وإن كان العمل بها في النهاية بيد العبد بإذن اللّه تعالى وإرادته؛ وفي سند الرواية ضعف.

٦. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٢٦، ح ٧؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٦٩، ح ٢٨.

سَأَلْتَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَا هِيَ؟ فَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقَلْبِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْجُحُودَ صُنْعُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهِمَا مِنْ صُنْعٍ، وَلَهُمْ فِيهِمَا الِاخْتِيَارُ مِنَ الِاكْتِسَابِ، فَبِشَهْوَتِهِمُ الْإِيمَانَ اخْتَارُوا الْمَعْرِفَةَ، فَكَانُوا بِذٰلِكَ مُؤْمِنِينَ عَارِفِينَ، وَبِشَهْوَتِهِمُ الْكُفْرَ اخْتَارُوا الْجُحُودَ، فَكَانُوا بِذٰلِكَ كَافِرِينَ جَاحِدِينَ ضُلَّالاً، وَذٰلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُمْ، وَخِذْلَانِ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ، فَبِالِاخْتِيَارِ وَالِاكْتِسَابِ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ وَأَثَابَهُمْ[١]؛ الْخَبَرَ.

١٩١٣. المحاسن[٢]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ[٣]، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الْحُبَّ الَّذِي تُحِبُّونَا لَيْسَ بِشَيْءٍ صَنَعْتُمُوهُ، وَلٰكِنَّ اللَّهَ صَنَعَهُ.

١٩١٤. المحاسن[٤]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ وَفَضْلٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمْ يُكَلِّفِ اللَّهُ الْعِبَادَ الْمَعْرِفَةَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِلَيْهَا سَبِيلاً.

١٩١٥. المحاسن[٥]: الْوَشَّاءُ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنِ الْفَضْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ بَقْبَاقٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٦] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ﴾[٧] هَلْ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ صُنْعٌ قَالَ لَا.

١٩١٦. المحاسن[٨]: مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٩] هَلْ لِلْعِبَادِ بِمَا حَبَّبَ صُنْعٌ؟ قَالَ عليه السلام: لَا، وَلَا كَرَامَةَ[١٠].

١٩١٧. المحاسن[١١]: أَبِي خِدَاشٍ الْمَهْدِيِ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الْمُعَلِّمَ لَهُمْ، فَإِذَا أَعْلَمَهُمْ[١٢] فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا.

---

١. أثابه اللَّه: جازاه، والاسم الثواب، راجع تاج العروس.

٢. المحاسن، ج ١، ص ١٤٩، ح ٦٢؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٤، ح ٥٢.

٣. لم يرد في المصدر: «عن أبي بصير».

٤. المحاسن، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٦؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٢، ح ٤٠.

٥. المحاسن، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٧؛ الكافي، ج ٢، باب في أن السكينة هي الإيمان، ص ١٥، ح ٢؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٢، ح ٤١.

٦. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد، عن صفوان، عن أبان، عن فضيل، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام».

٧. المجادلة/٢٢.

٨. المحاسن، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٨ و ٢٩؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٢، ح ٤٣.

٩. الحجرات/٧.

١٠. في المحاسن، ح ٢٨، مع زيادة: «بل هو من اللَّه وفضله».

١١. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٣٢؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٤، ح ٥٣.

١٢. في المصدر والإثبات: «فإذا علّمهم».

١٩١٨. المحاسن[١]: عِدَّةٌ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ مُثَنًّى الْحَنَّاطِ[٢]، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فَخَلَقَ قَوْماً لِحُبِّنَا، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ خَرَجَ مِنْ هٰذَا الرَّأْيِ لَرَدَّهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُهُ، وَخَلَقَ خَلْقاً[٣] لِبُغْضِنَا لَا يُحِبُّونَنَا أَبَداً.

١٩١٩. الأمالي للشيخ الطوسي[٤]: الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعْفَرَانِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٥] قَالَ: قُلْتُ لَهُ: فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا قَالَ: التَّوْحِيدُ.

١٩٢٠. المحاسن[٦]: أَبِي، عَنْ صَفْوَانَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدٍ صَالِحٍ: هَلْ فِي النَّاسِ اسْتِطَاعَةٌ يَتَعَاطَوْنَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: لَا، إِنَّمَا هُوَ تَطَوُّلٌ مِنَ اللَّهِ. قُلْتُ: أَ فَلَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ثَوَابٌ إِذَا كَانَ لَيْسَ فِيهِمْ مَا يَتَعَاطَوْنَهُ بِمَنْزِلَةِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ فَفَعَلُوهُ؟ قَالَ: لَا، إِنَّمَا هُوَ تَطَوُّلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَطَوُّلٌ بِالثَّوَابِ.

١٩٢١. المحاسن[٧]: أَبِي، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[٨] قَالَ: كَانَ ذٰلِكَ مُعَايَنَةَ اللَّهِ[٩] فَأَنْسَاهُمُ الْمُعَايَنَةَ، وَأَثْبَتَ الْإِقْرَارَ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَوْ لَا ذٰلِكَ مَا عَرَفَ أَحَدٌ خَالِقَهُ وَلَا رَازِقَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١٠].

بيان:

«المعاينة» مجاز عن المواجهة بالخطاب، أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة، وثبتت المعرفة في قلوبهم[١١].

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٣٣، وص ٢٨٠، ح ٤٠٧؛ الأُصول الستة عشر، ص ٣٠٩، ح ٤٧٠.

٢. في المحاسن، ح ٢٨٠: «البرقي، عن الوشّاء، عن مثنى الحنّاط، ...».

٣. في المصدر والأُصول: «قوما».

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٦٠، ح ١٣٣٦؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٤١، ح ٢٢٢؛ الكافي، ج ٢، باب فطرة الخلق على التوحيد، ص ١٢، ح ١.

٥. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن الحسن بن علي بن فضال، عن عبد اللّه بن بكر، عن زرارة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٦. المحاسن، ج ١، ص ٢٨١، ح ٤١٠؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٢، ح ٣٩.

٧. المحاسن، ج ١، ص ٢٨١، ح ٤١١؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٧١، ح ٦؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٢، ح ٤٤.

٨. الأعراف/١٧٢.

٩. في المصدر: «معاينة للّه».

١٠. الزخرف/٨٧.

١١. قد تقدم في أخبار الرؤية وجوامع التوحيد من كتاب التوحيد ما يظهر به معنى هذه المعاينة، وهو العلم اليقيني باللّه سبحانه من غير وساطة ←

ثمّ اعلم أنّ أخبار هذا الباب وكثيراً من أخبار الأبواب السابقة تدلّ على أنّ معرفة اللّه تعالى بل معرفة الرسول والأئمّة «صلوات اللّه عليهم» وسائر العقائد الدينيّة موهبيّة وليست بكسبيّة، ويمكن حملها على كمال معرفته، أو المراد أنّه تعالى احتجّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتّى الرسل على هداية أحد وتعريفه، أو المراد أنّ المفيض للمعارف هو الربّ تعالى، وإنّما أُمر العباد بالسعي في أن يستعدّوا لذلك بالفكر والنظر كما يشير إليه خبر عبد الرحيم، أو يقال: هي مختصّة بمعرفة غير ما يتوقّف عليه العلم بصدق الرسل، فإنّ ما سوى ذلك إنّما نعرفه بما عرّفنا اللّه على لسان أنبيائه وحججه «صلوات اللّه عليهم»، أو يقال: المراد بها معرفة الأحكام الفرعيّة لعدم استقلال العقل فيها، أو المعنى أنّها إنّما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب؛ هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعد أكثرها[1].

والظاهر منها أنّ العباد إنّما يكلّفون بالانقياد للحقّ وترك الاستكبار عن قبوله، فأمّا المعارف فإنّها بأسرها ممّا يلقيه اللّه تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحقّ، ثمّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتّى يوصلهم إلى درجة اليقين، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيّين وأئمّة الدين عليهم السلام في تكميل أُممهم وأصحابهم، فإنّهم لم يحيلوهم على الاكتساب والنظر وتتبّع كتب الفلاسفة والاقتباس من علوم الزنادقة، بل إنّما دعوهم أوّلاً إلى الإذعان بالتوحيد وسائر العقائد، ثمّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضيّات حتّى فازوا بأعلى درجات السعادات.

← تفكر عقلي وتصور خيالي أو وهمي أو اتصال حسي ومن غير لزوم تجسيم أو تحديد، فارجع وتأمل. ولا يخلو موجود ذو شعور بل موجود مخلوق عن هذا العلم، فلا حجاب بينه وبين خلقه كما في الروايات. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

١. لا يخفى أنّ الإرادة التي هي مناط الاختيار لا تتعلق بشيء إلا عن تصور وتصديق سابق إجمالا أو تفصيلا، فمن المحال أن يتعلق الإرادة بأصل المعرفة والعلم، فيكون اختياريا من صنع العبد كأفعال الجوارح، وهذا هو الذي تذكره الروايات. وأما تفاصيل العلم والمعرفة فهي كسبية اختيارية بالواسطة، بمعنى أن الفكر في المقدمات يجعل الإنسان مستعدا لإفاضة النتيجة منه تعالى، والعلم مع ذلك ليس فعلا من أفعال الإنسان، ولتفصيل الكلام محل آخر يرجع إليه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

﴿باب ١٠﴾

«الطينة والميثاق»

الآيات:

الأعراف/١٧٢ و١٧٣: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1]

---

١. **نقول:** إيضاح لما ورد عن عالم الذرّ:

رأينا أن الآيات محل البحث تتحدّث عن أخذ العهد من ذرية آدم، لكن كيف أخذ هذا العهد؟ لم يرد في النص إيضاح في جزئيات هذا الموضوع، إلا أن للمفسرين آراء متعدّدة تعويلا منهم على الروايات الإسلامية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ومن أهمّ هذه الآراء رأيان:

١. حين خلق آدم ظهر أبناؤه على صورة الذرّ إلى آخر نسل له من البشر، وطبقا لبعض الروايات ظهر هذا الذرّ أو الذرّات من طينة آدم نفسه، وكان لهذا الذرّ عقل وشعور كاف للاستماع والخطاب والجواب، فخاطب اللّه سبحانه الذرّ قائلا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ فأجاب الذرّ جميعا: ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾، ثم عاد هذا الذرّ، أو هذه الذرّات جميعا إلى صلب آدم، أو إلى طينته، ومن هنا فقد سمّي هذا العالم بعالم «الذرّ»، وهذا العهد بعهد «ألست». فبناءاً على ذلك، فإن هذا العهد المشار إليه آنفا هو عهد تشريعي، ويقوم على أساس «الوعي الذاتي» بين اللّه والناس.

٢. إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكفاءات، وعهد الفطرة والتكوين والخلق. فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأُمهات، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار، وهبهم اللّه الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السرّ الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي، كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها.

فبناء على هذا، فإن جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد، وما أخذه اللّه من عهد منهم أو سؤاله إيّاهم: ألست بربكم؟ كان بلسان التكوين والخلق، وما أجابوه كان باللسان ذاته. ومثل هذه التعابير غير قليلة في أحاديثنا اليومية، إذ نقول مثلا: لون الوجه يخبر عن سره الباطني «سيماهم في وجوهم»، أو نقول: إن عيني فلان المجهدتين تنبئان أنه لم ينم الليلة الماضية. وقد روي عن بعض أدباء العرب وخطبائهم أنه قال

←

الأحزاب/٧ و٨: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1]

← في بعض كلامه: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وأينع ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا. كما ورد في القرآن الكريم التعبير على لسان الحال، كالآية (١١) من سورة فصلت، إذ جاء فيها: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

هذا باختصار هو خلاصة الرأيين أو النظريتين المعروفتين في تفسير هذه الآيات، إلا أن التفسير الأول فيه بعض الإشكالات، ونعرضها في ما يلي:

١. ورد التعبير في نصّ الآيات المتقدمة عن خروج الذريّة من بني آدم من ظهورهم، إذ قال تعالى: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ مع أن التفسير الأول يتكلّم عن آدم نفسه أو عن طينة آدم.

٢. إذا كان هذا العهد قد أخذ عن وعي ذاتي وعن عقل وشعور، فكيف نسيه الجميع ولا يتذكّر أحد مع أن الفاصلة الزمانية بين زماننا ليست بأبعد مدى من الفاصلة بين هذا العالم والعالم الآخر، أو القيامة؟ ونحن نقرأ في آيات عديدة من القرآن الكريم أن الناس سواء كانوا من أهل الجنّة أو من أهل النار لا ينسون أعمالهم الدنيوية في يوم القيامة، ويتذكرون ما اكتسبوه بصورة جيدة، فلا يمكن أن يوجّه هذا النسيان العمومي في شأن عالم الذر أبدا، ولا مجال لتأويله.

٣. أيّ هدف كان من وراء مثل هذا العهد؟ فإذا كان الهدف أن يسير المعاهدون، في طريق الحق عند تذكرهم مثل هذا العهد، وألا يسلكوا إلا طريق معرفة اللّه، فينبغي القول بأنّ مثل هذا الهدف لا يتحقق أبدا وبأي وجه كان، لأن الجميع نسوه، وبدون هذا الهدف يعدّ هذا العهد لغواً ولا فائدة فيه.

٤. إن الاعتقاد بمثل هذا العالم يستلزم في الواقع القول بنوع من التناسخ، لأنه ينبغي طبقا لهذا التفسير أن تكون روح الإنسان قد خلقت في هذا العالم قبل ولادته الفعلية، وبعد فترة طويلة أو قصيرة جاء إلى هذا العالم ثانية، وعلى هذا فسوف تحوم حوله كثيرا من الإشكالات في شأن التناسخ، غير أننا إذا أخذنا بالتفسير الثاني، فلا يرد عليه أيّ إشكال ممّا سبق، لأن السؤال والجواب، أو العهد المذكور عهد فطري، وما يزال كلّ منّا يحسّ بآثاره في أعماق روحه، وكما يعبر عنه علماء النفس بـ«الشعور الديني» الذي هو من الإحساسات الأصيلة في العقل الباطني للإنسان. وهذا الإحساس يقود الإنسان على امتداد التأريخ البشري إلى «طريق» معرفة اللّه، ومع وجود هذا الإحساس أو الفطرة لا يمكن التذرّع بأن آباءنا كانوا عبدة للأصنام ونحن على آثارهم مقتدون، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/٣٠) والإشكال الوحيد الذي يرد على التفسير الثاني هو أن هذا السؤال والجواب يتخذ شكلا «كنائيّا» ويتسم بلغة الحوار، إلا أنه مع الالتفات إلى ما بيّناه آنفا بأن مثل هذه التعابير كثير في لغة العرب وجميع اللغات، فلا يبقي أيّ إشكال في هذا المجال. ويبدو أن هذا التفسير أقرب من سواه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٥، ص ٢٨٨)

١. **نقول:** المهمّ أن نعلم أيّ ميثاق هذا الذي أخذ من كلّ الأنبياء؟ للمفسّرين هنا أقوال مختلفة، يمكن القول أنها جميعا فروع مختلفة لأصل واحد، وهو تأدية مسئولية التبليغ والرسالة والقيادة وهداية الناس في كلّ الأبعاد والمجالات. إن الأنبياء كانوا مكلّفين جميعا بدعوة كلّ البشر إلى التوحيد قبل كلّ شيء، وكانوا مكلّفين أيضا بأن يؤيّد بعضهم بعضا، كما أن الأنبياء اللاحقين يصدّقون ويؤكّدون صحّة دعوة الأنبياء السابقين. والخلاصة: أن تكون الدعوة إلى جهة واحدة، وأن يبلغ الجميع حقيقة واحدة، ويوحّدوا الأُمم تحت راية واحدة.

ويمكن ملاحظة الشاهد على هذا الكلام في سائر آيات القرآن أيضا، فنقرأ في الآية (٨١) من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ

←

الروايات:

١٩٢٢. المحاسن[١]: أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ طِينَةَ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: مِنْ طِينَةِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام فَلَنْ يَنْجُسَ أَبَداً[٣].

١٩٢٣. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: الْمُفِيدُ، عَنِ ابْنِ قُولَوَيْهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٥] قَالَ: إِنَّا وَشِيعَتَنَا خُلِقْنَا مِنْ طِينَةٍ مِنْ عِلِّيِّينَ[٦]، وَخُلِقَ عَدُوُّنَا مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ.

بيان:

قال الجزريّ: فيه: من شرب الخمر سقاه اللَّه من طينة الخبال يوم القيامة، جاء تفسيره في الحديث: أنّ الخبال عصارة أهل النار، و«الخبال» في الأصل: الفساد. وقال الفيروزآباديّ: الخبال كسحاب: النقصان، والهلاك، والعناء، والكلّ، والعيال، والسمّ القاتل، وصديد أهل النار. وقال: «الحمأ» محرّكة: الطين الأسود المنتن. وقال: المسنون: المنتن.

١٩٢٤. علل الشرائع[٧]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، وَحَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ حَبِيبٍ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[٨] يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَخْرَجَ

← فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. وورد نظير هذا المعنى في الآية (١٨٧) من سورة آل عمران، حيث تقول بصراحة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، وعلى هذا فإن اللَّه سبحانه قد أخذ الميثاق المؤكّد من الأنبياء بأن يدعوا الناس إلى توحيد اللَّه، وتوحيد دين الحق والأديان السماوية، وكذلك أخذه من علماء أهل الكتاب بأن لا يقصّروا في تبيان الدين الإلهي بكلّ ما في وسعهم، وأن لا يكتموا ذلك أبدا. وتبين الآية التالية الهدف من بعثة الأنبياء والميثاق الغليظ الذي أخذ منهم، فتقول: ﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٣، ص ١٧٥)

١. المحاسن، ج ١، ص ١٣٣، ح ٧؛ المؤمن، ص ٣٥، ح ٧٤؛ الكافي، ج ٢، باب طينة المؤمن والكافر، ص ٣، ح ٣.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام».

٣. في المؤمن: «فلن تخبث أبدا».

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ١٤٩، ح ٢٤٤؛ بصائر الدرجات، ص ١٥، ح ٤؛ بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٨٧.

٥. في البصائر بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن فضالة، عن علي بن حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام».

٦. في البصائر: «من طينة واحدة».

٧. علل الشرائع، ج ١، ص ١٠، ح ٤؛ الكافي، ج ٢، باب طينة المؤمن والكافر، باب آخر منه، ص ٨، ح ٢؛ الإختصاص، ص ٣٣٢؛ وفي هذه المصادر مع اختلاف يسير.

٨. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر عليه السلام».

ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِالنُّبُوَّةِ[١] لِكُلِّ نَبِيٍّ، كَانَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالنُّبُوَّةِ نُبُوَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِآدَمَ عليه السلام: انْظُرْ مَا ذَا تَرَى؟ قَالَ: فَنَظَرَ آدَمُ عليه السلام إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَهُمْ ذَرٌّ قَدْ مَلَؤُوا السَّمَاءَ، فَقَالَ آدَمُ عليه السلام: يَا رَبِّ مَا أَكْثَرَ ذُرِّيَّتِي! وَلِأَمْرٍ مَا خَلَقْتَهُمْ[٢]؟ فَمَا تُرِيدُ مِنْهُمْ بِأَخْذِكَ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: لِيَعْبُدُونَنِي وَلَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَيُؤْمِنُونَ بِرُسُلِي وَيَتَّبِعُونَهُمْ. قَالَ آدَمُ عليه السلام: فَمَا لِي[٣] أَرَى بَعْضَ الذَّرِّ أَعْظَمَ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضَهُمْ لَهُ نُورٌ قَلِيلٌ[٤]، وَبَعْضَهُمْ لَيْسَ لَهُ نُورٌ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذٰلِكَ خَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَهُمْ فِي كُلِّ حَالَاتِهِمْ.

قَالَ آدَمُ عليه السلام: يَا رَبِّ فَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ فَأَتَكَلَّمَ؟ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: تَكَلَّمْ فَإِنَّ رُوحَكَ مِنْ رُوحِي، وَطَبِيعَتَكَ مِنْ خِلَافِ كَيْنُونَتِي. قَالَ آدَمُ عليه السلام: يَا رَبِّ لَوْ كُنْتَ خَلَقْتَهُمْ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ، وَقَدْرٍ وَاحِدٍ، وَطَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَجِبِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَلْوَانٍ وَاحِدَةٍ، وَأَعْمَارٍ وَاحِدَةٍ، وَأَرْزَاقٍ سَوَاءٍ لَمْ يَبْغِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ تَحَاسُدٌ وَلَا تَبَاغُضٌ، وَلَا اخْتِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا آدَمُ بِرُوحِي نَطَقْتَ[٥]، وَبِضَعْفِ طَبْعِكَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، وَأَنَا اللَّهُ الْخَلَّاقُ[٦] الْعَلِيمُ، بِعِلْمِي خَالَفْتُ بَيْنَ خَلْقِهِمْ، وَبِمَشِيَّتِي أُمْضِي فِيهِمْ أَمْرِي، وَإِلَى تَدْبِيرِي وَتَقْدِيرِي هُمْ صَائِرُونَ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِي وَإِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُونِي.

وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ عَبَدَنِي وَأَطَاعَنِي مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُكَ وَخَلَقْتُ ذُرِّيَّتَكَ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ بِي إِلَيْكَ وَإِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا خَلَقْتُكَ وَخَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَكَ وَأَبْلُوَهُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً فِي دَارِ الدُّنْيَا فِي حَيَاتِكُمْ وَقَبْلَ مَمَاتِكُمْ، وَكَذٰلِكَ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَكَذٰلِكَ أَرَدْتُ فِي تَقْدِيرِي وَتَدْبِيرِي وَبِعِلْمِيَ النَّافِذِ فِيهِمْ خَالَفْتُ بَيْنَ صُوَرِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ[٧] وَأَلْوَانِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ؛ فَجَعَلْتُ مِنْهُمُ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ، وَالْبَصِيرَ وَالْأَعْمَى، وَالْقَصِيرَ وَالطَّوِيلَ، وَالْجَمِيلَ وَالذَّمِيمَ، وَالْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْمُطِيعَ وَالْعَاصِيَ، وَالصَّحِيحَ وَالسَّقِيمَ، وَمَنْ بِهِ الزَّمَانَةُ[٨] وَمَنْ لَا عَاهَةَ بِهِ؛ فَيَنْظُرُ الصَّحِيحُ إِلَى الَّذِي بِهِ الْعَاهَةُ فَيَحْمَدُنِي عَلَى عَافِيَتِهِ، وَيَنْظُرُ الَّذِي بِهِ الْعَاهَةُ إِلَى

---

١. في نسخة: وبالنبوية. (هامش المطبوع) واستظهر في هامش الطبعة الحجريّة بأن «بالنبوة» صحيح.

٢. وفي نسخة: ولأي أمر خلقتهم. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر: «قال آدم عليه السلام: يا رب فما لي».

٤. في المصدر والكافي والاختصاص: «بعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل»، وهكذا استظهر في هامش الطبعة الحجريّة بأنه صحيح.

٥. في الاختصاص: «بوحيي نطقت».

٦. في نسخة: الخالق. (هامش المطبوع)

٧. في نسخة: وأجسادهم. (هامش المطبوع)

٨. الزمانة: العاهة أي الآفة، راجع لسان العرب.

الصَّحِيحِ فَيَدْعُونِي وَيَسْأَلُنِي أَنْ أُعَافِيَهُ وَيَصْبِرُ[١] عَلَى بَلَائِهِ[٢] فَأُثِيبُهُ جَزِيلَ عَطَائِي، وَيَنْظُرُ الْغَنِيُّ إِلَى الْفَقِيرِ فَيَحْمَدُنِي وَيَشْكُرُنِي، وَيَنْظُرُ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ فَيَدْعُونِي وَيَسْأَلُنِي، وَيَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الْكَافِرِ فَيَحْمَدُنِي عَلَى مَا هَدَيْتُهُ، فَلِذٰلِكَ خَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَفِيمَا عَافَيْتُهُمْ وَفِيمَا ابْتَلَيْتُهُمْ وَفِيمَا أَعْطَيْتُهُمْ وَفِيمَا أَمْنَعُهُمْ[٣]، وَأَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَادِرُ، وَلِي أَنْ أُمْضِيَ جَمِيعَ مَا قَدَّرْتُ عَلَى مَا دَبَّرْتُ، وَإِلَى أَنْ أُغَيِّرَ عَنْ ذٰلِكَ مَا شِئْتُ إِلَى مَا شِئْتُ، فَأُقَدِّمَ مِنْ ذٰلِكَ مَا أَخَّرْتُ وَأُؤَخِّرَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدَّمْتُ، وَأَنَا اللَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا أُرِيدُ، لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ، وَأَنَا أَسْأَلُ خَلْقِي عَمَّا هُمْ فَاعِلُونَ.

بيان:

قوله تعالى: «من روحي» أي من الروح الذي اصطفيته وانتجبته، أي من عالم المجرّدات أو من عالم القدس، و«طبيعتك» من عالم الخلق والجسمانيّات، أو ممّا هو معدن الشهوات والجهالات فبطبيعتك وبشريّتك سألت ما سألت. و«الذميم»: المذموم، وفي بعض النسخ بالدال المهملة يقال: رجل دميم، أي قصير قبيح.

١٩٢٥. علل الشرائع[٤]: أَبِي «رَحِمَهُ اللَّهُ»، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّيَّارِيِّ[٥]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مِهْرَانَ الْكُوفِيِّ، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ اللَّيْثِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَبْصِرِ إِذَا بَلَغَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَكَمَلَ، هَلْ يَزْنِي؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا. قُلْتُ: فَيَلُوطُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا. قُلْتُ: فَيَسْرِقُ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَيَأْتِي بِكَبِيرَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْكَبَائِرِ أَوْ فَاحِشَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْفَوَاحِشِ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَيُذْنِبُ ذَنْباً؟ قَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُذْنِبٌ مُسْلِمٌ. قُلْتُ: مَا مَعْنَى مُسْلِمٍ؟ قَالَ: الْمُسْلِمُ بِالذَّنْبِ[٦] لَا يَلْزَمُهُ وَلَا يَصِيرُ عَلَيْهِ[٧].

قَالَ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْجَبَ هٰذَا! لَا يَزْنِي وَلَا يَلُوطُ وَلَا يَسْرِقُ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَا يَأْتِي كَبِيرَةً مِنَ الْكَبَائِرِ

---

١. في الاختصاص: «أو يصبر».

٢. في المصدر: «على بلائي».

٣. وفي نسخة: وفيما أُعافيهم، وفيما أبتليهم، وفيما أُعطيهم، وفيما منعتهم. (هامش المطبوع)

٤. علل الشرائع، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ٨١؛ وفي الوافي، ج ٤، ص ٤٥، بمضمونه؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤١٣، ح ٦٠٠٥.

٥. في المصدر: «... محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد اليساري...»، وفي الوافي: «بعض مشايخنا، عن أحمد بن محمد الكوفي، عن حنان بن سدير ...».

٦. في المصدر والبرهان: «هو مؤمن مذنب ملمّ. قلت: ما معنى ملمّ؟ قال عليه السلام: الملمّ بالذنب»، واللمم: هو صغار الذنوب، راجع لسان العرب، والظاهر هو الصحيح.

٧. وفي نسخة: ولا يصرّ عليه. (هامش المطبوع)

وَلَا فَاحِشَةً؟! فَقَالَ: لَا عَجَبَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، ولَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ، فَمِمَّ عَجِبْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ سَلْ وَلَا تَسْتَنْكِفْ وَلَا تَسْتَحْسِرْ[١][٢] فَإِنَّ هٰذَا الْعِلْمَ لَا يَتَعَلَّمُهُ مُسْتَكْبِرٌ وَلَا مُسْتَحْسِرٌ. قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ مِنْ شِيعَتِكُمْ مَنْ يَشْرَبُ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَيَحِيفُ[٣] السَّبِيلَ[٤]، وَيَزْنِي وَيَلُوطُ، وَيَأْكُلُ الرِّبَا، وَيَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ، وَيَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ، وَيَقْطَعُ الرَّحِمَ، وَيَأْتِي الْكَبَائِرَ، فَكَيْفَ هٰذَا؟ وَلِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ هَلْ يَخْتَلِجُ[٥] فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ غَيْرُ هٰذَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ: وَمَا هُوَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَجِدُ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمُنَاصِبِيكُمْ مَنْ يُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَمِنَ الصِّيَامِ، وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ، وَيُتَابِعُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَحُضُّ عَلَى الْجِهَادِ، وَيَأْتَرُ عَلَى الْبِرِّ وَعَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَيَقْضِي حُقُوقَ إِخْوَانِهِ، وَيُوَاسِيهِمْ مِنْ مَالِهِ[٦]، وَيَتَجَنَّبُ شُرْبَ الْخَمْرِ وَالزِّنَا وَاللِّوَاطَ وَسَائِرَ الْفَوَاحِشِ، فَمِمَّ ذَاكَ؟ وَلِمَ ذَاكَ؟ فَسِّرْهُ لِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَرْهِنْهُ وَبَيِّنْهُ، فَقَدْ وَاللَّهِ كَثُرَ فِكْرِي وَأَسْهَرَ لَيْلِي وَضَاقَ ذَرْعِي!

قَالَ: فَتَبَسَّمَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» ثُمَّ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ خُذْ إِلَيْكَ بَيَاناً شَافِياً فِيمَا سَأَلْتَ، وَعِلْماً مَكْنُوناً مِنْ خَزَائِنِ عِلْمِ اللَّهِ وَسِرِّهِ، أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمُ كَيْفَ تَجِدُ اعْتِقَادَهُمَا؟ قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَجِدُ مُحِبِّيكُمْ وَشِيعَتَكُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِمَّا وَصَفْتُهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مِمَّا[٧] بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ذَهَباً وَفِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ وَلَايَتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ إِلَى مُوَالاةِ غَيْرِكُمْ وَإِلَى مَحَبَّتِهِمْ مَا زَالَ، وَلَوْ ضُرِبَتْ خَيَاشِيمُهُ[٨] بِالسُّيُوفِ فِيكُمْ، وَلَوْ قُتِلَ فِيكُمْ مَا ارْتَدَعَ[٩][١٠]، وَلَا رَجَعَ عَنْ مَحَبَّتِكُمْ وَوَلَايَتِكُمْ؛ وَأَرَى النَّاصِبَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَفْتُهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ذَهَباً وَفِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ مَحَبَّةِ الطَّوَاغِيتِ وَمُوَالاتِهِمْ إِلَى مُوَالاتِكُمْ مَا فَعَلَ وَلَا زَالَ وَلَوْ ضُرِبَتْ خَيَاشِيمُهُ بِالسُّيُوفِ فِيهِمْ، وَلَوْ قُتِلَ فِيهِمْ مَا ارْتَدَعَ وَلَا رَجَعَ، وَإِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمْ مَنْقَبَةً لَكُمْ وَفَضْلاً اشْمَأَزَّ مِنْ ذٰلِكَ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَرُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ، بُغْضاً لَكُمْ وَمَحَبَّةً لَهُمْ.

---

١. لاتستحسروا: لاتملّوا، وهو استفعال من حَسَر: إذا أعيا وتعب، راجع مجمع البحرين.

٢. في نسخة: «ولا تستح». وكذا فيما بعده. (هامش المطبوع)، وفي المصدر: «لا تستحي».

٣. حاف: جار وظلم، راجع المصباح المنير.

٤. في المصدر والبرهان: «يخيف السبل».

٥. لا يختلجنّ في صدرك: لا يتحرّك فيه شيء من الريبة والشك، وأصل الاختلاج: الحركة والاضطراب، راجع لسان العرب.

٦. أي يعاونهم من ماله. (هامش المطبوع)

٧. في نسخة: ما. (هامش المطبوع)

٨. الخيشوم: أقصى الأنف، والجمع خياشيم، راجع المصباح المنير.

٩. ردعه فارتدع: كفّه فكفّ، راجع شمس العلوم.

١٠. في نسخة: ما ابتدع. (هامش المطبوع)

قَالَ: فَتَبَسَّمَ الْبَاقِرُ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ هَاهُنَا هَلَكَتِ الْعَامِلَةُ النَّاصِبَةُ، تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[1] وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَ تَدْرِي مَا السَّبَبُ وَالْقِصَّةُ فِي ذٰلِكَ؟ وَمَا الَّذِي قَدْ خَفِيَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ؟ قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَبَيِّنْهُ لِي وَاشْرَحْهُ وَبَرْهِنْهُ.

قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ عَالِماً قَدِيماً خَلَقَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ كَفَرَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ الْأَشْيَاءَ قَدِيماً مَعَهُ فِي أَزَلِيَّتِهِ وَهُوِيَّتِهِ كَانَ ذٰلِكَ أَزَلِيّاً، بَلْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَا مِنْ شَيْءٍ، فَكَانَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ أَرْضاً طَيِّبَةً، ثُمَّ فَجَّرَ مِنْهَا مَاءاً عَذْباً زُلَالاً، فَعَرَضَ عَلَيْهَا وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَبِلَتْهَا، فَأَجْرَى ذٰلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَبَّقَهَا وَعَمَّهَا، ثُمَّ نَضَبَ[2] ذٰلِكَ الْمَاءَ عَنْهَا، وَأَخَذَ مِنْ صَفْوَةِ ذٰلِكَ الطِّينِ طِيناً فَجَعَلَهُ طِينَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، ثُمَّ أَخَذَ ثُفْلَ[3] ذٰلِكَ الطِّينِ فَخَلَقَ مِنْهُ شِيعَتَنَا، وَلَوْ تَرَكَ طِينَتَكُمْ يَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى حَالِهِ كَمَا تَرَكَ طِينَتَنَا لَكُنْتُمْ وَنَحْنُ شَيْئاً وَاحِداً.

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا فَعَلَ بِطِينَتِنَا؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ ذٰلِكَ أَرْضاً سَبِخَةً[4] خَبِيثَةً مُنْتِنَةً، ثُمَّ فَجَّرَ مِنْهَا مَاءً أُجَاجاً آسِناً مَالِحاً، فَعَرَضَ عَلَيْهَا وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَمْ تَقْبَلْهَا فَأَجْرَى ذٰلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَبَّقَهَا وَعَمَّهَا، ثُمَّ نَضَبَ ذٰلِكَ الْمَاءُ عَنْهَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذٰلِكَ الطِّينِ فَخَلَقَ مِنْهُ الطُّغَاةَ وَأَئِمَّتَهُمْ، ثُمَّ مَزَجَهُ بِثُفْلِ طِينَتِكُمْ، وَلَوْ تَرَكَ طِينَتَهُمْ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يَمْزُجْ بِطِينَتِكُمْ لَمْ يَشْهَدُوا الشَّهَادَتَيْنِ، وَلَا صَلَّوْا، وَلَا صَامُوا، وَلَا زَكَّوْا، وَلَا حَجُّوا، وَلَا أَدَّوْا أَمَانَةً، وَلَا أَشْبَهُوكُمْ فِي الصُّوَرِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْبَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَرَى صُورَةَ عَدُوِّهِ مِثْلَ صُورَتِهِ.

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا صَنَعَ بِالطِّينَتَيْنِ؟ قَالَ عليه السلام: مَزَجَ بَيْنَهُمَا بِالْمَاءِ الْأَوَّلِ وَالْمَاءِ الثَّانِي، ثُمَّ عَرَكَهَا عَرْكَ الْأَدِيمِ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذٰلِكَ قَبْضَةً فَقَالَ: هٰذِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَأَخَذَ قَبْضَةً أُخْرَى وَقَالَ: هٰذِهِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي. ثُمَّ خَلَطَ بَيْنَهُمَا فَوَقَعَ مِنْ سِنْخِ الْمُؤْمِنِ وَطِينَتِهِ عَلَى سِنْخِ الْكَافِرِ وَطِينَتِهِ، وَوَقَعَ مِنْ سِنْخِ الْكَافِرِ وَطِينَتِهِ عَلَى سِنْخِ الْمُؤْمِنِ وَطِينَتِهِ، فَمَا رَأَيْتَهُ مِنْ شِيعَتِنَا مِنْ زِنًا، أَوْ لِوَاطٍ، أَوْ تَرْكِ صَلَاةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ جِهَادٍ، أَوْ خِيَانَةٍ[5]، أَوْ كَبِيرَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْكَبَائِرِ فَهُوَ مِنْ طِينَةِ النَّاصِبِ وَعُنْصُرِهِ الَّذِي قَدْ مُزِجَ فِيهِ، لِأَنَّ مِنْ سِنْخِ النَّاصِبِ وَعُنْصُرِهِ وَطِينَتِهِ اكْتِسَابَ الْمَآثِمِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ؛ وَمَا رَأَيْتَ مِنَ النَّاصِبِ وَمُوَاظَبَتِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ فَهُوَ

---

١. الفرقان/٢٣.

٢. نضب الماء: إذا ذهب في الأرض، راجع لسان العرب.

٣. الثفل: ما سفل من كلّ شيء، راجع لسان العرب.

٤. السبخة: أرض ذات ملح، راجع لسان العرب.

٥. في البرهان: «أو جناية».

مِنْ طِينَةِ الْمُؤْمِنِ وَسِنْخِهِ الَّذِي قَدْ مُزِجَ فِيهِ، لِأَنَّ مِنْ سِنْخِ الْمُؤْمِنِ وَعُنْصُرِهِ وَطِينَتِهِ اكْتِسَابَ الْحَسَنَاتِ وَاسْتِعْمَالَ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابَ الْمَآثِمِ، فَإِذَا عُرِضَتْ هٰذِهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا عَدْلٌ لَا أَجُورُ، وَمُنْصِفٌ لَا أَظْلِمُ، وَحَكَمٌ لَا أَحِيفُ وَلَا أَمِيلُ وَلَا أَشْطُطُ، أَلْحِقُوا الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ الَّتِي اجْتَرَحَهَا الْمُؤْمِنُ بِسِنْخِ النَّاصِبِ وَطِينَتِهِ، وَأَلْحِقُوا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا النَّاصِبُ بِسِنْخِ الْمُؤْمِنِ وَطِينَتِهِ، رُدُّوهَا كُلَّهَا إِلَى أَصْلِهَا، فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا، عَالِمُ السِّرِّ وَأَخْفَى، وَأَنَا الْمُطَّلِعُ عَلَى قُلُوبِ عِبَادِي، لَا أَحِيفُ وَلَا أَظْلِمُ وَلَا أَلْزِمُ أَحَداً إِلَّا مَا عَرَفْتُهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَهُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام: يَا إِبْرَاهِيمُ اقْرَأْ هٰذِهِ الْآيَةَ، قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيَّةَ آيَةٍ؟ قَالَ: قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾[1] هُوَ فِي الظَّاهِرِ مَا تَفْهَمُونَهُ، وَهُوَ وَاللَّهِ فِي الْبَاطِنِ هٰذَا بِعَيْنِهِ، يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً.

ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ الشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَبَدَا شُعَاعُهَا فِي الْبُلْدَانِ، أَ هُوَ بَائِنٌ مِنَ الْقُرْصِ؟ قُلْتُ: فِي حَالِ طُلُوعِهِ بَائِنٌ. قَالَ: أَ لَيْسَ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ اتَّصَلَ ذٰلِكَ الشُّعَاعُ بِالْقُرْصِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَذٰلِكَ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى سِنْخِهِ وَجَوْهَرِهِ وَأَصْلِهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سِنْخَ النَّاصِبِ وَطِينَتَهُ مَعَ أَثْقَالِهِ وَأَوْزَارِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالنَّاصِبِ، وَيَنْزِعُ سِنْخَ الْمُؤْمِنِ وَطِينَتَهُ مَعَ حَسَنَاتِهِ وَأَبْوَابِ بِرِّهِ وَاجْتِهَادِهِ مِنَ النَّاصِبِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالْمُؤْمِنِ. أَفَتَرَى هَاهُنَا ظُلْماً وَعُدْوَاناً؟ قُلْتُ: لَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: هٰذَا وَاللَّهِ الْقَضَاءُ الْفَاصِلُ وَالْحُكْمُ الْقَاطِعُ وَالْعَدْلُ الْبَيِّنُ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ، هٰذَا يَا إِبْرَاهِيمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، هٰذَا مِنْ حُكْمِ الْمَلَكُوتِ[2].

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا حُكْمُ الْمَلَكُوتِ؟ قَالَ: حُكْمُ اللَّهِ وَحُكْمُ أَنْبِيَائِهِ عليهم السلام، وَقِصَّةُ الْخَضِرِ وَمُوسَى عليهما السلام حِينَ اسْتَصْحَبَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[3]. إِفْهَمْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَاعْقِلْ، أَنْكَرَ مُوسَى عليه السلام عَلَى الْخَضِرِ عليه السلام وَاسْتَفْظَعَ أَفْعَالَهُ[4] حَتَّى قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي، إِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ هٰذَا ـ وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ـ قُرْآنٌ يُتْلَى، وَأَخْبَارٌ تُؤْثَرُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ رَدَّ مِنْهَا حَرْفاً فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ اللَّيْثِيُّ: فَكَأَنِّي لَمْ أَعْقِلِ الْآيَاتِ وَأَنَا أَقْرَؤُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا ذٰلِكَ الْيَوْمَ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَعْجَبَ هٰذَا! تُؤْخَذُ حَسَنَاتُ أَعْدَائِكُمْ فَتُرَدُّ عَلَى شِيعَتِكُمْ، وَتُؤْخَذُ سَيِّئَاتُ مُحِبِّيكُمْ فَتُرَدُّ عَلَى مُبْغِضِيكُمْ؟ قَالَ: إِي، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ

---

١. يوسف/٧٩.

٢. الملكوت: الملك العظيم، العز والسلطان؛ والملكوت السماوى هو محل القديسين في السماء. (هامش المطبوع)

٣. الكهف/٦٧ و٦٨.

٤. فظُع الأمرُ: اشتدت شناعته وجاوز المقدار في ذلك، واستفظعه: وجده فظيعا، راجع القاموس المحيط.

إِلَّا هُوَ، فَالِقِ الْحَبَّةِ، وَبَارِئِ النَّسَمَةِ، وَفَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، مَا أَخْبَرْتُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَمَا أَتَيْتُكَ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وَإِنَّ مَا أَخْبَرْتُكَ لَمَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ. قُلْتُ: هٰذَا بِعَيْنِهِ يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يُوجَدُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعاً فِي الْقُرْآنِ، أَ تُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ ذٰلِكَ عَلَيْكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ الْآيَةَ[1]. أَزِيدُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[2]. أَ تُحِبُّ أَنْ أَزِيدَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: ﴿فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[3] يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ شِيعَتِنَا حَسَنَاتٍ، وَيُبَدِّلُ اللَّهُ حَسَنَاتِ أَعْدَائِنَا سَيِّئَاتٍ؛ وَجَلَالِ اللَّهِ وَوَجْهِ اللَّهِ[4] إِنَّ هٰذَا لَمِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

أَلَمْ أُبَيِّنْ لَكَ أَمْرَ الْمِزَاجِ وَالطِّينَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: اقْرَأْ يَا إِبْرَاهِيمُ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يَعْنِي مِنَ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ وَالْأَرْضِ الْمُنْتِنَةِ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[5]. يَقُولُ: لَا يَفْتَخِرْ أَحَدُكُمْ بِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَنُسُكِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى مِنْكُمْ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ قِبَلِ اللَّمَمِ وَهُوَ الْمِزَاجُ.

أَزِيدُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي أَئِمَّةَ الْجَوْرِ دُونَ أَئِمَّةِ الْحَقِّ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[6] خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ غُرَرِ أَحَادِيثِنَا وَبَاطِنِ سَرَائِرِنَا وَمَكْنُونِ خَزَائِنِنَا، وَانْصَرِفْ وَلَا تُطْلِعْ عَلَى سِرِّنَا أَحَداً إِلَّا مُؤْمِناً مُسْتَبْصِراً فَإِنَّكَ إِنْ أَذَعْتَ سِرَّنَا بُلِيتَ فِي نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَأَهْلِكَ وَوُلْدِكَ.

بيان:

قال الفيروزآباديّ: أثر على الأمر كفرح: عزم، وله: تفرّغ. وقال: الآسن من الماء: الآجن. وقال: «عركه»: دلكه وحكّه.

---

١. العنكبوت/١٢ و١٣.

٢. النحل/٢٥.

٣. الفرقان/٧٠.

٤. لم يرد في المصدر: «ووجه اللّه».

٥. النجم/٣٢.

٦. الأعراف/٢٩ و٣٠.

ولعلّ المراد بـ«الأديم» هنا الطعام المأدوم. «ثمّ» في قوله: «ثمّ أخذ» للترتيب الذكري ولتفصيل ما أجمل سابقاً.

ثمّ اعلم أنّ هذا الخبر وأمثاله ممّا يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه، ويمكن أن يكون كناية عمّا علم اللّه تعالى وقدّره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا، واستيلاء أئمّة الجور وأتباعهم على أئمّة الحقّ وأتباعهم. وعلم أنّ المؤمنين إنّما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم، وعدم تولّي أئمّة الحقّ بسياستهم، فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم، ويعذّب أئمّة الجور وأتباعهم بتسبّبهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقّون من جرائم أنفسهم، واللّه يعلم وحججه «صلوات اللّه عليهم»[١].

١٩٢٦. تفسير القمّيّ[٢]: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ[٣]، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[٤] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الذَّرِّ الْأَوَّلِ فَأَقَامَهُمْ صُفُوفاً قُدَّامَهُ[٥] بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَآمَنَ بِهِ قَوْمٌ، وَأَنْكَرَهُ قَوْمٌ[٦]، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ يَعْنِي بِهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الذَّرِّ الْأَوَّلِ.

١٩٢٧. تفسير القمّيّ[٧]: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ[٨]، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ نُعَيْمٍ الصَّحَّافِ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٩] فَقَالَ: عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَانَهُمْ بِوَلَايَتِنَا، وَكُفْرَهُمْ بِتَرْكِهَا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ وَهُمْ ذَرٌّ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام[١٠].

١٩٢٨. تفسير القمّيّ[١١]: أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنِ

---

١. استيفاء البحث عن مسألة نقل الأعمال الذي يدلّ عليه الرواية وما يناظره من النقل والتعويض، تعرّضنا له في الجزء الثاني من تفسير الميزان وسنستوفي تمام البحث في تفسير سورة الأنفال إن شاء اللّه تعالى. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٠؛ وفي بصائر الدرجات، ص ٨٤، ح ٦، مع نقصان؛ مختصر البصائر، ص ٤٠٨، ح ٤٧١، وص ٤١٢، ح ٤٧٩.

٣. في البصائر والمختصر، ح ٤٧١: «محمد بن الحسن الصفّار، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط ...».

٤. النجم/٥٦.

٥. لم يرد في المصدر: «قدّامه».

٦. في المصدر: «قوم آخر».

٧. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧١؛ بصائر الدرجات، ص ٨١، ح ٢؛ الكافي، ج ١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ص ٤٢٦، ح ٧٤.

٨. في البصائر: «حدثنا أحمد بن محمد، عن ابن محبوب ...»، وفي الكافي: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب ...».

٩. التغابن/٢.

١٠. في المصدر: «وهم في عالم الذرّ وفي صلب آدم عليه السلام».

١١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٩١؛ وفي الأُصول الستّة عشر، ص ٢١٩، ح ٢٢٣، مع اختلاف يسير؛ تفسير فرات الكوفي، ص ٥٠٩، ح ٦٦٥.

الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ فِي هٰذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾[١] يَعْنِي مَنْ جَرَى فِيهِ شَيْءٌ مِنْ شِرْكِ الشَّيْطَانِ عَلَى الطَّرِيقَةِ؛ يَعْنِي عَلَى الْوَلَايَةِ فِي الْأَصْلِ عِنْدَ الْأَظِلَّةِ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي آدَمَ[٢] ﴿أَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ يَعْنِي لَكُنَّا وَضَعْنَا أَظِلَّتَهُمْ فِي الْمَاءِ الْفُرَاتِ الْعَذْبِ.

بيان:

قوله عليه السلام: «يعني من جرى» أي لمّا كانت لفظة «لو» دالّة على عدم تحقّق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية، وحاصل الخبر أنّ المراد بالآية أنّهم لو كانوا أقرّوا في عالم الظلال والأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب، فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأوّل في عالم الأرواح عند الميثاق.

١٩٢٩. تفسير القمّيّ[٣]: أَبِي، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ[٤]، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٥] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقَنَا مِنْهُ، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوَى إِلَيْنَا وَإِنَّهَا خُلِقَتْ[٦] مِمَّا خُلِقْنَا مِنْهُ؛ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٧].

بيان:

قد اختلف في تفسير «علّيّين» فقيل: هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة؛ وقيل: السماء السابعة؛ وقيل: سدرة المنتهى؛ وقيل: الجنّة؛ وقيل: لوح من زبرجد أخضر، معلّق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه. وقال الفرّاء: أي في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له[٨]. والمراد أنّ كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في علّيّين أي في دفتر أعمالهم، أو المراد أنّ دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة، وعلى الأخير فيه حذف مضاف أي وما

---

١. الجن/١٦.

٢. في المصدر والأُصول وتفسير الفرات: «ذرية آدم».

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤١١؛ المحاسن، ج ١، ص ١٣٢، ح ٥؛ وفي بصائر الدرجات، ص ١٥، ح ٣، مع زيادة.

٤. في المصدر: «أبي، عن محمد بن إسماعيل ...».

٥. في المحاسن والبصائر بهذا الإسناد: «أحمد، عن أبيه، عن أبي نهشل، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول».

٦. في المصدر والمحاسن والبصائر: «لأنها خلقت».

٧. المطفّفين/١٨-٢١.

٨. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٦٩٢.

أدراك ما كتاب علّيّين؛ والظاهر أنّ مفاد الخبر أنّ دفتر أعمالهم موضوع في مكان أُخذت منه طينتهم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنّه محلّ للعلوم ترتسم فيها.

١٩٣٠. تفسير القمّيّ[١]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى «بَلَى» رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: ـ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ـ تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَقَدْ وَطِئْتَ مَوْطِئاً لَمْ تَطَأْهُ[٢] مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَلَوْ لَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ كَانَتْ مِنْ ذٰلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ، فَكَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٣] أَيْ بَلْ أَدْنَى[٤]، فَلَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ وَقَعَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ عليهم السلام فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: كَانَ الْمِيثَاقُ مَأْخُوذاً عَلَيْهِمْ لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ بِالْإِمَامَةِ.

فَقَالَ: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ، وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ، وَالْأَئِمَّةُ الْهَادُونَ أَئِمَّتُكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَيْ لِئَلَّا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[٥]، فَأَوَّلُ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالرُّبُوبِيَّةِ[٦]، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ فَذَكَرَ جُمْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَبْرَزَ أَفْضَلَهُمْ بِالْأَسَامِي فَقَالَ: ﴿وَمِنْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فَقَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ، ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٧] فَهٰؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِيثَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام لَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَعَلَى أَنْ يَنْصُرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[٨] يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» تُخْبِرُوا أُمَمَكُمْ بِخَبَرِهِ وَخَبَرِ وَلِيِّهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام.

١٩٣١. تفسير القمّيّ[٩]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ مختصر البصائر، ص ٤١٠، ح ٤٧٦؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦٠٨، ح ٤٠٥٧.

٢. في المصدر: «لم يطأه».

٣. النجم/٩.

٤. أراد عليه السلام في هذا التفسير القرب المعنوي لا المكاني، وفسّرت الآية بأن الدنوّ والتدلّى كان بينه صلى الله عليه وآله وبين جبرئيل عليه السلام وسياق الآيات قبلها وبعدها يؤيده. (هامش المطبوع)

٥. الأعراف/١٧٢.

٦. في المصدر: «له بالربوبية».

٧. الأحزاب/٧.

٨. آل عمران/٨١.

٩. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٧؛ وفي تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨١، ح ٧٦، مع اختلاف العبارة، عن فيض بن أبي شيبة، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ مختصر البصائر، ص ٤١١، ح ٤٧٧.

أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً عَنْ آدَمَ عليه السلام[١] فَهَلُمَّ جَرّاً إِلَّا وَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقَاتِلُ وَيَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، ثُمَّ أَخَذَ أَيْضاً مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ وَمَا أُوتِيَ ﴿النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

١٩٣٢. تفسير القمّيّ[٣]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[٥] قُلْتُ: مُعَايَنَةً كَانَ هٰذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ، وَنَسُوا الْمَوْقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ، وَلَوْ لَا ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِلِسَانِهِ فِي الذَّرِّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٦].

١٩٣٣. أَقُولُ: رَوَى الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ فَهْدٍ فِي الْمُهَذَّبِ وَغَيْرِهِ[٧] بِإِسْنَادِهِمْ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ لِي: يَا مُعَلَّى يَوْمُ النَّيْرُوزِ[٨] هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ يَدِينُوا بِرُسُلِهِ وَحُجَجِهِ وَأَوْلِيَائِهِ عليهم السلام؛ الْخَبَرَ.

١٩٣٤. تفسير القمّيّ[٩]: أَبِي، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ ثَابِتٍ الْحَدَّادِ، عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام[١٠] فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً

---

١. في المصدر والمختصر: «من لدن آدم».

٢. آل عمران/٨٤.

٣. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٨؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ٢٤١، ح ٢٢٥، مع نقصان؛ مختصر البصائر، ص ٤١٢، ح ٤٧٨.

٤. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن أبي بكير، عن زرارة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. الأعراف/١٧٢.

٦. يونس/٧٤.

٧. المهذّب البارع، ج ١، ص ١٩٥؛ عوالي اللئالي، ج ٣، ص ٤١، ح ١١٧؛ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ١٧٤، ح ١٠٣٤٠؛ وفي الأخيرين ضمن رواية.

٨. **نقول:** الروايات الواردة في يوم النيروز مختلفة لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات كونه من أيام اللّه تعالى، ولكنه عيد عرفي طبيعي لأنه في أول فصل الربيع عند اعتدال الليل والنهار.

٩. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٧؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٤٠، ح ٧؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٠٥، ح ١؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية مع اختلاف يسير.

١٠. في تفسير العياشي بهذا الإسناد: «عن جابر، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهم السلام»، وفي العلل: «حدثنا ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهم السلام».

مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] قَالَ عليه السلام: وَكَانَ ذٰلِكَ مِنَ اللَّهِ تَقْدِمَةً فِي آدَمَ عليه السلام قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ وَاحْتِجَاجاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَاغْتَرَفَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى غُرْفَةً بِيَمِينِهِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ فَصَلْصَلَهَا فِي كَفِّهِ فَجَمَدَتْ، فَقَالَ لَهَا: مِنْكِ أَخْلُقُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، وَالْأَئِمَّةَ الْمُهْتَدِينَ، وَالدُّعَاةَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَتْبَاعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَا أُبَالِي، وَلَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ، ثُمَّ اغْتَرَفَ غُرْفَةً أُخْرَى مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ الْأُجَاجِ فَصَلْصَلَهَا فِي كَفِّهِ فَجَمَدَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِنْكِ أَخْلُقُ الْجَبَّارِينَ، وَالْفَرَاعِنَةَ، وَالْعُتَاةَ، وَإِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَالدُّعَاةَ إِلَى النَّارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَشْيَاعَهُمْ وَلَا أُبَالِي، وَلَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ. قَالَ عليه السلام: وَشَرَطَ فِي ذٰلِكَ الْبَدَاءَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ الْبَدَاءَ، ثُمَّ خَلَطَ الْمَائَيْنِ جَمِيعاً فِي كَفِّهِ فَصَلْصَلَهُمَا ثُمَّ كَفَّأَهُمَا قُدَّامَ عَرْشِهِ وَهُمَا سُلَالَةٌ مِنْ طِينٍ؛ الْخَبَرَ.

بيان:

قال الجزريّ: فيه: «كلتا يديه يمين» أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشمال ينقص عن اليمين، وإطلاق هذه الأسماء إنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، واللّه منزّه من التشبيه والتجسيم. انتهى.

أقول:

لمّا كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء، فالمعنى: أنّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفيّة والمصالح العامّة، وبه يمكن أن يفسّر ما ورد في الدعاء: «والخير في يديك». و«الصلصال»: الطين الحرّ خلط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جفّ. و«سلالة» الشيء: ما انسلّ منه واستخرج بجذب ونزع.

١٩٣٥. علل الشرائع[2]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[3] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مَاءً عَذْباً فَخَلَقَ مِنْهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَجَعَلَ[4] مَاءً مُرّاً فَخَلَقَ مِنْهُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَاخْتَلَطَا، فَلَوْ لَا ذٰلِكَ مَا وَلَدَ الْمُؤْمِنُ إِلَّا مُؤْمِناً، وَلَا الْكَافِرُ إِلَّا كَافِراً.

---

١. الحجر/٢٨ و٢٩.

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٢، ح ١، وفي ص ٨٤، ح ٧، مع اختلاف يسير؛ المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٤، ص ٢٥٩.

٣. في العلل، ح ٧، بهذا الإسناد: «حدثنا ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن أبان بن عثمان وأبي الربيع يرفعانه».

٤. في المناقب: «وخلق».

١٩٣٦. علل الشرائع[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَارُودِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»[٢] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّبِيِّينَ مِنْ طِينَةٍ عِلِّيِّينَ قُلُوبَهُمْ وَأَبْدَانَهُمْ، وَخَلَقَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ، وَخَلَقَ الْكَافِرِينَ مِنْ طِينَةِ سِجِّيلٍ[٣] قُلُوبَهُمْ وَأَبْدَانَهُمْ، فَخَلَطَ بَيْنَ الطِّينَتَيْنِ؛ فَمِنْ هٰذَا يَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَيَلِدُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ، وَمِنْ هَاهُنَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ السَّيِّئَةَ وَيُصِيبُ الْكَافِرُ الْحَسَنَةَ، فَقُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ تَحِنُّ[٤] إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ وَقُلُوبُ الْكَافِرِينَ تَحِنُّ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ.

١٩٣٧. علل الشرائع[٥]: أَحْمَدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام مِثْلَهُ. وَفِيهِ: وَخَلَقَ أَبْدَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلَقَ الْكُفَّارَ، وَ«سِجِّينٌ» مَكَانَ «سِجِّيلٍ».

بيان:

«سجّين»: موضع فيه كتاب الفجّار ودواوينهم، قال أبو عبيد: هو فعّيل من السجن كالفسّيق من الفسق، وقيل: هو الأرض السابعة أو أسفل منها، أو جبّ في جهنّم. والسجّيل كسكّيت: حجارة من مدر، معرّب «سنگ گل» والسجّين أظهر.

١٩٣٨. علل الشرائع[٦]: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ، عَنِ ابْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْعَبْقَرِيِّ[٧]، عَنْ عُمَرَ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، فَمِنْهُ السِّبَاخُ وَمِنْهُ الْمِلْحُ، وَمِنْهُ الطَّيِّبُ، فَكَذٰلِكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ[٨] الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ.

١٩٣٩. علل الشرائع[٩]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ[١٠]،

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٢، ح ٢؛ بصائر الدرجات، ص ١٥، ح ٥؛ الكافي، ج ٢، باب طينة المؤمن والكافر، ص ٢، ح ١.

٢. في البصائر بهذا الإسناد: «حدثني عباس بن معروف، عن حمّاد بن عيسى، عن ربيعي، عن علي بن الحسين عليهما السلام»، وفي الكافي: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن ربيعي، عن رجل، عن علي بن الحسين عليهما السلام».

٣. في المصدر والبصائر والكافي: «سجّين».

٤. حنّ إليه: اشتاق، راجع شمس العلوم.

٥. علل الشرائع، ج ١، ص ١١٦، ح ١٣.

٦. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٣، ح ٣؛ وفي قصص الأنبياء عليهم السلام (للراوندي)، ص ٤٤، صدر ح ٢.

٧. في المصدر: «المنقري».

٨. في المصدر: «في ذريّته».

٩. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٣، ح ٥؛ وفي الكافي، ج ٢، باب أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أول من أجاب ...، ص ١١، ذيل ح ٢؛ إثبات الوصية، ص ١٨.

عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِي آخِرِهِ: مَهْمَا رَأَيْتَ مِنْ نَـزَقِ[١١] أَصْـحَابِكَ وَخُـرْقِهِمْ[١٢][١٣] فَـهُوَ مِمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ لَطْخِ[١٤] أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَمَا رَأَيْتَ مِنْ حُسْنِ شِيَمِ[١٥] مَنْ خَالَفَهُمْ وَوَقَـارِهِمْ[١٦] فَـهُوَ مِـنْ لَـطْخِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

١٩٤٠. علل الشرائع[١٧]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَـنِ ابْـنِ أَبِـي الْـخَطَّابِ، عَـنْ مُـحَمَّدِ بْـنِ سِـنَانٍ[١٨]، عَـنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[١٩] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ. قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْمَاءُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْمَاءَ بَـحْرَيْنِ: أَحَـدُهُمَا عَـذْبٌ، وَالْآخَـرُ مِلْحٌ[٢٠]، فَلَمَّا خَلَقَهُمَا نَظَرَ إِلَى الْعَذْبِ فَقَالَ: يَا بَحْرُ فَقَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيكَ بَرَكَتِي وَرَحْمَتِي، وَمِنْكَ أَخْلُقُ أَهْلَ طَاعَتِي وَجَنَّتِي. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْآخَرِ فَقَالَ: يَا بَحْرُ، فَلَمْ يُجِبْ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: يَا بَحْرُ، فَلَمْ يُجِبْ! فَقَالَ: عَـلَيْكَ لَعْنَتِي، وَمِنْكَ أَخْلُقُ أَهْلَ مَعْصِيَتِي وَمَنْ أَسْكَنْتُهُ نَارِي، ثُمَّ أَمَرَهُمَا أَنْ يَمْتَزِجَا فَامْتَزَجَا، قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

١٩٤١. علل الشرائع[٢١]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ حَبِيبٍ، عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْأَرْوَاحِ أَنَّهَا جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ[٢٢]، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّا نَقُولُ ذٰلِكَ، قَالَ عليه السلام: فَإِنَّهُ كَذٰلِكَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ مِنَ الْعِبَادِ مِيثَاقَهُمْ وَهُمْ أَظِلَّةٌ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

---

١٠. في الكافي بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن ابن سنان».

١١. النزق: عجلة في جهل وحمق، راجع لسان العرب.

١٢. الخرق: الجهل والحمق، راجع لسان العرب.

١٣. في الكافي: «وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم»، وفي الإثبات: «فما رأيت من فرق أصحابك وخلقهم».

١٤. في السماء لطخٌ من سحاب: قليل منه، راجع مجمع البحرين.

١٥. الشيمة: الخلق والطبيعة، وجمعها شِيَم، راجع لسان العرب.

١٦. في الكافي: «من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم».

١٧. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٣، ح ٦ و ٤؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٨٢، ح ٤١٢؛ وجاء في الأخيرين بمضمونه.

١٨. في المصدر: «محمد بن سنان، عن عبد اللّه بن سنان ...».

١٩. في العلل، ح ٤، بهذا الإسناد: «ابن المتوكل، عن محمد بن يحيى، عن الحسين بن الحسن، عن ابن أُورمة، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن شريح، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي المحاسن: «البرقي، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام».

٢٠. في نسخة: والآخر مالح. (هامش المطبوع)

٢١. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٤، ح ٢، وفي ح ١، مع اختلاف يسير؛ مختصر البصائر، ص ٤٩٩، ح ٥٦٣.

٢٢. المجنّدة: المجموعة، راجع لسان العرب.

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[١]؛ قَالَ: فَمَنْ أَقَرَّ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَاءَتْ أُلْفَتُهُ هَاهُنَا، وَمَنْ أَنْكَرَهُ يَوْمَئِذٍ جَاءَ خِلَافُهُ هَاهُنَا.

بيان:

«جاءت أُلفته» أي ألفته مع أئمّته ومعرفته لهم، أو أُلفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتّفاقهم في المذهب؛ ويحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأئمّتهم عليهم السلام، والائتلاف أُلفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب.

١٩٤٢. علل الشرائع[٢]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُنَّا عِنْدَهُ فَذَكَرْنَا رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِنَا فَقُلْنَا: فِيهِ حِدَّةٌ[٣]، فَقَالَ عليه السلام: مِنْ عَلَامَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ فِيهِ حِدَّةٌ. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ عَامَّةَ أَصْحَابِنَا فِيهِمْ حِدَّةٌ؛ فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَقْتِ مَا ذَرَأَهُمْ أَمَرَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ـ وَأَنْتُمْ هُمْ ـ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ فَدَخَلُوهَا فَأَصَابَهُمْ وَهَجٌ[٤]، فَالْحِدَّةُ مِنْ ذٰلِكَ الْوَهَجِ، وَأَمَرَ أَصْحَابَ الشِّمَالِ ـ وَهُمْ مُخَالِفُوهُمْ ـ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَمِنْ ثَمَّ لَهُمْ سَمْتٌ وَلَهُمْ وَقَارٌ[٥].

١٩٤٣. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٦]: الْغَضَائِرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْعَطَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْغَزَّالِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٧]: إِنَّ فِي الْفِرْدَوْسِ لَعَيْناً أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، وَأَلْيَنَ مِنَ الزُّبْدِ، وَأَبْرَدَ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ، فِيهَا طِينَةٌ خَلَقَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا، وَخَلَقَ شِيعَتَنَا مِنْهَا، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ فَلَيْسَ مِنَّا وَلَا مِنْ شِيعَتِنَا، وَهِيَ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

---

١. الأعراف/١٧٢.

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٥، ح ١؛ وفي مختصر البصائر، ص ٥٠٠، ح ٥٦٤، مع اختلاف يسير.

٣. الحدّة: ما يعتري الإنسان من النَزَق والغضب. والنزق: الخفة، راجع لسان العرب.

٤. الوهج: حرّ النار وتوقّدها، راجع معجم مقاييس اللغة.

٥. **نقول:** المراد أن عامة أصحابنا فيهم قوّة وقدرة وحدّة في مقابل الأعداء ولكن مخالفوهم ليس فيهم هذه الأُمور وعندهم التسامح والتساهل والضعف والفتور يفهم ذلك من قرينة المقابلة وتوصيف الأصحاب بأصحاب اليمين وتوصيف مخالفيهم بأصحاب الشمال.

٦. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٥٥، ح ١٣٥٦، وص ٣٠٨، ح ٦٢٠؛ بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٢٠٧.

٧. في الأمالي، ح ٦٢٠، بهذا الإسناد: «أبو منصور السكّري، عن جده علي بن عمر، عن إسحاق بن مروان، عن أبيه، عن عبيد بن مهران العطّار، عن يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، عن أبيه وعن جعفر بن محمد، عن أبيهما، عن جدهما عليهم السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

قَالَ عُبَيْدٌ: فَذَكَرْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام[١] هٰذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: صَدَقَكَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، هٰكَذَا أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ أَبِيهِ[٢]، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٣]. قَالَ عُبَيْدٌ: قُلْتُ: أَشْتَهِي أَنْ تُفَسِّرَهُ لَنَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ تَفْسِيرٌ، قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً رَأْسُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَقَدَمَاهُ فِي تُخُومِ[٤] الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، بَيْنَ عَيْنَيْهِ رَاحَةُ أَحَدِكُمْ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً عَلَى وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَمَرَ ذٰلِكَ الْمَلَكَ فَأَخَذَ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ فَرَمَى بِهَا فِي النُّطْفَةِ حَتَّى تَصِيرَ إِلَى الرَّحِمِ مِنْهَا يَخْلُقُ وَهِيَ الْمِيثَاقُ.

١٩٤٤. علل الشرائع[٥]: أَبِي، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَدْيَنَ مِنْ وُلْدِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ـ وَمَعِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ـ فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ـ إِنِّي لَأَغْتَمُّ وَأَحْزَنُ[٦] مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَ لِذٰلِكَ سَبَباً. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ ذٰلِكَ الْحَزَنَ وَالْفَرَحَ يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنَّا إِذَا دَخَلَ[٧] عَلَيْنَا حَزَنٌ أَوْ سُرُورٌ كَانَ ذٰلِكَ دَاخِلاً عَلَيْكُمْ، لِأَنَّا وَإِيَّاكُمْ مِنْ نُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَعَلَنَا وَطِينَتَنَا وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةً، وَلَوْ تُرِكَتْ طِينَتُكُمْ كَمَا أُخِذَتْ لَكُنَّا وَأَنْتُمْ سَوَاءاً، وَلٰكِنْ مُزِجَتْ طِينَتُكُمْ بِطِينَةِ أَعْدَائِكُمْ، فَلَوْ لَا ذٰلِكَ مَا أَذْنَبْتُمْ ذَنْباً أَبَداً[٨].

قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَتَعُودُ طِينَتُنَا وَنُورُنَا كَمَا بَدَأَ؟ فَقَالَ عليه السلام: إِي وَاللَّهِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ هٰذَا الشُّعَاعِ الزَّاجِرِ[٩] مِنَ الْقُرْصِ إِذَا طَلَعَ، أَ هُوَ مُتَّصِلٌ بِهِ أَوْ بَائِنٌ مِنْهُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ بَلْ هُوَ بَائِنٌ مِنْهُ، فَقَالَ: أَ فَلَيْسَ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ وَسَقَطَ الْقُرْصُ عَادَ إِلَيْهِ فَاتَّصَلَ بِهِ كَمَا بَدَأَ مِنْهُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ. فَقَالَ: كَذٰلِكَ وَاللَّهِ شِيعَتُنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ خُلِقُوا، وَإِلَيْهِ يَعُودُونَ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَمُلْحَقُونَ بِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّا لَنَشْفَعُ فَنُشَفَّعُ، وَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَشْفَعُونَ فَتُشَفَّعُونَ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَّا وَسَتُرْفَعُ لَهُ نَارٌ عَنْ شِمَالِهِ، وَجَنَّةٌ عَنْ يَمِينِهِ، فَيُدْخِلُ أَحِبَّاءَهُ الْجَنَّةَ، وَأَعْدَاءَهُ النَّارَ.

١٩٤٥. علل الشرائع[١٠]: الدَّقَّاقُ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ رَفَعَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ زَيْدٍ

---

١. في الأمالي، ح ٦٢٠: «لمحمد بن علي بن الحسين بن علي عليهما السلام».

٢. لم يرد في المصدر: «عن أبيه».

٣. إلى هنا تمت الرواية في الأمالي، ح ٦٢٠ والبشارة.

٤. التخوم: الفصل بين الأرضَين من الحدود والمعالم، راجع لسان العرب.

٥. علل الشرائع، ج ١، ص ٩٣، ح ٢؛ المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٤، ص ٢٦١.

٦. في المناقب: «لأحزن وأفرح».

٧. في المصدر والمناقب: «لأنّا إذا دخل ...».

٨. قد تمت الرواية في المناقب بهذه العبارة: «ما أذنبتم ذنبا واحدا».

٩. في المصدر: «الزاهر».

١٠. علل الشرائع، ج ١، ص ١١٧، ح ١٤؛ بصائر الدرجات، ص ١٥، ح ٣؛ الكافي، ج ١، باب خلق أبدان الأئمة، ص ٣٩٠، ح ٤.

الشَّحَّام، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنَا مِنْ نُورٍ مُبْتَدَعٍ مِنْ نُورٍ رَسَخَ ذٰلِكَ النُّورُ فِي طِينَةٍ[٢] مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقَ مِنْهُ أَبْدَانَنَا، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ دُونَ ذٰلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣]، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ قُلُوبَ أَعْدَائِنَا مِنْ طِينَةٍ مِنْ سِجِّينٍ، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَ مِنْهُ أَبْدَانَهُمْ فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤].

١٩٤٦. علل الشرائع[٥]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦] قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ خَلَقَهُمْ وَنَشَرَهُمْ[٧] بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةُ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» فَقَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، فَحَمَّلَهُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: هٰؤُلَاءِ حَمَلَةُ دِينِي وَعِلْمِي وَأُمَنَائِي فِي خَلْقِي، وَهُمُ الْمَسْؤُولُونَ.

ثُمَّ قَالَ[٨] لِبَنِي آدَمَ: أَقِرُّوا لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِهٰؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالطَّاعَةِ وَالْوَلَايَةِ[٩] فَقَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا أَقْرَرْنَا، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: شَهِدْنَا عَلَى أَنْ لَا يَقُولُوا غَداً ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾، أَوْ يَقُولُوا: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٠]. يَا دَاوُدُ الْأَنْبِيَاءُ[١١] مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ.

---

١. في البصائر والكافي بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن أبي نهشل، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام» إلا في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام.

٢. لم يرد في البصائر والكافي: «من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة».

٣. المطفّفين/١٨-٢١.

٤. المطفّفين/٧-١٠.

٥. علل الشرائع، ج ١، ص ١١٨، ح ٢؛ الكافي، ج ١، باب العرش والكرسي، ص ١٣٢، ح ٧؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣١٩، ح ١؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

٦. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن الرحمن بن كثير، عن داود الرقّي ...»، وفي التوحيد: «الدقّاق، عن محمد بن أبي عبد اللّه الكوفي، عن البرمكي، عن جذعان بن نصر الكندي، عن سهل الآدمي، عن ابن محبوب، عن ابن كثير، عن داود الرقّي ...».

٧. في الكافي والتوحيد: «... أن يخلق الخلق نثرهم ...».

٨. في المصدر والتوحيد: «ثم قيل».

٩. لم يرد في التوحيد: «والولاية».

١٠. الأعراف/١٧٢ و١٧٣.

١١. في نسخة: ولايتنا. (هامش المطبوع) وكذا في الكافي والتوحيد.

بيان:

قوله عليه السلام: «هم المسؤولون» أي يجب على الناس أن يسألوهم عن أُمور دينهم، أو فيه حذف وإيصال، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حبّهم وولايتهم.

١٩٤٧. علل الشرائع[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ بَزِيعٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ[٢]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ وَعُقْبَةَ جَمِيعاً، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٣] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مَنْ أَحَبَّ مِمَّا أَحَبَّ، وَكَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ، وَخَلَقَ مَنْ أَبْغَضَ مِمَّا أَبْغَضَ، وَكَانَ مَا أَبْغَضَ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظِّلَالِ؛ فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ الظِّلَالُ؟ فَقَالَ: أَ لَمْ تَرَ إِلَى ظِلِّكَ فِي الشَّمْسِ شَيْءٌ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ؟ ثُمَّ بَعَثَ مِنْهُمُ النَّبِيِّينَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٤] ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالنَّبِيِّينَ فَأَنْكَرَ بَعْضٌ وَأَقَرَّ بَعْضٌ، ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى وَلَايَتِنَا فَأَقَرَّ بِهَا وَاللَّهِ مَنْ أَحَبَّ، وَأَنْكَرَهَا مَنْ أَبْغَضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٥]، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: كَانَ التَّكْذِيبُ ثَمَّ[٦].

توضيح:

قوله عليه السلام: «في الظلال» أي عالم الأرواح بناءاً على أنّها أجسام لطيفة؛ ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرّد أيضاً تقريباً إلى الأفهام، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الأبدان. قوله عليه السلام: «وهو قوله» أي هذه المعرفة الفطريّة إنّما حصل من أخذ تلك الميثاق.

١٩٤٨. علل الشرائع[٧]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ زِيَادٍ الْقَنْدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ١١٨، ح ٣؛ بصائر الدرجات، ص ٨٠، ح ١؛ الكافي، ج ٢، باب طينة المؤمن والكافر، باب آخر منه، ص ١٠، ح ٣؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٢. ضبطه الطريحي في الضوابط بضم العين وسكون القاف وفتح الباء، واحتمل المامقاني كونه بالفتحات الثلاث. (هامش المطبوع)

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد اللّه بن محمد الجعفي وعقبة جميعا، عن أبي جعفر عليه السلام»، وهكذا في البصائر ولكن لم يرد فيه: «محمد بن يحيى».

٤. الزخرف/٨٧.

٥. في المصحف الشريف: ﴿فَمَا كَانُوا ...﴾ (يونس/ ٧٤).

٦. **نقول:** إن جماعة من أكابر العلماء يعتقدون أن عالم الذرّ هو عالم الاستعدادات، وقد يعبر عنها بعالم الأشباح والأرواح، ولا مانع من التعبير عنه بعالم الأظلة، ولا ينافي ذلك كون العباد مختارين في أعمالهم، لأن الاستعدادات لا تجبر الإنسان على شيء وإن كان لها تأثير في الجملة.

٧. علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٢٥، ح ٦؛ مختصر البصائر، ص ٥٠٧، ح ٥٧٤؛ وفي وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣١٩، ح ١٧٨٤١، مقطعا مع نقصان.

فِي الطَّوَافِ إِذْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ عُمَرَ فَأَخَذَ[١] بِيَدِهِ رَجُلٌ فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَانْتَهَرَهُ[٢] وَأَغْلَظَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: بَطَلَ حَجُّكَ إِنَّ الَّذِي تَسْتَلِمُهُ حَجَرٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعُمَرِيِّ لِهٰذَا الَّذِي اسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ؟ فَقَالَ: وَمَا الَّذِي قَالَ؟ قُلْتُ لَهُ: قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَطَلَ حَجُّكَ إِنَّمَا هُوَ حَجَرٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَذَبَ، ثُمَّ كَذَبَ ثُمَّ كَذَبَ إِنَّ لِلْحَجَرِ لِسَاناً ذَلِقاً[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْمُوَافَاةِ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلَقَ بَحْرَيْنِ: بَحْراً عَذْباً، وَبَحْراً أُجَاجاً، فَخَلَقَ تُرْبَةَ آدَمَ عليه السلام مِنَ الْبَحْرِ الْعَذْبِ، وَشَنَّ[٤][٥] عَلَيْهَا مِنَ الْبَحْرِ الْأُجَاجِ، ثُمَّ جَبَّلَ آدَمَ عليه السلام فَعَرَكَ عَرْكَ الْأَدِيمِ فَتَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ أَقَامَهُ شَبَحاً فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِهِ الْأَيْمَنِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ فَقَالَ: هٰؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ وَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ وَقَالَ: هٰؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ؛ فَأَنْطَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَأَصْحَابَ الْيَسَارِ، فَقَالَ أَهْلُ الْيَسَارِ: يَا رَبِّ لِمَا خَلَقْتَ[٦] لَنَا النَّارَ وَلَمْ تُبَيِّنْ لَنَا[٧] وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا رَسُولاً؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ذٰلِكَ لِعِلْمِي بِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَإِنِّي سَأَبْتَلِيكُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّارَ، فَأُسْعِرَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقَحَّمُوا جَمِيعاً فِي النَّارِ، فَإِنِّي أَجْعَلُهَا عَلَيْكُمْ بَرْداً وَسَلَاماً، فَقَالُوا: يَا رَبِّ إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ لِأَيِّ شَيْءٍ جَعَلْتَهَا لَنَا هَرَباً مِنْهَا، وَلَوْ أَمَرْتَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ مَا دَخَلُوا، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّارَ فَأُسْعِرَتْ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: تَقَحَّمُوا جَمِيعاً فِي النَّارِ، فَتَقَحَّمُوا جَمِيعاً فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً.

فَقَالَ لَهُمْ[٨]: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ: بَلَى طَوْعاً، وَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ: بَلَى كَرْهاً؛ فَأَخَذَ مِنْهُمْ جَمِيعاً مِيثَاقَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. قَالَ عليه السلام: وَكَانَ الْحَجَرُ فِي الْجَنَّةِ فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْتَقَمَ الْمِيثَاقَ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٩] فَلَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عليه السلام الْجَنَّةَ وَعَصَى أَهْبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَجَرَ وَجَعَلَهُ فِي رُكْنِ بَيْتِهِ وَأَهْبَطَ آدَمَ عليه السلام عَلَى

---

١. في نسخة: وأخذ. (هامش المطبوع)

٢. انتهره: زجره، راجع لسان العرب.

٣. الذلق: حدّة الشيء، راجع لسان العرب.

٤. شنّ الماء: إذا صبّه وفرّقه، راجع شمس العلوم.

٥. في المصدر: «سنّ». (هامش المطبوع) وكذا في المختصر.

٦. في المصدر والمختصر: «لِم خلقت».

٧. في المختصر: «ولم يثبت لنا ذنب» بدلاً من «ولم تبين لنا».

٨. في المصدر: «فقال لهم جميعا».

٩. في المصحف الشريف: ﴿... يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران/٨٣).

الصَّفَا فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَآهُ فِي الْبَيْتِ فَعَرَفَهُ وَعَرَفَ مِيثَاقَهُ وَذَكَرَهُ فَجَاءَ إِلَيْهِ مُسْرِعاً فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَبَكَى عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً تَائِباً مِنْ خَطِيئَتِهِ، وَنَادِماً عَلَى نَقْضِهِ مِيثَاقَهُ. قَالَ عليه السلام: فَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أُمِرْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِذَا اسْتَلَمْتُمُ الْحَجَرَ: أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُوَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١٩٤٩. بصائر الدرجات[١]: عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَدِّهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام إِلَى الْجَنَّةِ فَأَتَاهُ بِطِينَةٍ مِنْ طِينِهَا[٢]، وَبَعَثَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى الْأَرْضِ فَجَاءَهُ بِطِينَةٍ مِنْ طِينِهَا، فَجَمَعَ الطِّينَتَيْنِ ثُمَّ قَسَّمَهَا نِصْفَيْنِ، فَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ الْقِسْمَيْنِ، وَجَعَلَ شِيعَتَنَا مِنْ طِينَتِنَا، فَمَا كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا مِمَّا يُرْغَبُ بِهِمْ عَنْهُ[٣] مِنَ الْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ فَذَاكَ مِمَّا خَالَطَهُمْ مِنَ الطِّينَةِ الْخَبِيثَةِ وَمَصِيرُهَا[٤] إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا كَانَ فِي عَدُوِّنَا مِنْ بِرٍّ وَصَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَمِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ فَذَاكَ لِمَا خَالَطَهُمْ مِنْ طِينَتِنَا الطَّيِّبَةِ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ.

١٩٥٠. بصائر الدرجات[٥]: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٦] قَالَ: يَا فُضَيْلُ أَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ خُلِقْنَا مِنْ عِلِّيِّينَ، وَخُلِقَ قُلُوبُنَا مِنَ الَّذِي خُلِقْنَا مِنْهُ، وَخُلِقَ شِيعَتُنَا مِنْ أَسْفَلَ مِنْ ذٰلِكَ، وَخُلِقَ قُلُوبُ شِيعَتِنَا مِنْه، وَإِنَّ عَدُوَّنَا خُلِقُوا مِنْ سِجِّينٍ، وَخُلِقَ قُلُوبُهُمْ مِنَ الَّذِي خُلِقُوا مِنْهُ[٧]، وَخُلِقَ شِيعَتُهُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْ ذٰلِكَ، وَخُلِقَ قُلُوبُ شِيعَتِهِمْ مِنَ الَّذِي خُلِقُوا مِنْهُ، فَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ سِجِّينٍ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَهْلُ سِجِّينٍ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ؟

١٩٥١. بصائر الدرجات[٨]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْجَبَلِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٩] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ طِينَةِ عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَنَا مِنْ طِينَةِ فَوْقِ عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ

---

١. بصائر الدرجات، ص ١٧، ح ١٠.

٢. في المصدر: «طينتها» وكذا في الموضع التالي.

٣. هكذا في النسخة الموجودة عندنا، ولكن الظاهر: «أنه مما يرغب به عنهم».

٤. الظاهر صحيحه: «مصيرهم».

٥. بصائر الدرجات، ص ١٨، ح ١٦، وفي ح ١٧، بمضمونه.

٦. في البصائر، ح ١٧، بهذا الإسناد: «حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن زين العابدين عليه السلام».

٧. في المصدر: «مما خلقوا منه».

٨. بصائر الدرجات، ص ٢٤، ح ١٨، وفي ص ١٤، ح ٢، بمضمونه.

٩. في البصائر، ح ٢، بهذا الإسناد: «حدثنا محمد بن عيسى، عن أبي الحجاج قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام».

شِيعَتَنَا مِنْ طِينَةٍ أَسْفَلَ مِنْ ذٰلِكَ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةِ عِلِّيِّينَ، فَصَارَتْ قُلُوبُهُمْ تَحِنُّ إِلَيْنَا، لِأَنَّهَا مِنَّا، وَخَلَقَ عَدُوَّنَا مِنْ طِينَةِ سِجِّينٍ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةٍ أَسْفَلَ مِنْ سِجِّينٍ، وَإِنَّ اللَّهَ رَادُّ كُلَّ طِينَةٍ إِلَى مَعْدِنِهَا فَرَادُّهُمْ إِلَى عِلِّيِّينَ، وَرَادُّهُمْ إِلَى سِجِّينٍ.

١٩٥٢. المحاسن[١]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ بُكَيْرٍ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ شِيعَتِنَا بِالْوَلَايَةِ لَنَا وَهُمْ ذَرٌّ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذَّرِّ بِالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ، وَعَرَضَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أُمَّتَهُ فِي الظِّلِّ[٢] وَهُمْ أَظِلَّةٌ، وَخَلَقَهُمْ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ عليه السلام، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا قَبْلَ أَبْدَانِهِمْ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَعَرَضَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَرَّفَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَنَحْنُ نَعْرِفُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ[٣].

وَرَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِي الْجَرَّاحِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام وَزَادَ فِيهِ: وَكُلُّ قَلْبٍ يَحِنُّ إِلَى بَدَنِهِ.

١٩٥٣. المحاسن[٤]: أَبِي، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَطَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَا تُخَاصِمُوا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ لَوِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُحِبُّونَا لَأَحَبُّونَا،[٥] إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ النَّفْسِ[٦]، فَلَا يَزِيدُ فِيهِمْ أَحَدٌ أَبَداً، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَبَداً.

١٩٥٤. المحاسن[٧]: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ يُوسُفَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَنَا مَوْلَاكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَيْسَانَ، فَقَالَ: أَمَّا النَّسَبُ فَأَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتَ فَلَسْتُ أَعْرِفُكَ. قَالَ: قُلْتُ: وُلِدْتُ بِالْجَبَلِ[٨]، وَنَشَأْتُ بِأَرْضِ فَارِسَ، وَأَنَا أُخَالِطُ النَّاسَ فِي التِّجَارَاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، فَأَرَى الرَّجُلَ حَسَنَ السَّمْتِ، وَحَسَنَ الْخُلُقِ وَالْأَمَانَةِ[٩]، ثُمَّ أُفَتِّشُهُ فَأُفَتِّشُهُ عَنْ عَدَاوَتِكُمْ؛ وَأُخَالِطُ الرَّجُلَ وَأَرَى فِيهِ سُوءَ الْخُلُقِ، وَقِلَّةَ أَمَانَةٍ وَزَعَارَّةً ثُمَّ أُفَتِّشُهُ فَأُفَتِّشُهُ عَنْ وَلَايَتِكُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: أَ مَا عَلِمْتَ يَا ابْنَ كَيْسَانَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ طِينَةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَطِينَةً مِنَ النَّارِ فَخَلَطَهُمَا جَمِيعاً، ثُمَّ نَزَعَ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ، فَمَا رَأَيْتَ مِنْ أُولٰئِكَ مِنَ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ السَّمْتِ

---

١. المحاسن، ج ١، ص ١٣٥، ح ١٦؛ بصائرالدرجات، ص ٨٩، ح ١؛ الكافي، ج ١، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ص ٤٣٧، ح ٩.

٢. في المصدر والبصائر والكافي: «في الطين».

٣. في المصدر مع زيادة: «وكل قلب يحنّ إلى بدنه».

٤. المحاسن، ج ١، ص ١٣٦، ح ١٨؛ وفي دعائم الإسلام، ج ١، ص ٦٠، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٩١، ح ٢١٣١٧.

٥. إلى هنا تمت الرواية في الوسائل.

٦. هكذا في نسخ من البحار، وفي المحاسن المطبوع: «الناس»، وفي هامش نسخة المصنف: «الشيعة ظ» بخطه الشريف «قدس سره». (هامش المطبوع)

٧. المحاسن، ج ١، ص ١٣٦، ح ٢٠؛ وفي الكافي، ج ٢، باب طينة المؤمن والكافر، ص ٤، ح ٥، مع اختلاف يسير.

٨. يطلق بلاد الجبل على مدن بين آذربيجان وعراق العرب، وخوزستان وفارس، وبلاد الديلم. (هامش المطبوع)

٩. في الكافي: «كثرة الأمانة».

وَحُسْنِ الْخُلُقِ فَمِمَّا مَسَّتْهُمْ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ، وَمَا رَأَيْتَ مِنْ هٰؤُلَاءِ مِنْ قِلَّةِ الْأَمَانَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَالزَّعَارَّةِ فَمِمَّا مَسَّتْهُمْ مِنْ طِينَةِ النَّارِ، وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «فلست أعرفك» أي بالتشيّع. و«الزعارّة» بالتشديد وقد يخفّف: شراسة الخلق.

١٩٥٥. المحاسن[١]: يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عِمْرَانُ: أَنَّهُ خَرَجَ فِي عُمْرَةٍ زَمَنَ الْحَجَّاجِ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَقِيتَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: يَا عِمْرَانُ مَا خَبَرُ النَّاسِ؟ فَقُلْتُ: تَرَكْتُ الْحَجَّاجَ يَشْتِمُ أَبَاكَ عَلَى الْمِنْبَرِ ـ أَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» ـ فَقَالَ: أَعْدَاءُ اللَّهِ يَبْدَهُونَ سَبَّنَا. أَمَا إِنَّهُمْ لَوِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ شِيعَتِنَا لَكَانُوا، وَلٰكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ، إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَنَا وَمِيثَاقَ شِيعَتِنَا وَنَحْنُ وَهُمْ أَظِلَّةٌ، فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ رَجُلاً أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ رَجُلاً مَا قَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ.

بيان:

«يبدهون» بالباء أي يأتون به بديهة وفجأة بلا رويّة، وفي بعض النسخ بالنون، يقال: ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة، و«الندهة» بالضمّ والفتح: الكثرة من المال.

١٩٥٦. المحاسن[٢]: عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ لَمَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ: كُنْ مَاءً عَذْباً أَخْلُقْ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي، وَقَالَ: كُنْ مَاءً مِلْحاً أُجَاجاً[٣] أَخْلُقْ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي، ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَامْتَزَجَا، فَمِنْ ذٰلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ كَافِراً وَالْكَافِرُ مُؤْمِناً، ثُمَّ أَخَذَ طِينَ آدَمَ مِنْ أَدِيمِ[٤] الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكاً شَدِيداً فَإِذَا هُمْ فِي الذَّرِّ[٥] يَدِبُّونَ[٦]، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ النَّارِ: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي، ثُمَّ أَمَرَ نَاراً فَأُسْعِرَتْ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ: ادْخُلُوهَا، فَهَابُوهَا، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: ادْخُلُوهَا فَدَخَلُوهَا، فَقَالَ: كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً، فَكَانَتْ بَرْداً وَسَلَاماً. فَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ: يَا رَبِّ أَقِلْنَا[٧]، فَقَالَ: قَدْ أَقَلْتُكُمْ فَادْخُلُوهَا، فَذَهَبُوا فَهَابُوهَا[٨]، فَثَمَّ ثَبَتَتِ الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ هٰؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ، وَلَا هٰؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ.

---

١. المحاسن، ج ١، ص ١٣٥، ح ١٧.

٢. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٢، ح ٤١٢؛ الكافي، ج ٢، باب زيادة وقوع التكليف الأول، ص ٦، ح ١؛ مختصر البصائر، ص ٣٨١، ح ٤٣٩.

٣. في الكافي والمختصر: «كن ملحا أجاجا».

٤. في الكافي والمختصر: «طينا من أديم».

٥. في المصدر والكافي: «كالذر».

٦. يدب: مشى على هينته، راجع لسان العرب.

٧. أقال اللّه عثرتك: صفح عنك، راجع تاج العروس.

٨. هاب الشيء: إذا خافه، راجع لسان العرب.

بيان:

قوله عليه السلام: «لما اختلف اثنان» أي في مسألة القضاء والقدر، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين.

١٩٥٧. نهج البلاغة[١]: مِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام رَوَى الْيَمَامِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ: إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينَتِهِمْ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنٍ[٢] تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

بيان:

قوله عليه السلام: «إنّما فرّق بينهم» قال ابن ميثم: أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن والسبخ والعذب، وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة. وقال أهل التأويل: الإضافة بمعنى اللام أي المبادي لطينهم، كناية عن الأجزاء العنصريّة التي هي مبادي المركّبات ذوات الأمزجة. و«السبخ» كناية عن الحارّ اليابس، و«العذب» عن الحارّ الرطب، و«السهل» عن البارد الرطب، و«الحزن» عن البارد اليابس. و«الفلقة»: القطعة والشقّ من الشيء. و«الرواء»: المنظر الحسن. و«قريب القعر» أي قصير. «بعيد السبر» أي داهية يبعد اختبار باطنه، يقال: سبرت الرجل أسبره أي اختبرت باطنه وغوره. و«الضريبة»: الخلق والطبيعة. و«الجليبة»: ما يجلبه الإنسان ويتكلّفه أي خلقه حسن يتكلّف فعل القبيح، وحمله ابن ميثم على العكس، وقال: «متفرّق اللبّ» أي يتبع كلّ ناعق. ثمّ قال: الخمسة الأُول ظاهرهم مخالف لباطنهم، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة، ذكرتا لتتميم الأقسام[٣].

١٩٥٨. تفسير العيّاشيّ[٤]: عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَ رَأَيْتَ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الذَّرِّ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام فَعَرَضَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ كَانَتْ مُعَايَنَةً مِنْهُمْ لَهُ[٥]؟ قَالَ: نَعَمْ يَا زُرَارَةُ، وَهُمْ ذَرٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ[٦]، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ

---

١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٣٥٤، خطبة ٢٣٤.

٢. الحزن: المكان الغليظ الخشن، راجع النهاية.

٣. شرح نهج البلاغة (لابن ميثم)، ج ٤، ص ١١٥-١١٨.

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨١، ح ٧٥؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٦٤٨، ح ١٧٧٢.

٥. أراد من المعاينة الشهود اليقيني والحضور العلمي، لا المشاهدة والرؤية بالعين الجسماني لظهور انتفاء شرائط الرؤية من وجود الباصرة لهم هناك، والجسمية له تعالى. (هامش المطبوع)

٦. أي متفرق بين يديه أي في الأرض، والذر أيضا بمعنى النسل. (هامش المطبوع)

الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ، وَلِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ، ثُمَّ كَفَّلَ لَهُمْ بِالْأَرْزَاقِ، وَأَنْسَاهُمْ رُؤْيَتَهُ، وَأَثْبَتَ فِي قُلُوبِهِمْ مَعْرِفَتَهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا كُلَّ مَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ، فَمَنْ جَحَدَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لَمْ يَنْفَعْهُ إِقْرَارُهُ لِرَبِّهِ بِالْمِيثَاقِ، وَمَنْ لَمْ يَجْحَدْ مِيثَاقَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله نَفَعَهُ الْمِيثَاقُ لِرَبِّهِ.

١٩٥٩. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ فِي مُبْتَدَإِ الْخَلْقِ بَحْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَذْبٌ فُرَاتٌ، وَالْآخَرُ مِلْحٌ أُجَاجٌ، ثُمَّ خَلَقَ تُرْبَةَ آدَمَ عليه السلام مِنَ الْبَحْرِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى الْبَحْرِ الْأُجَاجِ فَجَعَلَهُ حَمَأً مَسْنُوناً وَهُوَ خَلْقُ آدَمَ عليه السلام، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِ آدَمَ الْأَيْمَنِ فَذَرَأَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ، فَقَالَ: هٰؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِ آدَمَ الْأَيْسَرِ فَذَرَأَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ، فَقَالَ: هٰؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي وَلَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ، وَلِي فِي هٰؤُلَاءِ الْبَدَاءُ بَعْدُ[٢]، وَفِي هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ سَيُبْتَلَوْنَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَاحْتَجَّ يَوْمَئِذٍ أَصْحَابُ الشِّمَالِ وَهُمْ ذَرٌّ عَلَى خَالِقِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا بِمَ أَوْجَبْتَ لَنَا النَّارَ ـ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ ـ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْتَجَّ عَلَيْنَا، وَتَبْلُوَنَا بِالرُّسُلِ، وَتَعْلَمَ طَاعَتَنَا لَكَ وَمَعْصِيَتَنَا؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَأَنَا أُخْبِرُكُمْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْكُمُ الْآنَ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْإِعْذَارِ بَعْدَ الْإِخْبَارِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ: أَنْ مُرِ النَّارَ تَشْهَقُ[٣]. ثُمَّ تُخْرِجُ عُنُقاً مِنْهَا[٤] فَخَرَجَتْ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ادْخُلُوهَا طَائِعِينَ، فَقَالُوا: لَا نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ. ثُمَّ قَالَ: ادْخُلُوهَا طَائِعِينَ، أَوْ لَأُعَذِّبَنَّكُمْ بِهَا كَارِهِينَ، قَالُوا: إِنَّا هَرَبْنَا إِلَيْكَ مِنْهَا، وَحَاجَجْنَاكَ فِيهَا حَيْثُ أَوْجَبْتَهَا عَلَيْنَا، وَصَيَّرْتَنَا مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَكَيْفَ نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ؟ وَلَكِنِ ابْدَأْ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي دُخُولِهَا، كَيْ تَكُونَ قَدْ عَدَلْتَ فِينَا وَفِيهِمْ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَأَمَرَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَهُمْ ذَرٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ادْخُلُوا هٰذِهِ النَّارَ طَائِعِينَ، قَالَ: فَطَفِقُوا يَتَبَادَرُونَ فِي دُخُولِهَا فَوَلَجُوا[٥] فِيهَا جَمِيعاً فَصَيَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَادَى فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فَقَالَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ: بَلَى يَا رَبَّنَا، نَحْنُ بَرِيَّتُكَ وَخَلْقُكَ مُقِرِّينَ طَائِعِينَ، وَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ: بَلَى يَا رَبَّنَا، نَحْنُ بَرِيَّتُكَ وَخَلْقُكَ كَارِهِينَ. وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٦] قَالَ: تَوْحِيدُهُمْ لِلَّهِ.

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨٢، ح ٧٨؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٦٤٩، ح ١٧٧٥.

٢. وفي نسخة: ولي في هؤلاء البلاء بعد. (هامش المطبوع)

٣. شهق: ارتفع، راجع لسان العرب.

٤. يخرج عنق من النار: تخرج قطعة من النار، راجع لسان العرب.

٥. ولج: إذا دخل، راجع لسان العرب.

٦. آل عمران/٨٣.

١٩٦٠. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْهُ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَاءٍ: كُنْ عَذْباً فُرَاتاً أَخْلُقْ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي، وَقَالَ لِمَاءٍ: كُنْ مِلْحاً أُجَاجاً أَخْلُقْ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي، فَأَجْرَى الْمَائَيْنِ عَلَى الطِّينِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِهٰذِهِ ـ وَهِيَ يَمِينٌ ـ فَخَلَقَهُمْ خَلْقاً كَالذَّرِّ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَعَلَيْكُمْ طَاعَتِي؟ قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ لِلنَّارِ: كُونِي نَاراً، فَإِذَا نَارٌ تَأَجَّجُ[٢]، وَقَالَ لَهُمْ قَعُوا فِيهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْطَأَ فِي السَّعْيِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرِمْ[٣] مَجْلِسَهُ، فَلَمَّا وَجَدُوا حَرَّهَا رَجَعُوا فَلَمْ يَدْخُلْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِهٰذِهِ فَخَلَقَهُمْ خَلْقاً مِثْلَ الذَّرِّ، مِثْلَ أُولٰئِكَ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِثْلَ مَا أَشْهَدَ الْآخَرِينَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: قَعُوا فِي هٰذِهِ النَّارِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَبْطَأَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَرَّ بِطَرْفِ الْعَيْنِ، فَوَقَعُوا فِيهَا كُلُّهُمْ، فَقَالَ: اخْرُجُوا مِنْهَا سَالِمِينَ، فَخَرَجُوا لَمْ يُصِبْهُمْ شَيْءٌ؛ وَقَالَ الْآخَرُونَ: يَا رَبَّنَا أَقِلْنَا نَفْعَلْ كَمَا فَعَلُوا، قَالَ: قَدْ أَقَلْتُكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ فِي السَّعْيِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْطَأَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرِمْ مَجْلِسَهُ، مِثْلَ مَا صَنَعُوا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى؛ فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤].

بيان:

يقال: رام يريم: إذا برح وزال من مكانه، وأكثر ما يستعمل في النفي.

١٩٦١. تفسير العيّاشيّ[٥]: خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[٦] إِنَّهُمْ مَلْعُونُونَ فِي الْأَصْلِ.

١٩٦٢. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ زُرَارَةَ وَحُمْرَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام[٨] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٩] فَإِنَّهُ حِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ.

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٨، ح ١٨؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤١١، ح ٣٤٤٥.

٢. أجّت النارُ: إذا سمعت صوتَ لهبها، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر والبرهان: «من لم يبرح»، وكذا في الموضع التالي.

٤. الأنعام/٢٨.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٥٩، ح ١٩؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ١١٥؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤١١، ح ٣٤٤٦.

٦. الأنعام/٢٨.

٧. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٧٤، ح ٨١؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٨؛ وفي مختصر البصائر، ص ٤١٤، ذيل ح ٤٨٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨. في تفسير القمي بهذا الإسناد: «محمد بن علي بن بلال، عن يونس قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام ...، فقال قاسم الصيقل: فكتبوا ذلك إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام».

٩. الأنعام/١١٠.

١٩٦٣. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ رِفَاعَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٢] قَالَ: نَعَمْ، أَخَذَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ يَوْمَ الْمِيثَاقِ هٰكَذَا ـ وَقَبَضَ يَدَهُ.

١٩٦٤. تفسير العيّاشيّ[٣]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام كَيْفَ أَجَابُوا وَهُمْ ذَرٌّ؟ قَالَ: جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ ـ يَعْنِي فِي الْمِيثَاقِ.

بيان:

أي تعلّقت الأرواح بتلك الذرّ وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتّى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرّ[٤].

١٩٦٥. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فَقَالَ ـ وَأَبُوهُ يَسْمَعُ ـ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ التُّرْبَةِ الَّتِي خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ عليه السلام، فَصَبَّ عَلَيْهَا الْمَاءَ الْعَذْبَ الْفُرَاتَ، فَتَرَكَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهَا الْمَاءَ الْمَالِحَ الْأُجَاجَ، فَتَرَكَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، فَلَمَّا اخْتَمَرَتِ الطِّينَةُ أَخَذَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَعَرَكَهَا عَرْكاً شَدِيداً، ثُمَّ هٰكَذَا ـ حَكَى[٦] بَسَطَ كَفَّيْهِ ـ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ مِنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَأَمَرَهُمْ جَمِيعاً أَنْ يَقَعُوا فِي النَّارِ، فَدَخَلَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً، وَأَبَى أَصْحَابُ الشِّمَالِ أَنْ يَدْخُلُوهَا.

بيان:

قوله عليه السلام: «من يمينه وشماله» أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر وشماله، أو من يمين العرش وشماله، أو استعار اليمين للجهة التي فيها اليمن والبركة وكذا الشمال بعكس ذلك.

١٩٦٦. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[٨] قُلْتُ:

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠٣؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ٢٤٢، ح ٢٢٩، مع اختلاف يسير؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦١١، ح٤٠٦٦.

٢. الأعراف/١٧٢.

٣. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠٤؛ الكافي، ج ٢، باب كيف أجابوا وهم ذرّ، ص ١٢، ح ١؛ مختصر البصائر، ص ٣٩٥، ح ٤٤٨.

٤. ظاهر الرواية لسان الحال، أو أنهم كانوا على خلقة لو نزلوا منزل الدنيا ظهر ذلك منهم في صورة السؤال والجواب، وأما ما ذكره «رحمه اللّه» فبعيد عن سياق الخبر ولو صح لكان هو الخلق الدنيوي بعينه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٩، ح ١٠٩؛ الكافي، ج ٢، باب زيادة وقوع التكليف الأول، ص ٧، ح ٢؛ مختصر البصائر، ص ٣٨٢، ح ٤٤٠؛ وفي الأخيرين عن أبي جعفر عليه السلام.

٦. حكيت العقدة: شددتها، راجع تاج العروس؛ حكت أي شدّت، راجع لسان العرب؛ وحكى بسط كفّيه أي شدّها.

٧. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٠، ح ١١٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦١٣، ح ٤٠٧٣.

قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَالُوا بِقُلُوبِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَيَّ شَيْءٍ كَانُوا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: صَنَعَ مِنْهُمْ مَا اكْتَفَى بِهِ.

١٩٦٧. تفسير العيّاشيّ[٩]: عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[١٠] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ إِلَى ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾[١١] قَالَ: أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عليه السلام ذُرِّيَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ، فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ، وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ[١٢]، وَلَوْ لَا ذٰلِكَ مَا عَرَفَ أَحَدٌ رَبَّهُ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[١٣].

١٩٦٨. تفسير العيّاشيّ[١٤]: عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: أَتَاهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلْ كَلَّمَ أَحَداً مِنْ وُلْدِ آدَمَ قَبْلَ مُوسَى عليه السلام؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: قَدْ كَلَّمَ اللَّهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ الْجَوَابَ. فَثَقُلَ ذٰلِكَ عَلَى ابْنِ الْكَوَّاءِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَ وَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾؟ فَقَدْ أَسْمَعَكُمْ[١٥] كَلَامَهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ الْجَوَابَ كَمَا تَسْمَعُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ـ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ ـ: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا الرَّحْمٰنُ[١٦]. فَأَقَرُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَمَيَّزَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ عليهم السلام، وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِمْ، فَأَقَرُّوا بِذٰلِكَ فِي الْمِيثَاقِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ إِقْرَارِهِمْ بِذٰلِكَ: ﴿شَهِدْنَا﴾ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[١٧].

١٩٦٩. قَالَ أَبُو بَصِيرٍ[١٨]: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الذَّرِّ وَحَيْثُ ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

---

٨. الأعراف/١٧٢.

٩. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٠، ح ١١١؛ بصائر الدرجات، ص ٧١، ح ٦؛ الكافي، ج ٢، باب فطرة الخلق على التوحيد، ص ١٢، ح ٤؛ وفي الأخيرين مع زيادة.

١٠. في البصائر بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد، عن الحسن بن موسى، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١١. الأعراف/١٧٢.

١٢. لم يرد في البصائر: «وأراهم نفسه».

١٣. لقمان/٢٥.

١٤. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤١، ح ١١٦؛ وفي خصائص الأئمة عليهم السلام، ص ٨٧، مع اختلاف يسير؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦١٤، ح ٤٠٧٩.

١٥. في المصدر والخصائص والبرهان: «فقد أسمعهم».

١٦. في المصدر والخصائص والبرهان: «وأنا الرحمن الرحيم».

١٧. الأعراف/١٧٢.

١٨. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٧؛ الكافي، ج ٢، باب كيف أجابوا وهم ذرّ، ص ١٢، ح ١؛ مختصر البصائر، ص ٣٩٥، ح ٤٤٨؛ وفي الأخيرين مع نقصان.

قَالُوا بَلَى﴾، وَأَسَرَّ بَعْضُهُمْ خِلَافَ مَا أَظْهَرَ، قُلْتُ: كَيْفَ عَلِمُوا الْقَوْلَ حَيْثُ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ.

١٩٧٠. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ زُرَارَةَ وَحُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام قَالَا[٢]: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهِيَ أَظِلَّةٌ، فَأَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ[٣]، ثُمَّ بَعَثَهُ فِي الْخَلْقِ الْآخَرِ فَآمَنَ بِهِ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ فِي الْأَظِلَّةِ، وَجَحَدَهُ مَنْ جَحَدَ بِهِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٤].

١٩٧١. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ إِلَى ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٦] قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلَى الْخَلْقِ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَمَنْ صَدَّقَ حِينَئِذٍ صَدَّقَ بَعْدَ ذٰلِكَ، وَمَنْ كَذَّبَ حِينَئِذٍ كَذَّبَ بَعْدَ ذٰلِكَ.

١٩٧٢. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فِي ظُلَلٍ[٨] مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى آدَمَ عليه السلام وَهُوَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ: الرَّوْحَاءُ وَهُوَ: وَادٍ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ، قَالَ: فَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِ آدَمَ عليه السلام ثُمَّ صَرَخَ بِذُرِّيَّتِهِ وَهُمْ ذَرٌّ، قَالَ: فَخَرَجُوا كَمَا يَخْرُجُ النَّحْلُ[٩] مِنْ كُورِهَا[١٠]. فَاجْتَمَعُوا عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي[١١] فَقَالَ اللَّهُ لِآدَمَ عليه السلام: انْظُرْ مَا ذَا تَرَى؟ فَقَالَ آدَمُ: أَرَى ذَرّاً كَثِيراً عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ هٰؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ ظَهْرِكَ لِآخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمُحَمَّدٍ بِالنُّبُوَّةِ، كَمَا آخُذُهُ عَلَيْهِمْ فِي السَّمَاءِ.

قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ وَسِعَتْهُمْ ظَهْرِي؟ قَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ بِلُطْفِ صَنِيعِي وَنَافِذِ قُدْرَتِي. قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ فَمَا تُرِيدُ مِنْهُمْ فِي الْمِيثَاقِ؟ قَالَ اللَّهُ: أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئاً. قَالَ آدَمُ: فَمَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ يَا رَبِّ فَمَا جَزَاؤُهُ؟ قَالَ: أُسْكِنُهُ جَنَّتِي.

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٥؛ مختصر البصائر، ص ٤٢٣، ح ٥٠١؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٢٣.

٢. في المختصر بهذا الإسناد: «الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن علي بن أحمد بن محمد بن جعفر العلوي، عن أبيه، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضّال، عن أبيه، عن أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. في المختصر: «من كفر به».

٤. في المصحف الشريف: ﴿فَمَا كَانُوا ...﴾ (يونس/ ٧٤).

٥. تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٦؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٢٣؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٣، ح ٤٩٤٣.

٦. يونس/ ٧٤.

٧. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٨، ح ٧٣؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢٧٠، ح ٥٦٣٠؛ وفيهما مع زيادة.

٨. في المصدر والبرهان: «هبط إلى الأرض ظللا».

٩. في المصدر: «النمل».

١٠. الكور: بيت النحل والزنابير، راجع لسان العرب.

١١. شفير الوادي: ناحيته من أعلاه، راجع لسان العرب.

قَالَ آدَمُ: فَمَنْ عَصَاكَ فَمَا جَزَاؤُهُ؟ قَالَ: أُسْكِنُهُ نَارِي. قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ لَقَدْ عَدَلْتَ فِيهِمْ، وَلَيَعْصِيَنَّكَ أَكْثَرُهُمْ إِنْ لَمْ تَعْصِمْهُمْ.

بيان:

«هبط إلى الأرض» أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبّههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم. و«الظلل» جمع الظلّة، وهي: ما أظلّك من سحاب ونحوه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[1]. و«المسح» كناية عن شمول اللطف والرحمة.

١٩٧٣. كشف الغمّة[2]: مِنْ كِتَابِ دَلَائِلِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام فَسَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْأَرْمَنِيُّ[3] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[4] قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: ثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ وَنَسُوا ذٰلِكَ الْمَوْقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ، وَلَوْ لَا ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَلَا مَنْ رَازِقُهُ.

قَالَ أَبُو هَاشِمٍ: فَجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ فِي نَفْسِي مِنْ عَظِيمِ مَا أَعْطَى اللَّهُ وَلِيَّهُ وَجَزِيلِ مَا حَمَّلَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام عَلَيَّ فَقَالَ: الْأَمْرُ أَعْجَبُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ يَا أَبَا هَاشِمٍ وَأَعْظَمُ! مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ مَنْ عَرَفَهُمْ عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ أَنْكَرَ اللَّهَ؟ فَلَا مُؤْمِنَ إِلَّا وَهُوَ بِهِمْ مُصَدِّقٌ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ مُوقِنٌ.

بيان:

اعلم أنّ أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار، ومعضلات الآثار، ولأصحابنا «رضي اللّه عنهم» فيها مسالك:

منها: ما ذهب إليه الأخباريّون، وهو أنّا نؤمن بها مجملاً، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، وعن أنّها من أيّ جهة صدرت، ونردّ علمه إلى الأئمّة عليهم السلام.

ومنها: أنّها محمولة على التقيّة لموافقتها لروايات العامّة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلّهم، ولمخالفتها ظاهراً لما مرّ من أخبار الاختيار والاستطاعة.

---

١. البقرة/٢١٠.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤١٩؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ٢٤١، ح ٢٢٥، بمضمونه؛ وفي تفسير البرهان، ج ٢، ص ٦١٥، ح ٤٠٨١، مع اختلاف يسير.

٣. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. الأعراف/١٧٢.

ومنها: أنّها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون، فإنّه تعالى لمّا خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة.

ومنها: أنّها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم، وهذا أمر بيّن لا يمكن إنكاره، فإنّه لا شبهة في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف، فإنّ اللّه تعالى كلّف النبيّ صلى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلّف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلّفه ما ليس في وسعه، ولم يجبره على شيء من الشرّ والفساد.

ومنها: أنّه لمّا كلّف اللّه تعالى الأرواح أوّلاً في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشرّ باختيارهم في ذلك الوقت، وتفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة، فلا فساد في ذلك.

ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى، لا سيّما في تلك المسألة التي نهى أئمّتنا عليهم السلام عن الخوض فيها، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا «رضوان اللّه عليهم» ومخالفوهم.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد «قدّس اللّه روحه» في جواب المسائل السرويّة حيث سئل: ما قوله ـ أدام اللّه تأييده ـ في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهاديّة عليهم السلام في الأشباح وخلق اللّه تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام، وإخراج الذرّيّة من صلبه على صور الذرّ، ومَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله: **الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ؟**

الجواب: ـ وباللّه التوفيق ـ أنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها، وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا فيها كتباً لغواً فيها، وهزؤوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ وتخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمّوه كتاب «الأشباح والأظلّة» نسبوه في تأليفه إلى محمّد بن سنان، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه وإن كان صحيحاً، فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متّهم بالغلوّ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضالّ عن الحقّ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك.

والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل اللّه تعالى عنها، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة «صلوات اللّه عليهم»، وأعلمه أنّه لو لا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً. والوجه فيما أظهره اللّه تعالى من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دلّه على تعظيمهم وتبجيلهم[1]، وجعل ذلك

---

١. التبجيل: التعظيم، راجع لسان العرب.

إجلالاً لهم، ومقدّمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدين والدنيا لا تتمّ إلّا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة، يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم وضياء الحقّ بحججهم؛ وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى اللّه عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، واللّه وليّ التوفيق.

فصل:

ومثل ما بشّر اللّه به آدم عليه السلام من تأهيله نبيّه صلى الله عليه وآله لمّا أهّله له، وتأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لمّا أهّلهم له، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشّر به في الكتب الأُولى من بعثته لنبيّنا صلى الله عليه وآله فقال في محكم كتابه: ﴿**النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى ـ مخبراً عن المسيح عليه السلام ـ: ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ**﴾[3] يعني رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فحصلت البشائر به من الأنبياء عليهم السلام وأُممهم قبل إخراجه صلى الله عليه وآله إلى العالم بالوجود، وإنّما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء عليهم السلام والأُمم كلّها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه، وأشخاص أهل بيته عليهم السلام، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم، وبيّن له عن محلّهم عنده ومنزلتهم لديه، ولم يكونوا في تلك الحال أحياءاً ناطقين، ولا أرواحاً مكلّفين، وإنّما كانت أشباحهم دالّة عليهم حسب ما ذكرناه.

فصل:

وقد بشّر اللّه عزّ وجلّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في الكتب الأُولى، فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام، وأهل الكتب يقرؤونه، واليهود يعرفونه: أنّه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته: إنّي قد

---

١. الأعراف/١٥٧.

٢. الصفّ/٦.

٣. آل عمران/٨١.

عظّمتك وباركت عليك وعلى إسماعيل، وجعلت منه اثني عشر عظيماً، وكبّرتهم جدّاً جدّاً، وجعلت منهم شعباً عظيماً لأُمّة عظيمة؛ وأشباه ذلك كثير في كتب اللّه تعالى الأُولى.

فصل:

فأمّا الحديث في إخراج الذرّيّة من صلب آدم عليه السلام على صورة الذرّ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه، والصحيح أنّه أخرج الذرّيّة من ظهره كالذرّ فملأ بهم الأُفق، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، وعلى بعضهم نوراً وظلمة؛ فلمّا رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة، فقال: يا ربّ ما هؤلاء؟ قال اللّه عزّ وجلّ له: هؤلاء ذرّيّتك ـ يريد تعريفه كثرتهم، وامتلاء الآفاق بهم، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الذي رآه ليعرفه قدرته، ويبشّره بإفضال نسله وكثرتهم ـ فقال: يا ربّ ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه؟ وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور؟ وعلى بعضهم ظلمة ونوراً؟ فقال تبارك وتعالى: أمّا الذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذي يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري، فأولئك سكّان الجنّة، وأمّا الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفّار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني، فأمّا الذين عليهم نور وظلمة فأولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني، فيخلطون أعمالهم السيّئة بأعمال حسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ، إن شئت عذّبتهم فبعدلي، وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي. فأنبأه اللّه تعالى بما يكون من ولده، وشبّههم بالذرّ الذي أخرجهم من ظهره، وجعله علامة على كثرة ولده.

ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذرّيّته دون أرواحهم، وإنّما فعل اللّه تعالى ذلك ليدلّ آدم عليه السلام على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته، وأعلمه بالكائن قبل كونه، وليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربّه، ويدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته، والتمسّك بأوامره، والاجتناب لزواجره.

فأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذرّيّة آدم عليه السلام استنطقوا في الذرّ فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقرّوا فهي من أخبار التناسخيّة، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل، والمعتمد من إخراج الذرّيّة ما ذكرناه دون ما عداه ممّا استمرّ القول به على الأدلّة العقليّة والحجج السمعيّة، وإنّما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

فصل:

فإن تعلّق متعلّق بقوله تبارك اسمه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ**﴾ فظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحشويّة والعامّة في إنطاق الذرّيّة وخطابهم وأنّهم كانوا أحياءاً ناطقين فالجواب عنه أنّ لهذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة، والمعنى فيها أنّ اللّه تبارك

وتعالى أخذ من كلّ مكلّف يخرج من ظهر آدم وظهور ذرّيّته العهد عليه بربوبيّته، من حيث أكمل عقله، ودلّه بآثار الصنعة على حدثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه يستحقّ العبادة منه بنعمه عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم، والإشهاد لهم على أنفسهم بأنّ اللّه تعالى ربّهم.

وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا بَلَى**﴾ يريد به أنّهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدثهم اللازمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنّه سبحانه لمّا ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم: ﴿**أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾، فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين: ﴿**بَلَى شَهِدْنَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[1]. ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره ولا يستطيعون، وقد قال سبحانه: ﴿**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**﴾[2] ولم يرد أنّ المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة، وإنّما أراد به غير ممتنع من فعل اللّه، فهو كالمطيع للّه وهو معبّر عنه بالساجد، قال الشاعر:

بجمع تضلّ البلق[3] في حجراته[4] ترى الأُكم[5] فيها سجّداً للحوافر[6]

يريد أنّ الحوافر تذلّ الأُكم بوطيها عليها.

وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[7]، وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعذّر عليه صنعتها، فكأنّه لمّا خلقها **قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ: ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً**، فلمّا تعلّقت بقدرته كانتا كالقائل: **أَتَيْنَا طَائِعِينَ**، وكمثل قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[8] واللّه تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم، وإنّما الخبر عن سعتها وأنّها

---

١. في المصحف الشريف: ﴿أَنْ تَقُولُوا ...﴾، في الآيتين (الأعراف/١٧٢ و١٧٣).

٢. الحجّ/١٨.

٣. البلق: سواد في بياض، ومنه فرس أبلق، راجع مجمع البحرين.

٤. حَجَراته: نواحيه، واحدتها حجرة، راجع شمس العلوم.

٥. الأكمة: التلّ، والجمع أُكم، راجع القاموس المحيط.

٦. الحافر من الدابة: واحد حوافرها، سمّي به لأنه يحفر الأرض بشدة وطئه، وشاع إطلاقه على ذات الحافر أي الدابة نفسها، راجع الطراز الأوّل.

٧. فصّلت/١١.

٨. ق/٣٠.

لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللغة وعادتهم في المجاز، أ لا ترى إلى قول شاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطـاعة وأَسْـبَلَتا كـالدرِّ مـا لم يُـثَقَّب

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منهما البكاء، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه. ومـثله قـول عنترة:

فَازْوَرَّ[١] من وقْع القَنا[٢] بـلُبانه[٣] وشكـــا إليَّ بـعَبْرة وتـحمُّم

والفرس لا يشتكي قولاً، لكنّه ظهر منه علامة الخوف والجزع، فسمّي ذلك قولاً. ومنه قول الآخر:

وشكى إليّ جملي طول السُّرى[٤].

والجمل لا يتكلّم، لكنّه لمّا ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق والكلام، ومنه قولهم أيضاً:

امتلأ الحوض وقـال قـطني حسبك منّي قد ملأت بطني

والحوض لم يقل قطني، لكنّه لمّا امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال: حسبي. ولذلك أمثال كثيرة في منثور كـلام العرب ومنظومه، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية واللّه تعالى نسأل التوفيق.

فصل:

فأمّا الخبر بأنّ اللّه تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على اللّه بصحّته، وإنّما نقله رواته لحسن الظنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ اللّه تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام والصور التي تـدبّرها الأرواح، ولو لا أنّ ذلك كـذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لا خفاء بفساده.

وأمّا الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فـيه أنّ

---

١. ازوَرّ عنه: عدل عنه وانحرف، راجع لسان العرب.

٢. القنا: جمع قناة، وهي الرمح، راجع الصحاح.

٣. اللبان: الصدر، راجع لسان العرب.

٤. السرى: سير الليل، راجع لسان العرب.

الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف ـ كما يذهب إليه الحشويّة ـ كما بيّناه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، ولو ذكر بكلّ شيء ما ذكر ذلك، فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه، واللّه الموفّق للصواب[1]. انتهى.

أقول:

طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على اللّه وعلى أئمّة الدين، ولو تأمّلت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها، وسيأتي الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم[2]، وسنتكلّم عليها.

ومنها: ما ذكره السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية؛ حيث قال: وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أنّ تأويل هذه الآية: أنّ اللّه سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذرّيّته ـ وهم في خلق الذرّ ـ فقرّرهم بمعرفته، وأشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أنّ العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنّ اللّه تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل: «من آدم»، وقال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «من ظهوره»، وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل: «ذرّيّته». ثمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلّا يقولوا يوم القيامة إنّهم كانوا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشؤوا على دينهم وسنّتهم، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه، وأنّها إنّما تناولت من كان له آباء مشركون، وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّيّة بني آدم، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم.

فأمّا شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرّيّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخوطبت وقرّرت من أن تكون كاملة العقول، مستوفية بشروط التكليف، أو لا تكون كذلك، فإن كانت بالصفة الأُولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه، لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد وطال الزمان، ولهذا لا يجوز أن يتصرّف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وسائر أحواله.

---

١. مسائل السرويّة (للمفيد)، ص ٣٧-٥٥.

٢. بحار الأنوار، كتاب السماء والعالم، أبواب كليات أحوال العالم، باب حدوث العالم وبدء خلقه وكيفيته.

وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير، لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم، لأنّ سائر ما عدّدناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أن يقولوا: إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرنا، وذلك أنّا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية، وذلك أنّ اللّه تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم وأشهدهم لئلّا يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، وسقوط الحجّة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم وزواله.

وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى اللّه عنه.

فإن قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم؟

قلنا: في الآية وجهان:

أحدهما: أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعة من ذرّيّة بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم وقرّرهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته، فأقرّوا بذلك **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ** به، لئلّا يقولوا **يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ**، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وإنّما أُتي من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرّيّة لا يقع إلّا على من لم يكن كاملاً عاقلاً، وليس الأمر كما ظنّ، لأنّا نسمّي جميع البشر بأنّهم ذرّيّة آدم عليه السلام، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال اللّه تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾[1] ولفظ الصالح لا يطلق إلّا على من كان كاملاً عاقلاً، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلّفين فهذا جوابهم.

الجواب الثاني: أنّه تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده اللّه تعالى، وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[2]

---

١. غافر/٨.

٢. فصّلت/١١.

وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب. ومثله قوله تعالى: ﴿**شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾[١] ونحن نعلم أنّ الكفّار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم، وإنّما ذلك لمّا ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به، ومثل هذا قولهم: جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك. وما روي عن بعض الحكماء من قوله: سل الأرض من شقّ أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك جؤاراً[٢][٣] أجابتك اعتباراً. وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر، يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها[٤].

ومنها: ما ذكره الرازيّ في تفسير تلك الآية حيث قال: في تفسير تلك الآية قولان مشهوران:

الأوّل: وهو مذهب المفسّرين وأهل الأثر **مَا رَوَى مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ الْجُهَنِيُّ أَنَّ عُمَرَ سُئِلَ عَنْ هٰذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هٰؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هٰؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَ النَّارَ.**

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عليه السلام مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ[٥] مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وقال مقاتل: إنّ اللّه مسح صفحة ظهر آدم عليه السلام اليمنى، فخرج منه ذرّيّة بيضاء كهيئة الذرّ تتحرّك، ثمّ مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرّيّة سود كهيئة الذرّ؛ فقال: يا آدم هؤلاء ذرّيّتك، ثمّ قال لهم: ﴿**أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[٦] فقال للبيض: هؤلاء في الجنّة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة. ثمّ أعادهم جميعاً في صلب آدم عليه السلام، فأهل القبور محبوسون حتّى يخرج أهل الميثاق كلّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، وقال تعالى فيمن نقض العهد

---

١. التوبة/١٧.

٢. الجُؤار: رفع الصوت والاستغاثة، راجع النهاية.

٣. في المصدر: «لم تجبك حوارا»، ويؤيده رواية الطوسي «رحمه اللّه» في التبيان.

٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد، ودرر القلائد)، ج ١، ص ٢٨-٣٠.

٥. النسمة: الإنسان، راجع لسان العرب.

٦. الأعراف/١٧٢.

الأوّل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[١]. وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسّرين كسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والضحّاك، وعكرمة، والكلبيّ.

وأمّا المعتزلة فقد أطبقوا على أنّه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجّوا على فساد هذا القول بوجوه:

الأوّل: أنّه قال: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ فقوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ فلم يذكر اللّه أنّه أخذ من ظهر آدم عليه السلام شيئاً.

الثاني: أنّه لو كان كذلك لما قال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولا من ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بل قال: من ظهره وذرّيّته.

الثالث: أنّه تعالى حكى عن أُولئك الذرّيّة أنّهم قالوا: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾[٢] وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم، لأنّه عليه السلام ما كان مشركاً.

الرابع: أنّ أخذ الميثاق لا يمكن إلّا من العاقل، فلو أخذ اللّه الميثاق من أُولئك لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء وأُعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكّروا في هذا الوقت أنّهم أُعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم، لأنّ الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنّه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلّيّاً لا يتذكّر منها شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ، فإنّا نقول: لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أُخرى لوجب أن نتذكّر الآن أنّا كنّا قبل هذا الجسد في أجساد أُخرى، وحيث لم نتذكّر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً، فإذا كان اعتقادنا في إبطال التناسخ ليس إلّا على هذا الدليل، وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسألة وجب القول بمقتضاه.

الخامس: أنّ جميع الخلق الذين خلقهم اللّه من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة، فالمجموع الحاصل من تلك الذرّات تبلغ مبلغاً في الحجميّة والمقدار وصلب آدم عليه السلام على صغره يبعد أن يتّسع لهذا المجموع.

السادس: أنّ البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كلّ ذرّة من ذرّات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنّفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة، وفتح هذا الباب يقضي إلى التزام الجهالات، وإذا ثبت أنّ البنية شرط لحصول الحياة فكلّ واحد من تلك الذرّات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلّا إذا حصلت له قدرة من البنية والجثّة، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أوّل تخليق آدم عليه السلام إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا، فكيف يمكن أن يقال: إنّهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام؟

---

١. الأعراف/١٠٢.

٢. الأعراف/١٧٣.

السابع: قالوا: هذا الميثاق إمّا أن يكون قد أخذه اللّه منهم في ذلك الوقت ليصير حجّة عليهم في ذلك الوقت، أو ليصير حجّة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، والأوّل باطل لانعقاد الإجماع على أنّ بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقّين للثواب والعقاب، والمدح والذمّ، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجّة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، لأنّهم لمّا لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجّة عليهم في التمسّك بالإيمان؟

الثامن: قال الكعبيّ: إنّ حال أُولئك الذرّيّة لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الأطفال، فلمّا لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أُولئك الذرّ؟

وأجاب الزجّاج عنه وقال: لمّا لم يبعد أن يؤتي اللّه النمل العقل كما قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾[1] وأن يعطي الجبل الفهم حتّى يسبّح كما قال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[2] وكما أعطى اللّه العقل للبعير حتّى سجد للرسول صلى الله عليه وآله، وللنخلة حتّى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا هاهنا.

التاسع: أنّ أُولئك الذرّ في ذلك الوقت إمّا أن يكونوا كاملي العقول والقدر أو ما كانوا كذلك، فإن كان الأوّل كانوا مكلّفين لا محالة، وإنّما يبقون مكلّفين إذا عرفوا اللّه بالاستدلال، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا، فلو افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكليف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر، ولزم التسلسل وهو محال.

وأمّا الثاني وهو أن يقال: إنّهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ولا كاملي القدر، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[3] ولو كانت تلك الذرّات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق، ولا معنى للإنسان إلّا ذلك الشيء، فحينئذ لا يكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق، وذلك ردّ لنصّ القرآن.

فإن قالوا: لم لا يجوز أن يقال: إنّه تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق، ثمّ أزال عقله وفهمه وقدرته، ثمّ إنّه خلقه مرّة أُخرى في رحم الأُمّ، وأخرجه إلى هذه الحياة؟

قلنا: هذا باطل، لأنّه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء، بل كان يجب أن

---

١. النمل/١٨.

٢. الأنبياء/٧٩.

٣. الطارق/٥ و٦.

يكون خلقاً على سبيل الإعادة، وأجمع المسلمون على أنّ خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ، فدلّ هذا على أنّ ما ذكرتموه باطل.

الحادي عشر: هي أنّ تلك الذرّات إمّا أن يقال: إنّه عين هؤلاء الناس أو غيرهم، والقول الثاني باطل بالإجماع، وفي القول الأوّل فنقول: إمّا أن يقال: إنّهم بقوا فهماء، عقلاء، قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة، أو ما بقوا كذلك، والأوّل باطل ببديهة العقل. والثاني يقتضي أن يقال: الإنسان حصل له الحياة أربع مرّات: أوّلها وقت الميثاق، وثانيها في الدنيا، وثالثها في القبر، ورابعها في القيامة، وأنّه حصل له الموت ثلاث مرّات: موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأوّل، وموت في الدنيا، وموت في القبر، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[١].

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[٢] فلو كان القول بهذا الذرّ صحيحاً لكان ذلك الذرّ هو الإنسان، لأنّه هو المكلّف المخاطب، المثاب المعاقب، وذلك باطل، لأنّ الذرّ غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، ونصّ الكتاب دليل على أنّ الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾، وقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[٣]. فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف.

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّ وهم الأولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الإخراج أنّهم كانوا نطفة فأخرجها اللّه تعالى في أرحام الأُمّهات، وجعلها علقة، ثمّ مضغة، ثمّ جعلهم بشراً سويّاً، وخلقاً كاملاً، ثمّ أشهدهم على أنفسهم بما ركّب فيهم من دلائل وحدانيّته، وعجائب خلقه وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنّهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان لذلك نظائر:

منها قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥].

وقول العرب: قال الجدار للوتد: لمَ تشقّني؟ قال: سل من يدقّني، فإنّ الذي ورائي ما خلاني ورائي. وقال الشاعر: امتلأ الحوض وقال قطني.

---

١. غافر/١١.

٢. المؤمنون/١٢.

٣. عبس/١٧-١٩.

٤. فصّلت/١١.

٥. النحل/٤٠.

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام، فوجب حمل الكلام عليه، فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين، وهذا القول الثاني لا طعن فيه البتّة، وبتقدير أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحّة القول الأوّل، إنّما الكلام في أنّ القول الأوّل هل يصحّ أم لا؟

فإن قال قائل: فما المختار عندكم فيه؟ قلنا: هاهنا مقامان:

أحدهما: أنّه هل يصحّ القول بأخذ الميثاق عن الذرّ؟ والثاني: أنّ بتقدير أن يصحّ القول به فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية؟

أمّا المقام الأوّل فالمنكرون له قد تمسّكوا بالدلائل العقليّة التي ذكرناها وقرّرناها.

ويمكن الجواب عن كلّ واحد منها بوجه مقنع.

أمّا الوجه الأوّل من الوجوه العقليّة المذكورة وهو أنّه لو صحّ القول بأخذ هذا الميثاق لوجب أن نتذكّره الآن.

قلنا: خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو اللّه تعالى، لأنّ هذه العلوم عقليّة ضروريّة والعلوم الضروريّة خالقها هو اللّه تعالى، وإذا كان كذلك صحّ منه تعالى أن يخلقها.

فإن قالوا: فإذا جوّزتم هذا فجوّزوا أن يقال: إنّ قبل هذا البدن كنّا في أبدان أُخرى على سبيل التناسخ، وإن كنّا لا نتذكّر الآن أحوال تلك الأبدان. قلنا: الفرق بين الأمرين ظاهر، وذلك لأنّا إذا كنّا في أبدان أُخرى وبقينا فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها، أمّا أخذ هذا الميثاق إنّما حصل في أسرع زمان وأقلّ وقت فلم يبعد حصول النسيان، والفرق الظاهر حاكم بصحّة هذا الفرق، لأنّ الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها، أمّا إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساها، فظهر الفرق.

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال: مجموع تلك الذرّات يمتنع حصولها بأسرها في ظهر آدم عليه السلام. قلنا: عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزّى قابل للحياة والعقل، فإذا جعلنا كلّ واحد من تلك الذرّات جوهراً فرداً فلمَ قلتم: إنّ ظهر آدم عليه السلام لا يتّسع لمجموعها؟ إلّا أنّ هذا الجواب لا يتمّ إلّا إذا قلنا: الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزّى في البدن على ما هو مذهب بعض القدماء، وأمّا إذا قلنا: الإنسان هو النفس الناطقة وأنّه جوهر غير متحيّز ولا حال في متحيّز فالسؤال زائل.

وأمّا الوجه الثالث وهو قوله: فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجّة في ذلك الوقت، أو في الحياة الدنيا، فجوابنا أن نقول: يفعل اللّه ما يشاء ويحكم ما يريد، وأيضاً أ ليس أنّ من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال وإنطاق الجوارح قالوا: لا يبعد أن يكون لبعض المكلّفين في إسماع هذه الأشياء لطف، فكذا هاهنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميّز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف. وقيل أيضاً: إنّ اللّه تعالى يذكّرهم ذلك الميثاق يوم القيامة؛ وبقيّة الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هيّن.

وأمّا المقام الثاني وهو أنّ بتقدير أن يصحّ القول بأخذ الميثاق من الذرّ فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول: الوجوه الثلاثة المذكورة أوّلاً دافعة لذلك، لأنّ قوله: ﴿**أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[1] فقد بيّنّا أنّ المراد منه: وإذ أخذ ربّك من ظهور بني آدم؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرّيّة مأخوذة من ظهر آدم عليه السلام لقال: من ظهره ذرّيّته ولم يقل: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ أجاب الناصرون لذلك القول بأنّه صحّت الرواية عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه فسّر هذه الآية بهذا الوجه والطعن في تفسير رسول اللّه صلى الله عليه وآله غير ممكن، فنقول: ظاهر الآية تدلّ على أنّه تعالى أخرج ذرّاً من ظهور بني آدم، فيحمل ذلك على أنّه تعالى يعلم أنّ الشخص الفلاني يتولّد منه فلان، ومن ذلك الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميّز بعضهم من بعض، وأمّا أنّه تعالى يخرج كلّ تلك الذرّيّة من صلب آدم عليه السلام فليس في لفظ الآية ما يدلّ على ثبوته، وليس في الآية أيضاً ما يدلّ على بطلانه، إلّا أنّ الخبر قد دلّ عليه، فثبت إخراج الذرّيّة من ظهور بني آدم في القرآن، وثبت إخراج الذرّيّة من ظهر آدم عليه السلام بالخبر، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام[2]. انتهى.

ولنكتف بنقل ما نقلناه من غير تعرّض لجرح وتعديل، فإنّ من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلّم في ذلك يتّضح له طريق الوصول إلى ما هو الحقّ في ذلك بفضله تعالى[3]. ثمّ اعلم أنّه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علّة استلام الحجر من كتاب الحجّ، وباب خلق الأئمّة وباب أخذ ميثاقهم عليهم السلام من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوّة.

---

١. الأعراف/١٧٢.

٢. مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٩٧-٤٠٢.

٣. ما يشتمل عليه أخبار الباب ليس مسألة واحدة، بل كلّ من مسألة نقل الأعمال ومسألة الطينة ومسألة أخذ الميثاق ـ ومنه ميثاق الذر ـ ومسألة بدء الخلقة مسائل مختلفة مرتبطة بالقضاء الكلّي، وقد خلطها الباحثون من المتكلمين والمفسرين؛ وبحثنا عنها في رسالة الأفعال ورسالة الإنسان قبل الدنيا؛ ونرجو أن يوفّقنا اللّه سبحانه لاستيفاء هذه الأبحاث في مواضع تناسبها من تفسير الميزان إنشاء اللّه. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

﴿باب ١١﴾

«علّة عذاب الاستيصال، وحال ولد الزنا، وعلّة اختلاف أحوال الخلق»

الآيات:

الأنفال/٢٥: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الشورى/٢٧: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[1]

---

١. **نقول:** إن اللّه يعلم بمقدار استيعاب أيّ شخص فيعطيه الرزق وفقاً لمصلحته، فلا يعطيه كثيرا لئلا يطغى، ولا قليلا لئلا يستغيث من الفقر. وجاء ما يشبه هذا المعنى في الآية (٦) و(٧) من سورة العلق: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾. وهو حقّا كذلك، فالبحث في أحوال الناس يدل على هذه الحقيقة الصادقة، وأنه عند ما تقبل الدنيا عليهم ويعيشون في رفاهية وسعة، ينسون الخالق ويبتعدون عنه ويغرقون في بحر الشهوات، ويفعلون ما لا ينبغي فعله، ويشيعون الظلم والجور والفساد في الأرض.

وفي تفسير آخر عن ابن عباس في هذه الآية ورد أن المقصود من «البغي» ليس الظلم والجور، وإنما «بغى» تعني «طلب» أي يكون معنى الآية أنهم يطلبون أكثر ولا يشبعون. إلا أن التفسير الأول مقبول من قبل عدّة مفسرين وهو الأفضل كما يظهر، لأن عبارة: ﴿يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وردت عدة مرات في الآيات القرآنية بمعنى الفساد والظلم في الأرض، مثل: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس/٢٣)، و﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الشوري/٤٢). صحيح أن «بغى» وردت بمعنى «طلب» أيضا، إلا أنها متى ما تذكر مع كلمة «في الأرض» فإنها تعني الفساد والظلم في الأرض.

وهنا يطرح سؤالان:

الأول: لو كان تقسيم الأرزاق وفق هذا البرنامج، فلما ذا إذن نرى أشخاصا لهم رزق وفير وقد أفسدوا وطغوا كثيرا في الدنيا ولم يمنعهم الخالق، سواء على مستوى الأفراد، أو الدول الناهبة والظالمة؟

وفي الجواب على هذا السؤال يجب الانتباه إلى هذه الملاحظة، وهي أن بسط الرزق أحيانا قد يكون أُسلوبا للامتحان والاختبار، لأن جميع الناس يجب أن يختبروا في هذا العالم، فقسم منهم يختبرون بواسطة المال. وأحيانا قد يكون بسط الرزق لبعض الأفراد لكي يعلموا بأن الثروة ←

الزخرف/٣٢-٣٥: ﴿أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)

← لا تجلب السعادة، فعسى أن يعثروا على الطريق ويرجعوا إلى خالقهم، ونحن الآن نرى بعض المجتمعات غرقى بأنواع النعم والثروات، وفي نفس الوقت شملتهم مختلف المصائب والمشاكل، كالخوف، والقتل، والتلوث الخلقي، والقلق بأنواعه المختلفة. فأحيانا تكون الثروة غير المحدودة نوعا من العقاب الإلهي الذي يشمل بعض الناس، فإذا نظرنا إلى حياتهم من بعيد نراها جميلة، أمّا إذا تفحصناها عن قرب فسوف نشاهد التعاسة بأدنى حالاتها، وفي هذا المجال هناك قصص عديدة لسلاطين الثروة في الدنيا، حيث يطول بنا المقام لو أردنا سردها. السؤال الآخر هو: ألا يعني هذا الكلام أنه متى ما كان الإنسان فقيرا فلا ينبغي له السعي للتوسع في الرزق، لأن الخالق جعل مصلحته في هذا الفقر؟

وللجواب على هذا السؤال نقول: إنه قد تكون قلة الرزق بسبب كسل الإنسان وتهاونه أحيانا، فهذا النقص والحرمان ليس ما يريده اللّه حتما، بل بسبب أعماله، والإسلام يدعو الجميع إلى الجهد والجهاد والمثابرة وفقا لتأكيده على أصل السعي وبذل الجهد الذي يشير إليه القرآن في آيات عديدة، وسنة الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام. ولكن عند ما يبذل الإنسان منتهى جهده، ورغم ذلك تغلق الأبواب في وجهه، عليه أن يعلم بأن هناك مصلحة معيّنة في هذا الأمر، فلا يجزع، ولا ييأس، ولا ينطق بالكفر، ويستمر في محاولاته ويستسلم لرضا الخالق أيضا. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٥٢٨)

١. **نقول:** عند مطالعة الآية أعلاه يتبادر إلى الذهن سؤال يستخدمه أعداء الإسلام كحربة للطعن في الفلسفة الإسلامية: وهو كيف أقرّ القرآن استخدام الإنسان وتسخيره من قبل الإنسان؟ ألا يماثل هذا نظام الطبقات الاقتصادية، أي نظام المستثمِرين والمستثمَرين؟

إن الإباحة على هذه المسئلة تتضح بالتدقيق في متن الآية، لأن هؤلاء يتصورون أن معنى الآية هو أن جماعة معينة من البشر تسخر جماعة أُخرى لأنفسها تسخيرا ظالما يمتصّ الدماء والجهود، في حين أن الأمر ليس كذلك، بل هو استخدام الناس بعضهم بعضا، أي أن كل جماعة من الناس لهم إمكانيات واستعدادات خاصة يستطيعون العمل بواسطتها في مجال ما من شؤون الحياة، وهم بطبيعة الحال يقدمون خدماتهم في ذلك الحقل إلى الآخرين، كما أن خدمات الآخرين في الحقول الأُخرى تقدم إليهم.

والخلاصة: هو استخدام متبادل، وخدمة ذات طرفين، وبتعبير آخر: فإن الهدف من التسخير هو التعاون في أمر الحياة، ولا شيء آخر. ولا يخفى أن البشر لو كانوا متساوين جميعا من ناحية الذكاء والاستعداد الروحي والجسمي، فسوف لن تتهيّأ مستلزمات الحياة الاجتماعية، والنظم الحياتية مطلقا، كما أن خلايا جسم الإنسان لو كانت متشابهة من ناحية البنية والرقة والمقاومة لاختل نظام الجسم، فأين خلايا عظم كعب القدم القوية جدا من خلايا العين الرقيقة؟ إن لكل من هاتين مهمة خاصة بنيت على أساسها. والمثال الحي الذي يمكن أن يضرب لهذا الموضوع هو الخدمات المتبادلة في جهاز التنفس، ودوران الدم، والتغذية، وسائر أجهزة بدن الإنسان، التي هي مصداق واضح لـ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ في إطار نشاطات البدن الداخلية، فهل يمكن الإشكال على مثل هذا التسخير؟ وهل فيه خلل أو نقص؟

فإن قيل: إن جملة: ﴿رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ دليل على عدم العدالة الاجتماعية. قلنا: هذا يصحّ في حالة تفسير العدالة بالمساواة، ←

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في الآية الأُولى: حذّرهم اللّه من هذه الفتنة، وأمرهم أن يتّقوها، وكأنّه قال: اتّقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم، فإنّ قوله: ﴿**لَا تُصِيبَنَّ**﴾ نهي مسوق على الأمر، ولفظ النهي واقع على الفتنة، وهو في المعنى للمأمورين بالاتّقاء، كقوله: ﴿**لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[1]؛ واختلف في معنى الفتنة هاهنا فقيل: هي العذاب، أمر اللّه المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم اللّه بالعذاب، والخطاب لأصحاب النبيّ صلّى اللّه عليه وآله خاصّة؛ وقيل: هي البليّة التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها.

عن الحسن قال: ونزلت في عليّ عليه السلام وعمّار وطلحة والزبير، قال: وقد قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيّون بها فخالفنا حتّى أصابتنا خاصّة. وقيل: نزلت في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا، عن السدّيّ؛ وقيل: هي الضلالة وافتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضاً؛ وقيل: هي الهرج[2] الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كلّ أحد، ثمّ اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين: أحدهما: أنّها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم، أمّا الظالمون فمعذّبون، وأمّا المؤمنون فممتحنون ممحّصون، عن ابن عبّاس. **وَرُوِيَ أَنَّه سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ** عليه السلام: **أَبْهِمُوا مَا أَبْهَمَ اللَّهُ.**

← في حين أن العدالة تعني وضع كل شيء في محله ضمن منظومته، فهل أن وجود سلسلة المراجع والرتب في فرقة عسكرية، أو تنظيم إداري، أو في الدولة، دليل على وجود الظلم في تلك الأجهزة؟

من الممكن أن يستعمل بعض الناس كلمة المساواة في مجال الشعارات من دون الالتفات إلى معناها الواقعي، أما في الواقع العملي فلا يمكن أن يتم أو يقوم أيّ نظام بدون الاختلاف والتفاوت، غير أن هذا التفاوت يجب أن لا يكون ذريعة لأن يستغل الإنسان أخاه الإنسان أبدا، بل يجب أن يكون الجميع أحرارا في استعمال قواهم الخلاقة، وتنمية نبوغهم وإبداعهم، والاستفادة من نتائج نشاطاتهم بدون زيادة أو نقصان، وأما في حال عجزهم فيجب على القادرين أن يجدوا ويجتهدوا في رفع النواقص وسد ما يحتاجونه. وعلى أيّة حال، فإن النكتة الغامضة والدقيقة تكمن في أن البشر ليسوا كالأواني المتساوية الصفات إلى صنعة في معمل واحد، في شكل واحد، وعلى وتيرة واحدة، وبحجم واحد، ولغاية واحدة في الاستعمال، ولو كانوا كذلك لما أمكنهم التعايش بعضهم مع البعض الآخر يوما واحدا. وأيضا ليس الناس من قبيل أجهزة وأدوات سيارة نظمها مهندسها على هيئة ما، فهي تقوم بعملها بصورة إجبارية، بل لديهم حرية الإرادة، وعليهم مسؤولية وواجب في نفس الوقت الذي تختلف فيه قابلياتهم ولياقاتهم، وهذا هو المركب الخاص الذي يسمونه الإنسان، والاعتراضات والإيرادات التي تطرح غالبا تنبع من عدم معرفة هذا الإنسان.

وخلاصة القول: إن اللّه سبحانه لم يفضل أيّ إنسان على الآخرين من كل الجهات، بل إن جملة: ﴿**رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ إشارة إلى الامتيازات التي تمتاز بها كل جماعة على الجماعة الأُخرى، وتسخير كل فئة لأُخرى واستخدامها لها نابع من هذه الامتيازات تماما، وهذا عين العدالة والتدبير والحكمة. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٤٤)

١. البقرة/١٣٢.

٢. الهرج: الفتنة، راجع لسان العرب.

والثاني: أنّها تخصّ الظالم، لأنّ الغرض منع الناس عن الظلم، وتقديره: واتّقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصّة، وتقوّيه قراءة من قرأ «لتصيبنّ» باللام. وقيل: إنّ «لا» في قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾[١] زائدة، ويجوز أن يقال: إنّ الألف في «لا» لإشباع الفتحة[٢].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم، فيحصل بينهم تآلف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسّع، ولا لنقص في المقتر ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[٣] ولو لا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنعّم لحبّهم الدنيا، فيجتمعوا عليه[٤].

الروايات:

١٩٧٤. علل الشرائع، عيون أخبار الرضا عليه السلام[٥]: الْهَمَدَانِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْهَرَوِيِّ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَغْرَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي زَمَنِ نُوحٍ عليه السلام وَفِيهِمُ الْأَطْفَالُ وَفِيهِمْ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهِمُ الْأَطْفَالُ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْقَمَ أَصْلَابَ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام وَأَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ عَاماً، فَانْقَطَعَ نَسْلُهُمْ فَغَرِقُوا وَلَا طِفْلَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَهْلِكَ بِعَذَابِهِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَأَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام فَأُغْرِقُوا لِتَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ عليه السلام، وَسَائِرُهُمْ أُغْرِقُوا بِرِضَاهُمْ بِتَكْذِيبِ الْمُكَذِّبِينَ، وَمَنْ غَابَ مِنْ أَمْرٍ[٦] فَرَضِيَ بِهِ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ وَأَتَاهُ.

١٩٧٥. علل الشرائع[٧]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ[٨]، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَ رَأَيْتَ نُوحاً عليه السلام حِينَ دَعَا عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[٩]؟ قَالَ: عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْجُبُ مِنْ

---

١. الأنفال/٢٥.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٢١.

٣. الزخرف/٣٢ و٣٣.

٤. أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٩٠.

٥. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠، ح ١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٧٥، ح ٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٢، ح ٢.

٦. في المصدرين والتوحيد: «عن أمر».

٧. علل الشرائع، ج ١، ص ٣١، ح ١؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٣٠٢؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٥٠٠، ح ١١١١٢.

٨. هو حنان بن سدير من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، واقفي كما في «فهرست»، واختلف الأصحاب في توثيقه وتضعيفه. (هامش المطبوع)

٩. نوح/٢٦ و٢٧.

بَيْنِهِمْ أَحَدٌ. قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ عَلِمَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[١] فَعِنْدَ هٰذَا دَعَا عَلَيْهِمْ بِهٰذَا الدُّعَاءِ.

١٩٧٦. علل الشرائع[٢]: طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْهَرَوِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، عَنْ جَبْرَئِيلَ عليه السلام قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ مَا تَرَدَّدْتُ[٣] فِي قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ مِنْهُ؛ وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ؛ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَبْتَهِلُ إِلَيَّ[٤] حَتَّى أُحِبَّهُ، وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَمَوْئِلاً[٥][٦]، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ.

وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يُرِيدُ الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكُفُّهُ عَنْهُ لِئَلَّا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ فَيُفْسِدَهُ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالْفَقْرِ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالسُّقْمِ، وَلَوْ صَحَّحْتُ جِسْمَهُ لَأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالصِّحَّةِ، وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ؛ إِنِّي أُدَبِّرُ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ فَإِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

بيان:

قال الشيخ البهائيّ «قدّس اللّه روحه»: ما تضمّنه هذا الحديث من نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه:

الأوّل: أنّ في الكلام إضماراً، والتقدير: لو جاز عليّ التردّد ما تردّدت في شيء كتردّدي في وفاة المؤمن.

الثاني: أنّه لمّا جرت العادة بأن يتردّد الشخص في مساءة من يحترمه ويوقّره كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ[٧]، وأن لا يتردّد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدوّ والحيّة والعقرب، بل إذا خطر

---

١. هود/٣٦.

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ١٢، ح ٧؛ وفي المؤمن، ص ٣٢، ح ٦١، بمضمونه عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٨، ح ١.

٣. في نسخة: كتردّدي. (هامش المطبوع) وفي العلل: «مثل تردّدي»، وفي التوحيد: «مثل ماتردّدْتُ».

٤. ابتهل إلى اللّه: تضرّع واجتهد في الدعاء، راجع أساس البلاغة.

٥. الموئل: الملجأ، راجع لسان العرب.

٦. في التوحيد: «مؤيّدا».

٧. الصفي: الخالص من كل شيء، وصفيُّ الإنسان: أخوه الذي يصافيه الإخاء، راجع لسان العرب.

بالبال مساءته أوقعها من غير تردّد ولا تأمّل صحّ أن يعبّر بالتردّد والتأمّل في مساءة الشخص من توقيره واحترامه، وبعدمهما عن إذلاله واحتقاره، فقوله سبحانه: «ما تردّدت» المراد به ـ واللّه أعلم ـ: ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته، فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيليّة.

الثالث: أنّه قد ورد في الحديث من طرق الخاصّة والعامّة أنّ اللّه سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنّة ما يزيل عنه كراهة الموت، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار، فيقلّ تأذّيه به، ويصير راضياً بنزوله، راغباً في حصوله، فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يؤلم حبيبه ألماً يتعقّبه نفع عظيم، فهو يتردّد في أنّه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذّيه، فلا يزال يظهر له ما يرغّبه فيما يتعقّبه من اللذّة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقّاه بالقبول، ويعدّه من الغنائم المؤدّية إلى إدراك المأمول[١]. انتهى.

أقول:

قد أثبتنا الأخبار الدالّة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والميثاق.

١٩٧٧. علل الشرائع[٢]: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُمَرَ الْجَلَّابِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ طَابَتْ وِلَادَتُهُ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَفِيفَةً.

١٩٧٨. علل الشرائع[٣]: بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: يَقُولُ وَلَدُ الزِّنَا: يَا رَبِّ مَا ذَنْبِي؟ فَمَا كَانَ لِي فِي أَمْرِي صُنْعٌ! قَالَ: فَيُنَادِيهِ مُنَادٍ فَيَقُولُ: أَنْتَ شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَذْنَبَ وَالِدَاكَ فَتُبْتَ[٤] عَلَيْهِمَا وَأَنْتَ رِجْسٌ، وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا طَاهِرٌ.

١٩٧٩. ثواب الأعمال[٥]: ابْنُ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ[٦]، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَا خَيْرَ فِي وَلَدِ الزِّنَا وَلَا فِي بَشَرِهِ وَلَا فِي شَعْرِهِ وَلَا فِي لَحْمِهِ وَلَا فِي دَمِهِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ؛ يَعْنِي وَلَدَ الزِّنَا[٧].

---

١. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ١٩٧ و١٩٨.

٢. علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٦٤، ح ١؛ المحاسن، ج ١، ص ١٣٩، ح ٢٩، تمت الرواية فيه إلى عبارة: «من طابت ولادته»؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ٣، ص ٢٦٤، ح ٢٩١٧.

٣. علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٦٤، ح ٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ٣، ص ٢٦٥، ح ٢٩١٨.

٤. في الفصول: «فَنَبَتَّ».

٥. ثواب الأعمال، ص ٢٦٣؛ المحاسن، ج ١، ص ١٠٨، ح ١٠٠؛ الكافي، ج ٥، باب الزاني والزانية، ص ٣٥٥، ح ٥.

٦. في المحاسن: «البرقي، عن أبيه، عن ابن فضّال ...»، وفي الكافي: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضّال ...».

٧. تمت الرواية في الكافي بهذه العبارة: «ولا في شيء منه عجزت عنه السفينة وقد حمل فيه الكلب والخنزير».

١٩٨٠. ثواب الأعمال[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ[٢] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ الزِّنَا نَجَا نَجَا سَائِحٌ[٣] بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا سَائِحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: كَانَ عَابِداً؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ وَلَدَ الزِّنَا لَا يَطِيبُ أَبَداً، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا؛ قَالَ: فَخَرَجَ يَسِيحُ بَيْنَ الْجِبَالِ وَيَقُولُ مَا ذَنْبِي؟

١٩٨١. قصص الأنبياء عليهم السلام[٤]: الصَّدُوقُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُزَيْرٌ عليه السلام[٥]: يَا رَبِّ إِنِّي نَظَرْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَإِحْكَامِهَا فَعَرَفْتُ عَدْلَكَ بِعَقْلِي، وَبَقِيَ بَابٌ لَمْ أَعْرِفْهُ: إِنَّكَ تَسْخَطُ عَلَى أَهْلِ الْبَلِيَّةِ فَتَعُمُّهُمْ بِعَذَابِكَ وَفِيهِمُ الْأَطْفَالُ! فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيداً، فَرَأَى شَجَرَةً فَاسْتَظَلَّ بِهَا وَنَامَ، فَجَاءَتْ نَمْلَةٌ فَقَرَصَتْهُ فَدَلَكَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَقَتَلَ مِنَ النَّمْلِ كَثِيراً، فَعَرَفَ أَنَّهُ مَثَلٌ ضُرِبَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا عُزَيْرُ إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا اسْتَحَقُّوا عَذَابِي قَدَّرْتُ نُزُولَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِ الْأَطْفَالِ فَمَاتُوا أُولٰئِكَ بِآجَالِهِمْ وَهَلَكَ هٰؤُلَاءِ بِعَذَابِي.

بيان:

«القرص»: أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه، ولسع البراغيث، والقبض والقطع؛ كذا ذكره الفيروزآباديّ.

أقول:

لعلّه تعالى إنّما أراه قصّة النمل لبيان أنّ الحكمة قد تقتضي تعميم البليّة والانتقام لرعاية المصالح العامّة، وحاصل الجواب أنّ اللّه تعالى كما أنّه يميت الأطفال متفرّقاً إمّا لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّي كذلك قد يقدّر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح، وليس ذلك على جهة الغضب عليهم، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنّهم يصيرون بعد بلوغهم كفّاراً، أو يعوّضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجتراء على مساخط اللّه، أو غير ذلك؛ مع أنّه ليس يجب على اللّه تعالى إبقاء الخلق أبداً، فكلّ مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم واللّه تعالى يعلم.

---

١. ثواب الأعمال، ص ٢٦٤؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ١٠٨، ذيل ح ١٠٠؛ وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٤٤٣، ح ٢٦٠٤٧.

٢. كنية لسالم بن مكرم. (هامش المطبوع)

٣. السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة، راجع لسان العرب.

٤. قصص الأنبياء عليهم السلام (للراوندي)، ص ٢٤٠، ح ٣٠٩.

٥. نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو الذي قال بنو إسرائيل فيه: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة / ٣٠) بعد ما كتب التوراة عن ظهر قلبه. وسيأتي ذكره وقصته في كتاب النبوة. (هامش المطبوع)

١٩٨٢. المحاسن[١]: الْحَجَّالُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ خَلَصَ مِنْ آدَمَ عليه السلام.

١٩٨٣. المحاسن[٢]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ حُرٍّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ[٣] قَالَ: كُنَّا عِنْدَهُ عليه السلام ـ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَجْلَانَ ـ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَجْلَانَ: مَعَنَا رَجُلٌ يَعْرِفُ مَا نَعْرِفُ وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَلَدُ زِنَاءٍ. فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ ذٰلِكَ لَيُقَالُ لَهُ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي النَّارِ مِنْ صَدْرٍ، يَرُدُّ عَنْهُ وَهَجَ[٤] جَهَنَّمَ وَيُؤْتَى بِرِزْقِهِ.

بيان:

«من صدر» أي يبنى له ذلك في صدر جهنّم وأعلاه، والظاهر أنّه مصحّف «صبر» بالتحريك وهو الجمد.

١٩٨٤. المحاسن[٥]: أَبِي، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ هَاشِمٍ أَبِي سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ[٦]، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ نُوحاً عليه السلام حَمَلَ فِي السَّفِينَةِ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ، وَلَمْ يَحْمِلْ فِيهَا وَلَدَ الزِّنَا، وَإِنَّ النَّاصِبَ شَرٌّ مِنْ وَلَدِ الزِّنَا.

١٩٨٥. الكافي[٧]: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ وَلَدَ الزِّنَا يُسْتَعْمَلُ، إِنْ عَمِلَ خَيْراً جُزِيَ بِهِ، وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً جُزِيَ بِهِ.

بيان:

هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإماميّة من أنّ ولد الزنا كسائر الناس مكلّف بأُصول الدين وفروعه، ويجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام، ويثاب على الطاعات ويعاقب على المعاصي. ونسب إلى الصدوق والسيّد المرتضى وابن إدريس «رحمهم اللّه» القول بكفره وإن لم يظهره، وهذا مخالف لأُصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره ما يستحقّ به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً، واللّه **لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**، فأمّا الأخبار الواردة في ذلك فمنهم من حملها على أنّه يفعل باختياره ما يكفر بسببه، فلذا حكم عليه بالكفر وأنّه لا يدخل الجنّة، وأمّا ظاهراً فلا يحكم بكفره إلّا بعد ظهور ذلك منه.

---

١. المحاسن، ج ١، ص ١٣٩، ح ٢٧؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ٢٩٢١.

٢. المحاسن، ج ١، ص ١٤٩، ح ٦٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ٣، ص ٢٦٧، ح ٢٩٢٤.

٣. لعلّه عبد اللّه بن محمد الحضرمي، وضمير «عنده» يرجع إلى الصادق عليه السلام. (هامش المطبوع)

٤. الوهج: حر النار وتوقّدها، راجع معجم مقاييس اللغة.

٥. المحاسن، ج ١، ص ١٨٥، ح ١٩٦؛ ثواب الأعمال، ص ٢١١؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ج ١، ص ١٦٢.

٦. في ثواب الأعمال: «هشام بن سعد».

٧. الكافي، ج ٨، ص ٢٣٨، ح ٣٢٢، (حديث ولد الزنا إن عمل خيرا)؛ وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٤٤٢، ح ٢٦٠٤٤.

أقول:

يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال: لا يدخل ولد الزنا الجنّة، لكن لا يعاقب في النار إلّا بعد أن يظهر منه ما يستحقّه، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب ما يحبطه يثاب في النار على ذلك، ولا يلزم على اللّه أن يثيب الخلق في الجنّة، ويدلّ عليه خبر عبد اللّه بن عجلان، ولا ينافيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأنّ جزاءه يكون في الجنّة[1]، وأمّا العمومات الدالّة على أنّ من يؤمن باللّه ويعمل صالحاً يدخله اللّه الجنّة يمكن أن تكون مخصّصة بتلك الأخبار، وبالجملة فهذه المسألة ممّا قد تحيّر فيه العقول، وارتاب به الفحول، والكفّ عن الخوض فيها أسلم، ولا نرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال: اللّه أعلم.

ꕥ

١. ويمكن حملها على بيان المبالغة، وبيان أن الناجي منهم قليل، والأكثرون منهم يختارون الغي على الرشاد، والضلال على الهدى، هذا مع غض النظر عما في كثير من أسنادها من الضعف والجهالة والإرسال. (هامش المطبوع)

﴿باب ١٢﴾

«الأطفال ومن لم يتمّ عليهم الحجّة في الدنيا»

الآية:

الطور/٢١: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ...﴾[1].

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: يعني بالذرّيّة أولادهم الصغار والكبار، لأنّ الكبار، يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى: أنّا نلحق الأولاد بالآباء في الجنّة والدرجة من أجل الآباء لتقرّ عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة، كما كانت تقرّ بهم في الدنيا، عن ابن عبّاس والضحّاك وابن زيد؛ وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس أنّهم البالغون أُلحقوا بدرجة

---

١. **نقول:** يفهم من تعبير الآية أن المراد من الذرّية هم الأبناء البالغون الذين يسيرون في خطّ الآباء المؤمنين ويتّبعون منهجهم. فمثل هؤلاء الأبناء وهذه الذرّية إذا كان في عملهم نقص وتقصير فإن اللّه سبحانه يتجاوز عنهم لأجل آبائهم الصالحين، ويرتفع مقامهم عندئذ فيبلغون درجة آبائهم، وهذه المثوبة موهبة للآباء والأبناء. إلا أن جماعة من المفسرين يعتقدون أن «الذرية» هنا تشمل الأبناء الكبار والصغار جميعا، غير أن هذا التفسير لا ينسجم مع ظاهر الآية، لأن الاتباع بإيمان دليل على وصولهم مرحلة البلوغ أو مقاربتهم لها.

إلا أن يقال: أن الأطفال يصلون في يوم القيامة مرحلة البلوغ ويمتحنون، فمتى نجحوا في الامتحان التحقوا بالآباء، كما جاء هذا المعنى في الكافي إذ ورد فيه أنه سئل الإمام عن أطفال المؤمنين، فقال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمعهم اللّه ويشعل نارا فيأمرهم أن يلقوا أنفسهم في النار فمن ألقى نفسه سلم وكان سعيدا وجعل اللّه النار عليه بردا وسلاما، ومن امتنع حرم من لطف اللّه». إلا أن هذا الحديث إضافة إلى ضعف سنده يواجه إشكالات ومؤخذات في المتن أيضا، وليس هنا مجال لبيانها وشرحها. وبالطبع فإنه لا مانع أن يلحق الأطفال بالآباء ويكونوا معهم في الجنة، إلا أن الكلام هو هل هذه الآية ناظرة إلى هذا المطلب أم لا؟ وقد قلنا: إن التعبير بـ﴿اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ظاهره أن المقصود هو الكبار. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ١٦٧)

آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم. وإذا قيل: كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقّوه؟ فالجواب أنّهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة.

وَرَوَى زَاذَانُ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ هٰذِهِ الْآيَةَ.

وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُهْدَوْنَ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرّيّاتهم[١].[٢]

الروايات:

١٩٨٦. تفسير القمّيّ[٣]: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٤] فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَطْفَالَ شِيعَتِنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تُرَبِّيهِمْ فَاطِمَةُ عليها السلام، قَوْلُهُ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قَالَ: يُهْدَوْنَ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَيْ مَا نَقَصْنَاهُمْ.

١٩٨٧. الخصال[٥]: أَبِي، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ[٦]، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ احْتَجَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَمْسَةٍ[٧]: عَلَى الطِّفْلِ، وَالَّذِي مَاتَ بَيْنَ النَّبِيَّيْنَ، وَالَّذِي أَدْرَكَ النَّبِيَّ[٨] وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، وَالْأَبْلَهِ وَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ، وَالْأَصَمِّ وَالْأَبْكَمِ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولاً فَيُؤَجِّجُ لَهُمْ نَاراً، فَيَقُولُ لَهُمْ: رَبُّكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَثِبُوا فِيهَا، فَمَنْ وَثَبَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَنْ عَصَى سِيقَ إِلَى النَّارِ.

---

١. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٥٠.

٢. **نقول:** ظاهر الآية الشريفة بقرينة قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ناظرة إلى البالغين وأما غيرهم لا مانع من إلحاقهم بآبائهم هدية لهم وإكراماً وإن لم يدخلوا في مضمون الآية.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٣٢؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٧٨، ح ١٠١٦٥.

٤. في المصحف الشريف: ﴿... ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾ (الطور/٢١).

٥. الخصال، ج ١، ص ٢٨٣، ح ٣١؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٢، ح ٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٨١، ح ٣١١.

٦. في التوحيد بهذا الإسناد: «حدثنا أبي وابن الوليد قالا: حدثنا محمد العطّار وأحمد بن إدريس جميعاً، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن علي بن إسماعيل، ...».

٧. في التوحيد: «على سبعة».

٨. في التوحيد: «والشيخ الكبير الذي أدرك النبي ...».

قال الصدوق «رضي اللّه عنه»: إنّ قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون: إنّه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف، ودار الجزاء للمؤمنين إنّما هي الجنّة، ودار الجزاء للكافرين إنّما هي النار؛ وإنّما يكون هذا التكليف من اللّه عزّ وجلّ في غير الجنّة والنار، فلا يكون كلّفهم في دار الجزاء ثمّ يصيّرهم إلى الدار التي يستحقّونها بطاعتهم أو معصيتهم، فلا وجه لإنكار ذلك، ولا قوّة إلّا باللّه[١].

١٩٨٨. معاني الأخبار[٢]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[٣]: هَلْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنِ الْأَطْفَالِ؟ فَقَالَ: قَدْ سُئِلَ، فَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ. ثُمَّ قَالَ: يَا زُرَارَةُ هَلْ تَدْرِي مَا قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمُ الْمَشِيَّةُ؛ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْأَطْفَالِ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ الَّذِي قَدْ أَدْرَكَ السِّنَ[٤] وَلَمْ يَعْقِلْ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخَرَفِ[٥]، وَالَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ النَّبِيَّيْنَ، وَالْمَجْنُونِ[٦]، وَالْأَبْلَهِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ فَكُلُّ وَاحِدٍ يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيُؤَجِّجُ نَاراً فَيَقُولُ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَثِبُوا فِيهَا، فَمَنْ وَثَبَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَنْ عَصَاهُ سِيقَ إِلَى النَّارِ.

١٩٨٩. الغيبة للشيخ الطوسيّ[٧]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام أَنَّهُ قَالَ: حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَ الضُّلَّالَ الْجَنَّةَ،[٨] فَقَالَ زُرَارَةُ: كَيْفَ ذٰلِكَ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ؟ قَالَ: يَمُوتُ النَّاطِقُ وَلَا يَنْطِقُ الصَّامِتُ، فَيَمُوتُ الْمَرْءُ بَيْنَهُمَا فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ[٩].

---

١. الخصال، ج ١، ص ٢٨٣.

٢. معاني الأخبار، ص ٤٠٧، ح ٨٦؛ الكافي، ج ٣، باب الأطفال، ص ٢٤٨، ح ١؛ وفي التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٣، ح ٥، مع زيادة في صدره.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام»، وفي التوحيد: «حدثنا ابن الوليد، عن الصفّار، عن فضل بن عامر، عن موسى بن قاسم البجلي، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام».

٤. في نسخة: قد أدرك النبي. (هامش المطبوع)

٥. الخرف: فساد عقل من الكبر، راجع لسان العرب.

٦. في الكافي: «الشيخ الكبير الذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يعقل والأصم والأبكم الذي لا يعقل والمجنون...»، وكذا في التوحيد مع اختلاف يسير.

٧. الغيبة (للطوسي)، ص ٤٦٠، ح ٤٧٥.

٨. **نقول:** الرواية ناظرة إلى القاصرين بقرينة قوله عليه السلام: «يموت الناطق» أي الذين يرشدون الجهّال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يموتون، وقوله عليه السلام: «لا ينطق الصامت» أي ليس بعدهم لهؤلاء الجهال من يهديهم إلى صراط المستقيم.

٩. لأنّه لم تبلغه الحجّة، ولم يرشد إلى المحجّة. واللّه تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء/١٥). (هامش المطبوع)

١٩٩٠. كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[٢] عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: الْوِلْدَانُ أَوْلَادُ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيُثَابُونَ عَلَيْهَا، وَلَا سَيِّئَاتٌ فَيُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا فَأُنْزِلُوا هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ.

١٩٩١. وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٣] أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ الْوِلْدَانِ خُلِقُوا لِخِدْمَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

١٩٩٢. التوحيد[٤]: الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ ضُرَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ السُّكَّرِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ يَزِيدَ بْنِ سَلَّامٍ، عَنْ أَبِيهِ سَلَّامِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي أَ يُعَذِّبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً بِلَا حُجَّةٍ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! قُلْتُ: فَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْلَى بِهِمْ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَاراً يُقَالُ لَهُ: الْفَلَقُ، أَشَدَّ شَيْءٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَذَاباً، فَتَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهَا سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، فَيَأْمُرُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَنْفُخَ فِي وُجُوهِ الْخَلَائِقِ نَفْخَةً، فَتَنْفُخُ فَمِنْ شِدَّةِ نَفْخَتِهَا تَنْقَطِعُ السَّمَاءُ، وَتَنْطَمِسُ النُّجُومُ[٥]، وَتَجْمُدُ الْبِحَارُ، وَتَزُولُ الْجِبَالُ، وَتُظْلِمُ الْأَبْصَارُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ حَمْلَهَا، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ مِنْ هَوْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُلْقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي تِلْكَ النَّارِ؛ فَمَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ سَعِيداً أَلْقَى نَفْسَهُ فِيهَا فَكَانَتْ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَمَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ شَقِيّاً امْتَنَعَ فَلَمْ يُلْقِ نَفْسَهُ فِي النَّارِ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ فَتَلْتَقِطُهُ لِتَرْكِهِ أَمْرَ اللَّهِ وَامْتِنَاعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِيهَا فَيَكُونُ تَبَعاً لِآبَائِهِ فِي جَهَنَّمَ.

١٩٩٣. الكافي[٦]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ رَفَعَهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَطْفَالِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَهُمُ اللَّهُ وَأَجَّجَ نَاراً[٧] وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهَا، فَمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ سَعِيدٌ رَمَى نَفْسَهُ فِيهَا وَكَانَتْ عَلَيْهِ

---

١. تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٢٠؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ١٠٣٩٠.

٢. الواقعة/١٧.

٣. تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٢٠؛ وفي تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٢١، مع نقصان؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ١٠٣٩١.

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٠، ح ١؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٣٥، ح ٥١٨٥؛ فيهما مع زيادة.

٥. طمس النجم: ذهب ضوؤه، راجع لسان العرب.

٦. الكافي، ج ٣، باب الأطفال، ص ٢٤٨، ح ٢؛ روضة المتقين، ج ٨، ص ٦٣٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٨٠، ح ٣٠٩.

٧. أجّج النار: أوقدها، راجع مقدمة الأدب.

بَرْداً وَسَلَامَةً[١]، وَمَنْ كَانَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ امْتَنَعَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا تَأْمُرُ بِنَا إِلَى النَّارِ وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْنَا الْقَلَمُ؟ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: قَدْ أَمَرْتُكُمْ مُشَافَهَةً فَلَمْ تُطِيعُونِي فَكَيْفَ لَوْ أَرْسَلْتُ رُسُلِي بِالْغَيْبِ إِلَيْكُمْ؟

١٩٩٤. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ[٢] أَمَّا أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ يُلْحَقُونَ بِآبَائِهِمْ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ يُلْحَقُونَ بِآبَائِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣].

١٩٩٥. الكافي[٤]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِي الْأَطْفَالِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا؟ فَقَالَ: سُئِلَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا زُرَارَةُ هَلْ تَدْرِي مَا عَنَى بِذٰلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. فَقَالَ: إِنَّمَا عَنَى كُفُّوا عَنْهُمْ وَلَا تَقُولُوا فِيهِمْ شَيْئاً وَرُدُّوا عِلْمَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

١٩٩٦. الكافي[٥]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٧] قَالَ: فَقَالَ: قَصُرَتِ الْأَبْنَاءُ عَنْ عَمَلِ الْآبَاءِ، فَأَلْحَقُوا الْأَبْنَاءَ بِالْآبَاءِ لِتَقَرَّ بِذٰلِكَ أَعْيُنُهُمْ.

١٩٩٧. نوادر الراونديّ[٨]: بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا تَزَوَّجُوا الْحَسْنَاءَ[٩] الْجَمِيلَةَ الْعَاقِرَةَ[١٠]، فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَ وَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْوِلْدَانَ تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمٰنِ يَسْتَغْفِرُونَ لِآبَائِهِمْ، يَحْضُنُهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَتُرَبِّيهِمْ سَارَةُ عليهما السلام فِي جَبَلٍ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْبَرٍ وَزَعْفَرَانٍ؟

١٩٩٨. من لا يحضره الفقيه[١١]: فِي الصَّحِيحِ رَوَى أَبُو زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عليه السلام: إِذَا مَاتَ طِفْلٌ

---

١. في المصدر: «سلاماً».

٢. في الكافي، ج ٣، باب الأطفال، ص ٢٤٨، ذيل ح ٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٨١، ح ٣١٠.

٣. الطور/٢١.

٤. الكافي، ج ٣، باب الأطفال، ص ٢٤٩، ح ٤؛ روضة المتقين، ج ٨، ص ٦٣٧؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٣٠٧.

٥. الكافي، ج ٣، باب الأطفال، ص ٢٤٩، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المؤمنين، ص ٤٩٠، ح ٤٧٣٣؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٤، ح ٧.

٦. في الفقيه بهذا الإسناد: «في رواية أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي التوحيد: «ابن المتوكّل، عن العطّار، عن الأشعري، عن ابن عيسى، عن ابن الحكم، عن ابن عميرة، عن أبي بكر حضرمي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٧. الطور/٢١.

٨. النوادر (للراوندي)، ص ١٣؛ الكافي، ج ٥، باب كراهيّة تزويج العاقر، ص ٣٣٤، ح ٤؛ الجعفريّات (الأشعثيّات)، ص ٩٢.

٩. في المصدر: «تزوّجوا السوداء الولود الودود ولا تتزوجوا الحسناء...»، وفي الكافي: «تزوّجها سوءاء ولوداً ولا تزوّجها حسناء عاقراً».

١٠. العاقر: المرأة التي لا تحمل، راجع لسان العرب.

١١. من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المؤمنين، ص ٤٩٠، ح ٤٧٣١؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٤، ح ٨.

مِنْ أَطْفَالِ الْمُؤْمِنِينَ نَادَى مُنَادٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: أَلَا إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ قَدْ مَاتَ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ وَالِدَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا أَوْ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ دُفِعَ إِلَيْهِ يَغْذُوهُ، وَإِلَّا دُفِعَ إِلَى فَاطِمَةَ عليها السلام تَغْذُوهُ حَتَّى يَقْدَمَ أَبَوَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا أَوْ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ فَتَدْفَعُهُ إِلَيْهِ.

١٩٩٩. من لا يحضره الفقيه[١]: فِي الصَّحِيحِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَدْفَعُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ[٢] وَسَارَةَ أَطْفَالَ الْمُؤْمِنِينَ يَغْذُوَانِهِمْ بِشَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ[٣] لَهَا أَخْلَافٌ[٤] كَأَخْلَافِ الْبَقَرِ فِي قَصْرٍ مِنَ الدُّرِّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُلْبِسُوا وَأُطِيبُوا وَأُهْدُوا إِلَى آبَائِهِمْ، فَهُمْ مُلُوكٌ فِي الْجَنَّةِ مَعَ آبَائِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٥].

بيان:

يمكن الجمع بين الخبرين بأنّ بعضهم تربّيه فاطمة عليها السلام، وبعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم، أو تدفعه فاطمة عليها السلام إليهما[٦].

٢٠٠٠. وَرَوَى الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي كِتَابِ الْمُخْتَصَرِ[٧][٨]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ الْمِعْرَاجِ لِلشَّيْخِ الصَّالِحِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّدُوقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى السَّمَاءِ وَانْتَهَى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَلَقِيَ الْأَنْبِيَاءَ عليهم السلام قَالَ: أَيْنَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟ قَالُوا لَهُ: هُوَ مَعَ أَطْفَالِ شِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِذَا هُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ لَهَا ضُرُوعٌ كَضُرُوعِ الْبَقَرِ[٩]، فَإِذَا انْفَلَتَ[١٠] الضَّرْعُ مِنْ فَمِ الصَّبِيِّ قَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام

---

١. من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المؤمنين، ص ٤٩٠، ح ٤٧٣٢؛ عوالي اللئالي، ج ٣، ص ٢٨٧، ح ٣٣؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٧٩.

٢. في المصدر والعوالي والصافي: «كفّل إبراهيم وسارة ...».

٣. **نقول:** لا مانع من حضانة هذه الأطفال بأيدي أولياء اللّه، ولا يلزم أن يكون بمباشرة منهم، بل بولايتهم وتدبيرهم والنظارة عليهم.

٤. الخلف بالكسر: واحد أخلاف الضرع وهو طَرفه، راجع لسان العرب.

٥. الطور/٢١.

٦. ليس في نظام الجنة تزاحم، كما هو في الدنيا، والكتاب والسنة ناطقان بذلك؛ فلا منافاة بين تربية فاطمة عليها السلام لأطفال المؤمنين في الجنة وتربية إبراهيم وسارة عليهما السلام لهم حتى يحتاج إلى الجمع بين الروايات. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٧. في الطبعة الحجريّة: «كتاب المحتضر»، والظاهر هو الصحيح.

٨. المحتضر، ص ٢٤٥، ح ٣٣٦؛ وفي مائة منقبة، ص ١٧٢، مع اختلاف العبارة.

٩. ضرع الشاة والناقة: مدرّ لبنها، والجمع ضروع، راجع لسان العرب.

١٠. انفلت: خرج بسرعة، راجع مجمع البحرين.

فَرَدَّ عَلَيْهِ؛ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: خَلَّفْتُهُ فِي أُمَّتِي، قَالَ: نِعْمَ الْخَلِيفَةُ خَلَّفْتَ، أَمَا إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ طَاعَتَهُ، وَهٰؤُلَاءِ أَطْفَالُ شِيعَتِهِ، سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِيَ الْقَائِمَ عَلَيْهِمْ فَفَعَلَ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ لَيَجْرَعُ الْجُرْعَةَ فَيَجِدُ طَعْمَ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا فِي تِلْكَ الْجُرْعَةِ.

٢٠٠١. من لا يحضره الفقيه[١]: فِي الصَّحِيحِ سَأَلَ جَمِيلُ بْنُ دَرَّاجٍ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَطْفَالِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ: لَيْسُوا كَأَطْفَالِ النَّاسِ، وَسَأَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ بَقِيَ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً[٢]؟ قَالَ: لَوْ بَقِيَ كَانَ عَلَى مِنْهَاجِ أَبِيهِ صلى الله عليه وآله.

بيان:

أي كان مؤمناً موحّداً تابعاً لأبيه لا نبيّاً.

٢٠٠٢. من لا يحضره الفقيه[٣]: رَوَى وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ مَعَ آبَائِهِمْ فِي النَّارِ، وَأَوْلَادُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ آبَائِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

٢٠٠٣. من لا يحضره الفقيه[٤]: فِي الصَّحِيحِ رَوَى جَعْفَرُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ يَمُوتُونَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ[٥]، قَالَ: كُفَّارٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَ آبَائِهِمْ. وَقَالَ: يُؤَجَّجُ لَهُمْ نَاراً فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوهَا، فَإِنْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً، وَإِنْ أَبَوْا قَالَ لَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُوَ ذَا أَنَا قَدْ أَمَرْتُكُمْ فَعَصَيْتُمُونِي؛ فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

بيان:

قال الصدوق «رحمه اللّه» ـ بعد إيراد تلك الأخبار ـ: هذه الأخبار متّفقة وليست بمختلفة، وأطفال المشركين والكفّار مع آبائهم في النار لا تصيبهم من حرّها، لتكون الحجّة أوكد عليهم متى أُمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يثقوا به ولم يصدّقوا وعده في شيء قد شاهدوا مثله.

أقول:

جمع الصدوق بينها بحمل ما دلّ على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ، وقال: لا يصيبهم حرّها

---

١. في من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المؤمنين، ص ٤٩٠، ح ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥، مقطعا؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٣٩٥، ح ١١.

٢. لم يرد في التوحيد: «نبيا».

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المشركين والكفار، ص ٤٩١، ح ٤٧٣٩.

٤. في من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب حال من يموت من أطفال المشركين والكفار، ص ٤٩١، ح ٤٧٤٠ و ٤٧٤١، مقطعا.

٥. الحنث: البلوغ، راجع لسان العرب.

حينئذ، ورأى أنّ فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجّج لهم في القيامة؛ ويمكن أن يقال: لعلّ اللّه تعالى يعلم أنّ كلّ أولاد الكفّار الذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف، فلذا قال عليه السلام: «اللّه أعلم بما كانوا عاملين» أي في القيامة بعد التكليف، ولذا جعلهم من أولادهم؛ ويمكن أيضاً أن يحمل قوله عليه السلام: «كفّار» على أنّه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفّار بالتبعيّة في النجاسة وعدم التغسيل والتكفين والصلاة والتوارث وغير ذلك؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف. والأظهر حملها على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم.

قال النوويّ في شرح صحيح المسلم: اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين فمنهم من يقول: هم تبع لآبائهم في النار، ومنهم من يتوقّف فيهم، والثالث ـ وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحقّقون ـ أنّهم من أهل الجنّة، واستدلّوا بأشياء:

منها: **حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ حِينَ رَآهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**. رواه البخاريّ في صحيحه[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[٢] ولا يتوجّه على المولود التكليف حتّى يبلغ فيلزم الحجّة[٣]. انتهى.

وَرَوَى الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ صلى الله عليه وآله: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا فَاعِلِينَ. وقال هذا حديث متّفق على صحّته.

وَرُوِيَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ عَنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٤] **وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُونَ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ**[٥][٦] **حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**.

ثمّ قال: هذا حديث متّفق على صحّته. ثمّ قال في شرح الخبر: قلت: أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنّة ولا نار، بل أمرهم موكول إلى علم اللّه فيهم، كما أفتى به الرسول صلى الله عليه وآله، وجملة الأمر أنّ مرجع العباد في

---

١. صحيح البخاري، ج ٨، ص ٨٦.

٢. الإسراء/١٥.

٣. شرح صحيح مسلم (للنووي)، ج ١٦، ص ٢٠٨.

٤. صحيح مسلم، ج ٨، ص ٥٢.

٥. الجدعاء: المقطوعة الأُذن، راجع النهاية.

٦. وفي نسخة المصنّف: من جدعاء. (هامش المطبوع)

المعاد إلى ما سبق لهم في علم اللّه من السعادة والشقاوة. وقيل: حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم وهو المراد بقوله: اللّه أعلم بما كانوا عاملين، **يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ مُفَسَّراً عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَرَارِيُّ[١] الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: مِنْ آبَائِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، قُلْتُ: فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: مِنْ آبَائِهِمْ، قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ.**

وَقَالَ مُعَمَّرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ سَلْمَانَ قَالَ: أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ الْحَسَنُ: أَتَعْجَبُونَ؟ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ[٢]. انتهى.

أقول:

فظهر أنّ تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم، وقد أوّلها أئمّتنا عليهم السلام بما مرّ في الأخبار السابقة. ثمّ اعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا في أنّ أطفال المؤمنين يدخلون الجنّة، وذهب المتكلّمون منّا إلى أنّ أطفال الكفّار لا يدخلون النار، فهم إمّا يدخلون الجنّة، أو يسكنون الأعراف؛ وذهب أكثر المحدّثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم.

قال المحقّق الطوسيّ «رحمه اللّه» في التجريد: تعذيب غير المكلّف قبيح، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له، والتبعيّة في بعض الأحكام جائزة[٣].

وقال العلّامة «قدس اللّه روحه» في شرحه: ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ اللّه تعالى يعذّب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه، والعدليّة كافّة على منعه، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً، فلا يصدر منه تعالى، احتجّوا بوجوه:

الأوّل: قول نوح عليه السلام: ﴿**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**﴾[٤] والجواب أنّه مجاز والتقدير أنّهم يصيرون كذلك لا حال طفوليّتهم.

الثاني: قالوا: إنّا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبة فلا يكون قبيحاً.

والجواب: أنّ الخدمة ليست عقوبة للطفل، وليس كلّ ألم عقوبة، فإنّ الفصد[٥] والحجامة ألمان وليسا عقوبة، نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على أمراضه.

---

١. ذراريّ: جمع الذريّة، راجع لسان العرب.

٢. شرح السنة، ج ١، ص ١٥٧.

٣. تجريد الاعتقاد، ص ٢٠٢.

٤. نوح/٢٧.

٥. الفصد: قطع العِرق، راجع الصحاح.

الثالث: قالوا: إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن، ومنع التوارث، والصلاة عليه، ومنع التزويج.

والجواب: أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء، إذا لم يجعل له بها ألم وعقوبة، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه[1].



١. كشف المراد، ص ٣١٨.

﴿باب ١٣﴾

«من رفع عنه القلم، ونفي الحرج في الدين، وشرائط صحّة التكليف، وما يعذر فيه الجاهل، وأنّه يلزم على اللّه التعريف»

الآيات:

البقرة/٢٥٦: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...﴾[1]

---

١. **نقول:** هنا بحث: الدين لا يفرض:

لا يمكن للإسلام ولا للأديان الحقّة الأُخرى أن تفرض فرضا على الناس لسببين:

١. بعد كل تلك الأدلة والبراهين الواضحة والاستدلالات المنطقية والمعجزات الجلية لم تكن ثمّة حاجة لذلك. إنما يستخدم القوة من أعوزه المنطق والحجة، والدين الإلهي ذو منطق متين وحجة قوية.

٢. أن الدين القائم على أساس مجموعة من العقائد القلبية لا يمكن أن يفرض بالإكراه. إن عوامل القوة والسيف والقدرة العسكرية يمكنها أن تؤثّر في الأجسام، لا في الأفكار والمعتقدات. يتضح مما تقدم الرد على الإعلام الصليبي ـ المسموم ضد الإسلام ـ القائل: «إن الإسلام انتشر بالسيف»، إذ لا قول أبلغ ولا أفصح من ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الذي أعلنه القرآن. هؤلاء الحاقدون يتناسون هذا الإعلان القرآني الصريح، ويحاولون من خلال تحريف مفهوم الجهاد وأحداث الحروب الإسلامية أن يثبتوا مقولتهم، بينما يتّضح بجلاء لكل منصف أن الحروب التي خاضها الإسلام كانت إما دفاعية، وإما تحريرية، ولم يكن هدف هذه الحروب السيطرة والتوسع، بل الدفاع عن النفس، أو إنقاذ الفئة المستضعفة الرازحة تحت سيطرة طواغيت الأرض وتحريرها من ربقة العبودية لتستنشق عبير الحرية وتختار بنفسها الطريق الذي ترتئيه. والشاهد الحي على هذا هو ما تكرر حدوثه في التأريخ الإسلامي، فقد كان المسلمون إذا افتتحوا بلدا تركوا أتباع الأديان الأُخرى أحرارا كالمسلمين. أما الضريبة الصغيرة التي كانوا يتقاضونها منهم باسم الجزية، فقد كانت ثمنا للحفاظ على أمنهم، ولتغطية ما تتطلّبه هذه المحافظة من نفقات، وبذلك كانت أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مصونة في حمى الإسلام. كما أنه كانوا أحرارا في أداء طقوسهم الدينية الخاصة بهم.

جميع الذين يطالعون التأريخ الإسلامي يعرفون هذه الحقيقة، بل إن المسيحيين الذين كتبوا في الإسلام يعترفون بهذا أيضا. يقول مؤلف ←

البقرة/٢٨٦: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ...﴾[1]

الأنعام/١٠٤: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

← «حضارة الإسلام أو العرب»: «كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأُخرى من التساهل بحيث إن رؤساء تلك الجماعات كان مسموحا لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة». وقد جاء في بعض كتب التأريخ أن جمعا من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول اللّه ﷺ للتحقيق والاستفسار أقاموا قدّاسا في مسجد النبي في المدينة بكل حرّية.

إن الإسلام من حيث المبدأ توسل بالقوة العسكرية لثلاثة أُمور:

١. لمحو آثار الشرك وعبادة الأصنام، لأن الإسلام لا يعتبر عبادة الأصنام دينا من الأديان، بل يراها انحرافا ومرضا وخرافة، ويعتقد أنه لا يجوز مطلقا أن يسمح لجمع من الناس أن يسيروا في طريق الضلال والخرافة، بل يجب إيقافهم عند حدهم. لذلك دعا الإسلام عبدة الأصنام إلى التوحيد، وإذا قاوموه توسل بالقوة وحطّم الأصنام وهدّم معابدها، وحال دون بروز أيّ مظهر من مظاهر عبادة الأصنام، لكي يقضي تماما على منشأ هذا المرض الروحي والفكري. وهذا يتبين من آيات القتال مع المشركين، مثل الآية ١٩٣، من سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾. وليس هناك أيّ تعارض بين الآية التي نحن بصددها وهذه الآية، ولا نسخ في هذا المجال.

٢. لمقابلة المتآمرين للقضاء على الإسلام، عندئذ كانت الأوامر تصدر بالجهاد الدفاعي وبالتوسل بالقوة العسكرية. ولعل معظم الحروب الإسلامية على عهد رسول اللّه ﷺ كانت من هذا القبيل، مثل حرب أُحد والأحزاب وحنين ومؤتة وتبوك.

٣. للحصول على حرية الدعوة والتبليغ. حيث إن لكل دين الحق في أن يكون حرّا في الإعلان عن نفسه بصورة منطقية، فإذا منعه أحد من ذلك فله أن ينتزع حقه هذا بقوة السلاح. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٢، ص ٢٦١)

١. **نقول:** لماذا الدعاء لأن يغفر اللّه الذنوب المرتكبة نسيانا أو خطأ؟ فهل اللّه يعاقب على مثل هذه الذنوب؟ في الجواب لا بدّ من القول بأن النسيان يكون أحيانا من باب التماهل والتساهل من جانب الإنسان نفسه. بديهي أن هذا النوع من النسيان لا يضع المسؤولية عن الإنسان، كما جاء في القرآن: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾ (السجدة/١٤) وعليه فإن النسيان الناشئ عن التساهل يوجب العقاب.

ثم لا بدّ من ملاحظة أن هناك فرقا بين النسيان والخطأ؛ فالخطأ يقال عادة في الأُمور التي تقع لغفلة من الإنسان وعدم انتباه منه، كأن يطلق رصاصة ليصيد صيدا فتصيب رصاصته إنسانا فتجرحه. أما النسيان فهو أن يتّجه الإنسان للقيام بعمل ما ولكنه ينسى كيف يقوم بذلك، كأن يعاقب المرء إنسانا بريئا ظنا منه أنه المذنب، لنسيانه مميزات المذنب الحقيقي.

يستفاد جيّدا من هذه الآية أن التكليف بما لا يطاق لا يوجد في الشريعة المقدسة، لا في الإسلام ولا في الأديان الأُخرى، والأصل هو حرّية الإنسان وإرادته لأن الآية تقول: أن كل إنسان يلاقي جزاء أعماله الحسنة والسيئة، فما عمله من حسنات فسيعود إليه، وما ارتكبه من سيئات فعليه، ومن هذا المنطلق يكون طلب العفو والمغفرة والصفح. وهذا المعنى يتطابق تماما مع منطق العقل ومسألة الحسن والقبح، لأن اللّه تعالى حكيم ولا يمكن أن يكلّف العباد بما لا طاقة لهم به. وهذا بنفسه دليل على نفي مسألة الجبر، فكيف يحتمل أن اللّه تعالى يجبر العباد على ارتكاب الذنب والإثم وفي نفس الوقت ينهاهم عنه؟ ولكن التكاليف الشاقّة والصعبة ليست بالأمر المحال كما قرأنا عن تكاليف بني إسرائيل الشاقّة، وهذه التكاليف أيضا ناشئة من أعمالهم وعبارة عن عقوبة لما ارتكبوه من آثام. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٢، ص ٣٧٠)

الأنعام/١٥٢: ﴿... لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾

الأعراف/٤٢: ﴿... لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾

الأنفال/٤٢: ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

التوبة/١١٥: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ...﴾[1]

النحل/٩: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

الإسراء/١٥: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾

طه/١٣٤: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾

الحجّ/٧٨: ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴾

النور/٥٨: ﴿... كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

النور/٥٩: ﴿...كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

الشعراء/٢٠٨ و٢٠٩: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

---

١. **نقول:** يتصور بعض المفسرين والمحدثين أن الآية دليل على أن المستقلات العقلية ـ وهي الأُمور التي يدركها الإنسان عن طريق العقل لا عن طريق حكم الشرع، كإدراك قبح الظلم وحسن العدل، أو سوء الكذب والسرقة والاعتداء وقتل النفس وأمثال ذلك ـ ما دام الشرع لم يبيّنها، فإن أحدا غير مسؤول عنها.

وبتعبير آخر فإن كل الأحكام العقلية يجب أن تؤيد من قبل الشرع لإيجاد التكليف والمسؤولية على الناس، وعلى هذا فإن الناس قبل نزول الشرع غير مسؤولين مطلقا، حتى في مقابل المستقلات العقلية. إلا أن بطلان هذا التصور واضح، فإن جملة ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ تجيبهم وتبيّن لهم أن هذه الآية وأمثالها خاصة بالمسائل التي بقيت في حيّز الإبهام وتحتاج إلى التبيين والإيضاح، ومن المسلّم أنها لا تشمل المستقلات العقلية، لأن قبح الظلم وحسن العدل ليس أمرا مبهما حتى يحتاج إلى توضيح. الذين يذهبون إلى هذا القول غفلوا عن أن هذا القول ـ إن صح ـ فلا وجه لوجوب تلبية دعوة الأنبياء، ولا مبرر لأن يطالعوا ويحققوا دعوى مدعي النبوة ومعجزاته حتى يتبيّن لهم صدقه أو كذبه، لأن صدق النبي والحكم الإلهي لم يبيّن لحد الآن لهؤلاء، وعلى هذا فلا داعي للتحقق من دعواه.

وعلى هذا فكما يجب التثبت من دعوى من يدعي النبوة بحكم العقل، وهو من المستقلات العقلية، فكذلك يجب اتباع سائر المسائل التي يدركها العقل بوضوح. والدليل على هذا الكلام التعبير المستفاد من بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ففي كتاب التوحيد، عن الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: «حتى يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه».

وعلى كل حال، فإن هذه الآية وأمثالها تعتبر أساسا لقانون كلي أُصولي، وهو أننا ما دمنا لا نملك الدليل على وجوب أو حرمة شيء، فإننا غير مسؤولين عنه، وبتعبير آخر فإن كل شيء مباح لنا، إلا أن يقوم دليل على وجوبه أو تحريمه، وهو ما يسمونه بـ«أصل البراءة». (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٦، ص ٢٤٢)

القصص/٤٧: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

القصص/٥٩: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

الأحزاب/٥: ﴿... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ...﴾

الطلاق/٧: ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ...﴾[١]

تفسير:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: هو منسوخ بآيات الجهاد؛ وقيل: خاصّ بأهل الكتاب؛ وقيل: الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً؛ ولكن ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي تميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلّت الدلائل على أنّ الإيمان يوصل إلى السعادة، والكفر يوصل إلى الشقاوة، والعاقل متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء وإكراه.

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما يسعه قدرتها، أو ما دون مدى طاقتها، بحيث يتّسع فيه طوقها كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[٢]. ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطإ من تفريط وقلّة مبالاة، أو يكون سؤالاً على سبيل التضرّع والاستكانة[٣]، وإن كان ما يسأله لازماً على اللّه تعالى، أو المراد بـ﴿نَسِينَا﴾ تركنا، وبـ﴿أَخْطَأْنَا﴾ أذنبنا. ﴿إِصْرَاً﴾ أي عبئاً[٤] ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه، يريد به التكاليف الشاقّة. ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي من البلايا والعقوبة أو ما يثقل علينا تحمّله من التكاليف الشاقّة، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه: إنّي لا أُطيقه؛ أو يكون الدعاء على سبيل التعبّد،[٥] كما مرّ.

---

١. **نقول:** هنا بحث: لا يكلّف اللّه نفسا إلا وسعها:

ليس العقل وحده يحكم بذلك، وإنما الشرع هو شاهد ودليل آخر على ذلك، أي أن تكاليف البشر ومسؤولياتهم إنما هي بقدر طاقاتهم وتعبير ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ التي وردت ضمن الآية هو إشارة إلى هذا المعنى. ولكن ورد في بعض الروايات أن المقصود بـ﴿مَا آتَاهَا﴾ هو «ما أعلمها» أي أن اللّه يكلّف الناس بقدر ما أعلمهم به. ولذا استدل بهذه الآية على إثبات «أصل البراءة» في مباحث علم الأُصول، فمن لا يعلم حكما ليس عليه مسؤولية تجاه ذلك الحكم. ونظراً لأن عدم الاطلاع يؤدي أحيانا إلى عدم المقدرة، فمن الممكن أن يكون المقصود هو الجهل الذي يكون مصدرا للعجز. وبناء على هذا فإنه سيكون للآية مفهوم واسع يشمل عدم القدرة والجهل الذي يؤدي إلى عدم القدرة على إنجاز التكليف. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٨، ص ٤٢٢)

٢. البقرة/١٨٥.

٣. الاستكانة: الخضوع، راجع لسان العرب.

٤. العِبء: الحمل والثقل من أي شيء كان، راجع لسان العرب.

٥. أنوار التنزيل، ج ١، ص ١٥٤ و١٦٦.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي ليموت من يموت عن بيّنة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجّة شاهدها، لئلّا يكون له حجّة ومعذرة؛ أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بيّنة، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام، والمراد بمن هلك ومن حيّ المشارف للهلاك والحياة، أو من هذا حاله في علم اللّه وقضائه[١].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً﴾ أي ليسمّيهم ضلّالاً، أو يؤاخذهم مؤاخذتهم ويعذّبهم ويضلّهم عن سبيل الجنّة.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي يجب على اللّه في عدله بيان الطريق المستقيم، ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي من السبيل ما هو عادل عن الحقّ[٢].

قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ «لو لا» الأُولى امتناعيّة، و«لو لا» الثانية تحضيضيّة، وجواب الأُولى محذوف، أي ما أرسلناك[٣].

قوله تعالى: ﴿فِي أُمِّهَا﴾ أي في أصلها ومعظمها، فإنّ الأشراف غالباً يسكنون المدن.

﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ أي إلّا بقدر ما أعطاها من الطاقة[٤].

الروايات:

٢٠٠٤. قرب الإسناد[٥]: هَارُونُ، عَنِ ابْنِ زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: مِمَّا أَعْطَى اللَّهُ أُمَّتِي وَفَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ أَعْطَاهُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا إِلَّا نَبِيٌّ، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا بَعَثَ نَبِيّاً قَالَ لَهُ: اجْتَهِدْ فِي دِينِكَ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ. وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَى ذٰلِكَ أُمَّتِي حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦] يَقُولُ: مِنْ ضِيقٍ؛ الْخَبَرَ.

٢٠٠٥. قرب الإسناد[٧]: الْبَزَّازُ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: لَا غِلَظَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي شَيْءٍ[٨].

---

١. أنوار التنزيل، ج ٣، ص ٦١.

٢. مجمع البيان، ج ٦، ص ٥٤٢.

٣. المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٠٠.

٤. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٦٥.

٥. قرب الإسناد، ص ٨٤، ح ٢٧٧؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٩٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٩١١، ح ٧٤٣٠.

٦. الحجّ/٧٨.

٧. قرب الإسناد، ص ١٣٤، ح ٤٦٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٦٧٣، ح ١٠٥٨.

٨. كذا في نسخة المصنف بخطه الشريف؛ وفي المصدر وكذا في بعض نسخ البحار: «لا غلط» أي ليس فيما لم يعرف وجه الصواب فيه على المسلم مؤاخذة، أو حكم إلزامي. (هامش المطبوع)

٢٠٠٦. الخصال[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الرَّجُلُ يُغْمَى عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ وَأَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ، كَمْ يَقْضِي مِنْ صَلَاتِهِ؟ فَقَالَ: أَ لَا أُخْبِرُكَ بِمَا يَجْمَعُ لَكَ هٰذَا وَأَشْبَاهَهُ؟[٢] كُلُّ مَا غَلَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ فَاللَّهُ أَعْذَرُ لِعَبْدِهِ. وَزَادَ فِيهِ غَيْرُهُ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَهٰذَا مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ مِنْهَا أَلْفَ بَابٍ.

٢٠٠٧. المحاسن[٣]: عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ حَمْزَةَ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ[٤]: قَالَ لِيَ: اكْتُبْ، وَأَمْلَى: إِنَّ مِنْ قَوْلِنَا: إِنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِالَّذِي آتَاهُمْ وَعَرَّفَهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَأَمَرَ فِيهِ وَنَهَى، أَمَرَ فِيهِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَنَا أُنِيمُكَ وَأَنَا أُوقِظُكَ، فَإِذَا قُمْتَ فَصَلِّ لِيَعْلَمُوا إِذَا أَصَابَهُمْ ذٰلِكَ كَيْفَ يَصْنَعُونَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ: إِذَا نَامَ عَنْهَا هَلَكَ؛ وَكَذٰلِكَ الصِّيَامُ أَنَا أُمْرِضُكَ وَأَنَا أُصِحُّكَ، فَإِذَا شَفَيْتُكَ فَاقْضِهِ[٥].

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَكَذٰلِكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَمْ تَجِدْ أَحَداً إِلَّا[٦] وَلِلَّهِ عَلَيْهِ حُجَّةٌ وَلَهُ فِيهِ الْمَشِيَّةُ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ مَا شَاؤُوا صَنَعُوا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي وَيُضِلُّ، وَقَالَ: مَا أُمِرُوا إِلَّا بِدُونِ سَعَتِهِمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ أُمِرَ النَّاسُ بِهِ فَهُمْ يَسَعُونَ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَسَعُونَ لَهُ فَمَوْضُوعٌ عَنْهُمْ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ،[٧] ثُمَّ تَلَا: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فَوَضَعَ عَنْهُمْ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[٨]* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قَالَ: فَوَضَعَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾[٩]، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[١٠].

---

١. الخصال، ج ٢، ص ٦٤٤، ح ٢٤؛ بصائر الدرجات، ص ٣٠٦، ح ١٦؛ الوافي، ج ٢، ص ٣٢٢.

٢. في البصائر: «بما ينتظم هذا وأشباهه».

٣. المحاسن، ج ١، ص ٢٣٦، ح ٢٠٤؛ وفي تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٠٤، ح ١٠٠، مع اختلاف يسير؛ الكافي، ج ١، باب حجج اللّه على خلقه، ص ١٦٤، ح ٤.

٤. في تفسير العياشي بهذا الإسناد: «عن الحلبي، عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام».

٥. **نقول:** لم يكن نومه صلى الله عليه وآله عن الصلوة للغفلة أو المساهلة أو عدم الاهتمام، كلا، بل كان طريقا لدفع الشك والوسوسه من الذين تفوت عنهم الصلوة في النوم؛ كما أنه كذلك بالنسبة إلى الإفطار بسبب المرض.

٦. في المصدر والكافي: «لم تجد أحدا في ضيق ولم تجد أحدا إلا»، وفي تفسير العياشي: «لم تجد أحدا في ضيق، ولم تجد إلا».

٧. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٦٨٥.

٨. لم يرد في المصدر من «فوضع عنهم» إلى ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٩. التوبة/٩١-٩٣.

١٠. التوبة/٨٧.

٢٠٠٨. المحاسن [١]: أَبِي، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: النَّاسُ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ وَمَنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ عَذَرَهُ اللَّهُ.

٢٠٠٩. المحاسن [٢]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ وَحَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [٣] قَالَ: حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسْخِطُهُ، وَقَالَ: ﴿فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواهَا﴾ [٤] قَالَ: بَيَّنَ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرُكُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [٥] قَالَ: عَرَّفْنَاهُ فَإِمَّا أَخَذَ وَإِمَّا تَرَكَ [٦].

وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [٧] قَالَ: يَشْتَهِي سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ وَقَلْبُهُ؛ أَمَّا إِنَّهُ هُوَ عَسَى شَيْءٌ [٨] مِمَّا يَشْتَهِي فَإِنَّهُ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُنْكِرٌ، لَا يَقْبَلُ الَّذِي يَأْتِي، يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ غَيْرُهُ [٩]. وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [١٠] قَالَ: نَهَاهُمْ عَنْ فِعْلِهِمْ [١١] فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَهُمْ يَعْرِفُونَ.

٢٠١٠. المحاسن [١٢]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام [١٣] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [١٤] قَالَ: عَلَّمَهُ السَّبِيلَ [١٥] فَإِمَّا آخِذٌ فَهُوَ شَاكِرٌ، وَإِمَّا تَارِكٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٥، ح ٢٤٢؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤٠٥، ح ١؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٦٠.

٢. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٨٩؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف، ص ١٦٣، ح ٣؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤١١، ح ٤.

٣. التوبة/١١٥.

٤. الشمس/٨.

٥. الإنسان/٣.

٦. في نسخة: فإما آخذ وإما تارك. (هامش المطبوع)

٧. الأنفال/٢٤.

٨. في المصدر: «إما أنه هو غشي شيئا».

٩. لم يرد في الكافي والتوحيد من «وسألته عن قول اللّه: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾» إلى «يعرف أن الحق غيره».

١٠. فصّلت/١٧.

١١. في الكافي والتوحيد: «عرّفناهم».

١٢. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٩٠؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٩٨؛ الكافي، ج ٢، باب الكفر، ص ٣٨٤، ح ٤.

١٣. في تفسير القمي بهذا الإسناد: «أخبرنا ابن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن أبي جعفر عليه السلام»، وفي الكافي: «علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد اللّه بن بكير، عن زرارة، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٤. الإنسان/٣.

١٥. لم يرد في تفسير القمي والكافي: «علّمه السبيل».

٢٠١١. المحاسن[١]: ابْنُ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ بَيَّاعِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا أَيُّوبُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ يُرَدُّ[٢] عَلَيْهِ الْحَقُّ حَتَّى يَصْدَعَ، قَبِلَهُ أَمْ تَرَكَهُ[٣]، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٤].

بيان:

«الصدع»: الإظهار والتبيين، وقال البيضاويّ في قوله: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيمحقه[٥]، وإنّما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرميّ، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاؤه المؤدّي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله، ومبالغة فيه. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك، والزهوق: ذهاب الروح، وذكره لترشيح[٦] المجاز[٧].

٢٠١٢. المحاسن[٨]: أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هَلْ جُعِلَ فِي النَّاسِ أَدَاةٌ يَنَالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَهَلْ كُلِّفُوا الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ عَلَى اللَّهِ الْبَيَانَ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَّا وُسْعَهَا[٩]. وَلَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا.

٢٠١٣. المحاسن[١٠]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَمُنُّ عَلَى قَوْمٍ وَمَا فِيهِمْ خَيْرٌ، فَيَحْتَجُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَيُلْزِمُهُمُ الْحُجَّةَ.

٢٠١٤. المحاسن[١١]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبْدِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يُعَرِّفَ بَاطِلاً حَقّاً، أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْحَقَّ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بَاطِلاً لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْبَاطِلَ فِي قَلْبِ الْكَافِرِ الْمُخَالِفِ حَقّاً لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ هٰذَا هٰكَذَا مَا عُرِفَ حَقٌّ مِنْ بَاطِلٍ.

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٩١؛ الحاشية على أُصول الكافي (للأسترآبادي)، ص ٢٠٥؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٣٣.

٢. في المصدر: «قد برز».

٣. في الحاشية على الكافي: «يصدع قلبه، قبِله أم لم يقبله»، وفي الصافي: «يصدع قلبه، قبِله أو تركه».

٤. الأنبياء/١٨.

٥. محقه: أبطله ومحاه، راجع لسان العرب.

٦. الترشيح: أن يؤتى في الاستعارة أو التشبيه أو المجاز المرسل بما يلائم المستعار منه أو المشبّه به أو المعنى الحقيقي، راجع الطراز الأول.

٧. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٤٨.

٨. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣٩٢؛ الكافي، ج ١، باب البيان والتعريف ولزوم الحجة، ص ١٦٣، ح ٥؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤١٤، ح ١١؛ وفي الأخيرين مع زيادة.

٩. في الكافي والتوحيد: «لا يكلف اللّه نفسا إلا وسعها».

١٠. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٣٩٣.

١١. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٣٩٤؛ الحاشية على أُصول الكافي (للعلوي العاملي)، ص ١٣١؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ٧٤، ح ٥١.

٢٠١٥. الخصال[١]: الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكُونِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ ظَبْيَانَ[٢] قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بِامْرَأَةٍ مَجْنُونَةٍ قَدْ فَجَرَتْ، فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَمَرُّوا بِهَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي‌طَالِبٍ عليه السلام، فَقَالَ: مَا هٰذِهِ؟ قَالُوا: مَجْنُونَةٌ فَجَرَتْ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ؛ قَالَ عليه السلام: لَا تَعْجَلُوا، فَأَتَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ؟

٢٠١٦. التوحيد، الخصال[٣]: الْعَطَّارُ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ: الْخَطَاءُ، وَالنِّسْيَانُ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَمَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ، وَالْحَسَدُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْوَسْوَسَةِ فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ يُنْطَقْ بِشَفَةٍ[٤].

بيان:

المراد بـ«الرفع» في أكثرها رفع المؤاخذة والعقاب، وفي بعضها يحتمل رفع التأثير، وفي بعضها النهي أيضاً، فأمّا اختصاص رفع الخطأ والنسيان بهذه الأُمّة فلعلّه لكون سائر الأُمم مؤاخذين بهما إذا كان مباديهما باختيارهم، على أنّه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع، فلا ينافي اشتراك البعض.

وأمّا «ما أُكرهوا عليه» فلعلّه كان يلزمهم تحمّل المشاقّ العظيمة فيما أُكرهوا عليه، وقد وسّع اللّه على هذه الأُمّة بتوسيع دائرة التقيّة. وأمّا «ما لا يعلمون» فرفع كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والمكان المغصوبين والثوب النجس، والسجود على الموضع النجس، وجهل الحكم في كثير من المسائل، والجهل بالأحكام التي لم تصل إلينا، ولعلّ سائر الأُمم كانوا يؤاخذون بالقضاء والإعادة، واللفظ وإن كان عامّاً لكنّه مختصّ بالإجماع بالموارد الخاصّة. وأمّا «ما لا يطيقون» فقد مرّ بيانه[٥].

وأمّا «الطيرة» ـ بكسر الطاء وفتح الياء وسكونها، وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديّ ـ فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها، بأن لا تكون منهيّاً عنها في الأُمم السالفة؛ ويحتمل أن يكون المراد تأثيرها، أو حرمة تأثّر النفس بها والاعتناء بشأنها، والأخير أظهر، وسيأتي بيانها[٦]. وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأوّلين وثالثاً وهو عدم حرمة ما لا يظهر من الحسد، وهو أظهر كما ورد في الأخبار: إلّا أنّ المؤمن لا يظهر الحسد.

---

١. الخصال، ج ١، ص ٩٣، ح ٤٠؛ وفي دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٤٥٦، ح ١٦٠٧، مع اختلاف العبارة؛ المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ٣.

٢. في المصدر: «أبي ظبيان».

٣. التوحيد (للصدوق)، ص ٣٥٣، ح ٢٤؛ الخصال، ج ٢، ص ٤١٧، ح ٩؛ تحف العقول، ص ٥٠.

٤. في التحف مع زيادة: «ولا لسان».

٥. بحار الأنوار، كتاب العقل والعلم، أبواب العلم، باب ما يمكن أن يستنبط من الآيات والأخبار.

٦. المصدر السابق، كتاب السماء والعالم، أبواب كليات أحوال العالم، باب آخر في النهي عن الاستمطار بالأنواء والطيرة والعدوى.

وأمّا «التفكّر في الوسوسة في الخلق»، ويحتمل أن يكون المعنى التفكّر فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفيّة خلقه، فإنّها معفوّ عنها ما لم يعتقد خلاف الحقّ، وما لم ينطق بالكفر الذي يخطر بباله، أو المراد التفكّر في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر، أو المراد التفكّر فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظنّ بهم في أعمالهم وأحوالهم، ويؤيّد الأخير كثير من الأخبار، وقد فصّلنا القول فيه في شرح روضة الكافي[١].

٢٠١٧. النوادر[٢]: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يُسْتَكْرَهُ عَلَى الْيَمِينِ فَيَحْلِفُ بِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ وَصَدَقَةِ مَا يَمْلِكُ، أَ يَلْزَمُهُ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: لَا. ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي مَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لَمْ يُطِيقُوا، وَمَا أَخْطَؤُوا.

العقائد[٣]: اعتقادنا في التكليف هو أنّ اللّه تعالى لم يكلّف عباده إلّا دون ما يطيقون كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤] والوسع دون الطاقة.

٢٠١٨. قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام[٥]: وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ اللَّهُ الْعِبَادَ[٦] إِلَّا دُونَ مَا يُطِيقُونَ، لِأَنَّهُ كَلَّفَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَكَلَّفَهُمْ فِي السَّنَةِ صِيَامَ ثَلَاثِينَ يَوْماً، وَكَلَّفَهُمْ فِي كُلِّ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَكَلَّفَهُمْ حَجَّةً وَاحِدَةً، وَهُمْ يُطِيقُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ.

٢٠١٩. الأمالي للشيخ الطوسي[٧]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى، عَنْ عَمَّيْهِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: يُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْحَفَظَةِ الْكِرَامِ[٨]: لَا تَكْتُبُوا عَلَى عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ ضَجَرِهِ[٩] شَيْئاً.

٢٠٢٠. نهج البلاغة[١٠]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ[١١]، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ.

---

١. مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٦٢.

٢. النوادر (للأشعري)، ص ٧٥، ح ١٦٠؛ المحاسن، ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١٢٤؛ وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ٢٣٧، ح ٢٩٤٦٩.

٣. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٢٨.

٤. البقرة/٢٨٦.

٥. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٢٨؛ في المحاسن، ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤٦٥، مع اختلاف يسير؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٣١، ح ٩.

٦. في الاعتقادات: «واللّه تعالى ما كلف العباد ...».

٧. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٧١، ح ١١٨٣؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٧٠؛ أعلام الدين، ص ٢٠٩.

٨. في مجموعة ورّام وأعلام الدين: «الكرام البررة».

٩. الضجر: القلق من الغم. وفلان ضجر: ضيّق النفس، راجع لسان العرب.

١٠. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٩، ح ١٥٧؛ غرر الحكم، ص ٥٤٥، ح ٢٩؛ عيون الحكم (لليثي)، ص ٤٠٤، ح ٦٨٢٨.

١١. أي كشف اللّه لكم عن الخير والشر وعرّفهما لكم إن استعملتم بصركم. وكذا فيما بعده. (هامش المطبوع)

٢٠٢١. وَقَالَ عليه السلام[١]: قَدْ أَضَاءَ[٢] الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ[٣].

٢٠٢٢. كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ[٤]: بِإِسْنَادِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّهُ لَيْسَ لِهَالِكٍ هَلَكَ مَنْ يَعْذِرُهُ[٥] فِي تَعَمُّدِ ضَلَالَةٍ حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا تَرْكِ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلَالَةً.

٢٠٢٣. المحاسن[٦]: أَبِي، عَنْ يُونُسَ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَيْسَ مِنْ بَاطِلٍ يَقُومُ بِإِزَاءِ الْحَقِّ إِلَّا غَلَبَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[٧].

٢٠٢٤. المحاسن[٨]: النَّوْفَلِيُّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُلُّ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ عَلَى رِيبَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمُشْكِلَةٍ مِنْ رَأْيِهِمْ[٩]، وَزَارِيٍّ[١٠] مِنْهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَقَدْ تَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنْ ذٰلِكَ بِمُقَايَسَةِ الْعَدْلِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ.

٢٠٢٥. تفسير العيّاشيّ[١١]: عَنْ زُرَارَةَ وَحُمْرَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: فِي آخِرِ الْبَقَرَةِ لَمَّا دَعَوْا أُجِيبُوا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قَالَ: مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾[١٢].

٢٠٢٦. تفسير العيّاشيّ[١٣]: عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْوَانَ الْخَزَّازِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: رُفِعَتْ عَنْ أُمَّتِي أَرْبَعُ خِصَالٍ: مَا أَخْطَؤُوا، وَمَا نَسُوا، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لَمْ يُطِيقُوا؛ وَذٰلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

---

١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٠١، ح ١٦٩؛ وفي الغارات، ج ١، ص ٣١٧، ضمن رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر «رحمه اللّه»؛ غرر الحكم، ص ٤٩٢، ح ٥١.

٢. في الغارات: «قد بيّن».

٣. أي تبيّن ووضح سبيل الهدى لمن كان له بصيرة في أمر الدنيا وفنائها، وبصيرة في الآخرة وبقائها. (هامش المطبوع)

٤. الغارات، ج ٢، ص ٣٤٢؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ١٢، ص ١٢؛ وفيهما ضمن خطبة.

٥. في المصدر: «مِن معذرةٍ».

٦. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٣٩٥؛ الكافي، ج ٨، ص ٢٤٢، ح ٣٣٤، (حديث الحق يغلب الباطل)؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٣٣.

٧. الأنبياء/١٨.

٨. المحاسن، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٣٩٦.

٩. في المحاسن: «من ورائهم».

١٠. زرى عليه: عابه وعاتبه، راجع لسان العرب.

١١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٠، ح ٥٣٣؛ وفي تفسير الصافي، ج ١، ص ٣١٠، مع نقصان؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٥٧٥، ح ١٥٨٤.

١٢. البقرة/٢٨٦.

١٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٠، ح ٥٣٤؛ الكافي، ج ٢، باب ما رفع عن الأُمة، ص ٤٦٢، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢١٨، ح٢١٤٠١.

قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[١]، وَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٢].

٢٠٢٧. تفسير العيّاشيّ[٣]: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ أَ تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا. فَقُلْتُ: يَقُولُ اللَّهُ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾[٤] قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[٥] قُلْتُ: فَعَابَهُمْ؟ قَالَ: لَمْ يَعِبْهُمْ بِمَا صَنَعَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلٰكِنْ عَابَهُمْ بِمَا صَنَعُوا[٦] وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّفُوا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ.

بيان:

أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنّما ترتّبت على أعمالهم السيّئة، فإنّما عاتبهم على أفعالهم التي صارت أسباباً لتلك الحالات؛ أو المعنى أنّ المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ما سلّطوا على أنفسهم من التعصّب والامتناع عن قبول الحقّ، لا شيء صنعه اللّه في قلوبهم وسمعهم وبصرهم.

٢٠٢٨. الكافي[٧]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ رَجُلٍ يَجِيءُ مِنْهُ الشَّيْءُ عَلَى حَدِّ الْغَضَبِ[٨] يُؤَاخِذُهُ اللَّهُ بِهِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَسْتَغْلِقَ عَبْدَهُ.

وَفِي نُسْخَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام: يَسْتَقْلِقَ عَبْدَهُ.

توضيح:

قوله عليه السلام: «من أن يستغلق عبده» أي يكلّفه ويجبره فيما لم يكن له فيه اختيار، قال الفيروزآباديّ: استغلقني في بيعته: لم يجعل لي خياراً في ردّه. قوله: «وفي نسخة أبي الحسن الأوّل عليه السلام: يستقلق» لعلّه كان الحديث في بعض الأُصول مرويّاً عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه كان «يستقلق» بالقاف من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب، ويرجع إلى الأوّل بتكلّف.

تذنيب:

قال السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه»: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا

---

١. البقرة/٢٨٦.

٢. النحل/١٠٦.

٣. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٥١، ح ٨٨؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٦٦؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٦٨٦، ح ٦٨٠٤.

٤. الكهف/١٠١.

٥. هود/٢٠.

٦. في المصدر: «قلت: يعاتبهم؟ قال: لم يعتبهم بما صنع قلوبهم ولكن يعاتبهم بما صنعوا».

٧. الكافي، ج ٨، ص ٢٥٤، ح ٣٦٠ (حديث إن اللّه أكرم من أن يعاقب العبد ...)؛ وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٢١٨، ح ٣٤٥٩٩.

٨. في الوسائل: «على جهة غضب».

كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[١] كيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم كان يسمع بأُذنه ويرى بعينه؟ قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن يكون المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحقّ، فأُسقطت الباء من الكلام، وذلك جائز، كما جاز في قولهم: لأجزينّك بما عملت، ولأجزينّك ما عملت؛ ولأُحدّثنّك بما عملت، ولأُحدّثنّك ما عملت.

والثاني: أنّهم لاستثقالهم استماع آيات اللّه وكراهتهم تذكّرها وتدبّرها وتفهّمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل: ما يستطيع فلان أن ينظر لشدّة عداوته إلى فلان، وما يقدر أن يكلّمه. ومعنى ﴿**مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ أنّ إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمّل آيات اللّه تعالى وتدبّرها، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه.

والثالث: أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم، وتقدير الكلام: أُولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب، ثمّ قال مخبراً عن الآلهة: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ وهذا الوجه يروى عن ابن عبّاس، وفيه أدنى بعد. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون ﴿**مَا**﴾ في قوله: ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ**﴾ ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم: لأُواصلنّك ما لاح نجم[٢]، ويكون المعنى: أنّ العذاب يضاعف لهم في الآخرة ﴿**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾ أي أنّهم معذّبون ما كانوا أحياءً[٣].

وقال «رحمه اللّه» في تأويل قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا**﴾[٤] قيل: المراد بـ﴿**نَسِينَا**﴾ تركنا، قال قطرب: معنى النسيان هاهنا الترك، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**﴾[٥] أي ترك، ولو لا ذلك لم يكن فعله معصية، وكقوله تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[٦] أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته، وقد يقول الرجل لصاحبه: لا تنسني من عطيّتك أي لا تتركني منها.

وقد يمكن في الآية وجه آخر وهو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم، ويكون وجه الدعاء بذلك

---

١. هود/ ٢٠.

٢. لاح النجم: بدا، راجع لسان العرب. (مادة لوح)

٣. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ١، ص ٥٥٠.

٤. البقرة/ ٢٨٦.

٥. طه/ ١١٥.

٦. التوبة/ ٦٧.

ما قد بيّنّاه فيما تقدّم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى اللّه والاستغاثة به وإن كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله، ويجري مجرى قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[١]، وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إذا كان الخطاء ما وقع سهواً أو عن غير عمد، فأمّا على ما يطابق الوجه الأوّل فقد يجوز أن يريد بالخطاء ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيّئ، وعن جهل بأنّها معاص، لأنّ من قصد شيئاً على اعتقاده أنّه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال: قد أخطأ، فكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه متعمّدين من غير سهو ولا تأويل، وممّا أقدموا عليه مخطئين متأوّلين.

ويمكن أيضاً أن يريد بـ﴿أَخْطَأْنَا﴾ هاهنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً، وإن كانوا له متعمّدين وبه عالمين، لأنّ جميع معاصينا للّه تعالى قد يوصف كلّها بأنّها خطأ من حيث فارقت الصواب، وإن كان فاعلها متعمّداً، وكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه من الواجبات، وممّا فعلوه من المقبّحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب، واللّه أعلم بمراده[٢].

---

١. البقرة/٢٨٦.

٢. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ج ٢، ص ١٣١.

﴿باب ١٤﴾

«علّة خلق العباد وتكليفهم، والعلّة التي من أجلها جعل اللّه في الدنيا اللذّات والآلام والمحن»

الآيات:

الحجر/٨٥: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ...﴾

الأنبياء/١٦-١٨: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

المؤمنون/١١٥: ﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]

---

١. **نقول:** هنا يطرح بحث وهو: الموت ليس نهاية الحياة:

إن من بين الأدلة المطروحة لإثبات المعاد والعالم الآخر هي مطالعة نظام هذا العالم، أو بتعبير آخر: إن دراسة النشأة الأُولى شاهد على وجود النشأة الأُخرى. ومن الضروري إيضاح ذلك بنحو أوسع هنا. فمن جهة نرى عالم الوجود بهذه السعة والعظمة والتنظيم المدهش، حتى اعترف كبار العلماء بأن أسرار العالم بقدر يقف الإنسان عاجزا إزاءها، فإن معلوماته مهما كانت لا تشكّل سوى صفحة من كتاب كبير جدا، بل إن معلوماتنا عن هذا الوجود ما هي إلا ألفباء لهذا الكتاب العظيم التأليف والأسرار. فكل واحدة من هذه المجرّات العظيمة تضمّ مليارات من الكواكب، وعدد المجرّات والفواصل بينها كبير بدرجة تثير الدهشة حين حساب المسافة بينها بسرعة الضوء، علما بأن سرعة الضوء تبلغ ثلاثمائة ألف كيلومترا في الثانية.

والدقة المستخدمة في بناء أصغر وحدة من هذا العالم هي ذاتها التي استخدمت في أوسع بناء فيه. والإنسان ـ بحسب علمنا ـ أكمل المخلوقات التي نعرفها في الوجود، وهو أسمى نتاج لهذا العالم، ومن جهة أُخرى يلاقي الآلام والمشاكل الكثيرة خلال عمره القصير حتى يبلغ أشده! فما يكاد ينهي مرحلة الطفولة بآلامها ومشاكلها ويتنفّس الصعداء منها حتى يدخل مرحلة الصبا والشباب بتقلّباتها الشديدة المدمّرة. وما يكاد يثبت قدميه بعد في هذه المرحلة حتى تدهمه مرحلة جديدة مفعمة بألوان الأذى وأنواع المصاعب، هي مرحلة الكهولة والشيخوخة، فيتّضح له مدى ضعفه وعجزه. فهل يصدق أن يكون هدف هذا الكائن العظيم الأُعجوبة في الخلق، الذي يسمى الإنسان، يأتي ←

الفرقان/٧٧: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾

الروم/٨: ﴿أَ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾

الروم/٤١: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

الأحزاب/٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾

ص/٢٧: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾

الزمر/٥: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ...﴾

الشورى/٣٠: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[1]

← هو أن إلى هذا العالم ليقضي عددا من السنين، وليمرّ بكل هذه المراحل بما فيها من آلام ومصاعب، وليأكل مقدارا من الطعام ويلبس لباسا وينام وينهض ثم يموت وينتهي كل شيء.

وإذا كانت هذه هي الحقيقة، ألا يعني هذا عبثا؟ أتكون كل هذه التشكيلات العظيمة من أجل غاية دنيئة كالأكل والشرب والنوم؟ افرضوا بقاء نوع الإنسان ملايين السنين في هذه الدنيا، وتتعاقب الأجيال، وترتقي العلوم المادية فتوفّر أفضل المأكل والملبس والمسكن وأعلى مستوى من الرفاهية للبشر، أتكون تشكيلات الوجود كله من أجل هذه المقاصد الدنيا؟ وعلى هذا فإن دراسة هذا العالم العظيم لوحده دليل على كونه مقدمة لعالم أوسع يمتاز بالدوام الخالد، ويعطي الإيمان به حياتنا معناها اللائق بها، ويخلصها من التفاهات.

ولهذا لا نستغرب من تصور الفلاسفة الماديين الذين لا يعتقدون بالقيامة والآخرة أن هذا العالم تافه لا هدف له. ولو كنا نحن نعتقد بمثل هذا فحسب لاتّجهنا نفس اتّجاههم. ولهذا نؤكد أنه إذا كان الموت نقطة النهاية فخلق الوجود يصبح أمرا تافها، لهذا نقرأ في الآية (٦٦) من سورة الواقعة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾؟ (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٠، ص ٥٢٩)

١. **نقول:** هنا ملاحظات في علة المصائب: ومن الضروري الانتباه إلى بعضها الواردة في هذه الآية:

١. تبيّن هذه الآية وبوضوح أن المصائب التي تصيب الإنسان هي نوع من التحذير والعقاب الإلهي، بالرغم من وجود بعض الاستثناءات التي سنشير إليها فيما بعد.

وبهذا الترتيب سيتوضح لنا جانب من فلسفة الحوادث المؤلمة والمشاكل الحياتية. والطريف في الأمر أننا نقرأ في حديث عن الإمام علي عليه السلام أنه نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «خير آية في كتاب اللّه هذه الآية، يا علي ما من خدش عود، ولا نكبة قدم إلا بذنب، وما عفى اللّه عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثني على عبده». وهكذا فإن هذه المصائب إضافة إلى أنها تقلل من حمل الإنسان، فإنها تجعله يتزن في المستقبل.

٢. بالرغم من عمومية الآية وشمولها كل المصائب، لكن توجد استثناءات لكل عامّ، مثل المصائب والمشاكل التي أصابت الأنبياء والأئمة ←

الدخان/٣٨ و٣٩: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

← المعصومين عليهم السلام بهدف الاختبار أو رفع مقامهم. وأيضا المصائب بهدف الاختبار التي تشمل غير المعصومين، أو المصائب التي تحدث بسبب الجهل أو عدم الدقة في الأُمور وعدم الاستشارة والتساهل والتي هي آثار تكوينية لأعمال الإنسان نفسه.

وبعبارة أُخرى: فإن الجمع بين الآيات القرآنية المختلفة والأحاديث يقتضي التخصيص في بعض الموارد بالنسبة لهذه الآية العامة، وليس هذا موضوعا جديدا ليكون محل نقاش بعض المفسرين. وخلاصة القول فإن هناك غايات مختلفة للمصائب والمشاكل التي تصيب الإنسان، حيث تمت الإشارة إليها في المواضيع التوحيدية وبحوث العدل الإلهي. فالملكات تنمو وتتكامل تحت ضغط المصائب، ويكون هناك حذر بالنسبة للمستقبل، ويقظة من الغرور والغفلة وكفارة للذنب و... وبما أن أغلب أعمال الأفراد لها طبيعة جزائية وتكفيرية، لذا فإن الآية تطرح ذلك بشكل عام. ولذا فقد ورد في الحديث أنه وعند ما دخل علي بن الحسين عليهما السلام على يزيد بن معاوية، نظر إليه يزيد وقال: يا علي، ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ـ إشارة إلى أن مأساة كربلاء هي نتيجة أعمالكم ـ إلا أن الإمام عليه السلام أجابه مباشرة: «كلا، ما نزلت هذه فينا، إنما نزل فينا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد/٢٢ و٢٣)، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا، ولا نفرح بما أُوتينا».

وننهي هذا الكلام بحديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، فعند ما سئل عن تفسير الآية أعلاه قال: تعلمون أن عليا وأهل بيته قد أُصيبوا بالمصائب من بعده، فهل كان ذلك بسبب أعمالهم؟ في حين أنهم أهل بيت الطهر والعصمة من الذنب، ثم أضاف: نص إن رسول اللّه كان يتوب إلى اللّه ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب، إن اللّه يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب.

٣. البعض يشكّك في أن يكون المقصود من المصائب في هذه الآية مصائب الدنيا، لأن الدنيا هي دار العمل وليس دار الثواب والجزاء. وهذا خطأ كبير، لوجود آيات وروايات متعددة تؤكد أن الإنسان يرى أحيانا جانبا من نتيجة أعماله في هذه الدنيا، وما يقال من أن الدنيا ليست دارا للجزاء ولا تتم فيها تصفية جميع الحسابات، لا يعني عدم الجزاء بشكل مطلق، حيث أن إنكار هذه الحقيقة يشبه إنكار البديهيات، كما يقول المطّلعون على المفاهيم الإسلامية.

٤. أحيانا قد تكون المصائب جماعية، وبسبب ذنوب الجماعة، كما نقرأ في الآية (٤١) من سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وواضح أن هذا يختص بالمجتمعات الإنسانية التي أُصيبت بالمصائب بسبب أعمالها. وورد في الآية (١١) من سورة الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. وهذه الآيات تدل على وجود ارتباط وعلاقة قريبة بين أعمال الإنسان والنظام التكويني للحياة، فإذا سار الناس وفقا لأُصول الفطرة وقوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهية، وعند فسادهم يفسدون حياتهم. وأحيانا قد يصدق هذا الأمر بخصوص آحاد الناس، فكل إنسان سيصاب في جسمه وروحه أو أمواله ومتعلقاته الأُخرى بسبب الذنب الذي يرتكبه، كما جاء في الآية أعلاه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٥٣٥)

مسائل مهمّة

الأُولى: مصائبكم بما كسبت أيديكم: يتصور العديد من الناس أن علاقة أعمال الإنسان بالجزاء الإلهي مثل العقود الدنيوية وما تحتويه من الأجر والعقاب، في حين قلنا مرارا إن هذه العلاقة أقرب ما تكون إلى الارتباط التكويني منه إلى الارتباط التشريعي. وبعبارة أُخرى فإن الأجر والعقاب أكثر ما يكون بسبب النتيجة الطبيعية والتكوينية لأعمال الإنسان حيث يشملهم ذلك.

الثانية: اشتباه كبير: قد يستنتج البعض بشكل خاطئ من هذه الحقيقة القرآنية ويقول بوجوب الاستسلام لأيّ حادثة مؤسفة، إلا أن هذا الأمر

←

الجاثية/٢٢: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

الأحقاف/٣: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ...﴾

الذاريات/٥٦ و٥٧: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[1]

← خطير للغاية، لأنه يستفيد من هذا الأصل القرآني التربوي بشكل معكوس ويستنتج نتيجة تخديرية. فالقرآن لا يقول أبدا بالاستسلام حيال المصائب وعدم السعي لحل المشاكل، والركون للظلم والجور والمرض، بل يقول: إذا شملتك المصائب بالرغم من سعيك ومحاولاتك لدفعها، فاعلم أن ذلك هو كفارة الذنوب التي قمت بها وارتكبتها، عليك أن تفكّر بأعمالك السابقة، وتستغفر لذنوبك، وتصلح نفسك وتكتشف نقاط ضعفك.

وإذا ورد في الروايات أن هذه الآية من أفضل آيات القرآن، فذلك بسبب تأثيرها التربوي المهم، ومن جانب آخر تقوم بتخفيف هموم الإنسان، وتعيد الأمل وعشق الخالق إلى قلبه وروحه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٥٣٨ و٥٣٩)

١. **نقول:** في هذه الآية نكتة: الحكمة من الخلق في نظر الفلسفة:

قلّ أن نجد من لا يسأل نفسه أو غيره عن الهدف من خلق الإنسان فدائما تولّد جماعة وتمضي جماعة أُخرى وتنطفئ إلى الأبد، فما المراد من هذا المجيء والذهاب؟! والحق أننا كأُناس لو لم نكن نعيش على وجه هذه الكرة الأرضية فما ذا سيحدث؟ وهل يجب علينا أن نعرف لم نأتي ولم نمضي؟ ولو أردنا أن نعرف السرّ فهل نستطيع ذلك؟ وهكذا تترى الأسئلة الأُخر على فكر الإنسان وتحيط به، وعند ما يطرح هذا السؤال من قبل الماديين فالظاهر أنهم لا جواب لهم عليه، لأن المادة أو الطبيعة ليس لها عقل ولا شعور حتى يكون لها هدف لذلك، فقد أراحوا أنفسهم من هذا السؤال وهم يعتقدون بعبثية الخلق وأنه لا هدف من ورائه!

وكم هو مثير ومقلق أن يتخذ الإنسان لجزئيات حياته سواء أكانت للعمل أم الكسب أو الصحة أو الرياضة أهدافا منظمة، وأن يعتقد أن الحياة بمجموعها ضرب من العبث واللغو؟ لذلك فلا مجال للعجب أن جماعة من الماديين حينما يفكّرون في هذه المسائل يتركون هذه الحياة التي لا هدف ورائها ويقدّمون على الانتحار. إلا أن هذا السؤال حين يلقيه معتقد باللّه، فإنه لا يواجه طريقا مسدودا، لأنه يعلم أن خالق هذا العالم حكيم وقد خلق هذا العالم عن حكمة حتما وإن جهلناها، وهذا من جانب، ومن جانب آخر حين يرى أعضاءه عضوا عضوا يجد لكل فلسفة وحكمة وهدفا، لا الأعضاء المهمة ظاهرا، كالقلب واللسان والعروق والأعصاب بل حتى الأظفار وخطوط اليد والبنان وتقوّس القدم أو هيأة اليد وفسلجتها كل له فلسفة يعرفها العلم الحديث المعاصر. فإلى أيّ درجة من السذاجة أن يرى لجميع هذه الأعضاء أهدافا إلا أن المجموع يكون بلا هدف! وأيّ قضاء متهافت أن نجد لكل بناء في المدينة فلسفة خاصة إلا أننا نقضي على المدينة بأنها لا فلسفة فيها ولا هدف من ورائها!

ترى هل من الممكن أن يبني مهندس ما بناء عظيما فيه الغرف والأبواب والنوافذ والأحواض والحدائق والديكورات وكل من هذه الأُمور هو لأمر خاص ولهدف معين، إلا أن مجموع البناء لا هدف من ورائه؟! هذه الأُمور هي التي تمنح المؤمن باللّه والمعتقد به الاطمئنان بأن خلقه له هدف عظيم، وعليه أن يسعى ويجدّ حتى يكتشفه بقوة العقل والعلم.

والعجيب أن أصحاب نظرية العبث في الخلق حين يردون أيّة زاوية من زوايا العلوم الطبيعية يبحثون عن الهدف لتفسير الظواهر المختلفة ولا يهدؤون حتى يجدوا الهدف! حتى أنهم لا يرتضون أن تبقى غدّة صغيرة في بدن الإنسان دون عمل وغاية، ولربما يقضون سنوات بالبحث ←

القيامة/٣٦: ﴿أَ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

← عن الحكمة من وجود مثل هذه الغدّة، إلا أنهم حين يبلغون أصل خلق الإنسان يقولون بصراحة: لا هدف من ورائه.

فما أعجب هذا التناقض! وعلى كل حال فالإيمان بحكمة اللّه تعالى من جانب، وملاحظة فلسفة أجزاء وجود الإنسان من جانب آخر، كل ذلك يدعونا إلى الإيمان أن وراء خلق الإنسان هدفا كبيرا.

والآن ينبغي علينا أن نبحث عن هذا الهدف وأن نحدّده ما بوسعنا، وأن نسير في منهاجه اللاحب. إن ملاحظة عدّة مقدمات يمكن لها أن تسلط الأضواء على هدفنا للكشف عن هذا المجهول المظلم.

١. نحن دائما نقصد في أعمالنا إلى هدف ما، وعادة يكون هذا الهدف إشباع حاجة ورفعها وإتمام النواقص. وحتى الخدمة للآخرين أو إنقاذ مبتلى من بلائه، أو قمنا بعمل إنساني وآثرنا سوانا على أنفسنا فذلك أيضا نوع من الحاجات المقدسة، وبرفعها نزداد معنوية وكمالا. ولما كنّا نقيس أحيانا صفات اللّه مع أنفسنا فقد يخطر مثل هذا التصور وهو ما هي الحاجة عند اللّه حتى ترتفع بخلقنا؟ أو إذا كانت الآيات الآنفة تقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فنقول: ما هي حاجته إلى العبادة مع أن هذه التصورات ناشئة من المقايسة بين صفات الخالق والمخلوق والواجب والممكن؟! وحيث أن وجودنا محدود، فإننا نسعى وراء إشباع حاجاتنا، وأعمالنا جميعها تقع في هذا المسير، إلا أن هذا غير وارد في وجود مطلق، فينبغي البحث عن هدف أفعاله في غير وجوده، فهو عين فيّاضة ومبدأ النعمة الذي يكتنف الموجودات في كنف حمايته ورعايته وإنمائه والسلوك بها إلى الكمال، وهذا هو الهدف الواقعي لعبوديتنا، وهذه فلسفة عباداتنا وابتهالاتنا، فهي جميعا دروس تربوية لتكاملنا. وأساسا فإن أصل الخلق هو خطوة تكاملية عظيمة، أي مجيء الشيء من العدم إلى الوجود، ومن الصفر إلى مرحلة العدد. وبعد هذه الخطوة التكاملية العظيمة تبدأ مراحل تكاملية أُخرى، فجميع المناهج الدينية والإلهية تسلك بالإنسان في هذا المسير!

٢. وهنا ينقدح هذا السؤال، وهو إذا كان الهدف من الخلق هو الجود على العباد من المعبود لا النفع للخالق، وهذا الجود يتمثّل في تكامل الناس، فلم لم يخلق اللّه الجواد الكريم العباد كاملين من البداية ليكونوا في جواره وقربه وأن يتمتعوا ببركات قربه وجوار ذاته المقدسة! والجواب على هذا السؤال واضح، فتكامل الإنسان ليس أمرا يمكن خلقه بالإجبار، بل هو طريق طويل مديد، وعلى الناس أن يسيروه ويجوبوه ويقطّعوه بإرادتهم وتصميمهم وأفعالهم الاختيارية. فمثلا لو أخذ مال باهظ قسرا من أحد لبناء مستشفى، فهل لهذا العمل من أثر تكاملي روحي وأخلاقي في نفسه؟ قطعا لا! لكن لو أعطى بمحض إرادته ورغبته وميله النفسي ولو درهما واحدا لهذا الهدف المقدّس فإنه يخطو في طريق التكامل الأخلاقي والروحي بتلك النسبة التي ساهم فيها. ويستفاد من هذا الكلام أن على اللّه أن يبيّن لنا هذا المسير بأوامره وتكاليفه ومناهجه التربوية بواسطة أنبيائه والعقل ليتم الإبلاغ بذلك، فنعرف هذا المسير التكاملي ونطويه باختيارنا وإرادتنا.

٣. وينقدح هنا سؤال آخر أيضا وهو أن كل هذا حسن، فالهدف من خلقنا هو التكامل الإنساني، أو بتعبير آخر القرب من اللّه وحركة الوجود الناقص نحو الوجود الكامل الذي لا نهاية له، إلا أنه ما الهدف من هذا التكامل؟ والجواب يتّضح بهذه الجملة أيضا وهو أن التكامل هو الهدف النهائي أو بتعبير آخر: غاية الغايات.

وتوضيح ذلك: لو سألنا طالب المدرسة علام تدرس أو لم تدرس؟ فيجيب حتى أدخل الجامعة. ولو سألناه ثانية ما تستفيد من الجامعة؟ فيقول: مثلا سأكون طبيبا أو مهندسا جديرا. فنقول له: ما تصنع بشهادة الدكتوراه أو الهندسة؟ فيقول: لأبرز نشاطاتي وفعالياتي الإيجابية المثبتة ولكي يكون ربح وفير! فنقول له: ما تصنع بالربح الوفير؟ فيقول: لتكون حياتي منعمة وأعيش مكرما ومرفّها. وأخيرا نوجّه إليه هذا السؤال لم تريد الحياة المنعمة؟ وهنا نراه يجيب بلحن آخر فيقول: حسن، لتكون حياتي منعمة وأعيش مكرما ومرفّها علي، أي إنه يكرّر جواب السؤال السابق! وهذا دليل على أن ذاك هو الجواب النهائي، وكما يصطلح عليه بأنه غاية الغايات لعمله، وليس وراءه جواب آخر! وإنه

←

تفسير:

قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ وإنّما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظّار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أُمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتشبّثوا[١] بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغترّوا بزخارفها، فإنّها سريعة الزوال. ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً**﴾ ما يتلهّى به ويلعب، ﴿**لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا**﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة، كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها[٢]، وتسوية الفروش وتزيينها؛ وقيل: اللهو: الولد بلغة اليمن؛ وقيل: الزوجة، والمراد الردّ على النصارى. ﴿**إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ ذلك، ويدلّ على جوابه الجواب المتقدّم؛ وقيل: «إن» نافية، والجملة كالنتيجة للشرطيّة، ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**﴾ الذي من عداد اللهو، ﴿**فَيَدْمَغُهُ**﴾ فيمحقه، ﴿**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ هالك[٣]. انتهى[٤].

← هو الهدف النهائي.

كل هذا هو في المسائل المادية وهكذا الحال في الحياة المعنوية، فحين يسأل علام مجيء الأنبياء ونزول الكتب من السماء، ولم هذه التكاليف الشرعية والمناهج التربوية؟ فنجيب: للتكامل الإنساني والقرب من اللّه. وإذا سألوا: ما المراد من التكامل الإنساني والقرب من اللّه؟ نقول: هو القرب من اللّه، أي أن هذا هو الهدف النهائي، وبتعبير آخر أننا نريد كل شيء للتكامل والقرب من اللّه، وأما القرب من اللّه فلنفسه، أي للقرب من اللّه.

٤. وينقدح مرة أُخرى هذا السؤال أنه ورد في حديث قدسي قوله تعالى: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أُعرف وخلقت الخلق لكي أُعرف». فما علاقة هذا الحديث بما ذكرتم آنفا؟ فنجيب على ذلك: إنه بغضّ النظر عن أن هذا الحديث من باب خبر الواحد، ولا يعتد بخبر الواحد في المسائل الاعتقادية، فإن مفهوم هذا الحديث أن معرفة اللّه هي الوسيلة لتكامل الخلق، أي أن اللّه أحب أن يستوعب فيض رحمته كل مكان، فلذلك خلق الخلق وعلّمهم طريقه وسبيل معرفته ليسيروا نحو التكامل والكمال! لأن معرفة اللّه رمز تكاملهم.

أجل، إن على العباد أن يعرفوا أن ذات اللّه هي منبع جميع الكمالات، ويسترفدوا لأنفسهم من كمالاته ويستلهموا منه في وجودهم ليشرق في وجودهم ومض من صفات كماله وجلاله، فالتكامل والقرب من اللّه لا يتحققان إلا عن طريق التخلق بأخلاقه، وهذا التخلق فرع معرفته؛ فلاحظوا بدقة.

٥. وبملاحظة ما ذكرناه آنفا فإننا نقترب من النتائج فنقول: إن عبادة اللّه والعبودية له يعينان السير في ما يرتضيه وأن نستودعه أرواحنا ونعشقه بقلوبنا وأن نتخلق بأخلاقه. وإذا كانت الآيات المتقدمة قد ذكرت العبادة على أنها الهدف النهائي، فمفهومها هو هذا، أي أنه بتعبير آخر هو التكامل الإنساني. أجل، إن الإنسان الكامل هو العبد المخلص للّه. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ١٣٦)

١. التشبّث: التعلق بالشيء ولزومه وشدة الأخذ به، راجع لسان العرب.

٢. زوّق الشيء: طلاه (لطخه) بالزاووق (وهو يشبه الفضة الذائبة)، راجع شمس العلوم.

٣. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٤٧.

٤. قال الرضي «رحمه اللّه» [في تلخيص البيان، ص ١٨١]: وهذه استعارة، لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يرجم بها، ←

قوله تعالى: ﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ استدلال على البعث بأنّ لذّات هذه الدار الفانية لا تليق بأن تكون مقصودة لخلق هذه العالم مع هذه الآلام والمشاقّ والمصائب المشاهدة فيها، فلو لم يكن لاستحقاق دار أُخرى باقية خالية عن المحن[١] والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي ما يصنع بكم أو لا يعتدّ بكم لو لا دعاؤكم إلى الدين، أو لو لا عبادتكم، أو لو لا دعاؤكم للّه عند الشدائد، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ قيل: هي التكليف بالأوامر والنواهي، والمعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام كانت ذا شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته، لا جرم فإنّ الراعي لها بخير الدارين، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ حيث لم يراع حقّها، ﴿جَهُولاً﴾ بكنه عاقبتها؛ وقيل: المراد الطاعة التي تعمّ الاختياريّة والطبيعيّة، و«عرضها»: استدعاؤها الذي يعمّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها. و«الظلم» و«الجهالة»: الخيانة والتقصير؛ وقيل: إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها: إنّي فرضت فريضة وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخّرات على ما خلقنا لا نحتمل فريضة، ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً؛ ولمّا خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّل ما يشقّ عليها، جهولاً بوخامة عاقبته؛ وقيل: المراد بالأمانة العقل أو التكليف، وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ، وبإبائهنّ الإباء الطبيعيّ الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليّته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة[٣].

الروايات:

٢٠٢٩. علل الشرائع[٤]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ،

← كالحجارة وغيرها، فجعل سبحانه إيراد الحقّ على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكّه ويدمغ ما مسّه، ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل ـ وفي الاستعارة حقّها وأعطاها واجبها ـ فقال سبحانه: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ ولم يقل: فيذهبه ويبطله، لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال على طريق الغلبة والاستعلاء، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه، والدماغ مقتل، ولذلك قال سبحانه من بعد: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ والزاهق: الهالك. (هامش المطبوع)

١. المحن بالكسر: جمع محنة وهي البلية والمصيبة، راجع تاج العروس.

٢. في المصحف الشريف: ﴿وَأَنَّكُمْ ...﴾.

٣. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٢٤٠.

٤. علل الشرائع، ج ١، ص ٩، ح ١؛ كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٣٢٨؛ نزهة الناظر (للحلواني)، ص ٨٠، ح ٣.

عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ[٢] إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ.

قال الصدوق «رحمه اللَّه»: يعني بذلك أن يعلم أهل كلّ زمان أنّ اللَّه هو الذي لا يخلّيهم في كلّ زمان من إمام معصوم، فمن عبد ربّاً لم يقم لهم الحجّة فإنّما عبد غير اللَّه عزّ وجلّ.

بيان:

يحتمل أن يكون المراد أنّ معرفة اللَّه تعالى إنّما ينفع مع سائر العقائد التي منها معرفة الإمام، أو أنّ معرفة اللَّه إنّما يحصل من معرفة الإمام، إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى.

٢٠٣٠. علل الشرائع[٣]: الطَّالَقَانِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْجَلُودِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْجَوْهَرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْهُمْ سُدًى[٤]، بَلْ خَلَقَهُمْ لِإِظْهَارِ قُدْرَتِهِ، وَلِيُكَلِّفَهُمْ طَاعَتَهُ فَيَسْتَوْجِبُوا بِذٰلِكَ رِضْوَانَهُ، ومَا خَلَقَهُمْ لِيَجْلِبَ مِنْهُمْ مَنْفَعَةً، ولَا لِيَدْفَعَ بِهِمْ مَضَرَّةً، بَلْ خَلَقَهُمْ لِيَنْفَعَهُمْ ويُوصِلَهُمْ إِلَى نَعِيمِ الْأَبَدِ[٥].

٢٠٣١. علل الشرائع[٦]: أَبِي، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ هَارُونَ، عَنِ ابْنِ زِيَادٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّا خُلِقْنَا لِلْعَجَبِ! قَالَ: ومَا ذَاكَ؟ اللَّهَ أَنْتَ[٧]، قَالَ: خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ؟ فَقَالَ: مَهْ يَا ابْنَ أَخِ، خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ، وكَيْفَ تَفْنَى جَنَّةٌ لَا تَبِيدُ ونَارٌ لَا تَخْمُدُ؟ ولٰكِنْ قُلْ: إِنَّمَا نَتَحَوَّلُ[٨] مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ.

٢٠٣٢. علل الشرائع[٩]: الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ ضُرَيْسٍ الْبَجَلِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ السُّكَّرِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ

---

١. في كنز الفوائد بهذا الإسناد: «أبو المرجى محمد بن علي بن طالب، عن عبد الواحد بن عبد اللَّه الموصلي، عن محمد بن همّام بن سهل، عن عبد اللَّه بن جعفر الحميري، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن ابن أبي عمير، عن أبي علي الخراساني، عن عبد الكريم بن عبد اللَّه، عن مسلمة بن عطاء، عن أبي عبد اللَّه الإمام الصادق عليه السلام».

٢. في كنز الفوائد: «إنّ اللَّه واللَّه ما خلق العباد».

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٩، ح ٢؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤١٢.

٤. سدى: يترك مهملا غير مأمور وغير منهي، راجع لسان العرب.

٥. في الصافي: «يوصلهم إلى نعيمة».

٦. علل الشرائع، ج ١، ص ١١، ح ٥؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤١٢.

٧. في المصدر: «للَّه أنت».

٨. في المصدر: «نتحرك».

٩. علل الشرائع، ج ١، ص ١٣، ح ٩؛ الجواهر السنيّة، ص ١٢٩.

بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ سَلَّامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ سَلَّامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: فِي صُحُفِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام: يَا عِبَادِي إِنِّي لَمْ أَخْلُقِ الْخَلْقَ[1] لِأَسْتَكْثِرَ بِهِمْ مِنْ قِلَّةٍ، ولَا لِآنَسَ بِهِمْ مِنْ وَحْشَةٍ، ولَا لِأَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى شَيْءٍ عَجَزْتُ عَنْهُ، ولَا لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ، ولَا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ، ولَوْ أَنَّ جَمِيعَ خَلْقِي مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَتِي وَعِبَادَتِي لَا يَفْتُرُونَ[2] عَنْ ذٰلِكَ لَيْلاً ولَا نَهَاراً مَا زَادَ ذٰلِكَ فِي مِلْكِي شَيْئاً، سُبْحَانِي وتَعَالَيْتُ عَنْ ذٰلِكَ.

٢٠٣٣. علل الشرائع[3]: السِّنَانِيُّ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنِ النَّخَعِيِّ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] قَالَ: خَلَقَهُمْ لِيَأْمُرَهُمْ بِالْعِبَادَةِ، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ولِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5] قَالَ: خَلَقَهُمْ لِيَفْعَلُوا مَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ رَحْمَتَهُ فَيَرْحَمَهُمْ.

بيان:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لم أخلق الجنّ والإنس إلّا لعبادتهم إيّاي، فإذا عبدوني استحقّوا الثواب. وقيل: إلّا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة، و«اللام» لام الغرض، والمراد أنّ الغرض في خلقهم تعريض الثواب، وذلك لا يحصل إلّا بأداء العبادات، فصار كأنّه سبحانه خلقهم للعبادة، ثمّ إنّه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم، فإنّه لا ينسب إلى السفه ويصحّ غرضه، فإنّ الأكل موقوف على اختيار الغير، وكذلك المسألة، فإنّ اللّه إذا أزاح علل المكلّفين من القدرة والآلة والألطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أُتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه؛ وقيل: معناه: إلّا ليقرّوا بالعبوديّة طوعاً وكرهاً.

ثمّ قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[6] لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى، فبيّن أنّه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لأنّه غنيّ بنفسه، غير محتاج إلى غيره، وكلّ

---

١. لم يرد في المصدر: «الخلق».

٢. لا يفترون: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة، راجع تاج العروس.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ١٣، ح ١٠؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٧٥؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٨٤، ح ١٩٧.

٤. الذاريات/٥٦.

٥. هود/١١٨ و١١٩.

٦. الذاريات/٥٧.

الخلق محتاجون إليه. وقيل: معناه: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي، وإنّما أسند الطعام إلى نفسه، لأنّ الخلق كلّهم عيال اللّه، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه[١].

٢٠٣٤. علل الشرائع[٢]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قَالَ: خَلَقَهُمْ لِلْعِبَادَةِ، قُلْتُ: خَاصَّةً أَمْ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، بَلْ عَامَّةً.

بيان:

لمّا توهّم الراوي أنّ معنى الآية أنّ الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلّف الغرض في الكفّار، فلهذا سأل ثانياً أنّ هذا خاصّ بالمؤمنين، أو عامّ لجميع الخلق؟ فأجاب عليه السلام بأنّه عامّ، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع.

٢٠٣٥. علل الشرائع[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ[٤] قَالَ: إِنَّمَا جُعِلَتِ الْعَاهَاتُ[٥] فِي أَهْلِ الْحَاجَةِ لِئَلَّا يَسْتَتِرُوا[٦] ولَوْ جُعِلَتْ فِي الْأَغْنِيَاءِ لَسُتِرَتْ[٧].

٢٠٣٦. الأمالي للصدوق[٨]: الْعَطَّارُ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ ولَمْ يَجِدْ مَا يُكَفِّرُهَا بِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِالْحُزْنِ فِي الدُّنْيَا لِيُكَفِّرَهَا، فَإِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ بِهِ وإِلَّا أَسْقَمَ بَدَنَهُ لِيُكَفِّرَهَا بِهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ بِهِ وإِلَّا شَدَّدَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ لِيُكَفِّرَهَا بِهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ بِهِ[٩] وإِلَّا عَذَّبَهُ فِي قَبْرِهِ لِيَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَوْمَ يَلْقَاهُ ولَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِ.

---

١. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٤٣.

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ١٤، ح ١٢؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٨٤، ح ١٩٦؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٧٢، ج ١٠١٤٩.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٨٢، ح ١؛ وفي الدعوات (للراوندي)، ص ٢١٠، ح ٥٦٩، عن الإمام زين العابدين عليه السلام، مع اختلاف يسير؛ المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٤، ص ٢٥٩.

٤. في المصدر: «... عن حفص بن البختري، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. العاهة: الآفة، وجمعها العاهات، راجع لسان العرب. (مادة عوه)

٦. في المصدر والمناقب: «تُستر».

٧. **نقول:** أوّلا: إن هذا ليس حكما عاما بل هو من باب الغلبة. وثانيا: المراد من قوله عليه السلام: «لئلا يستتروا» أي عن الناس أو عن طاعة اللّه وعبادته، ولكن الأغنياء بسبب غفلة كثير منهم لا يكونون من أهل هذه الموهبة الإلهية.

٨. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٩٤، ح ٤؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٣٣؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٨١.

٩. لم يرد في الروضة والمشكاة من «وإلا أسقم بدنه» إلى «فإن فعل ذلك به».

٢٠٣٧. الأمالي للشيخ الطوسيّ[١]: الْغَضَائِرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ[٢]، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ[٣]، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّيْسَابُورِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ بِمَنِّهِ ورَحْمَتِهِ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ لَمْ يَفْرِضْ ذٰلِكَ عَلَيْكُمْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ[٤]، بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدُورِكُمْ، ولِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ، وَلِتَتَسَابَقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ، ولِتَتَفَاضَلَ مَنَازِلُكُمْ فِي جَنَّتِهِ. إلى آخر ما سيأتي في كتاب الإمامة[٥].

٢٠٣٨. نهج البلاغة[٦]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَعْضِ خُطَبِهِ: بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْحَقَّ[٧] كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءاً وَالْعِقَابُ بَوَاءاً.

بيان:

قال في النهاية: الجراحات بواء أي سواء في القصاص، ومنه حديث عليّ عليه السلام: «والعقاب بواء» وأصل البوء: اللزوم.

٢٠٣٩. الخصال[٨]: أَبِي، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ هَارُونَ، عَنِ ابْنِ زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ لَا ثَلَاثٌ فِي ابْنِ آدَمَ مَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ شَيْءٌ[٩]: الْمَرَضُ، وَالْفَقْرُ، وَالْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ فِيهِ وَإِنَّهُ مَعَهُمْ لَوَثَّابٌ[١٠].

٢٠٤٠. الإحتجاج[١١]: وَرُوِيَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ قَوْماً مِنْ أَصْحَابِهِ خَاضُوا فِي التَّعْدِيلِ

---

١. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٥٤، ح ١٣٥٥؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٩، ح ٦؛ وفي تحف العقول، ص ٤٨٥، ضمن رسالة الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام إلى إسحاق النيسابوري.

٢. في المصدر: «الحسين بن الصالح بن شعيب».

٣. في العلل: «علي بن أحمد، عن الكليني ...».

٤. في التحف: «لحاجة منه إليكم».

٥. بحار الأنوار، كتاب الإمامة، أبواب جمل أحوال الأئمة الكرام عليهم السلام، باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم.

٦. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٠٠، صدر الخطبة ١٤٤.

٧. في المصدر: «الخلق».

٨. الخصال، ج ١، ص ١١٣، ح ٨٩؛ وفي نزهة الناظر (للحلواني)، ص ٨٠، ح ٤، بمضمونه عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام؛ الدعوات (للراوندي)، ص ١٧١.

٩. طأطأ الرأس: خفضه، أي لو لا ثلاث في ابن آدم ما تواضع ولا خضع، وكان يتكبر ويعجب بنفسه. (هامش المطبوع)

١٠. وثب: طفر، فهو وثّاب، راجع الطراز الأول.

١١. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ٢٠٧؛ وفي متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ١١٩، مع نقصان.

وَالتَّجْوِيرِ[١]، فَخَرَجَ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى آدَابٍ رَفِيعَةٍ، وَأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَذٰلِكَ إِلَّا بِأَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، وَالتَّعْرِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْغِيبِ، وَالْوَعِيدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّرْهِيبِ، وَالتَّرْغِيبُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّهُ أَعْيُنُهُمْ، وَالتَّرْهِيبُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضِدِّ ذٰلِكَ، ثُمَّ خَلَقَهُمْ فِي دَارِهِ وَأَرَاهُمْ طَرَفاً[٢] مِنَ اللَّذَّاتِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ اللَّذَّاتِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا[٣] أَلَمٌ، أَلَا وَهِيَ الْجَنَّةُ؛ وَأَرَاهُمْ طَرَفاً مِنَ الْآلَامِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْآلَامِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا لَذَّةٌ، أَلَا وَهِيَ النَّارُ، فَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ تَرَوْنَ نَعِيمَ الدُّنْيَا مَخْلُوطاً بِمِحَنِهَا، وَسُرُورِهَا مَمْزُوجاً بِكَدَرِهَا وَغُمُومِهَا[٤].

قِيلَ: فَحَدَّثَ الْجَاحِظُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: هُوَ جِمَاعُ الْكَلَامِ الَّذِي دَوَّنَهُ النَّاسُ فِي كُتُبِهِمْ وَتَحَاوَرُوهُ بَيْنَهُمْ. قِيلَ: ثُمَّ سَمِعَ أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ بِذٰلِكَ فَقَالَ: صَدَقَ الْجَاحِظُ، هٰذَا مَا لَا يَحْتَمِلُهُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ.

٢٠٤١. الإحتجاج[٥]: رَوَى هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ الزِّنْدِيقُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ وَلَا مُضْطَرٍّ إِلَى خَلْقِهِمْ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ الْعَبَثُ بِنَا؟ قَالَ: خَلَقَهُمْ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ، وَإِنْفَاذِ عِلْمِهِ، وَإِمْضَاءِ تَدْبِيرِهِ. قَالَ: وَكَيْفَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى هٰذِهِ الدَّارِ فَيَجْعَلَهَا دَارَ ثَوَابِهِ وَمَحْبِسَ عِقَابِهِ؟ قَالَ: إِنَّ هٰذِهِ دَارُ بَلَاءٍ، وَمَتْجَرُ الثَّوَابِ[٦]، وَمُكْتَسَبُ الرَّحْمَةِ، مُلِئَتْ آفَاتٍ وَطُبِّقَتْ شَهَوَاتٍ لِيَخْتَبِرَ فِيهَا عِبَادَهُ بِالطَّاعَةِ؛ فَلَا يَكُونُ دَارُ عَمَلٍ دَارَ جَزَاءٍ؛ الْخَبَرَ.

٢٠٤٢. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٧]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْجَوَادِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٨]: الْمَرَضُ لَا أَجْرَ فِيهِ[٩]، وَلٰكِنَّهُ لَا يَدَعُ

---

١. في المصدر: «التجريح».

٢. الطرف بالتحريك: الطائفة من الشيء، راجع لسان العرب.

٣. الشوب: الخلط، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر: «همومها».

٥. في الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٣٨، ضمن رواية مع اختلاف يسير.

٦. في نسخة المصنف: ومنجز الثواب. (هامش المطبوع)

٧. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٠٢، ح ١٢٤٥؛ وفي وقعة صفّين (لنصر بن مزاحم)، ص ٥٢٩، ضمن رواية؛ وفي تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٠٣، ذيل ح ٩٩؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٨. في وقعة صفّين بهذا الإسناد: «نصر بن مزاحم، عن عمر، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أمير المؤمنين عليه السلام»، وفي تفسير العياشي: «عبد الرحمن بن حرب، عن أمير المؤمنين عليه السلام».

٩. **نقول:** لا شك أن الأجر على الأعمال الصالحة لأنه جزاء العمل، ولكن ما ورد في المرض من الأجر فهو نوع تفضل من اللّه تعالى سمّى بالأجر، لا أنّه أجر واقعا.

عَلَى الْعَبْدِ ذَنْباً إِلَّا حَطَّهُ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ، وَإِنَّ اللَّهَ بِكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ يُدْخِلُ الْعَبْدَ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ الْجَنَّةَ.

٢٠٤٣. ثواب الأعمال[١]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ وَمُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ جَمِيعاً، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ[٢]، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ[٣]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ[٤]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فِي الْمَرَضِ يُصِيبُ الصَّبِيَّ؟ قَالَ: كَفَّارَةٌ لِوَالِدَيْهِ[٥].

٢٠٤٤. تفسير العيّاشيّ[٦]: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ[٧]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٨] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٩] قَالَ: خَلَقَهُمْ لِلْعِبَادَةِ. قَالَ: قُلْتُ وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١٠] فَقَال: نَزَلَتْ هٰذِهِ بَعْدَ تِلْكَ.

٢٠٤٥. كشف الغمّة من كتاب الدلائل للحميريّ[١١]: عَنْ دَاوُدَ بنَ أَعْيَن قال: تَفَكَّرْتُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قُلْتُ: خُلِقُوا لِلْعِبادَةِ، وَيَعْصُونَ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؛ وَاللَّهِ لأَسأَلَنَّ جَعْفَراً عليه السلام عَنْ هٰذِهِ الآيَةِ، فَأَتَيْتُ الْبَابَ فَجَلَسْتُ أُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ، إِذْ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَرأَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٢]، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً﴾[١٣]، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ[١٤].

---

١. ثواب الأعمال، ص ١٩٤؛ الكافي، ج ٦، باب النوادر، ص ٥٢، ح ١؛ تهذيب الأحكام، ج ٨، باب الحكم في أولاد المطلّقات، ص ١١٥، ح ٣٩٧.

٢. لم يرد في المصدر: «عن الأشعري»، وفيه: «محمد بن أحمد بن حسّان».

٣. في التهذيب: «عن محمد بن جعفر».

٤. في الكافي: «... محمد بن جعفر، عن محمد بن علي بن عيسى، عن عبد اللّه العمري ...».

٥. **نقول:** إنما يكون مرض الصبي بأسباب عادية كفارة لوالديه، لما فيه من المشقة للوالدين وامتثالهم لأمره بحضانة الولد.

٦. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٦٤، ح ٨٣؛ وفي الأُصول الستة عشر، ص ٢٨٧، ضمن ح ٤١٩؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٧٥.

٧. في المصدر: «يعقوب بن سعيد».

٨. في الأُصول الستة عشر بهذا الإسناد: «درست بن أبي منصور، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٩. الذاريات/٥٦.

١٠. هود/١١٨ و١١٩.

١١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ١٩٩؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ١٩١، ح ١٩٣.

١٢. الذاريات/٥٦.

١٣. الطلاق/١.

١٤. **نقول:** ليس في الآية الثانية تصريح بالنسخ بالمعنى المصطلح، وليس في كلام الإمام عليه السلام إشارة إليه، بل هو موجود في كلام الراوي واستنباطه من كلام الإمام عليه السلام؛ وظاهر كلام الإمام عليه السلام في الآية الثانية أنها مكمّلة للأُولى، لأن الأُولى يبيّن أن الغرض من خلق الجن ←

بيان:

هذا الخبر والخبر السابق يدلّان على أنّ آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ منسوخة، ولعلّ المعنى أنّه على تقدير تسليم دلالتها على ما يزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها، ويكون المراد بالنسخ البداء، أو التخصيص، أو التبيين.

أقول:

إقامة البراهين العقليّة على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان والأمراض ووجوب العوض على اللّه تعالى فيها، والفرق بين الثواب والعوض موكول إلى مظانّها من الكتب الكلاميّة[1]، والتعرّض لها خروج عن مقصود الكتاب.

← والإنس إجمالا هو العبادة التي هي طريق لتكامل الإنسان والفوز بالقرب إلى اللّه تعالى، وهذا الغرض يحصل إجمالا من طريق الصلحاء والعبّاد وأولياء اللّه. وأما لو منع جماعة من الناس ـ إما للقصور أو التقصير مع التوبة ـ من الوصول إلى هذا الهدف فهم داخلون في الآية الثانية أي في رحمة اللّه تعالى.

١. راجع أنوار الملكوت في شرح الياقوت، ص ١٢٧، المسألة الخامسة في إثبات العوض على اللّه تعالى.

﴿باب ١٥﴾

«عموم التكاليف»

الآيات:

المدّثّر/٤٠-٤٣: ﴿... يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

الروايات:

٢٠٤٦. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٢] قَالَ: هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً.

٢٠٤٧. تفسير العيّاشيّ[٣]: عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾[٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٥] قَالَ: فَقَالَ: هٰذِهِ كُلُّهَا تَجْمَعُ الضُّلَّالَ وَالْمُنَافِقِينَ وَكُلَّ مَنْ أَقَرَّ بِالدَّعْوَةِ الظَّاهِرَةِ[٦].

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٤؛ وسائل الشيعة، ج ٢٩، ص ١١٨، ح ٣٥٢٩٣؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٣٨٥، ح ٨٢٨.

٢. البقرة/١٨٣.

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٥؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢١٨؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٣٨٥، ح ٨٢٩.

٤. البقرة/٢١٦.

٥. البقرة/١٨٣.

٦. **نقول:** لا منافاة بين الروايتين، فإن الأُولى تصرح بأن الخطاب شامل لجميع المؤمنين، والثانية تدل على أن المؤمن هو من أقرّ بالدعوة الظاهرة وإن كان في الباطن منافقا أو ضالّا.

بيان:

كون ظاهر الخطاب المصدّر بـ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ مختصّاً بالمؤمنين، أو بهم وبالمنافقين والمخالفين لا ينافي شمول التكاليف بدليل آخر لجميع المكلّفين، وقد حقّق ذلك في كتب الأُصول وكتب الكلام.

٢٠٤٨. نهج البلاغة[١]: **قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ.**



١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٦٦، الخطبة ١٨٣؛ أعلام الدين، ص ١٠٣؛ وفيهما ذيل الخطبة.

﴿باب ١٦﴾

«أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد»

الآيات:

الأنعام/٦١: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ...﴾

يونس/٢١: ﴿... إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾

الرعد/١١: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...﴾[1]

مريم/٧٩: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ...﴾

الأنبياء/٩٤: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾

---

١. **نقول:** يطرح هنا بحث: ما هي «المعقّبات»؟

المعقّبات كما جاء في مجمع البيان للعلامة الطبرسي وكما قاله بعض المفسّرين جمع «معقبة» وهي بدورها جمع «معقّب»، ومعناه المجموعة التي تعمل بشكل متناوب ومستمر. والظاهر من الآية إن اللّه سبحانه وتعالى أمر مجموعة من الملائكة بأن يحفظوا الإنسان في الليل والنهار ومن بين يديه ومن خلفه.

إن الإنسان ـ بدون شك ـ معرّض في حياته إلى كثير من الحوادث الروحية والجسمية، فالأمراض والمتغيرات في السماء والأرض محيطة بالإنسان، وخصوصا في مرحلة الطفولة التي لا يدرك فيها ما يجري حوله ويكون هدفا سهلا للإصابة بها، فقد يتعجب الإنسان كيف ينجو الطفل وينمو من بين جميع هذه الحوادث، وخصوصا في العوائل التي لا تدرك هذه المسائل وتعاني من قلة الإمكانيات كأبناء الريف الذين يعانون من الحرمان والفقر وهم معرضون للأمراض أكثر من غيرهم. وإذا ما أمعنّا النظر في هذه المسائل فسوف نجد أن هناك قوى محافظة، تحفظ الإنسان في مقابل هذه الحوادث كالدرع الواقي. وكثيرا ما يتعرّض الإنسان إلى حوادث خطرة ويتخلّص منها بشكل إعجازي تجعله يشعر أن كل ذلك ليس صدفة وإنما هناك قوى محافظة تحميه. وهناك كثير من الأحاديث المنقولة عن أئمّة المسلمين تؤكد ذلك. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٧، ص ٣٥٤)

المؤمنون/٦٢: ﴿... وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ[١] وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

يس/١٢: ﴿... وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ...﴾

الزخرف/٨٠: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾

الجاثية/٢٨ و٢٩: ﴿... كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]

ق/١٧ و١٨: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣]

---

١. قيل: وصف الكتاب بالنطق مبالغة في وصفه بإظهار البيان وإعلان البرهان، تشبيها باللسان الناطق في الإبانة عن ضميره، والكشف عن مستوره؛ وقد يقال الناطق لما يدل على شيء، وعلى هذا قيل لحكيم: ما الناطق الصامت؟ فقال: الدلائل المخبرة والعبر الواعظة. (هامش المطبوع)

٢. **نقول:** هنا بحثان:

١. إن هذا الكتاب صحيفة أعمال سجلت فيها كل الحسنات والسيئات، والقبائح والأفعال الجميلة، وأقوال الإنسان وأعماله، وعلى حد تعبير القرآن الكريم: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف/٤٩). وتعبير ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ يوحي بأن لكل أُمة كتابا يتعلق بأفرادها جميعا، إضافة إلى صحيفة الأعمال الخاصة بكل فرد، ولا يبدو هذا الأمر عجيبا إذا علمنا أن للإنسان نوعين من الأعمال: الأعمال الفردية، والأعمال الجماعية، ولذلك فإن وجود نوعين من صحائف الأعمال يبدو طبيعيا جدّا من هذه الناحية. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٢٢٧)

٢. «نستنسخ» من مادة «استنساخ»، وهي في الأصل مأخوذة من النسخ، وهو إزالة الشيء بشيء آخر، فيقال مثلا: نسخت الشمس الظل. ثم استعملت في كتابة كتاب عن كتاب آخر من دون أن يمحى الكتاب الأول.

وهنا يبدو سؤال، وهو: إذا كان اللّه سبحانه قد أمر باستنساخ أعمال ابن آدم، ذلك يستلزم أن يكون هناك كتاب قبل النسخ تكتب فيه تلك الأعمال؟ ولذلك فإن البعض يعتقد أن صحائف أعمال كل البشر قد كتبت في اللوح المحفوظ، والملائكة الموكلون بحفظ أعمال الإنسان يستنسخونها من ذلك اللوح المحفوظ. إلا أن هذا المعنى لا يتلاءم كثيرا مع الآية مورد البحث، بل الملائم أحد معنيين هما: إما أن يكون الاستنساخ هنا بمعنى أصل الكتابة ـ كما قاله بعض المفسرين؛ أو أن نفس أعمال الإنسان كالكتاب التكويني تنسخ عنه الملائكة الحفظة وتصوّره، ولذلك فقد ورد في آيات أُخر من القرآن الكريم التعبير بالكتابة بدل الاستنساخ، كما نقرأ ذلك في الآية (١٢) من سورة يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٢٢٨)

٣. **نقول:** كلمة «تلقّى» معناها الأخذ والتسلّم، و«المتلقّيان» هما ملكان مأموران بثبت أعمال الناس. وكلمة «قعيد» مأخوذة من القعود ومعناها جالس، والمراد بالقعيد هنا الرقيب والملازم للإنسان، وبتعبير آخر أن الآية هذه لا تعني أن الملكين جالسين عن يمين الإنسان وعن شماله، لأن الإنسان يكون في حال السير تارة، وأُخرى في حال الجلوس، بل التعبير هنا هو كناية عن وجودهما مع الإنسان وهما يترصّدان أعماله؛ ويحتمل أيضا أنهما قعيدان على كتفي الإنسان الأيمن والأيسر، أو أنهما قعيدان عند نابيه أو ناجذيه دائما ويسجّلان أعماله، وهناك

←

القمر/٥٢ و٥٣: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾

التكوير/١٠: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾

الإنفطار/١٠-١٢: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]

الطارق/٤: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾

← إشارة إلى هذا المعنى في بعض الروايات غير المعروفة.

وكان الكلام في الآية الأُولى عن كتابة جميع أعمال الإنسان، وفي الآية الثانية اهتمام بخصوص ألفاظه، وهذا الأمر هو للأهمية القصوى للقول وأثره في حياة الناس، حتى أن جملة واحدة أو عبارة قصيرة قد تؤدّي إلى تغيير مسير المجتمع نحو الخير أو الشر، كما أن بعض الناس لا يعتقدون بأن الكلام جزء من أعمالهم، ويرون أنفسهم أحرارا في الكلام مع أن أكثر الأُمور تأثيرا وأخطرها في حياة الناس هو الكلام. فبناء على ذلك فإن ذكر هذه الآية بعد الآية المتقدمة هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

كلمة «الرقيب» معناها المراقب، و«العتيد» معناها المتهيئ للعمل، لذلك يطلق على الفرس المعدة للركض بأنها فرس عتيد، كما يطلق على من يعدّ شيئا أو يدّخره بأنه عتيد، وهي من مادة العتاد على زنة الجهاد ومعناها الادّخار. ويعتقد أغلب المفسرين أن الرقيب والعتيد اسمان للملكين المذكورين في الآية المتقدمة وهما «المتلقيان»، فاسم ملك اليمين «رقيب»، واسم ملك الشمال «عتيد»، وبالرغم من أن الآية محل البحث ليس فيها قول صريح على هذا الأمر، إلا أن هذا التفسير وبملاحظة مجموع الآيات يبدو غير بعيد. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ٢٥ و٢٦)

١. **نقول:** «الحافظين»: هم الملائكة المكلفون بحفظ وتسجيل أعمال الإنسان من خير أو شرّ، كما سمّتهم الآية (١٧) من سورة «ق» بالرقيب العتيد.

وقد وصفت هذه الآيات هؤلاء الملائكة بأنهم «كرام»، ليكون الإنسان أكثر دقّة في مراقبة نفسه وأعماله، لأن الناظر كلما كان ذا شأن كبير، تحفظ الإنسان منه أكثر وأكثر، واستحى من فعل المعاصي أمامه.

بحث: كتبة صحائف الأعمال:

وعلة ذكر «كاتبين» للتأكيد على أنهم لا يكتفون بالمراقبة والحفظ دون تسجيل ذلك بدقة متناهية.

لم تكن الآيات المبحوثة الدليل الوحيد على وجود المراقبين لأعمال الإنسان، والكاتبين لها بخيرها وشرها، بل ثمّة آيات كثيرة وروايات عديدة تناولت ذلك، ومن جملة ما ورد من الأحاديث بهذا الشأن: سؤال عبد اللّه بن موسى بن جعفر لأبيه عليه السلام عن الملكين، هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله، أو الحسنة؟ فقال الإمام عليه السلام: ريح الكنيف وريح الطيّب سواء؟ قال: لا. قال: إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح، فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد همّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده، فأثبتها له، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد همّ بالسيئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده، وأثبتها عليه.

فالرواية تبيّن ما للنية من أثر على كامل وجود الإنسان، وأن الملائكة يسجّلون ما وقع من فعل من الإنسان ولكنهم مطّلعين على فعل الواقع قبل وقوعه، وعليه فتسجيلهم لأعمال الإنسان دقيق جدا، ولا يفوتهم شيئا إلا وكتبوه في صحيفته. والرواية أيضا تأتي في سياق الحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات» للتأكيد على ما لنية الإنسان من أثر على فعله الحسن أو السيء. وتبيّن أيضا بأن وسائل الكتابة هي جوارح الإنسان الناوي للفعل، فلسانه القلم وريقه المداد. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٩، ص ٤٩١)

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم، ويحصونها عليكم ويكتبونها[١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الملائكة الحفظة[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ قيل: إنّها الملائكة يتعاقبون، تعقّب ملائكة الليل ملائكة النهار، وملائكة النهار ملائكة الليل، وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله؛ وقيل: هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر، وروي ذلك أيضاً عن أئمّتنا عليهم السلام. وقيل: إنّهم ملائكة يحفظونه عن المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه به في الآخرة[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك فلا يضيع منه شيء؛ وقيل: أي ضامنون جزاءه[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يريد صحائف الأعمال[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ «إذ» متعلّقة بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٧] أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقّى المتلقّيان، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر؛ والمراد بـ«القعيد» هنا الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضدّ القائم؛ وقيل: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيّئات؛ وقيل: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار، وملكان بالليل، ﴿وَمَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلّم بكلام فيلفظه، أي يرميه من فمه ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾ حافظ حاضر معه، يعني الملك الموكّل به، إمّا صاحب اليمين، وإمّا صاحب الشمال، يحفظ عمله، لا يغيب عنه. و«الهاء» في ﴿لَدَيْهِ﴾ تعود إلى «القول» أو إلى «القائل».

---

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٨٣.

٢. المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥٣.

٣. المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٣١.

٤. المصدر السابق، ص ٨١٧.

٥. المصدر السابق، ج ٧، ص ٩٩.

٦. المصدر السابق، ص ١٧٨.

٧. ق/١٦.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا وَإِلَّا كَتَبَ وَاحِدَةً.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى إِنَّ صَاحِبَ الْيَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**﴾ أي من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملونه من الطاعات والمعاصي، ثمّ وصف الحفظة فقال: ﴿**كِرَاماً**﴾ على ربّهم ﴿**كَاتِبِينَ**﴾ يكتبون أعمال بني آدم ﴿**يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ من خير وشرّ، فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء. وقيل: إنّ الملائكة تعلم ما يفعله العبد إمّا باضطرار وإمّا باستدلال؛ وقيل: معناه: ﴿**يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ من الظاهر دون الباطن[٢].

الروايات:

٢٠٤٩. الكافي[٣]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ[٤]، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي بِأَفْضَلِ الْمَوَاقِيتِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَالَ: مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٥] يَعْنِي صَلَاةَ الْفَجْرِ تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، فَإِذَا صَلَّى الْعَبْدُ الصُّبْحَ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أُثْبِتَتْ لَهُ مَرَّتَيْنِ: أَثْبَتَهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

٢٠٥٠. نهج البلاغة[٦]: اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ[٧] مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ.

بيان:

«الرصد» بالتحريك: القوم يرصدون. و«الرتاج» بالكسر: الغُلُق.

---

١. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢١٦.

٢. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٨٣.

٣. الكافي، ج ٣، باب وقت الفجر، ص ٢٨٢، ح ٢؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٣٦، ح ١؛ الاستبصار، ج ١، باب وقت صلاة الفجر، ص ٢٧٥، ح ٦.

٤. في العلل: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن ابن عيسى، عن البزنطي ...».

٥. الإسراء/٧٨.

٦. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٢٢، ضمن الخطبة ١٥٧.

٧. أكنّ الشيء: ستره، راجع لسان العرب.

٢٠٥١. كتاب حسين بن سعيد[١]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] يَقُولُ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ مَا يَلْفِظُهُ، ثُمَّ يَرْفَعَانِ ذٰلِكَ إِلَى مَلَكَيْنِ فَوْقَهُمَا فَيُثْبِتَانِ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَيُلْقِيَانِ مَا سِوَى ذٰلِكَ.

٢٠٥٢. كتاب حسين بن سعيد[٣]: حَمَّادٌ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: لَا يَكْتُبُ الْمَلَكُ إِلَّا مَا يَسْمَعُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾[٤] قَالَ: لَا يَعْلَمُ ثَوَابَ ذٰلِكَ الذِّكْرِ فِي نَفْسِ الْعَبْدِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى[٥].

٢٠٥٣. كتاب حسين بن سعيد[٦]: النَّضْرُ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فِي الْهَوَاءِ مَلَكاً يُقَالُ لَهُ: إِسْمَاعِيلُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، يُحْصُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، فَإِذَا كَانَ رَأْسُ السَّنَةِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكاً يُقَالُ لَهُ: السِّجِلُّ، فَانْتَسَخَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٧].

٢٠٥٤. كتاب حسين بن سعيد[٨]: النَّضْرُ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٩] قَالَ: هُمَا الْمَلَكَانِ. وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾[١٠] قَالَ: هُوَ الْمَلَكُ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ. وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾[١١] قَالَ: هُوَ شَيْطَانٌ.

٢٠٥٥. الإحتجاج[١٢]: سَأَلَ الزِّنْدِيقُ الصَّادِقَ عليه السلام: مَا عِلَّةُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِعِبَادِهِ يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، وَاللَّهُ عَالِمُ

---

١. الزهد، ص ٥٣، ح ١٤١، وفي ح ١٤٣، بمضمونه؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٨٤٦، ح ٧٢١٣.

٢. في الزهد، ح ١٤٣، بهذا الإسناد: «حمّاد، عن حريز وإبراهيم بن عمرو، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام».

٣. الزهد، ص ٥٣، ح ١٤٤؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٤؛ الكافي، ج ٢، باب ذكر اللّه عز وجل في السر، ص ٥٠٢، ح ٤.

٤. الأعراف/٢٠٥.

٥. في تفسير العياشي: «في نفس العبد لعظمته إلا اللّه، وقال: إذا كنت خلف إمام فأتمّ به، فأنصت وسبّح في نفسك»، وفي الكافي: «غير اللّه لعظمته».

٦. الزهد، ص ٥٤، ح ١٤٥؛ تفسر البرهان، ج ٥، ص ١٣٤، ح ١٠٠٥٠.

٧. الأنبياء/١٠٤.

٨. الزهد، ص ٥٤، ح ١٤٦؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٣٥، ح ١٠٠٥١.

٩. ق/١٧.

١٠. ق/٢٣.

١١. ق/٢٧.

١٢. في الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٤٨، ضمن رواية.

السِّرِّ وَمَا هُوَ أَخْفَى؟ قَالَ: اسْتَعْبَدَهُمْ[١] بِذٰلِكَ وَجَعَلَهُمْ شُهُوداً عَلَى خَلْقِهِ لِيَكُونَ الْعِبَادُ لِمُلَازَمَتِهِمْ إِيَّاهُمْ أَشَدَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُوَاظَبَةً، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدَّ انْقِبَاضاً، وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ فَذَكَرَ مَكَانَهَا[٢] فَارْعَوَى[٣] وَكَفَّ، فَيَقُولُ: رَبِّي يَرَانِي، وَحَفَظَتِي بِذٰلِكَ تَشْهَدُ[٤]، وَإِنَّ اللَّهَ بِرَأْفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضاً وَكَّلَهُمْ بِعِبَادِهِ يَذُبُّونَ عَنْهُمْ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ، وَهَوَامَّ الْأَرْضِ[٥]، وَآفَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٠٥٦. أقول: رُوِيَ فِي كِتَابِ قَضَاءِ الْحُقُوقِ وَثَوَابِ الْأَعْمَالِ وَرِجَالِ الْكَشِّيِّ[٦] بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: لَمَّا كَثُرَ مَالِي أَجْلَسْتُ عَلَى بَابِي بَوَّاباً[٧] يَرُدُّ عَنِّي فُقَرَاءَ الشِّيعَةِ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَسَلَّمْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَرَدَّ عَلَيَّ بِوَجْهٍ قَاطِبٍ[٨] مُزَوِّرٍ[٩][١٠]، فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مَا الَّذِي غَيَّرَ حَالِي عِنْدَكَ؟ قَالَ: تَغَيُّرُكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَلٰكِنْ خَشِيتُ الشُّهْرَةَ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ أَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِمَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، تِسْعَةً وَتِسْعِينَ لِأَشَدِّهِمَا حُبّاً، فَإِذَا اعْتَنَقَا غَمَرَتْهُمَا الرَّحْمَةُ[١١]، فَإِذَا لَبِثَا[١٢] لَا يُرِيدَانِ بِذٰلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى قِيلَ لَهُمَا: غُفِرَ لَكُمَا؛ فَإِذَا جَلَسَا يَتَسَاءَلَانِ قَالَتِ الْحَفَظَةُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: اعْتَزِلُوا بِنَا عَنْهُمَا، فَإِنَّ لَهُمَا سِرّاً وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا.

قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَلَا تَسْمَعُ الْحَفَظَةُ قَوْلَهُمَا، وَلَا تَكْتُبُهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٣]. قَالَ: فَنَكَسَ[١٤] رَأْسَهُ طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَهُ، وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَتِ الْحَفَظَةُ

---

١. استعبده: اتخذه عبدا، راجع لسان العرب.

٢. في المصدر: «مكانهما».

٣. قد ارعوى عن القبيح: كف عنه، راجع تاج العروس.

٤. في المصدر: «وحفظتي عليّ بذلك تشهد».

٥. الهوامّ: حشرات الأرض، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

٦. ثواب الأعمال، ص ١٤٦؛ رجال الكشي، ص ٤٠٩، ح ٧٦٩؛ وفيهما بمضمونه؛ مشكاة الأنوار، ص ١٠٣.

٧. البوّاب: الحاجب، ورجل بوّاب: لازم للباب، راجع لسان العرب.

٨. قطب: زوى ما بين عينيه وعبس، راجع لسان العرب.

٩. تزاور عنه: مال عنه، راجع لسان العرب.

١٠. في رجال الكشي: «غير مسرور».

١١. إلى هنا تمت الرواية في المشكاة: «فإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة».

١٢. اللبث: المكث، راجع لسان العرب.

١٣. ق/١٨.

١٤. نكس رأسه: طأطأه، راجع لسان العرب.

لَا تَسْمَعُهُ وَلَا تَكْتُبُهُ فَقَدْ سَمِعَهُ عَالِمُ السِّرِّ وَأَخْفَى، يَا إِسْحَاقُ خَفِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ شَكَكْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ بَارَزْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ فَقَدْ جَعَلْتَهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ.

٢٠٥٧. سعد السعود[١]: رَوَاهُ مِنْ كِتَابِ قِصَصِ الْقُرْآنِ لِلْهَيْصَمِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيِّ قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ؟ قَالَ: مَلَكٌ عَلَى يَمِينِكَ[٢] عَلَى حَسَنَاتِكَ، وَوَاحِدٌ عَلَى الشِّمَالِ، فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كَتَبَ عَشْراً، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِلَّذِي عَلَى الْيَمِينِ: أَكْتُبُ؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ وَيَتُوبُ، فَإِذَا قَالَ ثَلَاثاً قَالَ: نَعَمْ، اكْتُبْ، أَرَاحَنَا اللَّهُ مِنْهُ فَبِئْسَ الْقَرِينُ[٣]، مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ! وَمَا أَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ[٤]! يَقُولُ اللَّهُ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وَمَلَكَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾[٥][٦] وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ، فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ، وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَكَ وَفَضَحَكَ، وَمَلَكَانِ[٧] عَلَى شَفَتَيْكَ لَيْسَ يَحْفَظَانِ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَمَلَكٌ قَائِمٌ عَلَى فِيكَ لَا يَدَعُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةُ[٨] فِي فِيكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ، فَهٰذِهِ عَشَرَةُ أَمْلَاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ، وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ[٩] سِوَى مَلَائِكَةِ النَّهَارِ، فَهٰؤُلَاءِ عِشْرُونَ مَلَكاً عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ، وَإِبْلِيسُ بِالنَّهَارِ وَوُلْدُهُ بِاللَّيْلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ الْآيَةَ[١٠]؛ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الْآيَةَ[١١].

ثمّ قال السيّد «رحمه اللَّه»: واعلم أنّ اللَّه عزّ وجلّ وكّل بكلّ إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشرّ. ووردت الأخبار بأنّه يأتيه ملكان بالنهار وملكان بالليل، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ لأنّهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً، وإنّ ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمله إلى غروب الشمس، فإذا غربت نزل إليه الملكان الموكّلان بكتابة الليل، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى اللَّه عزّ وجلّ، فلا يزال ذلك

---

١. سعد السعود، ص ٢٢٥.

٢. في نسخة: عن يمينك. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر: «فبئس الصديق».

٤. في نسخة: منا. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٥. الرعد/١١.

٦. لم ترد الآية في المصدر.

٧. في نسخة: وملكان مقرّبان. (هامش المطبوع)

٨. في المصدر: «تدب الحية».

٩. في المصدر: «... على كل آدمي يعد أن ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل ...».

١٠. الانفطار/١٠.

١١. ق/١٧.

دأبهم إلى حضور أجله، فإذا حضر أجله قالا للرجل الصالح: جزاك اللّه من صاحب عنّا خيراً، فكم من عمل صالح أريتناه، وكم من قول حسن أسمعتناه، وكم من مجلس حسن أحضرتناه، فنحن لك اليوم على ما تحبّه، وشفعاء إلى ربّك؛ وإن كان عاصياً قالا له: جزاك اللّه من صاحب عنّا شرّاً، فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيّىء أريتناه، وكم من قول سيّىء أسمعتناه، وكم من مجلس سوء أحضرتناه، ونحن لك اليوم على ما تكره، وشهيدان عند ربّك.

٢٠٥٨. وَفِي رِوَايَةٍ[١] أَنَّهُمَا إِذَا أَرَادَا النُّزُولَ صَبَاحاً وَمَسَاءاً نَسَخَ لَهُمَا إِسْرَافِيلُ عَمَلَ الْعَبْدِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَيُعْطِيهِمَا ذٰلِكَ، فَإِذَا صَعِدَا صَبَاحاً وَمَسَاءاً بِدِيوَانِ الْعَبْدِ قَابَلَهُ إِسْرَافِيلُ بِالنُّسْخَةِ الَّتِي نَسَخَ لَهُمَا حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهُ كَانَ كَمَا نَسَخَ لَهُمَا[٢].

٢٠٥٩. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٣] أَنَّهُ قَالَ: الْمَلَكَانِ يَكْتُبَانِ أَعْمَالَ الْعَلَانِيَةِ فِي دِيوَانٍ وَأَعْمَالَ السِّرِّ فِي دِيوَانٍ آخَرَ[٤].

٢٠٦٠. الكافي[٥]: الْعِدَّةُ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَفْصٍ الْعُوسِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ السَّائِحِ[٦]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَلَكَيْنِ: هَلْ يَعْلَمَانِ بِالذَّنْبِ إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَوِ الْحَسَنَةِ؟ فَقَالَ: رِيحُ الْكَنِيفِ[٧] وَرِيحُ الطِّيبِ سَوَاءٌ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا هَمَّ بِالْحَسَنَةِ خَرَجَ نَفَسُهُ طَيِّبَ الرِّيحِ، فَقَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ: قُمْ[٨] فَإِنَّهُ قَدْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ، فَإِذَا فَعَلَهَا كَانَ لِسَانُهُ قَلَمَهُ، وَرِيقُهُ[٩] مِدَادَهُ، فَأَثْبَتَهَا لَهُ؛ وَإِذَا هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ خَرَجَ نَفَسُهُ مُنْتِنَ الرِّيحِ فَيَقُولُ صَاحِبُ الشِّمَالِ لِصَاحِبِ الْيَمِينِ: قِفْ فَإِنَّهُ قَدْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ، فَإِذَا هُوَ فَعَلَهَا كَانَ لِسَانُهُ قَلَمَهُ، وَرِيقُهُ مِدَادَهُ، فَأَثْبَتَهَا عَلَيْهِ[١٠].

٢٠٦١. الكافي[١١]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُرَادِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ

---

١. سعد السعود، ص ٢٢٦؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٩.

٢. في المصدر وتفسير الصافي: «نسخ منه».

٣. سعد السعود، ص ٢٢٦.

٤. الديوان: مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية، والجمع دواوين ودياوين، راجع القاموس المحيط.

٥. الكافي، ج ٢، باب من يهمّ بالحسنة أو السيئة ...، ص ٤٢٩، ح ٣؛ صفات الشيعة، ص ٣٨، ح ٦٢؛ إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ١٨٠.

٦. في صفات الشيعة بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن علي بن السائح».

٧. الكنيف: الموضع المعد للخلاء، راجع مجمع البحرين.

٨. في نسخة: قف. (هامش المطبوع)، وكذا في صفات الشيعة وإرشاد القلوب.

٩. الريق: ماء الفم، راجع لسان العرب.

١٠. في الإرشاد مع زيادة: «في الدنيا والآخرة».

١١. الكافي، ج ٢، باب من يهمّ بالحسنة أو السيئة، ص ٤٢٩، ح ٤؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٩٩؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٦٤، ح ٢٠٩٩١.

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَهْلِكْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ[١]: يَهُمُّ الْعَبْدُ الْحَسَنَةَ فَيَعْمَلُهَا، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً بِحُسْنِ نِيَّتِهِ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْراً؛ وَيَهُمُّ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا أُجِّلَ سَبْعَ سَاعَاتٍ، وَقَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لِصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ وَهُوَ صَاحِبُ الشِّمَالِ: لَا تَعْجَلْ، عَسَى أَنْ يُتْبِعَهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢]، أَوِ الِاسْتِغْفَارِ، فَإِنْ هُوَ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ مَضَتْ سَبْعُ سَاعَاتٍ وَلَمْ يُتْبِعْهَا بِحَسَنَةٍ وَلَا اسْتِغْفَارٍ قَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لِصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ: اكْتُبْ عَلَى الشَّقِيِّ الْمَحْرُومِ.

٢٠٦٢. نهج البلاغة[٣]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيكُمْ[٤] بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، وَقَدْ وَكَّلَ بِذٰلِكَ حَفَظَةً كِراماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً.

٢٠٦٣. تهذيب الأحكام[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَذْهَبِ[٦]، ثُمَّ الْتَفَتَ يَمِيناً وَشِمَالاً إِلَى مَلَكَيْهِ فَيَقُولُ: أَمِيطَا عَنِّي[٧]، فَلَكُمَا اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أُحْدِثَ حَدَثاً حَتَّى[٨] أَخْرُجَ إِلَيْكُمَا.

---

١. قال المصنف في مرآة العقول [ج ١١، ص ٢٩٤]: اعلم أن الهلاك في قوله صلى الله عليه وآله: «يهلك» بمعنى الخسران واستحقاق العقاب، وفي قوله صلى الله عليه وآله: «هالك» بمعنى الضلال والشقاوة الجبلية، وتعديته بكلمة «على» إما بتضمين الورود، أي لم يهلك حين وروده على اللّه، أو معنى الاجتراء أي مجترئا على اللّه، أو معنى العلو والرفعة، كأن من يعصيه تعالى يترفّع عليه ويخاصمه؛ ويحتمل أن يكون «على» بمعنى «في» نحوه قوله تعالى: ﴿عَلى حِينِ غَفْلَةٍ﴾ (قصص/١٥) أى في معرفته وأوامره ونواهيه، أو بمعنى «من» بتضمين معنى الحينية، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطفّفين/٢)، أو بمعنى «عن» بتضمين معنى المجاوزة، أو بمعنى «مع» أي حالكونه معه ومع ما هو عليه من اللطف والعناية.

أقول: الخصال الأربع: أولها: أن يهم بالحسنة من دون عمل، الثانية: أن يعمل بها، الثالث: أن يهم بالسيئة من دون عمل، والرابعة: أن يعمل بها ولكن يتبعها بحسنة تمحوها، أو استغفار قبل مضيّ سبع ساعات. (هامش المطبوع)

٢. هود/١١٤.

٣. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٦٦، ضمن الخطبة ١٨٣.

٤. الناصية: واحدة النواصي، قُصاص الشعر في مقدم الرأس، راجع لسان العرب.

٥. تهذيب الأحكام، ج ١، باب آداب الأحداث الموجبة للطهارة، ص ٣٥١، ح ١٠٤٠؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب ارتياد المكان للحدث...، ص ٢٣، ح ٣٩؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢٦.

٦. المذهب: الخلاء، يذهب إليه لقضاء الحاجة، راجع شمس العلوم.

٧. أميطا عني: إذهبا عنّي وتنحّيا، راجع مجمع البحرين.

٨. في الفقيه ومجموعة ورّام: «لا أحدّث بلساني شيئا حتى ...».

٢٠٦٤. العقائد[١]: اعتقادنا أنّه ما من عبد إلّا وملكان موكّلان به يكتبان جميع أعماله، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتب له عشر، فإن همّ بسيّئة لم تكتب حتّى يعملها، فإن عملها كتب عليه سيّئة واحدة، والملكان يكتبان على العبد كلّ شيء حتّى النفخ في الرماد، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

وَمَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِرَجُلٍ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ فَقَالَ: يَا هٰذَا! إِنَّكَ تَمْلِي عَلَى كَاتِبَيْكَ[٣] كِتَاباً إِلَى رَبِّكَ، فَتَكَلَّمْ بِمَا يَعْنِيكَ وَدَعْ مَا لَا يَعْنِيكَ[٤].

٢٠٦٥. وَقَالَ عليه السلام[٥]: لَا يَزَالُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ يُكْتَبُ مُحْسِناً مَا دَامَ سَاكِتاً فَإِذَا تَكَلَّمَ كُتِبَ إِمَّا مُحْسِناً أَوْ مُسِيئاً، وَمَوْضِعُ الْمَلَكَيْنِ مِنِ ابْنِ آدَمَ الشِّدْقَانِ[٦][٧]، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَا النَّهَارِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْعَبْدِ بِالنَّهَارِ، وَمَلَكَا اللَّيْلِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْعَبْدِ فِي اللَّيْلِ.

٢٠٦٦. وروى الصدوق «رحمه اللّه» في كتاب فضائل الشيعة[٨]: عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِي، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبُو بَصِيرٍ وَمُيَسِّرٌ وَعِدَّةٌ مِنْ جُلَسَائِهِ، فَلَمَّا أَنْ أَخَذْتُ مَجْلِسِي أَقْبَلَ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: يَا سَدِيرُ أَمَا إِنَّ وَلِيَّنَا لَيَعْبُدُ اللَّهَ قَائِماً وَقَاعِداً وَنَائِماً وَحَيّاً وَمَيِّتاً.

قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَمَّا عِبَادَتُهُ قَائِماً وَقَاعِداً وَحَيّاً فَقَدْ عَرَفْنَا، فَكَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهَ نَائِماً وَمَيِّتاً؟ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّنَا لَيَضَعُ رَأْسَهُ فَيَرْقُدُ[٩] فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَكَّلَ بِهِ مَلَكَيْنِ خُلِقَا فِي الْأَرْضِ لَمْ يَصْعَدَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَمْ يَرَيَا مَلَكُوتَهُمَا، فَيُصَلِّيَانِ عِنْدَهُ حَتَّى يَنْتَبِهَ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ ثَوَابَ صَلَاتِهِمَا لَهُ، وَالرَّكْعَةُ مِنْ صَلَاتِهِمَا تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الْآدَمِيِّينَ.

وَإِنَّ وَلِيَّنَا لَيَقْبِضُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَيَصْعَدُ مَلَكَاهُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولَانِ: يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ انْقَطَعَ وَاسْتَوْفَى أَجَلَهُ، وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا بِذٰلِكَ، فَأْذَنْ لَنَا نَعْبُدْكَ فِي آفَاقِ سَمَائِكَ وَأَطْرَافِ أَرْضِكَ. قَالَ: فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمَا: إِنَّ فِي سَمَائِي لَمَنْ

---

١. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٦٨ و٦٩.

٢. الانفطار/١٠-١٢.

٣. في نسخة: ملائكتك. (هامش المطبوع)

٤. هذا الأمر لا يعنيني: لا يشغلني ولا يهمّني، راجع لسان العرب.

٥. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٦٩؛ الكافي، ج ٢، باب الصمت وحفظ اللسان، ص ١١٦، ح ٢١؛ وفي الإختصاص، ص ٢٣٢، صدر رواية.

٦. الشدق: جانب الفم، والشدقان: طفطفة الفم من باطن الخدّين. الطفطفة: كل لحم مضطرب، راجع لسان العرب.

٧. في المصدر: «الترقوتان».

٨. فضائل الشيعة، ص ٢٨، ح ٢٣؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٣٧، ح ١٠٠٦٣.

٩. رقد: نام، راجع لسان العرب.

يَعْبُدُنِي وَمَا لِي فِي عِبَادَتِهِ مِنْ حَاجَةٍ، بَلْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهَا، وَإِنَّ فِي أَرْضِي لَمَنْ يَعْبُدُنِي حَقَّ عِبَادَتِي، وَمَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْوَجَ إِلَيَّ مِنْهُ[١] فَاهْبِطَا إِلَى قَبْرِ وَلِيِّي[٢]. فَيَقُولَانِ: يَا رَبَّنَا مَنْ هٰذَا يَسْعَدُ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ؟ قَالَ: فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمَا: ذٰلِكَ مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عَبْدِي وَوَصِيِّهِ وَذُرِّيَّتِهِمَا عليهم السلام بِالْوَلَايَةِ، اهْبِطَا إِلَى قَبْرِ وَلِيِّي فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ فَصَلِّيَا عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَبْعَثَهُ فِي الْقِيَامَةِ.

قَالَ: فَيَهْبِطُ الْمَلَكَانِ فَيُصَلِّيَانِ عِنْدَ الْقَبْرِ إِلَى أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ، فَيَكْتُبُ ثَوَابَ صَلَاتِهِمَا لَهُ، وَالرَّكْعَةُ مِنْ صَلَاتِهِمَا تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الْآدَمِيِّينَ.

قَالَ سَدِيرٌ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَإِذاً وَلِيُّكُمْ نَائِماً وَمَيِّتاً أَعْبَدُ مِنْهُ حَيّاً وَقَائِماً؟ قَالَ: فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا سَدِيرُ إِنَّ وَلِيَّنَا لَيُؤْمِنُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجِيزُ[٣] أَمَانَهُ.

٢٠٦٧. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَلَوِيِّ الْعُرَيْضِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمَّيْهِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِمَا مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: يُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْحَفَظَةِ الْكِرَامِ[٥]: لَا تَكْتُبُوا عَلَى عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ ضَجَرِهِ[٦] شَيْئاً.

أقول:

الأخبار الدالّة على الكاتبين مبثوثة في الأبواب السابقة[٧] واللاحقة[٨]، وفيما ذكرناه هنا كفاية.

٢٠٦٨. محاسبة النفس للسيّد علي بن طاووس «قدّس اللّه روحه»[٩]: مِنْ أَمَالِي الْمُفِيدِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: إِنَّ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ عَلَى الْعَبْدِ يَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، فَأَمْلُوا بِأَوَّلِهَا[١٠] وَآخِرِهَا خَيْراً يُغْفَرْ لَكُمْ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ.

---

١. في البرهان: «أحب إليّ منه».

٢. لم يرد في المصدر والبرهان: «فاهبطا إلى قبر وليي».

٣. أجاز أمره: إذا أمضاه، راجع لسان العرب.

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٧١، ح ١١٨٣؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٧٠؛ أعلام الدين، ص ٢٠٩.

٥. في مجموعة ورّام والأعلام: «الكرام البررة».

٦. الضَّجَر: القلق من الغم، راجع لسان العرب.

٧. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب من رفع عنه القلم ونفي الحرج في الدين.

٨. المصدر السابق، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب تضاعف الحسنات.

٩. محاسبة النفس، ص ١٤؛ الأمالي (للمفيد)، ص ١، ح ١؛ فلاح السائل، ص ٢١٥.

١٠. في المصدر: «فاعلموا بأوّلها»، وفي فلاح السائل: «فاملئوا أوّلها».

٢٠٦٩. وَمِنْهُ[١]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ الدُّعَاءِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّفَّارِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ كُلِّ ذَنْبٍ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

٢٠٧٠. وَمِنْهُ[٢]، مُرْسَلاً عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا تَقْطَعُوا[٣] نَهَارَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، وَفَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ مَعَكُمْ حَفَظَةً يُحْصُونَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْنَا[٤].

٢٠٧١. وَمِنْهُ[٥]، نَقْلاً مِنْ تِبْيَانِ شَيْخِ الطَّائِفَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٦] قَالَ: رُوِيَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي كُلِّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَعْلَمُهَا، وَكَذٰلِكَ تُعْرَضُ عَلَى الْأَئِمَّةِ عليهم السلام فَيَعْرِفُونَهَا وَهُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

٢٠٧٢. وَمِنْهُ[٧]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ الْأَزْمِنَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَصُومُ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْأَعْمَالَ تُرْفَعُ فِي كُلِّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَأُحِبُّ أَنْ تُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ.

٢٠٧٣. وَبِإِسْنَادِهِ[٨] عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ إِثْنَيْنِ وَلَا خَمِيسٍ إِلَّا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَّا عَمَلَ الْمَقَادِيرِ[٩].

٢٠٧٤. وَمِنْهُ[١٠]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ التَّذْيِيلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ النَّجَّارِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عِنْدَ الْعَصْرِ أَهْبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، مَعَهَا صَحَائِفُ مِنْ فِضَّةٍ، بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ مِنْ ذَهَبٍ تَكْتُبُ الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ[١١].

---

١. محاسبة النفس، ص ١٥؛ ثواب الأعمال، ص ١٦٥؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ٥٦.

٢. محاسبة النفس، ص ١٥؛ الخصال، ج ٢، ص ٦١٣، ح ١٠؛ تحف العقول، ص ١٠٣؛ وفي الأخيرين ضمن رواية.

٣. انقطع الشيء: ذهب وقته، راجع لسان العرب.

٤. في الخصال: «حفظة يحفظون علينا وعليكم»، وفي التحف: «حفظة يحفظون عليكم».

٥. محاسبة النفس، ص ١٦؛ التبيان، ج ٥، ص ٢٩٥؛ تأويل الآيات الظاهرة، ج ١، ص ٢١٣.

٦. التوبة/١٠٥.

٧. محاسبة النفس، ص ١٩.

٨. المصدر السابق، ص ٢٠.

٩. **نقول:** لعلّ المراد منه الأعمال التي تصدر عن الإنسان بلا علم منه ولا اختيار، وكانت مقدرة صدورها في علم اللّه، ولا يحاسب عليها لعدم اختياره فيها.

١٠. محاسبة النفس، ص ٢٢.

١١. في نسخة: عند غروب الشمس. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٢٠٧٥. وَمِنْهُ[١]، بِإِسْنَادِهِ إِلَى شَيْخِ الطَّائِفَةِ، بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَنْبَسَةَ الْعَابِدِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: آخِرُ خَمِيسٍ فِي الشَّهْرِ تُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُ الشَّهْرِ.

٢٠٧٦. وَمِنْهُ[٢]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ خُطَبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِعَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَلُودِيِّ قَالَ: إِنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، قَالَ: وَيْلَكَ، ذٰلِكَ الضُّرَاحُ[٣] بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ حِيَالَ الْكَعْبَةِ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ[٤] سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فِيهِ كِتَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَنْ يَمِينِ الْبَابِ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ[٥]، وَفِيهِ كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ عَنْ يَسَارِ الْبَابِ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ أَهْلِ النَّارِ بِأَقْلَامٍ سُودٍ[٦]، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْعِشَاءِ ارْتَفَعَ الْمَلَكَانِ فَيَسْمَعُونَ مِنْهُمَا مَا عَمِلَ الرَّجُلُ[٧] فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٨].

٢٠٧٧. وَمِنْهُ[٩]، نَقْلاً مِنْ كِتَابِ ابْنِ عُمَرَ الزَّاهِدِ صَاحِبِ تغلب[١٠] قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، عَنِ الصُّبَاحِيِّ أُسْتَادِ الْإِمَامِيَّةِ مِنَ الشِّيعَةِ[١١]، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالُوا: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ يَجْلِسَانِ عَلَى نَاجِذَيِ الرَّجُلِ، يَكْتُبَانِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، وَيَسْتَمِدَّانِ مِنْ غُرَّيْهِ وَرُبَّمَا جَلَسَا عَلَى الصِّمَاغَيْنِ.

فَسَمِعْتُ تغلبا[١٢] يَقُولُ: الِاخْتِيَارُ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ مَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: قَالَ: النَّاجِدَانِ: النَّابَانِ[١٣]، وَالْغُرَّانِ: الشِّدْقَانِ، وَالصَّامِغَانِ وَالصِّمَاغَانِ ـ وَمَنْ قَالَهُمَا بِالْعَيْنِ فَقَدْ صَحَّفَهُمَا ـ: مُجْتَمَعَا الرِّيقِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ يُسَمِّيهِمَا الْعَامَّةُ الصِّوَارَيْنِ[١٤].

---

١. محاسبة النفس، ص ٢٤؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٨١، ح ٣؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٢١، ح ١٣٧٤٥.

٢. محاسبة النفس، ص ٢٨؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٣١، وقد تمت الرواية فيه إلى عبارة: «لا يعودون إليه».

٣. في المصدر: «الصراح».

٤. في المصدر: «من لؤلؤ جوّ فيدخل كل يوم».

٥. في المصدر: «يكتبون أعمال أهل الجنة بأقلام من نور».

٦. السود: جمع أسود، راجع شمس العلوم.

٧. في المصدر: «فإذا كان المقدار العشار ارتفع المكان فيستنسخون منهم ما عمل الرجل».

٨. الجاثية/٢٩.

٩. محاسبة النفس، ص ٢٨.

١٠. في نسخة من المصدر: «أبي عمر الزاهد صاحب ثعلب».

١١. في المصدر: «أخبرني العطا، عن الصبّاح بإسناد الإمامية، عن الشيعة ...».

١٢. في نسخة من المصدر: «ثعلب» في الموضعين.

١٣. الناب: هي السنّ التي خلف الرباعية، راجع لسان العرب.

١٤. في المصدر بهذه العبارة: «والناجدان: الثابتان، والغران: المشدغان، والصانعان والصماعان ـ ومن قالهما بالغين فقد صحف ـ: إن الملكين

←

وَقَالَ: سُئِلَ عَنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: نَظِّفُوا الصِّمَاغَيْنِ فَإِنَّهُمَا مَقْعَدُ الْمَلَكَيْنِ، فَقَالَ تغلب: هُمَا الْمَوْضِعُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الرِّيقُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَهُمَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ الصِّوَارَيْنِ.

بيان:

روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «النواجذ»: هي التي تبدو عند الضحك، وقال: «الغُرَّان» بالضمّ: الشدقان. وقال: «الصماغان»: مجتمع الريق في جانبي الشفة؛ وقيل: هما ملتقى الشدقين، ويقال لهما: الصامغان والصماغان والصواران.



← يجلسان على ناجدي الرسل يكتبان خيره و شره ويشهدان عن غرّيه، و ربما جلسا على الصماخين. فسمعت تغلبايقول: الاختيار من هذا كله ما قال أمير المؤمنين عليه السلام وهما مجمعا الريق من الجانبين، وهما اللذان يسميهما العامة الصوارين».

﴿باب ١٧﴾

«الوعد والوعيد، والحبط والتكفير»

الآيات:

البقرة/٢١٧: ﴿... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

آل عمران/٩: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

آل عمران/٢٢: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

آل عمران/١٩٤: ﴿... إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

النساء/٣١: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...﴾

النساء/١٢٣: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾

الأعراف/١٤٧: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ...﴾

الأنفال/٢٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

التوبة/١٧: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِى النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

التوبة/٦٩: ﴿... أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...﴾

الرعد/٣١: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

الكهف/١٠٥: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ...﴾

العنكبوت/٧: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الروم/٦: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الروم/٦٠: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

الأحزاب/١٢: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾

الأحزاب/١٩: ﴿... أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾

الزمر/٢٠: ﴿... وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾

الزمر/٣٥: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

غافر/٧٧: ﴿... إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ...﴾

محمّد/٢: ﴿... كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾

محمّد/٩: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

محمّد/٢٨: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

محمّد/٣٢: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]

---

١. **نقول:** إحباط أعمالهم إما أن يكون إشارة إلى أعمال الخير التي قد يقومون بها أحيانا كإقراء الضيف، والإنفاق، ومعونة ابن السبيل؛ أو أن يكون إشارة إلى عدم تأثير خطط هؤلاء ومؤامراتهم ضد الإسلام.

بحث: عوامل إحباط ثواب العمل

من المسائل الأساسية التي أكدت عليها آيات القرآن المختلفة، ومنها الآية مورد البحث، هي أن يحذر المؤمنون من أن تحبط أعمالهم كالكفار. وبتعبير آخر: فإن نفس العمل شيء، والحفاظ عليه شيء أهم، فإن العمل الصالح السالم المفيد هو العمل الذي يكون منذ البداية سالما من العيوب وأن يحافظ عليه من الخلل والعيب حتى نهاية العمر.

والعوامل التي تؤدي إلى إحباط أعمال الإنسان، أو تهددها بذلك الخطر كثيرة، ومن جملتها:

١. المن والأذى، كما يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة/٢٦٤). فهنا ذكر عاملان لبطلان العمل: أحدهما المنّ والأذى، والآخر الرياء والكفر، فالأول يأتي بعد العمل والثاني قرينه، وهما كالنار يحرقان الأعمال الصالحة.

٢. العُجب عامل آخر في إحباط آثار العمل، كما ورد ذلك في الحديث: «العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

٣. الحسد ـ أيضاً ـ أحد هذه الأسباب، والذي ورد فيه تعبير شبيه بما ورد في العجب، فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وكما تذهب الحسنات السيئات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود/١١٤)،

←

الفتح/٥: ﴿... وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ...﴾

الحجرات/٢: ﴿... وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

التغابن/٩: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ...﴾

الطلاق/٥: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ...﴾

التحريم/٨: ﴿... عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...﴾

الزلزال/٧ و٨: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1]

تحقيق:

اعلم أنّ المشهور بين متكلّمي الإماميّة بطلان الإحباط والتكفير، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة، بمعنى أنّ الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم اللّه منه أنّه يموت على الإيمان؛ والعقاب على

← فإن السيئات تمحو كل الحسنات أحيانا.

٤. المحافظة على الإيمان إلى آخر لحظات العمر، وهذا أهم شرط لبقاء آثار العمل، لأن القرآن يقول بصراحة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر/٦٥). من هنا نعرف أهمية ومشاكل وصعوبات مسألة المحافظة على الأعمال، ولذلك ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الإبقاء على العمل أشد من العمل»، قال ـ أي الراوي ـ: وما الإبقاء على العمل؟ قال: «يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة للّه وحده لا شريك له فكتب له سرّا، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء». وقد أشارت الآية التالية إشارة خفية إلى هذه الأُمور حيث تقول: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٦، ص ٣٩١ و٣٩٢)

١. **نقول:** يطرح هنا سؤال بشأن ما تحدّثت عنه الآيات، وهو: أن الإنسان يرى كل أعماله صالحة أم طالحة، صغيرة أم كبيرة. فكيف ينسجم ذلك مع الآيات التي تطرح مفاهيم الإحباط والتكفير والعفو والتوبة؟ فآيات الإحباط تقرر أن بعض السيئات مثل الكفر يذهبن الحسنات: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر/٦٥)، وآيات التكفير تقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود/١١٤)، وآيات العفو والتوبة توضح محو الذنوب بتوبة العبد وعفو الرب. فكيف تنسجم هذه المفاهيم مع رؤية كل أعمال الخير والسوء؟

والجواب: أن الآيات المذكورة أعلاه والتي تنص على رؤية أعمال الخير وأعمال السوء يوم القيامة هو أصل كلي وقانون عام. وكل قانون قد يكون له استثناءات، وآيات العفو والتوبة والإحباط والتكفير هي من هذه الاستثناءات.

وثمّة جواب آخر هو إنه في حالة الإحباط والتكفير تحدث في الواقع موازنة وكسر وانكسار تماما مثل المطالبات والقروض التي يقل بعضها على حساب بعض، وحينما يرى الإنسان نتيجة هذه الموازنة فإنما رأى في الواقع كل أعماله الصالحة والطالحة. ومثل هذا يصدق أيضا على العفو والتوبة لأن العفو لا يتم دون لياقة، والتوبة هي بنفسها من الأعمال الصالحة.

بعضهم ذكر هنا جوابا لا يبدو صحيحا، وهو أن الكفار يرون نتيجة أعمالهم الصالحة في هذه الدنيا، وهكذا المؤمنون ينالون جزاء أعمالهم السيئة في هذا العالم. والظاهر أن الآيات التي نحن بصددها ترتبط بالقيامة لا بالدنيا، أضف إلى ذلك ليست هناك قاعدة كلية تقضي أن يرى كل مؤمن وكافر نتيجة أعماله في هذه الدنيا. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٢٠، ص ٣٨٢)

الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم اللّه أنّه لا يسلم ولا يتوب، وبذلك أوّلوا الآيات الدالّة على الإحباط والتكفير، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات والأخبار الدالّة عليهما.

قال شارح المقاصد: لا خلاف في أنّ من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنّة، بمنزلة من لا معصية له، ومن كفر ـ نعوذ باللّه ـ بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار، بمنزلة من لا حسنة له؛ وإنّما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً وآخر سيّئاً كما يشاهد من الناس، فعندنا مآله[1] إلى الجنّة ولو بعد النار، واستحقاقه للثواب والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط.

والمشهور من مذهب المعتزلة أنّه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه وطاعاته، وما يثبت من استحقاقاته، أين طارت؟ وكيف زالت؟ فقالوا: بحبوط الطاعات، ومالوا إلى أنّ السيّئات يذهبن الحسنات، حتّى ذهبت الجمهور منهم إلى أنّ الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات، وفساده ظاهر، أمّا سمعاً، فللنصوص الدالّة على أنّ اللّه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً، وأمّا عقلاً، فللقطع بأنّه لا يحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا، أو جرعة من الخمر. قالوا: الإحباط مصرّح في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ**﴾، ﴿**أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾، ﴿**ولَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾[2] قلنا: لا بالمعنى الذي قصدتم، بل بمعنى أنّ من عمل عملاً استحقّ به الذمّ، وكان يمكنه أن يعمله على وجه يستحقّ به المدح والثواب؛ يقال: إنّه أحبط عمله كالصدقة مع المنّ والأذى وبدونها.

وأمّا إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنّه لا يثاب عليها البتّة، فليس من التنازع في شيء؛ وحين تنبّه أبو عليّ وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التمادي[3] بعض الرجوع، فقالا: إنّ المعاصي إنّما يحبط الطاعات إذا أُوردت عليها، وإن أُوردت الطاعات أحبطت المعاصي، ثمّ ليس النظر إلى أعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الأوزار والأُجور، فربّ كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة، ولا سبيل إلى ضبط ذلك، بل هو مفوّض إلى علم اللّه تعالى، ثمّ افترقا فزعم أبو عليّ أنّ الأقلّ يسقط ولا يسقط من الأكثر شيئاً، ويكون سقوط الأقلّ عقاباً إذا كان الساقط ثواباً، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً، وهذا هو الإحباط المحض. وقال أبو هاشم: الأقلّ يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنّه

---

١. الأوْل: الرجوع، راجع لسان العرب.

٢. البقرة/٢٦٤.

٣. تمادى في الشيء: لجّ فيه، راجع شمس العلوم.

يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب، وكذا العكس، وهذا هو القول بالموازنة[١]. انتهى كلامه.

أقول:

الحقّ أنّه لا يمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي يموت عليه، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه، وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أنّ كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات، وأنّ كثيراً من الطاعات كفّارة لكثير من السيّئات، والأخبار في ذلك متواترة، وقد دلّت الآيات على أنّ الحسنات يذهبن السيّئات، ولم يقم دليل تامّ على بطلان ذلك.

وأمّا أنّ ذلك عامّ في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم، وأمّا أنّ ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب، أو على سبيل الاشتراط بأنّ الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده، وأنّ العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلا يثيب، أو لا ثواب وعقاب، فلا يهمّنا تحقيق ذلك، بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ، لكنّ الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإماميّة أنّهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة، وأمّا الدلائل التي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها.

ثمّ اعلم أنّه لا خلاف بين الإماميّة في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار، وأمّا أنّهم هل يدخلون النار، أو يعذّبون في البرزخ والمحشر فقط؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها[٢].

الروايات:

٢٠٧٨. المحاسن[٣]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيُّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً فَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ.

٢٠٧٩. كنز الكراجكيّ[٤]: عَنِ الْمُفِيدِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ[٥] الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ

---

١. شرح المقاصد، ج ٥، ص ١٤٢-١٤٤.

٢. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب الموت وما يلحقه، باب أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله.

٣. المحاسن، ج ١، ص ٢٤٦، ح ٢٤٣؛ تحف العقول، ص ٤٨؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٤٠٦، ح ٣.

٤. كنز الفوائد (للكراجكي)، ج ١، ص ٢٢٣؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٢١٢، ح ٣٦٩؛ أعلام الدين، ص ٤٣؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٥. في الأمالي: «عن سليمان بن داود المنقري».

حُمَيْدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: يُوقَفُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقُولُ: قِيسُوا بَيْنَ نِعَمِي عَلَيْهِ وَبَيْنَ عَمَلِهِ، فَتَسْتَغْرِقُ النِّعَمُ الْعَمَلَ؛ فَيَقُولُونَ: قَدِ اسْتَغْرَقَ النِّعَمُ الْعَمَلَ[1]، فَيَقُولُ: هَبُوا لَهُ النِّعَمَ، وَقِيسُوا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَوَى الْعَمَلَانِ أَذْهَبَ اللَّهُ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ فَضْلٌ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاتَّقَى الشِّرْكَ بِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْفِرَةِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ إِنْ شَاءَ[2]، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ.

٢٠٨٠. العقائد[3]: اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أنّ من وعده اللَّه على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار، إن عذّبه فبعدله، وإن عفا عنه فبفضله، وما اللَّه بظلّام للعبيد، وقد قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4].

واعتقادنا في العدل هو أنّ اللَّه تبارك وتعالى أمرنا بالعدل، وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضّل، وذلك أنّه عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[5].

بيان:

قال الشيخ المفيد «قدّس اللَّه روحه» في شرح القول الأخير: العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحقّ عليه، والظلم هو منع الحقوق، واللَّه تعالى كريم، جواد، متفضّل، رحيم، قد ضمن الجزاء على الأعمال، والعوض على المبتدإ من الآلام، ووعد التفضّل بعد ذلك بزيادة من عنده، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[6]، فخبّر أنّ للمحسن الثواب المستحقّ وزيادة من عنده، وقال: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني له عشر أمثال ما يستحقّ عليها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يريد أنّه لا يجازيه بأكثر ممّا يستحقّه.

ثمّ ضمن بعد ذلك العفو، ووعد بالغفران، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[7]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

---

١. لم يرد في المصدر والأعلام: «فيقولون قد استغرق النعم العمل».

٢. لم يرد في المصدر: «إن شاء».

٣. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٦٧ و٦٩.

٤. النساء/٤٨.

٥. الأنعام/١٦٠.

٦. يونس/٢٦.

٧. الرعد/٦.

فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[١] والحقّ الذي للعبد هو ما جعل اللّه حقّاً له واقتضاء جود اللّه وكرمه، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حقّ، لأنّه تعالى ابتدأ خلقه بالنعم، وأوجب عليهم بها الشكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم اللّه تعالى عليه بعمل، ولا يشكره أحد إلّا وهو مقصّر بالشكر عن حقّ النعمة، وقد أجمع أهل القبلة على أنّ من قال: إنّي وفيتُ جميع ما للّه عليّ وكافأت[٢] نعمه بالشكر فهو ضالّ، وأجمعوا على أنّهم مقصّرون عن حقّ الشكر، وأنّ للّه عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا اللّه سبحانه بما له عليهم، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه، ولأنّ حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول، وذلك أنّ الشاكر يستحقّ في العقول الحمد، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد، وإذا ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الذي يحكم عليه بحقّه ويشار إليه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مزيّة على من لا عمل له كان العدل من اللّه تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقّاً، وقد أمر تعالى بالعدل ونهى عن الجور، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ الآية[٣].[٤] انتهى.

وقال العلّامة «رحمه اللّه» في شرحه على التجريد: ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أنّ العفو جائز عقلاً، غير جائز سمعاً، وذهب البصريّون إلى جوازه سمعاً وهو الحقّ، واستدلّ المصنّف «رحمه اللّه» بوجوه ثلاثة[٥]:

الأوّل: أنّ العقاب حقّ للّه تعالى فجاز تركه والمقدّمتان ظاهرتان.

الثاني: أنّ العقاب ضرر بالمكلّف، ولا ضرر في تركه على مستحقّه، وكلّ ما كان كذلك كان تركه حسناً، أمّا أنّه ضرر بالمكلّف فضروريّ، وأمّا عدم الضرر في تركه فقطعيّ، لأنّه تعالى غنيّ بذاته عن كلّ شيء، وأمّا أنّ ترك مثل هذا حسن فضروريّة، وأمّا السمع فالآيات الدالّة على العفو كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ**﴾ فإمّا أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها، والأوّل باطل، لأنّ الشرك يغفر من التوبة فتعيّن الثاني، وأيضاً المعصية مع التوبة يجب غفرانها، وليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها، لأنّ الواجب لا يعلّق بالمشيّة، فما كان يحسن قوله: ﴿**لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ فوجب عود الآية إلى معصية

---

١. يونس/٥٨.

٢. كافأته: جازيته، راجع مجمع البحرين.

٣. النحل/٩٠.

٤. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ١٠٣-١٠٥.

٥. لم يرد في المصدر: «ثلاثة».

لا يجب غفرانها، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[١] و«على» يدلّ على الحال أو الغرض كما يقال: ضربت زيداً على عصيانه أي لأجل عصيانه، وهو غير مراد هنا قطعاً فتعيّن الأوّل، واللّـه تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنّه عفوّ غفور، وأجمع المسلمون عليه، ولا معنى له إلّا إسقاط العقاب عـن العاصي[٢]. انتهى.

أقول:

سيأتي الآيات والأخبار في ذلك[٣].

١. الرعد/٦.

٢. كشف المراد، ص ٤١٥.

٣. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب عفو اللّه تعالى.

﴿باب ١٨﴾

«عفو اللّه تعالى وغفرانه وسعة رحمته ونعمه على العباد»

الآيات:

البقرة/٦٤: ﴿... فَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

البقرة/١٧٣ و ١٨٢: ﴿... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في موضعين.

البقرة/٢٠٧: ﴿... وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

البقرة/٢١٨: ﴿... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

البقرة/٢٢١: ﴿... وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

البقرة/٢٢٥: ﴿... وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

البقرة/٢٢٦: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

البقرة/٢٣٥: ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

البقرة/٢٥١: ﴿... وَلٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

آل عمران/٣٠: ﴿... وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

آل عمران/٧٣ و ٧٤: ﴿... قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

آل عمران/١٢٩: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

آل عمران/١٥٢: ﴿... وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

آل عمران/١٥٥: ﴿... وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

آل عمران/١٧٤: ﴿... وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

النساء/٢٣: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾

النساء/٢٥: ﴿... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

النساء/٢٧: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ...﴾

النساء/٢٨: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ...﴾

النساء/٢٩: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾

النساء/٤٣: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾

النساء/٤٨: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾

النساء/٦٤: ﴿... لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾

النساء/٩٩: ﴿فَأُولٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾

المائدة/٣: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المائدة/١٨: ﴿... يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ...﴾

المائدة/٣٤: ﴿... فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المائدة/٤٠: ﴿أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الأنعام/١٤٧: ﴿... فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ...﴾

الأعراف/١٥٦: ﴿... قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾

الأنفال/٣٨: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾

التوبة/٨٠: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

التوبة/١٠٢: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

التوبة/١٠٦: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

التوبة/١١٣: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

التوبة/١١٧: ﴿... إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

التوبة/١٢٠: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

التوبة/١٢١: ﴿... لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يوسف/٩٢: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

إبراهيم/١٠: ﴿... يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...﴾

الحجر/٤٩ و٥٠: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾

الإسراء/٥٤: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ...﴾

النور/١٠: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾

النور/٢٠: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

النور/٢٢: ﴿... أَ لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

القصص/٨٤: ﴿... مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الأحزاب/٤٧: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾

فاطر/٤٥: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾

الزمر/٥٣: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

غافر/٦١: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

الشورى/٢٣: ﴿... وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

الفتح/١٤: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾

الحجرات/٥: ﴿... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

النجم/٣٢: ﴿... إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ...﴾

الحديد/٩: ﴿... وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

الحديد/٢٨و٢٩: ﴿... وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

الروايات:

٢٠٨١. عيون أخبار الرضا عليه السلام[١]: الْقَطَّانُ وَالنَّقَّاشُ وَالطَّالَقَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢] قَالَ: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا رَبٌّ يَغْفِرُ لَهَا.

بيان:

قيل: «اللام» بمعنى على، أي إن أسأتم فعلى أنفسكم؛ وقيل: أي فلها الجزاء والعقاب[٣]، وما في الخبر مبنيّ على الاكتفاء ببعض الكلام وهو شائع.

٢٠٨٢. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: الْمُفِيدُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْعَيْنَا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مِسْعَرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَفَرَ لَهُ؛ فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: هٰذَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾[٥] فَإِذَا كَانَ الظَّنُّ هُوَ الْمُرْدِيَ[٦] كَانَ ضِدُّهُ هُوَ الْمُنْجِيَ.

٢٠٨٣. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٧]: الْمُفِيدُ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِي، عَنْ يَعْقُوبَ

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٩٤، ح ٤٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣١٦؛ وفي تفسير البرهان، ج ٣، ص٥٠٨، ذيل ح ٦٢٦٤.

٢.الإسراء/٧.

٣. مجمع البيان، ج ٦، ص ٦١٥.

٤.الأمالي (للطوسي)، ص ٥٣، ح ٦٩؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٧٨٥، ح ٩٤٢١.

٥. فصّلت/٢٢ و ٢٣.

٦.الرَّدَى: الهلاك، راجع لسان العرب.

٧. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٨، ح ٨٤؛ الجواهر السنية، ص ٣١٦.

بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِ، عَنْ جُنْدَبٍ الْغِفَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ رَجُلاً قَالَ يَوْماً: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي تَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَ الْمُتَأَلِّي بِقَوْلِهِ: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ.

بيان:

قال الجزريّ: فيه: من يتألّى على اللّه يكذبه أي من حكم عليه وحلف كقولك: واللّه ليدخلنّ اللّه فلاناً النار، وهو من الألّيّة: اليمين، يقال: آلى يؤلي إيلاء وتألّى يتألّى تألّياً، والاسم الألّيّة، ومنه الحديث: «مَنِ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ؟».

٢٠٨٤. الأمالي للشيخ الطوسيّ[١]: الْمُفِيدُ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الزَّاهِدِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الطَّائِيَّ الْوَاعِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: قَرَأْتُ فِي زَبُورِ دَاوُدَ أَسْطُراً: مِنْهَا مَا حَفِظْتُ، وَمِنْهَا مَا نَسِيتُ، فَمَا حَفِظْتُ قَوْلُهُ: يَا دَاوُدُ اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ ـ وَالْحَقَّ أَقُولُ ـ مَنْ أَتَانِي وَهُوَ يُحِبُّنِي أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ[٢]، يَا دَاوُدُ اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ ـ وَالْحَقَّ أَقُولُ ـ مَنْ أَتَانِي وَهُوَ مُسْتَحْيٍ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي عَصَانِي بِهَا غَفَرْتُهَا لَهُ وَأَنْسَيْتُهَا حَافِظَيْهِ، يَا دَاوُدُ اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ ـ وَالْحَقَّ أَقُولُ ـ مَنْ أَتَانِي بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ. قَالَ دَاوُدُ عليه السلام: يَا رَبِّ وَمَا هٰذِهِ الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: مَنْ فَرَّجَ عَنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ؛ فَقَالَ دَاوُدُ عليه السلام: إِلٰهِي لِذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَنْقَطِعَ رَجَاؤُهُ مِنْكَ.

٢٠٨٥. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٣]: الْمُفِيدُ، عَنِ الْجِعَابِيِّ، عَنِ ابْنِ عُقْدَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَزَّازِ، عَنْ إِلْيَاسَ بْنِ عَامِرٍ[٤]، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ فَأَيْنَ عُتَقَاءُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ[٥]؟

٢٠٨٦. كتاب حسين بن سعيد[٦]: فُضَيْلُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ[٧] ادْعُ اللَّهَ لِي، فَإِنَّ لِيَ ذُنُوباً كَثِيرَةً، فَقَالَ: مَهْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ لَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ عَوْناً عَلَى نَفْسِكَ[٨] إِنَّ عَفْوَ اللَّهِ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ.

---

١. الأمالي (للطوسي)، ص ١٠٦، ح ١٦٢؛ الجواهر السنية، ص ١٨٣.

٢. لم يرد في الجواهر: «من أتاني وهو يحبُّني أدخلته الجنة».

٣. الأمالي (للطوسي)، ص ١٧٩، ح ٣٠٠.

٤. في المصدر: «العباس بن عامر».

٥. في المصدر مع زيادة: «إن للّه عُتقاء من النار».

٦. الزهد، ص ٩٩، ح ٢٦٧.

٧. في المصدر: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ـ جعلت فداك ـ».

٨. أي عوناً على هلاك نفسك بيأسك وقنوطك عن رحمة اللّه. (هامش المطبوع)

٢٠٨٧. كتاب حسين بن سعيد[١]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ بِحَدِيثٍ يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَعِيَهُ[٢]، فَحَدَّثَنَا بِهِ غَدَاةً وَنَسِينَاهُ عَشِيَّةً، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثْتَنَاهُ بِهِ غَدَاةً نَسِينَاهُ، وَقُلْتَ: هُوَ حَقُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَعِيَهُ فَأَعِدْهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ: إِنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَانَ أَجَلَّ وَأَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ بِعُقُوبَةٍ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ أَجَّلَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣].

٢٠٨٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: ابْنُ مَخْلَدٍ، عَنِ الرَّزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْقَاضِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَمْصَمِ بْنِ زُرْعَةَ[٥]، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كَانَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ يُحَدِّثُ أَنَّ رِجَالاً سَأَلُوا النَّوَّاسَ بْنَ سِمْعَانَ فَقَالُوا: مَا أَرْجَى شَيْءٍ سَمِعْتَ لَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ فَقَالَ النَّوَّاسُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً فَقَدْ حَلَّتْ لَهُ مَغْفِرَتُهُ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ. قَالَ نُوَاسٌ عِنْدَ ذٰلِكَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَمُوتَ أَحَدٌ تَحِلُّ لَهُ مَغْفِرَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا غَفَرَ لَهُ.

٢٠٨٩. ثواب الأعمال[٦]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ[٧]: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لِي أَنْ أُعَذِّبَهُ وَأَنَّ لِي أَنْ أَعْفُوَ عَنْهُ عَفَوْتُ عَنْهُ.

٢٠٩٠. كتاب حسين بن سعيد[٨]: بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: رُوزْبِهُ، وَكَانَ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، عَنِ الثُّمَالِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ عَمَلاً لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوَّلاً، فَإِذَا تَثَنَّى سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا ثَلَّثَ أَهْبَطَ اللَّهُ مَلَكاً فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ يَقُولُ لِلنَّاسِ: فَعَلَ كَذَا وَكَذَا.

---

١. الزهد، ص ٩٨، ح ٢٦٦.

٢. وَعَى الشيئ والحديث يعيه وَعْيا وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، راجع لسان العرب.

٣. الشورى/ ٣٠.

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٣٩١، ح ٨٦١.

٥. في المصدر: «ضمضم بن زرعة».

٦. ثواب الأعمال، ص ١٧٩؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٦، ح ٦؛ وفي الكافي، ج ٢، باب الاعتراف بالذنوب، ص ٤٢٧، ح ٥، بمضمونه.

٧. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عمن ذكره، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال اللّه تعالى»، وفي الكافي: «الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران السبيعي، عن محمد بن الوليد، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٨. الزهد، ص ٧٤، ح ١٩٨؛ مشكاة الأنوار، ص ١١١؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢٠١.

٢٠٩١. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ حُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ ـ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ ـ عَنْهُ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[٢] قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: الثَّوْبَ وَالشَّيْءَ لَمْ تَسْأَلْهُ إِيَّاهُ أَعْطَاكَ.

٢٠٩٢. الخرائج والجرائح[٣]: قَالَ أَبُو هَاشِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَيَعْفُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَفْواً يُحِيطُ عَلَى الْعِبَادِ[٤]، حَتَّى يَقُولَ أَهْلُ الشِّرْكِ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٥] فَذَكَرْتُ فِي نَفْسِي حَدِيثاً حَدَّثَنِي بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾[٦] فَقَالَ الرَّجُلُ: وَمَنْ أَشْرَكَ[٧]. فَأَنْكَرْتُ ذٰلِكَ وَتَنَمَّرْتُ[٨] لِلرَّجُلِ، فَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٩] بِئْسَمَا قَالَ هٰذَا، وَبِئْسَمَا رَوَى.

٢٠٩٣. تفسير العيّاشيّ[١٠]: عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ السَّعْدِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١١] يَعْنِي أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ يَجْزِي بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً وَبِالسَّيِّئِ سَيِّئاً، وَيَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٠٩٤. نوادر الراونديّ[١٢]: بِإِسْنَادِهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي وَأَمَتِي يَشِيبَانِ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا.

٢٠٩٥. دعوات الراونديّ[١٣]: رَوَى أَنَّ فِي الْعَرْشِ تِمْثَالاً لِكُلِّ عَبْدٍ، فَإِذَا اشْتَغَلَ الْعَبْدُ بِالْعِبَادَةِ رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ تِمْثَالَهُ، وَإِذَا اشْتَغَلَ الْعَبْدُ بِالْمَعْصِيَةِ أَمَرَ اللَّهُ بَعْضَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحْجُبُوهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ لِئَلَّا تَرَاهُ الْمَلَائِكَةُ، فَذٰلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ.

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٣٠، ح ٣٠؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٨٩؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣١٠، ح ٥٧٥٦.

٢. إبراهيم/٣٤.

٣. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٨٦، ح ٧؛ الدرّ النظيم، ص ٧٤٤؛ وفي الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢٠٩، ح ٢٨، مع اختلاف العباراة.

٤. في المصدر والدرّ النظيم: «عفواً لا يخطر على بال العباد»، وفي الصراط: «عفواً لا يخطر ببال العباد».

٥. الأنعام/٢٣.

٦. الزمر/٥٣.

٧. في نسخة: ومن المشرك. (هامش المطبوع)

٨. نمرَّ وجهه: غيَّره وعبَّسه، راجع لسان العرب.

٩. النساء/٤٨.

١٠. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٥١، ح ٤٢؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٤٥٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٨٧، ح ٣١٩.

١١. هود/٥٦.

١٢. النوادر (للراوندي)، ص ٧؛ الجعفريات (الأشعثيات)، ص ١٩٧؛ وفي إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ٤١، مع زيادة.

١٣. الدعوات (للروانديّ)، ص ٦٠، ح ١٤٩.

٢٠٩٦. وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام[١]: سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾[٢] أَفَتَرَاكَ[٣] يَجْمَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْقِسْمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ النَّارُ؟

٢٠٩٧. عدّة الداعي[٤]: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ[٥]: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا كَانَ لِي قِبَلَكُمْ فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكُمْ، وَقَدْ بَقِيَتِ التَّبِعَاتُ[٦] بَيْنَكُمْ فَتَوَاهَبُوا وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي[٧].

أقول:

سيأتي الأخبار في ذلك في أبواب الحشر[٨].

فائدة:

قال العلّامة الدوّانيّ في شرح العقائد: المعتزلة والخوارج أوجبوا عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، وحرّموا عليه العفو، واستدلّوا عليه بأنّ اللّه تعالى أوعد مرتكب الكبيرة بالعقاب، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعده والكذب في خبره، وهما محالان. ثمّ قال بعد ذكر أجوبة مردودة: الوجه في الجواب ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الوعد والوعيد مشروطان بقيود وشروط معلومة من النصوص، فيجوز التخلّف بسبب انتفاء بعض تلك الشروط، وأنّ الغرض منها إنشاء الترغيب والترهيب.

ثمّ قال: واعلم أنّ بعض العلماء ذهب إلى أنّ الخلف في الوعيد جائز على اللّه تعالى، وممّن صرّح به الواحديّ في التفسير الوسيط في قوله تعالى في سورة النساء: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾** الآية[٩]؛ حيث قال: والأصل في هذا أنّ اللّه تعالى يجوز أن يخلف الوعيد وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد، وبهذا وردت السنّة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله **فِيمَا أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى**

---

١. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٤٠، ح ٦٧٢.

٢. النحل/٣٨.

٣. في المصدر: « وأنا أُقسم باللّه جهد يميني ليبعثنّ من يموت أفتراك ...».

٤. عدّة الداعي، ص ١٤٨؛ أعلام الدين، ص ٢٨١؛ الجواهر السنية، ص ٣٢٥.

٥. لم يرد في الجواهر: «تحت العرش».

٦. التبعات: ما فيه إثم يُتبع به، راجع تاج العروس.

٧. **نقول:** هذه الرواية وأمثالها إشارة إلى من كان في طريق الهدى فحصل له عثرات وبعض الخطايا، لا من هو مستغرق في بحار المعاصي الذي ثبت في كتاب اللّه عقوبته بأعماله.

٨. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب المعاد وما يتبعه، باب محاسبة العباد وحكمه تعالى في مظالمهم ويسألهم عنه وفيه حشر الوحوش.

٩. النساء/٩٣.

السَّاجِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ السُّلَمِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمَيَّالِيِّ[١]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلِهِ ثَوَاباً فَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلِهِ عِقَاباً فَهُوَ بِالْخِيَارِ[٢].

وأخبرنا أبو بكر، حدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن حمزة، حدّثنا أحمد بن الخليل الأصمعيّ، قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء وقال: يا أبا عمرو يخلف اللّه ما وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من أوعده اللّه على عمل عقاباً أيخلف اللّه وعيده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إنّ الوعد غير الوعيد، إنّ العرب لا يعدّ عيباً ولا خلفاً أن يعد شرّاً ثمّ لم يفعله، بل يرى ذلك كرماً وفضلاً، وإنّما الخلف أن يعد خيراً ثمّ لم يفعله[٣]. قال: فأوجدني هذا العرب؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

وإنّـــي إذا أوعـــدته أو وعـدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

والذي ذكره أبو عمرو مذهب الكرام، ومستحسن عند كلّ أحد خلف الوعيد، كما قال السريّ الموصليّ:

إذا وعد السرّاء أنـجز وعـده وإن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال: الوعد والوعيد حقّ، فالوعد حقّ العباد على اللّه تعالى، إذ من ضمن أنّهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا فالوفاء حقّهم عليه، ومن أولى بالوفاء من اللّه؟ والوعيد حقّ على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأُعذّبكم، ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ، لأنّه حقّه وهو أولى بالعفو والكرم، إنّه غفور رحيم[٤]. انتهى لفظه.

وقيل[٥]: إنّ المحقّقين على خلافه، كيف وهو تبديل للقول؟ وقد قال اللّه تعالى: **﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَـدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[٦].

---

١. في التفسير الوسيط وشرح العقائد: «ثابت البناني».

٢. ورد مثله في تحف العقول، ص ٤٨.

٣. وهذا مما اشتبه فيه الأمر على أبي عمرو، فعدّ حكم المعنى حكما للفظ حتى أنشد فيه الشعر مع أن البحث عقلي لا لفظي وأيّ ربط لمسألة خلف الوعيد باللغة حتى يختلف الحكم بالعربية والعجمية؟ ولهذا الاشتباه نظائر كثيرة في الأبحاث الكلامية يعثر عليه المتتبع؛ وحقيقة الأمر أن الوفاء بالوعد واجب بحسب قضاء الفطرة غير أن كرامة النفس ونشر الرحمة ربما يحكمان على هذا الحكم بحسب المصلحة فيقدمان عليه أثراً وهو العفو عند المجازاة من غير أن يبطلا أصل الأمر والنهى حتى يعود إلى التناقض أو ما يشبهه؛ فافهم ذلك. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٤. التفسير الوسيط، ج ٢، ص ١٠٠ و١٠١.

٥. القائل هو التفتازاني في شرح العقائد النسفية، ص ٧٤.

٦. ق/٢٩.

قلت: إن حمل آيات الوعيد على إنشاء التهديد فلا خلف، لأنّه حينئذ ليس خبراً بحسب المعنى، وإن حمل على الإخبار كما هو الظاهر فيمكن أن يقال: بتخصيص المذنب المغفور عن عمومات الوعيد بالدلائل المنفصلة، ولا خلف على هذا التقدير أيضا، فلا يلزم تبدّل القول؛ وأمّا إذا لم نقل بأحد هذين الوجهين فيشكل التفصّي عن لزوم التبدّل والكذب، اللّهمّ إلّا أن يحمل آيات الوعيد على استحقاق ما أوعد به، لا على وقوعه بالفعل وفي الآية المذكورة إشارة إلى ذلك حيث قال: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[1].[2] انتهى.

وقال الشيخ المفيد «قدّس اللّه روحه» في كتاب العيون والمحاسن: حكى أبو القاسم الكعبيّ في كتاب الغرر عن أبي الحسين الخيّاط قال: حدّثني أبو مجالد قال: مرّ أبو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد وهو يتكلّم في الوعيد قال: إنّما أتيتم من العجمة، لأنّ العرب لا يرى ترك الوعيد ذمّاً، وإنّما يرى ترك الوعد ذمّاً، وأنشد:

وإنّي وإن أوعدته ووعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قال: فقال له عمرو: أ فليس تسمّي تارك الإيعاد مخلفاً؟ قال: بلى؛ قال: فتسمّي اللّه تعالى مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعده؟ قال: لا. قال: فقد أبطلت شهادتك.

قال الشيخ «رحمه اللّه»: ووجدت أبا القاسم قد اعتمد على هذا الكلام واستحسنه ورأيته قد وضعه في أماكن شتّى من كتبه، واحتجّ به على أصحابنا الراجئة؛ فيقال له إنّ عمرو بن عبيد ذهب عن موضع الحجّة في الشعر، وغالط أبا عمرو بن العلاء، وجهل موضع المعتمد من كلامه وذلك أنّه إذا كانت العرب والعجم وكلّ عاقل يستحسن العفو بعد الوعيد، ولا يعلقون بصاحبه ذمّاً فقد بطل أن يكون العفو من اللّه تعالى مع الوعيد قبيحاً، لأنّه لو جاز أن يكون منه قبيحاً ما هو حسن في الشاهد عند كلّ عاقل لجاز أن يكون منه حسناً ما هو قبيح في الشاهد عند كلّ عاقل، وهذا نقض العدل والمصير إلى قول أهل الجور والجبر؛ مع أنّه إذا كان العفو مستحسناً مع الخلف فهو أولى بأن يكون حسناً مع عدم الخلف، ونحن إذا قلنا: إنّ اللّه سبحانه يعفو مع الوعيد فإنّما نقول: إنّه توعّد بشرط يخرجه من الخلف في وعيده، لأنّه حكيم لا يعبث؛ وإذا كان حسن العفو في الشاهد منّا يَغْمُر[3] قبح الخلف حتّى يسقط الذمّ عليه، وهو لو حصل في موضع لم يجزيه العفو، أو ما حاصل في معناه من الحسن لكان الذمّ عليه قائماً، ويجعل وجود الخلف كعدمه في ارتفاع اللوم عليه، فهو في إخراج الشرط المشهور عن القبح إلى صفة الحسن وإيجاب الحمد والشكر لصاحبه أحرى وأولى من إخراجه الخلف عمّا كان يستحقّ عليه من الذمّ عند حسن العفو وأوضح في باب البرهان، وهذا بيّن لمن تدبّره.

---

١. النساء/٩٣.

٢. التعليقات على شرح العقائد العضدية، ص ١٠١-١٠٤.

٣. غمره: غطّاه، راجع لسان العرب.

وشيء آخر وهو أنّا لا نطلق على كلّ تارك للإيعاد الوصف بأنّه مخلف، لأنّه يجوز أن يكون قد شرط في وعيده شرطاً أخرجه به عن الخلف، وإن أطلقنا ذلك في البعض فلإحاطة العلم به، أو عدم الدليل على الشرط فنحكم على الظاهر، فإن كان أبو عمرو بن العلاء أطلق القول في الجواب إطلاقاً فإنّما أراد به الخصوص دون العموم، وتكلّم على معنى البيت الذي استشهد به، وما رأيت أعجب من متكلّم يقطع على حسن معنى مع مضامّته لقبيح ويجعل حسنه مسقطاً للذمّ على القبيح، ثمّ يمتنع من حسن ذلك المعنى مع تعرّيه[1] من ذلك القبيح ثمّ يفتخر بهذه النكتة عند أصحابه ويستحسن احتجاجه المؤدّي إلى هذه المناقضة، ولكنّ العصبيّة ترين[2] القلوب[3].



١. ما يعرّى فلان من هذا الأمر: ما يخلّص، راجع أساس البلاغة؛ والتعرّي: التخلّص.

٢. والرَّيْن والران هو ما غطّى على القلب ورَكِبَه من القسوة للذنب بعد الذنب، راجع لسان العرب وأساس البلاغة.

٣. الفصول المختاره، ص ٦٧-٦٩.

﴿باب ١٩﴾

«التوبة وأنواعها وشرائطها»

الآيات:

البقرة/٣٧: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

البقرة/٥٤: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

البقرة/١٢٨: ﴿... وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

البقرة/١٦٠: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

البقرة/٢٢٢: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

البقرة/٢٧٩: ﴿... وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ...﴾

آل عمران/٨٩: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

آل عمران/١٢٨: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

النساء/١٦-١٨: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1]

---

١. **نقول:** إن اللّه سبحانه يشير إلى شرط آخر من شروط قبول التوبة إذ يقول: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾. هذا وقد وقع كلام بين المفسرين في ←

النساء/٢٦ و٢٧: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ...﴾

النساء/١٤٦: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾

← المراد من «قريب» فقد ذهب كثيرون إلى أن معناه التوبة قبل أن تظهر آثار الموت وطلائعه، ويستشهدون لهذا الرأي بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ الذي جاء في مطلع الآية اللاحقة، ويشير إلى أن التوبة لا تقبل إذ ظهرت علامات الموت. ولعل استعمال لفظة «قريب» إنما هو لأجل أن نهاية الحياة الدنيوية مهما بعدت فهي قريبة.

ولكن بعض المفسرين ذهب إلى تفسير لفظة «من قريب» بالزمان القريب من وقت حصول المعصية، فيكون المعنى: أن يتوبوا فورا، ويندموا على ما فعلوه بسرعة، ويتوبوا إلى اللَّه، لأن التوبة الكاملة هي التي تغسل آثار الجريمة وتزيل رواسبها من الجسم والروح بشكل مطلق حتى لا يبقى أيّ أثر منه في القلب، ولا يمكن هذا إلا إذا تاب الإنسان وندم قبل أن تتجذّر المعصية في كيانها، وتتعمّق آثارها في وجوده فتكون له طبيعة ثانية، إذ في غير هذه الصورة ستبقى آثار المعصية في زوايا الروح الإنسانية، وتعشعش في خلايا قلبه، فالتوبة الكاملة إذن هي التي تتحقق عقيب وقوع الذنب في أقرب وقت، ولفظة «قريب» أنسب مع هذا المعنى من حيث اللغة والفهم العرفي.

صحيح أن التوبة التي تقع بعد زمن طويل من ارتكاب المعصية تقبل أيضا، إلا أنها ليست التوبة الكاملة، ولعل التعبير بجملة «على اللَّه» أي على اللَّه قبولها، كذلك إشارة إلى هذا المعنى، لأن مثل هذا التعبير لم يرد في غير هذا المورد من القرآن الكريم، ومفهومه هو أن قبول التوبة القريبة من زمن المعصية حق من حقوق العباد، في حين أن قبول التوبة البعيدة عن زمن المعصية تفضّل من اللَّه وليس حقا. ثم يقول تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾ وهو إشارة إلى من لا تقبل توبته. وعلة عدم قبول هذا النوع من التوبة واضحة، لأن الإنسان عند الاحتضار في رحاب الموت تنكشف له الأستار، فيرى ما لم يكن يراه من قبل، فهو يرى بعد انكشاف الغطاء عن عينيه بعض الحقائق المتعلقة بالعالم الآخر، ويشاهد بعينيه نتائج أعماله التي ارتكبها في هذه الدنيا، وتتخذ القضايا التي كان يسمع بها صفة محسوسة، وفي هذه الحالة من الطبيعي أن يندم كل مجرم على جرمه وأفعاله السيئة، ويفرّ منها فرار الذي يرى اقتراب ألسنة اللهب من جسمه. ومن المسلم أن التكليف الإلهي والاختيار الرباني للبشر لا يقوم على أساس هذا النوع من المشاهدات والمكاشفات، بل يقوم على أساس الإيمان بالغيب، والمشاهدة بعيني العقل والقلب.

ولهذا نقرأ في الكتاب العزيز أن أبواب التوبة كانت تغلق في وجه بعض الأقوام العاصية عند ظهور طلائع العذاب الدنيوي والنقمة العاجلة، وللمثال نقرأ قول اللَّه سبحانه عن فرعون إذ يقول: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَالْئَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس/٩٠ و٩١)، كما يستفاد من بعض الآيات القرآنية مثل الآية (١٢) من سورة السجدة إن العصاة يندمون عند ما يشاهدون العذاب الإلهي في الآخرة، ولكن لات حين مندم، فلا فائدة لندمهم في ذلك الوقت، إن هؤلاء أشبه ما يكونون بالمجرمين الذين إذا شاهدوا أعواد المشنقة وأحسّوا بالحبل على رقابهم ندموا على جرائمهم وأفعالهم القبيحة، فمن الواضح أن مثل هذه التوبة وهذا الندم لا يعد فضيلة، ولا مفخرة ولا تكاملا، ولهذا لا يكون أيّ تأثير.

على أن هذه الآية لا تنافي الروايات التي نصت على إمكان قبول التوبة حتى عند اللحظة الأخيرة من الحياة، لأن المراد في هذه الروايات هي اللحظات التي لم تظهر فيها بعد ملامح الموت وآثاره وطلائعه، وبعبارة أُخرى لم تحصل لدى الشخص العين البرزخية التي يقف بها على ←

المائدة/٣٣ و ٣٤: ﴿... وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

المائدة/٣٩: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

المائدة/٧١: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

المائدة/٧٤: ﴿أَ فَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الأنعام/٥٤: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

← حقائق العالم الآخر. هذا عن الطائفة الأُولى الذين لا تقبل توبتهم، وهم من يتوبون عند ما تظهر أمام عيونهم ملامح الموت وتبدو عليهم آثاره.

وأما الطائفة الثانية الذين لا تقبل توبتهم فهم الذين يموتون كفارا، إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، ولقد ذكر اللَّه سبحانه بهذه الحقيقة في آيات أُخرى في القرآن الكريم (آل عمران/٩١، البقرة/١٦١، البقرة/٢١٧، محمّد/٣٤).

وهنا يطرح سؤال وهو: متى لا تقبل توبة الذين يموتون كفارا؟

احتمل البعض أن لا تقبل توبتهم في العالم الآخر، واحتمل آخرون أن يكون المراد من التوبة في هذا المقام ليس هو توبة العباد، بل توبة اللَّه، يعني عود اللَّه على العبد وعفوه ورحمته له، ولكن الظاهر هو أن الآية تهدف أمرا آخر وتقول: إن الذين يتوبون من ذنوبهم حال العافية والإيمان ولكنهم يموتون وهم كفار لا تقبل توبتهم ولا يكون لها أيّ أثر. وخلاصة القول إن قبول التوبة مشروط بأمرين: الأول: أن تتحقق التوبة قبل أن يرى الشخص علائم الموت، والثاني: أن يموت وهو مؤمن.

ثم أنه يستفاد من هذه الآية أيضا إنّ على الإنسان أن لا يؤخر توبته، إذ يمكن أن يأتيه أجله على حين غفلة، فتغلق في وجهه أبواب التوبة ولا يتمكن منها حينئذ. والملفت للنظر أن تأخير التوبة الذي يعبر عنه بالتسويف قد أردف في الآية الحاضرة بالموت حال الكفر، وهذا يكشف عن أهمية التسويف وخطورته البالغة في نظر القرآن. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٣، ص ١٥٤)

١. **نقول:** وقد يطرأ هنا سؤال وهو كيف يمكن إثبات التوبة ما دامت هي عملية قلبية باطنية؟ والجواب هو: أن طرق إثبات التوبة في هذا المجال كثيرة وافرة، وأحدها: أن يشهد عادلان على أنهما سمعا توبة المجرم في مكان ما، وأنه تاب دون أن يرغمه أحد على التوبة، والآخر: أن يغيّر المجرم أُسلوب حياته بشكل تظهر عليه آثار التوبة بجلاء. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٣، ص ٦٨٥)

٢. **نقول:** السؤال الوارد هنا هو: هل أن التوبة وحدها تكفي لغفران الذنب فقط، أم أنها تسقط عنه حد أو عقوبة السرقة أيضا؟ إن المعروف لدى فقهاء الشيعة أن مرتكب السرقة إن تاب قبل أن تثبت سرقته في محكمة إسلامية يسقط عنه حد السرقة أيضا، أما إذا شهد عادلان على سرقته فإن التوبة لا تسقط عنه الحد. والحقيقة هي أن التوبة في هذه الحالة التي تطرقت لها الآية هي تلك التي تتمّ قبل ثبوت الجرم في المحكمة، ولو لا ذلك لتظاهر كل سارق بالتوبة لدى ثبوت الجرم عليه، بغية إنقاذ نفسه من الحد أو العقوبة، فلا يبقى والحالة هذه مبرر لإجراء الحد عليه بعد التوبة! وبعبارة أُخرى: إن التوبة الاختيارية هي تلك التي تتمّ قبل أن يثبت الجرم في المحكمة، بينما التوبة الاضطرارية هي التوبة التي تصدر من الإنسان العاصي لدى مشاهدته العذاب الإلهي، أو لدى بلوغه حالة الاحتضار، ومثل هذه التوبة لا قيمة لها مطلقا. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٣، ص ٦٩٧)

الأعراف/١٤٣: ﴿... فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

الأعراف/١٥٣: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

التوبة/٣: ﴿... فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾

التوبة/٥: ﴿... فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

التوبة/١١: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...﴾

التوبة/١٥: ﴿... وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ...﴾

التوبة/٧٤: ﴿... فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ ...﴾

التوبة/١٠٢: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

التوبة/١٠٤: ﴿أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

التوبة/١٠٦: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ...﴾

التوبة/١١٢: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ...﴾

التوبة/١١٧: ﴿... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]

---

١. **نقول:** مم تاب موسى عليه السلام؟

إن موسى عليه السلام بعد أن أفاق قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ في حين أنه لم يرتكب إثما أو معصية، لأن هذا الطلب كان من جانب بني إسرائيل، وكان طرحه بتكليف من اللَّه، فهو أدى واجبه إذن، ثم إذا كان هذا الطلب لنفسه وكان مراده الشهود الباطني لم يحسب هذا العمل إثما؟

ولكن يمكن الجواب على هذا السؤال من جانبين: الأول: أن موسى طلب مثل هذا الطلب بالنيابة عن بني إسرائيل، ومع ذلك طلب من اللَّه أن يتوب عليه، وأظهر الإيمان. والآخر: أن موسى عليه السلام وإن كان مكلّفا بأن يطرح طلب بني إسرائيل، ولكنه عند ما تجلى ربه للجبل واتّضحت حقيقة الأمر، انتهت مدة هذا التكليف، وفي هذا الوقت لا بدّ من العودة إلى الحالة الأُولى يعني الرجوع إلى ما قبل التكليف، وإظهار إيمانه حتى لا تبقى شبهة لأحد، وقد بيّن ذلك بجملة، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ٥، ص ٢١١)

٢. **نقول:** هنا بحث: المراد من توبة اللَّه على النبي صلى الله عليه وآله:

قرأنا في الآية الأُولى أن اللَّه سبحانه قد تاب على النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار، وقبل توبتهم. ولا شك أن النبي معصوم من الذنوب، ولم يرتكب معصية ليتوب فيقبل اللَّه توبته، وإن كان بعض مفسري العامة قد اعتبروا التعبير في هذه الآية دليلا على صدور السهو والمعصية من النبي صلى الله عليه وآله في أحداث تبوك، إلا أن التدقيق في نفس هذه الآية وسائر آيات القرآن سيرشدنا إلى عدم صحة هذا التفسير، لأن أولا: إن معنى توبة اللَّه سبحانه رجوعه بالرحمة والرعاية على عباده، ولا يوجد في هذا المعنى أثر للزلل أو المعصية، كما قال في سورة النساء بعد ذكر

←

التوبة/١١٨: ﴿... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

هود/٣: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ...﴾

هود/٥٢: ناقلاً عن هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ...﴾

هود/٦١: وقال ناقلاً عن صالح عليه السلام: ﴿... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾

النحل/١١٩: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

مريم/٦٠: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾

طه/٨٢: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1]

← قسم من الأحكام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ففي هذه الآية والتي قبلها لم يرد حديث عن الزلل والمعصية، بل الكلام عن تبيين الأحكام والإرشاد إلى سنن الماضين القيمة المفيدة، وهذا بنفسه يوضح أن التوبة هنا بمعنى شمول رحمة اللّه سبحانه لعباده.

ثانيا: لقد ورد في كتب اللغة أن أحد معاني التوبة هو ما ذكرناه، ففي كتاب «القاموس» المعروف ورد في أن هذا هو أحد معاني التوبة ما لفظه: رجع عليه بفضله وقبوله.

ثالثا: إن الآية تحصر الانحراف عن طريق الحق والتخلف عنه بجماعة من المؤمنين، مع أنها تصرح بأن الرحمة الإلهية تعم الجميع، وهو بنفسه يبيّن أن توبة اللّه هنا ليست بمعنى قبول عذر العباد، بل هي الرحمة الإلهية الخاصة التي أدركت النبي صلى الله عليه وآله وكل المؤمنين بدون استثناء في اللحظات الحساسة، وثبّتت أقدامهم في أمر الجهاد. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٦، ص ٢٤٨)

١. **نقول:** مما يستحق الانتباه أن أول شرط للتوبة هو ترك المعصية، وبعد أن تتطهر روح الإنسان من هذه التلوّث، فإن الشرط الثاني هو أن يغمرها نور الإيمان باللّه والتوحيد، وفي المرحلة الثالثة يجب أن تظهر براعم الإيمان والتوحيد والتي هي الأعمال الصالحة والمناسبة على أغصان وجود الإنسان، وبخلاف سائر آيات القرآن التي تتحدث عن التوبة والإيمان والعمل الصالح فقط، فقد أضافت هذه الآية شرط رابع، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

وقد ذكر المفسرون لهذه الجملة تفسيرات عديدة، يبدو أن اثنين منها هما الأوفق والأدق: الأول: إنها إشارة إلى أن الاستمرار في طريق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، يعني أن التوبة تمحو ما مضى وتكون سببا للنجاة، وهي مشروطة بأن لا يسقط التائب مرة أُخرى في هاوية الشرك والمعصية، وأن يراقب نفسه دائما كيلا تعيده الوساوس الشيطانية وأهواؤه إلى مسلكه السابق. والثاني: هذه الجملة إشارة إلى لزوم قبول الولاية، والالتزام بقيادة القادة الربانيين، أي أن التوبة والإيمان والعمل الصالح كل ذلك سيكون سببا للنجاة والفلاح إذا كان في ظل هداية القادة الربانيين، ففي زمان تحت قيادة موسى عليه السلام، وفي زمن آخر تحت لواء نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ومرة تحت لواء أمير المؤمنين ←

طه/١٢٢: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾

النور/٥: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

النور/١٠: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾

النور/٣١: ﴿... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

الفرقان/٧٠ و٧١: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾

القصص/١٦: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

القصص/٦٧: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾

السجدة/٢٩: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾

الأحزاب/٢٤: ﴿... وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾

الأحزاب/٧٣: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]

← علي عليه السلام. أما اليوم فينبغي أن ننضوي تحت لواء الإمام المهدي عليه السلام لأن أحد أركان الدين قبول دعوة النبي والانضواء تحت قيادته ثم قبول قيادة خليفته ونائبه.

ينقل العلامة الطبرسي في ذيل هذه الآية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت» ثم أضاف: «فو اللَّه لو أن رجلا عبد اللَّه عمره ما بين الركن والمقام، ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه اللَّه في النار على وجهه». وقد نقلها العلامة الحاكم أبو القاسم الحسكاني من كبار محدثي أهل السنة، وقد رويت روايات عديدة في هذا الباب عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام.

ولكي نعلم أن ترك هذا الأصل إلى أي حد هو مهلك لتاركيه، يكفي أن نبحث الآيات التالية، وكيف أن بني إسرائيل قد ابتلوا بعبادة العجل والشرك والكفر نتيجة تركهم ولاية موسى عليه السلام وخروجهم عن نهجه ونهج خليفته هارون عليه السلام. ومن هنا يتضح أن ما قاله العلامة الآلوسي في تفسير روح المعاني بعد ذكر جملة من هذه الروايات: «لا شك عندنا في وجوب محبة أهل البيت، ولكن هذا لا يرتبط ببني إسرائيل وعصر موسى» كلام واه، لأن البحث أولا ليس حول المحبة، بل حول قبول الولاية والقيادة. وثانيا: ليس المراد من انحصار الولاية بأهل البيت عليهم السلام، بل في عصر موسى كان هو وأخوه قائدين، فكان يلزم قبول ولايتهما، أما في عصر النبي فتلزم قبول ولايته، وفي عصر أئمة أهل البيت يلزم قبول ولايتهم عليهم السلام. ويتضح أيضا أن المخاطب في هذه الآية وإن كانوا بني إسرائيل، إلا أنه لا ينحصر فيهم ولا يختص بهم، فإن كل فرد أو جماعة تطوي هذه المراحل الأربعة فستشملها مغفرة اللَّه سبحانه وعفوه. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٠، ص ٤٨)

١. **نقول:** يمكن أن يكون التعبير بالتوبة بدل الجزاء والثواب في شأن المؤمنين بسبب أن أكثر خوف المؤمنين من الذنوب والمعاصي التي تصدر عنهم أحيانا، ولذا فإن الآية تطمئنهم وتمنحهم السكينة بأن ذنوبهم ستغفر؛ أو لأن توبة اللَّه على عباده تعني رجوعه عليهم بالرحمة، ونعلم أن كل الهبات والعطايا والمكافآت قد أخفيت في كلمة «الرحمة». (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٣، ص ٣٧٤)

الزمر/٥٤: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1]

غافر/٣: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ...﴾

غافر/٧: ﴿... فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ...﴾

الشورى/٢٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

الأحقاف/١٥: ﴿... إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

الحجرات/١١: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

الحجرات/١٢: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾

المجادلة/١٣: ﴿... فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ...﴾

التحريم/٤: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ...﴾

التحريم/٥: ﴿... قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ ...﴾

---

١. **نقول:** هنا بحث: باب التوبة مفتوح للجميع:

من المشاكل التي تقف عائقا في طريق بعض المسائل التربوية، هو إحساس الإنسان بعقدة الذنب من جزاء الأعمال القبيحة السابقة التي ارتكبها، خاصة إذا كانت هذه الذنوب كبيرة، إذ أن الذي يستحوذ على ذهن الإنسان إن أراد التوجه نحو الطهارة والتقوى والعودة إلى اللَّه، فكيف يتخلص من أعباء الذنوب الكبيرة السابقة. هذا التفكير يبقى كابوسا مخفيا يرافقه كالظل، فكلما خطا خطوة نحو تغيير منهاج حياته وسعى نحو الطهارة والتقوى، وتحدثه نفسه: ما الفائدة من التوبة؟ فسلاسل أعمالك السابقة تطوق يديك ورجليك، لقد اصطبغت ذاتك بلون الذنب، وهو لون ثابت ولا يمكن إزالته والمطلعون على مسائل التربية وتوبة المذنبين يدركون جيدا ما ذكرناه، يعلمون حجم هذه المشكلة الكبيرة.

التعاليم الإسلامية في القرآن المجيد حلت هذه المشكلة عند ما أفصحت عن أن التوبة والإنابة يمكن أن تكون أداة قاطعة وحازمة للانفصال عن الماضي وبدء حياة جديدة، أو حتى يمكن أن تكون بمثابة ولادة جديدة للتائب إذا تحققت بشرطها وشروطها، إذ تكرر الحديث في الروايات الإسلامية بشأن بعض المذنبين التائبين، حيث ورد «كمن ولدته أمه». وبهذا الشكل فإن القرآن الكريم يبقي أبواب اللطف الإلهي مفتّحة أمام كل الناس مهما كانت ظروفهم، والمثال على ذلك الآيات المذكورة آنفا التي تدعو المجرمين والمذنبين بلطف للعودة إلى اللَّه، وتعدهم بإمكانية محو الماضي. ونقرأ في رواية وردت عن رسول اللَّه ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». كما ورد حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ».

ومن البديهي أن هذه العودة لا يمكن أن تتمّ بدون قيد أو شرط، لأن البارئ عز وجل حكيم ولا يفعل شيئا عبثا، فإذا كانت أبواب رحمته مفتّحة أمام عباده، ودعوته إياهم للتوبة مستمرة، فإن وجود الاستعداد عند العباد أمر لا بدّ منه. ومن جهة أُخرى يجب أن تكون عودة الإنسان صادقة، وأن تحدث انقلابا وتغيرا في داخله وذاته. ومن ناحية ثانية يجب أن يبدأ الإنسان بعد توبته بإعمار وبناء أُسس الإيمان والعقيدة التي كانت قد دمّرت بعواصف الذنوب. ومن ناحية ثالثة يجب أن يصلح الإنسان بالأعمال الصالحة عجزه الروحي وسوء خلقه، فكلما كانت الذنوب السابقة كبيرة، عليه أن يقوم بأعمال صالحة أكثر وأكبر، وهذا بالتحديد ما بيّنه القرآن المجيد في الآيات الثلاث المذكورة أعلاه تحت عنوان «الإنابة» و«التسليم» و«اتباع الأحسن». (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١٥، ص ١٢٢)

التحريم/٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾[1]

المزّمّل/٢٠: ﴿... عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ...﴾[2]

البروج/١٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ...﴾

النصر/٣: ﴿... وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي ندموا على ما قدّموا، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نيّاتهم فيما يستقبل من الأوقات، ﴿وَبَيَّنُوا﴾ اختلف فيه: فقال أكثر المفسّرين: بيّنوا ما كتموه من البشارة بالنبيّ صلّى اللّه عليه وآله؛ وقيل: بيّنوا التوبة وإصلاح السريرة بالإظهار لذلك، فإنّ من ارتكب المعصية سرّاً كفاه التوبة سرّاً، ومن أظهر

---

١. **نقول:** من المعلوم أن حقيقة التوبة هي الندم على الذنب، وشرطها التصميم على الترك في المستقبل. وأما إذا كان العمل قابلا لأن يجبر ويعوّض فلا بدّ من الجبران والتعويض، والتعبير بـ﴿يُكَفِّرَ عَنْكُمْ﴾ إشارة إلى هذا المعنى. وبناء على هذا يمكننا تلخيص أركان التوبة بخمسة أُمور: ترك الذنب، الندم، التصميم على الاجتناب في المستقبل، جبران ما مضى، الاستغفار.

«نصوح» من مادة نصح، بمعنى طلب الخير بإخلاص، ولذلك يقال للعسل الخالص بأنه (ناصح) وبما أن من يريد الخير واقعا يجب أن يكون عمله توأما للإتقان جاءت كلمة «نصح» أحيانا بهذا المعنى، ولذا يقال للبناء المتين بأنه «نصاح» على وزن كتاب، ويقال للخياط «ناصح»، وكلا المعنيين أي الخلوص والمتانة يجب توفّرهما في التوبة النصوح.

وأما حول المعنى الحقيقي للتوبة النصوح: فقد وردت تفاسير مختلفة ومتعددة حتى أوصلها البعض إلى ٢٣ تفسيرا. غير أن جميع هذه التفاسير تعود إلى حقيقة واحدة وفروعها والأُمور المتعلقة بها وشرائطها المختلفة. ومن هذه التفاسير القول بأن التوبة (النصوح) يجب أن تتوفّر فيها أربعة شروط: الندم الداخلي، الاستغفار باللسان، ترك الذنب، والتصميم على الاجتناب في المستقبل. وقال البعض الآخر بأنها (أي التوبة النصوح) ذات شروط ثلاثة: الخوف من عدم قبولها، والأمل بقبولها، والاستمرار على طاعة اللّه؛ أو أن التوبة «النصوح» التي تجعل الذنوب دائما أمام أعين أصحابها، ليشعر الإنسان بالخجل منها؛ أو أنها تعني إرجاع المظالم والحقوق إلى أصحابها، وطلب التحليل وبراءة الذمة من المظلومين، والمداومة على طاعة اللّه؛ أو هي التي تشتمل على أُمور ثلاثة: قلة الأكل، قلة القول، قلة النوم؛ أو التوبة النصوح هي التي يرافقها بكاء العين، واشمئزاز القلب من الذنوب وما إلى ذلك من فروع التوبة الواقعية وهي التوبة الخالصة التامة الكاملة.

جاء في حديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله عند ما سأله معاذ بن جبل عن «التوبة النصوح» أجابه قائلا: «أن يتوب التائب ثم لا يرجع في الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع». وبهذا التعبير اللطيف يتضح أن التوبة يجب أن تحدث انقلابا في داخل النفس الإنسانية، وتسدّ عليها أي طريق للعودة إلى الذنب، وتجعل من الرجوع أمرا مستحيلا كما يستحيل إرجاع اللبن إلى الضرع والثدي. وقد جاء هذا المعنى في روايات أُخرى، وكلها توضّح الدرجة العالية للتوبة النصوح، فإن الرجوع ممكن في المراتب الدنيا من التوبة، وتتكرّر التوبة حتى يصل الإنسان إلى المرحلة التي لا يعود بعدها إلى الذنب. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٨، ص ٤٥٣)

٢. **نقول:** المراد بـ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ خفف عليكم التكاليف، وليس التوبة من الذنب، ويحتمل أنه في حال رفع الحكم الوجوبي لا يوجد ذنب من الأساس، والنتيجة تكون مثل المغفرة الإلهية. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٩، ص ١٤٥)

المعصية يجب عليه أن يظهر التوبة؛ وقيل: بيّنوا التوبة بإصلاح العمل، ﴿فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أقبل توبتهم، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هذه اللفظة للمبالغة، إمّا لكثرة ما يقبل التوبة، وإمّا لأنّه لا يردّ تائباً منيباً أصلاً، ووصفه نفسه بالرحيم عقيب التوّاب يدلّ على أنّ إسقاط العقاب بعد التوبة تفضّل من اللّه سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله أصحابنا، وأنّه غير واجب عقلاً على ما ذهب إليه المعتزلة؛ فإن قالوا: قد يكون الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب والعوض لمّا كان منعماً بالتكليف وبالآلام التي يستحقّ بها الأعواض جاز أن يطلق عليهما اسم النعمة؛ فالجواب أنّ ذلك إنّما قلناه في الثواب والعوض ضرورة، ولا ضرورة هاهنا تدعو إلى ارتكابه[1].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ معناه لا توبة مقبولة ﴿عَلَى اللَّهِ﴾، أي عند اللّه إلّا ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، واختلف في معنى قوله ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ على وجوه:

أحدها: أنّ كلّ معصية يفعلها العبد جهالة وإن كانت على سبيل العمد لأنّه يدعو إليها الجهل ويزيّنها للعبد، عن ابن عبّاس وعطاء ومجاهد وقتادة، وهو المرويّ عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وثانيها: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أنّهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة، عن الفرّاء.

وثالثها: أنّ معناه أنّهم يجهلون أنّها ذنوب ومعاص فيفعلونها، إمّا بتأويل يخطئون فيه، وإمّا بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها، عن الجبّائيّ. وضعّف الرمّانيّ هذا القول لأنّه بخلاف ما أجمع عليه المفسّرون، ولأنّه يوجب أن لا يكون لمن علم أنّها ذنوب توبة، لأنّ قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ يفيد أنّها لهؤلاء دون غيرهم. وقال أبو العالية وقتادة: أجمعت الصحابة على أنّ كلّ ذنب أصابه العبد فبجهالة. وقال الزجّاج: إنّما قال: ﴿بِجَهَالَةٍ﴾، لأنّهم في اختيارهم اللذّة الفانية على اللذّة الباقية جهّال، فهو جهل في الاختيار.

ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي يتوبون قبل الموت لأنّ ما بين الإنسان وبين الموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت. وقال الحسن والضحّاك وابن عمر: القريب ما لم يعاين الموت. وقال السدّيّ: هو ما دام في الصحّة قبل المرض والموت.

وَرُوِيَ[2] عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» أَنَّهُ قِيلَ: فَإِنْ عَادَ وَتَابَ مِرَاراً؟ قَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ؛ قِيلَ: إِلَى مَتَى؟ قَالَ: حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورَ.

---

١. مجمع البيان، ج ١، ص ٤٤٣.

٢. التبيان، ج ٣، ص ١٤٦.

وَفِي كِتَابِ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهُ[١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ يَوْماً لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ السَّاعَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَهْوَى[٢] بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ[٣].

وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله هٰذَا الْخَبَرَ بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: وَإِنَّ السَّاعَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ بِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَرَوَى أَيْضاً بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَمَّا هَبَطَ إِبْلِيسُ قَالَ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَتِكَ لَا أُفَارِقُ ابْنَ آدَمَ حَتَّى تُفَارِقَ رُوحُهُ جَسَدَهُ؛ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي لَا أَحْجُبُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبْدِي حَتَّى يُغَرْغِرَ بِهَا[٤].

﴿فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي يقبل توبتهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بمصالح العباد ﴿حَكِيماً﴾ فيما يعاملهم به، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ المقبولة التي تنفع صاحبها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي المعاصي ويصرّون عليها ويسوّفون[٥] التوبة ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه من معاينة ملك الموت، وانقطع الرجاء من الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها أحد غير المحتضر، ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أي فليس عند ذلك توبة. وأجمع أهل التأويل على أنّ هذه قد تناولت عصاة أهل الإسلام، إلّا ما روي عن الربيع أنّه قال: إنّها في المنافقين، وهذا لا يصحّ، لأنّ المنافقين من جملة الكفّار، وقد بيّن الكفّار بقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي وليست التوبة أيضا للذين يموتون على الكفر ثمّ يندمون بعد الموت ﴿أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي هيّأنا ﴿لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ أي موجعاً.

إنّما لم يقبل اللّه عزّ اسمه التوبة في حال البأس واليأس من الحياة لأنّه يكون العبد ملجئاً هناك إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجاً من حدّ التكليف إذ لا يستحقّ على فعله المدح ولا الذمّ، وإذا زال عنه التكليف لم تصحّ منه التوبة، ولهذا لم يكن أهل الآخرة مكلّفين ولا تقبل توبتهم[٦]. انتهى كلامه «رفع اللّه مقامه».

---

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميّت، ص ١٣٣، ح ٣٥١.

٢. أهوى بالشيء: أوْمأ به، راجع تاج العروس.

٣. **نقول:** المراد أنه يتوب قبل معاينة أمر الآخرة وقبل أن تكون عينه عيناً برزخياً كما سيأتي في الرواية التاليه.

٤. رواهما الثعلبي في الكشف والبيان، ج ٣، ص ٢٧٤و ٢٧٥.

٥. التسويف: التأخير، راجع لسان العرب.

٦. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٦و ٣٧.

أقول:

قال بعض المفسّرين: ومن لطف اللّه بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثمّ يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر، ثمّ تنتهي إلى الحلق ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على اللّه تعالى، والوصيّة والتوبة ما لم يعاين والاستحلال وذكر اللّه تعالى، فيخرج روحه وذكر اللّه على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا اللّه ذلك بمنّه وكرمه[١].

قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ**﴾ قال المفسّرون: أي يوم القيامة فإنّه يوم نصر المسلمين على الكفرة، والفصل بينهم. وقيل: يوم بدر، أو يوم فتح مكّة، والمراد بـ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ المقتولون منهم فيه، فإنّه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون[٢].

ثمّ اعلم أنّ المفسّرين اختلفوا في تفسير التوبة النصوح على أقوال:

منها: أنّ المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها، لظهور آثارها الجميلة في صاحبها،[٣] أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثمّ لا يعود إليها أبداً[٤].

ومنها[٥]: أنّ النصوح ما كانت خالصة لوجه اللّه سبحانه، من قولهم: عسل نصوح: إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها، وكونها خلاف رضي اللّه تعالى لا لخوف النار مثلاً.

منها[٦]: أنّ النصوح من النصاحة وهي الخياطة، لأنّها تنصح من الدين ما مزّقته الذنوب، أو يجمع بين التائب وبين أوليائه وأحبّائه، كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب[٧].

ومنها[٨]: أنّ النصوح وصف للتائب، وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي، أي توبة تنصحون بها

---

١. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٢٦.

٢. أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٢٢٣.

٣. الكشاف، ج ٤، ص ٥٧٠.

٤. لباب التأويل، ج ٤، ص ٣١٦.

٥. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ١٩٩.

٦. أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٢٥؛ البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢١٤.

٧. أو من نصح الغيث البلد: إذا سقاه حتى اتصل نبته فلم يكن فيه فضاء، لأن التوبة تسقى وتحيى القلب الميّت بارتكاب المعاصي والمحرّمات، وتصفّيه من الكدورات العارضة من مزاولة القبائح والمنكرات، وتصقُله وتجلُوه عن رين الشبهات، فتحيط به وتشغله ولم تترك فيه محلّاً للعزم على الرجوع، والعود إلى المحظور. وقيل: توبة نصوح أي صادقة. وقال الجزري في النهاية: وفي حديث أُبي: سألت النبي صلّى اللّه عليه وآله عن التوبة النصوح، فقال: هي الخالصة التي لا يعاود بعدها الذنب. و«فعول» من أبنية المبالغة يقع على الذكر والأنثى، فكأن الإنسان بالغ في نصح نفسه بها. (هامش المطبوع)

٨. الكشاف، ج ٤، ص ٥٦٩.

أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون عليه، حتى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلّيّة،[١] وسيأتي في الأخبار تفسيرها ببعض تلك الوجوه.

ثمّ اعلم أنّ من القوم من استدلّ بالخبر الذي نقله من الفقيه على جواز النسخ قبل الفعل، لأنّه صلى الله عليه وآله نسخ السنة بالشهر، والشهر باليوم، وفيه نظر إذ يمكن أن يكون هذا التدريج لبيان اختلاف مراتب التوبة، فإنّ التوبة الكاملة هي ما كانت قبل الموت بسنة ليأتّي منه تدارك لما فات منه من الطاعات، وإزالة لما أثّرت فيه الذنوب من الكدورات والظلمات، ثمّ إن لم يتأتّ منه ولم يمهل لذلك فلا بدّ من شهر لتدارك شيء ممّا فات، وإزالة قليل من آثار السيّئات وهكذا؛ وأمّا توبة وقت الاحتضار فهي لأهل الاضطرار. و«الغرغرة» تردّد الماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق، والمراد هنا تردّد الروح وقت النزع[٢].

الروايات:

٢٠٩٨. إكمال الدين[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْعَامِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: مَا زَالَتِ الْأَرْضُ إِلَّا وَلِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهَا حُجَّةٌ يُعَرِّفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْحُجَّةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْماً قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا رُفِعَتِ الْحُجَّةُ أُغْلِقَتْ أَبْوَابُ التَّوْبَةِ[٥]،[٦] وَلَمْ يَنْفَعْ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُرْفَعَ الْحُجَّةُ، أُولٰئِكَ شِرَارُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ وَهُمُ الَّذِينَ تَقُومُ عَلَيْهِمُ الْقِيَامَةُ.

٢٠٩٩. الكافي[٧]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ بُكَيْرٍ[٨]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَوْ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليهما السلام[٩] قَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام قَالَ: يَا رَبِّ سَلَّطْتَ عَلَيَّ الشَّيْطَانَ وَأَجْرَيْتَهُ مِنِّي مَجْرَى الدَّمِ[١٠] فَاجْعَلْ لِي شَيْئاً، فَقَالَ:

---

١. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٢٦ و٢٢٧.

٢. المصدر السابق، ص ٢٢٥.

٣. كمال الدين، ج ١، ص ٢٢٩، ح ٢٤؛ المحاسن، ج ١، ٢٣٦، ح ٢٠٢؛ بصائر الدرجات، ص ٤٨٤، ح ١.

٤. في المحاسن والبصائر بهذا الإسناد: «أحمد بن محمد البرقي، عن علي بن الحكم، عن الربيع المسلمي، عن عبد اللّه بن سليمان العامري، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. في المصدر والمحاسن والبصائر: «أُغلق باب التوبة».

٦. **نقول:** إغلاق باب التوبه عندئذ بسبب ظهور أشراط الساعة وعلامات قيام القيامة وهو شبيه ما يظهر للإنسان عند موته وعند مشاهدة أحوال ما بعد الموت ويغلق باب التوبة في المقامين لأن التوبة فيها تحصل من باب الاضطرار مثل توبة فرعون عند معاينة الغرق.

٧. الكافي، ج ٢، باب فيما أعطى اللّه عزوجل آدم عليه السلام وقت التوبة، ص ٤٤٠، ح ١؛ الزهد، ص ٧٥، ح ٢٠١؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ١٠١.

٨. في المصدر: «عن ابن بكير».

٩. في الزهد بهذا الإسناد: «ابن أبي عمير، عن جميل، عن بكير، عن أحدهما عليهما السلام».

يَا آدَمُ جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مَنْ هَمَّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وَمَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِحَسَنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سَيِّئَةً ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غَفَرْتُ لَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ وَبَسَطْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ[١١] حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ هٰذِهِ. قَالَ عليه السلام. يَا رَبِّ حَسْبِي.

٢١٠٠. من لا يحضره الفقيه[١٢]: سُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[١٣] قَالَ: ذٰلِكَ إِذَا عَايَنَ أَمْرَ الْآخِرَةِ.

٢١٠١. الكافي[١٤]: الْعِدَّةُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١٥]: مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمْعَةٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْجُمُعَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْيَوْمَ لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَايِنَ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ.

---

١٠. روى العامة أيضا: «أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» قال بعضهم: ذهب قوم ممن ينتمي إلى ظاهر العلم إلى أن المراد به أن الشيطان لا يفارق ابن آدم ما دام حيّا، كما لا يفارقه دمه، وحكى هذا عن الأزهري، وقال: هذا طريق ضرب المثل، والجمهور من علماء الأُمّة أجروا ذلك على ظاهره، وقالوا: إن الشيطان جعل له هذا القدر من التطرّق إلى باطن الآدمي بلطافة هيئته، لمحنة الابتلاء، ويجري في العروق التي هي مجاري الدم من الآدمي إلى أن يصل إلى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف إيمان العبد وقلّة ذكره وكثرة غفلته، ويبعد عنه ويقلّ تسلّطه وسلوكه إلى باطنه بمقدار قوّة إيمانه ويقظته ودوام ذكره وإخلاص توحيده.

وما رواه المفسرون عن ابن عبّاس قال: «إن اللَّه جعل الشياطين من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم» يؤيد لما ذهب إليه الجمهور، وهم يسمون وسوسته لمّة الشيطان. ومن ألطافه تعالى أنه هيّأ ذوات الملائكة على ذلك الوصف من أجل لطافتهم، وأعطاهم قوّة الحفظ لبني آدم وقوّة الإلمام في بواطنهم وتلقين الخير لهم في مقابلة لمّة الشيطان، كما روي أن للملك لمّة بابن آدم، وللشيطان لمّة، لمّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمّة الشيطان إيعاده بالشر وتكذيب بالحق. قاله المصنف في شرحه على الكافي [مرآة العقول، ج ١١، ص ٣١١ و٣١٢]. (هامش المطبوع)

١١. في الكافي والزهد: «أو قال: بسطت».

١٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٣، ح ٣٥٢؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٤٣٢؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٨٩، ح٢١٠٦١.

١٣. النساء/١٨.

١٤. الكافي، ج ٢، باب فيما أعطى اللَّه عز وجل آدم عليه السلام وقت التوبة، ص ٤٤٠، ح ٢؛ وفي ثواب الأعمال، ص ٢٩٤، ضمن خطبة؛ مشكاة الأنوار، ص ١١٠.

١٥. في ثواب الأعمال بهذا الإسناد: «محمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن جعفر، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن زيد، عن حمّاد بن عمرو، عن أبي الحسن الخراساني، عن ميسّر بن عبد اللَّه، عن أبي عبد اللَّه، عن أبي عائشة السعدي، عن يزيد بن عمر بن عبد العزيز، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة وعبد اللَّه بن عباس، عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله»

٢١٠٢. دعوات الراوندي[١]: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ.

٢١٠٣. تحف العقول، الأمالي للصدوق[٢]: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ.

٢١٠٤. الأمالي للصدوق[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: مَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ فَقَالَ: عَلَى مَا يَبْكِي هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: يَبْكُونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ، قَالَ: فَلْيَدَعُوهَا يُغْفَرْ لَهُمْ.

٢١٠٥. تفسير القمّيّ[٥]: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ قَالَ: يَتُوبُ الْعَبْدُ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَّقِي التَّائِبُ[٦].

٢١٠٦. الخصال[٧]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٨] قَالَ: كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً.

بيان:

إذ الندامة الصادقة تستلزم العزم على الترك في المستقبل غالباً، أو المعنى أنّه فرد من التوبة وإن لم يؤثّر ما تؤثّر التوبة الكاملة.

٢١٠٧. الخصال[٩]: حَمْزَةُ الْعَلَوِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ،

---

١. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٣٧، ح ٦٥٩؛ وفي شرح شهاب الأخبار (للقضاعي)، ص ٣٢١، ح ٥٢٤-٥٢٦، وص ٣٦٦، ح ٧٥٥، مقطعا؛ وفي أعلام الدين، ص ٣٣٣، بمضمونه.

٢. في تحف العقول، ص ٩٠، ضمن وصية أمير المؤمنين لابنه الحسين عليهما السلام؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٣٢٠، ح ٨؛ الكافي، ج ٨، ص ١٩، ح ٤ (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي خطبة الوسيلة)؛ وفي الأخيرين ضمن خطبة.

٣. الأمالي (للصدوق)، ص ٤٩٥، ح ١؛ ثواب الأعمال، ص ١٣٤؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٣٢٨.

٤. في المصدر: «... ابن عيسى، عن أبيه، عن ابن المغيرة،...»، وفي ثواب الأعمال بهذا الإسناد: «أبي عن محمد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن خالد، عن أبي المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧؛ وفي الأُصول الستة عشر، ص ١٧٨، ح ١٣٧، بمضمونه؛ وفي الزهد، ص ٧١، ح ١٩١، مع اختلاف يسير.

٦. في نسخة: المفتن التواب. وفي أُخرى: المتقي الثابت. (هامش المطبوع)

٧. الخصال، ج ١، ص ١٦، ح ٥٧؛ وفي الكافي، ج ٢، باب الاعتراف بالذنوب، ص ٤٢٦، ذيل ح ١؛ مشكاة الأنوار، ص ١١٠.

٨. في الكافي بهذا الإسناد: «على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي الأحمسي، عن أبي جعفر عليه السلام».

٩. الخصال، ج ١، ص ٢٣٩، ح ٨٨؛ مشكاة الأنوار، ص ١٥١.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَلْزَمُ الْحَقُّ لِأُمَّتِي فِي أَرْبَعٍ: يُحِبُّونَ التَّائِبَ، وَيَرْحَمُونَ الضَّعِيفَ[١]، وَيُعِينُونَ الْمُحْسِنَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُذْنِبِ[٢][٣].

٢١٠٨. الخصال[٤]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنِ الْحَلَبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٥] يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا تَكُونُ سَجِيَّتُهُ الْكَذِبَ، وَلَا الْبُخْلَ، وَلَا الْفُجُورَ، وَلٰكِنْ رُبَّمَا أَلَمَّ[٦] بِشَيْءٍ مِنْ هٰذَا لَا يَدُومُ عَلَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ: أَ فَيَزْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ مُفَتَّنٌ تَوَّابٌ[٧][٨]، وَلٰكِنْ لَا يُولَدُ لَهُ مِنْ تِلْكَ النُّطْفَةِ[٩].

٢١٠٩. الخصال[١٠]: الْعَسْكَرِيُّ، عَنْ بَدْرِ بْنِ الْهَيْثَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُنْذِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ التَّوْبَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الصَّبْرَ لَمْ يُحْرَمِ الْأَجْرَ.

٢١١٠. الخصال[١١]: الْعَطَّارُ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ[١٢]، عَنْ أَبِيهِ، عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نُورِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ: مَنْ كَانَتْ عِصْمَةُ أَمْرِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١٣]، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ خَيْراً قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٤]، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ خَطِيئَةً قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

---

١. لم يرد في المشكاة: «ويرحمون الضعيف».

٢. في المشكاة مع زيادة: «ويدعون للملإ».

٣. في نسخة: للذنب.

٤. الخصال، ج ١، ص ١٢٩، ح ١٣٤؛ الكافي، ج ٢، باب اللمم، ص ٤٢٢، ح ٦؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ١٠٣.

٥. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعا، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام».

٦. ألمّ الرجل: من اللمَم وهو صغار الذنوب، راجع لسان العرب.

٧. لم يرد في الكافي والروضة: «هو مفتّن توّاب».

٨. المفتّن التواب: الممتحن بالذنب ثم يتوب، راجع مجمع البحرين.

٩. **نقول:** لعل الرواية ناظرة إلى مؤمن قوي الإيمان في الجملة، الذي لا يصدر منه الذنب إلا فلتة لا كلّ من أظهر الإيمان.

١٠. الخصال: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦؛ وفي تحف العقول، ص ٤١، عن النبي صلى الله عليه وآله؛ نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٤، ح ١٣٥؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

١١. الخصال، ج ١، ص ٢٢٢، ح ٤٩؛ المحاسن، ج ١، ص ٧، ح ١٩؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ٦٩، ح ١٢٨.

١٢. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن يونس، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ...»، وفي تفسير العياشي: «أبو علي المهبلي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٣. البقرة/١٥٦.

١٤. الفاتحة/٢.

٢١١١. الخصال[١]: الْأَرْبَعُمِائَةِ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَادْخُلُوا فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَالْمُؤْمِنُ تَوَّابٌ[٢].

٢١١٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٣]: بِالْأَسَانِيدِ الثَّلَاثَةِ عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَثَلِ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ تَائِبٍ، أَوْ مُؤْمِنَةٍ تَائِبَةٍ.

٢١١٣. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: الْمُفِيدُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُقْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الْعَيْنِيِّ[٥]، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: الْعَجَبُ مِمَّنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الْمِمْحَاةُ! فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الْمِمْحَاةُ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ.

٢١١٤. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٦]: بِإِسْنَادِ أَخِي دِعْبِلٍ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَعَطَّرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ، لَا تَفْضَحْكُمْ رَوَائِحُ الذُّنُوبِ[٧].

٢١١٥. معاني الأخبار[٨]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾[٩] قَالَ: هِيَ الْإِقَالَةُ[١٠].

٢١١٦. معاني الأخبار[١١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْبَطَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ،

---

١. الخصال، ج ٢، ص ٦٢٣، ح ١٠؛ تحف العقول، ص ١١٣؛ وفيهما ضمن رواية.

٢. في التحف: «والمؤمن منيب وتوّاب».

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٩، ح ٣٣؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٦، ح ٢٦؛ وفي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام (لابن عقدة)، ص ١٦٩، ذيل ح ١٦٢.

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٨٨، ح ١٣٤؛ وفي مكارم الأخلاق، ص ٣١٣، مع اختلاف يسير؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١٨٠.

٥. في المصدر: «عن العُتبي».

٦. الأمالي (للطوسي)، ص ٣٧٢، ح ٨٠١؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١٥٤؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢٢٥.

٧. في شرح النهج: «رائحة الذنوب».

٨. معاني الأخبار، ص ٢١٥، ح ١؛ وسائل الشيعة ج ١٦، ص ٧٥، ح ٢١٠٢٠؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٨٦٢، ح ٤٧٨٢.

٩. التوبة/١١٧.

١٠. أقال اللّه فلانا عثرته بمعنى الصفح عنه، راجع لسان العرب.

١١. معاني الأخبار، ص ١٧٤، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٨، ح ٢١٠٣٠؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٢٥، ح ١٠٨٨٦.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[1] قَالَ: هُوَ صَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ.

قال الصدوق «رحمه اللّه»: معناه أن يصوم هذه الأيّام ثمّ يتوب.

٢١١٧. معاني الأخبار[2]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[3] قَالَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنُ الرَّجُلِ كَظَاهِرِهِ وَأَفْضَلَ.

٢١١٨. تفسير القمّيّ[4]: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[5] قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً عَلَى دِينِهِ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ، وَمَنْ قَتَلَ نَبِيّاً أَوْ وَصِيَّ نَبِيٍّ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مِثْلَهُ فَيُقَادُ[6] بِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَقْتُلُ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَإِذَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَحَاهُ اللَّهُ عَنْهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ ـ أَيْ يَمْحُو ـ لِأَنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ، فَإِذَا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ فِي الشِّرْكِ قُبِلَتْ فِيمَا سِوَاهُ.

فَأَمَّا قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام: «لَيْسَتْ لَهُ تَوْبَةٌ» فَإِنَّهُ عَنَى مَنْ قَتَلَ نَبِيّاً أَوْ وَصِيّاً فَلَيْسَتْ لَهُ تَوْبَةٌ، لِأَنَّهُ لَا يُقَادُ أَحَدٌ بِالْأَنْبِيَاءِ وَبِالْأَوْصِيَاءِ إِلَّا الْأَوْصِيَاءُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ لَا يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَغَيْرُ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ لَا يَكُونُ مِثْلَ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ فَيُقَادَ بِهِ؛ وَقَاتِلُهُمَا لَا يُوَفَّقُ بِالتَّوْبَةِ.

٢١١٩. علل الشرائع، عيون أخبار الرضا عليه السلام[7]: ابْنُ عُبْدُوسٍ، عَنِ ابْنُ قُتَيْبَةَ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَدْ آمَنَ بِهِ وَأَقَرَّ بِتَوْحِيدِهِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ آمَنَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَأْسِ[8]، وَالْإِيمَانُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَأْسِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَذٰلِكَ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا

---

١. التحريم/٨.

٢. معاني الأخبار، ص ١٧٤، ح ٣، و ح ١، مع اختلاف يسير؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٧، ح ٢١٠٢٦؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٢٦، ح١٠٨٨٧.

٣. في المعاني ح ١ بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن هلال قال: سألت أبا الحسن الأخير ـ علي بن محمد الهادي عليه السلام ـ».

٤. تفسير القمي، ج ١، ص ١٤٨.

٥. النساء/٩٣.

٦. القود: القصاص وأقدت القاتل بالقتيل أي قتلته به، راجع لسان العرب.

٧. علل الشرائع، ج ١، ص ٥٩، ح ٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٧٧، ح ٧؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥٠، ح ٤٩٦٢.

٨. البأس: العذاب، راجع لسان العرب.

رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٢] وَهٰكَذَا فِرْعَوْنُ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فَقِيلَ لَهُ: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣]؛ الْخَبَرَ.

٢١٢٠. الأمالي للصدوق[٤]: الطَّالَقَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ غَنْمٍ الدَّوْسِيِّ قَالَ: دَخَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَاكِياً فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا مُعَاذُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بِالْبَابِ شَابّاً طَرِيَّ الْجَسَدِ، نَقِيَّ اللَّوْنِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، يَبْكِي عَلَى شَبَابِهِ بُكَاءَ الثَّكْلَى عَلَى وَلَدِهَا، يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْكَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَدْخِلْ عَلَيَّ الشَّابَّ يَا مُعَاذُ. فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا شَابُّ؟ قَالَ: كَيْفَ لَا أَبْكِي وَقَدْ رَكِبْتُ ذُنُوباً إِنْ أَخَذَنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَعْضِهَا أَدْخَلَنِي نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَا أَرَانِي إِلَّا سَيَأْخُذُنِي بِهَا، وَلَا يَغْفِرُ لِي أَبَداً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: هَلْ أَشْرَكْتَ بِاللَّهِ شَيْئاً؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِرَبِّي شَيْئاً. قَالَ: أَ قَتَلْتَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ذُنُوبَكَ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي[٥]، فَقَالَ الشَّابُّ: فَإِنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ذُنُوبَكَ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَبِحَارِهَا وَرِمَالِهَا وَأَشْجَارِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ، قَالَ: فَإِنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَبِحَارِهَا وَرِمَالِهَا[٦] وَأَشْجَارِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ذُنُوبَكَ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ السَّمَاوَاتِ وَنُجُومِهَا وَمِثْلَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، قَالَ: فَإِنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ؛ قَالَ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَيْهِ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ[٧] يَا شَابُّ ذُنُوبُكَ أَعْظَمُ أَمْ رَبُّكَ؟ فَخَرَّ الشَّابُّ لِوَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي مَا شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنْ رَبِّي، رَبِّي أَعْظَمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: فَهَلْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إِلَّا الرَّبُّ الْعَظِيمُ؟ قَالَ الشَّابُّ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ سَكَتَ الشَّابُّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: وَيْحَكَ يَا شَابُّ أَلَا تُخْبِرُنِي بِذَنْبٍ وَاحِدٍ مِنْ ذُنُوبِكَ؟ قَالَ: بَلَى أُخْبِرُكَ: إِنِّي كُنْتُ أَنْبُشُ الْقُبُورَ سَبْعَ سِنِينَ، أُخْرِجُ الْأَمْوَاتَ، وَأَنْزِعُ

---

١. غافر/٨٤و ٨٥.

٢. الأنعام/١٥٨.

٣. يونس/٩٠و ٩١.

٤. الأمالي (للصدوق)، ص ٤٢، ح ٣؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٧٩؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٦٩١، ح ١٩٢٤.

٥. الرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ، راجع لسان العرب.

٦. في الروضة مع زيادة: «وثمارها».

٧. كلمة ترحّم وتوجّع، وقد يأتي بمعنى المدح والتعجب؛ وقيل: إنها بمعنى الويل تقول: ويح لزيد، وويحا لزيد، وويحه، على الابتداء أو بإضمار فعل، كأنك قلت: ألزمه اللّه ويحا. (هامش المطبوع)

الْأَكْفَانَ، فَمَاتَتْ جَارِيَةٌ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا حُمِلَتْ إِلَى قَبْرِهَا وَدُفِنَتْ وَانْصَرَفَ عَنْهَا أَهْلُهَا وَجَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ أَتَيْتُ قَبْرَهَا فَنَبَشْتُهَا ثُمَّ اسْتَخْرَجْتُهَا وَنَزَعْتُ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنْ أَكْفَانِهَا وَتَرَكْتُهَا مُتَجَرِّدَةً عَلَى شَفِيرِ[١] قَبْرِهَا، وَمَضَيْتُ مُنْصَرِفاً فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ فَأَقْبَلَ يُزَيِّنُهَا لِي، وَيَقُولُ: أَ مَا تَرَى بَطْنَهَا وَبَيَاضَهَا؟ أَ مَا تَرَى وَرِكَيْهَا[٢]؟ فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ لِي هٰذَا حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهَا، وَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي حَتَّى جَامَعْتُهَا وَتَرَكْتُهَا مَكَانَهَا، فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ مِنْ وَرَائِي يَقُولُ: يَا شَابُّ وَيْلٌ[٣] لَكَ مِنْ دَيَّانِ[٤] يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمَ يَقِفُنِي وَإِيَّاكَ كَمَا تَرَكْتَنِي عُرْيَانَةً فِي عَسَاكِرِ الْمَوْتَى، وَنَزَعْتَنِي مِنْ حُفْرَتِي وَسَلَبْتَنِي أَكْفَانِي، وَتَرَكْتَنِي أَقُومُ جُنُبَةً إِلَى حِسَابِي، فَوَيْلٌ لِشَبَابِكَ مِنَ النَّارِ. فَمَا أَظُنُّ أَنِّي أَشَمُّ رِيحَ الْجَنَّةِ أَبَداً فَمَا تَرَى لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: تَنَحَّ عَنِّي يَا فَاسِقُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَحْتَرِقَ بِنَارِكَ، فَمَا أَقْرَبَكَ مِنَ النَّارِ! ثُمَّ لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وآله يَقُولُ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ حَتَّى أَمْعَنَ[٥] مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَذَهَبَ فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَتَزَوَّدَ[٦] مِنْهَا، ثُمَّ أَتَى بَعْضَ جِبَالِهَا فَتَعَبَّدَ فِيهَا، وَلَبِسَ مِسْحاً[٧] وَغَلَّ يَدَيْهِ جَمِيعاً إِلَى عُنُقِهِ، وَنَادَى: يَا رَبِّ هٰذَا عَبْدُكَ بُهْلُولٌ، بَيْنَ يَدَيْكَ مَغْلُولٌ، يَا رَبِّ أَنْتَ الَّذِي تَعْرِفُنِي، وَزَلَّ مِنِّي مَا تَعْلَمُ سَيِّدِي! يَا رَبِّ أَصْبَحْتُ مِنَ النَّادِمِينَ، وَأَتَيْتُ نَبِيَّكَ تَائِباً فَطَرَدَنِي وَزَادَنِي خَوْفاً، فَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِكَ أَنْ لَا تُخَيِّبَ رَجَائِي؛ سَيِّدِي! وَلَا تُبْطِلْ دُعَائِي، وَلَا تُقَنِّطْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ.

فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذٰلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَلَيْلَةً، تَبْكِي لَهُ السِّبَاعُ وَالْوُحُوشُ، فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ أَرْبَعُونَ يَوْماً وَلَيْلَةً رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ مَا فَعَلْتَ فِي حَاجَتِي؟ إِنْ كُنْتَ اسْتَجَبْتَ دُعَائِي وَغَفَرْتَ خَطِيئَتِي فَأَوْحِ إِلَى نَبِيِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي وَلَمْ تَغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَأَرَدْتَ عُقُوبَتِي فَعَجِّلْ بِنَارٍ تُحْرِقُنِي، أَوْ عُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا تُهْلِكُنِي، وَخَلِّصْنِي مِنْ فَضِيحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ يَعْنِي الزِّنَا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يَعْنِي بِارْتِكَابِ ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنَ الزِّنَا، وَنَبْشِ الْقُبُورِ، وَأَخْذِ الْأَكْفَانِ ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ يَقُولُ: خَافُوا اللَّهَ فَعَجَّلُوا التَّوْبَةَ ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: أَتَاكَ عَبْدِي يَا مُحَمَّدُ تَائِباً فَطَرَدْتَهُ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ؟ وَإِلَى مَنْ يَقْصِدُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَنْباً غَيْرِي؟ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ:

---

١. الشفير من الوادي: حرْفه وجانبه، راجع تاج العروس.

٢. الوَرِك: ما فوق الفَخِذ، والجمع أوراك، راجع لسان العرب.

٣. الويل: حلول الشر. الهلاك يُدْعَى به لمن وقع في هلكة يستحقها، وكلمة عذاب، وواد في جهنم، راجع لسان العرب.

٤. الديّان: الحَكَم القاضي، راجع لسان العرب.

٥. أمعن: هرب وتباعد، راجع لسان العرب.

٦. تزوّد: اتخذ زادا، راجع لسان العرب.

٧. المِسْح: الكساء من الشعر، راجع لسان العرب.

لَمْ يُقِيمُوا عَلَى الزِّنَا وَنَبْشِ الْقُبُورِ وَأَخْذِ الْأَكْفَانِ ﴿أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١].

فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَرَجَ وَهُوَ يَتْلُوهَا وَيَتَبَسَّمُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى ذٰلِكَ الشَّابِّ التَّائِبِ؟ فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَنَا أَنَّهُ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِأَصْحَابِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَصَعِدُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ الشَّابَّ، فَإِذَا هُمْ بِالشَّابِّ قَائِمٌ بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، قَدِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ، وَتَسَاقَطَتْ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْبُكَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: سَيِّدِي: قَدْ أَحْسَنْتَ خَلْقِي وَأَحْسَنْتَ صُورَتِي، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا ذَا تُرِيدُ بِي؟ أَ فِي النَّارِ تُحْرِقُنِي؟ أَوْ فِي جِوَارِكَ تُسْكِنُنِي؟ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا ذَا يَكُونُ آخِرُ أَمْرِي؟ إِلَى الْجَنَّةِ تَزُفُّنِي[٢][٣]؟ أَمْ إِلَى النَّارِ تَسُوقُنِي؟ اللَّهُمَّ إِنَّ خَطِيئَتِي أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِنْ كُرْسِيِّكَ الْوَاسِعِ وَعَرْشِكَ الْعَظِيمِ، فَلَيْتَ شِعْرِي تَغْفِرُ خَطِيئَتِي أَمْ تَفْضَحُنِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ نَحْوَ هٰذَا وَهُوَ يَبْكِي وَيَحْثُو التُّرَابَ[٤] عَلَى رَأْسِهِ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ السِّبَاعُ! وَصَفَّتْ فَوْقَهُ الطَّيْرُ! وَهُمْ يَبْكُونَ لِبُكَائِهِ! فَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَأَطْلَقَ يَدَيْهِ مِنْ عُنُقِهِ، وَنَفَضَ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: يَا بُهْلُولُ! أَبْشِرْ فَإِنَّكَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ: هٰكَذَا تَدَارَكُوا الذُّنُوبَ كَمَا تَدَارَكَهَا بُهْلُولُ. ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

٢١٢١. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٥]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ غُلَامٌ مِنَ الْيَهُودِ يَأْتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله كَثِيراً حَتَّى اسْتَخَفَّهُ[٦] وَرُبَّمَا أَرْسَلَهُ فِي حَاجَتِهِ، وَرُبَّمَا كَتَبَ لَهُ الْكِتَابَ إِلَى قَوْمِهِ، فَافْتَقَدَهُ أَيَّاماً، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ. تَرَكْتُهُ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ـ وَكَانَ لَهُ عليه السلام بَرَكَةٌ لَا يُكَلِّمُ[٧] أَحَداً إِلَّا أَجَابَهُ ـ فَقَالَ: يَا فُلَانُ فَفَتَحَ عَيْنَهُ وَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! قَالَ: قُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئاً، ثُمَّ نَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثَانِيَةً وَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ، فَالْتَفَتَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئاً، ثُمَّ نَادَاهُ رَسُولُ

---

١. آل عمران/١٣٥ و ١٣٦.

٢. زَفّ القوم في مَشيهم: أسرعوا، راجع لسان العرب.

٣. في الروضة: «إلى الجنة ترزقني».

٤. حثا عليه التراب: رماه، راجع لسان العرب.

٥. الأمالي (للطوسي)، ص ٤٣٨، ح ٩٨٠؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٣٩٧، ح ١٠؛ مشكاة الأنوار، ص ١٥٦.

٦. استخفّه: رآه خفيفا، راجع لسان العرب، فالمراد وجده خفيفا سريعا في الأعمال.

٧. في الأماليين والمشكاة: «لا يكاد يكلم ...».

اللَّهِ صلى الله عليه وآله الثَّالِثَةَ فَالْتَفَتَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَقُلْ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا. فَقَالَ الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَمَاتَ مَكَانَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِأَبِيهِ: اخْرُجْ عَنَّا، ثُمَّ قَالَ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ: اغْسِلُوهُ وَكَفِّنُوهُ، وَأْتُونِي بِهِ أُصَلِّي عَلَيْهِ؛ ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَى بِيَ الْيَوْمَ نَسَمَةً[١] مِنَ النَّارِ.

٢١٢٢. تحف العقول[٢]: عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبْدُ يُصِيبُ الذَّنْبَ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ فَمَا حَدُّ الِاسْتِغْفَارِ؟ قَالَ يَا ابْنَ زِيَادٍ: التَّوْبَةُ. قُلْتُ: بَسْ[٣]؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَكَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَ ذَنْباً يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِالتَّحْرِيكِ. قُلْتُ: وَمَا التَّحْرِيكُ؟ قَالَ: الشَّفَتَانِ وَاللِّسَانُ يُرِيدُ أَنْ يَتْبَعَ ذٰلِكَ بِالْحَقِيقَةِ. قُلْتُ: وَمَا الْحَقِيقَةُ؟ قَالَ: تَصْدِيقٌ فِي الْقَلْبِ وَإِضْمَارُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ. قَالَ كُمَيْلٌ: فَإِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ[٤]؟ قَالَ: لَا. قَالَ كُمَيْلٌ: فَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْأَصْلِ بَعْدُ. قَالَ كُمَيْلٌ: فَأَصْلُ الِاسْتِغْفَارِ مَا هُوَ؟ قَالَ: الرُّجُوعُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرْتَ مِنْهُ، وَهِيَ أَوَّلُ دَرَجَةِ الْعَابِدِينَ، وَتَرْكُ الذَّنْبِ؛ وَالِاسْتِغْفَارُ اسْمٌ وَاقِعٌ لِمَعَانٍ سِتٍّ:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى؛ وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ أَبَداً؛ وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ حُقُوقَ الْمَخْلُوقِينَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَالرَّابِعُ: أَنْ تُؤَدِّيَ حَقَّ اللَّهِ فِي كُلِّ فَرْضٍ؛ وَالْخَامِسُ: أَنْ تُذِيبَ اللَّحْمَ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ وَالْحَرَامِ حَتَّى يَرْجِعَ الْجِلْدُ إِلَى عَظْمِهِ، ثُمَ تُنْشِئَ فِيمَا بَيْنَهُمَا لَحْماً جَدِيداً؛ وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْبَدَنَ أَلَمَ الطَّاعَاتِ كَمَا أَذَقْتَهُ لَذَّاتِ الْمَعَاصِي.

٢١٢٣. عدّة الداعي[٥]: رُوِيَ عَنِ الْعَالِمِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجَائِهِ لَهُ، وَحُسْنِ خُلُقِهِ، وَالْكَفِّ عَنِ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ عَبْداً[٦] بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَّا بِسُوءِ ظَنِّهِ، وَتَقْصِيرِهِ فِي رَجَائِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُوءِ خُلُقِهِ، وَاغْتِيَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ الْخَبَرَ.

٢١٢٤. ثواب الأعمال[٧]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ

---

١. النسمة: الإنسان، والجمع نَسَم ونسمات، راجع لسان العرب.

٢. في تحف العقول، ص ١٩٦، مع زيادة؛ وفي نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٤٩، ح ٤١٧، مع اختلاف العبارات؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٨، ح ٢١٠٢٩؛ وفي الأخيرين مع نقصان.

٣. بَسْ بمعنى حَسْبُ، فارسية، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر: «فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟».

٥. عدّة الداعي، ص ١٤٧؛ الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٦٠؛ وفي الكافي، ج ٢، باب حسن الظن بالله عز وجل، ص ٧١، ح ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦. في الفقه المنسوب والكافي: «عبدا مؤمنا».

٧. ثواب الأعمال، ص ١٣٠؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٤، ح ٢١٠١٧.

الْبَطَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ النَّبِيِّ «عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ»: يَا دَاوُدُ إِنَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً ثُمَّ رَجَعَ وَتَابَ مِنْ ذٰلِكَ الذَّنْبِ وَاسْتَحْيَا مِنِّي عِنْدَ ذِكْرِهِ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَنْسَيْتُهُ الْحَفَظَةَ[١]، وَأَبْدَلْتُهُ الْحَسَنَةَ، وَلَا أُبَالِي وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

٢١٢٥. ثواب الأعمال[٢]: أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَاعَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٣] يَقُولُ: إِذَا تَابَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ[٤] تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّهُ اللَّهُ، فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يُنْسِي مَلَكَيْهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَوْحَى إِلَى جَوَارِحِهِ: اكْتُمِي عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ، وَأَوْحَى إِلَى بِقَاعِ الْأَرْضِ: اكْتُمِي عَلَيْهِ مَاكَانَ يَعْمَلُ عَلَيْكِ مِنَ الذُّنُوبِ؛ فَيَلْقَى اللَّهَ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ.

٢١٢٦. ثواب الأعمال[٥]: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فُضُولاً مِنْ رِزْقِهِ يَنْحَلُهُ[٦] مَنْ يَشَاءُ[٧] مِنْ خَلْقِهِ، وَاللَّهُ بَاسِطٌ يَدَيْهِ[٨] عِنْدَ كُلِّ فَجْرٍ لِمُذْنِبِ اللَّيْلِ، هَلْ يَتُوبُ فَيَغْفِرَ لَهُ؟ وَيَبْسُطُ يَدَيْهِ عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ لِمُذْنِبِ النَّهَارِ، هَلْ يَتُوبُ فَيَغْفِرَ لَهُ؟

٢١٢٧. المحاسن[٩]: أَبِي رَفَعَهُ[١٠] قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام صَعِدَ الْمِنْبَرَ بِالْكُوفَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الذُّنُوبَ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ أَمْسَكَ، فَقَالَ لَهُ حَبَّةُ الْعُرَنِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَسِّرْهَا لِي، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُهَا[١١] إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُفَسِّرَهَا، وَلٰكِنَّهُ عَرَضَ لِي بُهْرٌ[١٢] حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ؛ نَعَمْ، الذُّنُوبُ ثَلَاثَةٌ: فَذَنْبٌ مَغْفُورٌ، وَذَنْبٌ غَيْرُ مَغْفُورٍ، وَذَنْبٌ نَرْجُو لِصَاحِبِهِ وَنَخَافُ عَلَيْهِ.

---

١. الحفظة؛ الذين يحصون الأعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة، راجع لسان العرب.

٢. ثواب الأعمال، ص ١٧١؛ الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٠، ح ١، وفي ح ١٢، مع اختلاف يسير.

٣. في الكافي، ح ١: «محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، ...»، وفي الكافي ح ١٢، بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن موسى بن القاسم، عن الحسن بن راشد، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. لم يرد في الكافي: «المؤمن».

٥. ثواب الأعمال، ص ١٧٩؛ وفي الجعفريات (الأشعثيات) ص ٢٢٨، مقطعا؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٤، ح ٢١٠١٩.

٦. نحله: أعطاه، راجع تاج العروس.

٧. في الجعفريات: «يتخلّفه من يشاء».

٨. بسط اليد هنا كناية عن البذل والإعطاء. (هامش المطبوع)

٩. المحاسن، ج ١، ص ٧، ح ١٨؛ الكافي، ج ٢، باب في أن الذنوب ثلاثة، ص ٤٤٣، ح ١؛ إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ١٨١؛ وفي الأخيرين مع اختلاف العبارات.

١٠. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن بعض أصحابه، رفعه».

١١. في المصدر والكافي والإرشاد: «يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت، فقال له: ما ذكرتها ...».

١٢. البهر: انقطاع النفس من الإعياء، راجع لسان العرب.

قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَبَيِّنْهَا لَنَا، قَالَ: نَعَمْ، أَمَّا الذَّنْبُ الْمَغْفُورُ فَعَبْدٌ عَاقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَحْكَمُ[١] وَأَكْرَمُ أَنْ يُعَاقِبَ عَبْدَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَمَّا الذَّنْبُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا بَرَزَ لِخَلْقِهِ أَقْسَمَ قَسَماً عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَجُوزُنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ وَلَوْ كَفٌّ بِكَفٍّ وَلَوْ مَسْحَةٌ بِكَفٍّ، وَنَطْحَةٌ[٢] مَا بَيْنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ إِلَى الشَّاةِ الْجَمَّاءِ، فَيَقْتَصُّ اللَّهُ لِلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلِمَةٌ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ إِلَى الْحِسَابِ؛ وَأَمَّا الذَّنْبُ الثَّالِثُ فَذَنْبٌ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَزَقَهُ التَّوْبَةَ فَأَصْبَحَ خَاشِعاً[٣] مِنْ ذَنْبِهِ، رَاجِياً لِرَبِّهِ، فَنَحْنُ لَهُ كَمَا هُوَ لِنَفْسِهِ نَرْجُو لَهُ الرَّحْمَةَ وَنَخَافُ عَلَيْهِ الْعِقَابَ.

بيان:

لعلّ المراد بـ«الكفّ» أوّلاً المنع والزجر، وبالثاني اليد، ويحتمل أن يكون المراد بهما معاً اليد، أي تضرّر كفّ إنسان بكفّ آخر بغمز[٤] وشبهه، أو تلذّذ كفّ بكفّ؛ والمراد بالمسحة بالكفّ ما يشتمل على إهانة وتحقير أو تلذّذ، ويمكن حمل التلذّذ في الموضعين على ما إذا كان من امرأة ذات بعل، أو قهراً بدون رضى الممسوح، ليكون من حقّ الناس. و«الجمّاء»: التي لا قرن لها. قال في النهاية: فيه: إن اللّه لَيَدين الجمّاء من ذوات القرن، الجمّاء: التي لا قرن لها. ويدين أي يجزي. انتهى. وأمّا الخوف بعد التوبة فلعلّه لاحتمال التقصير في شرائط التوبة.

٢١٢٨. تحف العقول[٥]: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام قَالَ: تَأْخِيرُ التَّوْبَةِ اغْتِرَارٌ، وَطُولُ التَّسْوِيفِ[٦] حَيْرَةٌ، وَالِاعْتِلَالُ عَلَى اللَّهِ هَلَكَةٌ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَمْنٌ لِمَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.

٢١٢٩. الخرائج والجرائح[٧]: رُوِيَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام كَانَ فِي الْحَجِّ[٨] وَمَعَهُ ابْنُهُ جَعْفَرٌ عليه السلام فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ، قَالَ عليه السلام: سَلِ ابْنِي جَعْفَراً، قَالَ: فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَسْأَلُكَ؟ قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْباً عَظِيماً، قَالَ: أَفْطَرَ يَوْماً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مُتَعَمِّداً؟ قَالَ: أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. قَالَ: زَنَى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. قَالَ: قَتَلَ النَّفْسَ؟ قَالَ: أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. قَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ

---

١. في الكافي والإرشاد: «أحلم».

٢. نطحه: أصابه بقرنه، راجع القاموس المحيط.

٣. في الكافي والإرشاد: «خائفا».

٤. الغمز: العصر والكبس باليد، راجع لسان العرب.

٥. تحف العقول، ص ٤٥٦؛ الإرشاد (للمفيد)، ج ٢، ص ٢٠٥؛ كنز الفوائد، ج ٢، ص ٣٣؛ وفي الأخيرين عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦. التسويف في الأمر: تأخيره والقول بأنّي سوف أعمل، راجع مجمع البحرين.

٧. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٣١، ح ٣٢.

٨. في المصدر: «في الحجر».

شِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام مَشَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَحَلَفَ أَنْ لَا يَعُودَ[١]، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شِيعَتِهِ فَلَا بَأْسَ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ يَا وُلْدَ فَاطِمَةَ ـ ثَلَاثاً ـ هٰكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ذَهَبَ فَالْتَفَتَ أَبُو جَعْفَرٍ فَقَالَ: عَرَفْتَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: ذٰلِكَ الْخَضِرُ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَكَهُ.

بيان:

لعلّ في الخبر سقطاً وإنّما أوردته كما وجدته، ويحتمل أن يكون السائل غرضه السؤال عن حال من جمع بين تلك الأعمال، ويكون سؤاله عليه السلام على الإعجاز، لعلمه بالمراد، ويكون المراد بالجواب أنّ المقتول إن كان من الشيعة فليمش إلى البيت لكمال قبول التوبة وإلّا فلا بأس، ولو كان الضمير راجعاً إلى القاتل فلا بدّ من ارتكاب تكلّف في قوله عليه السلام: فلا بأس به.

٢١٣٠. مصباح الشريعة[٢]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: التَّوْبَةُ حَبْلُ اللَّهِ وَمَدَدُ عِنَايَتِهِ، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ مُدَاوَمَةِ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنَ الْعِبَادِ لَهُمْ تَوْبَةٌ، فَتَوْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنِ اضْطِرَابِ السِّرِّ، وَتَوْبَةُ الْأَصْفِيَاءِ مِنَ التَّنَفُّسِ[٣]، وَتَوْبَةُ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ تَلْوِينِ الْخَطَرَاتِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصِّ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَوْبَةُ الْعَامِّ مِنَ الذُّنُوبِ؛ وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعْرِفَةٌ وَعِلْمٌ فِي أَصْلِ تَوْبَتِهِ وَمُنْتَهَى أَمْرِهِ، وَذٰلِكَ يَطُولُ شَرْحُهُ هَاهُنَا.

فَأَمَّا تَوْبَةُ الْعَامِّ فَأَنْ يَغْسِلَ بَاطِنَهُ بِمَاءِ الْحَسْرَةِ[٤]، وَالِاعْتِرَافِ بِالْجِنَايَةِ دَائِماً، وَاعْتِقَادِ النَّدَمِ عَلَى مَا مَضَى، وَالْخَوْفِ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ، وَلَا يَسْتَصْغِرَ ذُنُوبَهُ فَيَحْمِلَهُ ذٰلِكَ إِلَى الْكَسَلِ، وَيُدِيمَ الْبُكَاءَ وَالْأَسَفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَحْبِسَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَيَسْتَغِيثَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْفَظَهُ عَلَى وَفَاءِ تَوْبَتِهِ، وَيَعْصِمَهُ عَنِ الْعَوْدِ إِلَى مَا سَلَفَ، وَيَرُوضَ[٥] نَفْسَهُ فِي مَيْدَانِ الْجَهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَقْضِيَ عَنِ الْفَوَائِتِ مِنَ الْفَرَائِضِ، وَيَرُدَّ الْمَظَالِمَ، وَيَعْتَزِلَ قُرَنَاءَ السَّوْءِ، وَيَسْهَرَ لَيْلَهُ، وَيَظْمَأَ نَهَارَهُ، وَيَتَفَكَّرَ دَائِماً فِي عَاقِبَتِهِ، وَيَسْتَهِينَ[٦][٧] بِاللَّهِ سَائِلاً مِنْهُ الِاسْتِقَامَةَ فِي سَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ، وَيَثْبُتَ عِنْدَ الْمِحَنِ وَالْبَلَاءِ كَيْلَا يَسْقُطَ عَنْ دَرَجَةِ التَّوَّابِينَ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ طَهَارَةً مِنْ ذُنُوبِهِ، وَزِيَادَةً فِي عَمَلِهِ[٨]، وَرِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٩].

---

١. في المصدر: «مشى إلى بيت اللّه الحرام من منزله ثم ليحلف عند الحجر أن لا يعود».

٢. مصباح الشريعة، ص ٩٧.

٣. في المصدر: «التنفيس».

٤. في المصدر: «يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة».

٥. راض الدابة: وطّأها وذلّلها، راجع لسان العرب.

٦. هان: ذلّ وحقُر، راجع المصباح المنير.

٧. في المصدر والطبعة الحجريّة: «يستعين».

٨. في المصدر: «في علمه».

٩. في المصحف الشريف: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ...﴾ (العنكبوت/٣).

بيان:

«من التنفّس» أي بغير ذكر اللّه، وفي بعض النسخ على بناء التفعيل من تنفيس الهمّ أي تفريجه أي من الفرح والنشاط، والظاهر أنّه مصحّف. و«تلوين الخطرات»: إخطار الأُمور المتفرّقة بالبال، وعدم اطمئنان القلب بذكر اللّه.

٢١٣١. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ أَبِي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً لَمْ يَرْضَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسُ نَظِيراً لَهُ فِي دِينِهِ؛ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ نَجَاةٌ مِنَ الرَّدَى، وَبَصِيرَةٌ مِنَ الْعَمَى، وَدَلِيلٌ إِلَى الْهُدَى، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، فِيمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ مَعَ التَّوْبَةِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٣] فَهٰذَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، وَاشْتَرَطَ مَعَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ[٤] عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٥] وَهٰذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ لَا يَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالتَّوْبَةُ.

٢١٣٢. تفسير العيّاشيّ[٦]: عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧] قَالَ: الْإِصْرَارُ أَنْ يُذْنِبَ الْعَبْدُ وَلَا يَسْتَغْفِرَ وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، فَذٰلِكَ الْإِصْرَارُ.

٢١٣٣. تفسير العيّاشيّ[٨]: عَنْ أَبِي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٩] قَالَ: لِهٰذِهِ الْآيَةِ تَفْسِيرٌ، يَدُلُّ ذٰلِكَ التَّفْسِيرُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً إِلَّا مِمَّنْ لَقِيَهُ بِالْوَفَاءِ مِنْهُ بِذٰلِكَ التَّفْسِيرِ، وَمَا اشْتَرَطَ فِيهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[١٠] يَعْنِي كُلَّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْعَبْدُ وَإِنْ كَانَ بِهِ عَالِماً فَهُوَ جَاهِلٌ حِينَ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ فِي مَعْصِيَةِ

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤٣؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٦٩٠، ح ١٩٢١.

٢. آل عمران/١٣٥.

٣. النساء/١١٠.

٤. الإقلاع عن الأمر: الكفُّ عنه، راجع لسان العرب.

٥. فاطر/٣.

٦. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤٤؛ الكافي، ج ٢، باب الإصرار على الذنب، ص ٢٨٨، ح ٢؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ١٨.

٧. آل عمران/١٣٥.

٨. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٢؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣١٥؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٥، ح ٢٢١٤.

٩. طه/٨٢.

١٠. النساء/١٧.

رَبِّهِ، وَقَدْ قَالَ فِي ذٰلِكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَحْكِي قَوْلَ يُوسُفَ لِإِخْوَتِهِ ـ: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[١] فَنَسَبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ لِمُخَاطَرَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

٢١٣٤. تفسير العيّاشيّ[٢]: عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[٣] قَالَ: هُوَ الْفَرَّارُ، تَابَ حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُ التَّوْبَةُ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

٢١٣٥. تفسير العيّاشيّ[٤]: عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ هٰذِهِ ـ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ لَمْ يَكُنْ لِلْعَالِمِ تَوْبَةٌ، وَكَانَتْ لِلْجَاهِلِ تَوْبَةٌ.

كتاب حسين بن سعيد[٥]: ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عنه عليه السلام مثله.

بيان:

ظاهره الفرق بين العالم والجاهل في قبول التوبة عند مشاهدة أحوال الآخرة، وهو مخالف لما ذهب إليه المتكلّمون من عدم قبول التوبة في ذلك الوقت مطلقاً، وعدم الفرق في التوبة مطلقاً بين العالم والجاهل، ويمكن توجيهه بوجهين:

الأوّل: أن يكون المراد بالعالم من شاهد أحوال الآخرة، وبالجاهل من لم يشاهدها لأنّ بلوغ النفس إلى الحنجرة قد ينفكّ عن المشاهدة.

الثاني: أن يكون المراد نفي التوبة الكاملة عن العالم في هذا الوقت دون الجاهل، مع حمل تلك الحالة على عدم المشاهدة، إذ العالم غير معذور في تأخيرها إلى هذا الوقت.

٢١٣٦. تفسير العيّاشيّ[٦]: عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى، وَأَوَّلَ مَنْ حَدَا[٧]؛ قَالَ: لَمَّا أَكَلَ آدَمُ عليه السلام مِنَ الشَّجَرَةِ تَغَنَّى، قَالَ: فَلَمَّا أُهْبِطَ حَدَا بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَى الْأَرْضِ نَاحَ فَأَذْكَرَهُ مَا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ عليه السلام: رَبِّ هٰذَا الَّذِي جَعَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْعَدَاوَةَ، لَمْ أَقْوَ عَلَيْهِ وَأَنَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ تُعِنِّي عَلَيْهِ لَمْ أَقْوَ

---

١. يوسف/٨٩.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٣؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٥، ح ٢٢١٥.

٣. النساء/١٨.

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٤؛ الكافي، ج ٢، باب فيما أعطى اللّه عز وجل آدم عليه السلام وقت التوبه، ص ٤٤٠، ح ٣؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٤٣٢.

٥. الزهد، ص ٧١، ح ١٨٩.

٦. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٧٦، ح ٢٧٧؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ١٧٥، ح ٢٧٥٣؛ وفيهما مع زيادة.

٧. الحَدْو: سوق الإبل والغناء لها، راجع لسان العرب.

عَلَيْهِ؛ فَقَالَ اللَّهُ: السَّيِّئَةُ بِالسَّيِّئَةِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ. قَالَ: رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: لَا يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ إِلَّا جَعَلْتُ مَعَهُ مَلَكاً أَوْ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ[١]. قَالَ: رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: التَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ[٢] فِي الْجَسَدِ مَا دَامَ فِيهَا الرُّوحُ. قَالَ: رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي. قَالَ: حَسْبِي.

٢١٣٧. تفسير العيّاشيّ[٣]: عَنْ أَبِي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً تَابَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مَطْهَرَةٌ مِنْ دَنَسِ الْخَطِيئَةِ، وَمَنْقَذَةٌ[٤] مِنْ شَفَا[٥][٦] الْهَلَكَةِ، فَرَضَ اللَّهُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]،﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٨].

٢١٣٨. تفسير الإمام عليه السلام[٩]: أَتَى أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى مَتَى تُقْبَلُ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَابَهَا مَفْتُوحٌ لِابْنِ آدَمَ لَا يُسَدُّ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[١٠].

٢١٣٩. تفسير العيّاشيّ[١١]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾[١٢]: قَالَ: هُمُ التَّوَّابُونَ الْمُتَعَبِّدُونَ.

٢١٤٠. تفسير العيّاشيّ[١٣]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٤] فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ـ بِأَبِي وَأُمِّي ـ إِنِّي

---

١. في المصدر والبرهان: «إلا جعلت معه ملكين يحفظانه».

٢. في نسخة: مفروضة. (هامش المطبوع)

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٦١، ح ٢٧؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٢٤، ح ٣٤٨٧.

٤. النقذ: التخليص والتنجية، راجع القاموس المحيط.

٥. الشفا: حرف كل شيء أي طرفه، والجمع أشفاء، ويضرب به المثل في القرب من الهلكة، راجع تاج العروس.

٦. في البرهان: «شقاء».

٧. الأنعام/٥٤.

٨. النساء/١١٠.

٩. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٧٨، ح ٣٠٥؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٢٩٨، ح ٥٧٢؛ وفيهما ضمن رواية.

١٠. الأنعام/١٥٨.

١١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٦، ح ٤٢؛ مشكاة الأنوار، ص ١٠٩؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥١٩، ح ٦٣١١.

١٢. الإسراء/٢٥.

١٣. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٩٢، ح ٧٦؛ وفي الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٢٨١، مع اختلاف العبارة؛ الكافي، ج ٦، باب الغناء، ص ٤٣٢، ح ١٠.

أَدْخُلُ كَنِيفاً[١] لِي وَلِي جِيرَانٌ، وَعِنْدَهُمْ جَوَارٍ يَتَغَنَّيْنَ وَيَضْرِبْنَ بِالْعُودِ، فَرُبَّمَا أَطَلْتُ[٢] الْجُلُوسَ اسْتِمَاعاً مِنِّي لَهُنَّ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ شَيْءٌ آتِيهِ بِرِجْلِي إِنَّمَا هُوَ سَمَاعٌ أَسْمَعُهُ بِأُذُنِي[٣]! فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَ مَا سَمِعْتَ اللَّهَ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٤]؟ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، فَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هٰذِهِ الْآيَةَ قَطُّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَجَمِيٍّ وَلَا مِنْ عَرَبِيٍّ، لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَاغْتَسِلْ وَصَلِّ مَا بَدَا لَكَ، فَإِنَّكَ كُنْتَ مُقِيماً عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ مَا كَانَ أَسْوَأَ حَالَكَ لَوْ مِتَّ عَلَى ذٰلِكَ! احْمَدِ اللَّهَ وَسَلْهُ التَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ، إِنَّهُ لَا يَكْرَهُ إِلَّا الْقَبِيحَ[٥]، وَالْقَبِيحَ دَعْهُ لِأَهْلِهِ فَإِنَّ لِكُلٍّ أَهْلاً.

٢١٤١. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٦]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنِ ابْنِ عُقْدَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهم السلام فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ احْتَجَّ فِيهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَأَمَّا الْقَرَابَةُ فَقَدْ نَفَعَتِ الْمُشْرِكَ، وَهِيَ وَاللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ أَنْفَعُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ـ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ ـ: قُلْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْفَعْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ لَهُ وَيَعِدُ[٧] إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرِ شَيْخِنَا ـ أَعْنِي أَبَا طَالِبٍ ـ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٨]؛ الْخَبَرَ.

بيان:

لعلّ هذا للإلزام على العامّة لقولهم بكفر أبي طالب عليه السلام؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّه لمّا كان السؤال في ذلك الوقت مع علمه صلى الله عليه وآله بإيمانه لعلم الناس بإيمانه، فلو لم يكن للإيمان في هذا الوقت فائدة لم يحصل الغرض.

٢١٤٢. جامع الأخبار[٩]: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: التَّائِبُ إِذَا لَمْ يَسْتَبِنْ أَثَرُ التَّوْبَةِ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ: يُرْضِي الْخُصَمَاءَ، وَيُعِيدُ

---

١٤. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، قال: كنت عند أبي عبداللّه عليه السلام».

١. الكنيف: الموضع المعدّ للخلاء، راجع مجمع البحرين.

٢. في المصدر: «أطلب».

٣. في المصدر والكافي: «واللّه ما آتيهن إنما هو سماع أسمعه بأُذني».

٤. الإسراء/٣٦.

٥. في نسخة: إلا كل القبيح. (هامش المطبوع)

٦. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٦٧، ح ١١٧٤؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٦، ح ٢٢١٩.

٧. لم يرد في المصدر: «ويعد».

٨. النساء/١٨.

٩. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ٨٧.

الصَّلَوَاتِ، وَيَتَوَاضَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَيَتَّقِي نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَيُهَزِّلُ[١] رَقَبَتَهُ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَيُصَفِّرُ لَوْنَهُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَيَخْمُصُ[٢] بَطْنَهُ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ، وَيُقَوِّسُ ظَهْرَهُ مِنْ مَخَافَةِ النَّارِ، وَيُذِيبُ عِظَامَهُ شَوْقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُرِقُّ قَلْبَهُ مِنْ هَوْلِ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَيُجَفِّفُ جِلْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ بِتَفَكُّرِ الْأَجَلِ[٣]، فَهٰذَا أَثَرُ التَّوْبَةِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ عَلَى هٰذِهِ الصُّورَةِ فَهُوَ تَائِبٌ نَاصِحٌ لِنَفْسِهِ.

٢١٤٣. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٤]: أَ تَدْرُونَ مَنِ التَّائِبُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: إِذَا تَابَ الْعَبْدُ وَلَمْ يُرْضِ الْخُصَمَاءَ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يَزِدْ فِي الْعِبَادَةِ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُغَيِّرْ لِبَاسَهُ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُغَيِّرْ رُفَقَائَهُ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُغَيِّرْ مَجْلِسَهُ[٥] فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُغَيِّرْ فِرَاشَهُ وَوِسَادَتَهُ[٦] فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُغَيِّرْ خُلُقَهُ وَنِيَّتَهُ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ[٧]، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يَفْتَحْ قَلْبَهُ وَلَمْ يُوَسِّعْ كَفَّهُ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُقَصِّرْ أَمَلَهُ وَلَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَمَنْ تَابَ وَلَمْ يُقَدِّمْ فَضْلَ قُوتِهِ مِنْ بَدَنِهِ[٨] فَلَيْسَ بِتَائِبٍ؛ وَإِذَا اسْتَقَامَ عَلَى هٰذِهِ الْخِصَالِ فَذَاكَ التَّائِبُ.

٢١٤٤. تنبيه الخاطر[٩]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَصْلَتَيْنِ: أَنْ يُقِرُّوا لَهُ بِالنِّعَمِ فَيَزِيدَهُمْ، وَبِالذُّنُوبِ فَيَغْفِرَهَا لَهُمْ.

٢١٤٥. تنبيه الخاطر[١٠]: وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً وَهُوَ ضَاحِكٌ دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ بَاكٍ.

٢١٤٦. نهج البلاغة[١١]: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

---

١. الهُزال: نقيض السِّمَن، راجع لسان العرب.

٢. الخُمْصان: الجائع الضامر البطن، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «ويخفّف جلده على بدنه بتفكر الآخرة».

٤. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ٨٨.

٥. في نسخة: مجلسه وطعامه. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٦. الوساد والوسادة: المُخَدَّة والمُتّكأ، راجع لسان العرب.

٧. لم يرد في المصدر: «ومن تاب ولم يغير خلقه ونيته فليس بتائب».

٨. في المصدر: «من يديه».

٩. تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ١٨؛ الكافي، ج ٢، باب الاعتراف بالذنوب، ص ٤٢٦، ح ٢؛ مشكاة الأنوار، ص ١١٠.

١٠. تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ١٨؛ ثواب الأعمال، ص ٢٢٣؛ مشكاة الأنوار، ص ١٥٧.

١١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٥٣، ح ٤٣٥؛ وفي الجعفريات (الأشعثيات)، ص ٢٢٢، بمضمونه؛ وفي إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ١٤٨، مع زيادة.

٢١٤٧. نهج البلاغة[١]: وَقَالَ عليه السلام لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيُرْجِئُ[٢] التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ـ وَسَاقَ الْكَلَامَ إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام ـ: إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ[٣] الْمَعْصِيَةَ، وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ.

٢١٤٨. نهج البلاغة[٤]: وَقَالَ عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

وتصديق ذلك في كتاب اللّه سبحانه؛ قال اللّه عزَّ وجلَّ في الدعاء: **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[٥] وقال في الاستغفار: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**[٦]، وقال في الشكر: **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾**[٧]، وقال في التوبة: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**[٨].

٢١٤٩. نهج البلاغة[٩]: وَسُئِلَ عليه السلام عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ؛ وَلٰكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ[١٠] وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ؛ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ. وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

٢١٥٠. كتاب حسين بن سعيد[١١]: النَّضْرُ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ حَفْصٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٢] يَقُولُ: مَا مِنْ

---

١. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٧، ح ١٥٠؛ وفي تحف العقول، ص ١٥٧، بمضمونه؛ أعلام الدين، ص ١٤٦.

٢. أرجأ الأمر: أخّره، راجع لسان العرب.

٣. أسلف: قدّم، راجع شمس العلوم.

٤. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٤، ح ١٣٥؛ تحف العقول، ص ٤١، عن النبي صلى الله عليه وآله؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٦٩٣، ح ١٤٧٣ عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥. غافر/٦٠.

٦. النساء/١١٠.

٧. إبراهيم/٧.

٨. النساء/١٧.

٩. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٨٤، ح ٩٤؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ٢٤؛ وفي عيون الحكم (للليثي)، ص ٤١١، ح ٦٩٩٤، مع نقصان؛ ورواه العامة في كتبهم، منهم ابن حمدون في التذكرة الحمدونية، ج ١، ص ٢٤٣، ح ٥٩٥؛ وابن عبد البر في بهجة المجالس، ج ٣، ص ٢٧٩، وغيرهما.

١٠. في نسخة: علمك وعملك. (هامش المطبوع) وفي مجموعة ورّام: «عملك».

١١. الزهد، ص ٦٩، ح ١٨٥؛ قرب الإسناد، ص ٢، ح ٤؛ الكافي، ج ٢، باب الاستغفار من الذنب، ص ٤٣٩، ح ٩.

١٢. في قرب الإسناد بهذا الإسناد: «هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام».

عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، فَإِنْ هُوَ تَابَ لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئاً، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ؛ فَأَتَاهُ عَبَّادٌ الْبَصْرِيُّ فَقَالَ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّكَ قُلْتَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ هٰكَذَا قُلْتُ، وَلَكِنِّي قُلْتُ: مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنْ نَهَارِهِ؛ هٰكَذَا قُلْتُ.

٢١٥١. كتاب حسين بن سعيد[١]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ[٢]، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً أُجِّلَ فِيهَا سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، فَإِنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ[٣] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ.

٢١٥٢. كتاب حسين بن سعيد[٤]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ الْأَحْمَسِيِّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا مَنْ أَقَرَّ بِهِ.

٢١٥٣. كتاب حسين بن سعيد[٥]: عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[٦]: أَلَا إِنَّ اللَّهَ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ مِنْ رَجُلٍ ضَلَّتْ[٧] رَاحِلَتُهُ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ[٨]، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ وَلَا أَيْنَ يَتَوَجَّهُ حَتَّى وَضَعَ رَأْسَهُ لِيَنَامَ، فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي رَاحِلَتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُوَ ذِهْ فَاقْبِضْهَا، فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَبَضَهَا؛ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ مِنْ ذٰلِكَ الرَّجُلِ حِينَ وَجَدَ رَاحِلَتَهُ.

٢١٥٤. الكافي[٩]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[١٠] قَالَ: هُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَعُودُ فِيهِ أَبَداً. قُلْتُ: وَأَيُّنَا لَمْ يَعُدْ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُفَتَّنَ التَّوَّابَ.

---

١. الزهد، ص ٧١، ح ١٩٠؛ الكافي، ج ٢، باب الاستغفار من الذنب، ص ٤٣٧، ح ٢ و ٥.

٢. في الكافي، ح ٢ بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير وأبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن أبي أيوب، ...»، وفي ح ٥: « محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب، ...».

٣. في الكافي، ح ٥، مع زيادة: «وأتوب إليه».

٤. الزهد، ص ٧٢، ح ١٩٣؛ الكافي، ج ٢، باب الاعتراف بالذنوب، ص ٤٢٦، ح ١؛ مشكاة الأنوار، ص ١١٠.

٥. الزهد، ص ٧٢، ح ١٩٤؛ وفي نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٧٥؛ شرح أُصول الكافي (لملا صدرا)، ج ١، ص ٥٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٦. في نهج الحق بهذا الإسناد: «ابن مسعود، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٧. في المصدر: «ظلّت».

٨. القفر: مفازة لا نبات بها ولا ماء، راجع لسان العرب.

٩. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٢، ح ٤؛ وفي الأُصول الستة عشر، ص ١٧٨، ح ١٣٧، مع اختلاف يسير؛ الزهد، ص ٧٢، ح ١٩١.

١٠. التحريم/٨.

٢١٥٥. الكافي[١]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى التَّائِبِينَ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَوْ أَعْطَى خَصْلَةً مِنْهَا جَمِيعَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَجَوْا بِهَا: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢] فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣]، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٤].

٢١٥٦. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: يَا مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ[٦] إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ لَهُ، فَلْيَعْمَلِ الْمُؤْمِنُ لِمَا يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا لِأَهْلِ إِيمَانٍ. قُلْتُ: فَإِنْ عَادَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ وَعَادَ فِي التَّوْبَةِ؟ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ أَ تَرَى الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدَمُ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُ وَيَتُوبُ ثُمَّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ؟ قُلْتُ: فَإِنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ مِرَاراً يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ، فَقَالَ: كُلَّمَا عَادَ الْمُؤْمِنُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُقَنِّطَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

٢١٥٧. الكافي[٧]: أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٨] قَالَ: هُوَ الْعَبْدُ يَهُمُّ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَتَذَكَّرُ فَيُمْسِكُ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

---

١. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٢، ح ٥؛ مشكاة الأنوار، ص ١٠٩؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٩٧.

٢. البقرة/٢٢٢.

٣. غافر/٧-٩.

٤. الفرقان/٦٨-٧٠.

٥. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٤، ح ٦؛ إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ١٨٠؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٩٧.

٦. في الإرشاد: «ذنوب المسلم».

٧. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٤، ح ٧؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٨؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢٠١.

٨. لم يرد الواو في المصحف الشريف (الأعراف/٢٠١).

٢١٥٨. الكافي[١]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ[٢] وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا؛ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذٰلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا.

٢١٥٩. الكافي[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفَتَّنَ التَّوَّابَ[٤] وَمَنْ لَا يَكُونُ ذٰلِكَ[٥] مِنْهُ كَانَ أَفْضَلَ.

٢١٦٠. الكافي[٦]: مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ بَيَّاعِ الْأُرُزِّ[٧]، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْمُقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ.

٢١٦١. الكافي[٨]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً[٩] أُجِّلَ مِنْ غَدَاةٍ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ.

٢١٦٢. الكافي[١٠]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ وَأَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى جَمِيعاً، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١١] قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ[١٢]، وَإِنْ مَضَتِ السَّاعَاتُ وَلَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ[١٣]، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَكَّرُ ذَنْبَهُ بَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ فَيَغْفِرَ لَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيُنْسَاهُ مِنْ سَاعَتِهِ.

---

١. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٥، ح ٨؛ وفي الطرائف، ج ٢، ص ٣٢٤، مع اختلاف العباراة، عن النبي صلى الله عليه وآله؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٩٨.

٢. الراحلة: المركب من الإبل، راجع لسان العرب.

٣. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٥، ح ٩؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ٩٨؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٥٣.

٤. في المصدر: «العبد المفتن التواب».

٥. أي المراجعة إلى الذنب بعد التوبة. (هامش المطبوع)

٦. الكافي، ج ٢، باب التوبة، ص ٤٣٥، ح ١٠؛ مشكاة الأنوار، ص ١١٠؛ مكارم الأخلاق، ص ٣١٣.

٧. الأُرز: ضرب من البُرّ، والبُرّ: الحنطة، راجع لسان العرب.

٨. الكافي، ج ٢، باب الاستغفار من الذنب، ص ٤٣٧، ح ١؛ الزهد، ص ٧٠، ح ١٨٧؛ مكارم الأخلاق، ص ٣١٤.

٩. في مكارم الأخلاق: «قال: من أذنب من المؤمنين ذنبا».

١٠. الكافي، ج ٢، باب الاستغفار، ص ٤٣٧، ح ٣؛ الزهد، ص ٧٤، ح ١٩٧؛ روضة المتقين، ج ١٢، ص ١٠٠.

١١. في الزهد بهذا الإسناد: «بعض أصحابنا، عن علي بن شجرة، عن عيسى بن راشد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٢. في المصدر والبرهان: «عليه شيء»، وفي الزهد: «غفر له» بدلا من: «لم يكتب عليه».

١٣. لم يرد في الزهد: «وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة».

٢١٦٣. الكافي[١]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ وَالْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَحْوَلِ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَدَخَلَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلَمَّا هَمَّ حُمْرَانُ بِالْقِيَامِ قَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أُخْبِرُكَ ـ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ لَنَا وَأَمْتَعَنَا[٢] بِكَ ـ: إِنَّا نَأْتِيكَ فَمَا نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى تَرِقَّ قُلُوبُنَا، وَتَسْلُو[٣] أَنْفُسُنَا عَنِ الدُّنْيَا، وَيَهُونُ عَلَيْنَا مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ هٰذِهِ الْأَمْوَالِ، ثُمَّ نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ فَإِذَا صِرْنَا مَعَ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ أَحْبَبْنَا الدُّنْيَا! قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا هِيَ الْقُلُوبُ[٤] مَرَّةً تَصْعُبُ، وَمَرَّةً تَسْهُلُ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَا إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَخَافُ عَلَيْنَا النِّفَاقَ، قَالَ: فَقَالَ صلى الله عليه وآله: وَلِمَ تَخَافُونَ ذٰلِكَ؟ قَالُوا: إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ فَذَكَّرْتَنَا وَرَغَّبْتَنَا وَجِلْنَا[٥]، وَنَسِينَا الدُّنْيَا، وَزَهِدْنَا حَتَّى كَأَنَّنَا نُعَايِنُ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَنَحْنُ عِنْدَكَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ وَدَخَلْنَا هٰذِهِ الْبُيُوتَ وَشَمِمْنَا الْأَوْلَادَ وَرَأَيْنَا الْعِيَالَ وَالْأَهْلَ يَكَادُ أَنْ نُحَوَّلَ عَنِ الْحَالَةِ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا عِنْدَكَ، حَتَّى كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ عَلَى شَيْءٍ، أَ فَتَخَافُ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ نِفَاقاً؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَلَّا؛ إِنَّ هٰذِهِ خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ فَيُرَغِّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَاللَّهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي وَصَفْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهَا لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْمَاءِ، وَلَوْ لَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً حَتَّى يُذْنِبُوا ثُمَّ يَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فَيَغْفِرَ لَهُمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُفَتَّنٌ تَوَّابٌ، أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٦]، وَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٧].

---

١. الكافي، ج ٢، باب في تنقل أحوال القلب، ص ٤٢٣، ح ١؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠٩، ح ٣٢٧؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢١٠؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٢. أمتع اللّه فلانا بفلان أي أبقاه ليستمتع به فيما يحب من الانتفاع به والسرور بمكانه، راجع لسان العرب.

٣. سلا عنه: نسيه [وطابت نفسه عنه]، راجع لسان العرب.

٤. قال المصنف «قدس سره» في شرح الحديث في كتابه مرآة العقول [ج ١١، ص ٢٦١]: إنما هي القلوب أي إنما سمي بالقلب لتقلب أحواله، مرّة تصعب. (هامش المطبوع)

٥. الوجل: الفزع والخوف، راجع لسان العرب.

٦. البقرة/٢٢٢.

٧. هود/٥٢.

اختتام فيه مباحث رائقة[١]

الأوّل: في وجوب التوبة.

ولا خلاف في وجوبها في الجملة، والأظهر أنّها إنّما تجب لما لم يكفّر[٢] من الذنوب، كالكبائر والصغائر التي أصرّت عليها، فإنّها ملحقة بالكبائر، والصغائر التي لم يجتنب معها الكبائر؛ فأمّا مع اجتناب الكبائر فهي مكفّرة إذا لم يصرّ عليها ولا يحتاج إلى التوبة عنها، لقوله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾[٣] وسيأتي تحقيق القول في ذلك في باب الكبائر إن شاء اللّه تعالى[٤].

قال المحقّق الطوسيّ «قدّس اللّه روحه» في التجريد: التوبة واجبة لدفعها الضرر، ولوجوب الندم على كلّ قبيح أو إخلال بواجب[٥].

وقال العلّامة «رحمه اللّه» في شرحه: التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل، لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي الندم، وهي واجبة بالإجماع، لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنّها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك، ولا تجب من الصغائر المعلوم أنها صغائر؛ وقال آخرون: إنّها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل؛ وقال آخرون: إنّها تجب من كلّ صغير وكبير من المعاصي، أو الإخلال بالواجب، سواء تاب منها قبل أو لم يتب.

وقد استدلّ المصنّف على وجوبها بأمرين: الأوّل: أنّها دافعة للضرر الذي هو العقاب أو الخوف فيه، ودفع الضرر واجب. الثاني: أنّا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح أو الإخلال بالواجب؛ إذا عرفت هذا فنقول: إنّها تجب من كلّ ذنب، لأنّها تجب من المعصية لكونها معصية، ومن الإخلال بواجب لكونه كذلك،

---

١. الرائق: الخالص أو بمعنى الجميل، راجع تاج العروس.

٢. كفّر اللّه تعالى عنه سيئاته: سترها بالعفو عنه، راجع شمس العلوم.

٣. النساء/٣١.

٤. بحار الأنوار، كتاب الروضة، أبواب المعاصي والكبائر وحدودها، باب معنى الكبيرة والصغيرة وعدد الكبائر.

٥. تجريد الاعتقاد، ص ٣٠٥ و٣٠٦.

وهذا عامّ في كلّ ذنب وإخلال بواجب[١]. انتهى.

أقول:

ظاهر كلامه وجوب التوبة عن الذنب الذي تاب منه، ولعلّه نظر إلى أنّ الندم على القبيح واجب في كلّ حال، وكذا ترك العزم على الحرام واجب دائماً؛ وفيه أنّ العزم على الحرام ما لم يأت به لا يترتّب عليه إثم، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، إلّا أن يقول: إنّ العفو عنه تفضّلاً لا ينافي كونه منهيّاً عنه كالصغائر المكفّرة، وأمّا الندم على ما صدر عنه فلا نسلّم وجوبه بعد تحقّق الندم سابقاً وسقوط العقاب، وإن كان القول بوجوبه أقوى.

الثاني: اختلف المتكلّمون في أنّه هل تتبعّض التوبة أم لا.

والأوّل أقوى لعموم النصوص وضعف المعارض.

قال المحقّق في التجريد: ويندم على القبيح لقبحه، وإلّا انتفت، وخوف النار إن كان الغاية فكذلك، وكذا الإخلال، فلا تصحّ من البعض، ولا يتمّ القياس على الواجب، ولو اعتقد فيه الحسن صحّت وكذا المستحقر؛ والتحقيق أنّ ترجيح الداعي إلى الندم عن البعض يبعث عليه، وإن اشترك الداعي في الندم على القبيح كما في الداعي إلى الفعل، ولو اشترك الترجيح اشترك وقوع الندم، وبه يتأوّل كلام أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام، وإلّا لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه، المقيم على صغيرة[٢].

وقال العلّامة: اختلف شيوخ المعتزلة هنا فذهب أبو هاشم إلى أنّ التوبة لا تصحّ من قبيح دون قبيح، وذهب أبو علي إلى جواز ذلك، والمصنّف «رحمه اللّه» استدلّ على مذهب أبي هاشم بأنّا قد بيّنا بأنّه يجب أن يندم على القبيح لقبحه، ولو لا ذلك لم تكن مقبولة، والقبح حاصل في الجميع، فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائباً عنه لا لقبحه؛ واحتجّ أبو علي بأنّه لو لم تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح لم يصحّ الإتيان بواجب دون واجب، والتالي باطل، بيان الشرطيّة أنّه كما يجب عليه ترك القبيح لقبحه كذا يجب عليه فعل الواجب لوجوبه، فلو لزم من اشتراك القبائح في القبح عدم صحّة التوبة من بعضها لزم من اشتراك الواجبات في الوجوب عدم صحّة الإتيان بواجب دون آخر، وأمّا بطلان التالي فبالإجماع، إذ لا خلاف في صحّة صلاة من أخلّ بالصوم.

وأجاب أبو هاشم بالفرق بين ترك القبيح لقبحه، وفعل الواجب لوجوبه بالتعميم في الأوّل دون الثاني، فإنّ

---

١. كشف المراد، ص ٤١٧ و٤١٨.

٢. تجريد الاعتقاد، ص ٣٠٦.

من قال: لا آكل الرمّانة لحموضتها، فإنّه لا يقدم على أكل كلّ حامض لاتّحاد الجهة في المنع، ولو أكل الرمّانة لحموضتها لم يلزم أن يأكل كلّ رمّانة حامضة فافترقا.

وإليه أشار المصنّف «رحمه اللّه»، ولا يتمّ القياس على الواجب أي لا يتمّ قياس ترك القبيح لقبحه على فعل الواجب لوجوبه، وقد تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح إذا اعتقد التائب في بعض القبائح أنّها حسنة وتاب عمّا يعتقده قبيحاً، فإنّه تقبل توبته لحصول الشرط فيه، وهو ندمه على القبيح لقبحه، وإذا كان هناك فعلان أحدهما عظيم القبح والآخر صغيره وهو مستحقر بالنسبة إليه حتّى لا يكون معتدّاً به، ويكون وجوده بالنسبة إلى العظيم كعدمه حتّى تاب فاعل القبيح عن العظيم فإنّه تقبل توبته، ومثال ذلك أنّ الإنسان إذا قتل ولد غيره وكسر له قلماً ثمّ تاب وأظهر الندم على قتل الولد دون كسر القلم فإنّه تقبل توبته، ولا يعتدّ العقلاء بكسر القلم وإن كان لا بدّ من أن يندم على جميع إساءته، وكما أنّ كسر القلم حال قتل الولد لا يعدّ إساءة فكذا العزم.

ثمّ قال «رحمه اللّه»: ولمّا فرغ من تقرير كلام أبي هاشم ذكر التحقيق في هذا المقام، وتقريره أن نقول: الحقّ أنّه يجوز التوبة عن قبيح دون قبيح، لأنّ الأفعال تقع بحسب الدواعي، وتنتفي الصوارف فإذا ترجّح الداعي وقع الفعل. إذا عرفت هذا فنقول: يجوز أن يرجّح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم على بعض القبائح دون بعض، وإن كانت القبائح مشتركة في أنّ الداعي يدعو إلى الندم عليها، وذلك بأن يقترن ببعض القبائح قرائن زائدة كعظم الذنب، أو كثرة الزواجر عنه، أو الشناعة عند العقلاء عند فعله؛ ولا تقترن هذه القرائن ببعض القبائح فلا يندم عليها، وهذا كما في دواعي الفعل فإنّ الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي، ثمّ يؤثّر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض، بأن يترجّح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترن به من زيادة الدواعي، فلا استبعاد في كون قبح الفعل داعياً إلى العدم، ثمّ يقترن ببعض القبائح زيادة الدواعي إلى الندم عليه، فيرجّح لأجلها الداعي إلى الندم على ذلك البعض، ولو اشتركت القبائح في قوّة الدواعي اشتركت في وقوع الندم عليها ولم يصحّ الندم على البعض دون الآخر.

وعلى هذا ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلام أولاده كالرضا وغيره عليهم السلام حيث نقل عنهم نفي تصحيح التوبة عن بعض القبائح دون بعض، لأنّه لو لا ذلك لزم خرق الإجماع والتالي باطل فالمقدّم مثله. بيان الملازمة أنّ الكافر إذا تاب عن كفره وأسلم وهو مقيم على الكذب إمّا أن يحكم بإسلامه وتقبل توبته من الكفر أو لا، والثاني خرق الإجماع لاتفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه، والأوّل هو المطلوب، وقد التزم أبو هاشم استحقاقه عقاب الكفر وعدم قبول توبته وإسلامه، ولكن لا يمتنع إطلاق اسم الإسلام عليه[1].

---

١. كشف المراد، ص ٤١٩-٤٢١.

الثالث: اعلم أنّ العزم على عدم العود إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بدّ منه في التوبة كما عرفت، وهل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط، حتّى لو زنى ثمّ جبّ[١] وعزم على أن يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته، أم ليس بشرط فتصحّ؟ الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السلف عليه، وأولى من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه، وأمّا التوبة عند حضور الموت وتيقّن الفوت وهو المعبّر عنه بالمعاينة فقد انعقد الإجماع على عدم صحّتها،[٢] وقد مرّ ما يدلّ عليه من الآيات والأخبار.

الرابع: في أنواع التوبة.

قال العلّامة «رحمه اللّه»: التوبة إمّا أن تكون من ذنب يتعلّق به تعالى خاصّة، أو يتعلّق به حقّ الآدميّ.

والأوّل إمّا أن يكون فعل قبيح كشرب الخمر والزنا، أو إخلالاً بواجب كترك الزكاة والصلاة، فالأوّل يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود إليه. وأمّا الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعيّة، فمنه ما لا بدّ مع التوبة من فعله أداء كالزكاة، ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة، ومنه ما يسقطان عنه كالعيدين، وهذا الأخير يكفي فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح.

وأمّا ما يتعلّق به حقّ الآدميّ فيجب فيه الخروج إليهم منه، فإن كان أخذ مال وجب ردّه على مالكه أو ورثته إن مات، ولو لم يتمكّن من ذلك وجب العزم عليه؛ وكذا إن كان حدّ قذف، وإن كان قصاصاً وجب الخروج إليهم منه، بأن يسلّم نفسه إلى أولياء المقتول، فإمّا أن يقتلوه أو يعفوا عنه بالدية أو بدونها، وإن كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتصّ منه في ذلك العضو إلى المستحقّ من المجنّي عليه أو الورثة، وإن كان إضلالاً وجب إرشاد من أضلّه ورجوعه ممّا اعتقده بسببه من الباطل إن أمكن ذلك.

واعلم أنّ هذه التوابع ليست أجزاء من التوبة، فإنّ العقاب سقط بالتوبة، ثمّ إن قام المكلّف بالتبعات كان ذلك إتماماً للتوبة من جهة المعنى، لأنّ ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب بالتوبة عمّا تاب منه، بل يسقط العقاب ويكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها، نعم التائب إذا فعل التبعات بعد إظهار توبته كان ذلك دلالة على صدق الندم، وإن لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحّة الندم.

ثمّ قال «رحمه اللّه»: المغتاب إمّا أن يكون قد بلغه اغتيابه أو لا، ويلزم الفاعل للغيبة في الأوّل الاعتذار عنه إليه، لأنّه أوصل إليه ضرر الغمّ فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه، وفي الثاني لا يلزمه الاعتذار

---

١. الجب: القطع، والمجبوب: الخصي الذي قد استؤصل ذَكَره وخصياه، راجع لسان العرب.

٢. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٢٥.

ولا الاستحلال منه، لأنّه لم يفعل به ألماً، وفي كلا القسمين يجب الندم للّه تعالى لمخالفة النهي، والعزم على ترك المعاودة[١].

وقال المحقّق في التجريد: وفي إيجاب التفصيل مع الذكر إشكال[٢]. وقال العلّامة : ذهب قاضي القضاة إلى أنّ التائب إن كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كلّ واحدة منها مفصّلاً، وإن كان يعلمها على الإجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملاً، وإن كان يعلم بعضها على التفصيل وبعضها على الإجمال وجب عليه التوبة عن المفصّل بالتفصيل وعن المجمل بالإجمال، واستشكل المصنّف «رحمه اللّه» إيجاب التفصيل مع الذكر لإمكان الاجتزاء بالندم على كلّ قبيح وقع منه وإن لم يذكره مفصّلاً.

ثمّ قال المحقّق «رحمه اللّه»: وفي وجوب التجديد إشكال. وقال العلّامة «قدّس سرّه»: إذا تاب المكلّف عن معصية ثمّ ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبة؟ قال أبو علي: نعم بناء على أنّ المكلّف القادر بقدرة لا ينفكّ عن الضدّين، إمّا الفعل، أو الترك، فعند ذكر المعصية إمّا أن يكون نادماً عليها، أو مصرّاً عليها، والثاني قبيح فيجب الأوّل. وقال أبو هاشم: لا يجب لجواز خلوّ القادر بقدرة عنهما.

ثمّ قال المحقّق: وكذا المعلول مع العلّة. وقال الشارح: إذا فعل المكلّف العلّة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول، أو على العلّة، أو عليهما؟ مثاله الرامي إذا رمى قبل الإصابة، قال الشيوخ: عليه الندم على الإصابة لأنّها هي القبيح، وقد صارت في حكم الموجود، لوجوب حصوله عند حصول السبب، وقال القاضي: يجب عليه ندمان أحدهما على الرمي، لأنّه قبيح، والثاني على كونه مولّداً للقبيح، ولا يجوز أن يندم على المعلول، لأنّ الندم على القبيح إنّما هو لقبحه، وقبل وجوده لا قبح[٣].

الخامس: اعلم أنّه لا خلاف بين المتكلّمين في وجوب التوبة سمعاً، واختلفوا في وجوبها عقلاً، فأثبته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب.

قال الشيخ البهائي «رحمه اللّه»: هذا لا يدلّ على وجوب التوبة عن الصغائر ممّن يجتنب الكبائر لكونها مكفّرة، ولهذا ذهبت البهشميّة[٤][٥] إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلاً، نعم الاستدلال بأنّ الندم على

---

١. كشف المراد، ص ٤٢١ و٤٢٢.

٢. تجريد الاعتقاد، ص ٣٠٧.

٣. كشف المراد، ص ٤٢١-٤٢٣.

٤. أتباع أبي علي وأبي هاشم الجبّائيّين، وهؤلاء فرقة من المعتزلة، انفردوا عنهم بأُمور، كإثبات إرادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفا، وتعظيما لا في محل إذا أراد أن يعظّم ذاته، وفناء لا في محل إذا أراد أن يفني العالم، وقالا: بأنه تعالى متكلم بكلام يخلقه في ←

القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعمّ القسمين، وأمّا فوريّة الوجوب فقد صرّح بها المعتزلة، فقالوا: يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر، تجب التوبة منه أيضاً، حتّى أنّ من أخّر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر: الأوّلتان وترك التوبة عن كلّ منهما، وثلاث ساعات ثمان كبائر وهكذا، وأصحابنا يوافقونهم على الفوريّة، لكنّهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّة[٦].

السادس: سقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على اللّه حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضّل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده؟ فالمعتزلة على الأوّل، والأشاعرة على الثاني، وإلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد، والعلّامة الحلّي «رحمه اللّه» في بعض كتبه الكلاميّة، وتوقّف المحقّق الطوسيّ «طاب ثراه» في التجريد، ومختار الشيخين هو الظاهر من الأخبار وأدعية الصحيفة الكاملة وغيرها، وهو الذي اختاره الشيخ الطبرسيّ «رحمه اللّه»[٧]، ونسبه إلى أصحابنا كما عرفت، ودليل الوجوب ضعيف مدخول، كما لا يخفى على من تأمّل فيه[٨].

أقول:

أثبتنا بعض أخبار التوبة في باب الاستغفار، وباب صفات المؤمن، وباب صفات خيار العباد وباب جوامع المكارم؛ وسيأتي تحقيق الكبائر والصغائر والذنوب وأنواعها وحبط الصغائر بترك الكبائر في أبوابها إن شاء اللّه تعالى[٩].

← محل، وحقيقة الكلام أصوات مقطّعة، وحروف منظومة، والمتكلم من فعل الكلام، وقالا: بأنه تعالى لا يرى بالأبصار في دار القرار، وأن المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية، وأن الذم والعقاب ليسا على الفعل، وأن التوبة لا تصح من العاجز بعد العجز عن مثله إلى غير ذلك مما هو مذكور في تراجم الفرق، وكتب الملل والنحل، كالملل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي. (هامش المطبوع)

٥. في المصدر: «الدهشية»، وما في المتن هو الصحيح.

٦. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٢٣، هامش ١.

٧. مجمع البيان، ج ١، ص ٢٠١.

٨. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٢٢.

٩. بحار الأنوار، كتاب الروضة، أبواب المعاصي والكبائر وحدودها، باب معنى الكبيرة والصغيرة وعدد الكبائر.

﴿باب ٢٠﴾

«نفي العبث وما يوجب النقص من الاستهزاء والسخريّة والمكر والخديعة عنه تعالى، وتأويل الآيات فيها»

الآيات:

البقرة/١٥: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

النساء/١٤٢: ﴿... يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ...﴾

الأنفال/٣٠: ﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

التوبة/٧٩: ﴿... فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ...﴾

يونس/٢١: ﴿... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً ...﴾

الرعد/٤٢: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ...﴾

النمل/٥٠: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1]

الطارق/١٥-١٧: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾

تفسير:

قال البيضاويّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم على استهزائهم، سمّي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمّي

---

١. **نقول:** كلمة «مكر» تستعملها العرب في كل حيلة وتفكير للتخلص أو الاهتداء إلى أمر ما، ولا تختص بالأُمور التي تجلب الضرر، بل تستعمل بما يضر وما ينفع، فيصح وصف المكر بالخير إذا كان لما ينفع، ووصفه بالسوء إذا كان لما يضر، قال سبحانه: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾؛ فتأملوا بدقة. يقول الراغب في المفردات: المكر صرف الغير عما يقصده، فبناء على هذا إذا نسبت هذه الكلمة إلى اللّه فإنها تعني إحباط المؤامرات الضارة من قبل الآخرين، وإذا نسبت إلى المفسدين فهي تعني الوقوف بوجه المناهج الإصلاحية، والحيلولة دونها. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٢، ص ٩٢)

جزاء السيّئة سيّئة إمّا لمقابلة اللفظ باللفظ، أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم، فيكون كالمستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه، أو يعاملهم معاملة المستهزئ: أمّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال وزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان، وأمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، وذلك قوله تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾[١].

﴿**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ من مدّ الجيش وأمدّه: إذا زاده وقوّاه، لا من المدّ في العمر، فإنّه يعدّى باللام؛ والمعتزلة قالوا: لمّا منعهم اللّه ألطافه التي يمنحها[٢] المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم طريق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً[٣] وظلمة، وتزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً، أو مكّن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً، أُسند ذلك إلى اللّه تعالى إسناد الفعل إلى المسبّب، وأضاف الطغيان إليهم لئلّا يتوهّم أنّ إسناد الفعل إليه على الحقيقة، ومصداق ذلك أنّه لمّا أسند المدّ إلى الشياطين أطلق الغيّ، وقال: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ**﴾[٤] وقيل: أصله: نمدّ لهم بمعنى نملي لهم، ونمدّ في أعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا، فما زادوا إلّا طغياناً وعمهاً[٥]، فحذفت اللام وعدّي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ**﴾[٦] أو التقدير: يمدّهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم[٧].

وقال في قوله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ**﴾ الخدع أن توهّم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عمّا هو بصدده، وخداعهم مع اللّه ليس على ظاهره، لأنّه لا تخفى عليه خافية، ولأنّهم لم يقصدوا خديعته، بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف، أو على أنّ معاملة الرسول معاملة اللّه من حيث إنّه خليفته كما قال: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[٨] وإمّا أنّ صورة صنعهم مع اللّه من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع اللّه معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم استدراجاً لهم، وامتثال الرسول والمؤمنين أمر اللّه في إخفاء حالهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين[٩].

---

١. المطفّفين / ٣٤.

٢. يمنحها: يعطيها، راجع لسان العرب.

٣. الرين: الطبع والدنس، راجع لسان العرب.

٤. الأعراف /٢٠٢.

٥. العَمَه: التحير والتردد، راجع لسان العرب.

٦. الأعراف/١٥٥.

٧. أنوار التنزيل، ج ١،ص ٤٨.

٨. لم يرد الواو في المصحف الشريف (النساء/٨٠).

٩. أنوار التنزيل، ج ١، ص ٤٤.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بردّ مكرهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم، بأن أخرجهم إلى بدر وقلّل المسلمين في أعينهم حتّى حملوا عليهم فقتلوا. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ لا يؤبه[١] بمكرهم دون مكره، وإسناد أمثال هذا إنّما يحسن للمزاوجة، ولا يجوز إطلاقها ابتداءاً لما فيه من إيهام الذمّ[٢].

وقال في قوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريّتهم[٣].

الرواية:

٢١٦٤. التوحيد، معاني الأخبار، عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]: الْمُعَاذِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾[٥] وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٦] وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[٧] وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٨] فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزِئُ، وَلَا يَمْكُرُ وَلَا يُخَادِعُ؛ وَلٰكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ السُّخْرِيَّةِ وَجَزَاءَ الِاسْتِهْزَاءِ وَجَزَاءَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

---

١. لا يؤبه له: لا يبالي به، راجع مجمع البحرين.

٢. أنوار التنزيل، ج ٣، ص ٥٧.

٣. المصدر السابق، ص ٩١.

٤. التوحيد (للصدوق)، ص ١٦٣، ح ١؛ معاني الأخبار، ص ١٣، ح ٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٥، ح ١٩؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

٥. التوبة/٧٩.

٦. البقرة/١٥.

٧. آل عمران/٥٤.

٨. النساء/١٤٢.

﴿باب ٢١﴾

«عقاب الكفّار والفجّار في الدنيا»

الآيات:

الرعد/١١: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾

الكهف/٣٢: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ...﴾ الآيات.

طه/٩٧: ﴿... فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ...﴾

الشورى/٣٠ و٣١: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

القلم/١٧-٣٣: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

تفسير:

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي ليقطعنّها، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي لا يقولون إن شاء اللّه، ﴿طَائِفٌ﴾ أي بلاء طائف، ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ أي كالبستان الذي صرمت ثماره[1]، ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي يتشاورون بينهم خفيةً، ﴿عَلَى

---

١. وقيل: الصريم: الليل أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

حَرْدٍ﴾[١] أي نُكد[٢]، من حردت السنة: إذا لم يكن فيها مطر، ﴿قَادِرِينَ﴾ عند أنفسهم على صرامها[٣].

وسيأتي تفسير سائر الآيات وتأويلها في مواضعها.

الروايات:

٢١٦٥. تفسير القمّيّ[٤]: فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ وَهِيَ النَّقِمَةُ ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ﴾ فَتَحُلُّ بِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ فَيَرَوْنَ ذٰلِكَ وَيَسْمَعُونَ بِهِ، وَالَّذِينَ حَلَّتْ بِهِمْ عُصَاةٌ كُفَّارٌ مِثْلُهُمْ، وَلَا يَتَّعِظُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَلَنْ يَزَالُوا كَذٰلِكَ ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾[٥] الَّذِي وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ وَخِزْيِ الْكَافِرِينَ[٦].

٢١٦٦. تفسير القمّيّ[٧]: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾[٨] قَالَ عليه السلام: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ كَانَ لَهُ بُسْتَانَانِ كَبِيرَانِ، عَظِيمَانِ، كَثِيرُ الثِّمَارِ ـ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَفِيهِمَا نَخْلٌ وَزَرْعٌ وَمَاءٌ، وَكَانَ لَهُ جَارٌ فَقِيرٌ فَافْتَخَرَ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ، وَقَالَ لَهُ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾، ثُمَّ دَخَلَ بُسْتَانَهُ وَقَالَ: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾، فَقَالَ لَهُ الْفَقِيرُ: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾، ثُمَّ قَالَ الْفَقِيرُ لِلْغَنِيِّ: فَهَلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً﴾، ثُمَّ قَالَ الْفَقِيرُ: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾ أَيْ مُحْتَرِقاً ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً﴾. فَوَقَعَ فِيهَا مَا قَالَ الْفَقِيرُ

---

١. قال الشيخ في التبيان [ج ١٠، ص ٨١]: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾ فالحرد: القصد، قال الحسن: معناه على جهة من الفاقة. وقال مجاهد: معناه على جد من أمرهم. وقال سفيان: معناه على حنق؛ وقيل معناه على منع، من قولهم: حاردت السنة: إذا منعت قطرها، والأصل القصد. وقوله: ﴿قَادِرِينَ﴾ معناه: مقدّرين أنهم يصرمون ثمارها؛ ويجوز أن يكون المراد: وغدوا على حرد قادرين عند أنفسهم على صرام جنتهم. (هامش المطبوع)

٢. النكد: قلة العطاء وأن لا يهنأه من يعطاه، راجع لسان العرب.

٣. أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٣٤ و ٢٣٥.

٤. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٥؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٧١؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٢٦.

٥. الرعد/٣١.

٦. في المصدر والصافي: «يخزي اللّه الكافرين».

٧. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٥؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٦٣٧، ح ٦٦٨٠.

٨. الكهف/٣٢.

فِي ذٰلِكَ اللَّيْلَةِ[١] ﴿فَأَصْبَحَ﴾ الْغَنِيُّ ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾[٢] وَهٰذِهِ عُقُوبَةُ الْغَنِيِّ[٣].

٢١٦٧. عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[٤] قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَاعِداً فَأُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ صَارَ وَجْهُهَا قَفَاهَا، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي جَبِينِهَا وَيَدَهُ الْيُسْرَى مِنْ خَلْفِ ذٰلِكَ ثُمَّ عَصَرَ وَجْهَهَا عَنِ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٥] فَرَجَعَ وَجْهُهَا، فَقَالَ: احْذَرِي أَنْ تَفْعَلِي كَمَا فَعَلْتِ، قَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا فَعَلَتْ؟ فَقَالَ: ذٰلِكَ مَسْتُورٌ إِلَّا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، فَسَأَلُوهَا فَقَالَتْ: كَانَتْ لِي ضَرَّةٌ[٦] فَقُمْتُ أُصَلِّي فَظَنَنْتُ أَنَّ زَوْجِي مَعَهَا فَالْتَفَتُّ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا قَاعِدَةً وَلَيْسَ هُوَ مَعَهَا، فَرَجَعَ وَجْهُهَا عَلَى مَا كَانَ.

٢١٦٨. تفسير العيّاشيّ[٧]: عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَبِي كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَضَى قَضَاءاً حَتْماً: لَا يُنْعِمُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَيَسْلُبَهَا إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثَ الْعَبْدُ مَا يَسْتَوْجِبُ بِذٰلِكَ الذَّنْبِ سَلْبَ تِلْكَ النِّعْمَةِ؛ وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢١٦٩. تفسير العيّاشيّ[٨]: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

٢١٧٠. تفسير العيّاشيّ[٩]: عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَكْفُوفِ كَتَبَ إِلَيْهِ عليه السلام فِي كِتَابٍ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يَا سَيِّدِي عَلِّمْ مَوْلَاكَ مَا لَا يُقْبَلُ لِقَائِلِهِ دَعْوَةٌ وَمَا لَا يُؤَخَّرُ لِفَاعِلِهِ دَعْوَةٌ؟ وَمَا حَدُّ الِاسْتِغْفَارِ الَّذِي وُعِدَ عَلَيْهِ نُوحٌ عليه السلام؟ وَالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي لَا يُعَذَّبُ قَائِلُهُ؟ وَكَيْفَ يُلْفَظُ بِهِمَا؟ وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾[١٠]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١١]؟

---

١. في المصدر: «في تلك الليلة».

٢. الكهف/٣٤-٤٣.

٣. في المصدر: «فهذه عقوبة البغى».

٤. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٥، ح ١٨؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ٢٦٣، ح ٩٤؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢٣٦، ح ٥٤٨٩.

٥. الرعد/١٣.

٦. ضرة المرأة: امرأة زوجها، والضرّتان: إمرأتان للرجل، راجع لسان العرب.

٧. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٦، ح ١٩؛ وفي الكافي، ج ٢، باب الذنوب، ص ٢٧٣، ح ٢٢، مع اختلاف العبارات؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٦١.

٨. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٢٠؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩١، ح ٣٢٩؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢٣٧، ح ٥٤٩١.

٩. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٢١؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢٣٧، ح ٥٤٩٢.

١٠. الطلاق/٢.

١١. الأنفال/٤٩.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾[١]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾[٢]، وَ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؟ وَكَيْفَ تَغْيِيرُ الْقَوْمِ مَا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ؟

فَكَتَبَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»: كَافَأَكُمْ[٣] اللَّهُ عَنِّي بِتَضْعِيفِ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ وَعَلَيْكُمْ جَمِيعاً السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّه وَبَرَكَاتُهُ، الِاسْتِغْفَارُ أَلْفٌ، وَالتَّوَكُّلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ مَنْ قَالَ بِالْإِمَامَةِ وَاتَّبَعَ أَمْرَكُمْ[٥] بِحُسْنِ طَاعَتِهِمْ، وَأَمَّا التَّغَيُّرُ إِنَّهُ لَا يُسِيءُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَتَوَلَّوْا ذٰلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ بِخَطَايَاهُمْ وَارْتِكَابِهِمْ مَا نُهِيَ عَنْهُ. وَكَتَبَ عليه السلام بِخَطِّهِ.

٢١٧١. نهج البلاغة[٦]: وَأَيْمُ[٧] اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا[٨]، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ[٩] وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ.

توضيح:

«في غضّ نعمة» أي في نعمة غضّة طريّة ناضرة. و«الوله» بالتحريك: الحزن والخوف. و«الشارد»: النافر.

٢١٧٢. دعوات الراونديّ[١٠]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: اتَّقُوا الذُّنُوبَ وَحَذِّرُوهَا إِخْوَانَكُمْ، فَوَ اللَّهِ مَا الْعُقُوبَةُ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهَا إِلَيْكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَا تُؤَاخَذُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١١].

---

١. في المصحف الشريف: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ ...﴾ (طه/١٢٣).

٢. طه/١٢٤.

٣. كافأه: جازاه، راجع لسان العرب.

٤. الطلاق/٢ و٣.

٥. في تفسير العياشي والبرهان: «أمرهم».

٦. في نهج البلاغة (لصبحى الصالح)، ص ٢٥٧، ضمن الخطبة ١٧٨؛ أعلام الدين، ص ١٥٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٢٥.

٧. أيمن: إسم وُضع للقسم وربما حذفوا منه النون قالوا: أيم اللّه، راجع لسان العرب.

٨. اجترحه: كسبه، راجع لسان العرب.

٩. في الأعلام مع زيادة: «وخالص من سريراتهم».

١٠. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٩١، ح ٣٤؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٩٧، ح ١؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٧٥؛ وفي الأخيرين ضمن رواية مع اختلاف يسير.

١١. **نقول:** هذه الرواية وأمثالها ناظرة إلى جماعة من خواص المؤمنين لا جميعهم، فإن اللّه يبتليهم في الدنيا بعقوبات على عثراتهم لكي يكون لهم النجاة يوم القيامة.

٢١٧٣. وَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام[١]: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ تُصِيبُهُ رَفَاهِيَةٌ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ إِلَّا ابْتُلِيَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِبَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ حَتَّى يَتَوَفَّرَ حَظُّهُ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ.

١. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٩١، ح ٣٥؛ المؤمن، ص ٢٣، ح ٣١؛ الكافي، ج ٢، باب تعجيل عقوبة الذنب، ص ٤٤٧، ح ١٢؛ وفي الأخيرين ضمن رواية مع اختلاف يسير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿باب ٢٢﴾

«علل الشرائع والأحكام»

الآيات:

المائدة/٦: ﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

---

١. **نقول: فلسفة التيمّم:**

يتساءل كثيرون: ما الفائدة من ضرب اليدين بالتراب ومسح الجبين وظهر اليدين بهما، خاصة أننا نعلم أن كثيرا من الأتربة ملوّثة، وناقلة للميكروبات والجراثيم؟

في جواب هذه الأسئلة نشير إلى نقطتين مهمتين: الأُولى: الفائدة الخلقية، فإن التيمم إحدى العبادات، وتتجلى فيها روح العبادة بكل معنى الكلمة، لأن الإنسان يمس جبهته التي هي أشرف الأعضاء في بدنه بيديه المتربتين ليظهر بذلك خضوعه للَّه وتواضعه في حضرته ولسان حاله يقول: يا ربي إن جبهتي وكذا يداي خاضعات أمامك إلى أبعد حدود الخضوع والتواضع، ثم يتوجه عقيب هذا العمل إلى القيام بالصلاة وسائر العبادات المشروطة بالغسل والوضوء، وبهذا الطريق يزرع التيمم في نفس الإنسان روح الخضوع للَّه، وينمي فيه صفة التواضع في حضرة ذي الجلال، ويدرّبه على العبودية له سبحانه، والشكر لأنعمه تعالى.

الثانية: الفائدة الصحية، فقد ثبت اليوم بأن التراب بحكم احتوائه على كميات كبيرة من البكتريا تزيل التلوّثات، إن البكتريات الموجودة في التراب والتي تعمل على تحليل الموارد العضوية وإبادة كل أنواع العفونة، توجد في الأغلب بوفرة في سطح الأرض، والأعماق القريبة التي يمكن لها الانتفاع بنور الشمس والهواء بصورة أكثر، ولهذا عند ما تدفن جثث الأموات من البشر أو الحيوان في الأرض، وكذا ما يشابهها من المواد العضوية، نجدها تتحلل في مدة قصيرة تقريبا وتتلاشى بؤر التعفن على أثر هجوم البكتريات عليها، ومن المسلم أن هذه الخاصية لو لم تكن في التربة لتحولت الكرة الأرضية في مدة قصيرة إلى بؤرة عفونة قاتلة. إن للتربة خاصية تشبه مواد الأنتوبيوتيك التي لها أثر فعال جدا في قتل وإبادة الميكروبات. وعلى هذا لا يكون التراب عاريا عن التلوّث فقط، بل هو مطهر فعال للتلوّثات، ويمكنه من هذه الجهة أن يحل محل الماء بفارق واحد، هو أن الماء يحلل الميكروبات، ويذهب بها معه، في حين أن مفعول التراب يقتصر على قتل الميكروبات فقط.

←

الأعراف/٢٨: ﴿... قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...﴾
الشورى/١٧: ﴿اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ...﴾
الرحمن/٧ و٨: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ﴾

← ولكن يجب الانتباه إلى أن التراب الذي يستعمل في التيمم يجب أن يكون طاهرا نظيفا، كما أشار اليه القرآن الكريم في تعبيره الجميل إذا يقول: ﴿طَيِّباً﴾. والجدير بالانتباه أن التعبير بـ «الصعيد» المشتق من «الصعود» يشير إلى أن أفضل أنواع التربة الذي ينبغي أن تختاره للتيمم هو التربة الموجودة في سطح الأرض، يعني تلك التربة التي هي عرضة لأشعة الشمس والمليئة بالهواء والبكتريا المبيدة للميكروبات، فإذا كانت تلك التربة المستعملة في التيمم طيبة وطاهرة أيضا كان التيمم بها ينطوي على الآثار المذكورة من دون أن يكون فيه أيّ ضرر أو أيّة مضاعفات. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٣، ص ٢٤٨)

فلسفة الوضوء:

الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان، هو أن للوضوء فائدتين واضحتين: إحداهما صحية والأُخرى أخلاقية معنوية، فغسل الوجه واليدين في اليوم خمس مرات أو على الأقل ثلاث مرات، لا يخفى أثره في نظافة الإنسان وصحته، أما الفائدة الأخلاقية المعنوية فهي في الأثر التربوي الذي يخلفه قصد التقرب إلى اللّه في نفس الإنسان حين يعقد النية للوضوء بالأخص حين ندرك أن المفهوم النفسي للنية يعني أن حركة الإنسان أثناء الوضوء والتي تبدأ من الرأس وتنتهي بالقدمين هي خطوات في طاعة اللّه. ونقرأ في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: «إنما أمر بالوضوء وبدئ به لأن يكون العبد طاهرا إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه، مطيعا له فيما أمره نقيا من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل، وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار». وتتوضح فلسفة الوضوء أكثر في الحديث عن فلسفة الغسل، والذي سنتناوله فيما يلي:

فلسفة الغسل:

قد يسأل البعض لماذا أمر الإسلام بغسل كامل الجسم لدى حصول الجنابة في حين أن عضوا معينا واحدا يتلوّث أو يتسخ في هذه الحالة؟ فهل هناك فرق بين البول الخارج من ذلك العضو وبين المني الخارج منه أثناء الجنابة بحيث يجزي غسل العضو وحده في حالة التبول، بينما يجب غسل الجسم كله بعد خروج المني من العضو؟

لهذا السؤال جوابان، مجمل ومفصل، وهما كما يلي: فالجواب المجمل يتلخّص في أن خروج المني من الإنسان لا ينحصر أثره في العضو الذي يخرج منه، أي أنه ليس كالبول والفضلات الأُخرى.

والدليل على هذا القول هو تأثر الجسم كله أثناء خروج المني من العضو بحيث تطرأ على خلايا الجسم كلها حالة من الاسترخاء والخمول، وهذه الحالة هي الدليل على تأثير الجنابة على أجزاء الجسم كلها، وقد أظهرت بحوث العلماء المتخصصين في هذا المجال أن هناك سلسلتين عصبيتين نباتيتين في جسم الإنسان، هما السلسلة السمبثاوية (الأعصاب المحركة) والسلسلة شبه السمبثاوية (الأعصاب الكابحة)، تمتدان في كافة أجزاء الجسم وأجهزته الداخلية، وتتولى السلسلة السمبثاوية تحفير أجهزة الجسم على العمل وتسريع عملها، بينما السلسلة شبه السمبثاوية تعمل عكس الأُولى، فتحدّ عمل أجهزة الجسم وتبطئها، فالأُولى تلعب دور جهاز دفع البنزين في السيارة من أجل تحريكها، والأُخرى يكون دورها دور الكابح فيها لإيقافها عن الحركة، وبالتوازن الحاصل في عمل هاتين السلسلتين العصبيتين تعمل جمع أجهزة جسم الإنسان بصورة متوازنة أيضا.

وقد تحدث في جسم الإنسان أحيانا فعاليات تعيق استمرار هذا التوازن فيطغى عمل أحد السلسلتين العصبيتين على عمل الجملة الأُخرى، ←

تفسير:

قد فسّر جماعة من المفسّرين الميزان في الآيتين بالشرع، وبعضهم بالعدل،[١] وبعضهم بالميزان المعروف[٢].

وأمّا الأخبار ففيها ثلاثة فصول:

← ومن هذه الفعاليات وصول الإنسان إلى الذروة في اللذة الجنسية، أي ما يسمى بحالة الأُوركازم التي تقترن بخروج المني من عضو الإنسان، وفي هذه الحالة يطغى عمل السلسلة العصبية شبه السمبثاوية الكابح على عمل السلسلة العصبية الأُخرى التي هي السمبثاوية الدافعة، فيختل التوازن بصورة سلبية في جسم الإنسان، وقد ثبت بالتجربة أن الشيء الذي يمكنه إعادة التوازن بين عمل تلك السلسلتين العصبيتين هو وصول الماء إلى جسم الإنسان، ولما كانت حالة الأُوركازم التي يصل إليها الإنسان لدى الجنابة تؤثّر بصورة محسوسة على أجهزة جسم الإنسان وتخل بتوازن السلسلتين العصبيتين المذكورتين، لذلك أمر الإسلام بأن يباشر الإنسان غسل كل جسمه بعد كل مقاربة جنسية، أو لدى خروج المني منه، حيث يعود بهذا الغسل التوازن بين عمل السلسلتين العصبيتين السمبثاوية وشبه السمبثاوية في كل أجزاء الجسم، فتعود لها حالتها الطبيعية في الحركة والحياة.

وبديهي أن فائدة الغسل لا تنحصر في الذي تحدثنا عنه قبل قليل، بل أن الغسل يعتبر أيضا نوعا من العبادة التي لها آثار أخلاقية لا تنكره، ولهذا السبب يبطل الغسل إن لم يكن مقترنا بنية الطاعة والتقرب إلى اللّه سبحانه، لأن الحقيقة هي أن الجسم والروح كليهما يتأثران أثناء خروج المني من الإنسان أو لدى حصول المقاربة الجنسية، فالروح تجر بذلك وراء الشهوات المادية ويدفع الجسم إلى حالة الخمول والركود. وغسل الجنابة يعتبر غسلا للجسم بما يشمله من عملية إيصال الماء إلى جميع أجزائه، ويعتبر غسلا للروح بما يحتويه من نية الطاعة والتقرب إلى اللّه، أي أن لهذا الغسل أثرين مادي وروحي، يدفع الأثر المادي منه الجسم إلى استعادة حالة النشاط والفعالية، ويدفع الأثر الروحي الإنسان للتوجه إلى اللّه وإلى المعنويات.

أضف إلى ذلك كله أن وجوب غسل الجنابة في الإسلام هو أيضا من أجل إبقاء جسم الإنسان المسلم طاهرا، كما هو رعاية للجانب الصحي في حياة الإنسان، وقد يوجد الكثير من الناس ممن لا يعتنون بنظافة أجسامهم، لكن هذا الأمر والواجب الإسلامي يجبرهم على غسل أجسامهم بين فترة وأُخرى ولا يقتصر التهاون في غسل الجسم على إنسان العهود القديمة، بل حتى في عصرنا الحاضر هناك الكثير ممن لا يعتنون بغسل أجسامهم، بل يتهاونون في هذا الأمر الحياتي المهم وطبيعي أن حكم غسل الجنابة حكم عام، وقانون كلي يشمل حتى الشخص الذي غسل جسمه قبل حصول الجنابة بقليل.

إن الجوانب الثلاثة المذكورة فيما سبق توضح بمجموعها سبب وجوب الغسل لدى خروج المني من الإنسان سواء كان في أثناء النوم أو اليقظة وكذلك بعد المقاربة الجنسية حتى لو لم تؤد إلى خروج المني. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٣، ص ٦١٦)

١. أنوارالتنزيل، ج ٥، ص ٧٩ و ١٧٠.

٢. مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٠.

﴿الفصل الأوّل﴾

«العلل التي رواها الفضل بن شاذان»

٢١٧٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، علل الشرائع[١]: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبْدُوسٍ النَّيْسَابُورِيُّ الْعَطَّارُ بِنَيْسَابُورَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ؛ وَحَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ شَاذَانَ[٢] «رَحِمَهُ اللَّهُ»، عَنْ عَمِّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذَانَ قَالَ: قَالَ الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ النَّيْسَابُورِيُّ: إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ[٣]: أَخْبِرْنِي هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّفَ الْحَكِيمُ عَبْدَهُ فِعْلاً مِنَ الْأَفَاعِيلِ لِغَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا مَعْنِيٍّ؟ قِيلَ لَهُ: لَا يَجُوزُ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ حَكِيمٌ غَيْرُ عَابِثٍ وَلَا جَاهِلٍ.

فَإِنْ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي لِمَ كَلَّفَ الْخَلْقَ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ[٤].

فَإِنْ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ تِلْكَ الْعِلَلِ مَعْرُوفَةٌ مَوْجُودَةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ وَلَا مَوْجُودَةٍ؟ قِيلَ: بَلْ هِيَ مَعْرُوفَةٌ وَمَوْجُودَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا.

فَإِنْ قَالَ: أَ تَعْرِفُونَهَا أَنْتُمْ أَمْ لَا تَعْرِفُونَهَا؟ قِيلَ لَهُمْ: مِنْهَا مَا نَعْرِفُهُ، وَمِنْهَا مَا لَا نَعْرِفُهُ[٥].

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٩٩، ح ١؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٥١، ح ٩؛ وفيهما مع زيادة.

٢. في العيون: «أبو محمد جعفر بن نعيم بن شاذان»، والظاهر هو الصحيح.

٣. **نقول:** وليعلم أن ظاهر صدر الرواية أن بيان هذه العلل إنما من الفضل بن شاذان من نفسه لا من الإمام عليه السلام، ولكن وقع التصريح في ذيلها أنه سمعه من الإمام علي بن موسى الرضا «عليه وعلى آبائه أفضل الصلوة والتحية». ويمكن أن يكون سمع بعضها منه عليه السلام لوجود الإشكال في بعضها، بل قد يقال: إنه لم يكن من أصحاب الرضا عليه السلام، فلعله سمعه منه عليه السلام بالواسطة، واللّه العالم.

٤. في العيون: «لعلل كثيرة».

٥. **نقول:** يمكن أن تكون الرواية ناظرة إلى ما ثبت من أن علومهم علوم اختيارية، إن شاؤوا علموا وإلا لم يعلموا، مثل أن يكون عندنا أشياء

←

فَإِنْ قَالَ: فَمَا أَوَّلُ الْفَرَائِضِ؟ قِيلَ: الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَبِرَسُولِهِ وَحُجَّتِهِ عليه السلام[١]) وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قَالَ: لِمَ أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ وَحُجَجِهِ[٢] وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ:

مِنْهَا: أَنَّ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْتَنِبْ مَعَاصِيَهُ، وَلَمْ يَنْتَهِ عَنِ ارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ، وَلَمْ يُرَاقِبْ أَحَداً فِيمَا يَشْتَهِي وَيَسْتَلِذُّ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ؛ فَإِذَا فَعَلَ النَّاسُ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ وَارْتَكَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا يَشْتَهِي وَيَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ مُرَاقَبَةٍ لِأَحَدٍ كَانَ فِي ذٰلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَوُثُوبُ[٣] بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَغَصَبُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ وَأَبَاحُوا الدِّمَاءَ وَالنِّسَاءَ[٤] (وَالسَّبْيَ ع) وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَلَا جَرَمَ، فَيَكُونُ فِي ذٰلِكَ خَرَابُ الدُّنْيَا، وَهَلَاكُ الْخَلْقِ، وَفَسَادُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ، وَلَا يَكُونُ الْحَكِيمُ وَلَا يُوصَفُ بِالْحِكْمَةِ إِلَّا الَّذِي يَحْظُرُ الْفَسَادَ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاحِ، وَيَزْجُرُ عَنِ الظُّلْمِ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَلَا يَكُونُ حَظْرُ الْفَسَادِ وَالْأَمْرُ بِالصَّلَاحِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَوَاحِشِ إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْرِفَةِ الْآمِرِ وَالنَّاهِي، فَلَوْ تُرِكَ النَّاسُ بِغَيْرِ إِقْرَارٍ بِاللَّهِ وَلَا مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَثْبُتْ أَمْرٌ بِصَلَاحٍ، وَلَا نَهْيٌ عَنْ فَسَادٍ إِذْ لَا آمِرَ وَلَا نَاهِيَ.

وَمِنْهَا: أَنَّا وَجَدْنَا الْخَلْقَ قَدْ يُفْسِدُونَ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ، مَسْتُورَةٍ عَنِ الْخَلْقِ، فَلَوْ لَا الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشْيَتُهُ بِالْغَيْبِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِذَا خَلَا بِشَهْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ يُرَاقِبُ أَحَداً فِي تَرْكِ مَعْصِيَةٍ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَةٍ، وَارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ، إِذَا كَانَ فِعْلُهُ ذٰلِكَ مَسْتُوراً عَنِ الْخَلْقِ، غَيْرَ مُرَاقَبٍ لِأَحَدٍ، وَكَانَ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُ الْخَلْقِ[٥] أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يَكُنْ قِوَامُ الْخَلْقِ وَصَلَاحُهُمْ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ مِنْهُمْ بِعَلِيمٍ خَبِيرٍ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، آمِرٍ بِالصَّلَاحِ، نَاهٍ عَنِ الْفَسَادِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، لِيَكُونَ فِي ذٰلِكَ انْزِجَارٌ لَهُمْ عَمَّا يَخْلُونَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةُ الرُّسُلِ وَالْإِقْرَارُ بِهِمْ وَالْإِذْعَانُ لَهُمْ بِالطَّاعَةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِهِمْ وَقَوْلِهِمْ[٦] وَقُوَاهُمْ مَا يَكْمُلُونَ لِمَصَالِحِهِمْ، وَكَانَ الصَّانِعُ مُتَعَالِياً عَنْ أَنْ يُرَى، وَكَانَ ضَعْفُهُمْ وَعَجْزُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ ظَاهِراً لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ رَسُولٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، مَعْصُومٍ يُؤَدِّي إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَأَدَبَهُ، وَيَقِفُهُمْ عَلَى مَا يَكُونُ بِهِ إِحْرَازُ مَنَافِعِهِمْ

← مكتومة في كتب معلومة في مخازن مغلقة وعندنا مفاتيحها، فإن شئنا علمنا وإلا لم نعلم، ولكنهم عليهم السلام عالمون بموارد جواز المشيئة أو حسنها، فيشاؤون كذا ولا يشاؤون كذا.

١. أي نسخة العلل، وكذا في الموارد الآتي.

٢. في العلل: «برسوله وحجته».

٣. الوثوب: النهوض والقيام، راجع لسان العرب.

٤. لم يرد في العلل: «النساء».

٥. في العيون: «خلاف الخلق».

٦. لم يرد في العيون: «قولهم».

وَدَفْعُ مَضَارِّهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِهِمْ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَنَافِعِهِمْ وَمَضَارِّهِمْ، فَلَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَتُهُ وَطَاعَتُهُ[١] لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي مَجِيءِ الرَّسُولِ مَنْفَعَةٌ وَلَا سَدُّ حَاجَةٍ، وَلَكَانَ يَكُونُ إِتْيَانُهُ عَبَثاً لِغَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا صَلَاحٍ، وَلَيْسَ هٰذَا مِنْ صِفَةِ الْحَكِيمِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَعَلَ أُولِي الْأَمْرِ وَأَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ:

مِنْهَا: أَنَّ الْخَلْقَ لَمَّا وَقَعُوا[٢] عَلَى حَدٍّ مَحْدُودٍ وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَتَعَدَّوْا ذٰلِكَ الْحَدَّ (تِلْكَ الْحُدُودَ ع) لِمَا فِيهِ مِنْ فَسَادِهِمْ لَمْ يَكُنْ يَثْبُتُ ذٰلِكَ وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ فِيهِ أَمِيناً يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّعَدِّي[٣] وَالدُّخُولِ فِيمَا حُظِرَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَكَانَ أَحَدٌ لَا يَتْرُكُ لَذَّتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ لِفَسَادِ غَيْرِهِ، فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ قَيِّماً يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْفَسَادِ، وَيُقِيمُ فِيهِمُ الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ.

وَمِنْهَا: أَنَّا لَا نَجِدُ فِرْقَةً مِنَ الْفِرَقِ وَلَا مِلَّةً مِنَ الْمِلَلِ بَقُوا وَعَاشُوا إِلَّا بِقَيِّمٍ وَرَئِيسٍ لِمَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ فَلَمْ يَجُزْ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ أَنْ يَتْرُكَ الْخَلْقَ مِمَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا قِوَامَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ، فَيُقَاتِلُونَ بِهِ عَدُوَّهُمْ، وَيَقْسِمُونَ بِهِ فَيْئَهُمْ، وَيُقِيمُ لَهُمْ جُمُعَتَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ، وَيَمْنَعُ ظَالِمَهُمْ مِنْ مَظْلُومِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِماماً قَيِّماً أَمِيناً حَافِظاً مُسْتَوْدَعاً لَدَرَسَتِ الْمِلَّةُ، وَذَهَبَ الدِّينُ، وَغُيِّرَتِ السُّنَّةُ[٤] وَالْأَحْكَامُ، وَلَزَادَ فِيهِ الْمُبْتَدِعُونَ، وَنَقَصَ مِنْهُ الْمُلْحِدُونَ، وَشَبَّهُوا ذٰلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّا قَدْ وَجَدْنَا الْخَلْقَ مَنْقُوصِينَ مُحْتَاجِينَ، غَيْرَ كَامِلِينَ، مَعَ اخْتِلَافِهِمْ وَاخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ أَنْحَائِهِمْ فَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ قَيِّماً حَافِظاً لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله لَفَسَدُوا عَلَى نَحْوِ مَا بَيَّنَّا، وَغُيِّرَتِ الشَّرَائِعُ وَالسُّنَنُ وَالْأَحْكَامُ وَالْإِيمَانُ، وَكَانَ فِي ذٰلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ إِمَامَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ:

مِنْهَا: أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَخْتَلِفُ فِعْلُهُ وَتَدْبِيرُهُ، وَالِاثْنَيْنِ لَا يَتَّفِقُ فِعْلُهُمَا وَتَدْبِيرُهُمَا، وَذٰلِكَ أَنَّا لَمْ نَجِدْ اثْنَيْنِ إِلَّا مُخْتَلِفَيِ الْهَمِّ وَالْإِرَادَةِ، فَإِذَا كَانَا اثْنَيْنِ ثُمَّ اخْتَلَفَ هَمُّهُمَا وَإِرَادَتُهُمَا وَتَدْبِيرُهُمَا وَكَانَا كِلَاهُمَا مُفْتَرِضَيِ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِنْ صَاحِبِهِ، فَكَانَ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ اخْتِلَافُ الْخَلْقِ وَالتَّشَاجُرُ وَالْفَسَادُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ أَحَدٌ مُطِيعاً لِأَحَدِهِمَا إِلَّا وَهُوَ عَاصٍ لِلْآخَرِ فَتَعُمُّ الْمَعْصِيَةُ أَهْلَ الْأَرْضِ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُمْ مَعَ ذٰلِكَ السَّبِيلُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، وَيَكُونُونَ إِنَّمَا أَتَوْا فِي ذٰلِكَ مِنْ قِبَلِ الصَّانِعِ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ بَابَ الِاخْتِلَافِ وَالتَّشَاجُرِ[٥] إِذْ أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِ الْمُخْتَلِفَيْنِ.

---

١. في العيون: «اجترار منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته...».

٢. في المصدرين: «لما وقفوا».

٣. في العلل: «بأن يجعل عليهم فيها أميناً يأخذهم بالوقت عند ما أُبيح لهم ويمنعهم من التعدي».

٤. في العيون: «السنن».

٥. في العلل: «سبب التشاجر»، وفي العيون: «باب الاختلاف والتشاجر والفساد».

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَا إِمَامَيْنِ كَانَ لِكُلٍّ مِنَ الْخَصْمَيْنِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى غَيْرِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ صَاحِبُهُ فِي الْحُكُومَةِ[1]، ثُمَّ لَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا أَوْلَى بِأَنْ يُتَّبَعَ مِنْ صَاحِبِهِ فَتَبْطُلُ الْحُقُوقُ وَالْأَحْكَامُ وَالْحُدُودُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَاحِدٌ مِنَ الْحُجَّتَيْنِ أَوْلَى بِالنُّطْقِ وَالْحُكْمِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنَ الْآخَرِ، فَإِذَا كَانَ هٰذَا كَذٰلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَبْتَدِئَا بِالْكَلَامِ، وَلَيْسَ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يَسْبِقَ صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ إِذَا كَانَا فِي الْإِمَامَةِ شِرْعاً وَاحِداً، فَإِنْ جَازَ لِأَحَدِهِمَا السُّكُوتُ جَازَ السُّكُوتُ لِلْآخَرِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَإِذَا جَازَ لَهُمَا السُّكُوتُ بَطَلَتِ الْحُقُوقُ وَالْأَحْكَامُ وَعُطِّلَتِ الْحُدُودُ، وَصَارَتِ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ لَا إِمَامَ لَهُمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الرَّسُولِ عليه السلام؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ:

مِنْهَا: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْإِمَامُ مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ دَلَالَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَيَتَمَيَّزُ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَهِيَ الْقَرَابَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْوَصِيَّةُ الظَّاهِرَةُ لِيُعْرَفَ مِنْ غَيْرِهِ وَيُهْتَدَى إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ جَازَ فِي غَيْرِ جِنْسِ الرَّسُولِ لَكَانَ قَدْ فَضَّلَ مَنْ لَيْسَ بِرَسُولٍ عَلَى الرُّسُلِ، إِذْ جَعَلَ أَوْلَادَ الرُّسُلِ أَتْبَاعاً لِأَوْلَادِ أَعْدَائِهِ، كَأَبِي جَهْلٍ وَابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ بِزَعْمِهِ أَنْ يَنْتَقِلَ ذٰلِكَ فِي أَوْلَادِهِمْ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ، فَيَصِيرَ أَوْلَادُ الرَّسُولِ تَابِعِينَ، وَأَوْلَادُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مَتْبُوعِينَ، وَكَانَ الرَّسُولُ أَوْلَى بِهٰذِهِ الْفَضِيلَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَأَحَقَّ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْخَلْقَ إِذَا أَقَرُّوا لِلرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ لَمْ يَتَكَبَّرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يَتَّبِعَ وُلْدَهُ وَيُطِيعَ ذُرِّيَّتَهُ، وَلَمْ يَتَعَاظَمْ ذٰلِكَ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، وَإِذَا كَانَ فِي غَيْرِ جِنْسِ الرَّسُولِ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَدَخَلَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ الْكِبْرُ، وَلَمْ تَسْخَ[2] أَنْفُسُهُمْ بِالطَّاعَةِ لِمَنْ هُوَ عِنْدَهُمْ دُونَهُمْ، فَكَانَ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى الْفَسَادِ وَالنِّفَاقِ وَالِاخْتِلَافِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ:

مِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُوا مُدَبِّرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ، وَإِذَا جَازَ ذٰلِكَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الصَّانِعِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَانَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ إِنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَيُطِيعُ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَهُ، فَلَا يَكُونُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ مِنْ صَانِعِهِمْ وَخَالِقِهِمْ، وَلَا يَثْبُتُ عِنْدَهُمْ أَمْرُ آمِرٍ وَلَا نَهْيُ نَاهٍ، إِذْ لَا يَعْرِفُ الْآمِرَ بِعَيْنِهِ وَلَا النَّاهِيَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ اثْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ أَوْلَى بِأَنْ يُعْبَدَ وَيُطَاعَ مِنَ الْآخَرِ، وَفِي إِجَازَةِ أَنْ يُطَاعَ ذٰلِكَ الشَّرِيكُ إِجَازَةُ أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ، وَفِي أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَبِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِثْبَاتُ كُلِّ بَاطِلٍ،

---

١. في العلل: «إلى غير الذي يدعو إليه الآخر في الحكومة».

٢. في العيون: «لم تسنح».

وَتَرْكُ كُلِّ حَقٍّ، وَتَحْلِيلُ كُلِّ حَرَامٍ، وَتَحْرِيمُ كُلِّ حَلَالٍ، وَالدُّخُولُ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ، وَإِبَاحَةُ كُلِّ فَسَادٍ، وَإِبْطَالُ لِكُلِّ حَقٍّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ لَجَازَ لِإِبْلِيسَ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ ذٰلِكَ الْآخَرُ، حَتَّى يُضَادَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ حُكْمِهِ، وَيَصْرِفَ الْعِبَادَ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَكُونُ فِي ذٰلِكَ أَعْظَمُ الْكُفْرِ وَأَشَدُّ النِّفَاقِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ:

مِنْهَا: أَنْ يَكُونُوا قَاصِدِينَ نَحْوَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ، غَيْرَ مُشْتَبِهٍ عَلَيْهِمْ أَمْرُ رَبِّهِمْ[١] وَصَانِعِهِمْ وَرَازِقِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَمْ يَدْرُوا لَعَلَّ رَبَّهُمْ وَصَانِعَهُمْ هٰذِهِ الْأَصْنَامُ[٢] الَّتِي نَصَبَتْهَا لَهُمْ آبَاؤُهُمْ؛ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنِّيرَانُ إِذَا كَانَ جَائِزاً أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ مُشَبَّهَةً[٣]، وَكَانَ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ الْفَسَادُ، وَتَرْكُ طَاعَاتِهِ كُلِّهَا، وَارْتِكَابُ مَعَاصِيهِ كُلِّهَا، عَلَى قَدْرِ مَا يَتَنَاهَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ هٰذِهِ الْأَرْبَابِ وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَجَازَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْجَهْلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ وَالْكَذِبِ وَالِاعْتِدَاءِ، وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ يُؤْمَنْ فَنَاؤُهُ وَلَمْ يُوثَقْ بِعَدْلِهِ، وَلَمْ يُحَقَّقْ قَوْلُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ، وَفِي ذٰلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ وَإِبْطَالُ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَإِنْ قَالَ: لِمَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ وَنَهَاهُمْ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بَقَاؤُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْمَنْعِ عَنِ الْفَسَادِ وَالتَّغَاصُبِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ تَعَبَّدَهُمْ؟ قِيلَ: لِئَلَّا يَكُونُوا نَاسِينَ لِذِكْرِهِ، وَلَا تَارِكِينَ لِأَدَبِهِ، وَلَا لَاهِينَ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، إِذْ كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَقِوَامُهُمْ، فَلَوْ تُرِكُوا بِغَيْرِ تَعَبُّدٍ لَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ فِي الصَّلَاةِ الْإِقْرَارَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ صَلَاحٌ عَامٌّ، لِأَنَّ فِيهِ خَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَالْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ بِالذُّلِّ وَالِاسْتِكَانَةِ[٤] وَالْخُضُوعِ[٥]، وَالِاعْتِرَافِ وَطَلَبِ الْإِقَالَةِ مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ، وَوَضْعَ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ[٦]، لِيَكُونَ الْعَبْدُ ذَاكِراً لِلَّهِ تَعَالَى غَيْرَ نَاسٍ لَهُ، وَيَكُونَ خَاشِعاً، وَجِلاً، مُتَذَلِّلاً، طَالِباً، رَاغِباً فِي الزِّيَادَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الِانْزِجَارِ عَنِ الْفَسَادِ، وَصَارَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِئَلَّا يَنْسَى الْعَبْدُ مُدَبِّرَهُ

---

١. في العلل: «غير مشتبه عليهم ربهم».

٢. في نسخة: لعل ربهم وضع لهم هذه الأصنام. (هامش المطبوع)

٣. في نسخة: مشبّها. (هامش المطبوع)

٤. الاستكانة: الخضوع، راجع لسان العرب.

٥. في العيون مع زيادة: «والخشوع».

٦. لم يرد في العيون: «ليلة».

وَخَالِقَهُ فَيَبْطَرَ[١] وَيَطْغَى، وَلِيَكُونَ فِي ذِكْرِ خَالِقِهِ[٢] وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ زَاجِراً لَهُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَحَاجِزاً وَمَانِعاً عَنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوُضُوءِ وَبُدِئَ بِهِ؟ قِيلَ: لِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ طَاهِراً إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ إِيَّاهُ، مُطِيعاً لَهُ فِيمَا أَمَرَهُ، نَقِيّاً مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالنَّجَاسَةِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ ذَهَابِ الْكَسَلِ وَطَرْدِ النُّعَاسِ، وَتَزْكِيَةِ الْفُؤَادِ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ.

فَإِنْ قَالَ: لِمَ وَجَبَ ذٰلِكَ عَلَى الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ[٣]؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ فَإِنَّمَا[٤] يَنْكَشِفُ مِنْ جَوَارِحِهِ، وَيَظْهَرُ مَا وَجَبَ فِيهِ الْوُضُوءُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ بِوَجْهِهِ يَسْجُدُ[٥] وَيَخْضَعُ، وَبِيَدِهِ يَسْأَلُ وَيَرْغَبُ[٦] (وَيَرْهَبُ وَيَتَبَتَّلُ[٧] ع) وَيَنْسُكُ[٨]، وَبِرَأْسِهِ يَسْتَقْبِلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، وَبِرِجْلَيْهِ يَقُومُ وَيَقْعُدُ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ الْغَسْلُ عَلَى الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَجُعِلَ الْمَسْحُ عَلَى الرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَلَمْ يُجْعَلْ ذٰلِكَ غَسْلاً كُلُّهُ أَوْ مَسْحاً كُلُّهُ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ شَتَّى:

مِنْهَا: أَنَّ الْعِبَادَةَ الْعُظْمَى إِنَّمَا[٩] هِيَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ بِالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ لَا بِالرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ[١٠].

وَمِنْهَا: أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُطِيقُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَسْلَ الرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَيَشْتَدُّ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ فِي الْبَرْدِ وَالسَّفَرِ وَالْمَرَضِ وَأَوْقَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَغَسْلُ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ أَخَفُّ مِنْ غَسْلِ الرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَإِنَّمَا وُضِعَتِ الْفَرَائِضُ عَلَى قَدْرِ أَقَلِّ النَّاسِ طَاقَةً مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ ثُمَّ عُمَّ فِيهَا الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الرَّأْسَ وَالرِّجْلَيْنِ لَيْسَا هُمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ بَادِيَيْنِ ظَاهِرَيْنِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، لِمَوْضِعِ الْعِمَامَةِ وَالْخُفَّيْنِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ.

---

١. بطر: تكبر عن قول الحق، راجع الطراز الأول.

٢. في العيون: «في طاعة خالقه».

٣. في العلل: «ومسح الرأس والرجلين».

٤. في العلل: «الجبار قائما».

٥. في العلل: «بوجهه يستقبل ويسجد ...» .

٦. رغب: إذا حرص على الشيء وطمع فيه، راجع لسان العرب.

٧. التبتل: الانقطاع عن الدنيا إلى اللّٰه تعالى، راجع لسان العرب.

٨. النسك والنسُك: العبادة والطاعة وكل ما تُقُرّب به إلى اللّٰه تعالى، راجع لسان العرب.

٩. في العلل: «أن العبادة إنما».

١٠. **نقول:** أما كونهما باليدين فواضح، وأما بالوجه فلأن الخضوع عند اللّٰه إنما هو بالوجه، لأن عمدة الحواس الرئيسيّة في الوجه من العين والسمع والشامّة والتكلم لا في الرأس والرجلين.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ الْوُضُوءُ مِمَّا خَرَجَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ خَاصَّةً وَمِنَ النَّوْمِ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الطَّرَفَيْنِ هُمَا طَرِيقُ النَّجَاسَةِ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ طَرِيقٌ تُصِيبُهُ النَّجَاسَةُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا مِنْهُمَا، فَأُمِرُوا بِالطَّهَارَةِ عِنْدَ مَا تُصِيبُهُمْ تِلْكَ النَّجَاسَةُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَمَّا النَّوْمُ فَإِنَّ النَّائِمَ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ يُفْتَحُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ (وَاسْتَرْخَى ع) وَكَانَ أَغْلَبُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ الرِّيحَ فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْوُضُوءُ لِهٰذِهِ الْعِلَّةِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْغُسْلِ مِنْ هٰذِهِ النَّجَاسَةِ كَمَا أُمِرُوا بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ هٰذَا شَيْءٌ دَائِمٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِلْخَلْقِ الِاغْتِسَالُ مِنْهُ كُلَّمَا يُصِيبُ ذٰلِكَ، وَ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، وَالْجَنَابَةُ لَيْسَ هِيَ أَمْراً دَائِماً، إِنَّمَا هِيَ شَهْوَةٌ يُصِيبُهَا إِذَا أَرَادَ، وَيُمْكِنُهُ تَعْجِيلُهَا وَتَأْخِيرُهَا الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ وَالْأَقَلَّ وَالْأَكْثَرَ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ هٰكَذَا.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِالْغُسْلِ مِنَ الْخَلَاءِ وَهُوَ أَنْجَسُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَأَقْذَرُ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْجَنَابَةَ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ شَيْءٌ يَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ جَسَدِهِ، وَالْخَلَاءُ لَيْسَ هُوَ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ غِذَاءٌ يَدْخُلُ مِنْ بَابٍ وَيَخْرُجُ مِنْ بَابٍ[1].

أقول:

في بعض نسخ علل الشرائع زيادة، هي هذه: «فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ صَارَ الِاسْتِنْجَاءُ فَرْضاً؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ وَشَيْءٌ مِنْ ثِيَابِهِ وَجَسَدِهِ نَجِسٌ».

قال مصنّف هذا الكتاب: غلط الفضل، وذلك لأنّ الاستنجاء به ليس بفرض، وإنّما هو سنّة. رجعنا إلى كلام الفضل. انتهى.

ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين:

فَإِنْ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْأَذَانِ لِمَ أُمِرُوا بِهِ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ:

مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ تَذْكِيراً لِلسَّاهِي، وَتَنْبِيهاً لِلْغَافِلِ، وَتَعْرِيفاً لِمَنْ جَهِلَ الْوَقْتَ وَاشْتَغَلَ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ دَاعِياً إِلَى عِبَادَةِ الْخَالِقِ، مُرَغِّباً فِيهَا، مُقِرّاً لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، مُجَاهِراً بِالْإِيمَانِ، مُعْلِناً بِالْإِسْلَامِ، مُؤَذِّناً لِمَنْ نَسِيَهَا[2]، وَإِنَّمَا يُقَالُ: مُؤَذِّنٌ، لِأَنَّهُ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ بُدِئَ فِيهِ بِالتَّكْبِيرِ قَبْلَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَبْدَأَ بِذِكْرِهِ وَاسْمِهِ، لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ

---

١. **نقول:** المراد إن الجنابة لها أثر في جميع البدن، ولذا يسترخى الجسد كله عندها وليس كذلك في الخلاء، وما يقال من أنه إذا كان الدخول في الفرج ولم يخرج المني ولم يسترخ الجسد مع ذلك يجب الغسل، قلنا: إنما ذلك من باب الحكمة لا العلة، فلا يجب أن تكون الفائدة في جميع المصاديق وإنما هو في الغالب والحكم عام.

٢. في العلل: «لمن يتساهى».

تَعَالَى فِي التَّكْبِيرِ فِي أَوَّلِ الْحَرْفِ، وَفِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ اسْمُ اللَّهِ فِي آخِرِ الْحَرْفِ فَبُدِئَ بِالْحَرْفِ الَّذِي اسْمُ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ لَا فِي آخِرِهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ مَثْنَى مَثْنَى؟ قِيلَ: لِأَنْ يَكُونَ مُكَرَّراً فِي آذَانِ الْمُسْتَمِعِينَ، مُؤَكَّداً عَلَيْهِمْ، إِنْ سَهَا أَحَدٌ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَسْهُ عَنِ الثَّانِي، وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ فَلِذٰلِكَ جُعِلَ الْأَذَانُ مَثْنَى مَثْنَى.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّكْبِيرُ فِي أَوَّلِ الْأَذَانِ أَرْبَعاً؟ قِيلَ: لِأَنَّ أَوَّلَ الْأَذَانِ إِنَّمَا يَبْدُو غَفْلَةً، وَلَيْسَ قَبْلَهُ كَلَامٌ يَتَنَبَّهُ الْمُسْتَمِعُ لَهُ فَجُعِلَ ذٰلِكَ تَنْبِيهاً لِلْمُسْتَمِعِينَ لِمَا بَعْدَهُ فِي الْأَذَانِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَعَلَ بَعْدَ التَّكْبِيرِ شَهَادَتَيْنِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ أَوَّلَ الْإِيمَانِ التَّوْحِيدُ وَالْإِقْرَارُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالثَّانِيَ الْإِقْرَارُ بِالرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ، وَأَنَّ طَاعَتَهُمَا وَمَعْرِفَتَهُمَا مَقْرُونَتَانِ، وَأَنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ الشَّهَادَةُ، فَجَعَلَ شَهَادَتَيْنِ[1] فِي الْأَذَانِ كَمَا جَعَلَ فِي سَائِرِ الْحُقُوقِ شَهَادَتَيْنِ، فَإِذَا أُقِرَّ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَأُقِرَّ لِلرَّسُولِ بِالرِّسَالَةِ فَقَدْ أُقِرَّ بِجُمْلَةِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ إِنَّمَا هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الدُّعَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْأَذَانَ إِنَّمَا وُضِعَ لِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا هُوَ نِدَاءٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَجُعِلَ النِّدَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي وَسَطِ الْأَذَانِ فَقَدَّمَ الْمُؤَذِّنُ قَبْلَهَا أَرْبَعاً: التَّكْبِيرَتَيْنِ وَالشَّهَادَتَيْنِ، وَأَخَّرَ بَعْدَهَا أَرْبَعاً يَدْعُو إِلَى الْفَلَاحِ حَثّاً عَلَى الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، ثُمَّ دَعَا إِلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، مُرَغِّباً فِيهَا وَفِي عَمَلِهَا وَفِي أَدَائِهَا، ثُمَّ نَادَى بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ لِيُتِمَّ بَعْدَهَا أَرْبَعاً، كَمَا أَتَمَّ قَبْلَهَا أَرْبَعاً، وَلِيَخْتِمَ كَلَامَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا فَتَحَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى[2].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ آخِرُهَا التَّهْلِيلَ وَلَمْ يُجْعَلْ آخِرُهَا التَّكْبِيرَ كَمَا جُعِلَ فِي أَوَّلِهَا التَّكْبِيرُ؟ قِيلَ: لِأَنَّ التَّهْلِيلَ اسْمُ اللَّهِ فِي آخِرِهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْتِمَ الْكَلَامَ بِاسْمِهِ كَمَا فَتَحَهُ بِاسْمِهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَمْ يُجْعَلْ بَدَلَ التَّهْلِيلِ التَّسْبِيحُ أَوِ التَّحْمِيدُ وَاسْمُ اللَّهِ فِي آخِرِهِمَا؟ قِيلَ: لِأَنَّ التَّهْلِيلَ هُوَ إِقْرَارٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْإِيمَانِ وَأَعْظَمُ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ بُدِئَ فِي الِاسْتِفْتَاحِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ بِالتَّكْبِيرِ؟ قِيلَ: لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الْأَذَانِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَعَلَ الدُّعَاءَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى قَبْلَ الْقِرَاءَةِ؟ وَلِمَ جَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ الْقُنُوتَ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَحَ قِيَامَهُ لِرَبِّهِ وَعِبَادَتَهُ بِالتَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَيَخْتِمَهُ بِمِثْلِ ذٰلِكَ، لِيَكُونَ فِي الْقِيَامِ عِنْدَ الْقُنُوتِ طُولٌ فَأَحْرَى[3] أَنْ يُدْرِكَ الْمُدْرِكُ الرُّكُوعَ فَلَا تَفُوتَهُ الرَّكْعَةُ فِي الْجَمَاعَةِ.

---

١. في العلل: «فجعلت شهادتين شهادتين كما جعل».

٢. في العلل: «بذكر اللّه وتحميده تعالى كما فتحه بذكر اللّه وتحميده تعالى».

٣. أحرى: أجْدَرُ وأحَقُّ، راجع مقدمة الأدب.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ؟ قِيلَ: لِئَلَّا يَكُونَ الْقُرْآنُ مَهْجُوراً مُضَيَّعاً، وَلِيَكُونَ مَحْفُوظاً[١] فَلَا يَضْمَحِلَّ وَلَا يُجْهَلَ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ بُدِئَ بِالْحَمْدِ فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ دُونَ سَائِرِ السُّوَرِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْكَلَامِ جُمِعَ فِيهِ مِنْ جَوَامِعِ الْخَيْرِ وَالْحِكْمَةِ مَا جُمِعَ فِي سُورَةِ الْحَمْدِ، وَذٰلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِنَّمَا هُوَ أَدَاءٌ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الشُّكْرِ، وَشُكْرٌ لِمَا وَفَّقَ عَبْدَهُ لِلْخَيْرِ، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَمْجِيدٌ لَهُ وَتَحْمِيدٌ وَإِقْرَارٌ بِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ لَا غَيْرُهُ، ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اسْتِعْطَافٌ وَذِكْرٌ لِآلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ[٢] عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إِقْرَارٌ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْمُجَازَاةِ، وَإِيجَابٌ لَهُ مُلْكَ الْآخِرَةِ كَمَا أَوْجَبَ لَهُ مُلْكَ الدُّنْيَا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رَغْبَةٌ وَتَقَرُّبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِخْلَاصٌ بِالْعَمَلِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اسْتِزَادَةٌ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَعِبَادَتِهِ وَاسْتِدَامَةٌ لِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَنَصَرَهُ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسْتِرْشَادٌ لِأَدَبِهِ، وَاعْتِصَامٌ بِحَبْلِهِ، وَاسْتِزَادَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِرَبِّهِ وَبِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ تَوْكِيدٌ فِي السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ، وَذِكْرٌ لِمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي ذٰلِكَ النِّعَمِ[٣]، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اسْتِعَاذَةٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُعَانِدِينَ الْكَافِرِينَ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِهِ وَبِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٤] اعْتِصَامٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنْ جَوَامِعِ الْخَيْرِ وَالْحِكْمَةِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا مَا لَا يَجْمَعُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّسْبِيحُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ:

مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَعَ خُضُوعِهِ وَخُشُوعِهِ وَتَعَبُّدِهِ وَتَوَرُّعِهِ وَاسْتِكَانَتِهِ وَتَذَلُّلِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَتَقَرُّبِهِ إِلَى رَبِّهِ مُقَدِّساً لَهُ، مُمَجِّداً، مُسَبِّحاً، مُعَظِّماً[٥]، شَاكِراً لِخَالِقِهِ وَرَازِقِهِ، وَلِيَسْتَعْمِلَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا اسْتَعْمَلَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ، وَلِيَشْغَلَ قَلْبَهُ وَذِهْنَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَلَا يَذْهَبَ بِهِ الْفِكْرُ وَالْأَمَانِيُّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ أَصْلُ الصَّلَاةِ رَكْعَتَيْنِ؟ وَلِمَ زِيدَ عَلَى بَعْضِهَا رَكْعَةٌ وَعَلَى بَعْضِهَا رَكْعَتَانِ وَلَمْ يُزَدْ عَلَى بَعْضِهَا شَيْءٌ؟ قِيلَ: لِأَنَّ أَصْلَ الصَّلَاةِ إِنَّمَا هِيَ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ لِأَنَّ أَصْلَ الْعَدَدِ وَاحِدٌ، فَإِذَا نَقَصَتْ مِنْ وَاحِدٍ فَلَيْسَتْ هِيَ صَلَاةً، فَعَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْعِبَادَ لَا يُؤَدُّونَ تِلْكَ الرَّكْعَةَ الْوَاحِدَةَ الَّتِي لَا صَلَاةَ أَقَلُّ مِنْهَا بِكَمَالِهَا وَتَمَامِهَا وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا،

---

١. في العلل: «بل يكون محفوظا مدروسا».

٢. في العلل: «وذكر لربه ونعمائه».

٣. في نسخة: تلك النعم. (هامش المطبوع)

٤. الحمد/١ـ٧.

٥. في العيون: «ممجدا مسبحا مطيعا معظما».

فَقَرَنَ إِلَيْهَا رَكْعَةً لِيَتِمَّ بِالثَّانِيَةِ مَا نَقَصَ مِنَ الْأُولَى، فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَصْلَ الصَّلَاةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّ الْعِبَادَ لَا يُؤَدُّونَ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ بِتَمَامِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَكَمَالِهِ فَضَمَّ إِلَى الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، لِيَكُونَ فِيهِمَا تَمَامُ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ يَكُونُ شُغُلُ النَّاسِ فِي وَقْتِهَا أَكْثَرَ لِلِانْصِرَافِ إِلَى الْأَوْطَانِ (الإفطار خ ل)[1] وَالْأَكْلِ وَالْوُضُوءِ وَالتَّهْيِئَةِ لِلْمَبِيتِ، فَزَادَ فِيهَا رَكْعَةً وَاحِدَةً لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِمْ، وَلِأَنْ تَصِيرَ رَكَعَاتُ الصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَرْداً، ثُمَّ تَرَكَ الْغَدَاةَ[2] عَلَى حَالِهَا لِأَنَّ الِاشْتِغَالَ فِي وَقْتِهَا أَكْثَرُ، وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى الْحَوَائِجِ فِيهَا أَعَمُّ، وَلِأَنَّ الْقُلُوبَ فِيهَا أَخْلَى مِنَ الْفِكْرِ لِقِلَّةِ مُعَامَلَاتِ النَّاسِ بِاللَّيْلِ، وَلِقِلَّةِ الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ، فَالْإِنْسَانُ فِيهَا أَقْبَلُ عَلَى صَلَاتِهِ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ لِأَنَّ الْفِكْرَ أَقَلُّ لِعَدَمِ الْعَمَلِ مِنَ اللَّيْلِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّكْبِيرُ فِي الِاسْتِفْتَاحِ سَبْعَ مَرَّاتٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْفَرْضَ مِنْهَا وَاحِدٌ، وَسَائِرَهَا سُنَّةٌ؛ وَإِنَّمَا جُعِلَ ذٰلِكَ لِأَنَّ التَّكْبِيرَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ كُلُّهُ سَبْعُ تَكْبِيرَاتٍ: تَكْبِيرَةِ الِاسْتِفْتَاحِ، وَتَكْبِيرَةِ الرُّكُوعِ، وَتَكْبِيرَتَيِ السُّجُودِ، وَتَكْبِيرَةٍ أَيْضاً لِلرُّكُوعِ، وَتَكْبِيرَتَيْنِ لِلسُّجُودِ؛ فَإِذَا كَبَّرَ الْإِنْسَانُ أَوَّلَ الصَّلَاةِ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ فَقَدْ أَحْرَزَ التَّكْبِيرَ كُلَّهُ، فَإِنْ سَهَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَرَكَهَا لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ نَقْصٌ فِي صَلَاتِهِ.

أقول:

وفي العلل كما قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام: «مَنْ كَبَّرَ أَوَّلَ صَلَاتِهِ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ أَجْزَأَهُ وَيُجْزِي تَكْبِيرَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يُكَبِّرْ فِي شَيْءٍ مِنْ صَلَاتِهِ أَجْزَأَهُ عَنْهُ ذٰلِكَ وَإِنَّمَا عَنَى بِذٰلِكَ إِذَا تَرَكَهَا سَاهِياً أَوْ نَاسِياً».

قال مصنّف هذا الكتاب: غلط الفضل، إنّ تكبيرة الافتتاح فريضة وإنّما هي سنّة واجبة. رجعنا إلى كلام الفضل.

أقول:

رجعنا إلى المشترك:

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَعَلَ رَكْعَةً وَسَجْدَتَيْنِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الرُّكُوعَ مِنْ فِعْلِ الْقِيَامِ، وَالسُّجُودَ مِنْ فِعْلِ الْقُعُودِ، وَصَلَاةَ الْقَاعِدِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقِيَامِ، فَضُوعِفَ السُّجُودُ لِيَسْتَوِيَ بِالرُّكُوعِ فَلَا يَكُونَ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ لِأَنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا هِيَ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّشَهُّدُ بَعْدَ الرَّكْعَتَيْنِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ كَمَا قُدِّمَ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الْأَذَانُ وَالدُّعَاءُ وَالْقِرَاءَةُ فَكَذٰلِكَ أَيْضاً أُمِرَ[3] بَعْدَهَا بِالتَّشَهُّدِ وَالتَّحْمِيدِ وَالدُّعَاءِ.

---

١. كما في العيون والعلل.

٢. صلاة الغداة: هي صلاة الفجر، راجع مجمع البحرين.

٣. في العلل: «أُخّر».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّسْلِيمُ تَحْلِيلَ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُجْعَلْ بَدَلُهُ تَكْبِيراً أَوْ تَسْبِيحاً، أَوْ ضَرْباً آخَرَ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ تَحْرِيمُ الْكَلَامِ لِلْمَخْلُوقِينَ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى الْخَالِقِ كَانَ تَحْلِيلُهَا كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ وَالِانْتِقَالَ عَنْهَا، وَابْتِدَاءُ الْمَخْلُوقِينَ بِالْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّسْلِيمِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ الْقِرَاءَةُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالتَّسْبِيحُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ؟ قِيلَ: لِلْفَرْقِ بَيْنَ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِنْدِهِ وَمَا فَرَضَهُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِهِ[١].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتِ الْجَمَاعَةُ؟ قِيلَ: لِأَنْ لَا يَكُونَ الْإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ إِلَّا ظَاهِراً مَكْشُوفاً مَشْهُوداً، لِأَنَّ فِي إِظْهَارِهِ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيَكُونَ الْمُنَافِقُ الْمُسْتَخِفُّ مُؤَدِّياً لِمَا أَقَرَّ بِهِ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ[٢] وَالْمُرَاقَبَةَ، وَلِتَكُونَ شَهَادَاتُ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ جَائِزَةً مُمْكِنَةً، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالزَّجْرِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ الْجَهْرُ فِي بَعْضِ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُجْعَلْ فِي بَعْضٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّلَوَاتِ الَّتِي يُجْهَرُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ صَلَوَاتٌ تُصَلَّى فِي أَوْقَاتٍ مُظْلِمَةٍ فَوَجَبَ أَنْ يُجْهَرَ فِيهَا، لِأَنْ يَمُرَّ الْمَارُّ فَيَعْلَمَ أَنَّ هَاهُنَا جَمَاعَةً، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَّى، وَلِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَ جَمَاعَةً تُصَلِّي سَمِعَ وَعَلِمَ ذٰلِكَ مِنْ جِهَةِ السَّمَاعِ، وَالصَّلَاتَانِ اللَّتَانِ لَا يُجْهَرُ فِيهِمَا فَإِنَّهُمَا بِالنَّهَارِ، وَفِي أَوْقَاتٍ مُضِيئَةٍ فَهِيَ تُدْرَكُ مِنْ جِهَةِ الرُّؤْيَةِ، فَلَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى السَّمَاعِ[٣].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتِ الصَّلَوَاتُ فِي هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ تُقَدَّمْ وَلَمْ تُؤَخَّرْ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْأَوْقَاتَ الْمَشْهُورَةَ الْمَعْلُومَةَ الَّتِي تَعُمُّ أَهْلَ الْأَرْضِ فَيَعْرِفُهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ أَرْبَعَةٌ: غُرُوبُ الشَّمْسِ مَعْرُوفٌ تَجِبُ عِنْدَهُ الْمَغْرِبُ، وَسُقُوطُ الشَّفَقِ مَشْهُورٌ تَجِبُ عِنْدَهُ الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ، وَطُلُوعُ الْفَجْرِ مَشْهُورٌ مَعْلُومٌ تَجِبُ عِنْدَهُ الْغَدَاةُ، وَزَوَالُ الشَّمْسِ مَشْهُورٌ مَعْلُومٌ تَجِبُ عِنْدَهُ الظُّهْرُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْعَصْرِ وَقْتٌ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ مِثْلُ هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ الْأَرْبَعَةِ فَجُعِلَ وَقْتُهَا عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي قَبْلَهَا[٤].

---

١. **نقول:** المعروف في رواياتنا أن الركعتين الأُوليين فرض من اللّه والأخيرتين فرض النبي ﷺ بإذنه تعالى شأنه، فهو أعطاه حكم التشريع في مواضع لعلها تبلغ بضع عشر مورداً، كما ذكرنا في كتابنا أنوار الفقاهه، فهو شرّع بإذن اللّه وأمضاه اللّه بعد ما شرّع.

٢. في العيون والعلل: «بظاهر الإسلام».

٣. **نقول:** لم يكن في عصر النبي ﷺ في مسجده سراج أو كان سراجا ضعيفا ولم يكن صلوة الجماعة دائما تودّى في المسجد بل قد كانت في الصحارى والبراري، فكانوا يجهرون بالقراءة في هذه الصلوات سماع المارين ولحوقهم بالجماعة، ثم صار هذا سنة يذكّر حال المسلمين في أول أمرهم وبقي على حاله حتى في زماننا وكم له من نظير.

٤. في العلل: «وزوال الشمس وإيفاء الفيء مشهور معلوم فوجب عنده الظهر، ولم يكن للعصر وقت معلوم مشهور مثل هذه الأوقات الأربعة فجعل وقتها الفراغ من الصلاة التي قبلها إلى أن يصير الظل من كل شيء أربعة أضعافه». سيشير المصنف في شرحه للحديث إليها.

وَعِلَّةٌ أُخْرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ أَنْ يَبْدَأَ النَّاسُ فِي كُلِّ عَمَلٍ أَوَّلاً بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَأَمَرَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَنْ يَبْدَؤُوا بِعِبَادَتِهِ ثُمَّ يَنْتَشِرُوا فِيمَا أَحَبُّوا مِنْ مَرَمَّةِ[١] دُنْيَاهُمْ، فَأَوْجَبَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ نِصْفُ النَّهَارِ وَتَرَكُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشُّغُلِ وَهُوَ وَقْتٌ يَضَعُ النَّاسُ فِيهِ ثِيَابَهُمْ، وَيَسْتَرِيحُونَ، وَيَشْتَغِلُونَ بِطَعَامِهِمْ وَقَيْلُولَتِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْدَؤُوا أَوَّلاً بِذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الظُّهْرَ، ثُمَّ يَتَفَرَّغُوا لِمَا أَحَبُّوا مِنْ ذٰلِكَ، فَإِذَا قَضَوْا وَطَرَهُمْ[٢][٣] وَأَرَادُوا الِانْتِشَارَ فِي الْعَمَلِ لِآخِرِ النَّهَارِ بَدَؤُوا أَيْضاً بِعِبَادَتِهِ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى مَا أَحَبُّوا مِنْ ذٰلِكَ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْعَصْرَ، ثُمَّ يَنْتَشِرُونَ فِيمَا شَاؤُوا مِنْ مَرَمَّةِ دُنْيَاهُمْ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ وَوَضَعُوا زِينَتَهُمْ وَعَادُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ ابْتَدَؤُوا أَوَّلاً بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ يَتَفَرَّغُونَ لِمَا أَحَبُّوا مِنْ ذٰلِكَ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْمَغْرِبَ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ النَّوْمِ وَفَرَغُوا مِمَّا كَانُوا بِهِ مُشْتَغِلِينَ أَحَبَّ أَنْ يَبْدَءُوا أَوَّلاً بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَا شَاؤُوا أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ، فَيَكُونُوا قَدْ بَدَؤُوا فِي كُلِّ عَمَلٍ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْعَتَمَةَ[٤]؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ لَمْ يَنْسَوْهُ، وَلَمْ يَغْفُلُوا عَنْهُ، وَلَمْ تَقْسُ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ تَقِلَّ رَغْبَتُهُمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَصْرِ وَقْتٌ مَشْهُورٌ مِثْلُ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ أَوْجَبَهَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَمْ يُوجِبْهَا بَيْنَ الْعَتَمَةِ وَالْغَدَاةِ، أَوْ بَيْنَ الْغَدَاةِ وَالظُّهْرِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ وَقْتٌ عَلَى النَّاسِ أَخَفَّ وَلَا أَيْسَرَ وَلَا أَحْرَى أَنْ يَعُمَّ فِيهِ الضَّعِيفَ وَالْقَوِيَّ بِهٰذِهِ الصَّلَاةِ مِنْ هٰذَا الْوَقْتِ، وَذٰلِكَ أَنَّ النَّاسَ عَامَّتَهُمْ يَشْتَغِلُونَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ بِالتِّجَارَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالذَّهَابِ فِي الْحَوَائِجِ، وَإِقَامَةِ الْأَسْوَاقِ، فَأَرَادَ أَنْ لَا يَشْغَلَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَعَاشِهِمْ وَمَصْلَحَةِ دُنْيَاهُمْ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِهِ[٥]، وَلَا يَنْتَبِهُونَ لِوَقْتِهِ لَوْ كَانَ وَاجِباً، وَلَا يُمْكِنُهُمْ ذٰلِكَ فَخَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا فِي أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ عَلَيْهِمْ، وَلٰكِنْ جَعَلَهَا فِي أَخَفِّ الْأَوْقَاتِ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٦].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ يُرْفَعُ الْيَدَانِ فِي التَّكْبِيرِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ رَفْعَ الْيَدَيْنِ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الِابْتِهَالِ[٧] وَالتَّبَتُّلِ وَالتَّضَرُّعِ، فَأَوْجَبَ اللَّهُ[٨] عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ فِي وَقْتِ ذِكْرِهِ مُتَبَتِّلاً مُتَضَرِّعاً مُبْتَهِلاً، وَلِأَنَّ فِي وَقْتِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِحْضَارَ النِّيَّةِ وَإِقْبَالَ الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَ وَقَصَدَ.

---

١. في العلل: «من مؤونة».

٢. الوطر: الحاجة، راجع الصحاح.

٣. في العلل: «ظهرهم».

٤. العتمة: الصلاة العشاء أو وقت صلاة العشاء، راجع مجمع البحرين.

٥. في العلل وفي نسخة من الكتاب: ولا يشتغلون به. (هامش المطبوع، نقلا عن مصطفى الطباطبائي القمي)

٦. البقرة/١٨٥.

٧. الابتهال: التضرع، راجع لسان العرب.

٨. في العيون: «فأحب اللّه».

أقول:

في العلل: «لأَنَّ الْفَرْضَ مِنَ الذِّكْرِ إِنَّمَا هُوَ الِاسْتِفْتَاحُ وَكُلُّ سُنَّةٍ فَإِنَّمَا تُؤَدَّى عَلَى جَهَةِ الْفَرْضِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي الِاسْتِفْتَاحِ الَّذِي هُو الْفَرْضُ رَفْعُ الْيَدَيْنِ أَحَبَّ أَنْ يُؤَدُّوا السُّنَّةَ عَلَى جَهَةِ مَا يُؤَدُّونَ الْفَرْضَ».

ولنرجع إلى المشترك:

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ صَلَاةُ السُّنَّةِ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ رَكْعَةً؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْفَرِيضَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً فَجُعِلَتِ السُّنَّةُ مِثْلَيِ الْفَرِيضَةِ، كَمَالاً لِلْفَرِيضَةِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ صَلَاةُ السُّنَّةِ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَلَمْ تُجْعَلْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّ أَفْضَلَ الْأَوْقَاتِ ثَلَاثَةٌ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَبِالْأَسْحَارِ، فَأَحَبَّ[1] أَنْ يُصَلَّى لَهُ فِي كُلِّ هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا فُرِّقَتِ السُّنَّةُ فِي أَوْقَاتٍ شَتَّى كَانَ أَدَاؤُهَا أَيْسَرَ وَأَخَفَّ مِنْ أَنْ تُجْمَعَ كُلُّهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ صَارَتْ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ إِذَا كَانَتْ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَإِذَا كَانَتْ بِغَيْرِ إِمَامٍ رَكْعَتَيْنِ وَرَكْعَتَيْنِ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ شَتَّى:

مِنْهَا: أَنَّ النَّاسَ يَتَخَطَّوْنَ إِلَى الْجُمُعَةِ[2] مِنْ بُعْدٍ، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُمْ لِمَوْضِعِ التَّعَبِ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِمَامَ يَحْبِسُهُمْ لِلْخُطْبَةِ وَهُمْ مُنْتَظِرُونَ لِلصَّلَاةِ، وَمَنِ انْتَظَرَ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ فِي حُكْمِ التَّمَامِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الصَّلَاةَ مَعَ الْإِمَامِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ لِعِلْمِهِ وَفِقْهِهِ وَعَدْلِهِ وَفَضْلِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْجُمُعَةَ عِيدٌ وَصَلَاةَ الْعِيدِ رَكْعَتَانِ، وَلَمْ تُقْصَرْ لِمَكَانِ الْخُطْبَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتِ الْخُطْبَةُ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْجُمُعَةَ مَشْهَدٌ عَامٌّ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ سَبَباً لِمَوْعِظَتِهِمْ (لِلْأَمِيرِ سَبَبٌ إِلَى مَوْعِظَتِهِمْ خ ل) وَتَرْغِيبِهِمْ فِي الطَّاعَةِ، وَتَرْهِيبِهِمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَتَوْفِيقِهِمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ مَصْلَحَةِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ[3]، وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآفَاتِ وَمِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي لَهُمْ فِيهَا الْمَضَرَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ[4].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتْ خُطْبَتَيْنِ؟ قِيلَ: لِأَنْ يَكُونَ وَاحِدَةٌ لِلثَّنَاءِ وَالتَّمْجِيدِ[5] وَالتَّقْدِيسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأُخْرَى لِلْحَوَائِجِ وَالْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ وَالدُّعَاءِ، وَمَا يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالْفَسَادُ.

---

١. في العلل: «فأوجب».

٢. يتخطى: يخطو خطوة، وهي بعد ما بين القدمين في المشي، راجع مجمع البحرين.

٣. في العلل: «وفعلهم وتوفيقهم على ما أرادوا من مصلحة دينهم ودنياهم».

٤. في العلل مع زيادة: «ولا يكون الصائر في الصلاة منفصلا وليس بفاعل غيره ممن يؤمّ الناس في غير يوم الجمعة».

٥. في العيون: «التحميد».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَجُعِلَتْ فِي الْعِيدَيْنِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْجُمُعَةَ أَمْرٌ دَائِمٌ، وَتَكُونُ فِي الشَّهْرِ مِرَاراً وَفِي السَّنَةِ كَثِيراً، فَإِذَا كَثُرَ ذٰلِكَ عَلَى النَّاسِ مَلُّوا وَتَرَكُوا وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَجُعِلَتْ قَبْلَ الصَّلَاةِ لِيُحْتَبَسُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَلَا يَتَفَرَّقُوا وَلَا يَذْهَبُوا، وَأَمَّا الْعِيدَيْنِ فَإِنَّمَا هُوَ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ[١]، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَالزِّحَامُ[٢] فِيهِ أَكْثَرُ، وَالنَّاسُ فِيهِ أَرْغَبُ، فَإِنْ تَفَرَّقَ بَعْضُ النَّاسِ بَقِيَ عَامَّتُهُمْ، وَلَيْسَ هُوَ بِكَثِيرٍ فَيَمَلُّوا وَيَسْتَخِفُّوا بِهِ.

قال مصنّف هذا الكتاب «رحمه اللّٰه»: جاء هذا الخبر هكذا: وَالْخُطْبَتَانِ فِي الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَاوَيْنِ، وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْخُطْبَتَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ لِأَنَّهُ لَمَّا أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَقِفُونَ[٣] عَلَى خُطْبَتِهِ، وَيَقُولُونَ: مَا نَصْنَعُ بِمَوَاعِظِهِ وَقَدْ أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ؟ فَقَدَّمَ الْخُطْبَتَيْنِ لِيَقِفَ النَّاسُ انْتِظَاراً لِلصَّلَاةِ فَلَا يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ[٤].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى مَنْ يَكُونُ عَلَى فَرْسَخَيْنِ لَا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ؟ قِيلَ: لِأَنَّ مَا يُقَصَّرُ فِيهِ الصَّلَاةُ بَرِيدَانِ ذَاهِباً أَوْ بَرِيدٌ ذَاهِباً وَجَائِياً، وَالْبَرِيدُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، فَوَجَبَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى مَنْ هُوَ عَلَى نِصْفِ الْبَرِيدِ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ التَّقْصِيرُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ يَجِيءُ فَرْسَخَيْنِ وَيَذْهَبُ فَرْسَخَيْنِ فَذٰلِكَ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ الْمُسَافِرِ[٥].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ زِيدَ فِي صَلَاةِ السُّنَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ؟ قِيلَ: تَعْظِيماً لِذٰلِكَ الْيَوْمِ وَتَفْرِقَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَيَّامِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ قُصِّرَتِ الصَّلَاةُ فِي السَّفَرِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ أَوَّلاً إِنَّمَا هِيَ عَشْرُ رَكَعَاتٍ، وَالسَّبْعُ إِنَّمَا زِيدَتْ فِيهَا بَعْدُ، فَخَفَّفَ اللّٰهُ عَنْهُ تِلْكَ الزِّيَادَةَ لِمَوْضِعِ سَفَرِهِ وَتَعَبِهِ وَنَصَبِهِ[٦]، وَاشْتِغَالِهِ بِأَمْرِ نَفْسِهِ وَظَعْنِهِ[٧] وَإِقَامَتِهِ، لِئَلَّا يَشْتَغِلَ عَمَّا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعِيشَتِهِ، رَحْمَةً مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى وَتَعَطُّفاً عَلَيْهِ، إِلَّا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ فَإِنَّهَا لَمْ تُقَصَّرْ لِأَنَّهَا صَلَاةٌ مُقَصَّرَةٌ فِي الْأَصْلِ.

---

١. في العيون: «وأما العيدان فإنما هو في السنة مرّتان».

٢. الزحم: أن يزحم القوم بعضهم بعضا من كثرة الزحام إذا ازدحموا، راجع لسان العرب.

٣. في العلل: «ليقفوا».

٤. لم يرد في العلل: «فلا يتفرقوا عنه».

٥. **نقول:** لعل المراد أن المسافر في سعة من أمر الصلاة، لأنه يقصّر ولا يجب عليه الحضور في صلاة الجمعة، واللّٰه تعالى منّ على الحاضرين بجعل الفاصلة نصف فاصلة صلاة القصر، واللّٰه العالم.

٦. النصَب: التعب، راجع لسان العرب.

٧. الظعن: السير، راجع شمس العلوم.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ يَجِبُ التَّقْصِيرُ فِي ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخَ لَا أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ؟ قِيلَ: لِأَنَّ ثَمَانِيَةَ فَرَاسِخَ مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلْعَامَّةِ وَالْقَوَافِلِ وَالْأَثْقَالِ فَوَجَبَ التَّقْصِيرُ فِي مَسِيرَةِ يَوْمٍ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ التَّقْصِيرُ فِي مَسِيرَةِ يَوْمٍ[١]؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ فِي مَسِيرَةِ يَوْمٍ لَمَا وَجَبَ فِي مَسِيرَةِ سَنَةٍ[٢]، وَذٰلِكَ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَكُونُ بَعْدَ هٰذَا الْيَوْمِ فَإِنَّمَا هُوَ نَظِيرُ هٰذَا الْيَوْمِ، فَلَوْ لَمْ يَجِبْ فِي هٰذَا الْيَوْمِ لَمَا وَجَبَ فِي نَظِيرِهِ إِذَا كَانَ نَظِيرُهُ مِثْلَهُ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا.

فَإِنْ قَالَ: قَدْ يَخْتَلِفُ السَّيْرُ[٣] فَلِمَ جَعَلْتَ أَنْتَ[٤] مَسِيرَةَ يَوْمٍ ثَمَانِيَةَ فَرَاسِخَ؟ قِيلَ: لِأَنَّ ثَمَانِيَةَ فَرَاسِخَ هِيَ مَسِيرُ الْجِمَالِ وَالْقَوَافِلِ وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَسِيرُهُ الْجَمَّالُونَ وَالْمُكَارُونَ[٥][٦].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ تُرِكَ[٧] تَطَوُّعُ[٨] النَّهَارِ وَلَا يُتْرَكُ تَطَوُّعُ اللَّيْلِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ كُلَّ صَلَاةٍ لَا تَقْصِيرَ فِيهَا فَلَا تَقْصِيرَ فِي تَطَوُّعِهَا، وَذٰلِكَ أَنَّ الْمَغْرِبَ لَا تَقْصِيرَ فِيهَا فَلَا تَقْصِيرَ فِيمَا بَعْدَهَا مِنَ التَّطَوُّعِ، وَكَذٰلِكَ الْغَدَاةُ لَا تَقْصِيرَ فِيمَا قَبْلَهَا مِنَ التَّطَوُّعِ.

فَإِنْ قَالَ: فَمَا بَالُ الْعَتَمَةِ مُقَصَّرَةٌ وَلَيْسَ تُتْرَكُ رَكْعَتَاهَا؟ قِيلَ: إِنَّ تِلْكَ الرَّكْعَتَيْنِ لَيْسَتَا مِنَ الْخَمْسِينَ، وَإِنَّمَا هِيَ زِيَادَةٌ فِي الْخَمْسِينَ تَطَوُّعاً لِيُتِمَّ بِهَا بَدَلَ كُلِّ رَكْعَةٍ مِنَ الْفَرِيضَةِ رَكْعَتَيْنِ مِنَ النَّوَافِلِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَازَ[٩] لِلْمُسَافِرِ وَالْمَرِيضِ أَنْ يُصَلِّيَا صَلَاةَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ؟ قِيلَ: لِاشْتِغَالِهِ وَضَعْفِهِ لِيُحْرِزَ صَلَاتَهُ، فَيَسْتَرِيحَ الْمَرِيضُ فِي وَقْتِ رَاحَتِهِ، وَيَشْتَغِلَ الْمُسَافِرُ بِأَشْغَالِهِ وَارْتِحَالِهِ وَسَفَرِهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ؟ قِيلَ: لِيَشْفَعُوا لَهُ وَيَدْعُوا لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَحْوَجَ إِلَى الشَّفَاعَةِ فِيهِ وَالطَّلَبِ[١٠] وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

---

١. في العيون: «في مسيرة يوم لا أكثر».

٢. في العلل: «مسيرة ألف سنة».

٣. في العلل مع زيادة: «وذلك أن سير البقر إنما هو أربعة فراسخ، وسير الفرس عشرين فرسخا».

٤. في العيون: «جعلت مسيرة».

٥. المُكاري والكَريّ: الذي يكريك دابته، راجع لسان العرب.

٦. في العلل: «هي سير الجمّال والقوافل وهو الغالب على المسير وهو أعظم السير الذي يسيره الجمّالون والمكارون».

٧. في العلل: «ترك في السفر».

٨. صلاة التطوع: النافلة، راجع تاج العروس.

٩. في العلل: «فلم وجب».

١٠. في العلل: «والدعاء».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتْ خَمْسُ تَكْبِيرَاتٍ دُونَ أَنْ يُكَبَّرَ أَرْبَعاً أَوْ سِتّاً[١]؟ قِيلَ: إِنَّ الْخَمْسَ إِنَّمَا أُخِذَتْ مِنَ الْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

أقول:

في العلل: «وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّلَاةِ تَكْبِيرَةٌ مَفْرُوضَةٌ إِلَّا تَكْبِيرَةُ الِافْتِتَاحِ، فَجُمِعَتِ التَّكْبِيرَاتُ الْمَفْرُوضَاتُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَجُعِلَتْ صَلَاةً عَلَى الْمَيِّتِ».

ولنرجع على المشترك:

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ[٢] إِنَّمَا يُرِيدُ بِهٰذِهِ الصَّلَاةِ الشَّفَاعَةَ لِهٰذَا الْعَبْدِ الَّذِي قَدْ تَخَلَّى مِمَّا خَلَّفَ وَاحْتَاجَ إِلَى مَا قَدَّمَ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرَ بِغُسْلِ الْمَيِّتِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ النَّجَاسَةَ وَالْآفَةَ وَالْأَذَى، فَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ طَاهِراً إِذَا بَاشَرَ أَهْلَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَلُونَهُ وَيُمَاسُّونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ نَظِيفاً، مُوَجَّهاً بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ مِنْ مَيِّتٍ[٣] يَمُوتُ إِلَّا خَرَجَتْ مِنْهُ الْجَنَابَةُ، فَلِذٰلِكَ أَيْضاً وَجَبَ الْغُسْلُ[٤].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِكَفْنِ الْمَيِّتِ؟ قِيلَ: لِيَلْقَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَاهِرَ الْجَسَدِ، وَلِئَلَّا تَبْدُوَ عَوْرَتُهُ لِمَنْ يَحْمِلُهُ وَيَدْفِنُهُ، وَلِئَلَّا يَظْهَرَ النَّاسُ عَلَى بَعْضِ حَالِهِ وَقُبْحِ مَنْظَرِهِ، وَلِئَلَّا يَقْسُوَ الْقَلْبُ مِنْ كَثْرَةِ النَّظَرِ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ لِلْعَاهَةِ[٥] وَالْفَسَادِ، وَلِيَكُونَ أَطْيَبَ لِأَنْفُسِ الْأَحْيَاءِ، وَلِئَلَّا يُبْغِضَهُ حَمِيمٌ[٦] فَيُلْقِيَ ذِكْرَهُ وَمَوَدَّتَهُ فَلَا يَحْفَظَهُ فِيمَا خَلَّفَ وَأَوْصَاهُ وَأَمَرَ بِهِ وَأَحَبَّ[٧].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِدَفْنِهِ؟ قِيلَ: لِئَلَّا يَظْهَرَ النَّاسُ عَلَى فَسَادِ جَسَدِهِ وَقُبْحِ مَنْظَرِهِ وَتَغَيُّرِ رِيحِهِ وَلَا يَتَأَذَّى بِهِ الْأَحْيَاءُ بِرِيحِهِ وَبِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَةِ وَالْفَسَادِ[٨]، وَلِيَكُونَ مَسْتُوراً عَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ فَلَا يَشْمَتَ عَدُوٌّ وَلَا يَحْزَنَ صَدِيقٌ[٩].

---

١. في العلل: «دون أن تصير أربعا أو ستا».

٢. في العلل مع زيادة: «لم يكن يريد بهذه الصلاة التذلّل والخضوع إنما أُريد بها الشفاعة».

٣. في العلل: «وقد روى عن بعض الأئمة عليهم السلام أنه قال: ليس من ميت ...».

٤. **نقول:** يظهر من بعض الروايات أنه إذا مات الإنسان يخرج منه شيء شبيه النطفة، إما من فرجه أو فمه أو عينه، ولا يجب أن تكون بصفات المني، والحكم هنا أيضا من باب الحكمة لا العلة فلا يجب كونه في جميع الناس حتى الأطفال الصغار.

٥. العاهة: الآفة، راجع لسان العرب.

٦. الحميم: القريب، راجع لسان العرب.

٧. قد اضطربت النسخ في هذه الجملة، ففي العيون: «وأمر به واجبا كان أو ندبا»، وفي العلل: «أمر به واجب»، وفي بعض نسخ الكتاب: «أمر به بواجب». (هامش المطبوع، نقلا عن مصطفى الطباطبائي القمي)

٨. في العلل: «من الآفة والدنس والفساد».

٩. في العيون: «فلا يشمت عدوه ولا يحزن صديقه».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرَ مَنْ يَغْسِلُهُ بِالْغُسْلِ؟ قِيلَ: لِعِلَّةِ الطَّهَارَةِ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ نَضْحِ[١] الْمَيِّتِ، لِأَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ الرُّوحُ بَقِيَ مِنْهُ أَكْثَرُ آفَتِهِ[٢].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَمْ يَجِبِ الْغُسْلُ عَلَى مَنْ مَسَّ شَيْئاً مِنَ الْأَمْوَاتِ غَيْرِ الْإِنْسَانِ كَالطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ؟ قِيلَ: لِأَنَّ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مُلَبَّسَةٌ رِيشاً وَصُوفاً وَشَعَراً وَوَبَراً وَهٰذَا كُلُّهُ ذَكِيٌّ[٣] وَلَا يَمُوتُ، وَإِنَّمَا يُمَاسُّ مِنْهُ الشَّيْءُ الَّذِي هُوَ ذَكِيٌّ مِنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ.

أقول:

في العلل: «الَّذِي قَدْ أُلْبِسَهُ وَعَلَاهُ. فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَوَّزْتُمُ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَيِّتِ بِغَيْرِ وُضُوءٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا رُكُوعٌ وَلَا سُجُودٌ، وَإِنَّمَا هِيَ دُعَاءٌ وَمَسْأَلَةٌ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتَسْأَلَهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتَ، وَإِنَّمَا يَجِبُ الْوُضُوءُ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ»[٤].

ولنرجع إلى المشترك:

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَوَّزْتُمُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَبَعْدَ الْفَجْرِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ هٰذِهِ الصَّلَاةَ إِنَّمَا تَجِبُ فِي وَقْتِ الْحُضُورِ وَالْعِلَّةِ، وَلَيْسَتْ هِيَ مُوَقَّتَةً كَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ، وَإِنَّمَا هِيَ صَلَاةٌ تَجِبُ فِي وَقْتِ حُدُوثِ الْحَدَثِ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ اخْتِيَارٌ، وَإِنَّمَا هُوَ حَقٌّ يُؤَدَّى، وَجَائِزٌ أَنْ يُؤَدَّى الْحُقُوقُ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْحَقُّ مُوَقَّتاً.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتْ لِلْكُسُوفِ صَلَاةٌ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُدْرَى أَ لِرَحْمَةٍ ظَهَرَتْ أَمْ لِعَذَابٍ؟ فَأَحَبَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَنْ تَفْزَعَ أُمَّتُهُ إِلَى خَالِقِهَا وَرَاحِمِهَا عِنْدَ ذٰلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُمْ شَرَّهَا وَيَقِيَهُمْ مَكْرُوهَهَا[٥]، كَمَا صَرَفَ عَنْ قَوْمِ يُونُسَ حِينَ تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتْ عَشْرَ رَكَعَاتٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي نَزَلَ فَرْضُهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَوَّلاً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَإِنَّمَا هِيَ عَشْرُ رَكَعَاتٍ فَجُمِعَتْ تِلْكَ الرَّكَعَاتُ هَاهُنَا؛ وَإِنَّمَا جُعِلَ فِيهَا السُّجُودُ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ صَلَاةٌ فِيهَا رُكُوعٌ إِلَّا وَفِيهَا

---

١. النضْح: الرشّ والبلّ، راجع المغرب.

٢. في العلل مع زيادة : «ولئلا يلهج الناس به وبمماسّته، إذ قد غلبت علة النجاسة والآفة».

٣. في العيون: «ذكيّ طاهر».

٤. ظاهر العبارة أن قوله: «الذي قد أُلبسه» إلى قوله: «ركوع وسجود» مختص بالعلل وليس في العيون، ولكن في العيون المطبوع لم يسقط شيء غير قوله: «الذي قد أُلبسه وعلاه». (هامش المطبوع، نقلا عن مصطفى الطباطبائي القمي)

٥. **نقول:** عند كسوف الشمس يظهر منها تيّارات وأمواج وأشعة خاصة ربما يكون لها آثار سلبية، ولذا يؤكد العلماء على ترك النظر إليها حينئذ، فإنه ربما يوجب العمى، والنظر إليها عند عدم الكسوف ليس كذلك، ولا بعد في وجود الآثار السلبية وان لم يعرف العلماء إلى الآن جميع ذلك.

سُجُودٌ، وَلِأَنْ يَخْتِمُوا صَلَاتَهُمْ أَيْضاً بِالسُّجُودِ وَالْخُضُوعِ[١]، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ لِأَنَّ كُلَّ صَلَاةٍ نَقَصَ سُجُودُهَا مِنْ أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ لَا تَكُونُ صَلَاةً لِأَنَّ أَقَلَّ الْفَرْضِ مِنَ السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ[٢].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ لَمْ يُجْعَلْ بَدَلُ الرُّكُوعِ سُجُوداً؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّلَاةَ قَائِماً أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ قَاعِداً، وَلِأَنَّ الْقَائِمَ يَرَى الْكُسُوفَ وَالِانْجِلَاءَ[٣] وَالسَّاجِدُ لَا يَرَى.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ غُيِّرَتْ عَنْ أَصْلِ الصَّلَاةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ صَلَّى لِعِلَّةٍ تَغَيُّرِ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَهُوَ الْكُسُوفُ، فَلَمَّا تَغَيَّرَتِ الْعِلَّةُ تَغَيَّرَ الْمَعْلُولُ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ يَوْمُ الْفِطْرِ الْعِيدَ؟ قِيلَ: لِأَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ مَجْمَعاً يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَيَبْرُزُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَحْمَدُونَهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْهِمْ، فَيَكُونَ يَوْمَ عِيدٍ، وَيَوْمَ اجْتِمَاعٍ، وَيَوْمَ فِطْرٍ، وَيَوْمَ زَكَاةٍ، وَيَوْمَ رَغْبَةٍ، وَيَوْمَ تَضَرُّعٍ؛ وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ يَحِلُّ فِيهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، لِأَنَّ أَوَّلَ شُهُورِ السَّنَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ مَجْمَعٌ يَحْمَدُونَهُ فِيهِ وَيُقَدِّسُونَهُ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ التَّكْبِيرُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ التَّكْبِيرَ إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، وَتَمْجِيدٌ عَلَى مَا هَدَى[٤] وَعَافَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ فِيهَا اثْنَا عَشَرَ[٦] تَكْبِيرَةً؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي رَكْعَتَيْنِ[٧] اثْنَا عَشَرَ تَكْبِيرَةً، فَلِذٰلِكَ جُعِلَ فِيهَا اثْنَاعَشَرَ تَكْبِيرَةً.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ سَبْعٌ فِي الْأُولَى وَخَمْسٌ فِي الْآخِرَةِ[٨] وَلَمْ يُسَوَّ بَيْنَهُمَا؟ قِيلَ: لِأَنَّ السُّنَّةَ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِسَبْعِ تَكْبِيرَاتٍ فَلِذٰلِكَ بُدِئَ هَاهُنَا بِسَبْعِ تَكْبِيرَاتٍ، وَجُعِلَ فِي الثَّانِيَةِ خَمْسُ تَكْبِيرَاتٍ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ مِنَ التَّكْبِيرِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسُ تَكْبِيرَاتٍ، وَلِيَكُونَ التَّكْبِيرُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَمِيعاً وَتْراً وَتْراً.

---

١. في العلل: «بالسجود والخضوع والخشوع».

٢. **نقول:** عدم وجود أزيد من السجدتين في صلوة الوتر إنما هو من باب الاستثناء، فإنه ما من عام إلا وله استثنائات حتى نفس هذا العموم!

٣. انجلى الظلام: إذا انكشف، راجع لسان العرب.

٤. في العلل: «تحميد على ما هدى».

٥. البقرة/١٨٥.

٦. الظاهر صحيحه: «اثنتا عشرة» وكذا في الموضعين التاليين.

٧. في العلل: «الركعتين»، وفي العيون: «في كل ركعتين».

٨. في العلل: «في الأُولى سبع وخمس في الثانية»، وفي العيون: «سبع تكبيرات في الأُولى وخمس في الثانية».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالصَّوْمِ؟ قِيلَ: لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَيَسْتَدِلُّوا عَلَى فَقْرِ الْآخِرَةِ، وَلِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً، ذَلِيلاً، مُسْتَكِيناً، مَأْجُوراً، مُحْتَسِباً، عَارِفاً، صَابِراً لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الِانْكِسَارِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَرَائِضاً لَهُمْ عَلَى أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ، وَدَلِيلاً فِي الْآجِلِ[1]، وَلِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذٰلِكَ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا فَيُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ.

فَإِنْ قَالَ: لِمَ جُعِلَ الصَّوْمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الشُّهُورِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الْقُرْآنَ، وَفِيهِ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[2] وَفِيهِ نُبِّئَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَفِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَهِيَ رَأْسُ السَّنَةِ، يُقَدَّرُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ، أَوْ مَضَرَّةٍ، أَوْ مَنْفَعَةٍ، أَوْ رِزْقٍ، أَوْ أَجَلٍ، وَلِذٰلِكَ سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ لَا أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ قُوَّةُ الْعِبَادِ الَّتِي يُعَمُّ فِيهَا الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَإِنَّمَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَرَائِضَ عَلَى أَغْلَبِ الْأَشْيَاءِ وَأَعَمِّ الْقُوَى[3]، ثُمَّ رَخَّصَ لِأَهْلِ الضَّعْفِ، وَرَغَّبَ أَهْلَ الْقُوَّةِ فِي الْفَضْلِ، وَلَوْ كَانُوا يَصْلُحُونَ عَلَى أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ لَنَقَصَهُمْ، وَلَوِ احْتَاجُوا إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ لَزَادَهُمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي؟ قِيلَ: لِأَنَّهَا فِي حَدِّ النَّجَاسَةِ، فَأَحَبَّ أَنْ لَا تَعْبُدَ إِلَّا طَاهِراً، وَلِأَنَّهُ لَا صَوْمَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ صَارَتْ تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ شَتَّى:

فَمِنْهَا: أَنَّ الصِّيَامَ لَا يَمْنَعُهَا مِنْ خِدْمَةِ نَفْسِهَا وَخِدْمَةِ زَوْجِهَا، وَإِصْلَاحِ بَيْتِهَا وَالْقِيَامِ بِأُمُورِهَا، وَالِاشْتِغَالِ بِمَرَمَّةِ مَعِيشَتِهَا، وَالصَّلَاةُ تَمْنَعُهَا مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَكُونُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِرَاراً، فَلَا تَقْوَى عَلَى ذٰلِكَ، وَالصَّوْمُ لَيْسَ كَذٰلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا عَنَاءٌ[4] وَتَعَبٌ وَاشْتِغَالُ الْأَرْكَانِ، وَلَيْسَ فِي الصَّوْمِ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَيْسَ فِيهِ اشْتِغَالُ الْأَرْكَانِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَقْتٍ يَجِيءُ إِلَّا تَجِبُ عَلَيْهَا فِيهِ صَلَاةٌ جَدِيدَةٌ فِي يَوْمِهَا وَلَيْلَتِهَا وَلَيْسَ الصَّوْمُ كَذٰلِكَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلَّمَا حَدَثَ يَوْمٌ وَجَبَ عَلَيْهَا الصَّوْمُ، وَكُلَّمَا حَدَثَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَجَبَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ.

---

١. في العيون: «ودليلا لهم في الآجل»، وفي العلل: «ودليلا لهم في الأجر».

٢. البقرة/١٨٥.

٣. في نسخة: القوم. (هامش المطبوع)

٤. العناء: التعب، راجع شمس العلوم.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ إِذَا مَرِضَ الرَّجُلُ أَوْ سَافَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَفَرِهِ أَوْ لَمْ يُفِقْ مِنْ مَرَضِهِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانٍ آخَرُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ لِلْأَوَّلِ وَسَقَطَ الْقَضَاءُ، فَإِذَا أَفَاقَ بَيْنَهُمَا أَوْ أَقَامَ وَلَمْ يَقْضِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْفِدَاءُ؟ قِيلَ: لِأَنَّ ذٰلِكَ الصَّوْمَ إِنَّمَا وَجَبَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي ذٰلِكَ الشَّهْرِ، فَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُفِقْ فَإِنَّهُ لَمَّا أَنْ مَرَّ عَلَيْهِ السَّنَةُ كُلُّهَا وَقَدْ غَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ السَّبِيلَ إِلَى أَدَائِهِ سَقَطَ عَنْهُ، وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَا غَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِثْلَ الْمُغْمَى الَّذِي يُغْمَى عَلَيْهِ يَوْماً وَلَيْلَةً فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُ الصَّلَاةِ، كَمَا قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «كُلُّ مَا غَلَبَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ فَهُوَ أَعْذَرُ لَهُ»، لِأَنَّهُ دَخَلَ الشَّهْرَ وَهُوَ مَرِيضٌ فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الصَّوْمُ فِي شَهْرِهِ وَلَا سَنَتِهِ لِلْمَرَضِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ صَوْمٌ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَدَاءَهُ فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ... فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾[1]، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[2]، فَأَقَامَ الصَّدَقَةَ مَقَامَ الصِّيَامِ إِذَا عَسُرَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِذْ ذَاكَ فَهُوَ الْآنَ يَسْتَطِيعُ؟ قِيلَ لَهُ: لِأَنَّهُ لَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانٍ آخَرُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ لِلْمَاضِي، لِأَنَّهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ صَوْمٌ فِي كَفَّارَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْهُ فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ، وَإِذَا وَجَبَ الْفِدَاءُ سَقَطَ الصَّوْمُ، وَالصَّوْمُ سَاقِطٌ وَالْفِدَاءُ لَازِمٌ، فَإِنْ أَفَاقَ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَصُمْهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ لِتَضْيِيعِهِ وَالصَّوْمُ لِاسْتِطَاعَتِهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ صَوْمُ السُّنَّةِ؟ قِيلَ: لِيَكْمُلَ بِهِ صَوْمُ الْفَرْضِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؟ وَفِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَوْماً؟ قِيلَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3]، فَمَنْ صَامَ فِي كُلِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَوْماً فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ كَمَا قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ»: «صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ فَمَنْ وَجَدَ شَيْئاً غَيْرَ الدَّهْرِ فَلْيَصُمْهُ».

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ أَوَّلَ خَمِيسٍ مِنَ الْعَشْرِ الْأُوَلِ، وَآخِرَ خَمِيسٍ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ، وَأَرْبِعَاءَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ؟ قِيلَ: أَمَّا الْخَمِيسُ فَإِنَّهُ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «يُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ أَعْمَالُ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ[4]»، فَأَحَبَّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلُ الْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَائِمٌ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ آخِرَ خَمِيسٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ إِذَا عُرِضَ عَمَلُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ وَالْعَبْدُ صَائِمٌ كَانَ أَشْرَفَ وَأَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ وَهُوَ صَائِمٌ، وَإِنَّمَا جُعِلَ أَرْبِعَاءُ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ، لِأَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ

---

١. المجادلة/٤.

٢. البقرة/١٩٦.

٣. الأنعام/١٦٠.

٤. في نسخة: على اللّه. (هامش المطبوع)

النَّارَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَفِيهِ أَهْلَكَ اللَّهُ الْقُرُونَ الْأُولَى، وَهُوَ يَوْمُ نَحْسٍ مُسْتَمَرٍّ، فَأَحَبَّ أَنْ يَدْفَعَ الْعَبْدُ عَنْ نَفْسِهِ نَحْسَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ بِصَوْمِهِ[١].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ فِي الْكَفَّارَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يَجِدْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ الصِّيَامُ دُونَ الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهِمَا؟ قِيلَ: لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالْحَجَّ وَسَائِرَ الْفَرَائِضِ مَانِعَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنَ التَّقَلُّبِ[٢] فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَمَصْلَحَةِ مَعِيشَتِهِ، مَعَ تِلْكَ الْعِلَلِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الْحَائِضِ الَّتِي تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ صَوْمُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، دُونَ أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ شَهْرٌ وَاحِدٌ أَوْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ؟ قِيلَ: لِأَنَّ الْفَرْضَ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ شَهْرٌ وَاحِدٌ فَضُوعِفَ هٰذَا الشَّهْرُ فِي الْكَفَّارَةِ[٣] تَوْكِيداً وَتَغْلِيظاً عَلَيْهِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَتْ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قِيلَ: لِئَلَّا يَهُونَ عَلَيْهِ الْأَدَاءُ فَيَسْتَخِفَّ بِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا قَضَاهُ مُتَفَرِّقاً هَانَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ[٤].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرَ بِالْحَجِّ؟ قِيلَ: لِعِلَّةِ الْوِفَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ الْعَبْدُ تَائِباً مِمَّا مَضَى، مُسْتَأْنِفاً لِمَا يَسْتَقْبِلُ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَتَعَبِ الْأَبْدَانِ، وَالِاشْتِغَالِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَحَظْرِ الْأَنْفُسِ عَنِ اللَّذَّاتِ، شَاخِصاً[٥] فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، ثَابِتاً ذٰلِكَ عَلَيْهِ، دَائِماً مَعَ الْخُضُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّذَلُّلِ، مَعَ مَا فِي ذٰلِكَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمَنَافِعِ.

أقول:

في العلل: «كُلُّ ذٰلِكَ لِطَلَبِ الرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ والرَّهْبَةِ مِنْهُ، وتَرْكِ قَسَاوَةِ الْقَلْبِ وخَسَارَةِ الْأَنْفُسِ، وَنِسْيَانِ الذِّكْرِ، وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ، وَتَجْدِيدِ الْحُقُوقِ، وَحَظْرِ الْأَنْفُسِ عَن الْفَسَادِ، مَعَ مَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ لِجَمِيعِ مَنْ» «المشترك»: فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَمَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّنْ يَحِجُّ وَمِمَّنْ لَا يَحِجُّ مِنْ بَيْنِ تَاجِرٍ، وَجَالِبٍ[٦]، وَبَائِعٍ، وَمُشْتَرٍ، وَكَاسِبٍ، وَمِسْكِينٍ، وَمُكَارٍ، وَفَقِيرٍ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِ أَهْلِ الْأَطْرَافِ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنِ لَهُمُ الِاجْتِمَاعُ فِيهَا، مَعَ

---

١. **نقول:** يظهر من بعض الآيات القرآنية ومن روايات متعددة أن السعد والنحس في الأيام أمران واقعيان، والظاهر أنهما مرتبطان بما وقع فيهما من الحوادث السعيدة أو المنحوسة ثم صار هذا من آثارهما، ولكن لا يجوز التعدي عما ورد في النصوص واتباع ما يعتقده العوام في ذلك لأنهم أهل الإفراط غالبا، كما أنه لابد من إسناد هذه الآثار كلها إلى مشية اللَّه تعالى، فيجوز دفعها بالخيرات والتضرع إلى اللَّه تعالى وفعل ما يتقرب به إليه.

٢. التقلب: التصرف، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

٣. في العيون: «في هذا الشهر في كفّارته».

٤. في العلل مع زيادة: «واستخفّ بالإيمان».

٥. شاخصا: مسافرا، راجع لسان العرب.

٦. الجالب: الذي يجلب المتاع إلى البلاد، راجع لسان العرب (مادة عمد).

مَا فِيهِ مِنَ التَّفَقُّهِ وَنَقْلِ أَخْبَارِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام إِلَى كُلِّ صُقْعٍ[١] وَنَاحِيَةٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢] ﴿وَلِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[٣].

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِحَجَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ؟ قِيلَ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ الْفَرَائِضَ عَلَى أَدْنَى الْقَوْمِ قُوَّةً، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٤] يَعْنِي شَاةً لِيَسَعَ لَهُ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَكَذٰلِكَ سَائِرُ الْفَرَائِضِ إِنَّمَا وُضِعَتْ عَلَى أَدْنَى الْقَوْمِ قُوَّةً، وَكَانَ مِنْ تِلْكَ الْفَرَائِضِ الْحَجُّ الْمَفْرُوضُ وَاحِداً، ثُمَّ رَغَّبَ بَعْدُ أَهْلَ الْقُوَّةِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالتَّمَتُّعِ إِلَى الْحَجِ[٥]؟ قِيلَ: ﴿ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٦] لِأَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَلَا يَطُولَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمُ الْفَسَادُ، وَأَنْ يَكُونَ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ وَاجِبَيْنِ جَمِيعاً فَلَا تُعَطَّلَ الْعُمْرَةُ وَلَا تَبْطُلَ، وَلَا يَكُونَ الْحَجُّ مُفْرَداً مِنَ الْعُمْرَةِ وَيَكُونَ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ وَتَمْيِيزٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ وَلَوْ لَا أَنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ سَاقَ الْهَدْيَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُحِلَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ لَفَعَلَ كَمَا أَمَرَ النَّاسَ، وَلِذٰلِكَ قَالَ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَفَعَلْتُ كَمَا أَمَرْتُكُمْ، وَلَكِنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَيْسَ لِسَائِقِ الْهَدْيِ أَنْ يُحِلَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَخْرُجُ حُجَّاجاً وَرُؤُوسُنَا تَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُؤْمِنَ بِهٰذَا أَبَداً».

أقول:

ليس في العلل قوله: «وقال النبي صلى الله عليه وآله» إلى قوله: «لن تؤمن بهذا»، وهو موجود في العيون، وفي العلل مكانه زيادة ليست فيه وهي هذه: «وَيَكُونَ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ وَتَمْيِيزٌ، وَأَنْ لَا يَكُونَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ مَحْظُوراً لِأَنَّ الْمُحْرِمَ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ قَدْ أَحَلَّ إِلَّا لِعِلَّةٍ، فَلَوْ لَا التَّمَتُّعُ لَمْ يَكُنْ لِلْحَاجِّ أَنْ يَطُوفَ لِأَنَّهُ إِنْ طَافَ أَحَلَّ وَفَسَدَ إِحْرَامُهُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ قَبْلَ أَدَاءِ الْحَجِّ، وَلِأَنْ يَجِبَ عَلَى النَّاسِ الْهَدْيُ وَالْكَفَّارَةُ فَيَذْبَحُونَ وَيَنْحَرُونَ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَلَا تَبْطُلُ هِرَاقَةُ[٧] الدِّمَاءِ وَالصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ».

---

١. الصقع: الناحية من البلاد والجهة والمحلة، راجع المصباح المنير.

٢. التوبة/١٢٢.

٣. الحج/٢٨.

٤. البقرة/١٩٦.

٥. في العيون: «بالتمتع بالعمرة إلى الحج»، وفي العلل: «بالتمتع في الحج».

٦. البقرة/١٧٨.

٧. هَراق الماء يُهَريقه هِراقة: صبّه، راجع لسان العرب.

ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين:

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جُعِلَ وَقْتُهَا عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ بِهٰذِهِ الْعِبَادَةِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا حَجَّتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَطَافَتْ بِهِ فِي هٰذَا الْوَقْتِ فَجَعَلَهُ سُنَّةً وَوَقْتاً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا النَّبِيُّونَ آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا حَجُّوا فِي هٰذَا الْوَقْتِ فَجُعِلَتْ سُنَّةً فِي أَوْلَادِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرُوا بِالْإِحْرَامِ؟ قِيلَ: لِأَنْ يَخْشَعُوا قَبْلَ دُخُولِ حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْنِهِ، وَلِئَلَّا يَلْهُوا وَيَشْتَغِلُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَيَكُونُوا جَادِّينَ فِيمَا فِيهِ، قَاصِدِينَ نَحْوَهُ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِنَبِيِّهِ، وَالتَّذَلُّلِ لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ قَصْدِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوِفَادَتِهِمْ إِلَيْهِ، رَاجِينَ ثَوَابَهُ، رَاهِبِينَ مِنْ عِقَابِهِ، مَاضِينَ نَحْوَهُ، مُقْبِلِينَ إِلَيْهِ بِالذُّلِّ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالْخُضُوعِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢١٧٥. علل الشرائع، عيون أخبار الرضا عليه السلام[١]: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبْدُوسٍ النَّيْسَابُورِيُّ الْعَطَّارُ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ـ لَمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ هٰذِهِ الْعِلَلَ ـ: أَخْبِرْنِي عَنْ هٰذِهِ الْعِلَلِ، أَ ذَكَرْتَهَا عَنِ الِاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِخْرَاجِ وَهِيَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَقْلِ، أَوْ هِيَ مِمَّا سَمِعْتَهُ وَرَوَيْتَهُ؟ فَقَالَ لِي: مَا كُنْتُ لِأَعْلَمَ مُرَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا فَرَضَ، وَلَا مُرَادَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِمَا شَرَعَ وَسَنَّ، وَلَا عِلَلَ[٢] ذٰلِكَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِي، بَلْ سَمِعْتُهَا مِنْ مَوْلَايَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، وَالشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ فَجَمَعْتُهَا. فَقُلْتُ: فَأُحَدِّثُ بِهَا عَنْكَ عَنِ الرِّضَا عليه السلام؟ قَالَ: نَعَمْ.

٢١٧٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٣]: وَحَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ شَاذَانَ النَّيْسَابُورِيُّ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، عَنْ عَمِّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ هٰذِهِ الْعِلَلَ مِنْ مَوْلَايَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام مُتَفَرِّقَةً، فَجَمَعْتُهَا وَأَلَّفْتُهَا.

بيان:

قوله: «منها: أنّ من لم يقرّ» أقول: لعلّ الفرق بين الوجه الأوّل والثاني هو أنّ المحذور في الوجه الأوّل عدم تحقّق الأفعال الحسنة، وعدم ترك الأفعال القبيحة وفي ذلك فساد الخلق وعدم بقائهم واختلال نظامهم، وفي الثاني المحذور عدم تحقّق الأمر والنهي اللذَين هما مقتضى حكمة الحكيم، فلو فرض الإتيان بالأفعال الحسنة والانتهاء عن الأعمال الفاحشة بدون أمر اللّه تعالى ونهيه أيضاً لتمّ الوجه الثاني بدون الأوّل، والفرق

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٧٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢١، ح ٢.

٢. في المصدرين: «و لا أُعلّل».

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢١.

بين الأوّل والثالث هو أنّ الأوّل جار في الأُمور الظاهرة بخلاف الثالث، فإنّه مختصّ بالأُمور الباطنة، فلو فرض أن يكون للناس حياء يردعهم عن إظهار الفواحش والظلم والفساد لتمّ الوجه الثالث أيضاً بخلاف الأوّل.

قوله: «فلو لم يجب عليهم معرفته» أي الرسول. قوله: «ثمّ اختلف همّهما» أقول: لعلّ المقصود نفي إمامة من كان في عصر الأئمّة عليهم السلام من أئمّة الضلال إذ كانت آراؤهم مخالفة لآراء أئمّتنا عليهم السلام، وأفعالهم مناقضة لأفعالهم؛ ويحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين إذ هم قائلون باجتهاد النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام في الأحكام، والاجتهاد مظنّة الاختلاف كما يقولون في أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية. ثمّ اعلم أنّ المراد بالإمامين الأميران على طائفة واحدة؛ أو اللذان تكون لهما الرئاسة العامّة وإلّا فينتقض باجتماع الأنبياء الكثيرين في عصر واحد في زمن بني إسرائيل.

قوله: «منها: أن يكونوا قاصدين» أقول: لعلّ المنظور في الوجه الأوّل عدم تعيين شيء للعبادة، لأنّه يحتمل أن يكون كلّ شيء ربّهم حتّى الأشياء التي لم يعبدها أحد، وفي الثاني إضلال الناس بعبادة الأصنام وأشباهها باحتمال أن تكون هي ربّهم؛ ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الأوّل هو أنّه لا بدّ لهم من معرفة ربّهم لتصحّ العبادة له ولا يمكنهم المعرفة بالكنه، وأقرب الوجوه التي تصل إليها عقول الخلق هو معرفته تعالى بأنّه لا يشبه شيئاً من الأشياء في ذاته وصفاته؛ ويحتمل أن يكون غرض السائل من الإقرار بأنّه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[1] الإقرار بجميع الصفات الثبوتيّة والسلبيّة، فإنّ جميعها راجعة إليه، داخلة فيه إجمالاً، ولعلّ هذا أظهر.

قوله: «لأنّ في الصلاة الإقرار بالربوبيّة» أقول: إمّا لأنّها مشتملة على الإقرار بالربوبيّة في ربّ العالمين، وعلى التوحيد في التشهّد، وعلى الإخلاص في ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[2]؛ وإمّا لأنّ أصل عبادته تعالى دون غيره خلع للأنداد وإقرار بالربوبيّة، وأمّا الزجر عن الفساد فلأنّ من خواصّ الصلاة أنّها تصلح صاحبها وتزجره عن الفساد، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[3]، ولا أقلّ إنّه في حال الصلاة ينزجر عن المعاصي وبعدها يستحيي عن ارتكاب كثير منها. واسم «كان» الضمير الراجع إلى المصلّي، وخبره الظرف، و«زاجراً» و«حاجزاً» منصوبان بالحاليّة[4].

---

١. الشورى/١١.

٢. الفاتحة/٥.

٣. العنكبوت/٤٥.

٤. ويحتمل زيادة كلمة «في» اشتباها من النسّاخ، أو كان في الأصل «زاجرا وحاجزا ومانعا» مرفوعات. (هامش المطبوع)

قوله عليه السلام: «ليسا هما في كلّ وقت باديين» أي لا يحصل فيهما الكثافة والقذارة مثل ما يحصل في الوجه واليدين.

قوله: «وذلك لأنّ الاستنجاء به ليس بفرض» أقول: لم يقيّد الفضل الاستنجاء بالماء حتّى يرد عليه إيراد الصدوق، مع أنّه يمكن تخصيصه بالمتعدّي، أو يقال: إنّ مراده الأعمّ من الوجوب التخييريّ، ويمكن توجيه كلامه بأنّ الفرض في عرف الحديث ما ثبت وجوبه بالقرآن، والاستنجاء لم يثبت وجوبه بنصّ القرآن حتّى يكون فرضاً؛ ويرد عليه: أنّ استعمال الفرض في الوجوب بالمعنى الأعمّ أيضاً شائع، وغاية الأمر أن يكون مجازاً في عرفهم وارتكابه لتوجيه الكلام مجوّز.

قوله: «وتعريفاً لمن جهل الوقت» يمكن تخصيصه بمن لا يمكنه العلم بدخول الوقت؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّه يتنبّه لاحتمال دخول الوقت فيحصل العلم به، مع أنّه سيأتي كثير من الأخبار الدالّة على جواز الاعتماد على المؤذّنين في دخول الوقت[1].

قوله: «مجاهراً بالإيمان» أي الصلاة كما قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[2] أو للتكلّم بالكلمتين[3].

قوله: «فجعل الأوّلين» يفهم منه أنّ التكبيرتين الأُوليين ليستا من الأذان، وإنّما هما من المقدّمات الخارجة عنه، وبه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة في ذلك.

قوله: «ليكون»[4] لعلّ الأظهر «وليكون».

قوله: «إنّما هو أداء» أي علّمهم طريق الشكر، أو حمد نفسه بدلاً عن خلقه.

وقوله: «وشكر» تخصيص بعد التعميم.

قوله: «وإقرار بأنّه هو الخالق» لأنّ المراد بالعالم ما يعلم به الصانع وهو كلّ ما سوى اللّه، وجمع ليدلّ على جميع أنواعه، فإذا كان تعالى خالق الجميع ومدبّرهم فيكون هو الواجب تعالى وغيره آثاره.

قوله: «استعطاف» لأنّ ذكره تعالى بالرحمانيّة والرحيميّة نوع من طلب الرحمة، بل أكمل أفراده.

قوله: «لأنّ التكبير في الركعة الأُولى» في العلل: «في الصلوات الأُول» وهو الصواب أي التكبيرات الافتتاحيّة، إذ الأُولى افتتاح للقراءة، والثانية افتتاح للركوع، والثالثة للسجود الأوّل، والرابعة للسجود الثاني، وهكذا إلى تمام الركعتين؛ وليست التكبيرات التي للرفع من الركوع والسجود بافتتاحيّة.

---

١. بحارالأنوار، كتاب الصلاة، باب أوقات الصلوات.

٢. البقرة/١٤٣.

٣. أي الشهادتين؛ ويحتمل أن يكون المراد بالإيمان مجموع الشهادتين والدعوة إلى الصلاة وإلى خير العمل. (هامش المطبوع)

٤. أي قوله: «ليكون في القيام عند القنوت».

قوله: «غلط الفضل» أقول: بل اشتبه على الصدوق «رحمه اللّه»، إذ الظاهر أنّ تكبيرة الافتتاح فريضة لقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1] ولذا تبطل الصلاة بتركها عمداً وسهواً، على أنّه يحتمل أن يكون مراده بالفرض الواجب كما مرّ، والعجب من الصدوق أنّه مع ذكره في آخر الخبر أنّ هذا العلل كلّها مأخوذة عن الرضا عليه السلام وتصريحه في سائر كتبه بأنّها مرويّة عنه عليه السلام كيف يجترئ على الاعتراض عليها؟ ولعلّه ظنّ أنّ الفضل أدخل بينها بعض كلامه، فما لا يوافق مذهبه يحمله على أنّه من كلام الفضل ويعترض عليه، وفيه أيضاً ما لا يخفى.

قوله: «إلى أن يصير في كلّ شيء أربعة أضعافه» أقول: هذه العبارة غير موجودة في العيون، وفيه: أنّه لا يوافق شيئاً من الأخبار المختلفة الواردة في آخر وقت العصر، فإنّه لم يرد في شيء من الأخبار أكثر من المثلين، ولعلّ فيه تصحيفاً، ولذا أسقطه في العيون.

قوله: «ولأنّ في وقت رفع اليدين» أقول: لعلّ المعنى أنّ في وقت ذكر اللّه تعالى يناسب التضرّع والابتهال، خصوصاً في وقت هذا الذكر المخصوص لأنّه وقت إحضار النيّة وإقبال القلب، فيكون التضرّع والابتهال أنسب، ولمّا كان هذا الوجه إنّما يناسب تكبيرة الاستفتاح ذكر لاطّراده في سائر التكبيرات وجهاً آخر على ما في العلل، ولعلّ التضرّع والابتهال في رفع اليدين إنّما هو لدلالته على اختصاص الكبرياء باللّه ونفيه عمّا سواه، وأنّه تعالى لا يدرك بالأخماس[2] والحواسّ الظاهرة والباطنة، كما سيأتي في علل الصلاة[3].

قوله: «فجعلت السنّة مثلي الفريضة» قال الوالد العلّامة «رحمه اللّه»: لأنّ الغالب في أحوال الناس أنّهم لا يمكنهم لتشبّثهم بعلائقهم إحضار القلب في أكثر من ثلث الصلاة، فلمّا صارت النافلة مثلي الفريضة أمكن تحصيل ثلث المجموع وهو يساوي عدد الفريضة.

قوله: «ولم تقصَّر لمكان الخطبتين» الأظهر أنّه لا يختصّ بالوجه الأخير، بل الغرض دفع توهّم أنّها صلاة مقصورة كصلاة السفر، وذلك لأنّ الخطبتين فيها بمنزلة الركعتين فليست بمقصورة، أو الغرض بيان عدم جواز إيقاعها في السفر بتوهّم أنّها صلاة مقصورة إذ الخطبة من شرائطها، فلا يتحقّق بدونها، ومعها ليست بمقصورة لأنّها بمنزلة الركعتين، ويمكن أن يقرأ «لم» بكسر اللام استفهاماً أي إنّما تقصّر العيد لمكان خطبتيه.

قوله: «والمنفعة» أقول: كأنّها معطوفة على «الأهوال»، ولا يبعد أن يكون الأهوال تصحيف الأحوال؛ وبعد ذلك في نسخ العلل زيادة ليست في العيون، وهي هذه: «وَلَا يَكُونُ الصَّائِرُ فِي الصَّلَاةِ مُنْفَصِلاً وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ غَيْرُهُ مِمَّنْ

---

١. المدّثّر/٣.

٢. الأخماس: الأصابع الخمس، راجع مجمع البحرين.

٣. بحار الأنوار، كتاب الصلاة، باب علل الصلاة ونوافلها وسننها.

يَؤُمُّ[١] النَّاسَ فِي غَيْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ». ولعلّه لإغلاقه وعدم وضوح معناه أسقطه عن العيون، ويمكن توجيهه بوجوه:

الأوّل: أن يكون المراد بيان كون حالة الخطبة حالة متوسّطة بين حالة الصلاة وغيرها فيكون تقدير الكلام: أنّه لا يكون الصائر في الصلاة أي المتلبّس بها منفصلاً عنها في غير يوم الجمعة، وفي يوم الجمعة في حال الخطبة كذلك، لأنّه كالداخل في الصلاة لاشتراط كثير من أحكام الصلاة فيها وكونها عوضاً عن الركعتين، وليس بداخل حقيقة فيها، وليس فاعل غير الصلاة يؤمّ الناس في غير يوم الجمعة ويوم الجمعة كذلك، لأنّ الإمام في الخطبة يؤمّ الناس من حيث يلزمهم الاجتماع إليه، والاستماع لكلامه كالاستماع لقراءته حال الصلاة، وليست الخطبة بصلاة حقيقة، فـ«الباء» في قوله: «بفاعل» زائدة، والضمير في «غيره» راجع إلى الصلاة بتأويل الفعل.

الثاني: أن يرجع المعنى إلى الأوّل ويوجّه العبارة بوجه آخر بأن يكون «وليس بفاعل» عطف تفسير لقوله: «منفصلاً»، ويكون قوله: «وغيره»[٢] حالاً لـ«الصائر»، وقوله: «ممّن يؤمّ» صفة لـ«غيره»، أو حالاً أُخرى لـ«الصائر»، وحاصل المعنى: أنّ الصائر في الصلاة الذي يكون غير إمام الجمعة ويؤمّ الناس في غير يوم الجمعة لا يكون منفصلاً عن الصلاة، غير فاعل لها بخلاف يوم الجمعة، فإنه كذلك في حال الخطبة، وليس في هذا الوجه شيء من التكلّفين السابقين.

الثالث: أن يكون «ممّن يؤمّ» خبر «كان»، وقوله: «منفصلاً» وقوله: «ليس بفاعل غيره» حالين لـ«الصائر»، فيكون لبيان علّة أُخرى للخطبة، والحاصل أنّه إنّما جعلت الخطبة لئلّا يكون الصائر في صلاة الجمعة حال كونه منفصلاً ممتازاً عن سائر الأئمّة، ولا يفعلها غيره ممّن يؤمّ الناس في غير الجمعة، إذ يشترط في الخطبة العلم بما يعظ الناس ويأمرهم به والعمل بها، ولا يشترك ذلك في سائر الأئمّة، وهذا وجه قريب، وإن كان فيه بُعدٌ ما لفظاً، بل الأظهر عندي أنّه كان في الأصل: «ليكون» أي إنّما جعلت الخطبة ليكون الإمام في تلك الصلاة منفصلاً ممتازاً، ولا يفعل تلك الصلاة غيره من أئمّة الصلوات في سائر الأيّام. وفي هذا الوجه وفي قوله: «فأراد أن يكون للأمير» إشعار بأنّ هذه الصلاة إنّما يفعلها الأُمراء أو المنصوبون من قبل الإمام عليه السلام.

الرابع: أن يكون قوله: «ممّن يؤمّ» متعلّقاً بقوله: «منفصلاً»، ويكون قوله: «وليس بفاعل غيره» تفسيراً لقوله: «منفصلاً»، ويكون حاصل الكلام: أنّه إنّما جعلت الخطبة لئلّا يكون المصلّي في يوم الجمعة منفصلاً عن المصلّي في غيره بأن يكون صلاته ركعتين، فإنّها مع الخطبتين بمنزلة أربع ركعات.

---

١. يؤمّ القوم: يتقدمهم [ويصلّي بهم إماما]، راجع لسان العرب.

٢. في الطبعة الحجريّة: «غيره»، وهو الصحيح.

قوله: «والخطبتان في الجمعة والعيدين بعد الصلاة» أقول: لم يذهب إلى هذا القول فيما علمنا أحد من علمائنا غيره في هذين الكتابين، وسيأتي القول في ذلك في بابه[١].

قوله: «فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد» في مناسبة هذا الأصل الحكم خفاء، ولعلّه مبنيّ على ما لا يصل إليه علمنا من المناسبات الواقعيّة، ويمكن أن يقال: لمّا كان الغالب في المسافرين الركبان، والقوافل المحملة المثقلة إنّما تقطع في بياض الأيّام[٢] القصار ثمانية فراسخ، والتكليف بحضور صلاة الجمعة يتعلّق بالركبان والمشاة، والغالب فيهم المشاة، والماشي يسير غالباً نصف الراكب، فلذا جعل هنا نصف ما جعل للمسافر؛ أو أنّ ليوم الجمعة أعمالاً أُخرى غير الصلاة، فجعل نصفه للصلاة ونصفه لسائر الأعمال، فلو وجب عليهم المسير أكثر من فرسخين لم يتيسّر له سائر الأعمال، واللّه يعلم.

قوله: «ليلقى ربّه طاهر الجسد» أي لا يصير جسده كثيفاً من تراب القبر وغيره، والمراد بملاقاة الربّ ملاقاة ملائكته ورحمته.

قوله: «لأنّ هذه الأشياء كلّها ملبّسة»، لعلّ المعنى أنّه لمّا كان غالب المماسّة فيها هكذا فلذا رفع الغسل من رأس، فلا يتوهّم منه وجوب الغسل بمسّ ما تحلّه الحياة منها.

قوله: «يرى الكسوف» أي آثاره من ضوء الشمس والقمر.

قوله: «فلمّا تغيّرت العلّة» أي المناسب لهذا العلّة الدالّة على نزول العذاب زيادة تضرّع واستكانة ليست في سائر الصلوات، فلذا زيد في ركوعاتها.

قوله: «لأنّ أوّل شهور السنة» علّة للتقييد بسنّة الأكل.

قوله: «لأنّه يكون في ركعتين اثنا عشر[٣] تكبيرة» أي مع تكبيرة القنوت.

قوله: «فلذلك جعل فيها» أي في القيام فقط، وإلّا فالمجموع أزيد بعدد ما زيد فيها.

ويقال: راض الفرس رياضاً ورياضة: ذلّله فهو رائض.

قوله: «وفيه فرق» أي في شهر رمضان بسبب نزول القرآن؛ ويحتمل إرجاع الضمير إلى القرآن.

قوله: «وفيه نبّئ محمّد صلّى اللّه عليه وآله» لعلّ النبوّة والوحي كان في شهر رمضان، والرسالة والأمر بالتبليغ كان في شهر رجب.

قوله: «لأنّه كان بمنزلة من وجب عليه صوم» أقول: لعلّ التعليل مبنيٌّ على أنّ وقت القضاء هو ما بين

---

١. بحار الأنوار، كتاب الصلاة، أبواب فضل يوم الجمعة، باب وجوب صلاة الجمعة وفضلها وشرائطها وآدابها وأحكامها.

٢. بياض يوم: يريد من الفجر إلى الغروب، راجع مجمع البحرين.

٣. الظاهر صحيحه: «اثنتا عشرة»، كما عرفت سابقا.

الرمضانين، إذ لا يجوز له التأخير اختياراً عنه، فلمّا كان فيما بين ذلك معذوراً سهّل اللّه عليه، وقبل منه الفداء، ولم يكن اللّه ليجمع عليه العوض والمعوّض، فلذا أسقط القضاء عنه بعد القدرة لانتقال فرضه إلى شيء آخر.

قوله: «لأنّه إذا عُرض عمل ثمانية أيّام» كذا في العيون؛ وفي العلل: «ثلاثة أيّام»، وعلى التقديرين يشكل فهمه، أمّا على الأوّل فيمكن توجيهه بوجهين:

الأوّل: أن يقال: العرض غير مختصّ بعمل الأُسبوع، بل يعرض عمل ما مرّ من الشهر في كلّ خميس، وإذا لم يكن في العشر الآخر خميسان فليس مورد هذه العلّة، وإذا كان فيه خميسان ففيه ثلاثة احتمالات: الأوّل: أن يكون الخميس الأوّل الحادي والعشرين، والخميس الثاني الثامن والعشرين؛ الثاني: أن يكون الخميس الثاني التاسع والعشرين؛ الثالث: أن يكون الخميس الثاني الثلاثين؛ وهذا الأخير أيضاً ليس بداخل في المفروض، لأنّ المفروض هو ما علم دخول خميسين فيه أوّلاً وهاهنا غير معلوم لاحتمال أن لا يكون للشهر سلخ[1] فبقي الاحتمالان الأوّلان، وفي الثاني منهما يكون استيعاب الخميس الأوّل لأعمال الشهر أكثر كالثاني فلذا خصّه بالذكر، فنقول: دخول أعمال الشهر إلى العشرين معلوم فيهما، فأمّا بعده فما يدخل في عرض الخميس الأوّل منه يومان أي يوم وبعض يوم، ويدخل في الثاني زائداً على هذا ثمانية أيّام أي سبعة أيّام وبعض يوم، فبعض الخميس الأوّل حسب من اليومين وبعضه من الثمانية؛ فالمراد بقوله: «إذا عرض عمل ثمانية أيّام» أي زائداً على ما سيأتي من اليومين، وعلى ما هو المعلوم دخوله فيهما من العشرين؛ على أنّه يحتمل أن يكون المعروض في الخميس عمل العشر فلا يحتاج إلى إضافة العشرين؛ ويمكن أن يقال: أُخذ في الخميس الأوّل أكثر محتملاته وفي الخميس الثاني أقلّ محتملاته استظهاراً وتأكيداً، إذ على ما قرّرنا أكثر محتملات الخميس الأوّل أن يدخل فيه عرض عمل يومين من العشر بأن يكون في الثاني والعشرين، وأقلّ محتملات الثاني أن يدخل فيه ثمانية بأن يكون الأوّل في الحادي والعشرين، وعلى هذا يندفع ويرتفع أكثر التكلّفات.

الثاني: أن يكون المعروض في الخميس عمل الأسبوع فقط، لكن لمّا خصّ كلّ عشر بصوم يوم كان الأنسب أن يكون ما يعرض في خميس العشر الآخر أكثر استيعاباً لأيّامه، فإذا عرض في الخميس الأوّل فما هو من احتماليه أكثر استيعاباً هو أن يشمل يومين منه كما مرّ بيانه، وإذا عرض في الخميس الثاني يستوعب ثمانية أيّام من ذلك العشر على كلّ احتمال من الاحتمالات فيكون أولى بالصوم؛ وأمّا على الثاني فيمكن توجيهه أيضاً بوجهين:

---

١. سَلْخ الشهر: آخره، راجع مجمع البحرين.

الأوّل: أنّه إذا لزمه صوم الخميس الثاني ففي بعض الشهور أي ما يكون سلخه الخميس يلزمه احتياطاً صوم خميسين، كما ورد في أخبار أُخر، فيعرض عمله في ثلاثة أيّام وهو صائم في بعض الأحيان[١] بخلاف ما إذا كان المستحبّ صوم الخميس الأوّل من العشر الآخر، فإنّه يكون دائماً عرض العمل في الشهر في يومين وهو صائم.

الثاني: أن يكون المقصود من السؤال بيان علّة جعل الخميس الثاني بعد الأربعاء سواء كان في العشر الوسط أو في العشر الأخير، وسواء كان الخميس الأوّل من العشر الأخير أو الثاني منه، فالمراد بالجواب أنّه إنّما جعل هذا الخميس بعد الأربعاء لأن يعرض فيه صوم ثلاثة أيّام في هذا الشهر، مع أنّه يكون في يوم العرض صائماً أيضاً، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف.

قوله: «واستخفّ بالإيمان»[٢] أي بأعماله، والمراد هنا الصوم وسائر ما تلزم فيه الكفّارة؛ ويحتمل أن يكون بفتح الهمزة بناءاً على إطلاق اليمين على النذر وأنّ كفّارته كذلك.

قوله: «لعلّة الوفادة» الوفد: القوم يجتمعون ويردون البلاد، الواحد وافد، وكذا من يقصد الأُمراء بالزيادة، والاسترفاد[٣] والانتجاع[٤]، يقال: وفد يفد وفادة.

قوله: «ثابتاً ذلك عليه دائماً» أي في مدّة مديدة زائداً على أزمنة سائر الطاعات.

قوله: «ولأن يجب على الناس الهدي» لعلّه مبنيّ على أنّ هدي التمتّع جبران لا نسك، فيكون قوله: «والكفّارة» عطف تفسير.

---

١. في نسخة: الأيام. (هامش المطبوع)

٢. هذه العبارة في العلل، كما ذكرناه سابقاً.

٣. الاسترفاد: الاستعانة، راجع لسان العرب.

٤. انتجعنا فلانا: إذا أتيناه نطلب معروفه، راجع لسان العرب.

﴿الفصل الثاني﴾

«ما ورد من ذلك برواية ابن سنان»

٢١٧٧. علل الشرائع[١]: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّبِيعِ الصَّحَّافِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ: أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام كَتَبَ إِلَيْهِ بِمَا فِي هٰذَا الْكِتَابِ جَوَابَ كِتَابِهِ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْهُ: جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُحِلَّ شَيْئاً وَلَمْ يُحَرِّمْهُ، لِعِلَّةٍ أَكْثَرَ مِنَ التَّعَبُّدِ لِعِبَادِهِ بِذٰلِكَ، قَدْ ضَلَّ مَنْ قَالَ ذٰلِكَ ضَلَالاً بَعِيداً وَخَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذٰلِكَ لَكَانَ جَائِزاً أَنْ يَسْتَعْبِدَهُمْ بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ حَتَّى يَسْتَعْبِدَهُمْ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ كُلِّهَا، وَالْإِنْكَارِ لَهُ وَلِرُسُلِهِ عليهم السلام وَكُتُبِهِ وَالْجُحُودِ بِالزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَتَحْرِيمِ ذَوَاتِ[٢] الْمَحَارِمِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا فَسَادُ التَّدْبِيرِ وَفَنَاءُ الْخَلْقِ، إِذِ الْعِلَّةُ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ التَّعَبُّدُ لَا غَيْرُهُ، فَكَانَ كَمَا أَبْطَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ قَوْلَ مَنْ قَالَ ذٰلِكَ أَنَّا وَجَدْنَا كُلَّ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَفِيهِ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَبَقَاؤُهُمْ، وَلَهُمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ الَّتِي لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهَا، وَوَجَدْنَا الْمُحَرَّمَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا حَاجَةَ لِلْعِبَادِ إِلَيْهِ وَوَجَدْنَاهُ مُفْسِداً دَاعِياً إِلَى الْفَنَاءِ وَالْهَلَاكِ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحَلَّ بَعْضَ مَا حَرَّمَ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ،[٣] نَظِيرَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُّ، لِمَا فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْعِصْمَةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ، فَكَيْفَ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُحِلَّ إِلَّا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ لِلْأَبْدَانِ، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ، وَكَذٰلِكَ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ وَأَدَّتْ عَنْهُ رُسُلُهُ وَحُجَجُهُ عليهم السلام كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ كَيْفَ كَانَ بَدْؤُ الْخَلْقِ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ. وَقَوْلُهُ عليه السلام: لَيْسَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ إِلَّا شَيْءٌ يَسِيرٌ، يُحَوِّلُهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَصِيرُ حَلَالاً وَحَرَاماً.

---

١. علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٩٢، ح ٤٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩٣، ح ٣٣١.

٢. في الفصول: «تحريم ركوب ذوات ...».

٣. إلى هنا تمت الرواية في الفصول.

بيان:

قوله: «بما في هذا الكتاب جواب كتابه إليه» هذا كلام الصدوق ولمّا فرّق في كتاب العلل هذه العلل الواردة في هذا الخبر على الأبواب المناسبة لها ذكر صدر الخبر وأشار إلى أنّ ما فرّقه كلّها من تتمّة هذا الخبر، ولعلّه أسقط هذا ممّا رواه في العيون اختصاراً، أو لم يكن هذا في بعض ما أورده هناك من الأسانيد.

قوله عليه السلام: «فكان كما أبطل اللّه» يحتمل أن يكون «أنّا وجدنا» اسم كان، و«كما أبطل اللّه» خبره، أي يبطل ذلك وجداننا كما يبطله صريح الآيات الدالّة على أنّ الأحكام الشرعيّة معلّلة بالحكم الكاملة؛ ويحتمل أن يكون «إنّا وجدنا» استئنافاً.

قوله عليه السلام: «كيف كان بدؤ الخلق» أي لأيّ علّة خلقهم، ولأيّ حكمة كلّفهم لم يختلفوا في أمثال تلك المسائل المتعلّقة بذلك. قوله عليه السلام: «يحوّله من شيء إلى شيء» أي اختلاف الأحوال والأوقات والأزمان يوجب تغيّر الحكم لتبدّل الحكمة، كحرمة الميتة في حال الاختيار وحلّيّتها في حال الاضطرار، وكحرمة الأجنبيّة بدون الصيغة وحلّيّتها معها، فظهر أنّ دقائق الحكم مرعيّة في كلّ حكم من الأحكام.

٢١٧٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام[1]: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ؛ وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ الدَّقَّاقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السِّنَانِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ وَالْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ الْمُكَتِّبُ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الرَّبِيعِ الصَّحَّافُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ؛ وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْمُجَاوِرُ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَرْقِيُّ بِالرَّيِّ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام كَتَبَ إِلَيْهِ فِي جَوَابِ مَسَائِلِهِ: عِلَّةُ غُسْلِ الْجَنَابَةِ النَّظَافَةُ وَتَطْهِيرُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ أَذَاهُ، وَتَطْهِيرُ سَائِرِ جَسَدِهِ لِأَنَّ الْجَنَابَةَ خَارِجَةٌ مِنْ كُلِّ جَسَدِهِ، فَلِذٰلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ تَطْهِيرُ جَسَدِهِ كُلِّهِ، وَعِلَّةُ التَّخْفِيفِ فِي الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ وَأَدْوَمُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَرَضِيَ فِيهِ بِالْوُضُوءِ لِكَثْرَتِهِ وَمَشَقَّتِهِ وَمَجِيئِهِ بِغَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْهُ وَلَا شَهْوَةٍ، وَالْجَنَابَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالِاسْتِلْذَاذِ مِنْهُمْ وَالْإِكْرَاهِ لِأَنْفُسِهِمْ.

وَعِلَّةُ غُسْلِ الْعِيدِ وَالْجُمُعَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْأَغْسَالِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَعْظِيمِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَاسْتِقْبَالِهِ الْكَرِيمَ الْجَلِيلَ، وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِ، وَلِيَكُونَ لَهُمْ يَوْمَ عِيدٍ مَعْرُوفٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَعَلَ فِيهِ الْغُسْلَ تَعْظِيماً لِذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَتَفْضِيلاً لَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَزِيَادَةً فِي النَّوَافِلِ وَالْعِبَادَةِ، وَلِيَكُونَ تِلْكَ طَهَارَةً لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٨٨، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب معرفة الكبائر، ص ٥٦٥، ح ٤٩٣٤؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٥، و ص ٥٠٦، ح ١؛ وفي الفقيه والعلل مقطعا، مع نقصان.

وَعِلَّةُ غُسْلِ الْمَيِّتِ أَنَّهُ يُغَسَّلُ لِأَنَّهُ يُطَهَّرُ وَيُنَظَّفُ مِنْ أَدْنَاسِ أَمْرَاضِهِ، وَمَا أَصَابَهُ مِنْ صُنُوفِ عِلَلِهِ لِأَنَّهُ يَلْقَى الْمَلَائِكَةَ وَيُبَاشِرُ أَهْلَ الْآخِرَةِ، فَيُسْتَحَبُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى اللَّهِ وَلَقِيَ أَهْلَ الطَّهَارَةِ وَيُمَاسُّونَهُ وَيُمَاسُّهُمْ أَنْ يَكُونَ طَاهِراً، نَظِيفاً، مُوَجَّهاً بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيُطْلَبَ بِهِ وَيُشْفَعَ لَهُ؛ وَعِلَّةٌ أُخْرَى أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْأَذَى[١] الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ فَيُجْنِبُ فَيَكُونُ غُسْلُهُ لَهُ؛ وَعِلَّةُ اغْتِسَالِ مَنْ غَسَلَهُ أَوْ مَسَّهُ فَظَاهِرَةٌ[٢] لِمَا أَصَابَهُ مِنْ نَضْحِ الْمَيِّتِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْهُ بَقِيَ أَكْثَرُ آفَةٍ[٣]، فَلِذٰلِكَ يُتَطَهَّرُ مِنْهُ وَيُطَهَّرُ.

وَعِلَّةُ الْوُضُوءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صَارَ غَسْلُ الْوَجْهِ وَالذِّرَاعَيْنِ وَمَسْحُ الرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ فَلِقِيَامِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِقْبَالِهِ إِيَّاهُ بِجَوَارِحِهِ الظَّاهِرَةِ، وَمُلَاقَاتِهِ بِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ؛ فَغَسْلُ الْوَجْهِ لِلسُّجُودِ وَالْخُضُوعِ، وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ لِيَقْلِبَهُمَا وَيَرْغَبَ بِهِمَا وَيَرْهَبَ[٤] وَيَتَبَتَّلَ، وَمَسْحُ الرَّأْسِ وَالْقَدَمَيْنِ لِأَنَّهُمَا ظَاهِرَانِ مَكْشُوفَانِ يَسْتَقْبِلُ بِهِمَا فِي حَالَاتِهِ، وَلَيْسَ فِيهِمَا مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّبَتُّلِ مَا فِي الْوَجْهِ وَالذِّرَاعَيْنِ.

وَعِلَّةُ الزَّكَاةِ مِنْ أَجْلِ قُوتِ الْفُقَرَاءِ وَتَحْصِينِ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ أَهْلَ الصِّحَّةِ الْقِيَامَ بِشَأْنِ أَهْلِ الزَّمَانَةِ[٥] وَالْبَلْوَى، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾[٦] بِتَوْطِينِ الْأَنْفُسِ[٧][٨] عَلَى الصَّبْرِ، مَعَ مَا فِي ذٰلِكَ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالطَّمَعِ فِي الزِّيَادَةِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ لِأَهْلِ الضَّعْفِ، وَالْعَطْفِ عَلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ، وَالْحَثِّ لَهُمْ عَلَى الْمُوَاسَاةِ وَتَقْوِيَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَعُونَةِ لَهُمْ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ، وَهُمْ عِظَةٌ لِأَهْلِ الْغِنَى، وَعِبْرَةٌ لَهُمْ لِيَسْتَدِلُّوا عَلَى فَقْرِ الْآخِرَةِ بِهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنَ الْحَثِّ فِي ذٰلِكَ عَلَى الشُّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا خَوَّلَهُمْ[٩] وَأَعْطَاهُمْ، وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْخَوْفِ مِنْ أَنْ يَصِيرُوا مِثْلَهُمْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ[١٠] وَالصَّدَقَاتِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ.

وَعِلَّةُ الْحَجِّ الْوِفَادَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَلَبُ الزِّيَادَةِ وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ، وَلِيَكُونَ تَائِباً مِمَّا مَضَى، مُسْتَأْنِفاً

---

١. في المصدر: «المني».

٢. في المصدر: «فطهارة».

٣. في المصدر: «أكثر آفته».

٤. الرهبة: الخوف والفزع، راجع لسان العرب.

٥. الزمانة: العاهة، راجع لسان العرب.

٦. في المصحف الشريف: ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران/١٨٦).

٧. وطّن نفسه على الشيء: حملها عليه، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر: «﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ في أموالكم بإخراج الزكاة وفي أنفسكم بتوطين الأنفس ...».

٩. خوّله اللّه نعمة: ملّكه إياها، راجع لسان العرب.

١٠. في المصدر: «في أداء الزكاة».

لِمَا يَسْتَقْبِلُ، وَمَا فِيهِ مِنِ اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَتَعَبِ الْأَبْدَانِ وَحَظْرِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ، وَالتَّقَرُّبِ بِالْعِبَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخُضُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالذُّلِّ، شَاخِصاً فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْخَوْفِ وَالْأَمْنِ، دَائِباً[١] فِي ذٰلِكَ دَائِماً، وَمَا فِي ذٰلِكَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهُ تَرْكُ قَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَجَسَارَةِ الْأَنْفُسِ[٢] وَنِسْيَانِ الذِّكْرِ وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ، وَتَجْدِيدُ الْحُقُوقِ، وَحَظْرُ النَّفْسِ عَنِ الْفَسَادِ، وَمَنْفَعَةُ مَنْ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَمَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّنْ يَحِجُّ وَمَنْ لَا يَحِجُّ مِنْ تَاجِرٍ وَجَالِبٍ وَبَائِعٍ وَمُشْتَرٍ وَكَاسِبٍ وَمِسْكِينٍ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ أَهْلِ الْأَطْرَافِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنِ لَهُمُ الِاجْتِمَاعُ فِيهَا كَذٰلِكَ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

وَعِلَّةُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ الْفَرَائِضَ عَلَى أَدْنَى الْقَوْمِ قُوَّةً، فَمِنْ تِلْكَ الْفَرَائِضِ الْحَجُّ الْمَفْرُوضُ وَاحِدٌ، ثُمَّ رَغَّبَ أَهْلَ الْقُوَّةِ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِمْ[٣].

وَعِلَّةُ وَضْعِ الْبَيْتِ وَسَطَ الْأَرْضِ أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ دُحِيَتِ الْأَرْضُ[٤]، وَكُلُّ رِيحٍ تَهُبُّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ، وَهِيَ أَوَّلُ بُقْعَةٍ وُضِعَتْ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّهَا الْوَسَطُ لِيَكُونَ الْفَرْضُ لِأَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي ذٰلِكَ سَوَاءً؛ وَسُمِّيَتْ مَكَّةُ مَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَمْكُونَ فِيهَا، وَكَانَ يُقَالُ لِمَنْ قَصَدَهَا: قَدْ مَكَا، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[٥] فَالْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، وَالتَّصْدِيَةُ: صَفْقُ الْيَدَيْنِ.

وَعِلَّةُ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٦] فَرَدُّوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هٰذَا الْجَوَابَ فَنَدِمُوا فَلَاذُوا[٧] بِالْعَرْشِ وَاسْتَغْفَرُوا، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَعَبَّدَ بِمِثْلِ ذٰلِكَ الْعِبَادُ، فَوَضَعَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ بَيْتاً بِحِذَاءِ[٨] الْعَرْشِ يُسَمَّى الضُّرَاحَ، ثُمَّ وَضَعَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَيْتاً يُسَمَّى الْمَعْمُورَ بِحِذَاءِ الضُّرَاحِ، ثُمَّ وَضَعَ هٰذَا الْبَيْتَ بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام فَطَافَ بِهِ فَتَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، فَجَرَى ذٰلِكَ فِي وُلْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَعِلَّةُ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مِيثَاقَ بَنِي آدَمَ الْتَقَمَهُ[٩] الْحَجَرُ، فَمِنْ ثَمَّ كَلَّفَ النَّاسَ تَعَاهُدَ ذٰلِكَ

---

١. دأب فلان في عمله: جدّ وتعب، راجع لسان العرب.

٢. في العلل: «خساسة الأنفس».

٣. في العلل: «على قدر طاعتهم».

٤. دحا اللّٰه الأرض: بسطها، راجع القاموس المحيط.

٥. الأنفال/٣٥.

٦. البقرة/٣٠.

٧. لاذ به: لجأ إليه، راجع لسان العرب.

٨. الحذاء: الإزاء والمقابل، راجع لسان العرب.

٩. التقمه: ابتلعه، راجع القاموس المحيط.

الْمِيثَاقِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ عِنْدَ الْحَجَرِ: أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُوَافَاةِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ سَلْمَانَ «رَحِمَهُ اللَّهُ»: لَيَجِيئَنَّ الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْمُوَافَاةِ.

وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَتْ مِنَى مِنَى أَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام قَالَ هُنَاكَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام: تَمَنَّ عَلَى رَبِّكَ مَا شِئْتَ، فَتَمَنَّى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَكَانَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ كَبْشاً يَأْمُرُهُ بِذَبْحِهِ فِدَاءاً لَهُ فَأُعْطِيَ مُنَاهُ.

وَعِلَّةُ الصَّوْمِ لِعِرْفَانِ مَسِّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ ذَلِيلاً مُسْتَكِيناً[١] مَأْجُوراً مُحْتَسِباً صَابِراً، وَيَكُونَ ذٰلِكَ دَلِيلاً لَهُ عَلَى شَدَائِدِ الْآخِرَةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الِانْكِسَارِ لَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَاعِظاً لَهُ فِي الْعَاجِلِ، دَلِيلاً عَلَى الْآجِلِ لِيَعْلَمَ شِدَّةَ مَبْلَغِ ذٰلِكَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَحَرَّمَ قَتْلَ النَّفْسِ لِعِلَّةِ فَسَادِ الْخَلْقِ فِي تَحْلِيلِهِ لَوْ أَحَلَّ وَفَنَائِهِمْ وَفَسَادِ التَّدْبِيرِ.

وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ التَّوْقِيرِ[٢][٣] لِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّوْقِيرِ لِلْوَالِدَيْنِ، وَتَجَنُّبِ كُفْرِ النِّعْمَةِ، وَإِبْطَالِ الشُّكْرِ وَمَا يَدْعُو مِنْ ذٰلِكَ إِلَى قِلَّةِ النَّسْلِ وَانْقِطَاعِهِ، لِمَا فِي الْعُقُوقِ مِنْ قِلَّةِ تَوْقِيرِ الْوَالِدَيْنِ وَالْعِرْفَانِ بِحَقِّهِمَا، وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، وَالزُّهْدِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ فِي الْوَلَدِ، وَتَرْكِ التَّرْبِيَةِ لِعِلَّةِ تَرْكِ الْوَلَدِ بِرَّهُمَا.

وَحَرَّمَ الزِّنَا لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ مِنْ قَتْلِ الْأَنْفُسِ، وَذَهَابِ الْأَنْسَابِ، وَتَرْكِ التَّرْبِيَةِ لِلْأَطْفَالِ، وَفَسَادِ الْمَوَارِيثِ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْفَسَادِ[٤].

وَحَرَّمَ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ مِنْ وُجُوهِ الْفَسَادِ، أَوَّلُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْماً فَقَدْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ إِذِ الْيَتِيمُ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ، وَلَا مُحْتَمِلٍ لِنَفْسِهِ، وَلَا عَلِيمٍ بِشَأْنِهِ[٥]، وَلَا لَهُ مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ كَقِيَامِ وَالِدَيْهِ، فَإِذَا أَكَلَ مَالَهُ فَكَأَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ وَصَيَّرَهُ إِلَى الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، مَعَ مَا خَوَّفَ اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلَ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾[٦]، وَكَقَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ فِي أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ عُقُوبَتَيْنِ: عُقُوبَةً فِي الدُّنْيَا، وَعُقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ؛ فَفِي تَحْرِيمِ مَالِ الْيَتِيمِ اسْتِغْنَاءُ الْيَتِيمِ[٧]

---

١. في المصدر: «مسكينا».

٢. التوقير: التعظيم، راجع لسان العرب.

٣. في نسخة: التوفيق. (هامش المطبوع)

٤. في الفقيه مع زيادة: «وحرم اللّه عز وجل قذف المحصنات لما فيه من الفساد الأنساب ونفي الولد وإبطال المواريث وترك التربية وذهاب المعارف وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدي إلى فساد الخَلق».

٥. في الفقيه: «ولا قائم بشأنه».

٦. النساء/٩.

٧. في المصدر والفقيه: «استبقاء اليتيم».

وَاسْتِقْلَالُهُ بِنَفْسِهِ، وَالسَّلَامَةُ لِلْعَقِبِ أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُ، لِمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَعَ مَا فِي ذٰلِكَ مِنْ طَلَبِ الْيَتِيمِ بِثَارِهِ[١] إِذَا أَدْرَكَ، وَوُقُوعِ الشَّحْنَاءِ[٢] وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ حَتَّى يَتَفَانَوْا.

وَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ[٣] لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَهْنِ فِي الدِّينِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِالرُّسُلِ، وَالْأَئِمَّةِ الْعَادِلَةِ عليهم السلام، وَتَرْكِ نُصْرَتِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَى إِنْكَارِ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَتَرْكِ الْجَوْرِ وَإِمَاتَةِ الْفَسَادِ[٤]، لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ جُرْأَةِ الْعَدُوِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَا يَكُونُ فِي ذٰلِكَ مِنَ السَّبْيِ وَالْقَتْلِ، وَإِبْطَالِ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَسَادِ.

وَحَرَّمَ التَّعَرُّبَ[٥] بَعْدَ الْهِجْرَةِ لِلرُّجُوعِ عَنِ الدِّينِ، وَتَرْكِ الْمُؤَازَرَةِ[٦] لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْحُجَجِ عليهم السلام، وَمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الْفَسَادِ، وَإِبْطَالِ حَقِّ كُلِّ ذِي حَقٍّ لَا لِعِلَّةِ سُكْنَى الْبَدْوِ، وَكَذٰلِكَ لَوْ عَرَفَ الرَّجُلُ الدِّينَ كَامِلَةً لَمْ يَجُزْ لَهُ مُسَاكَنَةُ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَالْخَوْفِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ تَرْكُ الْعِلْمِ وَالدُّخُولُ مَعَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّمَادِي فِي ذٰلِكَ.

وَحَرَّمَ مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ، وَذِكْرِ اسْمِهِ عَلَى الذَّبَائِحِ الْمُحَلَّلَةِ، وَلِئَلَّا يُسَوِّيَ بَيْنَ مَا تُقُرِّبَ بِهِ إِلَيْهِ وَبَيْنَ مَا جُعِلَ عِبَادَةً لِلشَّيَاطِينِ وَالْأَوْثَانِ، لِأَنَّ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْإِقْرَارَ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَمَا فِي الْإِهْلَالِ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ وَالتَّقَرُّبِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، لِيَكُونَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْمِيَتُهُ عَلَى الذَّبِيحَةِ فَرْقاً بَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَبَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

وَحَرَّمَ سِبَاعَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ كُلَّهَا لِأَكْلِهَا مِنَ الْجِيَفِ[٧] وَلُحُومِ النَّاسِ وَالْعَذِرَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَلَائِلَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَمَا حَرَّمَ كَمَا قَالَ أَبِي عليه السلام: كُلُّ ذِي نَابٍ[٨] مِنَ السِّبَاعِ وَذِي مِخْلَبٍ[٩] مِنَ الطَّيْرِ حَرَامٌ، وَكُلُّ مَا كَانَتْ لَهُ قَانِصَةٌ[١٠] مِنَ الطَّيْرِ فَحَلَالٌ؛ وَعِلَّةٌ أُخْرَى يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا أُحِلَّ مِنَ الطَّيْرِ وَمَا حُرِّمَ قَوْلُهُ عليه السلام: كُلْ مَا دَفَّ، وَلَا تَأْكُلْ مَا صَفَّ.

---

١. في المصدر: «طلب اليتيم بثأره».

٢. الشحناء: الحقد والعداوة، راجع لسان العرب.

٣. الزحف: الجيش، راجع النهاية.

٤. في الفقيه: «إماتته والفساد».

٥. التعرّب: هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا [إلى الدين]، راجع لسان العرب.

٦. المؤازرة: المعاونة، راجع تاج العروس.

٧. جيف: جمع الجيفة، راجع لسان العرب.

٨. الناب: السن التي خلف الرباعية، راجع لسان العرب.

٩. المِخلب: ظُفُر السبُع من الماشي والطائر، راجع لسان العرب.

١٠. القانصة للطائر: كالحوصلة أي المعدة للإنسان، راجع لسان العرب.

وَحَرَّمَ الْأَرْنَبَ لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ السِّنَّوْرِ[١] وَلَهَا مَخَالِيبُ كَمَخَالِيبِ السِّنَّوْرِ وَسِبَاعِ الْوَحْشِ فَجَرَتْ مَجْرَاهَا، مَعَ قَذَرِهَا فِي نَفْسِهَا، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا مِنَ الدَّمِ كَمَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ لِأَنَّهَا مَسْخٌ.

وَعِلَّةُ تَحْرِيمُ الرِّبَا إِنَّمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنْ فَسَادِ الْأَمْوَالِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اشْتَرَى الدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْنِ كَانَ ثَمَنُ الدِّرْهَمِ دِرْهَماً، وَثَمَنُ الْآخَرِ بَاطِلاً، فَبَيْعُ الرِّبَا وَشِرَاهُ وَكْسٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْمُشْتَرِي وَعَلَى الْبَائِعِ، فَحَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّبَا لِعِلَّةِ فَسَادِ الْأَمْوَالِ كَمَا حَظَرَ عَلَى السَّفِيهِ أَنْ يُدْفَعَ إِلَيْهِ مَالُهُ، لِمَا يُتَخَوَّفُ عَلَيْهِ مِنْ إِفْسَادِهِ حَتَّى يُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدٌ[٢]، فَلِهٰذِهِ الْعِلَّةِ حَرَّمَ اللَّهُ الرِّبَا وَبَيْعَ الدِّرْهَمِ بِالدِّرْهَمَيْنِ يَداً بِيَدٍ.

وَعِلَّةُ تَحْرِيمِ الرِّبَا ـ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ ـ لِمَا فِيهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِالْحَرَامِ الْمُحَرَّمِ وَهِيَ كَبِيرَةٌ بَعْدَ الْبَيَانِ وَتَحْرِيمِ اللَّهِ لَهَا، وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنْهُ إِلَّا اسْتِخْفَافاً بِالْمُحَرِّمِ لِلْحَرَامِ، وَالِاسْتِخْفَافُ بِذٰلِكَ دُخُولٌ فِي الْكُفْرِ.

وَعِلَّةُ تَحْرِيمِ الرِّبَا بِالنَّسِيئَةِ لِعِلَّةِ ذَهَابِ الْمَعْرُوفِ، وَتَلَفِ الْأَمْوَالِ، وَرَغْبَةِ النَّاسِ فِي الرِّبْحِ، وَتَرْكِهِمُ الْقَرْضَ، وَالْقَرْضُ مِنْ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، وَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَفَنَاءِ الْأَمْوَالِ.

وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ لِأَنَّهُ مُشَوَّهٌ[٣]، جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِظَةً لِلْخَلْقِ وَعِبْرَةً وَتَخْوِيفاً وَدَلِيلاً عَلَى مَا مُسِخَ عَلَى خِلْقَتِهِ، وَلِأَنَّ غِذَاءَهُ أَقْذَرُ الْأَقْذَارِ مَعَ عِلَلٍ كَثِيرَةٍ؛ وَكَذٰلِكَ حَرَّمَ الْقِرْدَ لِأَنَّهُ مُسِخَ مِثْلَ الْخِنْزِيرِ، وَجُعِلَ عِظَةً وَعِبْرَةً لِلْخَلْقِ وَدَلِيلاً عَلَى مَا مُسِخَ عَلَى خِلْقَتِهِ وَصُورَتِهِ، وَجَعَلَ فِيهِ شَيْئاً مِنَ الْإِنْسَانِ[٤] لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْخَلْقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

وَحُرِّمَتِ الْمَيْتَةُ لِمَا فِيهَا مِنْ فَسَادِ الْأَبْدَانِ وَالْآفَةِ، وَلِمَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ التَّسْمِيَةَ سَبَباً لِلتَّحْلِيلِ وَفَرْقاً بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدَّمَ كَتَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ فَسَادِ الْأَبْدَانِ، وَلِأَنَّهُ يُورِثُ الْمَاءَ الْأَصْفَرَ، وَيُبْخِرُ[٥] الْفَمَ، وَيُنَتِّنُ الرِّيحَ، وَيُسِيئُ الْخُلُقَ، وَيُورِثُ الْقَسْوَةَ لِلْقَلْبِ، وَقِلَّةَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ حَتَّى لَا يُؤْمَنَ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ وَوَالِدَهُ وَصَاحِبَهُ[٦].

وَحَرَّمَ الطِّحَالَ[٧] لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّمِ، وَلِأَنَّ عِلَّتَهُ وَعِلَّةَ الدَّمِ وَالْمَيْتَةِ وَاحِدَةٌ، لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَاهَا فِي الْفَسَادِ.

وَعِلَّةُ الْمَهْرِ وَوُجُوبِهِ عَلَى الرِّجَالِ وَلَا يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يُعْطِينَ أَزْوَاجَهُنَّ لِأَنَّ عَلَى الرَّجُلِ مَئُونَةَ الْمَرْأَةِ لِأَنَّ

---

١. السنَّور: الهِرّ، راجع لسان العرب.

٢. في المصدر: «رشده».

٣. المشوَّه: كل شيء من الخَلق لا يوافق بعضه بعضا فهو مشوّه، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر: «وجعل فيه شبها من الإنسان».

٥. بَخِر: نَتُن، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر: «أن يقتل والده وصاحبه».

٧. الطِّحال: لحمة سوداء عريضة في بطن الإنسان وغيره عن اليسار لازقة بالجنب، راجع لسان العرب.

الْمَرْأَةَ بَائِعَةٌ نَفْسَهَا، وَالرَّجُلَ مُشْتَرٍ، وَلَا يَكُونُ الْبَيْعُ إِلَّا بِثَمَنٍ، وَلَا الشِّرَاءُ بِغَيْرِ إِعْطَاءِ الثَّمَنِ، مَعَ أَنَّ النِّسَاءَ مَحْظُورَاتٌ عَنِ التَّعَامُلِ وَالْمَجِيءِ[١] مَعَ عِلَلٍ كَثِيرَةٍ.

وَعِلَّةُ تَزْوِيجِ الرَّجُلِ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ وَتَحْرِيمِ أَنْ تَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةُ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ كَانَ الْوَلَدُ مَنْسُوباً إِلَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ لَوْ كَانَ لَهَا زَوْجَانِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الْوَلَدُ لِمَنْ هُوَ، إِذْ هُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي نِكَاحِهَا، وَفِي ذٰلِكَ فَسَادُ الْأَنْسَابِ وَالْمَوَارِيثِ وَالْمَعَارِفِ[٢].

وَعِلَّةُ تَزْوِيجِ الْعَبْدِ اثْنَتَيْنِ لَا أَكْثَرَ مِنْهُ لِأَنَّهُ نِصْفُ رَجُلٍ حُرٍّ فِي الطَّلَاقِ وَالنِّكَاحِ، لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَلَا لَهُ مَالٌ إِنَّمَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ، وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ فَرْقاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُرِّ، وَلِيَكُونَ أَقَلَّ لِاشْتِغَالِهِ عَنْ خِدْمَةِ مَوَالِيهِ.

وَعِلَّةُ الطَّلَاقِ ثَلَاثاً لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُهْلَةِ فِيمَا بَيْنَ الْوَاحِدَةِ إِلَى الثَّلَاثِ لِرَغْبَةٍ تَحْدُثُ، أَوْ سُكُونِ غَضَبٍ إِنْ كَانَ، وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ تَخْوِيفاً وَتَأْدِيباً لِلنِّسَاءِ وَزَجْراً لَهُنَّ عَنْ مَعْصِيَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، فَاسْتَحَقَّتِ الْمَرْأَةُ الْفُرْقَةَ وَالْمُبَايَنَةَ لِدُخُولِهَا فِيمَا لَا يَنْبَغِي مِنْ مَعْصِيَةِ زَوْجِهَا[٣].

وَعِلَّةُ تَحْرِيمِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ تِسْعِ تَطْلِيقَاتٍ فَلَا تَحِلُّ لَهُ أَبَداً عُقُوبَةً لِئَلَّا يُتَلَاعَبَ بِالطَّلَاقِ، وَلَا تُسْتَضْعَفَ الْمَرْأَةُ، وَلِيَكُونَ نَاظِراً فِي أَمْرِهِ، مُتَيَقِّظاً مُعْتَبِراً، وَلِيَكُونَ يَأْساً لَهُمَا مِنَ الِاجْتِمَاعِ بَعْدَ تِسْعِ تَطْلِيقَاتٍ.

وَعِلَّةُ طَلَاقِ الْمَمْلُوكِ اثْنَتَيْنِ لِأَنَّ طَلَاقَ الْأَمَةِ عَلَى النِّصْفِ فَجَعَلَهُ اثْنَتَيْنِ احْتِيَاطاً لِكَمَالِ الْفَرَائِضِ؛ وَكَذٰلِكَ فِي الْفَرْقِ فِي الْعِدَّةِ لِلْمُتَوَفَّى[٤] عَنْهَا زَوْجُهَا.

وَعِلَّةُ تَرْكِ شَهَادَةِ النِّسَاءِ فِي الطَّلَاقِ وَالْهِلَالِ لِضَعْفِهِنَّ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمُحَابَاتِهِنَّ[٥] النِّسَاءَ فِي الطَّلَاقِ، فَلِذٰلِكَ لَا يَجُوزُ شَهَادَتُهُنَّ إِلَّا فِي مَوْضِعِ ضَرُورَةٍ مِثْلِ شَهَادَةِ الْقَابِلَةِ، وَمَا لَا يَجُوزُ لِلرِّجَالِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ، كَضَرُورَةِ تَجْوِيزِ شَهَادَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا لَمْ يُوجَدْ غَيْرُهُمْ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ مُسْلِمَيْنِ، ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[٦] كَافِرَيْنِ، وَمِثْلِ شَهَادَةِ الصِّبْيَانِ عَلَى الْقَتْلِ إِذَا لَمْ يُوجَدْ غَيْرُهُمْ.

---

١. في نسخة: المتجر. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٢. **نقول:** قد يقال: يمكن معرفة حال الولد وإلحاقه بأبيه من بعض الطرق الحديثة فهل الحكم المذكور يشمله؟ ويلاحظ عليه بأن هذه الطرق لا تكون دليلا قطعيا، ولذا لا نحكم به عند الاختلاف، ولو فرض كونها دليلا قطعيا للطبيب لا يكون دليلا قاطعا للزوجين، فدائما يقع النزاع بينهما، أضف إلى ذلك كله أن هذه العلة إنما تكون من باب الحكمة التي لا تكون إلا في الغالب، مع أن الحكم عام.

٣. **نقول:** الحكم في الطلاق ثلاثا، والحاجة إلى المحلّل بعد ذلك كما يكون تأديبا للزوجة يكون تأديبا للزوج أيضا، فلا يصح له الرجوع لو أراد إلا بأن تتزوج المرأة بزوج آخر ويدخل بها ثم يطلقها حتى يجوز للزوج الأول الرجوع إليها بنكاح جديد.

٤. في نسخة: المتوفى. (هامش المطبوع)

٥. حاباه مُحاباة: نصره ومال إليه، راجع القاموس المحيط.

٦. المائدة/١٠٦.

وَالْعِلَّةُ فِي شَهَادَةِ أَرْبَعَةٍ فِي الزِّنَا وَاثْنَيْنِ فِي سَائِرِ الْحُقُوقِ لِشِدَّةِ حَدِّ الْمُحْصَنِ لِأَنَّ فِيهِ الْقَتْلَ، فَجُعِلَتِ الشَّهَادَةُ فِيهِ مُضَاعَفَةً مُغَلَّظَةً، لِمَا فِيهِ مِنْ قَتْلِ نَفْسِهِ، وَذَهَابِ نَسَبِ وَلَدِهِ وَلِفَسَادِ الْمِيرَاثِ.

وَعِلَّةُ تَحْلِيلِ مَالِ الْوَلَدِ لِوَالِدِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلَيْسَ ذٰلِكَ لِلْوَلَدِ لِأَنَّ الْوَلَدَ مَوْهُوبٌ لِلْوَالِدِ[1] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[2]، مَعَ أَنَّهُ الْمَأْخُوذُ بِمَؤُنَتِهِ صَغِيراً وَكَبِيراً، وَالْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ وَالْمَدْعُوُّ لَهُ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[3]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ، وَلَيْسَتِ الْوَالِدَةُ كَذٰلِكَ لَا تَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، أَوْ بِإِذْنِ الْأَبِ لِأَنَّ الْأَبَ مَأْخُوذٌ بِنَفَقَةِ الْوَلَدِ، وَلَا تُؤْخَذُ الْمَرْأَةُ بِنَفَقَةِ وَلَدِهَا.

وَالْعِلَّةُ فِي أَنَّ الْبَيِّنَةَ فِي جَمِيعِ الْحُقُوقِ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ مَا خَلَا الدَّمَ لِأَنَّ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ جَاحِدٌ، وَلَا يُمْكِنُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ عَلَى الْجُحُودِ لِأَنَّهُ مَجْهُولٌ؛ وَصَارَتِ الْبَيِّنَةُ فِي الدَّمِ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعِي لِأَنَّهُ حَوْطٌ يَحْتَاطُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ لِئَلَّا يَبْطُلَ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَلِيَكُونَ ذٰلِكَ زَاجِراً وَنَاهِياً لِلْقَاتِلِ، لِشِدَّةِ إِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مَنْ يَشْهَدُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا عِلَّةُ الْقَسَامَةِ أَنْ جُعِلَتْ خَمْسِينَ رَجُلاً فَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ التَّغْلِيظِ وَالتَّشْدِيدِ وَالِاحْتِيَاطِ لِئَلَّا يَهْدِرَ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ.

وَعِلَّةُ قَطْعِ الْيَمِينِ مِنَ السَّارِقِ لِأَنَّهُ يُبَاشِرُ الْأَشْيَاءَ غَالِباً بِيَمِينِهِ وَهِيَ أَفْضَلُ أَعْضَائِهِ وَأَنْفَعُهَا لَهُ فَجُعِلَ قَطْعُهَا نَكَالاً وَعِبْرَةً لِلْخَلْقِ لِئَلَّا يَبْتَغُوا أَخْذَ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا، وَلِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يُبَاشِرُ السَّرِقَةَ بِيَمِينِهِ.

وَحُرِّمَ غَصْبُ الْأَمْوَالِ وَأَخْذُهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا لِمَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ، وَالْفَسَادُ مُحَرَّمٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَنَاءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْفَسَادِ.

وَحُرِّمَ السَّرِقَةُ لِمَا فِيهَا مِنْ فَسَادِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَنْفُسِ لَوْ كَانَتْ مُبَاحَةً، وَلِمَا يَأْتِي فِي التَّغَاصُبِ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنَازُعِ وَالتَّحَاسُدِ، وَمَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِ التِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ فِي الْمَكَاسِبِ، وَاقْتِنَاءِ الْأَمْوَالِ[4] إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الْمُقْتَنَى لَا يَكُونُ أَحَدٌ أَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ.

وَعِلَّةُ ضَرْبِ الزَّانِي عَلَى جَسَدِهِ بِأَشَدِّ الضَّرْبِ لِمُبَاشَرَتِهِ الزِّنَا وَاسْتِلْذَاذِ الْجَسَدِ كُلِّهِ بِهِ، فَجُعِلَ الضَّرْبُ عُقُوبَةً لَهُ وَعِبْرَةً لِغَيْرِهِ وَهُوَ أَعْظَمُ الْجِنَايَاتِ.

---

١. في المصدر: «الولد مولود للوالد».

٢. الشورى/٤٩.

٣. الأحزاب/٥.

٤. اقتناء المال: اتخاذه، راجع لسان العرب.

وَعِلَّةُ ضَرْبِ الْقَاذِفِ وَشَارِبِ الْخَمْرِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً لِأَنَّ فِي الْقَذْفِ نَفْيَ الْوَلَدِ، وَقَطْعَ النَّسْلِ، وَذَهَابَ النَّسَبِ؛ وَكَذٰلِكَ شَارِبُ الْخَمْرِ لِأَنَّهُ إِذَا شَرِبَ هَذَى وَإِذَا هَذَى افْتَرَى، فَوَجَبَ حَدُّ الْمُفْتَرِي.

وَعِلَّةُ الْقَتْلِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ فِي الثَّالِثَةِ عَلَى الزَّانِي وَالزَّانِيَةِ لِاسْتِخْفَافِهِمَا وَقِلَّةِ مُبَالاتِهِمَا بِالضَّرْبِ حَتَّى كَأَنَّهُمَا مُطْلَقٌ لَهُمَا ذٰلِكَ الشَّيْءُ؛ وَعِلَّةُ أُخْرَى أَنَّ الْمُسْتَخِفَّ بِاللَّهِ وَبِالْحَدِّ كَافِرٌ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ لِدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ.

وَعِلَّةُ تَحْرِيمِ الذُّكْرَانِ لِلذُّكْرَانِ، وَالْإِنَاثِ لِلْإِنَاثِ لِمَا رُكِّبَ فِي الْإِنَاثِ، وَمَا طُبِعَ عَلَيْهِ الذُّكْرَانُ، وَلِمَا فِي إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ الذُّكْرَانَ وَالْإِنَاثِ لِلْإِنَاثِ مِنِ انْقِطَاعِ النَّسْلِ وَفَسَادِ التَّدْبِيرِ وَخَرَابِ الدُّنْيَا.

وَأَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْإِبِلَ لِكَثْرَتِهَا وَإِمْكَانِ وُجُودِهَا، وَتَحْلِيلِ بَقَرِ الْوَحْشِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَصْنَافِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْوَحْشِ الْمُحَلَّلَةِ لِأَنَّ غِذَاءَهَا غَيْرُ مَكْرُوهٍ وَلَا مُحَرَّمٍ، وَلَا هِيَ مُضِرَّةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَلَا مُضِرَّةٌ بِالْإِنْسِ، وَلَا فِي خَلْقِهَا تَشْوِيهٌ.

وَكُرِهَ أَكْلُ لُحُومِ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ الْأَهْلِيَّةِ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَى ظُهُورِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا وَالْخَوْفِ مِنْ قِلَّتِهَا، لَا لِقَذَرِ خَلْقِهَا وَلَا قَذَرِ غِذَائِهَا.

وَحُرِّمَ النَّظَرُ إِلَى شُعُورِ النِّسَاءِ الْمَحْجُوبِ بِالْأَزْوَاجِ وَإِلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَهْيِيجِ الرِّجَالِ، وَمَا يَدْعُو التَّهْيِيجُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالدُّخُولِ فِيمَا لَا يَحِلُّ وَلَا يَجْمُلُ[1] وَكَذٰلِكَ مَا أَشْبَهَ الشُّعُورَ، إِلَّا الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾[2] أَيْ غَيْرَ الْجِلْبَابِ، فَلَا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى شُعُورِ مِثْلِهِنَّ.

وَعِلَّةُ إِعْطَاءِ النِّسَاءِ نِصْفَ مَا يُعْطَى الرِّجَالَ مِنَ الْمِيرَاثِ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا تَزَوَّجَتْ أَخَذَتْ، وَالرَّجُلَ يُعْطِي، فَلِذٰلِكَ وُفِّرَ عَلَى الرِّجَالِ؛ وَعِلَّةُ أُخْرَى فِي إِعْطَاءِ الذَّكَرِ مِثْلَيْ مَا تُعْطَى الْأُنْثَى لِأَنَّ الْأُنْثَى فِي عِيَالِ الذَّكَرِ إِنِ احْتَاجَتْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعُولَهَا وَعَلَيْهِ نَفَقَتُهَا. وَلَيْسَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَعُولَ الرَّجُلَ وَلَا تُؤْخَذَ بِنَفَقَتِهِ إِذَا احْتَاجَ، فَوَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الرِّجَالِ لِذٰلِكَ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[3].

وَعِلَّةُ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا لَا تَرِثُ مِنَ الْعَقَارِ[4] شَيْئاً إِلَّا قِيمَةَ الطُّوبِ وَالنِّقْضِ[5] لِأَنَّ الْعَقَارَ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ وَقَلْبُهُ، وَالْمَرْأَةُ

---

١. في نسخة: ولا يحمد. (هامش المطبوع)

٢. النور/٦٠.

٣. النساء/٣٤.

٤. العقار: هو المنزل والأرض، راجع لسان العرب.

٥. النقض: اسم البناء المنقوض: إذا هدم، راجع لسان العرب.

يَجُوزُ أَنْ يَنْقَطِعَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْعِصْمَةِ وَيَجُوزُ تَغْيِيرُهَا وَتَبْدِيلُهَا، وَلَيْسَ الْوَلَدُ وَالْوَالِدُ كَذٰلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّفَصِّي[1] مِنْهُمَا، وَالْمَرْأَةُ يُمْكِنُ الِاسْتِبْدَالُ بِهَا، فَمَا يَجُوزُ أَنْ يَجِيءَ وَيَذْهَبَ كَانَ مِيرَاثُهُ فِيمَا يَجُوزُ تَبْدِيلُهُ وَتَغْيِيرُهُ، إِذْ أَشْبَهَهُ وَكَانَ الثَّابِتُ الْمُقِيمُ عَلَى حَالِهِ لِمَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الثَّبَاتِ وَالْقِيَامِ.

توضيح:

قوله عليه السلام: «لأنّه أكثر» الضمير راجع إلى كلّ واحد من البول والغائط. وقوله عليه السلام: «وأدوم» عطف تفسير لقوله: «أكثر». قوله عليه السلام: «ومشقّته» لأنّه اشتغال بفعل لا استلذاذ فيه. قوله عليه السلام: «والإكراه لأنفسهم» أي بإرادتهم، كأنّ المريد لشيء يكره نفسه عليه، والأظهر أنّه تصحيف «ولا إكراه». ثمّ اعلم أنّ الاختيار في الجنابة مبنيّ على الغالب، إذ الاحتلام يقع بغير اختيار.

قوله عليه السلام: «لما فيه من تعظيم العبد» الضمير راجع إلى العيد أو إلى الغسل. قوله عليه السلام: «وزيادة في النوافل» أي ثوابها، أو هو نفسه زيادة فيها.

قوله عليه السلام: «ليُطلب به» أي ليطلب الناس الأجر بسببه للصلاة عليه وتشييعه ودفنه، ويؤيّده ما في العلل: «ليطلب وجهه»[2] إلي وجه اللّه ورضاه، وفي بعض نسخ العيون: «ليطالب فيه» فيكون قوله عليه السلام: «ويُشفع له» عطفاً تفسيريّاً له.

قوله عليه السلام: «لأنّهما ظاهران مكشوفان» علّة لأصل المسح. وقوله عليه السلام: «وليس فيهما» علّة للاكتفاء به بدون الغسل.

قوله عليه السلام: «وتحصين أموال الأغنياء» أي حفظها من الضياع، فإنّ أداء الزكاة يوجب عدم تلفها وضياعها. قوله عليه السلام: «والحثّ لهم» أي للأغنياء على المواساة بإعطاء أصل الزكاة، أو لأنّ إعطاء الزكاة يوجب تزكية النفس عن البخل، وهذا أنسب بلفظ المواساة، إذ هي المساهمة، والمساواة في المال بأن يعطي الفقراء مثل ما يأخذ لنفسه. قوله عليه السلام: «من الحثّ في ذلك» أي في الاستدلال والعبرة. قوله عليه السلام: «في أُمور كثيرة» متعلّق بقوله: «الشكر للّه» أو بمقدّر، أي تحصل تلك الفضائل في أُمور كثيرة.

قوله عليه السلام: «ومنه» متعلّق «بالرهبة» كما أنّ «إلى اللّه» متعلّق «بالرغبة». قوله عليه السلام: «وتجديد الحقوق» عطف على «الترك» كما أنّ ما قبله معطوف على مدخوله.

قوله عليه السلام: «وعلّة وضع البيت وسط الأرض» أي لِمَ يقال: إنّه وضع وسط الأرض؟ لأنّ الأرض دحيت من تحته إلى أطراف الأرض فلذا يقال: إنّه الوسط؛ أو المراد بالوسط وسط المعمورة تقريباً لكون بعض العمارة

---

١. تفصى من الشيء: تخلص، راجع لسان العرب.

٢. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٠.

في العرض الجنوبيّ أيضاً؛ ويحتمل على بعد أن يكون الوسط بمعنى الأشرف، وعلى الاحتمال الأوّل يمكن أن يكون هبوب الريح أيضاً علّة أُخرى لكونه وسطاً. قوله عليه السلام: «كانوا يمكون فيها» هذا لا يساعده الاشتقاق إلّا أن يقال: كان أصل مكّة مكوة فصارت بكثرة الاستعمال هكذا؛ أو يقال: كان أصل المكاء المكّ فقلبت الكاف الثانية من باب أمليت وأمللت؛ أو يقال: إنّ بيان ذلك ليس لبيان مبدأ الاشتقاق، بل لبيان أنّ الذين كان ذلك فعالهم أهلكهم ونقصهم، يقال مكّة: أهلكه ونقصه؛ ويمكن أن يكون مبنيّاً على الاشتقاق الكبير.

قوله عليه السلام: «ليعلم» فيه لفّ ونشر، فإنّ العلم بحال أهل الفقر في الدنيا علّة لكونه واعظاً، والعلم بحال أهل الفقر في الآخرة علّة لكونه دليلاً.

قوله عليه السلام: «من قتل الأنفس» أي للتغاير.

قوله عليه السلام: «والعقوبة لهم» لعلّها معطوفة على «نصرتهم» أو على «الأعداء»، وعلى التقديرين ضمير الجمع راجع إلى الأعداء أو إلى الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. و«دعوا» على المعلوم أو على المجهول.

قوله عليه السلام: «وكذلك لو عرف الرجل» أي أنّ التعرّب بعد الهجرة إنّما يحرم لتضمّنه ترك نصرة الأنبياء والحجج عليهم السلام، وترك الحقوق اللازمة بين المسلمين، والرجوع إلى الجهل لا لخصوص كونه في الأصل من أهل البادية، إذ يحرم على من كمل علمه من غير أهل البادية أيضاً أن يساكنهم لتلك العلّة؛ أو المعنى: أنّه ليس لخصوص سكنى البادية مدخل في ذلك، بل لا يجوز لمن كمل علمه أن يساكن أهل الجهل من أهل القرى والبلاد أيضاً. وفي العلل: «ولذلك»[1] وهو أظهر. قوله عليه السلام: «والخوف عليه» كأنّه معطوف على الجهل، أي مساكنة جماعة يخاف عليه من مجالستهم الضلال وترك الحقّ؛ ويحتمل أن يكون معطوفاً على «ذلك» إذا كان «لذلك»، وعلى التقديرين المراد عدم جواز مساكنة من يخاف عليه في مجالستهم[2] ترك الدين أو الوقوع في المحرّمات.

قوله عليه السلام: «فجعل اللّه عزّ وجلّ» المفعول الثاني لـ«جعل» قوله عليه السلام: «كلّ ذي ناب» أي لمّا كانت العلّة في حرمتها أكلها اللحوم وافتراسها الحيوانات جعل ضابط الحكم ما يدلّ عليه من الناب والمخلب. وقوله عليه السلام: «وعلّة أُخرى» يمكن أن يكون لبيان قاعدة أُخرى ذكرها استطراداً ويكون المراد بالعلّة القاعدة؛ ويحتمل أن يكون الصفيف أيضاً من علامات الجلادة والسبعيّة، ولا يبعد أن يكون «وعلّة أُخرى» كلام ابن سنان أدخلها بين كلامه عليه السلام بقرينة تغيير الأُسلوب، وأمّا عدم القانصة فمن لوازم سباع الطير غالباً.

قوله عليه السلام: «وَكْسٌ» أي نقص. قوله عليه السلام: «على المشتري» متعلّق بالبيع. وقوله عليه السلام: «على البائع» متعلّق بالشراء على اللف والنشر. قوله عليه السلام: «بالحرام المحرّم» أي المبيّن حرمته.

---

١. علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٨١.

٢. في نسخة: من مجالستهم. (هامش المطبوع)

قوله عليه السلام: «ولِما أراد اللّه» لمّا كانت الميتة نوعين: الأوّل: أن يكون موتها بغير الذبح فيجمد الدم في بدنها، ويورث أكلها فساد الأبدان والآفة، والثاني: أن يكون ترك التسمية أو الاستقبال، فقوله عليه السلام: «لِما أراد اللّه» لهذا الفرد منها أي العلّة فيها أمر آخر يرجع إلى صلاح أديانهم لا أبدانهم.

قوله عليه السلام: «احتياطاً لكمال الفرائض» أي ليس لثلاث تطليقات نصف لعدم تنصّف الطلاق، فإمّا أن يؤخذ واحد أو اثنان فاختير الاثنان لرعاية الاحتياط.

قوله عليه السلام: «ولا تؤخذ المرأة» أي مع وجود الوالد وقدرته على الإنفاق.

قوله عليه السلام: «لما ركب في الإناث» أي من الميل إلى الرجال أو من العضو الذي يناسب وطي الرجال لهنّ.

وقال في النهاية: «الجلباب»: الإزار والرداء؛ وقيل: الملحفة؛ وقيل: هو كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها؛ وقيل: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء. انتهى. وقد ورد في الأخبار المعتبرة أنّها تضع من الثياب الجلباب، وهذا الخبر يدلّ على أنّه لا تضعه، ولعلّ لفظ «غير» زيد من النسّاخ كما هو في بعض النسخ؛ أو المراد بالجلباب ما يكشف بوضعه سائر الجسد غير الشعر، وما يجوز لهنّ كشفه إذ قد فسّر بالقميص أيضاً.

قوله عليه السلام: «وعليه نفقتها» لعلّ المراد أنّه يجبر الرجال على نفقة النساء كالبنت والأُمّ وإن كان فقيراً إذا كان قادراً على الكسب بخلاف العكس.

و«الطُوب» بالضمّ: الآجر، وسيأتي توضيح تلك العلل في الأبواب المناسبة لها.

٢١٧٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام[١]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَسَادِ، وَمِنْ تَغْيِيرِهَا عُقُولَ شَارِبِيهَا، وَحَمْلِهَا إِيَّاهُمْ عَلَى إِنْكَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى رُسُلِهِ، وَسَائِرِ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْفَسَادِ وَالْقَتْلِ، وَالْقَذْفِ، وَالزِّنَا، وَقِلَّةِ الِاحْتِجَازِ[٢] مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْحَرَامِ، فَبِذٰلِكَ قَضَيْنَا عَلَى كُلِّ مُسْكِرٍ مِنَ الْأَشْرِبَةِ أَنَّهُ حَرَامٌ مُحَرَّمٌ، لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ عَاقِبَتِهَا مَا يَأْتِي مِنْ عَاقِبَةِ الْخَمْرِ، فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَوَلَّانَا وَيَنْتَحِلُ مَوَدَّتَنَا كُلَّ شَرَابٍ مُسْكِرٍ، فَإِنَّهُ لَا عِصْمَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ شَارِبِيهَا.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٩٨، ح ٢؛ روضة المتقين، ج ٧، ص ٤٨٥؛ وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٣٢٩، ح ٣٢٠٤٠.

٢. الحجز: المنع، راجع المغرب.

﴿الفصل الثالث﴾

«في نوادر العلل ومتفرّقاتها»

٢١٨٠. علل الشرائع[١]: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ عليهما السلام قَالَتْ: قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام[٢] فِي خُطْبَتِهَا فِي مَعْنَى فَدَكَ: لِلَّهِ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ، كِتَابُ اللَّهِ بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، وَآيٌ مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، وَبُرْهَانٌ مُتَجَلِّيَةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُدِيمٌ لِلْبَرِيَّةِ اسْتِمَاعُهُ، وَقَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعَهُ، وَمُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ أَشْيَاعَهُ، فِيهِ تِبْيَانُ حُجَجِ اللَّهِ الْمُنِيرَةِ، وَمَحَارِمِهِ الْمُحَرَّمَةِ، وَفَضَائِلِهِ الْمُدَوَّنَةِ، وَجُمَلِهِ الْكَافِيَةِ، وَرُخَصِهِ الْمَوْهُوبَةِ، وَشَرَائِعِهِ الْمَكْتُوبَةِ، وَبَيِّنَاتِهِ الْجَالِيَةِ؛ فَفَرَضَ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ زِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَسْلِيَةً لِلدِّينِ[٣]، وَالْعَدْلَ مُسْكاً[٤] لِلْقُلُوبِ، وَالطَّاعَةَ نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَالْإِمَامَةَ لَمّاً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى الِاسْتِيجَابِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وِقَايَةً عَنِ السَّخَطِ[٥]، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَالْوَفَاءَ لِلنَّذْرِ تَعَرُّضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسَةِ، وَاجْتِنَابَ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ حَجْباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَاجْتِنَابَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَمُجَانَبَةَ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِجَارَةً مِنَ الظُّلْمِ، وَالْعَدْلَ فِي

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٨، ح ٢؛ وفي بلاغات النساء، ص ٢٨، ضمن رواية؛ وفي السقيفة وفدك، ص ١٣٩، صدر رواية؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٢. في البلاغات بهذا الإسناد: «جعفر بن محمد، عن أبيه، عن موسى بن عيسى، عن عبد اللّه بن يونس، عن جعفر الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت الحسين عليهما السلام، عن فاطمة الزهراء عليها السلام».

٣. في المصدر والسقيفة: «تسنية للدين».

٤. في المصدر: «تسكينا».

٥. في نسخة: من السخط. (هامش المطبوع).

الْأَحْكَامِ إِينَاساً لِلرَّعِيَّةِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشِّرْكَ إِخْلَاصاً لِلرُّبُوبِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ.

بيان:

قولها عليها السلام: «وبقيّة» أي من رحمته أقامها مقام نبيّكم. قولها عليها السلام: «بصائره» أي دلائله المبصرة الواضحة. قولها عليها السلام: «مديم للبريّة استماعه» أي ما دام القرآن بينهم لا ينزل عليهم العذاب، كما ورد في الأخبار؛ هذا إذا قرئ استماعه بالرفع، وإذا قرئ بالنصب فالمعنى: أنّه يجب على الخلائق استماعه والعمل به إلى يوم القيامة، أو لا يكرّر بتكرّر الاستماع ولا يخلق بكثرة التلاوة. قولها عليها السلام: «اتباعه» بصيغة المصدر ليناسب ما تقدّمه، أو الجمع ليوافق ما بعده.

وفي الفقيه: «المنوّرة» مكان «المنيرة»، و«المحدودة» مكان «المحرّمة»، و«المندوبة» مكان «المدوّنة»[1].

قولها عليها السلام: «وشرائعها المكتوبة» أي الواجبة أو المقرّرة. و«الجالية»: الواضحة. قولها عليها السلام: «تثبيتاً للإخلاص» لأنّه أمر عدميّ ليس فيه رياء. و«السناء»: الرفعة. قولها عليها السلام: «مسكاً للقلوب» أي يمسكها عن الخوف والقلق والاضطراب أو عن الجور والظلم.

قولها عليها السلام: «والطاعة» أي طاعة اللّه والنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، واللمّ: الاجتماع. قولها عليها السلام: «معونة على الاستيجاب» أي طلب إيجاب المطلوب والظفر به، وفي بعض النسخ: «الاستنجاب» أي طلب نجابة النفس.

قولها عليها السلام: «منماة للعدد» أي إذا وصلهم أحبّوه وأعانوه فيكثر عدد أتباعه وأحبّائه بهم، أو يزيد اللّه أولاده وأحفاده.

وسيأتي شرح تمام الخطبة مفصّلاً في كتاب الفتن إن شاء اللّه تعالى[2].

٢١٨١. علل الشرائع[3]: عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْدِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْوَرَّاقِ بْنِ حَاتِمٍ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ قَتَادَةَ[4]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: جَاءَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ الْإِسْلَامُ عَشَرَةُ أَسْهُمٍ[5] وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِيهَا: أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

---

١. من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٦٧.

٢. بحار الأنوار، كتاب الفتن والمحن، باب نزول الآيات في أمر فدك، فصل نورد فيه: خطبة خطبتها سيدة النساء فاطمة الزهراء «صلوات اللّه عليها».

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٩، ح ٥؛ وفي معدن الجواهر، ص ٦٦، مع اختلاف يسير؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٢، ح ٢٣.

٤. في المصدر والوسائل: «...عبد الرزاق بن همام، عن معمّر، عن قتادة،...».

٥. في المعدن: «تسعة أسهم».

وَهِيَ الْكَلِمَةُ، وَالثَّانِيَةُ الصَّلَاةُ وَهِيَ الطُّهْرُ، وَالثَّالِثَةُ الزَّكَاةُ وَهِيَ الْفِطْرَةُ، وَالرَّابِعَةُ الصَّوْمُ وَهِيَ الْجُنَّةُ، وَالْخَامِسَةُ الْحَجُّ وَهِيَ الشَّرِيعَةُ، وَالسَّادِسَةُ الْجِهَادُ وَهُوَ الْعِزُّ، وَالسَّابِعَةُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ الْوَفَاءُ، وَالثَّامِنَةُ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ الْحُجَّةُ، وَالتَّاسِعَةُ الْجَمَاعَةُ وَهِيَ الْأُلْفَةُ[١]، وَالْعَاشِرَةُ الطَّاعَةُ وَهِيَ الْعِصْمَةُ[٢].

قَالَ صلى الله عليه وآله: قَالَ حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام: إِنَّ مَثَلَ هٰذَا الدِّينِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ ثَابِتَةٍ[٣]، الْإِيمَانُ أَصْلُهَا، وَالصَّلَاةُ عُرُوقُهَا، وَالزَّكَاةُ مَاؤُهَا، وَالصَّوْمُ سَعَفُهَا، وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَرَقُهَا، وَالْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ ثَمَرُهَا؛ فَلَا تَكْمُلُ شَجَرَةٌ إِلَّا بِالثَّمَرِ، كَذٰلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ.

إيضاح:

قوله صلى الله عليه وآله: «وهي الكلمة» أي هي الكلمة الجامعة التامّة التي تستحقّ أن تسمّى كلمة؛ أو هي مع الشهادة بالرسالة التي هي قرينتها كلمة بها يحكم بالإسلام.

قوله صلى الله عليه وآله: «وهي الطهر» أي مطهّرة من الذنوب. قوله صلى الله عليه وآله: «وهي الفطرة» تطلق الفطرة على دين الإسلام لأنّ الناس مفطورون عليه، والحمل هنا للمبالغة في بيان اشتراط الإيمان بالزكاة.

قوله صلى الله عليه وآله: «وهي الشريعة» أي من أعظم الشرائع، ولذا سمّى اللّٰه تعالى تركه كفراً. قوله صلى الله عليه وآله: «وهو العزّ» أي يوجب عزّ الدين وغلبته على سائر الأديان. قوله صلى الله عليه وآله: «وهو الوفاء» أي بعهد اللّٰه حيث أخذ عهودهم على الأمر بالمعروف. قوله صلى الله عليه وآله: «وهو الحجّة» أي إتمام الحجّة للّٰه على الخلق. قوله صلى الله عليه وآله: «الجماعة» أي في الصلاة، أو الاجتماع على الحقّ. قوله صلى الله عليه وآله: «وهي العصمة» أي تعصم الناس عن الذنوب، وعن استيلاء الشيطان. و«السعف» بالتحريك: أغصان النخيل.

٢١٨٢. علل الشرائع[٤]: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي‌عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٥] أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ شَيْءٌ إِلَّا لِشَيْءٍ.

بيان:

أي لم يشرّع اللّٰه تعالى حكماً من الأحكام إلّا لحكمة من الحكم، ولم يحلّل الحلال إلّا لحسنه، ولم يحرّم الحرام إلّا لقبحه، لا كما تقوله الأشاعرة من نفي الغرض وإنكار الحسن والقبح العقليّين؛ ويمكن أن يعمّ بحيث

---

١. لم يرد في المعدن: «الجماعة وهي الأُلفة».

٢. إلى هنا تمت الرواية في المعدن والوسائل.

٣. في نسخة: نابتة. (هامش المطبوع).

٤. علل الشرائع، ج ١، ص ٨، ح ١؛ المحاسن، ج ٢، ص ٣٣٣، ح ١٠٠؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩٤، ح ٣٣٢.

٥. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عن يونس بن عبد الرحمن، عن جميل، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام».

يشمل الخلق والتقدير أيضاً، فإنّه تعالى لم يخلق شيئاً أيضاً إلّا لحكمة كاملة وعلّة باعثة؛ وعلى نسخة «الباء» أيضاً يرجع إلى ما ذكرنا بأن تكون سببيّة؛ ويحتمل أن تكون للملابسة أي لم يخلق ولم يقدّر شيئاً في الدنيا إلّا متلبّساً بحكم من الأحكام يتعلّق به، وهو مخزون عند أهله من الأئمّة عليهم السلام.

٢١٨٣. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢]: مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ[٣] مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ أَغْيَرُ مِمَّنْ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ؟

٢١٨٤. نهج البلاغة، المناقب لابن شهرآشوب[٤]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءاً لِإِخْلَاصِ الْمُحِقِّ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ[٥]، وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْقِيقاً لِلنَّسَبِ[٦]، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ[٧] اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَالسِّلْمَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالْإِمَامَةَ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ[٨]، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلسُّلْطَانِ[٩].

٢١٨٥. المناقب لابن شهرآشوب[١٠]: مِمَّا أَجَابَ الرِّضَا عليه السلام بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ لِصَبَّاحِ بْنِ نَصْرٍ الْهِنْدِيِّ وَعِمْرَانَ

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٦، ح ٣٧؛ وفي الأمالي (للصدوق)، ص ٤٢٧، ضمن ح ١؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ١١، ص ٢٢٣؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٢. في الأمالي بهذا الإسناد: «الصدوق، عن حمزة بن محمد بن أحمد، عن عبد العزيز بن محمد، عن ابن الزكريا الجوهري، عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٣. في المصدر: «أعز»، وكذا في الموضع التالي.

٤. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥١٢، ح ٢٥٢؛ المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٢، ص ٣٧٧؛ نزهة الناظر (للحلواني)، ص ٤٦، ح ١٤.

٥. في النهج: «والصيام ابتلاءاً لإخلاص الخلق، والحجّ تقربة للدين» أي سببا لتقرّب أهل الدين بعضهم من بعض، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد. وعلى ما في المتن فالمعنى ظاهر، إذ الحجّ عبادة تستلزم اجتماع أكثر أهل الملة في مجمع واحد على غاية من الذلة والخضوع والانقياد، فمن يرى من الملوك وغيرهم هذا المجتمع والمحشد عظم الدين في عينه ولم يطمع فيهم؛ ففي ذلك تقوية الدين وإعزاز للمسلمين. (هامش المطبوع)

٦. في النهج: «تحصينا للنسب»، وفي النزهة: «تصحيحا للنسب».

٧. وفي نسخة من النهج: «والشهادة». قيل: هي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده؛ وقيل: هي الأخبار بما شاهده وشهده، وغايتها استظهار المستشهد على مجاهدة خصمه كي لا يضيع لو لم يكن بينهما شاهد. (هامش المطبوع)

٨. وفي نسخة من النهج: «والأمانات نظاما للأُمة». قيل: لأنّه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدّى كل عامل ما يجب عليه، فتنتظم شؤون الأُمة، أمّا لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الإهمال، فاختل النظام. (هامش المطبوع)

٩. في النهج والنزهة: «تعظيما للإمامة».

١٠. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٤، ص ٣٥٣.

الصَّابِيِّ عَنْ مَسَائِلِهِمَا قَالَ عِمْرَانُ: الْعَيْنُ نُورٌ مُرَكَّبَةٌ أَمِ الرُّوحُ تُبْصِرُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَنْظَرِهَا؟ قَالَ: الْعَيْنُ شَحْمَةٌ وَهُوَ الْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ، وَالنَّظَرُ لِلرُّوحِ، دَلِيلُهُ أَنَّكَ تَنْظُرُ فِيهِ فَتَرَى صُورَتَكَ فِي وَسَطِهِ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَرَى صُورَتَهُ إِلَّا فِي مَاءٍ أَوْ مِرْآةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ. قَالَ صَبَّاحٌ: فَإِذَا عَمِيَتِ الْعَيْنُ كَيْفَ صَارَتِ الرُّوحُ قَائِمَةً وَالنَّظَرُ ذَاهِبٌ؟ قَالَ: كَالشَّمْسِ طَالِعَةً يَغْشَاهَا الظَّلَامُ. قَالَا[1]: أَيْنَ تَذْهَبُ الرُّوحُ؟ قَالَ: أَيْنَ يَذْهَبُ الضَّوْءُ الطَّالِعُ مِنَ الْكُوَّةِ[2] فِي الْبَيْتِ إِذَا سُدَّتِ الْكُوَّةُ؟ قَالَ: أَوْضِحْ لِي ذٰلِكَ، قَالَ: الرُّوحُ مَسْكَنُهَا فِي الدِّمَاغِ، وَشُعَاعُهَا مُنْبَثٌّ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ دَارَتُهَا فِي السَّمَاءِ وَشُعَاعُهَا مُنْبَسِطٌ عَلَى الْأَرْضِ، فَإِذَا غَابَتِ الدَّارَةُ فَلَا شَمْسَ، وَإِذَا قُطِعَتِ الرَّأْسُ فَلَا رُوحَ.

قَالَا: فَمَا بَالُ الرَّجُلِ يَلْتَحِي دُونَ الْمَرْأَةِ؟ قَالَ: زَيَّنَ اللَّهُ الرِّجَالَ بِاللِّحَى، وَجَعَلَهَا فَصْلاً[3] يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.

قَالَ عِمْرَانُ: مَا بَالُ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ مُؤَنَّثاً وَالْمَرْأَةُ إِذَا كَانَتْ مُذَكَّرَةً؟ قَالَ: عِلَّةُ ذٰلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ وَصَارَ الْغُلَامُ مِنْهَا فِي الرَّحِمِ مَوْضِعَ الْجَارِيَةِ كَانَ مُؤَنَّثاً، وَإِذَا صَارَتِ الْجَارِيَةُ مَوْضِعَ الْغُلَامِ كَانَتْ مُذَكَّرَةً، وَذٰلِكَ أَنَّ مَوْضِعَ الْغُلَامِ فِي الرَّحِمِ مِمَّا يَلِي مَيَامِنَهَا، وَالْجَارِيَةِ مِمَّا يَلِي مَيَاسِرَهَا، وَرُبَّمَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَيْنِ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ عَظُمَ ثَدْيَاهَا جَمِيعاً تَحْمِلُ تَوْأَمَيْنِ، وَإِنْ عَظُمَ أَحَدُ ثَدْيَيْهَا كَانَ ذٰلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّهَا تَلِدُ وَاحِداً إِلَّا أَنَّهُ إِذَا كَانَ الثَّدْيُ الْأَيْمَنُ أَعْظَمَ كَانَ الْمَوْلُودُ ذَكَراً، وَإِذَا كَانَ الْأَيْسَرُ أَعْظَمَ كَانَ الْمَوْلُودُ أُنْثَى، وَإِذَا كَانَتْ حَامِلاً فَضَمُرَ[4] ثَدْيُهَا الْأَيْمَنُ فَإِنَّهَا تُسْقِطُ غُلَاماً، وَإِذَا ضَمُرَ ثَدْيُهَا الْأَيْسَرُ فَإِنَّهَا تُسْقِطُ أُنْثَى، وَإِذَا ضَمُرَا جَمِيعاً تُسْقِطُهُمَا جَمِيعاً. قَالَا: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ الطُّولُ وَالْقِصَرُ فِي الْإِنْسَانِ؟ فَقَالَ: مِنْ قِبَلِ النُّطْفَةِ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الذَّكَرِ فَاسْتَدَارَتْ جَاءَ الْقِصَرُ، وَإِنِ اسْتَطَالَتْ جَاءَ الطُّولُ.

قَالَ صَبَّاحٌ: مَا أَصْلُ الْمَاءِ؟ قَالَ: أَصْلُ الْمَاءِ خَشْيَةُ اللَّهِ، بَعْضُهُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَسْلُكُهُ فِي الْأَرْضِ يَنَابِيعَ، وَبَعْضُهُ مَاءٌ عَلَيْهِ[5] الْأَرَضُونَ، وَأَصْلُهُ وَاحِدٌ عَذْبٌ فُرَاتٌ.

قَالَ: فَكَيْفَ مِنْهَا عُيُونُ نِفْطٍ وَكِبْرِيتٍ وَقَارٍ[6][7] وَمِلْحٍ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ؟ قَالَ: غَيَّرَهُ الْجَوْهَرُ وَانْقَلَبَتْ كَانْقِلَابِ الْعَصِيرِ خَمْراً، وَكَمَا انْقَلَبَتِ الْخَمْرُ فَصَارَتْ خَلاًّ، وَكَمَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ[8] وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً.

---

١. في المصدر: «قال».

٢. الكوّة: الخرق في الحائط، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «فضلا».

٤. ضمر: دقّ وقلّ لحمه، راجع المصباح المنير.

٥. في نسخة: علّته. (هامش المطبوع)

٦. القار والقير: هو أسود يطلى به السفن، يمنع الماء أن يدخل، راجع تهذيب اللغة.

٧. في المصدر: «فكيف منها عيون نفط وكبريت ومنها قار».

٨. الفرث: السرجين، مادام في الكرش، راجع لسان العرب.

قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أُخْرِجَتْ أَنْوَاعُ الْجَوَاهِرِ؟ قَالَ: انْقَلَبَ مِنْهَا كَانْقِلَابِ النُّطْفَةِ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ خِلْقَةً مُجْتَمِعَةً مَبْنِيَّةً عَلَى الْمُتَضَادَّاتِ الْأَرْبَعِ. قَالَ عِمْرَانُ: إِذَا كَانَتِ الْأَرْضُ خُلِقَتْ مِنَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ فَكَيْفَ صَارَتِ الْأَرْضُ بَارِدَةً يَابِسَةً؟ قَالَ: سُلِبَتِ النَّدَاوَةُ[1] فَصَارَتْ يَابِسَةً.

قَالَ: الْحَرُّ أَنْفَعُ أَمِ الْبَرْدُ؟ قَالَ: بَلِ الْحَرُّ أَنْفَعُ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ مِنْ حَرِّ الْحَيَاةِ وَالْبَرْدَ مِنْ بَرْدِ الْمَوْتِ، وَكَذٰلِكَ السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ الْحَارُّ مِنْهَا أَسْلَمُ وَأَقَلُّ ضَرَراً مِنَ السُّمُومِ الْبَارِدَةِ.

وَسَأَلَاهُ عَنْ عِلَّةِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: طَاعَةٌ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَشَرِيعَةٌ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا، وَفِي الصَّلَاةِ تَوْقِيرٌ لَهُ وَتَبْجِيلٌ[2] وَخُضُوعٌ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا سَجَدَ، وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ فَوْقَهُ رَبّاً يَعْبُدُهُ وَيَسْجُدُ لَهُ.

وَسَأَلَاهُ عَنِ الصَّوْمِ، فَقَالَ: امْتَحَنَهُمْ بِضَرْبٍ مِنَ الطَّاعَةِ كَيْمَا يَنَالُوا بِهَا عِنْدَهُ الدَّرَجَاتِ لِيُعَرِّفَهُمْ فَضْلَ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَذَّةِ الْمَاءِ وَطِيبِ الْخُبْزِ، وَإِذَا عَطِشُوا يَوْمَ صَوْمِهِمْ ذَكَرُوا يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَزَادَهُمْ ذٰلِكَ رَغْبَةً[3] فِي الطَّاعَةِ.

وَسَأَلَاهُ لِمَ حَرَّمَ الزِّنَا؟ قَالَ: لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ، وَذَهَابِ الْمَوَارِيثِ، وَانْقِطَاعِ الْأَنْسَابِ، لَا تَعْلَمُ الْمَرْأَةُ فِي الزِّنَا مَنْ أَحْبَلَهَا، وَلَا الْمَوْلُودُ يَعْلَمُ مَنْ أَبُوهُ؟ وَلَا أَرْحَامَ مَوْصُولَةَ، وَلَا قَرَابَةَ مَعْرُوفَةَ.

بيان:

«الدارة»: الحلقة والشعر المستدير على قرن الإنسان، أو موضع الذؤابة أُطلقت هنا على جرم الشمس مجازاً. قوله عليه السلام: «خشية اللّٰه» أي لمّا نظر اللّٰه بالهيبة في الدرّة[4] صارت ماءاً كما ورد في الخبر، والنظر مجاز، فلذا نسب الماء إلى الخشية؛ ويحتمل أن يكون تصحيف «خلقة اللّٰه».

٢١٨٦. كتاب حسين بن سعيد[5]: فَضَالَةُ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي رَجَاءٍ[6]، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي سُخَيْلَةَ، عَنْ

---

١. النداوة: البلّة والرطوبة، راجع مجمع البحرين.

٢. التّبجيل: التعظيم، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «رقبة».

٤. الدُّرّة: اللؤلؤة العظيمة، راجع لسان العرب.

٥. الزهد، ص ٤٤، ح ١١٨.

٦. قال النجاشي في ص ١٧٠ من رجاله: زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذّاء كوفي، مولى ثقة، روى عن أبي جعفر وأبي عبد اللّٰه عليهما السلام، وأخته حمّادة بنت رجاء؛ وقيل: بنت الحسن روت عن أبي عبد اللّٰه، قاله ابن نوح، عن أبي سعيد. وقال الحسن بن علي بن فضّال: ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة الحذّاء واسمه زياد، مات في حياة أبي عبد اللّٰه عليه السلام. قال سعد بن عبد اللّٰه الأشعري: ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة وهو زياد بن أبي رجاء، كوفي، ثقة، صحيح، واسم أبي رجاء منذر، وقيل: زياد بن أحرم ولم يصحّ. وقال العقيقي العلوي: أبو عبيدة زياد الحذّاء، ←

سَلْمَانَ[١] قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذَا قَصَدَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَمْلُوكُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ابْتُلِيَ بِكَ وَبُلِيتَ بِهِ، لِيَنْظُرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ تَشْكُرُ، وَيَنْظُرَ كَيْفَ يَصْبِرُ.

٢١٨٧. كتاب حسين بن سعيد[٢]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ مِنْ عِبَادِي[٣] مَنْ يَسْأَلُنِي الشَّيْءَ مِنْ طَاعَتِي لِأُحِبَّهُ فَأَصْرِفُ ذٰلِكَ عَنْهُ لِكَيْ لَا يُعْجِبَهُ عَمَلُهُ[٤].

٢١٨٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٥]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٦]: لَوْ لَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ ذَنْبٍ أَبَداً[٧].

٢١٨٩. نهج البلاغة[٨]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ زِيَادَةً[٩] لِعِبَادِهِ عَنْ نَقِمَتِهِ، وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ[١٠].

← وكان حسن المنزلة عند آل محمد صلى الله عليه وآله، وكان زامل أبا جعفر عليه السلام إلى مكة، له كتاب يرويه علي بن رئاب. انتهى.

أقول: الظاهر من كلام النجاشي اتحاد زياد بن أبي رجاء وأبي عبيدة الحذّاء، فعليه يحتمل إما زيادة كلمة «عن» في السند وإرساله لغرابة رواية زياد وهو من أصحاب الصادقين عليهما السلام عن أبي سخيلة وهو من أصحاب علي عليه السلام؛ وإما كون أبي عبيدة كنية لشخص آخر مجهول غير الحذّاء، وفي نسخة من البحار عن عبيدة بإسقاط كلمة «أبي». (هامش المطبوع)

١. في المصدر: «... أبي رجاء، عن أبي عبد اللّه عليه السلام وعن أبي سخل، عن سلمان».

٢. الزهد، ص ٦٨، ح ١٧٩؛ مشكاة الأنوار، ص ٣١٢؛ وفي عدّة الداعي، ج ١، ص ٢٣٧، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

٣. في المشكاة والعدّة: «عبادي المؤمنين».

٤. في العدّة: «...من طاعتي فأصرفه عنه مخافة الإعجاب».

٥. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٧١، ح ١١٨٤؛ الكافي، ج ٢، باب العُجب، ص ٣١٣، ح ١؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٧٩، ح ٨.

٦. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن علي بن أسباط، عن رجل، عن أصحابنا من أهل خراسان من ولد إبراهيم بن سيّار، يرفعُه عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وكذا في العلل إلا فيه: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن ابن أسباط، ...».

٧. **نقول:** ليس المراد من هذا الحديث أن الذنوب قد تباح للمؤمن منعاً له عن العجب كما قد يزعمه الجاهل، بل المراد بيان أهمية ذنب العجب وأن عثرات المؤمنين وإن كانت قبيحة ولكنها قد تمنعهم عن العجب الذي هو أقبح منها.

٨. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٣٩، ح ٣٦٨؛ وفي دلائل الإمامة، ص ١١٢، عن فاطمة الزهراء عليها السلام ضمن خطبة فدك؛ وفي أعلام الدين، ص ١٣٠، ذيل رواية.

٩. في المصدر والدلائل والأعلام: «ذيادة».

١٠. حاش الإبل: جمعها وساقها، راجع تاج العروس.

٢١٩٠. وَقَالَ عليه السلام فِي الْقَاصِعَةِ[١]: وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ[٢] بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ[٣] الدُّنْيَا مَدَراً[٤] ـ إِلَى قَوْلِهِ عليه السلام ـ: وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ[٥]، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً[٦] إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ ـ إِلَى قَوْلِهِ عليه السلام ـ: وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[٧]، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ[٨] عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ[٩] بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَإِلْصَاقِ[١٠] كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ[١١] مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ؛ انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ[١٢] نَوَاجِمِ[١٣] الْفَخْرِ، وَقَدْعِ[١٤] طَوَالِعِ الْكِبْرِ. إلى آخر ما سيأتي مشروحاً في آخر المجلّد الخامس[١٥].

---

١. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٩٢، ضمن الخطبة ١٩٢؛ وفي الكافي، ج ٤، باب الابتلاء الخلق، ص ١٩٩، ح ٢، بمضمونه.

٢. الوعر: المكان الصلب، راجع لسان العرب.

٣. النتائق: جمع نتيقة، وهو أن تقلع الشيء فترفعه من مكانه وترمي به، واستعمل بعد ذلك على وجوه أليقها بهذا الموضع أن تكون الأرض مثاراً للزراعة وهي أعني أرض مكة أقل الأرضين مدرا يحفر ويزرع فيه لأن الأرض ذات حجارة ومدرها المستصلح للزراعة قليل، راجع مجمع البحرين.

٤. المدر: الطين، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر: «بأنواع المجاهد».

٦. الفتح بضمتين: الباب الواسع المفتوح، راجع القاموس المحيط.

٧. المراد بالأطراف هنا الأيدي والأرجل. (هامش المطبوع)

٨. الخيلاء: الكِبر، راجع لسان العرب.

٩. عتيق الوجه: كريمه، راجع أساس البلاغة.

١٠. في المصدر: «التصاق».

١١. المَتْن: الظهْر، والجميع متون، راجع شمس العلوم.

١٢. القمع: الذل، راجع لسان العرب.

١٣. نجم الشيء: طلع وظهر، وكل ما طلع وظهر فقد نجم، راجع لسان العرب.

١٤. القدع: الكف والمنع، راجع لسان العرب.

١٥. بحارالأنوار، كتاب النبوة، أبواب قصص عيسى وأُمه عليهما وأبويها، باب ما ورد بلفظ نبي من الأنبياء وبعض نوادر أحوالهم.

أبواب الموت

«وما يلحقه إلى وقت البعث والنشور»

﴿باب ١﴾

«حكمة الموت وحقيقته، وما ينبغي أن يعبّر عنه»

الآية:

الملك/٢: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[١].

تفسير:

قال الطبرسيّ: أي خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه، والحياة للتعبّد بالشكر عليها، أو الموت للاعتبار، والحياة للتزوّد، وقيل: قدّم الموت، لأنّه إلى القهر أقرب، أو لأنّه أقدم. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كلّاً بقدر عمله؛ وقيل: ليبلوكم أيّكم أكثر ذكراً للموت، وأحسن له استعداداً، وعليه صبراً، وأكثر امتثالاً في الحياة[٢].

الروايات:

٢١٩١. الأمالي للصدوق[٣]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قَالَ

---

١. **نقول:** الموت حقيقته الانتقال من عالم إلى عالم آخر، وهذا الأمر وجودي يمكن أن يكون مخلوقا، لأن الخلقة ترتبط بالأُمور الوجودية، وهذا هو المقصود من الموت في الآية الشريفة، أمّا الموت بمعنى الفناء والعدم فليس مخلوقا، لذا فإنه غير مقصود، ثم إن ذكر الموت هنا قبل الحياة هو بلحاظ التأثير العميق الذي يتركه الالتفات إلى الموت، وما يترتّب على ذلك من سلوك قويم وأعمال مقترنة بالطاعة والالتزام، إضافة إلى أنّ الموت كان في حقيقته قبل الحياة. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٨، ص ٤٧٣)

٢. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٨٣.

٣. الأمالي (للصدوق)، ص ٥١٠، ح ٢؛ الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦٠، ح ٣٦؛ وفي روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٨٩.

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ قَوْماً أَتَوْا نَبِيّاً لَهُمْ فَقَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ[١] يَرْفَعْ عَنَّا الْمَوْتَ؛ فَدَعَا لَهُمْ فَرَفَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُمُ الْمَوْتَ، وَكَثُرُوا حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمُ الْمَنَازِلُ وَكَثُرَ النَّسْلُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يُصْبِحُ فَيَحْتَاجُ أَنْ يُطْعِمَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَجَدَّهُ وَجَدَّ جَدِّهِ، وَيُوَضِّيَهُمْ[٢] وَيَتَعَاهَدَهُمْ، فَشُغِلُوا عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَرُدَّنَا إِلَى آجَالِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا، فَسَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَرَدَّهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ[٣].

٢١٩٢. الكافي[٤]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ فَدَخَلَ فِي الْإِنْسَانِ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ.

٢١٩٣. الكافي[٥]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُكَيْنٍ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الرَّجُلِ يَقُولُ: اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِفُلَانٍ، فَقَالَ: ذَا مَكْرُوهٌ. فَقِيلَ: فُلَانٌ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، أَ مَا تَرَاهُ يَفْتَحُ فَاهُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَذٰلِكَ حِينَ يَجُودُ بِهَا لِمَا يَرَى مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ كَانَ بِهَا ضَنِيناً[٦].

بيان:

قال الجزريّ: «الاستيثار»: الانفراد بالشيء، ومنه الحديث: «إذا استأثر اللّه بشيء فالْهَ عنه[٧]». انتهى.

أقول:

لعلّ كراهة ذلك لإشعاره بأنّه قبل ذلك لم يكن اللّه متفرّداً بالقدرة والتدبير فيه؛ أو لإيمائه إلى افتقاره سبحانه بذلك وانتفاعه تعالى به.

٢١٩٤. علل الشرائع[٨]: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّمَا صَارَ الْإِنْسَانُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِالنَّارِ، وَيُبْصِرُ وَيَعْمَلُ بِالنُّورِ، وَيَسْمَعُ وَيَشَمُّ بِالرِّيحِ، وَيَجِدُ الطَّعَامَ[٩] وَالشَّرَابَ بِالْمَاءِ، وَيَتَحَرَّكُ بِالرُّوحِ ـ وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ ـ: فَهٰكَذَا الْإِنْسَانُ خُلِقَ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا وَشَأْنِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا صَارَتْ حَيَاتُهُ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ نَزَلَ مِنْ شَأْنِ السَّمَاءِ

---

١. في المصدر: «ربنا».

٢. الوضاءة: الحُسن والنظافة، راجع لسان العرب (مادة وضأ).

٣. في الكافي: «فردّهم إلى حالهم».

٤. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٩، ح ٣٤؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٣٥، ح ١٠٩٠٩.

٥. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦٠، ح ٣٥؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣٩، ح ٢٥٨٧.

٦. الضنين: البخيل، راجع القاموس المحيط.

٧. فالْه عنه: اتْرُكه وأعرض عنه ولا تتعرّض له، راجع النهاية.

٨. علل الشرائع، ج ١، ص ١٠٧، ح ٥؛ وفي تحف العقول، ص ٣٥٤، مع اختلاف يسير.

٩. في المصدر: «طعم الطعام»، وفي التحف: «لذة الطعام».

إِلَى الدُّنْيَا، فَإِذَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا صَارَتْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ الْمَوْتَ، تَرُدُّ شَأْنَ الْأُخْرَى إِلَى السَّمَاءِ، فَالْحَيَاةُ فِي الْأَرْضِ، وَالْمَوْتُ فِي السَّمَاءِ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ يُفَرَّقُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْجَسَدِ، فَرُدَّتِ الرُّوحُ وَالنُّورُ إِلَى الْقُدْسِ الْأُولَى[١]، وَتُرِكَ الْجَسَدُ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا فَسَدَ الْجَسَدُ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ الرِّيحَ تُنَشِّفُ الْمَاءَ، فَيَيْبَسُ فَيَبْقَى الطِّينُ، فَيَصِيرُ رُفَاتاً[٢] وَيَبْلَى، وَيَرْجِعُ كُلٌّ إِلَى جَوْهَرِهِ الْأَوَّلِ، وَتَحَرَّكَتِ الرُّوحُ بِالنَّفْسِ حَرَكَتَهَا مِنَ الرِّيحِ[٣]، فَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ فَهُوَ نُورٌ مُؤَيَّدٌ بِالْعَقْلِ، وَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْكَافِرِ فَهُوَ نَارٌ مُؤَيَّدٌ بِالنُّكْرِ[٤]، فَهٰذِهِ صُورَةُ نَارٍ، وَهٰذِهِ صُورَةُ نُورٍ، وَالْمَوْتُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَقِمَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أقول:

سيأتي الخبر بتمامه وأسناده وشرحه في كتاب السماء والعالم[٥].

٢١٩٥. دعوات الراوندي[٦]: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: لَوْ لَا ثَلَاثَةٌ فِي ابْنِ آدَمَ مَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ شَيْءٌ: الْمَرَضُ، وَالْمَوْتُ، وَالْفَقْرُ؛ وَكُلُّهُنَّ فِيهِ، وَإِنَّهُ لَمَعَهُنَّ وَثَّابٌ[٧].

١. في المصدر والتحف: «إلى القدرة الأُولى».

٢. الرفات: الحُطام، والحطام: ما تكسّر من اليَبيس، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «تحرّكت الروح بالنفس والنفس حركتها من الريح».

٤. النُكر: الأمر الشديد والأمر المنكر، راجع لسان العرب.

٥. بحار الأنوار كتاب السماء والعالم، أبواب الإنسان والروح والبدن، باب ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه.

٦. الدعوات (للراوندي)، ص ١٧١، ح ٤٧٩؛ وفي الخصال، ج ١، ص ١١٣، ح ٨٩، مع اختلاف يسير؛ وفي نزهة الناظر (للحلواني)، ص ٨٠، ح ٤، عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، مع اختلاف العبارة.

٧. الوَثْب: الطفر، راجع لسان العرب.

﴿باب ٢﴾

«علامات الكبر، وأنّ ما بين الستّين إلى السبعين معترك[١] المنايا، وتفسير أرذل العمر»

الآيات:

النحل/٧٠: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

الحجّ/٥: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ...﴾

يس/٦٨: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٢]

---

١. المعترك: موضع القتال، واعترك القوم: ازدحموا، راجع لسان العرب.

٢. **نقول:** ننكّسه من مادة «تنكيس»، وهو قلب الشيء على رأسه. وهي هنا كناية عن الرجوع الكامل للإنسان إلى حالات الطفولة. فالإنسان منذ بدء خلقته ضعيف، ويتكامل تدريجيا ويرشد، وفي أطواره الجنينية يشهد في كل يوم طورا جديدا ورشدا جديدا، وبعد الولادة أيضا يستمر في مسيره التكاملي جسميا وروحيا وبسرعة، وتبدأ القوى والاستعدادات التي أخفاها اللّه في أعماق وجوده بالظهور تدريجيا الواحدة تلو الأُخرى في طور الشباب، ثم طور النضج، ليبلغ الإنسان أُوج تكامله الجسمي والروحي. وهنا تنفصل الروح عن الجسد في تكاملها ونموّها، فتستمر في تكاملها في حال أن الجسد يشرع بالنكوص، ولكن العقل في النهاية يبدأ هو الآخر بالتراجع أيضا، فيعود تدريجيا وأحيانا بسرعة إلى مراحل الطفولة، ويتساوق ذلك مع الضعف البدني أيضا، مع الفارق طبعا، فالآثار التي تتركها حركات وروحيات الأطفال على النفس هي الراحة والجمال والأمل ولهذا فهي مقبولة منهم، ولكنها من أهل الشيخوخة، قبيحة ومنفّرة، وفي بعض الأحيان قد تثير الشفقة والترحم، فالشيخوخة أيام عصيبة حقا، يصعب تصور عمق آلامها. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٤، ص ٢٢٤)

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: ﴿**إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾ أي أدون العمر وأوضعه، أي يبقيه حتّى يصير إلى حال الهرم والخوف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسّه وعقله.

وروي عن عليّ عليه السلام: «**أَنَّ أَرْذَلَ الْعُمُرِ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً**». وروي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله. وعن قتادة «تسعون سنة».

﴿**لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾ أي ليرجع إلى حال الطفوليّة بنسيان ما كان علّمه لأجل الكبر، فكأنّه لا يعلم شيئاً ممّا كان عليه؛ وقيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه[١].

الروايات:

٢١٩٦. الخصال[٢]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الصَّبَّاحِ مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَلَمَّا مَرَرْنَا بِأُحُدٍ قَالَ: تَرَى الثَّقْبَ[٣] الَّذِي فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَرَاهُ، وَعَلَامَةُ الْكِبَرِ ثَلَاثٌ: كَلَالُ الْبَصَرِ[٤]، وَانْحِنَاءُ الظَّهْرِ، وَرِقَّةُ الْقَدَمِ.

٢١٩٧. معاني الأخبار[٥]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ[٦]، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يَكُنْ حَضَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام؛ فَجَاءَهُ قَوْمٌ فَلَمَّا جَلَسَ أَمْسَكَ الْقَوْمُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ، فَكَانُوا فِي ذِكْرِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَوْتِ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ ـ ابْتِدَاءاً مِنْهُ ـ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ مُعْتَرَكُ الْمَنَايَا، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: الْفُقَرَاءُ مِحَنٌ[٧] الْإِسْلَامِ.

٢١٩٨. تفسير القمّيّ[٨]: مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ الْعَبَّاسِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ،

---

١. مجمع البيان، ج ٦، ص ٥٧٤.

٢. الخصال، ج ١، ص ٨٨، ح ٢٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٠٧، ح ٦.

٣. الثقب: الخرق النافذ، راجع لسان العرب.

٤. الكلال: الضعف، راجع المغرب.

٥. معاني الأخبار، ص ٤٠٢، ح ٦٦؛ المجازات النبوية، ص ٣٠٦، ح ٢٦٢؛ شرح شهاب الأخبار (للقضاعي)، ص ٨٢، ح ١٩٧.

٦. في المصدر: «أبي، عن ابن إدريس،...».

٧. المِحنة: واحدة المِحَن التي يمتحن بها الإنسان من بلية، راجع لسان العرب.

٨. تفسير القمي، ج ٢، ص ٧٨؛ الكافي، ج ٨، ص ١٠٨، ح ٨٣ (حديث إذا بلغ المؤمن أربعين سنة)؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٤٦، ح ٢٥؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ[١]: إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ مِائَةَ سَنَةٍ فَهِيَ أَرْذَلُ الْعُمُرِ.

٢١٩٩. الخصال[٢]: وَرُوِيَ: أَنَّ أَرْذَلَ الْعُمُرِ أَنْ يَكُونَ عَقْلُهُ عَقْلَ ابْنِ سَبْعِ سِنِينَ.

٢٢٠٠. تحف العقول[٣]: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْماً: إِنَّ أَكْلَ الْبِطِّيخِ يُورِثُ الْجُذَامَ[٤]؛ فَقِيلَ لَهُ: أَ لَيْسَ قَدْ أَمِنَ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً مِنَ الْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلٰكِنْ إِذَا خَالَفَ الْمُؤْمِنُ مَا أُمِرَ بِهِ مِمَّنْ آمَنَهُ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَةُ الْخِلَافِ.

٢٢٠١. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَدِ انْتَهَى مُنْتَهَاهُ، وَإِذَا بَلَغَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ فَهُوَ فِي النُّقْصَانِ، وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْخَمْسِينَ أَنْ يَكُونَ كَمَنْ هُوَ فِي النَّزْعِ[٦].

٢٢٠٢. دعوات الراونديّ[٧]: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: الْمُسْلِمُ إِذَا ضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَكَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ فِي حَالِهِ تِلْكَ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ شَابٌّ نَشِيطٌ مُجْتَمِعٌ[٨][٩].

٢٢٠٣. نهج البلاغة[١٠]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ[١١] فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً[١٢].

---

١. في الكافي بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران،...، عن أبي عبد اللّه عليه السلام يقول»، وفي الخصال: «أحمد العطار، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد،...، عن أبي عبد اللّه عليه السلام يقول».

٢. في الخصال، ج ٢، ص ٥٤٦، ذيل ح ٢٥؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٠٧، ح ٥.

٣. تحف العقول، ص ٤٨٣؛ وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ١٧٦، ح ٣١٥٧٧.

٤. **نقول:** الظاهر أن المراد منه من أكثر في أكل البطيخ وأفرط، وإلا فقد ورد في روايات عديدة آثار كثيرة وفوائد جمّة للبطيخ، وأنه من فواكه الجنة وقد أُمروا بأكله، ولا شك أن هذه الآثار إنما يكون لمن اجتنب عن الإفراط فيه.

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٩٢، ح ٧٢؛ الخصال، ج ٢، ص ٥٤٥، ح ٢٣؛ مشكاة الأنوار، ص ١٧٠؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٦. فلان في النزع: في قلع الحياة، راجع لسان العرب.

٧. الدعوات (للراوندي)، ص ١٦٣، ح ٤٥١؛ الكافي، ج ٣، باب ثواب المرض، ص ١١٣، ح ٢؛ روضة المتقين، ج ٩، ص ٤٢٥، وفي هذه المصادر صدر رواية.

٨. الرجل المجتمِع: الذي بلغ أشُدّه، راجع لسان العرب.

٩. في الكافي والروضة: «نشيط صحيح».

١٠. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٥٣٢، ح ٣٢٦؛ وفي شرح شهاب الأخبار (للقضاعي)، ص ١٦٨، ح ٣٣٤، مع اختلاف يسير، عن النبي صلى الله عليه وآله؛ عيون الحكم والمواعظ (لليثي)، ص ٥٩، ح ١٥١٤.

١١. أعذر اللّه: لم يبق فيه موضعا للاعتذار، حيث أمهله طول هذه المدّة ولم يعتذر، راجع لسان العرب.

١٢. في العيون: «... ابن آدم وأنذر الستون».

﴿باب ٣﴾

«الطاعون[١] والفرار منه»

الآية:

البقرة/٢٤٣: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

تفسير:

قيل: نزلت في أهل داوردان قرية قبل واسط، وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم اللّه. فمرّ بهم حِزْقِيل عليه السلام[٢] وقد عريت عظامهم وتفرّقت أوصالهم فتعجّب من ذلك، فأوحى اللّه إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن اللّه؛ فنادى فقاموا يقولون: سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلّا أنت؛ وقيل: نزلت في قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففرّوا حذر الموت فأماتهم اللّه ثمانية أيّام ثمّ أحياهم[٣].

الروايات:

٢٢٠٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ

---

١. الطاعون: مرض معروف، هو بَثْر وورم مؤلم جدّا، يخرج مع لهب، ويسوّد ما حواليه، أو يخضرّ، أو يحمرّ حمرة بنفسجيّة كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء، ويخرج في المراقّ والآباط غالباً والأيدي والأصابع وسائر الجسد. قاله النووي في تهذيب الأسماء واللغات. (هامش المطبوع)

٢. هو حزقيل بن بورى، ويلقّب بابن العجوز، من سلالة لاوَى، أحد أنبياء بني إسرائيل، يأتي ذكره في كتاب النبوّة. (هامش المطبوع)

٣. أنوار التنزيل، ج ١، ص ١٤٨.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣، ح ٥؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٩٨، ح ٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٧٦، ح ١١.

آبَائِهِ عليهم السلام[١] قَالَ: قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام: أَخْبِرْنَا عَنِ الطَّاعُونِ، فَقَالَ: عَذَابُ اللَّهِ لِقَوْمٍ[٢]، وَرَحْمَةٌ لِآخَرِينَ. قَالُوا: وَكَيْفَ تَكُونُ الرَّحْمَةُ عَذَاباً؟! قَالَ: أَ مَا تَعْرِفُونَ أَنَّ نِيرَانَ جَهَنَّمَ عَذَابٌ عَلَى الْكُفَّارِ، وَخَزَنَةُ جَهَنَّمَ مَعَهُمْ فِيهَا فَهِيَ رَحْمَةٌ عَلَيْهِمْ.

٢٢٠٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٣]: بِالْأَسَانِيدِ الثَّلَاثَةِ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: الطَّاعُونُ مِيتَةٌ وَحِيَّةٌ.

بيان:

«وحيّة» أي سريعة.

٢٢٠٦. معاني الأخبار[٤]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ قَالَ: سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام[٥] عَنِ الطَّاعُونِ يَقَعُ فِي بَلْدَةٍ وَأَنَا فِيهَا، أَتَحَوَّلُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفِي الْقَرْيَةِ وَأَنَا فِيهَا أَتَحَوَّلُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفِي الدَّارِ وَأَنَا فِيهَا أَتَحَوَّلُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَإِنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: الْفِرَارُ مِنَ الطَّاعُونِ كَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ[٦]، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِنَّمَا قَالَ هٰذَا فِي قَوْمٍ كَانُوا يَكُونُونَ فِي الثُّغُورِ[٧] فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ، فَيَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيُخَلُّونَ أَمَاكِنَهُمْ وَيَفِرُّونَ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، ذٰلِكَ فِيهِمْ.

٢٢٠٧. وَرُوِيَ[٨]: أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ فِي أَهْلِ مَسْجِدٍ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ[٩].

بيان:

يمكن أن يكون الرواية الأخيرة على تقدير صحّتها محمولة على الكراهة جمعاً بينها وبين ما سبق، والظاهر أنّ لخصوصيّة المسجد مدخلاً وليس لبيان الفرد الخفي لِمَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ

---

١. في العلل بهذا الإسناد: «المفسر، عن أحمد بن الحسن، عن الحسن بن علي الناصر، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن جده موسى بن جعفر عليهم السلام».

٢. في نسخة: عذاب لقوم. (هامش المطبوع)

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٤٢، ح ١٣٩؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٧٧، ح ١٥٩.

٤. معاني الأخبار، ص ٢٥٤، ح ١؛ وفي علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٢٠، ح ١، بمضمونه؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣٠، ح ٢٥٥٤.

٥. في العلل بهذا الإسناد: «ابن المتوكل، عن السعدآبادي، عن البرقي، عن ابن محبوب، عن عاصم بن حميد، عن علي بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليه السلام».

٦. الزحف: الجيش، راجع الصحاح.

٧. الثغر: الموضع الذي يكون حدّا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد، راجع لسان العرب.

٨. معاني الأخبار، ص ٢٥٥، ذيل ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣١، ح ٢٥٥٥.

٩. **نقول:** لا يبعد أن يكون بقائهم للدعاء بدفع البلاء عن الناس جميا، أو لأن الهرب يوجب السراية لكثير من أهل البلد.

الْمَسَائِلِ[١]، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْوَبَاءِ يَقَعُ فِي الْأَرْضِ هَلْ يَصْلُحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ؟ قَالَ: يَهْرُبُ مِنْهُ مَا لَمْ يَقَعْ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، فَإِذَا وَقَعَ فِي أَهْلِ مَسْجِدِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ فَلَا يَصْلُحُ الْهَرَبُ مِنْهُ.

٢٢٠٨. الكافي[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى يَرْفَعُهُ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: دَعَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى قَوْمِهِ فَقِيلَ لَهُ: أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ؟ فَقَالَ: لَا. فَقِيلَ لَهُ: فَالْجُوعَ؟ فَقَالَ: لَا. فَقِيلَ لَهُ: مَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ: مَوْتٌ دَفِيفٌ[٣][٤] يَحْزُنُ الْقَلْبَ وَيُقِلُّ الْعَدَدَ؛ فَأُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونُ.

٢٢٠٩. الكافي[٥]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ وَغَيْرِهِ، عَنْ بَعْضِهِمْ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَبَعْضِهِمْ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[٦] فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الشَّامِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ، وَكَانَ الطَّاعُونُ يَقَعُ فِيهِمْ فِي كُلِّ أَوَانٍ، فَكَانُوا إِذَا أَحَسُّوا بِهِ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْأَغْنِيَاءُ لِقُوَّتِهِمْ، وَبَقِيَ فِيهَا الْفُقَرَاءُ لِضَعْفِهِمْ، فَكَانَ الْمَوْتُ يَكْثُرُ فِي الَّذِينَ أَقَامُوا، وَيَقِلُّ فِي الَّذِينَ خَرَجُوا، فَيَقُولُ الَّذِينَ خَرَجُوا: لَوْ كُنَّا أَقَمْنَا لَكَثُرَ فِينَا الْمَوْتُ، وَيَقُولُ الَّذِينَ أَقَامُوا: لَوْ كُنَّا خَرَجْنَا لَقَلَّ فِينَا الْمَوْتُ.

قَالَ عليه السلام: فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ جَمِيعاً أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ وَأَحَسُّوا بِهِ خَرَجُوا كُلُّهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا أَحَسُّوا بِالطَّاعُونِ خَرَجُوا جَمِيعاً وَتَنَحَّوْا عَنِ الطَّاعُونِ حَذَرَ الْمَوْتِ، فَسَارُوا فِي الْبِلَادِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرُّوا بِمَدِينَةٍ خَرِبَةٍ قَدْ جَلَا أَهْلُهَا عَنْهَا وَأَفْنَاهُمُ الطَّاعُونُ، فَنَزَلُوا بِهَا فَلَمَّا حَطُّوا رِحَالَهُمْ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مُوتُوا جَمِيعاً، فَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ وَصَارُوا رَمِيماً عِظَاماً تَلُوحُ[٧][٨] وَكَانُوا عَلَى طَرِيقِ الْمَارَّةِ فَكَنَسَتْهُمُ الْمَارَّةُ، فَنَحَّوْهُمْ وَجَمَعُوهُمْ فِي مَوْضِعٍ؛ فَمَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ: حِزْقِيلُ عليه السلام، فَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعِظَامَ بَكَى وَاسْتَعْبَرَ[٩]، وَقَالَ: يَا رَبِّ لَوْ شِئْتَ لَأَحْيَيْتَهُمُ السَّاعَةَ كَمَا أَمَتَّهُمْ فَعَمَرُوا بِلَادَكَ، وَوَلَدُوا عِبَادَكَ، وَعَبَدُوكَ مَعَ مَنْ يَعْبُدُكَ مِنْ خَلْقِكَ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى

---

١. مسائل علي بن جعفر، ص ١١٧، ح ٥٤.

٢. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦١، ح ٤١.

٣. الدفيف: الدبيب وهو السير الليِّن، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر: «موت دفيق».

٥. الكافي، ج ٨، ص ١٩٨، ح ٢٣٧ (قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت)؛ وفي قصص الأنبياء عليهم السلام (للراوندي)، ص ٢٤٢، ح ٣١٢، مع نقصان؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٧١.

٦. البقرة/٢٤٣.

٧. لاح يلوح: إذا بدا وظهر، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر وتفسير الصافي: «صاروا رميما يلوح».

٩. استعبر: جرت عبرته وحزن، راجع لسان العرب.

إِلَيْهِ: أَ فَتُحِبُّ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَأَحْيِهِمْ، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: قُلْ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقُولَهُ ـ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَهُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ـ فَلَمَّا قَالَ حِزْقِيلُ ذٰلِكَ الْكَلَامَ نَظَرَ إِلَى الْعِظَامِ يَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَعَادُوا أَحْيَاءاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ، وَيُكَبِّرُونَهُ وَيُهَلِّلُونَهُ؛ فَقَالَ حِزْقِيلُ عِنْدَ ذٰلِكَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قَالَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فِيهِمْ نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ.

٢٢١٠. دعوات الراونديّ[١]: سُئِلَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام عَنِ الطَّاعُونِ: أَ نَبْرَأُ مِمَّنْ يَلْحَقُهُ فَإِنَّهُ مُعَذَّبٌ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ عَاصِياً فَابْرَأْ مِنْهُ، طُعِنَ[٢] أَوْ لَمْ يُطْعَنْ، وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُطِيعاً فَإِنَّ الطَّاعُونَ مِمَّا تُمَحَّصُ بِهِ ذُنُوبُهُ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَذَّبَ بِهِ قَوْماً، وَيَرْحَمُ بِهِ آخَرِينَ، وَاسِعَةٌ قُدْرَتُهُ لِمَا يَشَاءُ؛ أَ مَا تَرَوْنَ أَنَّهُ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءاً لِعِبَادِهِ، وَمُنْضِجاً[٣] لِثِمَارِهِمْ، وَمُبْلِغاً لِأَقْوَاتِهِمْ؟ وَقَدْ يُعَذِّبُ بِهَا قَوْماً يَبْتَلِيهِمْ بِحَرِّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذُنُوبِهِمْ وَفِي الدُّنْيَا بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ[٤].



---

١. الدعوات (للراوندي)، ص ١٧١، ح ٤٧٨.

٢. طُعن الرجل: أصابه الطاعون، راجع لسان العرب.

٣. نضج: يدل على بلوغ النهاية في طبخ الشيء، ثم يستعار في كل شيء بلغ مدى الإحكام، راجع معجم مقاييس اللغة.

٤. **نقول:** ليس المراد منه أن عذاب جهنم من ضوء الشمس، بل المراد منه أن عذاب بعض العاصين بحرّ الشمس في المحشر، كما أن حرارة الشمس قد تكون عذابا لبعض الناس في الدنيا عند شدتها في البرارى والصحاري، بل قد يكون في المدن، وقوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١) لا ينافي ذلك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم/٤٨).

﴿باب ٤﴾

«حبّ لقاء اللّه، وذمّ الفرار من الموت»

الآيات:

البقرة/٩٤-٩٦: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

آل عمران/١٤٣: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

آل عمران/١٦٨: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

النساء/٧٨: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...﴾

يونس/٧ و٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

الأحزاب/١٦: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾

الجمعة/٦-٨: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

تفسير:

﴿**خَالِصَةً**﴾ أي خاصّة بكم، والخطاب لليهود لقولهم: ﴿**لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً**﴾[١]. ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**﴾ لأنّه من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها وأحبّ التخلّص إليها من الدار ذات الشوائب[٢]. ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ أي من موجبات النار، وروي أنّهم لو تمنّوا الموت لغصّ[٣] كلّ إنسان بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض يهوديّ. ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ أي أحرص منهم، أو خبر مبتداء محذوف، صفته ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**﴾ أي ومنهم ناس يودّ أحدهم؛ وعلى هذا أيضاً يحتمل أن يكون المراد بالمشركين اليهود، لقولهم: ﴿**عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ**﴾[٤]، و«الزحزحة»؛ التبعيد؛ ويحتمل أن يكون المراد عذاب الآخرة أو الأعمّ، فيكون الزحزحة كناية عن رفعه عنهم، إذ بمقدار زيادة العمر يبعد عنهم عذاب البرزخ.

﴿**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ**﴾ أي الحرب، فإنّها من أسباب الموت، أو الموت بالشهادة، وهو توبيخ لمن لم يشهد بدراً وتمنّى الجهاد، ثمّ شهد أُحداً وفرّ.

﴿**لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾ أي لا يتوقّعونه لإنكارهم البعث، أو لا يخافون عقابنا، إذ قد يكون الرجاء بمعنى الخوف.

﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**﴾ الخطاب وإن توجّه ظاهراً إلى اليهود لكنّه تعريض عامّ لكلّ من يدّعي ولاية اللّه ويكره الموت.

الروايات:

٢٢١١. تفسير القمّيّ[٥]: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦] قَالَ: إِنَّ فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[٧].

٢٢١٢. كتاب حسين بن سعيد[٨]: ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَيْمَنَ[٩]، عَنْ دَاوُدَ الْأَبْزَارِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

---

١. البقرة/١١١.

٢. الشائبة: واحدة الشوائب، وهي الأقذار والأدناس، راجع لسان العرب.

٣. غصّ بالماء غصصا: إذا شرق به، أو وقف في حلقه، راجع تاج العروس.

٤. التوبة/٣٠.

٥. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٦٦؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٧٣؛ وفي تفسير البرهان، ج ٥، ص ٣٧٦، ذيل ح ١٠٧٢٦.

٦. الجمعة/٦.

٧. الجمعة/٨.

٨. الزهد، ص ٧٨، ح ٢٠٩؛ وفي قرب الإسناد، ص ٣٩، ذيل ح ١٢٥؛ الكافي، ج ٢، باب ذم الدنيا، ص ١٣١، ح ١٤.

٩. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحكم بن أيمن، ...».

يُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ يَوْمٍ: لِدْ لِلْمَوْتِ[١] وَاجْمَعْ لِلْفَنَاءِ وَابْنِ لِلْخَرَابِ[٢].[٣]

٢٢١٣. كتاب حسين بن سعيد[٤]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ[٥]، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ حَدِّثْنِي بِمَا أَنْتَفِعُ بِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ[٦] مَا أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِنْسَانٌ إِلَّا زَهِدَ فِي الدُّنْيَا.

٢٢١٤. كتاب حسين بن سعيد[٧]: عَلِيُّ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ الزُّهْرِيِّ[٨]، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الْمَوْتَ، الْمَوْتَ[٩]، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ بِالرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ وَالْكَرَّةِ[١٠] الْمُبَارَكَةِ إِلَى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لِأَهْلِ دَارِ الْخُلُودِ الَّذِينَ كَانَ لَهَا سَعْيُهُمْ وَفِيهَا رَغْبَتُهُمْ، وَجَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ بِالشِّقْوَةِ وَالنَّدَامَةِ وَالْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ إِلَى نَارٍ حَامِيَةٍ[١١] لِأَهْلِ دَارِ الْغُرُورِ الَّذِينَ كَانَ لَهَا سَعْيُهُمْ وَفِيهَا رَغْبَتُهُمْ.

٢٢١٥. وَقَالَ صلى الله عليه وآله[١٢]: إِذَا اسْتَحَقَّتْ وِلَايَةُ الشَّيْطَانِ وَالشَّقَاوَةُ جَاءَ الْأَمَلُ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَذَهَبَ الْأَجَلُ وَرَاءَ الظَّهْرِ.

٢٢١٦. قَالَ: وَقَالَ عليه السلام[١٣]: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَاداً لَهُ.

٢٢١٧. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١٤]: أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِىءٍ لَاقٍ فِي فِرَارِهِ مَا مِنْهُ يَفِرُّ، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ.

---

١. في المصدر: «ابن آدم لِدْ للموت».

٢. اللام في الجمل الثلاثة للعاقبة. (هامش المطبوع)

٣. **نقول:** هذا النداء إنما هو مكنون في طبيعة الحياة الدنيا، وترى آثاره في كل يوم من موت جماعة وفناء ثروات وخراب أبنية.

٤. الزهد، ص ٧٨، ح ٢١٠؛ الكافي، ج ٢، باب ذم الدنيا، ص ١٣١، ح ١٣؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢١.

٥. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب، ...».

٦. في المصدر والكافي مع زيادة: «أكثر ذكر الموت»، وفي الدعائم: «أكثروا ذكر الموت».

٧. الزهد، ص ٧٨، ح ٢١١؛ الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٧، ح ٢٧؛ وفي النوادر (للراوندي)، ص ٢٢، مع اختلاف يسير، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٨. في المصدر: «...، عن داود بن أبي يزيد، عن أبي شيبة الزهري، ...»، وفي الكافي: «...، عن داود بن فرقد بن أبي يزيد، عن ابن أبي شيبة الزهري،...».

٩. في الكافي مع زيادة: «ألا ولا بدّ من الموت».

١٠. الكرّة: الرجعة، راجع مجمع البحرين.

١١. في نسخة: خاصة. (هامش المطبوع)

١٢. الزهد، ص ٧٨، ح ٢١١؛ الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٨، ح ٢٧؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٣٦٤؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية.

١٣. الزهد، ص ٧٨، ح ٢١١؛ الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٨، ح ٢٧، وفيهما ذيل رواية؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢١.

١٤. لم يرد الحديث في كتاب حسين بن سعيد، بل هو مأخوذ من الكافي، ج ١، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام، ص ٢٩٩، ضمن ح ٦، كما يدل عليه شرحه «رحمه اللّه» على الحديث في كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقد ورد في تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٦٦؛ إثبات الوصية، ص ١٥٦.

أقول:

سيأتي شرحه في باب شهادة أمير المؤمنين عليه السلام[١].[٢]

٢٢١٨. الأمالي للصدوق[٣]: الدَّقَّاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنِ ابْنِ ظَبْيَانَ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْضَ رُوحِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَهْبَطَ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، أَدَاعٍ أَمْ نَاعٍ[٤]؟ قَالَ: بَلْ دَاعٍ يَا إِبْرَاهِيمُ، فَأَجِبْ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَهَلْ رَأَيْتَ خَلِيلاً يُمِيتُ خَلِيلَهُ؟[٥] قَالَ: فَرَجَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَقَالَ: إِلَهِي قَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ خَلِيلُكَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ اذْهَبْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ حَبِيباً يَكْرَهُ لِقَاءَ حَبِيبِهِ؟ إِنَّ الْحَبِيبَ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ.

٢٢١٩. الخصال[٦]: ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام[٧] قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله رَجُلٌ فَقَالَ: مَا لِي لَا أُحِبُّ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَ لَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدَّمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ لَا تُحِبُّ الْمَوْتَ[٨].

---

١. بحارالأنوار، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، أبواب وفاته «صلوات اللّه عليه»، باب كيفية شهادته ووصيته عليه السلام.

٢. قال «رضي اللّه عنه» هناك [مرآة العقول، ج ٣، ص ٢٩٤]: قوله عليه السلام: «كل امرئ لاق في فراره» أي من الأُمور المقدّرة الحتمية كالموت، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الجمعة /٨) وإنما قال عليه السلام: «في فراره»، لأن كلّ أحد يفرّ دائما من الموت وإن كان تبعّدا، و«المساق»: مصدر ميمي، فيحتمل أن يكون المراد بـ«الأجل» منتهى العمر و«المساق» ما يساق إليه، وأن يكون المراد به المدة، فالمساق زمان السوق.

و قوله عليه السلام: «والهرب منه موافاته» من حمل اللازم على الملزوم، فإن الإنسان ما دام يهرب من موته بحركات وتصرفات يفنى عمره فيها، فكأن الهرب منه موافاته، والمعنى: أنه إذا قدر زوال عمر أو دولة فكل ما يدبّره الإنسان لرفع ما يهرب منه يصير سببا لحصوله، إذ تأثير الأدوية والأسباب بإذنه تعالى، مع أنه عند حلول الأجل يصير أحذق الأطبّاء أجهلهم، ويغفل عما ينفع المريض، وهكذا في سائر الأُمور. انتهى. (هامش المطبوع)

٣. الأمالي (للصدوق)، ص ١٩٧؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٨٨؛ وفي قصص الأنبياء عليهم السلام (للراوندي)، ص ١١٧، صدر ح ١١٥.

٤. الناعي: الذي يأتي بخبر الموت، راجع لسان العرب.

٥. **نقول:** هذا السؤال من العبد المطيع للّه وخليله إبراهيم عليه السلام والجواب عن اللّه تعالى إنما هو لتعليم المؤمنين حتى لا يكرهوا الموت إذا جائهم، لأن فيه لقاء اللّه.

٦. الخصال، ج ١، ص ١٣، ح ٤٧؛ الجعفريات (الأشعثيات)، ص ٢١١؛ دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٣٢٨، ح ١٢٣٩؛ وفي الأخيرين عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧. في الجعفريات بهذا الإسناد: «عبد اللّه بن محمد، عن محمد بن محمد، عن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام».

٨. في الدعائم مع زيادة: «لأن قلب المرء عند ماله»، وفي الجعفريات: «لأن قلب الرجل عند متاعه».

٢٢٢٠. الخصال[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقِيناً لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ.

٢٢٢١. الخصال[٢]: الْفَامِيُّ وَابْنُ مَسْرُورٍ مَعاً، عَنِ ابْنِ بُطَّةَ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام[٣] قَالَ: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِمَا ذَا أَحْبَبْتَ لِقَاءَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ قَدِ اخْتَارَ لِي دِينَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ عليهم السلام عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِهٰذَا لَيْسَ يَنْسَانِي، فَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ.

٢٢٢٢. الخصال[٤]: الْخَلِيلُ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّرَّاجِ، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: شَيْئَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ.

٢٢٢٣. الخصال[٥]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ ذَلَّ.

٢٢٢٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٦]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّادِقِ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ سَئِمْتُ الدُّنْيَا فَأَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَوْتَ، فَقَالَ: تَمَنَّ الْحَيَاةَ لِتُطِيعَ لَا لِتَعْصِيَ، فَلَأَنْ تَعِيشَ فَتُطِيعَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ فَلَا تَعْصِيَ وَلَا تُطِيعَ.

٢٢٢٥. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٧]: ابْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو[٨]، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ هِنْدٍ بِنْتِ الْحَارِثِ الْفِرَاسِيَّةِ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ وَهُوَ شَاكٍ فَتَمَنَّى الْمَوْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ مُحْسِناً تَزْدَدْ إِحْسَاناً إِلَى إِحْسَانِكَ[٩]، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئاً فَتُؤَخَّرُ لِتَسْتَعْتِبَ[١٠] فَلَا تَمَنَّوُا الْمَوْتَ.

---

١. الخصال، ج ١، ص ١٤، ح ٤٨؛ تحف العقول، ص ٣٦٤؛ وفي فلاح السائل، ص ٦٢، بمضمونه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. الخصال، ج ١، ص ٣٣، ح ١؛ التوحيد (للصدوق)، ص ٢٨٨، ح ٦؛ أعلام الدين، ص ٦٦؛ وفي هذه المصادر ذيل رواية.

٣. في التوحيد بهذا الإسناد: «أحمد الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام».

٤. الخصال، ج ١، ص ٧٤، ح ١١٥؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٨٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٠، ح ٤.

٥. الخصال، ج ١، ص ١٢٠، ح ١١٠؛ وفي شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج ٣، ص ٢٨٦، ضمن رواية؛ وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣٤٣، ح ١٤٩٧٠؛ وفي المصدر والوسائل ذيل رواية.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣، ح ٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٠٩، ح ٢.

٧. الأمالي (للطوسي)، ص ٣٨٥، ح ٨٣٧؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١٧٢؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٩، ح ٢٦١٦.

٨. في المصدر: «أبي عمر».

٩. لم يرد في مجموعة ورّام والوسائل: «إلى إحسانك».

٢٢٢٦. معاني الأخبار[١١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ[١٢]، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ؟ وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ اللَّهِ أَبْغَضَ اللَّهُ لِقَاءَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَوَ اللَّهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إِنَّمَا ذٰلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ، إِذَا رَأَى[١٣] مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَاللَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ حِينَئِذٍ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ.

٢٢٢٧. معاني الأخبار[١٤]: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْمُعَاذِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام قَالَ: كَانَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا» صَدِيقٌ وَكَانَ مَاجِناً[١٥]، فَتَبَاطَئَ[١٦] عَلَيْهِ أَيَّاماً، فَجَاءَهُ يَوْماً فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عليه السلام: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْتُ بِخِلَافِ مَا أُحِبُّ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَيُحِبُّ الشَّيْطَانُ، فَضَحِكَ الْحَسَنُ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ أُطِيعَهُ وَلَا أَعْصِيَهُ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ، وَالشَّيْطَانُ يُحِبُّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ وَلَا أُطِيعَهُ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ. وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ لَا أَمُوتَ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلَا نُحِبُّهُ؟ قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: إِنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ، فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ.

توضيح:

«الماجن»: من لا يبالي قولاً وفعلاً.

٢٢٢٨. معاني الأخبار[١٧]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ[١٨]، عَنْ شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: شَيْءٌ يُرْوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ «رَحِمَهُ اللَّهُ» أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهَا النَّاسُ وَأَنَا

---

١٠. يستعتب: يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا، راجع لسان العرب.

١١. معاني الأخبار، ص ٢٣٦، ح ١؛ الزهد، ص ٨٣، ح ٢٢٠؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن، ص ١٣٤، ح ١٢.

١٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد جميعا، عن القاسم بن محمد، ...».

١٣. في الزهد: «إن المؤمن إذا رأى ...».

١٤. معاني الأخبار، ص ٣٨٩، ح ٢٩؛ وفي نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٠، مع نقصان.

١٥. **نقول:** من معاني المَجْن ـ كما في لسان العرب ـ: خلط الجد بالهزل، وهو المراد من الماجن هنا، لا الماجن بمعنى من لا يبالي قولا وفعلا الذي ورد النهي عن صداقته، ومضمون الحديث شاهد على ما ذكرنا، ولذا ضحك الحسن عليه السلام من كلامه.

١٦. أبطأ الرجل: تأخر مجيئه، راجع المصباح المنير.

١٧. معاني الأخبار، ص ١٦٥، ح ١؛ الكافي، ج ٨، ص ٢٢٢، ح ٢٧٩ (حديث توجيه كلام أبي ذر)؛ الأمالي (للمفيد)، ص ١٩٠، ح ١٧.

١٨. في الكافي بهذا الإسناد: «سهل، عن محمد بن عبد الحميد، عن يونس، ...»، وفي الأمالي: «أحمد بن محمد، عن أبيه ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن معروف، عن علي بن مهزيار، عن الحسن بن علي، عن يونس، ...».

أُحِبُّهَا: أُحِبُّ الْمَوْتَ، وَأُحِبُّ الْفَقْرَ، وَأُحِبُّ الْبَلَاءَ. فَقَالَ: إِنَّ هٰذَا لَيْسَ عَلَى مَا تَرْوُونَ[١] إِنَّمَا عَنَى: الْمَوْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْفَقْرُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْبَلَاءُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصِّحَّةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

٢٢٢٩. معاني الأخبار[٢]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّحَّانِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٣] قَالَ: لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: يَكُونُ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَالْفَقْرُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، وَالْمَرَضُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الصِّحَّةِ. قُلْنَا: وَمَنْ يَكُونُ كَذٰلِكَ؟ قَالَ: كُلُّكُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَى أَحَدِكُمْ: يَمُوتُ فِي حُبِّنَا، أَوْ يَعِيشُ فِي بُغْضِنَا؟ فَقُلْتُ: نَمُوتُ وَاللَّهِ فِي حُبِّكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا، قَالَ: وَكَذٰلِكَ الْفَقْرُ وَالْغِنَى وَالْمَرَضُ وَالصِّحَّةُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ.

٢٢٣٠. الأمالي للصدوق[٤]: ابْنُ الْمُغِيرَةِ بِإِسْنَادِهِ، عَنِ السَّكُونِيِّ[٥]، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: مَا أَنْزَلَ الْمَوْتَ حَقَّ مَنْزِلَتِهِ مَنْ عَدَّ غَداً مِنْ أَجَلِهِ.

٢٢٣١. كتاب حسين بن سعيد[٦]: حَمَّادُ بْنُ عِيسَى، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ رَفَعَهُ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» أَنَّهُ قَالَ: لَوْ لَا السُّجُودُ لِلَّهِ وَمُجَالَسَةُ قَوْمٍ يَتَلَفَّظُونَ طَيِّبَ الْكَلَامِ كَمَا يُتَلَفَّظُ طَيِّبُ التَّمْرِ لَتَمَنَّيْتُ الْمَوْتَ.

٢٢٣٢. الأمالي للصدوق[٧]: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْعَبْدِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبَايَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ قَالَ: إِنَّ شَابّاً مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُكْرِمُهُ وَيَدِينُهُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تُكْرِمُ هٰذَا الشَّابَّ وَتَدِينُهُ[٨] وَهُوَ شَابُّ سَوْءٍ. يَأْتِي الْقُبُورَ فَيَنْبُشُهَا بِاللَّيَالِي. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ: إِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَأَعْلِمُونِي.

قَالَ: فَخَرَجَ الشَّابُّ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي يَتَخَلَّلُ الْقُبُورَ فَأُعْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بِذٰلِكَ فَخَرَجَ لِيَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، وَوَقَفَ نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ الشَّابُّ، قَالَ: فَدَخَلَ قَبْراً قَدْ حَفَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ[٩] فِي اللَّحْدِ، وَنَادَى بِأَعْلَى

---

١. في نسخة: على ما يرون. (هامش المطبوع)

٢. معاني الأخبار، ص ١٨٩، ح ١؛ وفي الكافي، ج ٨، حديث القباب، ص ٢٥٣، ح ٣٥٧ مع اختلاف العبارة.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن إسحاق بن يزيد، عن مهران، عن أبان وعدة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. الأمالي (للصدوق)، ص ١٠٨، ح ٤؛ الزهد، ص ٨١، ح ٢١٧؛ الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٩، ح ٣٠.

٥. في الزهد والكافي: «فضالة، عن السكوني،...».

٦. الزهد، ص ٧٩، ح ٢١٢.

٧. الأمالي (للصدوق)، ص ٣٣٠، ح ١١.

٨. في المصدر: «يدنيه فقيل له: إنّك تكرم هذا الشاب وتدنيه... ».

٩. اضطجع: نام؛ وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض، راجع لسان العرب.

صَوْتِهِ: يَا وَيْحِي إِذَا دَخَلْتُ لَحْدِي وَحْدِي، وَنَطَقَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِي فَقَالَتْ: لَا مَرْحَباً بِكَ وَلَا أَهْلاً، قَدْ كُنْتُ أُبْغِضُكَ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي، فَكَيْفَ وَقَدْ صِرْتَ فِي بَطْنِي؟! بَلْ وَيْحِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وُقُوفاً، وَالْمَلَائِكَةِ صُفُوفاً، فَمِنْ عَدْلِكَ غَداً مَنْ يُخَلِّصُنِي؟ وَمِنَ الْمَظْلُومِينَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ مَنْ يُجِيرُنِي؟ عَصَيْتُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُعْصَى، عَاهَدْتُ رَبِّي مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي صِدْقاً وَلَا وَفَاءاً. وَجَعَلَ يُرَدِّدُ هٰذَا الْكَلَامَ وَيَبْكِي، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ الْتَزَمَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَانَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: نِعْمَ النَّبَّاشُ، نِعْمَ النَّبَّاشُ، مَا أَنْبَشَكَ لِلذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، ثُمَّ تَفَرَّقَا.

٢٢٣٣. قرب الإسناد[١]: الْيَقْطِينِيُّ، عَنِ الْقَدَّاحِ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله[٢]: اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: وَمَا نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ فَلَا يَبِيتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَأَجَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَلْيَدَعْ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

بيان:

«وما وعى» أي وليحفظ ما وعاه الرأس من البصر والسمع واللسان وغيرها من المشاعر عن ارتكاب ما يسخط اللّه، وليحفظ البطن وما حواه من الطعام والشراب أن يكونا من حرام؛ ويمكن أن يعمّ البطن بحيث يشمل الفرج أيضاً.

٢٢٣٤. الخصال[٣]: الْأَرْبَعُمِائَةِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَيَوْمِ خُرُوجِكُمْ مِنَ الْقُبُورِ، وَقِيَامِكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُهَوَّنْ عَلَيْكُمُ الْمَصَائِبُ.

٢٢٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كَمْ مِنْ غَافِلٍ يَنْسِجُ ثَوْباً لِيَلْبَسَهُ وَإِنَّمَا هُوَ كَفَنُهُ، وَيَبْنِي بَيْتاً لِيَسْكُنَهُ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ[٥].

٢٢٣٦. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٦]: فِيمَا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عِنْدَ وَفَاتِهِ: قَصِّرِ الْأَمَلَ، وَاذْكُرِ الْمَوْتَ، وَازْهَدْ

---

١. قرب الإسناد، ص ٢٣، ح ٧٩؛ وفي الزهد، ص ٤٥، ح ١٢٢ بمضمونه؛ الخصال، ج ١، ص ٢٩٣، ح ٥٨.

٢. في الزهد بهذا الإسناد: «فضالة بن أيوب، عن عبد اللّه بن فرقد، عن أبي كهمش، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله»، وفي الخصال: «ما جيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القدّاح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٣. الخصال، ج ٢، ص ٦١٦، ح ١٠؛ تحف العقول، ص ١٠٦؛ وفي معدن الجواهر، ص ٣٢، عن النبي صلى الله عليه وآله.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٩٧، ح ٥٤؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٨٨؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١٥٨.

٥. **نقول:** لا يبعد أن يكون المراد من يموت بالزلازل وما أشبهها، ويكون بيته موضع قبره.

٦. الأمالي (للطوسي)، ص ٧، ح ٨؛ الأمالي (للمفيد)، ص ٢٢١، ح ١؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ١٧٨.

فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ رَهْنُ مَوْتٍ، وَغَرَضُ بَلَاءٍ، وَصَرِيعُ سُقْمٍ[١].[٢]

٢٢٣٧. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٣]: فِيمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ[٤] فَوْتٌ فَاحْذَرُوا قَبْلَ وُقُوعِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّكُمْ طَرْدُ الْمَوْتِ[٥] إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى[٦] خَلْفَكُمْ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ عِنْدَ مَا تُنَازِعُكُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَكَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَثِيراً مَا يُوصِي أَصْحَابَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَّاتِ، حَائِلٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ.

٢٢٣٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٧]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ عَبَّادٍ الْمِنْقَرِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ أَنَّ الْبَهَائِمَ يَعْلَمُونَ مِنَ الْمَوْتِ مَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا سَمِيناً.

بيان:

لا ينافي هذا الخبر ما سيأتي من الأخبار في أنّ الموت ممّا لم تبهم عنه البهائم، إذ المعنى فيه: لو علموا كما تعلمون من خصوصيّات الموت وشدائده، فلا ينافي علمهم بأصل الموت؛ أو المراد: أنّهم لو كانوا مكلّفين وعلموا ما أوعد اللّه من العقاب لما كانوا غافلين كغفلتكم، ولذا قال صلى الله عليه وآله: «من الموت».

٢٢٣٩. مصباح الشريعة[٨]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ، وَيَقْلَعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ، وَيُقَوِّي الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ، وَيُرِقُّ الطَّبْعَ، وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى، وَيُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا، وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ؛ وَذٰلِكَ عِنْدَ مَا يَحُلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّنْيَا، وَيَشُدُّهَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُشَكُّ

---

١. قوله عليه السلام: «رهن موت» شبّه الموت ـ للزومه الإنسان وعدم انفكاك الإنسان منه ـ بالرهن في يد المرتهن. و«الغرض»: الهدف. و«الصريع» بمعنى مصروع أي المطروح على الأرض والساقط عليها، لأن طبيعة الإنسان دائما يصارع المرض والسقم ويدافعه حتى تضعف ويغلب عليه المرض والسقم، فيصرعها ويطرحها على الأرض، فهو إما زمن مقعد على فراشه، وإما راكب على سريره ونعشه. (هامش المطبوع)

٢. في الأمالي (للمفيد) ومجموعة ورّام: «طريح سقم».

٣. الأمالي (للطوسي)، ص ٢٨، ح ٣١؛ الغارات، ج ١، ص ٢٣٨؛ الأمالي (للمفيد)، ص ٢٦٤، ح ٣.

٤. في نسخة: فيه. (هامش المطبوع)

٥. في الغارات: «فإنكم طرداء الموت، وجِدّوا للثواب».

٦. طوى الكتاب: لفّ، راجع مقدمة الأدب.

٧. في الأمالي (للطوسي)، ص ٤٥٣، ذيل ح ١٠١١؛ وفي دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢١، مع اختلاف العبارة، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي من لا يحضره الفقيه، ج ٢، باب ما لم تبهم عنه البهائم، ص ٢٨٨، ح ٢٤٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨. مصباح الشريعة، ص ١٧١.

بِنُزُولِ الرَّحْمَةِ عَلَى ذَاكِرِ الْمَوْتِ[١] بِهٰذِهِ الصِّفَةِ، وَمَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِالْمَوْتِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ وَطُولِ مُقَامِهِ فِي الْقَبْرِ وَتَحَيُّرِهِ فِي الْقِيَامَةِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

* قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، فَقِيلَ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: الْمَوْتُ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَلَا فِي شِدَّةٍ إِلَّا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ، وَالْمَوْتُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَآخِرُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الدُّنْيَا، فَطُوبَى لِمَنْ أُكْرِمَ عِنْدَ النُّزُولِ بِأَوَّلِهَا، وَطُوبَى لِمَنْ أُحْسِنَ مُشَايَعَتُهُ فِي آخِرِهَا، وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَهُوَ يَعُدُّهُ أَبْعَدَ، فَمَا أَجْرَأَ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ! وَمَا أَضْعَفَهُ مِنْ خَلْقٍ! وَفِي الْمَوْتِ نَجَاةُ الْمُخْلِصِينَ وَهَلَاكُ الْمُجْرِمِينَ، وَلِذٰلِكَ اشْتَاقَ مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْمَوْتِ وَكَرِهَ مَنْ كَرِهَ.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «وذلك» أي فكر الساعة الذي هو خير من عبادة سنة. و«حلّ أطناب خيام الدنيا» كناية عن قطع العلائق عنها وعن شهواتها، وكذا «شدّها» في الآخرة عبارة عن جعل ما يأخذه ويدعه في الدنيا لتحصيل الآخرة.

٢٢٤٠. تفسير العيّاشيّ[٢]: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْكَافِرِ، الْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ أَمِ الْحَيَاةُ؟ فَقَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[٣]، وَيَقُولُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٤].

٢٢٤١. السرائر[٥]: مِنْ كِتَابِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ قُولَوَيْهِ «رَحِمَهُ اللَّهُ» قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَوْتُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَاءَ خَبَرٌ آخَرُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَتَانَا خَبَرُ ارْتَاعَ لَهُ[٦] إِخْوَانُكَ، ثُمَّ جَاءَ تَكْذِيبُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ، فَأَنْعَمَ ذٰلِكَ أَنْ سُرِرْنَا، وَإِنَّ السُّرُورَ وَشِيكُ[٧] الِانْقِطَاعِ يَبْلُغُهُ عَمَّا

---

١. في المصدر: «ولا يسكن نزول الرحمة عند ذكر الموت».

* يحتمل أن يكون ذلك والحديث الآتي بعده من بقية كلام الإمام الصادق عليه السلام، استشهد بهما على ما قال أولا من الترغيب في ذكر الموت أو يكونان خبرين مرسلين من جامع المصباح، والظاهر من المصنف الأول. (هامش المطبوع)

٢. تفسير العياشي، ج١، ص٢٠٦، ح ١٥٥؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٠، ح ٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٢٩٥، ح٣٣٦.

٣. آل عمران/١٩٨.

٤. في المصحف الشريف: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ...﴾ (آل عمران/١٧٨).

٥. السرائر، ج ٣، ص ٦٣٤.

٦. ارتاع له: تفزّع، راجع لسان العرب.

٧. الوشيك: السريع والقريب، راجع لسان العرب.

قَلِيلٍ تَصْدِيقُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ، فَهَلْ أَنْتَ كَائِنٌ كَرَجُلٍ قَدْ ذَاقَ الْمَوْتَ ثُمَّ عَاشَ بَعْدَهُ[١] فَسَأَلَ الرَّجْعَةَ فَأُسْعِفَ بِطَلِبَتِهِ[٢] فَهُوَ مُتَأَهِّبٌ[٣] بِنَقْلِ مَا سَرَّهُ[٤] مِنْ مَالِهِ إِلَى دَارِ قَرَارِهِ، لَا يَرَى أَنَّ لَهُ مَالاً غَيْرَهُ؟

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ دَائِبَانِ[٥] فِي نَقْصِ الْأَعْمَارِ[٦] وَإِنْفَادِ الْأَمْوَالِ وَطَيِّ الْآجَالِ؛ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ صَبَّحَا عاداً وَثَمُودَ وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً، فَأَصْبَحُوا قَدْ وَرَدُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَقَدِمُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ غَضَّانِ جَدِيدَانِ لَا يُبْلِيهِمَا مَا مَرَّا بِهِ يَسْتَعِدَّانِ لِمَنْ بَقِيَ بِمِثْلِ مَا أَصَابَا مَنْ مَضَى[٧]، وَاعْلَمْ أَنَّمَا أَنْتَ نَظِيرُ إِخْوَانِكَ وَأَشْبَاهِكَ، مَثَلُكَ كَمَثَلِ الْجَسَدِ قَدْ نُزِعَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حُشَاشَةُ نَفْسِهِ، يَنْتَظِرُ الدَّاعِيَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا نَعِظُ بِهِ ثُمَّ نَقْصُرُ عَنْهُ.

بيان:

«فأنعم ذلك» أي أقرّ عيون إخوانك، يقال: نَعِم اللّه بك عيناً، وأنعم اللّه بك عيناً، وأنعم صباحاً؛ ويقال: ما أنعمنا بك أي ما أقدمك فسررنا بلقائك، وأنعمت على فلان أي أصرت إليه نعمة. و«الحشاش» و«الحشاشة» بضمّهما: بقيّة الروح في الجسد في المرض.

٢٢٤٢. روضة الواعظين[٨]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي خُطْبَتِهِ: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[٩].

---

١. في المصدر: «قد ذاق الموت وعاين ما بعده».

٢. أسعفتُه بحاجته: قضيتها له، راجع المصباح المنير.

٣. المتأهّب للشيء: المستعدّ له، راجع مجمع البحرين.

٤. في المصدر: «متأهّب دائب ينقل ما سره».

٥. دأب فلان في عمله: جدّ وتعب، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر: «لم يزالا دائبين في نقص الأعمار».

٧. في نسخة: يستعدان لمن بقى أن يصيباه ما أصابا من مضى. (هامش المطبوع)

٨. روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٠؛ نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٦٢، خطبة ٢١؛ وفي عيون الحكم والمواعظ (للليثي)، ص ٢٠٣، ح٤١١٢ و٤١٢٠، مقطعا.

٩. قال السيد في نهج البلاغة بعد إيراده هذا الكلام: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام اللّه سبحانه وبعد كلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا، فأما قوله عليه السلام: «تخفّفوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا، وما أبعد غورها من كلمة! وأنقع نطفتها من حكمة! وقد نبّهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها. انتهى. منه.

أقول: وقال بعض الشارحين: «الغاية»: الثواب والعقاب، والنعيم والشقاء، فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم إليها، ولا تستبطؤها، فإن الساعة التي تصيبونها فيها ـ وهي القيامة ـ آزفة إليكم، فكأنها في تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه، سبق السابقون بأعمالهم إلى الحسنى، فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفّف من أثقال الشهوات وأوزار العناء في تحصيل

←

٢٢٤٣. وَقَالَ عليه السلام[١] أَيْضاً فِي خُطْبَتِهِ: فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ يَخَافُهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ، وَمَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِهِ أَجَلُهُ، وَإِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى! الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَ اللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ.

٢٢٤٤. وَتَبِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢] جِنَازَةً ـ فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ ـ فَقَالَ: كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ[٣] عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ[٤] وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ[٥][٦]، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ! وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ.

← اللذات، ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات، فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار، وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه.

قال ابن ميثم [في شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣١]: «كون الساعة وراءهم» فلأن الإنسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفرّ منه، وكانت العادة في الهارب من الشيء أن يكون وراءه المهروب منه، وكانت الموت متأخرا عن وجود الإنسان ولاحقاً تأخرا ولحوقا عقليا أشبه المهروب منه المتأخر اللاحق هربا وتأخرا ولحوقا حسيا، فلا جرم استعير لفظ المحسوسة وهي الوراء. وأما «كونهم تحدوهم» فلان الحادي لمّا كان من شأنه سوق الإبل بالحداء وكان تذكّر الموت وسماع نوادبه مزعجا للنفوس إلى الاستعداد للأُمور الآخرة والأُهْبَة للقاء اللّه سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة، كما يحمل الحادي الإبل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم أُشبه الحادي فأُسند الحداء إليه.

قوله عليه السلام: «تخفّفوا تلحقوا» لما نبّههم بكون الغاية أمامهم، وأن الساعة تحدوهم في سفر واجب، وكان السابق إلى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان اللّه، وقد علم أن التخفيف وقطع العلائق في الأسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم أمرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين، فالأُولى منهما قوله عليه السلام: «تخفّفوا» وكنّى بهذا الأمر عن الزهد الحقيقي الذي هو أقوى أسباب السلوك إلى اللّه سبحانه، وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه إلى القبلة الحقيقية، والإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها، فإن ذلك تخفيف للأوزار المانعة عن الصعود في درجات الأبرار، والموجبة لحلول دار البوار، وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الأمر في معنى الشرط. والثانية قوله عليه السلام: «تلحقوا» وهو جزاء الشرط، أي إن تتخفّفوا تلحقوا. إلى آخر كلامه ومن شاء فليراجعه. (هامش المطبوع)

١. في روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٠، صدر خطبة؛ وفي نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٨١، ذيل خطبة ٣٨، وص ٤٧١، ح ١٩، وص ٤٧٢، ح ٢٩ و ٣٠، مقطعا.

٢. روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٠؛ وفي تفسير القمي، ج ٢، ص ٧٠، مع نقصان؛ وفي نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٠، ح ١١٨، وضمن ح ١٢١، وص ٥٣٦، ح ٣٥٥، مقطعا.

٣. السفر: المسافرون، جمع سافِر، راجع المغرب.

٤. نبوّئهم أجداثهم: ننزلهم قبورهم، راجع لسان العرب.

٥. الجائحة: هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها، راجع النهاية.

٦. في المصدر: «حاجة»، وفي تفسير القمي: «حائجة».

٢٢٤٥. قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام[١] مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا، وَشَوَّقْنَاكُمْ فَلَمْ تَشْتَاقُوا، أَعْلِمِ الْقَتَّالِينَ أَنَّ لِلَّهِ سَيْفاً لَا يَنَامُ وَهُوَ جَهَنَّمُ؛ أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ أَوْفُوا لِلْحِسَابِ، أَبْنَاءَ الْخَمْسِينَ زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهُ، أَبْنَاءَ السِّتِّينَ مَا ذَا قَدَّمْتُمْ وَمَا ذَا أَخَّرْتُمْ؟ أَبْنَاءَ السَّبْعِينَ عُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، أَبْنَاءَ الثَّمَانِينَ تُكْتَبُ لَكُمُ الْحَسَنَاتُ وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْكُمُ السَّيِّئَاتُ[٢]، أَبْنَاءَ التِّسْعِينَ أَنْتُمْ أُسَرَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا يَقُولُ كَرِيمٌ[٣] أَسَرَ رَجُلاً؟ مَا ذَا يَصْنَعُ بِهِ؟ قُلْتُ: يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ وَيَفْعَلُ بِهِ؛ فَقَالَ: مَا تَرَى اللَّهَ صَانِعاً بِأَسِيرِهِ؟

بيان:

«الغاية»: الموت أو الجنّة والنار. قوله عليه السلام: «ينتظر بأوّلكم» أي إنّما ينتظر ببعث الأوّلين ونشرهم مجيء الآخرين وموتهم. «لقد ستر» أي الذنوب حتّى كأنّه قد غفرها، فاحذروا عقاب ما ستره واشكروه على هذا الستر؛ ويحتمل على بعد أن يكون المعنى ستر الموت عن الخلائق بحيث يظنّون أنّه رفع عنهم لكثرة غفلتهم عنه. قوله عليه السلام: «أوفوا» أي أكملوا وسلموا ما طلب منكم من الأعمال لأنّكم تحاسبون عليها. قوله عليه السلام: «زرع» أي أنتم أو أعمالكم.

٢٢٤٦. فلاح السائل[٤]: فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ مَوْلَانَا عَلِيّاً عليه السلام قَالَ: مَا رَأَيْتُ إِيمَاناً مَعَ يَقِينٍ أَشْبَهَ مِنْهُ بِشَكٍّ عَلَى هٰذَا الْإِنْسَانِ، إِنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ يُوَدِّعُ إِلَى الْقُبُورِ وَيُشَيِّعُ، وَإِلَى غُرُورِ الدُّنْيَا يَرْجِعُ، وَعَنِ الشَّهْوَةِ وَالذُّنُوبِ[٥] لَا يُقْلِعُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِابْنِ آدَمَ الْمِسْكِينِ ذَنْبٌ يَتَوَكَّفُهُ[٦] وَلَا حِسَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ إِلَّا مَوْتٌ يُبَدِّدُ شَمْلَهُ وَيُفَرِّقُ جَمْعَهُ وَيُؤْتِمُ وُلْدَهُ[٧] لَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحَاذِرَ مَا هُوَ فِيهِ بِأَشَدِّ النُّصْبِ وَالتَّعَبِ، وَلَقَدْ غَفَلْنَا عَنِ الْمَوْتِ غَفْلَةَ أَقْوَامٍ غَيْرِ نَازِلٍ بِهِمْ، وَرَكَنَّا إِلَى الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا رُكُونَ أَقْوَامٍ قَدْ أَيْقَنُوا بِالْمُقَامِ، وَغَفَلْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ غَفْلَةَ أَقْوَامٍ[٨] لَا يَرْجُونَ حِسَاباً وَلَا يَخَافُونَ عِقَاباً.

---

١. روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٠؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٠٨، ح ٧.

٢. **نقول:** المراد من عدم كتابة السيئات لأبناء الثمانين هوالسيئات التى تنشأ من ضعفهم في أداء الواجبات وترك بعض المحرمات، مثلاً لا يقدر على ترك مجلس المعصية فوراً لضعفه، أو لا يقدر على أداء الدين بسرعة لضعفه، أو تطهير المسجد إذا نجس وهكذا.

٣. في المصدر: «ما تقول في رجل كريم ...».

٤. فلاح السائل، ص ٢١٤؛ وفي الجعفريات (الأشعثيات)، ص ٢٣٦، مع زيادة في صدره؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢١.

٥. في الدعائم: «عن الشهوات واللذات».

٦. في الجعفريات: «يتخوفه»، وفي الدعائم: «يتوقعه».

٧. في الجعفريات: «بريم ولده».

٨. لم يرد في الدعائم من «قد أيقنوا بالمقام» إلى «غفلة أقوام».

بيان:

لعلّ الضمير في قوله عليه السلام: «منه» راجع إلى الموت المتقدّم ذكره في الرواية، أو المعلوم بقرينة المقام، وقوله عليه السلام: «على الإنسان» متعلّق بقوله: «أشبه» والظاهر أنّه سقط منه شيء. و«التوكّف»: التوقّع، أي يتوقّع وينتظر عقابه.

٢٢٤٧. جامع الأخبار[١]: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَأَفْضَلُ التَّفَكُّرِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، فَمَنْ أَثْقَلَهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَجَدَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

٢٢٤٨. وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ذَرٍّ «رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢]: مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لِأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمُ الدُّنْيَا وَخَرَّبْتُمُ الْآخِرَةَ فَتَكْرَهُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ. قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ فَكَالْغَائِبِ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ فَكَالْآبِقِ يَقْدَمُ عَلَى مَوْلَاهُ. قِيلَ: فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَعْرِضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٣]. قَالَ الرَّجُلُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

٢٢٤٩. كتاب الدرّة الباهرة[٥]: قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا الِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ؟ فَقَالَ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَالِاشْتِمَالُ عَلَى الْمَكَارِمِ، ثُمَّ لَا يُبَالِي أَ وَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ لَا يُبَالِي ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ؟

٢٢٥٠. دعوات الراونديّ[٦]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِفَتَرٍ[٧][٨] نَزَلَ بِهِ.

٢٢٥١. وَقَالَ صلى الله عليه وآله[٩]: لَا تَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ[١٠].

---

١. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٥؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٠٩، ح ٤.

٢. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٧؛ الكافي، ج ٢، باب محاسبة العمل، ص ٤٥٨، ح ٢٠؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٧.

٣. الانفطار/١٣ و ١٤.

٤. الأعراف/٥٦.

٥. الدرة الباهرة، ص ١٩، ح ٢٦؛ الأمالي (للصدوق)، ص ١١٠؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٨٨.

٦. الدعوات (للراوندي)، ص ١٢٢، ح ٢٩٦؛ شرح شهاب الأخبار (للقضاعي)، ص ٣٥١، ح ٦٦٦؛ وفي وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٩ صدر ح ٢٦١٧.

٧. الفَتَر: الضعف، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر: «بضرّ»، وفي شرح الشهاب والوسائل: «لضرّ».

٩. الدعوات (للراوندي)، ص ١٢٢، ح ٢٩٧؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ٧.

١٠. لم يرد في مجموعة ورّام: «إلى دار الخلود».

٢٢٥٢. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١]: بَقِيَّةُ عُمُرِ الْمَرْءِ[٢] لَا قِيمَةَ لَهُ، يُدْرِكُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَيُحْيِي مَا مَاتَ.

أقول:

سيأتي أخبار الاستعداد للموت في باب موضوع له في كتاب المكارم[٣].

١. الدعوات (للراوندي)، ص ١٢٢، ح ٢٩٨؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٣٩٤؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ١، ص ٣٦؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٢. في المصدر: «بقية عمر المؤمن».

٣. بحارالأنوار، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب الاستعداد للموت.

«تحقيق مقام لرفع شكوك وأوهام»

ربّما يتوهّم التنافي بين الآيات والأخبار الدالّة على حبّ لقاء اللّه، وبين ما يدلّ على ذمّ طلب الموت، وما ورد في الأدعية من استدعاء طول العمر وبقاء الحياة، وما روي من كراهة الموت عن كثير من الأنبياء والأولياء، ويمكن الجواب عنه بوجوه:

الأوّل: ما ذكره الشهيد «رحمه اللّه» في الذكرى من أنّ حبّ لقاء اللّه غير مقيّد بوقت، فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحبّ[1]، واستشهد لذلك بما مرّ من خبر عبد الصمد بن بشير.

الثاني: أنّ الموت ليس نفس لقاء اللّه، فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لا يستلزم كراهة لقاء اللّه، وهذا لا ينفع في كثير من الأخبار.

الثالث: أنّ ما ورد في ذمّ كراهة الموت فهي محمولة على ما إذا كرهه لحبّ الدنيا وشهواتها والتعلّق بملاذّها، وما ورد بخلاف ذلك على ما إذا كرهه لطاعة اللّه تعالى وتحصيل مرضاته وتوفير ما يوجب سعادة النشأة الأُخرى، ويؤيّده خبر سلمان.

الرابع: أنّ كراهة الموت إنّما تذمّ إذا كانت مانعة من تحصيل السعادات الأُخرويّة بأن يترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهجران الظالمين لحبّ الحياة والبقاء، والحاصل أنّ حبّ الحياة الفانية الدنيويّة إنّما يذمّ إذا آثرها على ما يوجب الحياة الباقية الأُخرويّة، ويدلّ عليه خبر شعيب العقرقوفيّ، وفضيل بن يسار، وهذا الوجه قريب من الوجه الثالث.

الخامس: أنّ العبد يلزم أن يكون في مقام الرضا بقضاء اللّه، فإذا اختار اللّه له الحياة فيلزمه الرضا بها والشكر عليها، فلو كره الحياة والحال هذه فقد سخط ما ارتضاه اللّه له وعلم صلاحه فيه، وهذا ممّا لا يجوز، وإذا اختار اللّه تعالى له الموت يجب أن يرضى بذلك، ويعلم أنّ صلاحه فيما اختاره اللّه له، فلو كره ذلك كان مذموماً.

---

١. ذكرى الشيعة، ج ١، ص ٣٨٩.

وأمّا الدعاء لطلب الحياة والبقاء لأمره تعالى بذلك، فلا ينافي الرضاء بالقضاء، وكذا في الصحّة والمرض والغنى والفقر وسائر الأحوال المتضادّة يلزم الرضا بكلّ منها في وقته، وأُمرنا بالدعاء لطلب خير الأمرين عندنا، فما ورد في حبّ الموت إنّما هو إذا أحب اللّه تعالى ذلك لنا، وأمّا الاقتراح عليه[1] في ذلك وطلب الموت فهو كفر لنعمة الحياة، غير ممدوح عقلاً وشرعاً كطلب المرض والفقر وأشباه ذلك، وهذا وجه قريب، ويؤيّده كثير من الآيات والأخبار، واللّه تعالى يعلم.

---

١. اقترح عليه: تحكّم وسأل من غير رويّة، راجع لسان العرب.

﴿باب ٥﴾

«ملك الموت وأحواله وأعوانه وكيفيّة نزعه للروح»

الآيات:

الأنعام/٦١: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

الأعراف/٣٧: ﴿... حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

يونس/١٠٤: ﴿... وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ...﴾

النحل/٢٨: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ...﴾

النحل/٣٢: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ...﴾

السجدة/١١: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

الزمر/٤٢: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...﴾

تفسير:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ أي المقتدر المستولي على عباده. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم. ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ أي تقبض روحه. ﴿رُسُلُنَا﴾ يعني أعوان ملك الموت. ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يضيّعون ولا يقصّرون فيما أُمروا به من ذلك.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي ملك الموت وأعوانه. ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي يقبضون أرواحهم؛ وقيل: معناه:

حتّى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفّونهم إلى النار يوم القيامة ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي ذهبوا عنّا وافتقدناهم، فلا يقدرون على الدفع عنّا وبطلت عبادتنا إيّاهم[١].

وقال الطبرسيّ «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي وكّل بقبض أرواحكم. عن ابن عبّاس قال: جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضي عليه الموت من غير عناء[٢]، وخطوته ما بين المشرق والمغرب. وقيل: إنّ له أعواناً كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس، ويدلّ عليه قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وقوله: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وأمّا إضافة التوفّي إلى نفسه في قوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فلأنّه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه[٣].

الروايات:

٢٢٥٣. الإحتجاج[٤]: فِي خَبَرِ الزِّنْدِيقِ الْمُدَّعِي لِلتَّنَاقُضِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾، وَ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وَ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ وَ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّى ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ، وَفِعْلُ رُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فِعْلُهُ، لِأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، فَاصْطَفَى جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَسَفَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[٥].

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ تَوَلَّتْ قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ تَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ النَّقِمَةِ، وَلِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنَّقِمَةِ يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَفِعْلُهُمْ فِعْلُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتُونَهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِذاً كَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَفِعْلُ مَلَكِ الْمَوْتِ فِعْلُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلَى يَدِ مَنْ يَشَاءُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ عَلَى يَدِ مَنْ يَشَاءُ، وَإِنَّ فِعْلَ أُمَنَائِهِ فِعْلُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٦].

---

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٨٢ و٦٤٣.

٢. العَناء: التعب، راجع مجمع البحرين.

٣. مجمع البيان، ج ٨، ص ٥١٤.

٤. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ٢٤٧؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١١، ح ٢؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٩٠٨، ح ٧٤٢٢.

٥. الحجّ/٧٥.

٦. الإنسان/٣٠.

٢٢٥٤. تفسير القمّيّ[١]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِيَدِهِ لَوْحٌ مِنْ نُورٍ لَا يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً مُقْبِلاً عَلَيْهِ، ثَبَّهُ[٢][٣] كَهَيْئَةِ الْحَزِينِ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا يَا جَبْرَئِيلُ؟ فَقَالَ: هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ، مَشْغُولٌ فِي قَبْضِ الْأَرْوَاحِ. فَقُلْتُ: أَدْنِنِي مِنْهُ يَا جَبْرَئِيلُ لِأُكَلِّمَهُ. فَأَدْنَانِي مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ أَكُلُّ مَنْ مَاتَ أَوْ هُوَ مَيِّتٌ فِيمَا بَعْدُ أَنْتَ تَقْبِضُ رُوحَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَتَحْضُرُهُمْ بِنَفْسِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَا الدُّنْيَا كُلُّهَا عِنْدِي فِيمَا سَخَّرَهَا اللَّهُ لِي وَمَكَّنَنِي مِنْهَا إِلَّا كَدِرْهَمٍ فِي كَفِّ الرَّجُلِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَمَا مِنْ دَارٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَدْخُلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ[٤]، وَأَقُولُ إِذَا بَكَى أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَى مَيِّتِهِمْ: لَاتَبْكُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي إِلَيْكُمْ عَوْدَةً وَعَوْدَةً حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَفَى بِالْمَوْتِ طَامَّةً[٥] يَا جَبْرَئِيلُ. فَقَالَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَطَمُّ وَأَعْظَمُ مِنَ الْمَوْتِ!

٢٢٥٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٦]: بِالْأَسَانِيدِ الثَّلَاثَةِ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ رَجُلاً[٧] قَاعِداً، رِجْلٌ لَهُ فِي الْمَشْرِقِ، وَرِجْلٌ فِي الْمَغْرِبِ، وَبِيَدِهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ فِيهِ، وَيُحَرِّكُ رَأْسَهُ؛ فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: مَلَكُ الْمَوْتِ[٨].

٢٢٥٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٩]: بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِي فِي عُلُوِّي[١٠] لَأُذِيقَنَّكَ طَعْمَ الْمَوْتِ كَمَا أَذَقْتَ عِبَادِي.

٢٢٥٧. التوحيد[١١]: الْقَطَّانُ، عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا، عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مَطَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ السَّعْدَانِيِّ ـ فِي خَبَرِ مَنْ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مُدَّعِياً لِلتَّنَاقُضِ فِي الْقُرْآنِ ـ قَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[١٢]،

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١١، ح ١؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٨٩، ح ٨٤٦٣.

٢. الثَّباب: الجلوس، راجع لسان العرب.

٣. لم يرد في المصدر والبرهان: «ثبه»، وفي النوادر: «نفسه».

٤. أي في أوقات الصلوات، على ما في حديث آخر من الباب الآتي. (هامش المطبوع)

٥. الطامة: الداهية تَغلب ما سواها، راجع لسان العرب.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣٢، ح ٤٨؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٦١، ح ٩١؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩١، ح ٨٤٩١.

٧. في الصحيفة: «ملكا».

٨. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في المجلد الثاني ذيل رواية رقم ١٤٢٦.

٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣٢، ح ٥٠؛ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٦١، ح ٩٤؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٣٣٦، ح ٦٨٢.

١٠. في الأمالي: «وارتفاعي في علو مكاني».

١١. التوحيد (للصدوق)، ص ٢٦٨، ح ٥؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٤٨٨؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٨٥٥، ح ١٢٠٨٧.

١٢. السجدة/١١.

وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[٣] فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيُوَكِّلُ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ، أَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَكِّلُهُ بِخَاصَّتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُوَكِّلُ رُسُلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَاصَّةً بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَهُمْ بِخَاصَّةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَيْسَ كُلُّ الْعِلْمِ يَسْتَطِيعُ صَاحِبُ الْعِلْمِ أَنْ يُفَسِّرَهُ لِكُلِّ النَّاسِ، لِأَنَّ مِنْهُمُ الْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ، وَلِأَنَّ مِنْهُ مَا يُطَاقُ حَمْلُهُ، وَمِنْهُ مَا لَا يُطَاقُ حَمْلُهُ إِلَّا مَنْ يُسَهِّلُ اللَّهُ لَهُ[٤] حَمْلَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، وَأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلَى يَدَيْ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَغَيْرِهِمْ.

أقول:

تمامه في كتاب القرآن[٥].

٢٢٥٨. تفسير العيّاشيّ[٦]: عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٧] قَالَ: هُوَ الَّذِي سُمِّيَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

٢٢٥٩. جامع الأخبار[٨]: قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام لِمَلَكِ الْمَوْتِ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي صُورَتَكَ الَّتِي تَقْبِضُ فِيهَا رُوحَ الْفَاجِرِ؟ قَالَ: لَا تُطِيقُ ذٰلِكَ، قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَعْرِضْ عَنِّي. فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ، قَائِمِ الشَّعْرِ، مُنْتِنِ الرِّيحِ، أَسْوَدِ الثِّيَابِ، يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَنَاخِرِهِ لَهِيبُ النَّارِ وَالدُّخَانُ؛ فَغُشِيَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ يَلْقَ الْفَاجِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا صُورَةَ وَجْهِكَ لَكَانَ حَسْبَهُ.

٢٢٦٠. نهج البلاغة[٩]: مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام ذَكَرَ فِيهَا مَلَكَ الْمَوْتِ: هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى

---

١. الزمر/٤٢.

٢. الأنعام/٦١.

٣. النحل/٢٨ و ٣٢.

٤. في البرهان: «إلا أن يسهّل اللّه له».

٥. بحارالأنوار، كتاب القرآن، أبواب فضائل سور القرآن، باب احتجاجات أميرالمؤمنين «صلوات اللّه عليه» على الزنديق.

٦. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٤؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٤٠٥؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣٣، ح ٤٩٠٥.

٧. الأعراف/٣٤.

٨. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٧٠؛ وفي عوالي اللئالي، ج ١، ص ٢٧٤، ذيل ح ١٠٠، مع اختلاف يسير؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٢، ح ٤.

٩. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ١٦٧، خطبة ١١٢.

أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَ يَلِجُ[١] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟

٢٢٦١. الكافي[٢]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ شَعْرٍ وَلَا وَبَرٍ[٤] إِلَّا وَمَلَكُ الْمَوْتِ يَتَصَفَّحُهُمْ[٥] فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ.

بيان:

لعلّ الأظهر «مدر» مكان «وبر».

٢٢٦٢. الكافي[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُلْوَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ لَحْظَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ، قَالَ: أَ مَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكُونُونَ جُلُوساً فَتَعْتَرِيهِمُ السَّكْتَةُ فَمَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟ فَتِلْكَ لَحْظَةُ مَلَكِ الْمَوْتِ حَيْثُ يَلْحَظُهُمْ.

٢٢٦٣. الكافي[٧]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ مَلَكِ الْمَوْتِ يُقَالُ: الْأَرْضُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْقَصْعَةِ[٨] يَمُدُّ يَدَهُ[٩] حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَالَ: نَعَمْ.

٢٢٦٤. من لا يحضره الفقيه[١٠]: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: قِيلَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: كَيْفَ تَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ وَبَعْضُهَا فِي الْمَغْرِبِ وَبَعْضُهَا فِي الْمَشْرِقِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: أَدْعُوهَا فَتُجِيبُنِي. قَالَ: وَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: إِنَّ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيَّ كَالْقَصْعَةِ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، وَالدُّنْيَا عِنْدِي كَالدِّرْهَمِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ شَاءَ.

٢٢٦٥. الخصال[١١]: ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ

---

١. ولج يلج: إذا دخل، راجع لسان العرب.

٢. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٦، ح ٢٢، وفي باب إخراج روح المؤمن والكافر، ص ١٣٦، ضمن ح ٣؛ وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٠٨، ح ٤٦٣٨؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩٠، ح ٨٤٦٥.

٣. في الكافي، ح ٣، والوسائل بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن المفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام».

٤. في الكافي، ح ٣، والوسائل: «أهل بيت مَدَر ولا وَبَر».

٥. تصفّحهم: نظر إليهم طالبا لإنسان، راجع لسان العرب.

٦. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٩، ح ٣١؛ الزهد، ص ٥٥، ح ١٤٧.

٧. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٦، ح ٢٤؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩٠، ح ٨٤٦٧.

٨. القصعة: الصحْفة، والصحفة: الإناء، راجع القاموس المحيط والنهاية.

٩. في المصدر والبرهان: «يده منها».

١٠. من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٤، ح ٣٥٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٠١، ح ٣٤٧؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩٠، ح ٨٤٧٠.

١١. الخصال، ج ١، ص ٢٥٥، ح ٥٨؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٠٥؛ وفيهما صدر رواية؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٠١، ح ٣٤٦.

مُوسَى بْنِ بَكْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَرْبَعَةً؛ اخْتَارَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكَ الْمَوْتِ عليهم السلام.

٢٢٦٦. من لا يحضره الفقيه[١]: سُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢]، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٣]، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[٤] وَ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٥]، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[٦]، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾[٧]، وَقَدْ يَمُوتُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ هٰذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَاناً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقْبِضُونَ الْأَرْوَاحَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبْعَثُهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَيَتَوَفَّاهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ مَا يَقْبِضُ هُوَ، وَيَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ.

٢٢٦٧. الكافي[٨]: أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبَانٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يَعْلَمُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِقَبْضِ مَنْ يَقْبِضُ[٩]؟ قَالَ: لَا، إِنَّمَا هِيَ صِكَاكٌ[١٠] تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ: اقْبِضْ نَفْسَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ.

٢٢٦٨. الكافي[١١]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمِيثَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾[١٢] قَالَ: فَمَا هُوَ عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: عَدَدُ الْأَيَّامِ، قَالَ: إِنَّ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ يُحْصُونَ ذٰلِكَ، لَا وَلٰكِنَّهُ عَدَدُ الْأَنْفَاسِ.

---

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٦، ح ٣٦٨؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٠٢، ح ٣٤٨؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٢٧، ح ٣٤٩٨.

٢. الزمر/٤٢.

٣. السجدة/١١.

٤. النحل/٣٢.

٥. النحل/٢٨.

٦. الأنعام/٦١.

٧. الأنفال/٥٠.

٨. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٥، ح ٢١؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٦٩٣، ح ١٤٧٥؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩٠، ح ٨٤٦٦.

٩. في الأمالي: «نفس من يقبض».

١٠. الصك: الكتاب، وجمعه صكاك، راجع لسان العرب.

١١. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٩، ح ٣٣؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٥٣؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٩٣.

١٢. مريم/٨٤.

٢٢٦٩. الكافي[١]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾[٢] قَالَ: تَعُدُّ السِّنِينَ، ثُمَّ تَعُدُّ الشُّهُورَ، ثُمَّ تَعُدُّ الْأَيَّامَ، ثُمَّ تَعُدُّ السَّاعَاتِ، ثُمَّ يَعُدُّ[٣] النَّفَسَ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.

١. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦٢، ح ٤٤؛ قرب الإسناد، ص ٤١، ح ١٣١؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٧٣.

٢. الجمعة/٨.

٣. في المصدر والطبعة الحجريّة: «تعد»، وهو الصحيح.

﴿باب ٦﴾

«سكرات الموت وشدائده، وما يلحق المؤمن والكافر عنده»

الآيات:

النساء/٩٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾

الأنفال/٥٠: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

يونس/٦٣ و ٦٤: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

---

١. **نقول:** هنا ملاحظة ينبغي التوقف عنده: ما هو المراد من البشارة في الآية؟

هناك بحث وجدال بين المفسرين في المراد من البشارة التي أعطاها اللّه في الآيات أعلاه لأوليائه في الدنيا والآخرة، فالبعض اعتبرها مختصة بالبشارة التي تقدمها الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار والموت، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (السجدة/٣٠). والبعض الآخر يعتبرها إشارة إلى وعود اللّه بالنصر والتغلب على الأعداء، والحكم في الأرض ما داموا مؤمنين وصالحين. وقد فسّرت هذه البشارة في بعض الروايات بأنها المنامات الجيدة التي يراها المؤمنون، إلا أنه ـ وكما قلنا ـ فإن إطلاق هذه الكلمة و«ال» للجنس في ﴿الْبُشْرَى﴾ قد أخفيا فيها مفهوما واسعا بحيث أنها تشمل كل نوع من البشارة وفرحة الانتصار والموفقية، ويندرج فيها كل ما ذكر أعلاه، وفي الواقع فإن كلّا منها إشارة إلى زاوية من هذه البشارة الإلهية الواسعة. وربّما كان ما فسّرت به «البشرى» في بعض الروايات بأنها المنامات الحسنة والرؤيا الصالحة إشارة إلى أن كل البشارات حتى الصغيرة منها، تدخل أيضا في مفهوم البشرى، لا أنها منحصرة بها.

الواقع فإن هذا هو الأثر التكويني والطبيعي للإيمان والتقوى حيث تبتعد عن روح الإنسان أشكال الاضطراب والقلق المتولدة من الشك والتردد، وكذلك المتولدة من الذنب والتلوّث والفجور، فكيف يمكن أن يشعر بالراحة والاطمئنان من لا إيمان له، ومن ليس له متّكأ معنوي ←

الأحزاب/٤٤: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ...﴾

فصّلت/٣٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١)

محمّد/٢٧: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾

ق/١٩: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢).(٣)

← يعتمد عليه في أعماق روحه؟! إنّه يبقى في سفينة وسط بحر هائج متلاطم الأمواج تقذف به الأمواج العظيمة في كل جانب وصوب وقد فتحت دوامات البحر أفواهها لابتلاعه!! كيف يمكن أن يهدأ بال ويطمئن خاطر من تلطخت يداه بالظلم والجور وإراقة دماء الناس وغصب أموال وحقوق الآخرين؟ إنه وبخلاف المؤمنين لا يتمتع حتى بالنوم الهادئ، وغالبا ما يرى المنامات المرعبة التي يرى نفسه فيها مشتبكا مع العدو، وهذا بنفسه دليل على اضطراب روح هؤلاء.

من الطبيعي أن الشخص الجاني خاصّة إذا كان مطاردا يرى في عالم الرؤيا أشباحا مرعبة قد أحكمت الطوق لإلقاء القبض عليه، أو أن روح ذلك المقتول المظلوم تصرخ في أعماق ضميره وتعذبه، ولهذا فإنه عند ما يستيقظ يقول كيزيد: مالي وللحسين؟ أو يقول ما قاله الحجاج: مالي ولسعيد بن جبير؟! (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٦، ص ٣٩٥)

١. **نقول:** هنا ملاحظه:

هل نزول الملائكة على المؤمنين المستقيمين يتمّ أثناء الموت والانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر، كما يحتمل ذلك بعض المفسرين، أم أن نزولهم يكون في ثلاثة مواطن، عند «الموت» وعند «دخول القبر» وعند «الإحياء والبعث والنشور»، أو إن هذه البشائر تكون دائمة ومستمرة، وتتمّ بواسطة الإلهام المعنوي، حيث تستقر الحقائق في أعماق المؤمنين بالرغم من أنها في لحظة الموت ولحظة الحشر تكون بشائر الملائكة أجلى وأوضح؟

يبدو أن المعنى الأخير أنسب، وذلك لعدم وجود قيد أو شرط في الآية. ويؤيد ذلك أن الملائكة تقول في البشارة الرابعة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت/٣١)، وهذا دليل على أن المؤمنين من ذوي الاستقامة يسمعون هذا الكلام من الملائكة في الدنيا عند ما يكونون أحياءاً، إلا أن ذلك لا يكون باللسان واللفظ، بل يسمعون ذلك بآذان قلوبهم بما يشعرون به من هدوء واستقرار وسكينة وإحساس كبير بالراحة عند المشاكل والصعاب.

صحيح أن بعض الروايات قيدت نزول الملائكة وحضورهم عند الموت، إلا أن ثمة روايات أُخرى تشير إلى معنى أوسع يشمل الحياة أيضا. ويمكن أن نستنتج من مجموع الروايات أن ذكر خصوص الموت هو بعنوان المصداق لهذا المفهوم الواسع، ونعرف هنا أن التفاسير الواردة في الروايات غالبا ما توضح المصاديق. إن بشائر الملائكة ستشع في أرواح المؤمنين وأعماق ذوي الاستقامة حتى تهبهم القوّة والقدرة على مواجهة أعاصير الحياة ومشقّاتها، وتثبّت أقدامهم من السقوط والانحراف. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٣٩٩)

٢. **نقول:** سكرة الموت هي حال تشبه حالة الثمل السكران إذ تظهر على الإنسان بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدل، وربّما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان وسلبت شعوره واختياره. وكيف لا تكون كذلك مع أن الموت مرحلة انتقالية مهمة ينبغي أن يقطع الإنسان فيها جميع علائقه بالدنيا التي تعلّق بها خلال سنين طويلة، وأن يخطو في عالم جديد عليه مليء بالأسرار، خاصّة أن الإنسان لحظة الموت يكون عنده إدراك جديد وبصر حديد، فهو يلاحظ عدم استقرار هذا العالم بعينيه ويرى الحوادث التي بعد الموت، وهنا تتملّكه حالة الرعب ←

الواقعة/٨٣-٩٤: ﴿فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(٤)

← والاستيحاش من قرنه إلى قدمه فتراه سكرا وليس بسكر. حتى الأنبياء وأولياء اللّه الذين يواجهون حالة النزع والموت باطمئنان كامل ينالهم من شدائد هذه الحالة نصيب، ويصابون ببعض العقبات في حالة الانتقال، كما قد ورد في حالات انتقال روح النبي الأكرم ﷺ إلى بارئها عند اللحظات الأخيرة من عمره الشريف المبارك أنه كان يدخل يده في إناء فيه ماء ويضعها على وجهه ويقول: لا إله إلا اللّه، ثم يقول: إن للموت سكرات. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ٣٠)

٣. قال الرضي «رحمه اللّه»: هذه استعارة، والمراد بسكرة الموت هاهنا الكرب الذي يتغشّى المحتضر عند الموت فيفقد تمييزه ويفارق معه معقوله، فشبّه تعالى بالسكرة من الشراب، إلا أن تلك السكرة منعمة، وهذه السكرة مؤلمة. وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين: إحداهما: أن يكون «وجاءت بالحق» من أمر الآخرة حتى عرفه الإنسان اضطرارا ورآه جهارا، والآخر: أن يكون المراد ﴿بِالْحَقِّ﴾ هاهنا أي بالموت الذي هو الحق. تلخيص البيان، ص ٣١٠. (هامش المطبوع)

٤. **نقول:** هنا ملاحظتان:

١. هل أن قبض الروح يكون تدريجيا؟

إن التعبير بوصول الروح إلى الحلقوم كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ كناية عن آخر لحظات الحياة، كما أنه من المحتمل أن يكون منشؤها هو أن غالبية أعضاء جسم الإنسان كالأيدي والأرجل تتعطّل عند الموت قبل بعض الأعضاء الأُخرى، والحلقوم هو العضو الأخير الذي يتوقف عن العمل. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (القيامة/٢٦)، و«الترقوة» هي العظام التي تحيط بأطراف الحلق.

٢. مصير الصالحين والطالحين:

هذه الآيات في الحقيقة نوع من الخلاصة للآيات الأُولى والأخيرة من هذه السورة، كما أنها تجسّد حالة التفاوت بين البشر في حالة الاحتضار، وكيف أن قسما منهم يلفظون أنفسهم بهدوء وراحة في تلك اللحظات الصعبة، وآخرين تلوح لهم من بعيد النار الحامية، ويسيطر عليهم الخوف والاضطراب والهلع فيلفظون أنفاسهم بصعوبة بالغة. يقول سبحانه في البداية: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾. «روح»: على وزن (قول) ـ كما ذكر ذلك أئمة اللغة ـ في الأصل بمعنى التنفس. «الريحان»: بمعنى النبات أو الشيء ذي العطر، ثم اصطلح على كل شيء باعث للحياة والراحة، كما أن الريحان يطلق على كل نعمة ورزق كريم.

وبناء على هذا فإن الروح والريحان الإلهيين يشملان كل وسائل الراحة والطمأنينة للإنسان، وكل نعمة وبركة إلهية. وبتعبير آخر: يمكن القول أن الروح إشارة إلى كل الأُمور التي تخلّص الإنسان من الصعوبات ليتنفّس براحة، وأما الريحان فإنه إشارة إلى الهبات والنعم التي تعود إلى الإنسان بعد إزالة العوائق.

والجدير بالملاحظة أن الحديث عن «جنة النعيم» جاء بعد ذكر الروح والريحان وقد يستفاد من هذا أن الروح والريحان يكون من نصيب المؤمنين في الاحتضار والقبر والبرزخ، وأما الجنة ففي الآخرة، كما نقرأ في حديث للإمام الصادق عليه السلام في تفسيره لهذه الآية حيث قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ يعني في الآخرة.

←

المنافقين/١٠: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

القيامة/٢٦-٣٠: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ[1] * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

← ثم يضيف سبحانه: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وهم تلك الثلّة الصالحة من الرجال والنساء الذين يستلمون صحيفة أعمالهم بيدهم اليمنى كعلامة للفوز والنصر والنجاح ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

وبهذا الترتيب فإن ملائكة اللّه المختصين بقبض الروح في لحظات الانتقال من هذه الدنيا يوصلون سلام أصحاب اليمين إلى المحتضر، كما قال تعالى في وصف أهل الجنة وكلامهم: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلاماً﴾ (الواقعة/٢٦). ويوجد احتمال آخر أيضا في تفسير هذه الآية وهو أن السلام يكون من قبل الملائكة حين يقولون له: سلام عليك أيّها العبد الصالح، يا من هو من أصحاب اليمين، أي يكفيك من الافتخار والوصف أن تكون في صفّ هؤلاء.

وتبيّن بعض الآيات القرآنية الأُخرى أيضا أن المؤمنين وهم في حالة الاحتضار يتلقّون سلاما من الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل/٣٢).

وعلى كل حال فإن تعبير «سلام» تعبير ذو معنى، سواء كان من الملائكة أو من أصحاب اليمين، فالسلام يعبّر عن الروح والريحان وكل أنواع الهدوء والنعمة والسلامة.

وينبغي الانتباه إلى أن التعبير بـ«أصحاب اليمين» سببه أن الإنسان في الغالب يتصدّى لإنجاز أعماله الأساسية والمهمّة بيده اليمنى، لذلك، فإن اليد اليمنى دلالة القدرة، والمهارة والقابلية والنجاح. ونقرأ في حديث للإمام الباقر عليه السلام في تعقيبه على نهاية هذه الآية أنه قال: «هم شيعتنا ومحبّونا».

ثم تستعرض الآيات الكريمة القسم الثالث الذين مرّ ذكرهم في أوائل هذه السورة عبر التصنيف الذي ذكر واصطلح عليهم بـ«أصحاب الشمال» حيث يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾. نعم، إنهم على مشارف الموت حيث يذوقون أول عذاب إلهي، ويتجرّعون مرارة عقاب يوم القيامة في القبر والبرزخ، ولأن الحديث عن حال المحتضر فإن جملة ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ من الأنسب أن يكون المراد منها هو عذاب البرزخ، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إشارة إلى عذاب يوم القيامة. ونقل في هذا المعنى روايات عديدة لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

والنقطة الجديرة بالذكر هنا أن كلمة ﴿الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ذكرت الواحدة تلو الأُخرى، حيث أن الأُولى تشير إلى تكذيب القيامة ووحدانية اللّه سبحانه ونبوة الرسول، والثانية تشير إلى الأشخاص الذين انحرفوا عن طريق الحقّ.

و هذا التعبير بالإضافة إلى أنه يؤدّي معنى التأكيد، فإنه يمكن أن يكون إشارة إلى أن قسما من الأشخاص الضالّين من فصيلة الأفراد المستضعفين أو الجهلة القاصرين الذين ليس لديهم إصرار وعناد على الباطل، يمكن أن تشملهم الألطاف الإلهية. أما المكذّبون المعاندون فإنهم سيبتلون بالمصير البائس والعاقبة السيئة التي تقدم ذكرها. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٧، ص ٥٠٨)

١. قال السيد الرضي «رضوان اللّه عليه» في ص ٣٥٦ من تلخيص البيان: هذه استعارة على أكثر الأقوال والمراد به ـ واللّه أعلم ـ صفة الشدّتين المجتمعين على المرء من فراق الدنيا ولقاء أسباب الآخرة، وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العرب في العبارة عن الأمر الشديد والخطب ←

الفجر/٢٧-٣٠: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

تفسير:

قال الطبرسي «رحمه اللّه»: ﴿تَوَفَّاهُمُ﴾ أي تقبض أرواحهم ﴿الْمَلائِكَةُ﴾: ملك الموت أو ملك الموت وغيره؛ فإنّ الملائكة تتوفّى، وملك الموت يتوفّى، واللّه يتوفّى، وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى اللّه تعالى إذا فعلوه بأمره، وما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت إذا فعلوه بأمره ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي في أيّ شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم. ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يستضعفنا أهل الشرك باللّه في أرضنا وبلادنا، ويمنعوننا من الإيمان باللّه واتّباع رسوله[1].

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي يقبضون أرواحهم عند الموت ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يريد إستاههم[2]، ولكن اللّه سبحانه كنّى عنها؛ وقيل: وجوههم ما أقبل منهم، وأدبارهم ما أدبر منهم، والمراد: يضربون أجسادهم من قدّامهم ومن خلفهم، والمراد بهم قتلى بدر؛ وقيل: معناه: سيضربهم الملائكة عند الموت. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي وتقول الملائكة للكفّار استخفافاً بهم: ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة؛ وقيل: إنّه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلّما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم، فذلك قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا باللّه ووحدانيّته ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ مع ذلك معاصيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّ البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشّرهم اللّه تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

← الفظيع بذكر الكشف عن الساق والقيام على ساق، وقد يجوز أيضا أن يكون الساق هاهنا جمع ساقة كما قالوا: حاجة وحاج، وغاية وغاي، والساقة: هم الذين يكونون في أعقاب الناس يحفزونهم على السير، وهذا في صفة أحوال الآخرة وسوق الملائكة للناس إلى القيامة، فكأنه تعالى وصف الملائكة السابقين بالكثرة (بالكرّة خ) حتى يلتفّ بعضهم ببعض من شدّة الحفز وعنيف السير والسوق، ومما يقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والوجه الأول أقرب، وهذا الوجه أغرب. انتهى.

أقول: قوله: «الملائكة السابقين» هكذا في النسخ ولعل الصحيح «السائقين». (هامش المطبوع)

١. مجمع البيان، ج ٣، ص ١٥١.

٢. الإست: العَجُز، راجع الصحاح.

٣. مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٤٦.

وثانيها: أنّ البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وثالثها: أنّها في الدنيا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة الجنّة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

وَرَوَى عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ[1]: يَا عُقْبَةُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هٰذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ إِلَى هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْوَرِيدِ ـ؛ الْخَبَرَ بِطُولِهِ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِنَّ هٰذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَقَرَأَ هٰذِهِ الْآيَةَ.

وقيل: إنّ المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما أُعدّ له في الجنّة قبل دخولها.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي لا خلف لما وعد اللّه ولا خلاف[2].

وفي قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ روي عن البراء أنّه قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلّا سلّم عليه[3].

وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي استمرّوا على أنّ اللّه ربّهم وحده لم يشركوا به شيئاً، أو ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه. وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام[4] عَنِ الِاسْتِقَامَةِ فَقَالَ: هِيَ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني عند الموت، وروي ذلك عن أبي عبداللّه عليه السلام.

وقيل: تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من اللّه تعالى؛ وقيل: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث. ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي يقولون لهم: لا تخافوا عقاب اللّه ولا تحزنوا لفوت الثواب؛ وقيل: لا تخافوا ما أمامكم من أُمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلّفتم من أهل وولد؛ وقيل: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنّي أغفرها لكم؛ وقيل: إنّ الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي أي لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات، ولا تحزنوا على ما مضى[5].

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٥، ح ٣٣.

٢. مجمع البيان، ج ٥، ص ١٨١ و١٨٢.

٣. المصدر السابق، ج ٨، ص ٥٦٨.

٤. في تفسير فرات الكوفي، ص ٥٠٩، ح ٦٦٥، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥. مجمع البيان، ج ٩، ص ١٧.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ أي غمرة الموت[١] وشدّته التي تغشّي الإنسان وتغلب على عقله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي أمر الآخرة حتّى عرفه صاحبه واضطرّ إليه؛ وقيل: معناه: جاءت سكرة الموت بالحقّ الذي هو الموت. ﴿ذٰلِكَ﴾ أي ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تهرب وتميل[٢].

﴿فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ أي فهلّا إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا أهل الميّت ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن يخرج نفسه؛ وقيل: معناه: تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿وَلٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ولا تعلمونه؛ وقيل: معناه: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا، ﴿فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا﴾ يعني فهلّا ترجعون نفس من يعزّ عليكم إذا بلغت الحلقوم وتردّونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيّين بثواب وعقاب وغير محاسبين؟ وقيل: أي غير مملوكين؛ وقيل: أي غير مبعوثين، والمراد أنّ الأمر لو كان كما تقولونه من أنّه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلّا رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في قولكم؟ فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنّه من تقدير مقدّر حكيم وتدبير مدبّر عليم.

﴿فَأَمَّا إِنْ كانَ﴾ ذلك المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند اللّه ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي فله روح وهو الراحة والاستراحة من تكاليف الدنيا ومشاقّها؛ وقيل: «الروح»: الهواء الذي تستلذّه النفس ويزيل عنها الهمّ، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يعني الرزق في الجنّة؛ وقيل: هو الريحان المشموم من ريحان الجنّة يؤتى به عند الموت فيشمّه؛ وقيل: «الروح»: الرحمة، و«الريحان»: كلّ نباهة وشرف؛ وقيل: «الروح»: النجاة من النار، و«الريحان»: الدخول في دار القرار؛ وقيل: روح في القبر؛ وريحان في الجنّة؛ وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة.

﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي فترى فيهم ما تحبّ لهم من السلامة من المكاره والخوف؛ وقيل: معناه: فسلام لك أيّها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين من عذاب اللّه، وسلّمت عليك ملائكة اللّه. قال الفرّاء: فسلام لك إنّك من أصحاب اليمين؛ فحذف «إنّك». وقيل: معناه: فسلام لك منهم في الجنّة لأنّهم يكونون معك، ويكون ﴿لَكَ﴾ بمعنى عليك.

﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي فنزُلهم الذي أُعدّ لهم من الطعام والشراب من حميم جهنّم. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي إدخال نار عظيمة[٣].

---

١. الغَمرة: الشدة، وغمرة الموت: شدة همومه، راجع لسان العرب.

٢. مجمع البيان، ج ٩، ص ٢١٧.

٣. المصدر السابق، ص ٣٤٢ـ٣٤٤.

﴿كَلَّا﴾ أي ليس يؤمن الكافر بهذا؛ وقيل: معناه: حقّاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي النفس أو الروح ﴿التَّرَاقِيَ﴾ أي العظام المكتنفة بالحلق، وكنّي بذلك عن الإشفاء على الموت. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي وقال من حضره: هل من راق؟ أي من طبيب شاف يرقيه ويداويه، فلا يجدونه؛ أو قالت الملائكة: من يرقي بروحه؟ أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقال الضحّاك: أهل الدنيا يجهّزون البدن، وأهل الآخرة يجهّزون الروح. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي وعلم عند ذلك أنّه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد؛ وجاء في الحديث أنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، ومفاصله يسلّم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأُفارقك إلى يوم القيامة.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ فيه وجوه: أحدها: التفّت شدّة أمر الآخرة بأمر الدنيا. والثاني: التفّت حال الموت بحال الحياة. والثالث: التفّت ساقاه عند الموت لأنّه تذهب القوّة فتصير كجلد يلتفّ بعضه ببعض؛ وقيل: هو أن يضطرب، فلا يزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الأُخرى ويلفّ إحداهما بالأُخرى؛ وقيل: هو التفاف الساقين في الكفن. والرابع: التفّت ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدّة كرب الموت بشدّة هول المطّلع؛ والمعنى في الجميع أنّه تتابعت عليه الشدائد، فلا يخرج من شدّة إلّا جاء أشدّ منها.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي مساق الخلائق إلى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر والنهي إلّا اللّه تعالى؛ وقيل: يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر اللّه به، إن كان من أهل الجنّة فإلى علّيّين، وإن كان من أهل النار فإلى سجّين[1].

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بالإيمان، المؤمنة الموقنة بالثواب والبعث؛ وقيل: المطمئنّة الآمنة بالبشارة بالجنّة عند الموت ويوم البعث؛ وقيل: النفس المطمئنّة التي يبيّض وجهها وتعطى كتابها بيمينها، فحينئذ تطمئنّ. ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أي يقال لها عند الموت؛ وقيل: عند البعث: ارجعي إلى ثواب ربّك وما أعدّه لك من النعيم؛ وقيل: ارجعي إلى الموضع الذي يختصّ اللّه سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه؛ وقيل: إنّ المراد: ارجعي إلى صاحبك وجسدك، فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد. ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب اللّه ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أعمالها التي عملتها؛ وقيل: راضية عن اللّه بما أعدّ لها، مرضيّة رضي عنها ربّها بما عملت من طاعته؛ وقيل: راضية بقضاء اللّه في الدنيا حتّى رضي اللّه عنها ورضي باعتقادها وأفعالها. ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ التي وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها[2].

---

١. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٦٠٥ و٦٠٦.

٢. المصدر السابق، ص ٧٤٢.

الروايات:

٢٢٧٠. المجالس للمفيد، الأمالي للشيخ الطوسيّ[١]: الْمُفِيدُ، عَنِ الصَّدُوقِ، عَنْ مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ مَعاً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ[٢].

٢٢٧١. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٣]: الْمُفِيدُ، عَنِ ابْنِ قُولَوَيْهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] فَذُكِرَ عِنْدَهُ الْمُؤْمِنُ وَمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْفَضْلِ أَ لَا أُحَدِّثُكَ بِحَالِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَحَدِّثْنِي ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَقَالَ: إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رُوحَ الْمُؤْمِنِ صَعِدَ مَلَكَاهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَا: يَا رَبِّ عَبْدُكَ وَنِعْمَ الْعَبْدُ؛ كَانَ سَرِيعاً إِلَى طَاعَتِكَ، بَطِيئاً عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَقَدْ قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ، فَمَا تَأْمُرُنَا مِنْ بَعْدِهِ[٥]؟ فَيَقُولُ الْجَلِيلُ الْجَبَّارُ: اهْبِطَا إِلَى الدُّنْيَا وَكُونَا عِنْدَ قَبْرِ عَبْدِي وَمَجِّدَانِي[٦] وَسَبِّحَانِي وَهَلِّلَانِي وَكَبِّرَانِي وَاكْتُبَا ذٰلِكَ لِعَبْدِي حَتَّى أَبْعَثَهُ مِنْ قَبْرِهِ.

أقول:

سيأتي تمامه في باب قضاء حاجة المؤمن[٧].

٢٢٧٢. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٨]: الْمُفِيدُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ، عَنِ الْفَزَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُمَرَ[٩]، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ضَوْءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَتَرَدَّدُ عَنْهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ[١٠]، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، فَإِذَا حَضَرَهُ أَجَلُهُ

---

١. الأمالي (للمفيد)، ص ٢٨٣، ح ٨؛ الأمالي (للطوسي)، ص ١١٠، ح ١٦٧؛ وفي من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٤، ح ٣٥٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢. **نقول:** لا منافاة بين هذه الرواية وما دلّ على رفع الكراهة عن الموت للمؤمن، لأن الثانية تدلّ على تقليل سكرات الموت ومشاكله لا أنه لا يبقى منه شيء.

٣. الأمالي (للطوسي)، ص ١٩٥، ح ٣٣٣؛ وفي ثواب الأعمال، ص ٢٠٠، مع اختلاف يسير؛ الأمالي (للمفيد)، ص ١٧٧، ح ٨.

٤. في ثواب الأعمال بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه، عن الحميري، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن الصيرفي، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٥. لم يرد في الأمالي (للمفيد) من «كان سريعا إلى طاعتك» إلى «تأمرنا من بعده».

٦. في الثواب الأعمال: «فاحمداني».

٧. بحار الأنوار، كتاب العشرة، أبواب حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، باب قضاء حاجة المؤمنين والسعي فيها.

٨. الأمالي (للطوسي)، ص ٤١٤، ح ٩٣٢؛ الجواهر السنية، ص ٦٢٥.

٩. في المصدر: «المفيد، عن أبي حفص عمر بن محمد بن علي الصوفي، عن محمد بن همّام، عن الفزاري، عن سعيد بن عمرو، ...»، وفي الجواهر: «المفيد، عن أبي حفص محمد بن عمر بن علي الصيرفي، عن محمد بن همّام، عن الفزاري، عن سعيد بن عمرو، ...».

١٠. في المصدر: «أتردّد فيه مثل تردّدي عند قبض روح المؤمن».

الَّذِي لَا يُؤَخَّرُ فِيهِ بَعَثْتُ إِلَيْهِ بِرَيْحَانَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، تُسَمَّى إِحْدَاهُمَا الْمُسْخِيَةُ، وَالْأُخْرَى الْمُنْسِيَةُ؛ فَأَمَّا الْمُسْخِيَةُ فَتُسْخِيهِ عَنْ مَالِهِ[١]، وَأَمَّا الْمُنْسِيَةُ فَتُنْسِيهِ أَمْرَ الدُّنْيَا.

٢٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام[٢]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام[٣]: صِفْ لَنَا الْمَوْتَ، قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ كَأَطْيَبِ رِيحٍ يَشَمُّهُ فَيَنْعُسُ لِطِيبِهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالْأَلَمُ كُلُّهُ عَنْهُ، وَلِلْكَافِرِ كَلَسْعِ الْأَفَاعِي وَلَدْغِ الْعَقَارِبِ[٤] أَوْ أَشَدَّ. قِيلَ: فَإِنَّ قَوْماً يَقُولُونَ: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ نَشْرٍ بِالْمَنَاشِيرِ[٥]، وَقَرْضٍ بِالْمَقَارِيضِ، وَرَضْخٍ[٦] بِالْأَحْجَارِ، وَتَدْوِيرِ قُطْبِ الْأَرْحِيَةِ[٧] عَلَى الْأَحْدَاقِ؛ قَالَ: كَذٰلِكَ هُوَ عَلَى بَعْضِ الْكَافِرِينَ وَالْفَاجِرِينَ، أَ لَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَايِنُ تِلْكَ الشَّدَائِدَ؟ فَذٰلِكَمُ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ هٰذَا لَا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا.

قِيلَ: فَمَا بَالُنَا نَرَى كَافِراً يَسْهُلُ عَلَيْهِ النَّزْعُ فَيَنْطَفِئُ وَهُوَ يُحَدِّثُ وَيَضْحَكُ وَيَتَكَلَّمُ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ أَيْضاً مَنْ يَكُونُ كَذٰلِكَ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ مَنْ يُقَاسِي عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ هٰذِهِ الشَّدَائِدَ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ مِنْ رَاحَةٍ لِلْمُؤْمِنِ هُنَاكَ فَهُوَ عَاجِلُ ثَوَابِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ شَدِيدَةٍ فَتَمْحِيصُهُ مِنْ ذُنُوبِهِ لِيَرِدَ الْآخِرَةَ نَقِيّاً، نَظِيفاً، مُسْتَحِقّاً لِثَوَابِ الْأَبَدِ، لَا مَانِعَ لَهُ دُونَهُ؛ وَمَا كَانَ مِنْ سُهُولَةٍ هُنَاكَ عَلَى الْكَافِرِ فَلِيُوَفَّى أَجْرَ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا لِيَرِدَ الْآخِرَةَ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا يُوجِبُ عَلَيْهِ الْعَذَابَ، وَمَا كَانَ مِنْ شِدَّةٍ عَلَى الْكَافِرِ هُنَاكَ فَهُوَ ابْتِدَاءُ عَذَابِ اللَّهِ لَهُ بَعْدَ نَفَادِ حَسَنَاتِهِ[٨]، ذٰلِكَمْ بِأَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ لَا يَجُورُ.

٢٢٧٤. معاني الأخبار[٩]: الْهَمَدَانِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ[١٠] ـ وَكَانَ خَيِّراً ـ عَنْ عَمَّارٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً أَقْسَمَ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُمِيتَهُ مَا أَمَاتَهُ

---

١. سَخَّيْتُ نفسي عن الشيء: تركته ولم تنازعني نفسي إليه، راجع لسان العرب.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٧٤، ح ٩؛ معاني الأخبار، ص ٢٧٨، ح ١؛ وفي جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٧، مع نقصان.

٣. في المعاني بهذا الإسناد: «المفسر، عن أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي الناصري، عن أبيه، عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جده، عن أبي عبد اللّه عليهم السلام».

٤. اللدغ: عضّ الحية والعقرب، راجع لسان العرب.

٥. المناشير: جمع منشار، راجع مقدمة الأدب.

٦. الرضخ: الدق والكسر، راجع لسان العرب.

٧. الرحى: الحجر العظيم التي يطحن بها، والجمع أرحية، راجع لسان العرب.

٨. لم يرد في المصدر: «بعد نفاد حسناته».

٩. معاني الأخبار، ص ١٤٢، ح ١؛ الكافي، ج ٣، باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه، ص ١٢٧، ح ١.

١٠. في الكافي: «أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن أبي محمد الأنصاري، ...».

أَبداً،[١] وَلٰكِنْ إِذَا حَضَرَ أَجَلُهُ[٢] بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ رِيحَيْنِ: رِيحاً يُقَالُ لَهُ: الْمُنْسِيَةُ، وَرِيحاً يُقَالُ لَهُ: الْمُسْخِيَةُ، فَأَمَّا الْمُنْسِيَةُ فَإِنَّهَا تُنْسِيهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَأَمَّا الْمُسْخِيَةُ فَإِنَّهَا تُسْخِي نَفْسَهُ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يَخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢٢٧٥. الخصال[٣]: الْأَرْبَعُمِائَةِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَمَسَّكُوا بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ، فَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى مَا يُحِبُّ إِلَّا أَنْ يَحْضُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٤]، وَتَأْتِيهِ الْبِشَارَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَقَرُّ عَيْنُهُ وَيُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ.

بيان:

«الاغتباط»: كون الإنسان على حال يغبطه الناس ويتمنّون حاله.

٢٢٧٦. معاني الأخبار[٥]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ النَّاصِرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْجَوَادِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: صِفْ لَنَا الْمَوْتَ، فَقَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتُمْ، هُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ: إِمَّا بِشَارَةٌ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ، وَإِمَّا بِشَارَةٌ بِعَذَابِ الْأَبَدِ، وَإِمَّا تَحْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرُهُ مُبْهَمٌ، لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ الْفِرَقِ هُوَ؛ فَأَمَّا وَلِيُّنَا الْمُطِيعُ لِأَمْرِنَا فَهُوَ الْمُبَشَّرُ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ، وَأَمَّا عَدُوُّنَا الْمُخَالِفُ عَلَيْنَا فَهُوَ الْمُبَشَّرُ بِعَذَابِ الْأَبَدِ، وَأَمَّا الْمُبْهَمُ أَمْرُهُ الَّذِي لَا يُدْرَى مَا حَالُهُ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ لَا يَدْرِي مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ حَالُهُ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مُبْهَماً مَخُوفاً، ثُمَّ لَنْ يُسَوِّيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَعْدَائِنَا، لٰكِنْ يُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِنَا، فَاعْمَلُوا وَأَطِيعُوا وَلَا تَتَّكِلُوا وَلَا تَسْتَصْغِرُوا عُقُوبَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ مِنَ الْمُسْرِفِينَ مَنْ لَا تَلْحَقُهُ شَفَاعَتُنَا إِلَّا بَعْدَ عَذَابِ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ.

٢٢٧٧. وَسُئِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام[٦]: مَا الْمَوْتُ الَّذِي جَهِلُوهُ؟ قَالَ: أَعْظَمُ سُرُورٍ يَرِدُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا نُقِلُوا عَنْ دَارِ النَّكَدِ إِلَى نَعِيمِ الْأَبَدِ، وَأَعْظَمُ ثُبُورٍ يَرِدُ عَلَى الْكَافِرِينَ إِذَا نُقِلُوا عَنْ جَنَّتِهِمْ إِلَى نَارٍ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْفَدُ.

٢٢٧٨. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام[٧]: لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام نَظَرَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَإِذَا هُوَ بِخِلَافِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ[٨]، وَوَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ[٩]، وَكَانَ الْحُسَيْنُ

---

١. **نقول:** هذا الحكم من قبيل الأحكام المشروطة ومعناه أنه لو لا ما يكون في الموت من المصالح لاستجاب اللّه دعاء المؤمن في هذا الأمر.

٢. في الكافي: «ولكن إذا كان ذلك أو إذا حضر أجله».

٣. الخصال، ج ٢، ص ٦١٤، ح ١٠؛ تحف العقول، ص ١٠٥، الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٦، ح ٣٧٢.

٤. القصص / ٦٠.

٥. معاني الأخبار، ص ٢٨٨، ح ٢؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥١.

٦. معاني الأخبار، ص ٢٨٨، ح ٣؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٢؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٤، ح ٣.

٧. في معاني الأخبار، ص ٢٨٨، ذيل ح ٣؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٢؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٤، ح ٤.

٨. الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة عند نُغْض الكتف في وسط الجَنْب عند مَنْبض القلب؛ تُرْعد وتثور عند الفزْعة والغضب، راجع الفائق.

«صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصَائِصِهِ تُشْرِقُ أَلْوَانُهُمْ، وَتَهْدَئُ جَوَارِحُهُمْ، وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا لَا يُبَالِي بِالْمَوْتِ! فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: صَبْراً بَنِي الْكِرَامِ، فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ[١٠] يَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ[١١] وَالضَّرَّاءِ إِلَى الْجِنَانِ الْوَاسِطَةِ[١٢] وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ، فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرٍ؟ وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرٍ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ،[١٣] إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْمَوْتُ جِسْرُ هٰؤُلَاءِ إِلَى جِنَانِهِمْ، وَجِسْرُ هٰؤُلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ.

٢٢٧٩. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام[١٤]: قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: مَا الْمَوْتُ؟ قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ كَنَزْعِ ثِيَابٍ وَسِخَةٍ قَمِلَةٍ[١٥]، وَفَكِّ قُيُودٍ وَأَغْلَالٍ ثَقِيلَةٍ، وَالِاسْتِبْدَالِ بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَطْيَبِهَا رَوَائِحَ وَأَوْطَئِ[١٦] الْمَرَاكِبِ، وَآنَسِ الْمَنَازِلِ؛ وَلِلْكَافِرِ كَخَلْعِ ثِيَابٍ فَاخِرَةٍ، وَالنَّقْلِ عَنْ مَنَازِلَ أَنِيسَةٍ، وَالِاسْتِبْدَالِ بِأَوْسَخِ الثِّيَابِ وَأَخْشَنِهَا، وَأَوْحَشِ الْمَنَازِلِ، وَأَعْظَمِ الْعَذَابِ.

٢٢٨٠. وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام[١٧]: مَا الْمَوْتُ؟ قَالَ: هُوَ النَّوْمُ الَّذِي يَأْتِيكُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ طَوِيلٌ مُدَّتُهُ، لَا يُنْتَبَهُ مِنْهُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَأَى فِي نَوْمِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْفَرَحِ مَا لَا يُقَادِرُ قَدْرَهُ وَمِنْ أَصْنَافِ الْأَهْوَالِ مَا لَا يُقَادِرُ قَدْرَهُ فَكَيْفَ حَالُ فَرَحٍ فِي النَّوْمِ وَوَجَلٍ فِيهِ[١٨]؟ هٰذَا هُوَ الْمَوْتُ فَاسْتَعِدُّوا لَهُ.

بيان:

«النكد»: الشدّة والعسر. و«الثبور»: الهلاك.

٢٢٨١. معاني الأخبار[١٩]: الْمُفَسِّرُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: دَخَلَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليهما السلام عَلَى رَجُلٍ قَدْ غَرِقَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَهُوَ لَا يُجِيبُ دَاعِياً، فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

---

٩. في المصدر: «وارتعدت فرائصهم ووجبت قلوبهم»، وفي الاعتقادات: «وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم ووجبت جنوبهم».

١٠. القنطرة: الجِسر، راجع لسان العرب.

١١. البؤس: الشدة، راجع لسان العرب.

١٢. في المصدر والاعتقادات والنوادر: «الواسعة».

١٣. إلى هنا تمت الرواية في النوادر.

١٤. معاني الأخبار، ص ٢٨٩، ح ٤؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٤، ح ٥.

١٥. القَمِل: القذر، راجع لسان العرب.

١٦. الوطئ من كل شيء: ما سهُل ولان، راجع لسان العرب.

١٧. معاني الأخبار، ص ٢٨٩، ح ٥؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٤، ح ٦.

١٨. في الاعتقادات: «فكيف حال من فرح في الموت ووجل فيه».

١٩. معاني الأخبار، ص ٢٨٩، ح ٦؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٥، ح ٧.

وَدِدْنَا لَوْ عَرَفْنَا، كَيْفَ الْمَوْتُ وَكَيْفَ حَالُ صَاحِبِنَا؟ فَقَالَ: الْمَوْتُ هُوَ الْمِصْفَاةُ[١] تُصَفِّي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُ آخِرُ أَلَمٍ يُصِيبُهُمْ كَفَّارَةَ آخِرِ وِزْرٍ بَقِيَ عَلَيْهِمْ؛ وَتُصَفِّي الْكَافِرِينَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، فَيَكُونُ آخِرُ لَذَّةٍ أَوْ رَاحَةٍ[٢] تَلْحَقُهُمْ، هُوَ آخِرَ ثَوَابِ حَسَنَةٍ تَكُونُ لَهُمْ، وَأَمَّا صَاحِبُكُمْ هٰذَا فَقَدْ نُخِلَ[٣] مِنَ الذُّنُوبِ نَخْلاً، وَصُفِّيَ مِنَ الْآثَامِ تَصْفِيَةً، وَخُلِّصَ حَتَّى نُقِّيَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ مِنَ الْوَسَخِ، وَصَلُحَ لِمُعَاشَرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي دَارِنَا دَارِ الْأَبَدِ.

٢٢٨٢. معاني الأخبار[٤]: بِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام قَالَ: مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الرِّضَا عليه السلام فَعَادَهُ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: لَقِيتُ الْمَوْتَ بَعْدَكَ ـ يُرِيدُ مَا لَقِيَهُ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ ـ فَقَالَ: كَيْفَ لَقِيتَهُ؟ فَقَالَ: أَلِيماً شَدِيداً، فَقَالَ: مَا لَقِيتَهُ إِنَّمَا لَقِيتَ مَا يُنْذِرُكَ بِهِ[٥]، وَيُعَرِّفُكَ بَعْضَ حَالِهِ؛ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُسْتَرِيحٌ بِالْمَوْتِ، وَمُسْتَرَاحٌ بِهِ مِنْهُ، فَجَدِّدِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِالْوَلَايَةِ تَكُنْ مُسْتَرِيحاً. فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذٰلِكَ. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

٢٢٨٣. معاني الأخبار[٦]: بِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام قَالَ: قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»: مَا بَالُ هٰؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ جَهِلُوهُ فَكَرِهُوهُ، وَلَوْ عَرَفُوهُ وَكَانُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَحَبُّوهُ وَلَعَلِمُوا أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا بَالُ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ يَمْتَنِعُ مِنَ الدَّوَاءِ الْمُنَقِّي لِبَدَنِهِ وَالنَّافِي لِلْأَلَمِ عَنْهُ؟ قَالَ: لِجَهْلِهِمْ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً إِنَّ مَنِ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ حَقَّ الِاسْتِعْدَادِ فَهُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ هٰذَا الدَّوَاءِ لِهٰذَا الْمُتَعَالِجِ، أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ الْمَوْتُ مِنَ النَّعِيمِ لَاسْتَدْعَوْهُ وَأَحَبُّوهُ أَشَدَّ مَا يَسْتَدْعِي الْعَاقِلُ الْحَازِمُ[٧] الدَّوَاءَ لِدَفْعِ الْآفَاتِ وَاجْتِلَابِ السَّلَامَةِ[٨].

٢٢٨٤. معاني الأخبار[٩]: بِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام قَالَ: دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام عَلَى مَرِيضٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ، أَ رَأَيْتَكَ إِذَا اتَّسَخْتَ وَتَقَذَّرْتَ وَتَأَذَّيْتَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَذَرِ وَالْوَسَخِ عَلَيْكَ، وَأَصَابَكَ قُرُوحٌ[١٠] وَجَرَبٌ[١١]، وَعَلِمْتَ أَنَّ الْغَسْلَ فِي حَمَّامٍ يُزِيلُ

---

١. المصفاة: التي يصفّى بها الشراب، راجع شمس العلوم.

٢. في جامع الأخبار: «فيكون آخر لذّة أو نعمة أو راحة».

٣. نخل الشيء: صفّاه واختاره، راجع شمس العلوم.

٤. معاني الأخبار، ص ٢٨٩، ح ٧؛ الدعوات (للراوندي)، ص ٢٤٨، ح ٦٩٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٥، ح ٨.

٥. في الدعوات: «إنما لقيت ما يبدؤك به».

٦. معاني الأخبار، ص ٢٩٠، ح ٨؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٥؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٠.

٧. رجل حازم: هو العاقل المميّز، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر والاعتقادات: «السلامات».

٩. معاني الأخبار، ص ٢٩٠، ح ٩؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٥، ح ١٠.

١٠. القَرحة: واحدة القَرْح والقروح، وهي حبة تخرج في البدن، راجع مجمع البحرين.

ذٰلِكَ كُلَّهُ، أَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَهُ فَتَغْسِلَ ذٰلِكَ عَنْكَ، أَوْ تَكْرَهُ أَنْ تَدْخُلَهُ فَيَبْقَى ذٰلِكَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: فَذٰلِكَ الْمَوْتُ هُوَ ذٰلِكَ الْحَمَّامُ، وَهُوَ آخِرُ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ تَمْحِيصِ ذُنُوبِكَ وَتَنْقِيَتِكَ مِنْ سَيِّئَاتِكَ، فَإِذَا أَنْتَ وَرَدْتَ عَلَيْهِ وَجَاوَزْتَهُ فَقَدْ نَجَوْتَ مِنْ كُلِّ غَمٍّ وَهَمٍّ وَأَذًى، وَوَصَلْتَ إِلَى كُلِّ سُرُورٍ وَفَرَحٍ، فَسَكَنَ الرَّجُلُ وَنَشِطَ وَاسْتَسْلَمَ وَغَمَّضَ عَيْنَ نَفْسِهِ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ.

٢٢٨٥. وَسُئِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام[١٢]: عَنِ الْمَوْتِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ التَّصْدِيقُ بِمَا لَا يَكُونُ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ لَمْ يَكُنْ مَيِّتاً، فَإِنَّ الْمَيِّتَ هُوَ الْكَافِرُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[١٣] يَعْنِي الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

بيان:

قوله عليه السلام: «هو التصديق بما لا يكون» أي هو ما يستلزم التصديق بأُمور لا تكون بزعمه أي لا يتوقّع حصولها ممّا يشاهده من غرائب أحوال النشأة الآخرة؛ أو المعنى: أنّ الموت أمر، التصديق به تصديق بما لا يكون، إذ المؤمن لا يموت بالموت، والكافر أيضاً لا يموت بالموت، بل كان ميّتاً قبله؛ ففيه حذف مضاف أي التصديق بالموت تصديق بما لا يكون.

٢٢٨٦. الخصال[١٤]: الْأَرْبَعُمِائَةِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: مَا مِنَ الشِّيعَةِ عَبْدٌ يُقَارِفُ[١٥] أَمْراً نَهَيْنَاهُ عَنْهُ فَيَمُوتُ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلِيَّةٍ تُمَحَّصُ بِهَا ذُنُوبُهُ، إِمَّا فِي مَالٍ، وَإِمَّا فِي وَلَدٍ، وَإِمَّا فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا لَهُ ذَنْبٌ[١٦]، وَإِنَّهُ لَيَبْقَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ مِنْ ذُنُوبِهِ فَيُشَدَّدُ بِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ[١٧].

٢٢٨٧. علل الشرائع[١٨]: أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مَاجِيلَوَيْهِ[١٩]، عَنِ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا مُفَضَّلُ إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ، وَحَذِّرْهَا شِيعَتَنَا، فَوَ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهَا إِلَيْكُمْ، إِنَّ أَحَدَكُمْ

---

١١. الجرب: خلط غليظ يحدث تحت الجلد، يكون معه بُثور، والبثر: خُراج صغير، راجع تاج العروس.

١٢. معاني الأخبار، ص ٢٩٠، ح ١٠؛ اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٦، ح ١١.

١٣. الروم/١٩.

١٤. الخصال، ج ٢، ص ٦٣٥، ح ١٠؛ التمحيص، ص ٣٨، ح ٣٤؛ تحف العقول، ص ١٢٣.

١٥. قارفه: قاربه وخالطه، راجع المغرب.

١٦. في التمحيص: «يلقى اللّه مخبتا وما له من ذنب».

١٧. في التمحيص والتحف مع زيادة في آخره: «فيمحّص ذنوبه».

١٨. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٩٧، ح ١؛ وفي مشكاة الأنوار، ص ٢٧٥، مع نقصان واختلاف يسير؛ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٠٥، ح٢٠٥٨٧.

١٩. في المصدر والوسائل: «الصدوق، عن أبيه، عن محمد بن أبي القاسم ماجيلويه، ...».

لَتُصِيبُهُ الْمَعَرَّةُ مِنَ السُّلْطَانِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ، وَإِنَّهُ لَيُصِيبُهُ السُّقْمُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ، وَإِنَّهُ لَيُحْبَسُ عَنْهُ الرِّزْقُ وَمَا هُوَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ، وَإِنَّهُ لَيُشَدَّدُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمَا هُوَ إِلَّا بِذُنُوبِهِ،[1] حَتَّى يَقُولَ مَنْ حَضَرَهُ: لَقَدْ غُمَّ بِالْمَوْتِ؛ فَلَمَّا رَأَى مَا قَدْ دَخَلَنِي قَالَ: أَ تَدْرِي لِمَ ذَاكَ يَا مُفَضَّلُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ، قَالَ: ذَاكَ وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَا تُؤَاخَذُونَ بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَعُجِّلَتْ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا.

بيان:

قال الفيروزآباديّ: «المعرّة»: الإثم، والأذى، والغُرْم، والدية، والخيانة. قوله عليه السلام: «لقد غمّ بالموت» أي صار مغموماً متألّماً بالموت غاية الغمّ لشدّته، وقال الجوهري: غمّ يومنا ـ بالفتح ـ فهو يوم غمّ: إذا كان يأخذ بالنفس من شدّة الحرّ.

٢٢٨٨. معاني الأخبار[2]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الصَّلْتِ[3]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كُنَّا مَعَهُ فِي جِنَازَةٍ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي الْمَوْتِ وَفِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَضْلٌ، إِذَا بُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْتِ فَقَدْ بُورِكَ لَكَ فِيمَا بَعْدَهُ.

٢٢٨٩. علل الشرائع[4]: عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لِأَيِّ عِلَّةٍ إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ مِنَ الْجَسَدِ وَجَدَ لَهُ مَسّاً، وَحَيْثُ رُكِّبَتْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ نَمَا عَلَيْهَا الْبَدَنُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «لأنّه نما عليها البدن» أي إنّ الألم إنّما هو لأُلفة الروح بالبدن لنموّه عليها لا لمحض الإخراج حتّى يكون لإدخال الروح أيضاً ألم؛ أو أنّه لمّا نما عليها البدن وبلغ حدّاً يعرف الآلام والأوجاع فلذا يتألّم بإخراج الروح، بخلاف حالة الإدخال فإنّه قبل دخول الروح ما كان يجد شيئاً لعدم الحياة، وبعده لا ألم يحسّ به؛ ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أنّ السائل لمّا توهّم أنّ الروح يدخل حقيقة في البدن سأل عن الحكمة في عدم تأثّر البدن بدخول الروح وتأثّره بالخروج، مع أنّ العكس أنسب، فأجاب عليه السلام بأنّ الروح الحيوانيّ

---

١. **نقول:** ليس المراد منه أن جميع هذه الأُمور تحدث بسبب الذنوب دائما، بل المراد أنه قد يكون الذنب سببا لهذه الأُمور، كما يظهر من سائر الروايات، فلا مانع أن يكون بعض هذه الأُمور أو كلها في بعض الأوقات لأُمور أُخرى من الامتحان أو ترفيع المقام وما إلى ذلك.

٢. معاني الأخبار، ص ٣٨٢، ح ١٣.

٣. أقول: الموجود في نسخة المصنف والمطبوع ونسخة مخطوطة أُخرى من البحار «علي بن الصلت»، والظاهر أنه لا يصح لأن علي بن الصلت لم يدرك أبا عبد اللّه عليه السلام، ولعله تصحيف «علي بن الصامت»، كما في معاني الأخبار المطبوع، فليراجع الحديث في ص ١٠٨ منه. (هامش المطبوع)

٤. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٩، ح ١؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٦، ح ١٣.

لا يدخل من خارج في البدن، بل إنّما تتولّد فيه وينمو البدن عليها[١]. والمسّ أوّل ما يحسّ به من التعب والألم منه.

٢٢٩٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الخصال[٢]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمْزَةَ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ يَاسِرٍ الْخَادِمِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَوْحَشَ مَا يَكُونُ هٰذَا الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَدُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيُعَايِنُ الْآخِرَةَ وَأَهْلَهَا، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرَى أَحْكَاماً لَمْ يَرَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا[٣]؛ وَقَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَحْيَى عليه السلام فِي هٰذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ فَقَالَ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[٤] وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام عَلَى نَفْسِهِ فِي هٰذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[٥].

٢٢٩١. الخصال[٦]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: أَشَدُّ سَاعَاتِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: السَّاعَةُ الَّتِي يُعَايِنُ فِيهَا مَلَكَ الْمَوْتِ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا مِنْ قَبْرِهِ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقِفُ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. ثُمَّ قَالَ: إِنْ نَجَوْتَ يَا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ؛ وَإِنْ نَجَوْتَ يَا ابْنَ آدَمَ حِينَ تُوضَعُ فِي قَبْرِكَ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ؛ وَإِنْ نَجَوْتَ حِينَ يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ؛ وَإِنْ نَجَوْتَ حِينَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ.

ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٧]، قَالَ عليه السلام: هُوَ الْقَبْرُ، وَإِنَّ لَهُمْ فِيهِ لَمَعِيشَةً ضَنْكاً[٨]، وَاللَّهِ إِنَّ

---

١. لو بدّل «رحمه اللّه» الروح الحيواني بالروح الإنساني انطبق على الحركة الجوهرية القائلة بكون الروح الإنساني إحدى مراتب البدن الاستكمالية، كمايدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ الآية (غافر/١٤)، والمدرك للّذّة والألم هو النفس فيتمّ البيان؛ فالروح حدوثه كمال للبدن وهو نفسه فلا يشعر به، ومفارقته مفارقة ما أنس به بالتعلق والتصرف فيوجب التألم. (هامش المطبوع نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٥٧، ح ١١؛ الخصال، ج ١، ص ١٠٧، ح ٧١؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٧.

٣. **نقول:** من الطبيعي أن يكون الانتقال من دار إلى دار سببا للوحشة لأنه يرى ما لم يره ولم يأنس به، من عالم الجنين إلى دار الدنيا، ومن الدنيا إلى عالم البرزخ، ومن عالم البرزخ إلى دار الآخرة ولا منافاة بين ما دل على وجود الوحشة في ثلاثة مواطن وما دل على وجودها في الموطنين، كما ورد في بعض الروايات فإن الموطنين ربما تكونان أشدّ.

٤. مريم/١٥.

٥. مريم/٣٣.

٦. الخصال، ج ١، ص ١١٩، ح ١٠٨؛ الدعوات (للراوندي)، ص ٢٤٤، ح ٦٩١؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٦، ح ٧٥٢٩.

٧. المؤمنون/١٠٠.

٨. الضنك: الضيق والشدّة، راجع لسان العرب.

الْقَبْرَ لَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمَ سَاكِنُ السَّمَاءِ سَاكِنَ الْجَنَّةِ مِنْ سَاكِنِ النَّارِ فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ؟ وَأَيُّ الدَّارَيْنِ دَارُكَ؟

٢٢٩٢. الأمالي للصدوق[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٢] أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قَالَ: ذَاكَ قَوْلُ ابْنِ آدَمَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ: هَلْ مِنْ طَبِيبٍ؟ هَلْ مِنْ دَافِعٍ؟ قَالَ: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ يَعْنِي فِرَاقَ الْأَهْلِ وَالْأَحِبَّةِ عِنْدَ ذٰلِكَ، قَالَ: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قَالَ: الْتَفَّتِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، قَالَ: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٣] إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَئِذٍ الْمَصِيرُ.

٢٢٩٣. الأمالي للصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]: الطَّالَقَانِيُّ، عَنِ ابْنِ عُقْدَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام[٥] قَالَ: لَمَّا حَضَرَتِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام الْوَفَاةُ بَكَى، فَقِيلَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتَبْكِي وَمَكَانُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَكَانُكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ[٦]، وَقَدْ قَالَ فِيكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَا قَالَ، وَقَدْ حَجَجْتَ عِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِياً[٧]، وَقَدْ قَاسَمْتَ رَبَّكَ مَالَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى النَّعْلَ وَالنَّعْلَ؟ فَقَالَ[٨]: إِنَّمَا أَبْكِي لِخَصْلَتَيْنِ: لِهَوْلِ الْمُطَّلَعِ[٩]، وَفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ[١٠].

٢٢٩٤. المحاسن[١١]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٢]: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ

---

١. الأمالي (للصدوق)، ص ٣٠٧، ح ١؛ وفي الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٩، ح ٣٢ مع اختلاف يسير؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٥٤٠، ح١١٢٤٧.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام».

٣. القيامة/٢٧ـ٣٠.

٤. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٢٢، ح ٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٣٠٣، ح ٦٢؛ الزهد، ص ٧٩، ح ٢١٣.

٥. في الزهد بهذا الإسناد: «النضر بن سويد، عن عبد اللّه بن سنان، عمن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول».

٦. في الأمالي: «ومكانك من رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذي أنت به».

٧. في الزهد: «...عشرين حجّة راكبا وعشرين حجّة ماشيا».

٨. في الزهد: «حتى النعل؟ فقال عليه السلام».

٩. هول المطّلع: يريد به الموقف يوم القيامة أو ما يُشرِف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، راجع لسان العرب.

١٠. **نقول:** إنما كان بكائه عليه السلام من جهة أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، مضافا إلى أنه تعليم للناس وتحذير وإنذار لهم، والبكاء من فراق الأحبة أمر عاطفى ثابت لكل إنسان حتى أولياء اللّه «سلام اللّه عليهم».

١١. المحاسن، ج ١، ص ١٦٠، ح ١٠٠؛ وفي المؤمن، ص ٣٦، ح ٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ الكافي، ج ٢، باب الرضا بموهبة الإيمان، ص ٢٤٦، ح ٦؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

١٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن منصور الصيقل والمعلّى بن خنيس، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

وَتَعَالَى: لِيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنِّي مُسْتَذِلٌّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ كَتَرَدُّدِي فِي مَوْتِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنِّي لَأُحِبُّ لِقَاءَهُ وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ فَأَصْرِفُهُ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي أَمْرٍ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِي مُؤْمِنٌ لَاسْتَغْنَيْتُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِي[1]، وَلَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ إِيمَانِهِ أُنْساً لَا يَسْتَوْحِشُ فِيهِ إِلَى أَحَدٍ.

بيان:

قوله تعالى: «فأستجيب له لما هو خير له» أي أُعطيه عوضاً عمّا يسألني من الأُمور الفانية ما أعلمه أنّه خير له من اللذات الباقية.

٢٢٩٥. المحاسن[2]: أَبِي، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ النَّحَّاسِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَاللَّهِ لَا يَصِفُ عَبْدٌ هٰذَا الْأَمْرَ فَتَطْعَمَهُ النَّارُ. قُلْتُ: إِنَّ فِيهِمْ مَنْ يَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذٰلِكَ ابْتَلَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدَهُمْ فِي جَسَدِهِ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ وَلَا ذَنْبَ لَهُ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ.

٢٢٩٦. المحاسن[3]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَجُلٌ يَعْمَلُ بِكَذَا وَكَذَا ـ فَلَمْ أَدَعْ شَيْئاً إِلَّا قُلْتُهُ ـ وَهُوَ يَعْرِفُ هٰذَا الْأَمْرَ، فَقَالَ: هٰذَا يُرْجَى لَهُ وَالنَّاصِبُ لَا يُرْجَى لَهُ؛ وَإِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُسَلِّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَيْئاً يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ، إِمَّا فَقْراً وَإِمَّا مَرَضاً.

٢٢٩٧. جامع الأخبار[4]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ يَرَوْنَ مَكَانَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ لَذَهَلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ وَلَبَكَوْا عَلَى نُفُوسِهِمْ، حَتَّى إِذَا حُمِلَ الْمَيِّتُ عَلَى نَعْشِهِ رَفْرَفَ رُوحُهُ فَوْقَ النَّعْشِ، وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلِي وَيَا وُلْدِي لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمُ الدُّنْيَا كَمَا لَعِبَتْ بِي، فَجَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ حِلِّهِ، ثُمَّ خَلَّفْتُهُ لِغَيْرِي، فَالْمَهْنَأُ[5] لَهُ وَالتَّبِعَةُ عَلَيَّ، فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلَّ بِي. وَقِيلَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَرَاءَى لَهُ مَلَكَانِ الْكَاتِبَانِ عَمَلَهُ فَإِنْ كَانَ مُطِيعاً قَالَا لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْراً، فَرُبَّ مَجْلِسِ صِدْقٍ أَجْلَسْتَنَا، وَعَمَلٍ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَا؛ وَإِنْ كَانَ فَاجِراً قَالَا: لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْراً فَرُبَّ

---

١. لم يرد في المصدر من «لو لم يكن في الدنيا» إلى «جميع خلقي».

٢. المحاسن، ج ١، ص ١٧٢، ح ١٤١؛ الكافي، ج ٢، باب تعجيل عقوبة الذنب، ص ٤٤٤، ح ٣؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١١٤؛ وفي الأخيرين صدر رواية بمضمونه.

٣. المحاسن، ج ١، ص ١٧٢، ح ١٤٢.

٤. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٧٠؛ أعلام الدين، ص ٣٤٥، وقد تمت الرواية فيه بهذه العبارة: «فألهمنأ له والتبعات عليّ فاحذروا من مثل ما نزل بي».

٥. المهنأ: ما أتاك بلا مشقة، راجع لسان العرب.

مَجْلِسِ سَوْءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَا، وَعَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَا، وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَا.

٢٢٩٨. وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله[١]: إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ قَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ فَأْتِنِي بِرُوحِهِ، حَسْبِي مِنْ عَمَلِهِ، قَدْ بَلَوْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ؛ فَيَنْزِلُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُمْ قُضْبَانٌ[٢] الرَّيَاحِينِ وَأُصُولُ الزَّعْفَرَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبَشِّرُهُ بِبِشَارَةٍ سِوَى بِشَارَةِ صَاحِبِهِ[٣]، وَيَقُومُ الْمَلَائِكَةُ صَفَّيْنِ لِخُرُوجِ رُوحِهِ، مَعَهُمُ الرَّيْحَانُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ صَرَخَ؛ فَيَقُولُ لَهُ جُنُودُهُ: مَا لَكَ يَا سَيِّدَنَا؟ فَيَقُولُ: أَ مَا تَرَوْنَ مَا أُعْطِيَ هٰذَا الْعَبْدُ مِنَ الْكَرَامَةِ؟ أَيْنَ كُنْتُمْ عَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: جَهَدْنَا بِهِ فَلَمْ يُطِعْنَا.

٢٢٩٩. كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة[٤]: أَبُو طَاهِرٍ الْمُقَلَّدُ بْنُ غَالِبٍ، عَنْ رِجَالِهِ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[٥]: وَهُوَ سَاجِدٌ يَبْكِي حَتَّى عَلَا نَحِيبُهُ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ بِالْبُكَاءِ، فَقُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَمْرَضَنَا بُكَاؤُكَ وَأَمَضَّنَا[٦] وَشَجَانَا[٧]، وَمَا رَأَيْنَاكَ قَدْ فَعَلْتَ مِثْلَ هٰذَا الْفِعْلِ قَطُّ، فَقَالَ: كُنْتُ سَاجِداً أَدْعُو رَبِّي بِدُعَاءِ الْخَيْرَاتِ فِي سَجْدَتِي فَغَلَبَنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَأَقْلَقَتْنِي[٨]، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَائِماً وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ طَالَتْ غَيْبَتُكَ فَقَدِ اشْتَقْتُ إِلَى رُؤْيَاكَ، وَقَدْ أَنْجَزَ لِي رَبِّي مَا وَعَدَنِي فِيكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الَّذِي أَنْجَزَ لَكَ فِيَّ؟ قَالَ: أَنْجَزَ لِي فِيكَ وَفِي زَوْجَتِكَ وَابْنَيْكَ وَذُرِّيَّتِكَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي عِلِّيِّينَ. قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَشِيعَتُنَا؟ قَالَ: شِيعَتُنَا مَعَنَا، وَقُصُورُهُمْ بِحِذَاءِ قُصُورِنَا، وَمَنَازِلُهُمْ مُقَابِلَ مَنَازِلِنَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا لِشِيعَتِنَا فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: الْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: يَحْكُمُ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَيُؤْمَرُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِطَاعَتِهِ[٩]. قُلْتُ: فَمَا لِذٰلِكَ حَدٌّ يُعْرَفُ؟ قَالَ: بَلَى، إِنَّ أَشَدَّ شِيعَتِنَا لَنَا حُبّاً يَكُونُ خُرُوجُ نَفْسِهِ كَشُرْبِ أَحَدِكُمْ فِي يَوْمِ الصَّيْفِ الْمَاءَ الْبَارِدَ الَّذِي يَنْتَقِعُ[١٠] بِهِ الْقُلُوبُ، وَإِنَّ سَائِرَهُمْ لَيَمُوتُ كَمَا يُغْبَطُ[١١] أَحَدُكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ كَأَقَرِّ مَا كَانَتْ عَيْنُهُ بِمَوْتِهِ.

---

١. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٧٠.

٢. القضيب: الغُصْن، والجمع قضبان، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر: «يبشّره ببشارة صاحبه».

٤. تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٥١؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٦٠٨، ح ١١٤٦٧.

٥. في المصدر والبرهان: «...بإسناد متصل إلى علي بن شعبة الوالي، عن الحارث الهمداني، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام».

٦. أمضّني: أحرقني وشق عليّ، راجع لسان العرب.

٧. شجاه: حزنه، راجع القاموس المحيط.

٨. في المصدر: «أفظعتني»، وفي البرهان: «أفزعني».

٩. في المصدر والبرهان مع زيادة: «وأيّ موتة شاء ماتها وإن شيعتنا ليموتون على قدر حبّهم لنا».

١٠. نقع الماء العطش: سكّنه، راجع لسان العرب.

١١. في المصدر والبرهان: «يُغطّ».

٢٣٠٠. تفسير فرات بن إبراهيم[١]: أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ مُعَنْعَناً عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يُسْتَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ عَلَى خُرُوجِ نَفْسِهِ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَهْلُ بَيْتِهِ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَجَمِيعُ الْأَئِمَّةِ «عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»، ـ وَلَكِنِ اكْنُوا عَنِ اسْمِ فَاطِمَةَ عليها السلام ـ وَيَحْضُرُهُ جَبْرَئِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعِزْرَائِيلُ عليهم السلام، قَالَ: فَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُحِبُّنَا وَيَتَوَلَّانَا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّهُ مِمَّنْ كَانَ يُحِبُّ عَلِيّاً وَذُرِّيَّتَهُ فَأَحِبَّهُ، وَقَالَ جَبْرَئِيلُ لِمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ عليهم السلام مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يَقُولُونَ جَمِيعاً لِمَلَكِ الْمَوْتِ: إِنَّهُ مِمَّنْ كَانَ يُحِبُّ مُحَمَّداً وَآلَهُ، وَيَتَوَلَّى عَلِيّاً وَذُرِّيَّتَهُ فَارْفُقْ بِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: وَالَّذِي اخْتَارَكُمْ وَكَرَّمَكُمْ وَاصْطَفَى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ، وَخَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ لَأَنَا أَرْفَقُ بِهِ مِنْ وَالِدٍ رَفِيقٍ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَخٍ شَفِيقٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخَذْتَ فَكَاكَ رَقَبَتِكَ؟ أَخَذْتَ رِهَانَ أَمَانِكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ الْمَلَكُ: فَبِمَاذَا؟ فَيَقُولُ: بِحُبِّي مُحَمَّداً وَآلَهُ، وَبِوَلَايَتِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَذُرِّيَّتَهُ عليهم السلام، فَيَقُولُ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَحْذَرُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ بِهِ، افْتَحْ عَيْنَيْكَ فَانْظُرْ إِلَى مَا عِنْدَكَ.

قَالَ: فَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَاحِداً وَاحِداً، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَيَقُولُ لَهُ: هٰذَا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ، وَهٰؤُلَاءِ رُفَقَاؤُكَ، أَ فَتُحِبُّ اللَّحَاقَ بِهِمْ أَوِ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَ مَا رَأَيْتَ شُخُوصَهُ[٣] وَرَفْعَ حَاجِبَيْهِ إِلَى فَوْقٍ مِنْ قَوْلِهِ: لَا حَاجَةَ لِي إِلَى الدُّنْيَا وَلَا الرُّجُوعِ إِلَيْهَا؟ وَيُنَادِيهِ مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ يَسْمَعُهُ وَيَسْمَعُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إِلَى مُحَمَّدٍ وَوَصِيِّهِ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام مِنْ بَعْدِهِ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ راضِيَةً﴾ بِالْوَلَايَةِ، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ بِالثَّوَابِ، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾ مَعَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٤] غَيْرَ مَشُوبَةٍ.

بيان:

قوله عليه السلام: «ولكن اكنوا عن اسم فاطمة عليها السلام» أي لا تصرّحوا باسمها عليها السلام لئلّا يصير سبباً لإنكار الضعفاء

---

١. تفسير فرات الكوفي، ص ٥٥٣، ح ٧٠٨؛ الزهد، ص ٨١، ح ٢١٩؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣١، ح ٤؛ وفي الأخيرين صدر رواية بمضمونه.

٢. في الزهد بهذا الإسناد: «الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عمن سمع أبا عبد اللّه عليه السلام يقول».

٣. شخوص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه، وشخص الرجل ببصره عند الموت: رفعه فلم يطرف، راجع لسان العرب.

٤. الفجر/٢٧ـ٣٠.

من الناس. قوله عليه السلام: «من قوله: لا حاجة» أي رفع حاجبيه إشارة إلى الإباء والامتناع عن الرجوع إلى الدنيا. قوله عليه السلام: «غير مشوبة» أي حال كون الجنّة غير مشوبة بالمحن والآلام.

٢٣٠١. تفسير فرات بن إبراهيم[١]: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ زَكَرِيَّا الدِّهْقَانُ مُعَنْعَناً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ الْإِفْرِيقِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] عَنِ الْمُؤْمِنِ: أَ يُسْتَكْرَهُ عَلَى قَبْضِ رُوحِهِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا حَضَرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ جَزِعَ، فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: لَا تَجْزَعْ فَوَ اللَّهِ لَأَنَا أَبَرُّ بِكَ وَأَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ رَحِيمٍ لَوْ حَضَرَكَ، افْتَحْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ، قَالَ: وَيَتَهَلَّلُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَالزَّهْرَاءُ «عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»، قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ؛ فَمَا رَأَيْتَ شُخُوصَهُ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ قَدْ يَشْخَصُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، قَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ إِنَّ الْكَافِرَ يَشْخَصُ مُنْقَلِباً إِلَى خَلْفِهِ لِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِنَّمَا يَأْتِيهِ لِيَحْمِلَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمُؤْمِنَ أَمَامَهُ[٣]، وَيُنَادِي رُوحَهُ مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ فَوْقَ الْأُفُقِ الْأَعْلَى وَيَقُولُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إِلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا وَالْمُضِيَّ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِسْلَالِ رُوحِهِ[٤].

٢٣٠٢. نهج البلاغة[٥]: لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ[٦] حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، وَيُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ؟ وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ؟ وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ بِهَا[٧]

---

١. تفسير فرات الكوفي، ص ٥٥٤، ح ٧٠٩؛ فضائل الشيعة، ص ٣٠، ح ٢٤؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٧٠؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٢. في الفضائل والتأويل بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن عبّاد بن سليمان، عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. في المصدر: «والمؤمن ينظر أمامه».

٤. السلّ: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، راجع لسان العرب.

٥. في نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ١٥٩، ضمن الخطبة ١٠٩.

٦. الغِرّة: الغفلة، راجع لسان العرب.

٧. في المصدر: «لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتّعون بها».

فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ[١]، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبَضَ سَمْعَهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ مِنَ الْأَرْضِ[٢]، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ[٣] حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ؛ إلى آخر ما سيأتي في باب صفة المحشر[٤].

بيان:

«ما كانوا يجهلون» أي من تفصيل أهواله وسكراته، أو لعدم استعدادهم له كأنّهم جاهلون. و«الولوج»: الدخول. و«المصرّحات»: يحتمل الحلال الصريح والحرام الصريح. و«العبء» بالكسر: الحمل؛ ويقال: غلق الرهن يغلق غلوقاً: إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على فكّه. «على ما أصحر له» أي انكشف، وأصله الخروج إلى الصحراء. والضمير في «أمره» راجع إلى الموت أو المرء. «ولا يسمع رجع كلامهم» أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام. و«الالتياط»: الالتصاق. «قد أوحشوا من جانبه» أي وجعلوا مستوحشين، والمستوحش: المهموم الفزع.

٢٣٠٣. الكافي[٥]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ[٦]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ آيَةَ الْمُؤْمِنِ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ أَشَدَّ مِنْ بَيَاضِ لَوْنِهِ، وَيَرْشَحُ جَبِينُهُ[٧]، وَيَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهِ كَهَيْئَةِ الدُّمُوعِ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ خُرُوجَ نَفْسِهِ؛ وَإِنَّ الْكَافِرَ تَخْرُجُ نَفْسُهُ سَيْلاً[٨] مِنْ شِدْقِهِ[٩]، كَزَبَدِ الْبَعِيرِ[١٠]، أَوْ كَمَا تَخْرُجُ نَفْسُ الْبَعِيرِ[١١].

---

١. في النهج: «حتى خالط لسانه سمعه» أي شارك السمع اللسان عن أداء وظيفته، وفيه إشارة إلى أن ما تبطل أولا من الأعضاء اللسان، ثم السمع، ثم البصر. (هامش المطبوع)

٢. المخطّ: موضع الخط، كناية عن القبر، يخط أولا ثم يحفر. ويروى بالحاء، ومحطّ القوم: منزلهم، قاله ابن ميثم [في شرحه على نهج البلاغة، ج ٣، ص ٦١]. (هامش المطبوع)

٣. الزَّور: الذي يزورك، راجع لسان العرب؛ وزَوْرَتِه: زيارته.

٤. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب المعاد وما يتبعه ويتعلق به، باب صفة المحشر.

٥. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٤، ح ١١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٥، ح ٣٦٣.

٦. في المصدر: «... سهل بن زياد، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل ...».

٧. رشح جبينه: عرق، راجع تاج العروس.

٨. في المصدر والفقيه: «سلّا».

٢٣٠٤. الكافي[١٢]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ إِدْرِيسَ الْقُمِّيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ مَلَكَ الْمَوْتِ فَيَرُدُّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ لِيُهَوِّنَ عَلَيْهِ وَيُخْرِجَهَا مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِهَا فَيَقُولُ النَّاسُ: لَقَدْ شُدِّدَ عَلَى فُلَانٍ الْمَوْتُ؛ وَذٰلِكَ تَهْوِينٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ. وَقَالَ: يُصْرَفُ عَنْهُ إِذَا كَانَ مِمَّنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ مِمَّنْ أَبْغَضَ اللَّهُ أَمْرَهُ أَنْ يُجْذَبَ الْجَذْبَةَ الَّتِي بَلَغَتْكُمْ بِمِثْلِ السَّفُّودِ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: لَقَدْ هُوِّنَ[١٣] عَلَى فُلَانٍ الْمَوْتُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «فيردّ نفس المؤمن» أي يردّ الروح إلى بدنه بعد قرب النزع مرّة بعد أُخرى لئلّا يشقّ عليه مفارقة الدنيا دفعة، والكافر يصرف عنه ذلك؛ وقيل: يراه منزله في الجنة ثمّ يردّ إليه الروح كاملاً ليرضى بالموت ويهون عليه، أو يردّ عليه روحه مرّة بعد أُخرى ليخفّف بذلك سيّئاته ويهون عليه أمر الآخرة، والأوّل أظهر. و«السفّود» بالتشديد: الحديدة التي يُشوى بها اللحم.

٢٣٠٥. تفسير القمّيّ[١٤]: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أَيْ عَلَى وَلَايَةِ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قَالَ: عِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ: كُنَّا نَحْرُسُكُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أَيْ عِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[١٥].

٢٣٠٦. الكافي[١٦]: عَلِيٌّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ[١٧]، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْثَقَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَلَوْ لَا ذٰلِكَ مَا اسْتَقَرَّ[١٨].

---

٩. الشدق: جانب الفم، راجع لسان العرب.

١٠. زَبَد الجمل الهائج: هو لُغامه الأبيض الذي تتلطخ به مشافره إذا هاج، راجع لسان العرب.

١١. في الفقيه: «نفس الحمار».

١٢. الكافي، ج ٣، باب إخراج روح المؤمن والكافر، ص ١٣٥، ح ١؛ وفي دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢٠، بمضمونه.

١٣. في المصدر: «هَوَّن اللّه».

١٤. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٦٥؛ وفي تفسير البرهان، ج ٤، ص ٧٨٧، ح ٩٤٢٨، مع زيادة في صدره.

١٥. فصّلت / ٣٠ و ٣١.

١٦. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٠، ح ٢؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٩٠، ح ٨٤٦٨.

١٧. في المصدر والبرهان: «علي، عن أبيه، عن عبد اللّه بن المغيرة، ...».

١٨. قال المصنف «قدس اللّه روحه» في كتابه مرآة العقول [ج ١٤، ص ٢٣٦] ـ بعد تضعيفه الحديث ـ: الإيثاق إما على الحقيقة وإن لم نر ←

٢٣٠٧. من لا يحضره الفقيه[١]: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَيْفَ يَتَوَفَّى مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُؤْمِنَ؟ فَقَالَ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَيَقِفُ مِنَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ مَوْتِهِ مَوْقِفَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ مِنَ الْمَوْلَى، فَيَقُومُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لَا يَدْنُو مِنْهُ حَتَّى[٢] يَبْدَأَ بِالتَّسْلِيمِ وَيُبَشِّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

٢٣٠٨. الأمالي للصدوق[٣]: بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ صَامَ مِنْ رَجَبٍ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ يَوْماً فَإِذَا نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ تَرَاءَى لَهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ[٤]، عَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ دِيبَاجٍ أَخْضَرَ، عَلَى فَرَسٍ مِنْ أَفْرَاسِ الْجِنَانِ، وَبِيَدِهِ حَرِيرٌ أَخْضَرُ مُمَسَّكٌ بِالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ[٥]، وَبِيَدِهِ قَدَحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٌ مِنْ شَرَابِ الْجِنَانِ، فَسَقَاهُ[٦] إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، ثُمَّ يَأْخُذُ رُوحَهُ فِي تِلْكَ الْحَرِيرِ، فَيَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةٌ يَسْتَنْشِقُهَا أَهْلُ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فَيَظَلُّ فِي قَبْرِهِ رَيَّانَ[٧] حَتَّى يَرِدَ حَوْضَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله.

أقول:

سيأتي الحديث بإسناده في كتاب الصوم[٨].

٢٣٠٩. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٩]: الْمُفِيدُ، عَنِ الْجِعَابِيِّ، عَنِ ابْنِ عُقْدَةَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ سَلْمَانَ «رَحِمَهُ اللَّهُ» فَافْتَقَدَهُ فَقَالَ عليه السلام: أَيْنَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالُوا: مَرِيضٌ، قَالَ: امْشُوا بِنَا نَعُودُهُ، فَقَامُوا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ؛ فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِوَلِيِّ اللَّهِ، فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ بِكَلَامٍ سَمِعَهُ مَنْ حَضَرَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَرْفُقُ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْ ظَهَرْتُ لِأَحَدٍ لَظَهَرْتُ لَكَ.

← الوثاق، أو هو كناية عن أن بعد رؤيته لا تبقى له قوة تقدر على الحركة، وقال الوالد «رحمه اللَّه»: يوثقه بالبشارة بما أعدّ اللَّه له، أو بإراءة الجنة ومراتبها المعدّة له، أو بمشاهدته، كما ترى أنه إذا رأى الشخص أسداً كأنه يتوثّق ولا يمكنه الحركة، أو بأنياب المنيّة، أو بغير ذلك مما لا يعلمه إلا اللَّه تعالى وحججه عليهم السلام. (هامش المطبوع)

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٥، ح ٣٦٥.

٢. في المصدر: «لا يدنون منه حتى يبدأه».

٣. الأمالي (للصدوق)، ص ٥٣٨، المجلس الثمانون؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٣٩٩؛ وفيهما ضمن رواية؛ الإقبال بالأعمال الحسنة، ج ٣، ص ٢٦١.

٤. في الإقبال: «شاب أمرد».

٥. مسك أذفر: طيّب الريح، راجع لسان العرب.

٦. في الروضة: «فيلقاه».

٧. في المصدر مع زيادة: «ويبعث من قبره ريحان»، وفي الإقبال: «ويبعث ريّان».

٨. بحار الأنوار، كتاب الصوم، ابواب صوم شهر رمضان وما يتعلق بذلك ويناسبه، باب فضائل شهر رجب وصيامه وأحكامه.

٩. الأمالي (للطوسي)، ص ١٢٨، ح ٢٠٢.

٢٣١٠. العقائد[١]: **الِاعْتِقَادُ فِي الْمَوْتِ: قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: صِفْ لَنَا الْمَوْتَ، فَقَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتُمْ.** وساق الحديث إلى آخر ما رويناه من كتاب معاني الأخبار، عن كلّ إمام في ذلك.

وقال الشيخ المفيد «قدس اللَّه روحه» في شرحه: تَرْجَم الباب بالموت وذكر غيره وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت، أو يترجم الباب بمآل الموت وعاقبة الأموات، فالموت هو مضادّ الحياة، يبطل معه النموّ، ويستحيل معه الإحساس، وهو من فعل اللَّه تعالى، ليس لأحد فيه صنع، ولا يقدر عليه أحد إلّا اللَّه تعالى، قال اللَّه سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾[٢] فأضاف الإحياء والإماتة إلى نفسه، وقال: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[٣] فالحياة ما كان بها النموّ والإحساس، ويصحّ معها القدرة والعلم، والموت ما استحال معه النموّ والإحساس، ولم يصحّ معه القدرة والعلم، وفعل اللَّه تعالى الموت بالأحياء لنقلهم من دار العمل والامتحان إلى دار الجزاء والمكافاة، وليس يميت اللَّه عبداً إلّا وإماتته أصلح له من بقائه، ولا يحييه إلّا وحياته أصلح له من موته، وكلّ ما يفعله اللَّه تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير.

وقد يمتحن اللَّه تعالى كثيراً من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت ويعفي آخرين من ذلك، وقد يكون الألم المتقدّم للموت ضرباً من العقوبة لمن حلّ به، ويكون استصلاحاً له ولغيره، ويعقّبه نفعاً عظيماً وعوضاً كثيراً، وليس كلّ من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقباً، ولا كلّ من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرماً مثاباً.

وقد ورد الخبر بأنّ الآلام التي تتقدّم الموت تكون كفّارات لذنوب المؤمنين، وتكون عقاباً للكافرين، وتكون الراحة قبل الموت استدراجاً للكافرين، وضرباً من ثواب المؤمنين، وهذا أمر مغيّب عن الخلق، لم يظهر اللَّه تعالى أحداً من خلقه على إرادته فيه، تنبيهاً له حتّى يميز له حال الامتحان من حال العقاب، وحال الثواب من حال الاستدراج، تغليظاً للمحنة ليتمّ التدبير الحكميّ في الخلق.

فأمّا ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم فقد جاءت الآثار به على التفصيل. وقد أورد بعض ما جاء في ذلك إلّا أنّه ليس ممّا ترجم به الباب في شيء، والموت على كلّ حال أحد بشارات المؤمن، إذ كان أوّل طرقه إلى محلّ النعيم، وبه يصل إلى ثواب الأعمال الجميلة في الدنيا، وهو أوّل شدّة تلحق الكافر من شدائد العقاب، وأوّل طرقه إلى حلول العقاب إذ كان اللَّه تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده، وصيّره سبباً

---

١. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥١.

٢. المؤمن/ ٨٠.

٣. الملك/ ٢.

لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء، وحال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله، وحال الكافر بعد موته أسوأ من حاله قبله، إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته، والكافر صائر إلى جزائه بعد مماته.

٢٣١١. وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام[١] أَنَّهُمْ قَالُوا: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَالْقَبْرُ بَيْتُهُ، وَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ؛ وَالدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْقَبْرُ سِجْنُهُ، وَالنَّارُ مَأْوَاهُ.

٢٣١٢. وَرُوِيَ عَنْهُمْ عليهم السلام[٢] أَنَّهُمْ قَالُوا: الْخَيْرُ كُلُّهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

ولا حاجة بنا مع نصّ القرآن بالعواقب إلى الأخبار، وقد ذكر اللّه جزاء الصالحين فبيّنه، وذكر عقاب الفاسقين ففصّله، وفي بيان اللّه وتفصيله غنى عمّا سواه[٣]. انتهى.

أقول:

سيأتي خبر طويل يشتمل على تكلّم سلمان مع الأموات في باب أحواله «رضي اللّه عنه»[٤].

٢٣١٣. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦] فَقَالَ: إِنَّهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ أُرِيَ[٧] مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: رُدُّونِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُخْبِرَ أَهْلِي بِمَا أَرَى، فَيُقَالُ لَهُ: لَيْسَ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلٌ.

٢٣١٤. الكافي[٨]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ[٩]، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِصَاحِبِي

---

١. وأيضا ورد في الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٣٩؛ وفي الجعفريات (الأشعثيات)، ص ٢٠٤، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ تحف العقول، ص ٣٦٣.

٢. وأيضا ورد في الدعوات (للراوندي)، ص ٢٨١، صدر ح ٨١٨؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ٢، ص ٩٩.

٣. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٩٤ـ٩٧.

٤. بحار الأنوار، كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله، أبواب ما يتعلق به صلى الله عليه وآله من أولاده وأزواجه وعشائره وأصحابه، باب كيفية إسلام سلمان ومكارم أخلاقه وسائر أحواله رضي الله عنه.

٥. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٥، ح ١٥؛ الزهد، ص ٨٤، ح ٢٢٣؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٦، ح ٣٦٧.

٦. الواقعة/٨٣ـ٨٧.

٧. في المصدر: «ثم أُري».

٨. الكافي، ج ٣، باب إخراج روح المؤمن، ص ١٣٦، ح ٢؛ وفي وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٩، ح ٣٦١٨، وج ٤، ص ١٠٨، ح ٤٦٣٩، مقطعا.

٩. في الكافي: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن عيسى، عن يونس، ...».

فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ، وَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي أَقْبِضُ رُوحَ ابْنِ آدَمَ فَيَجْزَعُ أَهْلُهُ فَأَقُومُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ دَارِهِمْ فَأَقُولُ: مَا هٰذَا الْجَزَعُ فَوَ اللَّهِ مَا تَعَجَّلْنَاهُ قَبْلَ أَجَلِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا فِي قَبْضِهِ مِنْ ذَنْبٍ، فَإِنْ تَحْتَسِبُوهُ وَتَصْبِرُوا تُؤْجَرُوا، وَإِنْ تَجْزَعُوا تَأْثَمُوا وَتُوزَرُوا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنَا فِيكُمْ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! إِنَّهُ لَيْسَ فِي شَرْقِهَا وَلَا فِي غَرْبِهَا[1] أَهْلُ بَيْتِ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[2] إِلَّا وَأَنَا أَتَصَفَّحُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَلَأَنَا أَعْلَمُ بِصَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ أَرَدْتُ قَبْضَ رُوحِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا حَتَّى يَأْمُرَنِي رَبِّي بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا يَتَصَفَّحُهُمْ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا عِنْدَ مَوَاقِيتِهَا لَقَّنَهُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَنَحَّى عَنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ إِبْلِيسَ.

٢٣١٥. الكافي[3]: عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله بأدنى تغيير.

بيان:

استدلّ بهذا الخبر على أنّ القابض لأرواح غير الإنسان من الحيوانات أيضاً هو ملك الموت، وفيه نظر.

٢٣١٦. الكافي[4]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[5] قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» اشْتَكَى عَيْنَهُ فَعَادَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَإِذَا هُوَ يَصِيحُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَ جَزَعاً أَمْ وَجَعاً؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَجِعْتُ وَجَعاً قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ! فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا نَزَلَ لِقَبْضِ رُوحِ الْكَافِرِ[6] نَزَلَ مَعَهُ سَفُّودٌ مِنْ نَارٍ فَنَزَعَ رُوحَهُ بِهِ فَتَصِيحُ جَهَنَّمُ، فَاسْتَوَى عَلِيٌّ عليه السلام جَالِساً فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ فَقَدْ أَنْسَانِي وَجَعِي مَا قُلْتَ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ يُصِيبُ ذٰلِكَ أَحَداً مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، حَاكِمٌ جَائِرٌ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً[7]، وَشَاهِدُ زُورٍ.

٢٣١٧. الكافي[8]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمٍ

---

١. الضمير في الكلمتين يرجع إلى الأرض، ولم يذكرها اعتمادا على القرينة. (هامش المطبوع)

٢. أراد من أهل بيت المدر أهل القرى، ومن أهل بيت الوبر أهل البوادي وأهل الفساطيط والخيم. (هامش المطبوع)

٣. الكافي، ج ٣، باب إخراج روح المؤمن والكافر، ص ١٣٦، ح ٣.

٤. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٥٣، ح ١٠؛ وفي الجعفريات (الأشعثيات)، ص ١٤٦، مع نقصان، عن أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، باب من إليه الحكم، ص ٢٢٤، ح ٥٣٧؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٥. في الجعفريات بهذا الإسناد: «عبد اللّه، عن محمد، عن موسى، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهما السلام»، وفي التهذيب: «أحمد بن محمد، عن البرقي، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن علي عليهما السلام».

٦. في الجعفريات والتهذيب: «روح الفاجر».

٧. لم يرد في الجعفريات والتهذيب: «ظلما».

٨. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦٠، ح ٣٧؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٣٨٠، ح ٣٣٧٠.

الْعَامِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عليهما السلام جَاءَ إِلَى قَبْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام وَكَانَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُ لَهُ، فَدَعَاهُ فَأَجَابَهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْقَبْرِ، فَقَالَ لَهُ: مَا تُرِيدُ مِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ تُؤْنِسَنِي كَمَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ: يَا عِيسَى مَا سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ الْمَوْتِ[1] وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُعِيدَنِي إِلَى الدُّنْيَا وَتَعُودَ عَلَيَّ حَرَارَةُ الْمَوْتِ؛ فَتَرَكَهُ فَعَادَ إِلَى قَبْرِهِ.

بيان:

لعلّ ذوق حرارة الموت إنّما يكون بعد استمرار التعيّش في الدنيا وعود التعلّقات كما كانت.

٢٣١٨. الكافي[2]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ يَزِيدَ الْكُنَاسِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فِتْيَةً مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مُتَعَبِّدِينَ، وَكَانَتِ الْعِبَادَةُ فِي أَوْلَادِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّهُمْ خَرَجُوا يَسِيرُونَ فِي الْبِلَادِ لِيَعْتَبِرُوا، فَمَرُّوا بِقَبْرٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ قَدْ سَفَى عَلَيْهِ السَّافِي، لَيْسَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ إِلَّا رَسْمُهُ، فَقَالُوا: لَوْ دَعَوْنَا اللَّهَ السَّاعَةَ فَيَنْشُرَ لَنَا صَاحِبَ هٰذَا الْقَبْرِ فَسَاءَلْنَاهُ كَيْفَ وَجَدَ طَعْمَ الْمَوْتِ؟ فَدَعَوُا اللَّهَ، وَكَانَ دُعَاؤُهُمُ الَّذِي دَعَوُا اللَّهَ بِهِ: أَنْتَ إِلٰهُنَا يَا رَبَّنَا، لَيْسَ لَنَا إِلٰهٌ غَيْرُكَ، وَالْبَدِيعُ الدَّائِمُ، غَيْرُ الْغَافِلِ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، لَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَأْنٌ، تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ؛ انْشُرْ لَنَا هٰذَا الْمَيِّتَ بِقُدْرَتِكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ ذٰلِكَ الْقَبْرِ رَجُلٌ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ التُّرَابِ فَزِعاً، شَاخِصاً بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا يُوقِفُكُمْ عَلَى قَبْرِي؟ فَقَالُوا: دَعَوْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ سَكَنَتْ فِي قَبْرِي تِسْعَةً[3] وَتِسْعِينَ سَنَةً، مَا ذَهَبَ عَنِّي أَلَمُ الْمَوْتِ وَكَرْبُهُ، وَلَا خَرَجَ مَرَارَةُ طَعْمِ الْمَوْتِ مِنْ حَلْقِي، فَقَالُوا لَهُ: مِتَّ يَوْمَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى مَا نَرَى أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ؟ قَالَ: لَا، وَلٰكِنْ لَمَّا سَمِعْتُ الصَّيْحَةَ: «اخْرُجْ» اجْتَمَعَتْ تُرْبَةُ عِظَامِي إِلَى رُوحِي، فَبَقِيتُ فِيهِ فَخَرَجْتُ فَزِعاً، شَاخِصاً بَصَرِي، مُهْطِعاً[4] إِلَى صَوْتِ الدَّاعِي، فَابْيَضَّ لِذٰلِكَ رَأْسِي وَلِحْيَتِي[5].

توضيح:

قال الجزريّ: «السافي»: الريح التي تَسْفِي التراب.

---

١. في نسخة من الكافي: «مرارة السوق»، وفي الوافي [ج ٢٥، ص ٦٩١]: «حزازة السوق»، وهو وجع في القلب من الغيظ ونحوه. و«السوق» بالفتح: النزع، كأن روح الإنسان تساق لتخرج من بدنه. (هامش المطبوع)

٢. الكافي، ج ٣، باب النوادر، ص ٢٦٠، ح ٣٨؛ وفي الإيقاظ من الهجعة، ص ١٢٦، ح ١١، مع نقصان.

٣. الظاهر صحيحه: «تسعاً».

٤. هطع كمنع هطعا وهطوعا: أسرع مقبلا خائفا، وأقبل ببصره على الشيء ولا يقلع عنه، وأهطع: مد عنقه وصوّب رأسه، راجع القاموس المحيط.

٥. **نقول:** لا شك أنه بعد الموت يخرج الروح من الجسد، ولكن لا مانع من بقاء آلام الموت في الروح، فإنه الذي يدرك الآلام، وبياض الرأس واللحية في آن واحد لا يكون بعيدا، فقد سمعنا وقوع مثل ذلك لبعض المجاهدين في الحرب التحميلي الذي وقع بعد الثورة الإسلامية.

٢٣١٩. التمحيص[١]: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَا مِنْ عَبْدٍ أُرِيدُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ إِلَّا ابْتَلَيْتُهُ فِي جَسَدِهِ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا سَلَّطْتُ عَلَيْهِ سُلْطَاناً، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا شَدَّدْتُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ حَتَّى يَأْتِيَنِي وَلَا ذَنْبَ لَهُ ثُمَّ أُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ أُرِيدُ أَنْ أُدْخِلَهُ النَّارَ إِلَّا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ طَلِبَتِهِ عِنْدِي وَإِلَّا آمَنْتُ خَوْفَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ طَلِبَتِهِ عِنْدِي وَإِلَّا وَسَّعْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ طَلِبَتِهِ عِنْدِي وَإِلَّا يَسَّرْتُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ حَتَّى يَأْتِيَنِي وَلَا حَسَنَةَ لَهُ ثُمَّ أُدْخِلُهُ النَّارَ.

أقول:

سيأتي مثله بأسانيد في باب شدّة ابتلاء المؤمن وباب علّة ابتلائه[٣].

٢٣٢٠. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ[٥]، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: النَّاسُ اثْنَانِ: رَجُلٌ أَرَاحَ، وَرَجُلٌ اسْتَرَاحَ، فَأَمَّا الَّذِي اسْتَرَاحَ فَالْمُؤْمِنُ اسْتَرَاحَ مِنَ الدُّنْيَا وَنَصَبِهَا[٦]، وَأَفْضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَكَرِيمِ ثَوَابِهِ؛ وَأَمَّا الَّذِي أَرَاحَ فَالْفَاجِرُ أَرَاحَ مِنْهُ النَّاسُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَأَفْضَى إِلَى مَا قَدَّمَ.

٢٣٢١. دعوات الراونديّ[٧]: رُوِيَ بِأَنَّ الْمُحْتَضَرَ يَحْضُرُهُ صَفٌّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَنْ يَمِينِهِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ خُضْرٌ، وَصَفٌّ عَنْ يَسَارِهِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُودٌ، يَنْتَظِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي قَبْضِ رُوحِهِ، وَالْمَرِيضُ يَنْظُرُ إِلَى هٰؤُلَاءِ مَرَّةً وَإِلَى هٰؤُلَاءِ أُخْرَى، وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً إِلَى الْمُؤْمِنِ يُبَشِّرُهُ[٨]، وَيَأْمُرُ مَلَكَ الْمَوْتِ أَنْ يَتَرَاءَى لَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَإِذَا أَخَذَ فِي قَبْضِ

---

١. التمحيص، ص ٣٨، ح ٣٦؛ الكافي، ج ٢، باب تعجيل عقوبة الذنب، ص ٤٤٦، ح ١٠؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١١٤؛ وفي الأخيرين، مع نقصان.

٢. في المصدر: «منصور بن معاوية، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، أبواب الإيمان والإسلام والتشيع، باب شدة ابتلاء المؤمن وعلّته وفضل البلاء.

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٥٧١، ح ١١٨٢؛ وفي الخصال، ج ١، ص ٣٨، ح ٢١، بمضمونه؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٧٠.

٥. في المصدر: «جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد اللّه بن محمد بن ياسين، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ...»، وفي الخصال بهذا الإسناد: «ابن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن نضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٦. في المصدر: «تعبها»، وفي الخصال: «بلائها».

٧. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٨١، ح ٨٢٠.

٨. في المصدر مع زيادة: «ويكاد يموت من الفزع ويتضرّع إلى اللّه تعالى في نفسه ويقول: يا مجيب دعوة المضطرّين، فيبعث اللّه إلى ذلك المؤمن ملكا من بُطنان السماء يبشّره».

رُوحِهِ وَارْتَقَى إِلَى رُكْبَتَيْهِ شَفَعَ إِلَى جَبْرَئِيلَ وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى عَبْدِهِ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فِي تَوْدِيعِ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ أَمْسَحَ عَلَيْكَ جَنَاحِي، أَوْ تَنْظُرَ إِلَى مِيكَائِيلَ، فَيَقُولُ: أَيْنَ مِيكَائِيلُ؟ فَإِذَا بِهِ وَقَدْ نَزَلَ فِي جَوْقٍ[1] مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ إِلَى بَطْنِهِ وَسُرَّتِهِ شَفَعَ إِلَى مِيكَائِيلَ أَنْ يُمْهِلَهُ فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ أَمْسَحَ عَلَيْكَ جَنَاحِي، أَوْ تَنْظُرَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَخْتَارُ النَّظَرَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَتَضَاحَكُ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ أَنْ يَرْفُقَ بِهِ، فَإِذَا فَارَقَتْهُ رُوحُهُ تَبِعَاهُ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ كَانَا مُوَكَّلَيْنِ بِهِ يَبْكِيَانِ وَيَتَرَحَّمَانِ عَلَيْهِ، وَيَقُولَانِ: رَحِمَ اللَّهُ هٰذَا الْعَبْدَ كَمْ أَسْمَعَنَا الْخَيْرَ، وَكَمْ أَشْهَدَنَا عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَقَالَا: يَا رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مُوَكَّلَيْنِ بِهِ وَقَدْ نَقَلْتَهُ إِلَى جِوَارِكَ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَقُولُ تَعَالَى: تَلْزَمَانِ قَبْرَهُ وَتَتَرَحَّمَانِ عَلَيْهِ وَتَسْتَغْفِرَانِ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَتَيَاهُ بِمَرْكَبٍ فَأَرْكَبَاهُ، وَمَشَيَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَخَدَمَاهُ فِي الْجَنَّةِ.



---

١. الجوق: الجماعة، راجع لسان العرب.

«باب ٧»

«ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت، وحضور الأئمّة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن، وعرض الأعمال عليهم «صلوات اللّه عليهم»

الروايات:

٢٣٢٢. تفسير الإمام عليه السلام[١]: إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَالِيَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ عليهم السلام، الْمُتَّخِذَ لِعَلِيٍّ عليه السلام بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِمَامَهُ الَّذِي يَحْتَذِي مِثَالَهُ[٢]، وَسَيِّدَهُ الَّذِي يُصَدِّقُ أَقْوَالَهُ وَيُصَوِّبُ أَفْعَالَهُ وَيُطِيعُهُ بِطَاعَةِ مَنْ يَنْدُبُهُ مِنْ أَطَايِبِ ذُرِّيَّتِهِ لِأُمُورِ الدِّينِ وَسِيَاسَتِهِ، إِذَا حَضَرَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يُرَدُّ وَنَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَائِهِ مَا لَا يُصَدُّ[٣]، وَحَضَرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ وَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ عَلِيّاً عليه السلام سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْحَسَنَ عليه السلام سِبْطَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ الْحُسَيْنَ عليه السلام سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ أَجْمَعِينَ، وَحَوَالَيْهِ بَعْدَهُمْ عليهم السلام خِيَارَ خَوَاصِّهِمْ وَمُحِبِّيهِمْ، الَّذِينَ هُمْ سَادَةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ سَادَاتِهِمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، يَنْظُرُ الْعَلِيلُ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِمْ فَيُخَاطِبُهُمْ ـ بِحَيْثُ يَحْجُبُ اللَّهُ صَوْتَهُ عَنْ آذَانِ حَاضِرِيهِ كَمَا يَحْجُبُ رُؤْيَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرُؤْيَةَ خَوَاصِّنَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ لِيَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِذٰلِكَ أَعْظَمَ ثَوَاباً لِشِدَّةِ الْمِحْنَةِ عَلَيْهِمْ.

فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ رَبِّ الْعِزَّةِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا وَصِيَّ رَسُولِ رَبِّ الرَّحْمَةِ، بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي يَا شِبْلَيْ[٤] مُحَمَّدٍ وَضِرْغَامَيْهِ، يَا وَلَدَيْهِ وَسِبْطَيْهِ، يَا سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، مَرْحَباً

---

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢١١، ح ٩٨؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٢٢؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٢٢، ح ٧٨٤؛ وفي هذه المصادر مع زيادة في صدره.

٢. فلان يحتذي على مثال فلان: إذا اقتدى به في أمره، راجع لسان العرب.

٣. الصدّ: الإعراض، وصدّه عن الأمر: منعه وصرفه عنه، راجع لسان العرب.

٤. الشبل: ولد الأسد، راجع لسان العرب.

بِكُمْ مَعَاشِرَ خِيَارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَوَلَدَيْهِمَا عليهما السلام، مَا كَانَ أَعْظَمَ شَوْقِي إِلَيْكُمْ! وَمَا أَشَدَّ سُرُورِي الْآنَ بِلِقَائِكُمْ! يَا رَسُولَ اللَّهِ هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ قَدْ حَضَرَنِي وَلَا أَشُكُّ فِي جَلَالَتِي فِي صَدْرِهِ لِمَكَانِكَ وَمَكَانِ أَخِيكَ.

فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَذٰلِكَ هُوَ؛ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى مَلَكِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ اسْتَوْصِ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى مَوْلَانَا وَخَادِمِنَا وَمُحِبِّنَا وَمُؤْثِرِنَا، فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجِنَانِ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لِيَنْظُرَ إِلَى الْعُلُوِّ فَيَنْظُرُ إِلَى مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الْأَلْبَابُ[1]، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْعَدَدُ وَالْحِسَابُ.

فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: كَيْفَ لَا أَرْفُقُ بِمَنْ ذٰلِكَ ثَوَابُهُ، وَهٰذَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَأَعِزَّتُهُ زُوَّارُهُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمَوْتَ عَقَبَةً[2] لَا يَصِلُ إِلَى تِلْكَ الْجِنَانِ إِلَّا مَنْ قَطَعَهَا لَمَا تَنَاوَلْتُ رُوحَهُ، وَلٰكِنْ لِخَادِمِكَ وَمُحِبِّكَ هٰذَا أُسْوَةٌ بِكَ وَبِسَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ عليهم السلام الَّذِينَ أُذِيقُوا الْمَوْتَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَقُولُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ هَاكَ أَخَانَا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْراً، ثُمَّ يَرْتَفِعُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى رَوْضِ[3] الْجِنَانِ وَقَدْ كُشِفَ مِنَ الْغِطَاءِ وَالْحِجَابِ لِعَيْنِ ذٰلِكَ الْمُؤْمِنِ الْعَلِيلِ فَيَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُ هُنَاكَ بَعْدَ مَا كَانُوا حَوْلَ فِرَاشِهِ فَيَقُولُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ الْوَحَى الْوَحَى[4]، تَنَاوَلْ رُوحِي وَلَا تُلْبِثْنِي هَاهُنَا، فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأَعِزَّتِهِ، وَأَلْحِقْنِي بِهِمْ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَنَاوَلُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ فَيَسُلُّهَا كَمَا يَسُلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الدَّقِيقِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ فِي شِدَّةٍ فَلَيْسَ هُوَ فِي شِدَّةٍ، بَلْ هُوَ فِي رَخَاءٍ وَلَذَّةٍ، فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ وَجَدَ جَمَاعَتَنَا هُنَاكَ.

وَإِذَا جَاءَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: هٰذَا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام وَخِيَارُ صَحَابَتِهِمْ بِحَضْرَةِ صَاحِبِنَا فَلْنَتَّضِعْ[5] لَهُمَا فَيَأْتِيَانِ فَيُسَلِّمَانِ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله سَلَاماً مُفْرَداً، ثُمَّ يُسَلِّمَانِ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام سَلَاماً مُفْرَداً، ثُمَّ يُسَلِّمَانِ عَلَى الْحَسَنَيْنِ عليهما السلام سَلَاماً يَجْمَعَانِهِمَا فِيهِ، ثُمَّ يُسَلِّمَانِ عَلَى سَائِرِ مَنْ مَعَنَا مِنْ أَصْحَابِنَا، ثُمَّ يَقُولُونَ: قَدْ عَلِمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ زِيَارَتَكَ فِي خَاصَّتِكَ لِخَادِمِكَ وَمَوْلَاكَ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ إِظْهَارَ فَضْلِهِ لِمَنْ بِهٰذِهِ الْحَضْرَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ يَسْمَعُنَا مِنْ مَلَائِكَتِهِ بَعْدَهُمْ لَمَا سَأَلْنَاهُ، وَلٰكِنْ أَمْرُ اللَّهِ لَا بُدَّ مِنْ امْتِثَالِهِ، ثُمَّ يَسْأَلَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَنْ إِمَامُكَ؟ وَمَا قِبْلَتُكَ؟ وَمَنْ شِيعَتُكَ؟ وَمَنْ إِخْوَانُكَ؟

---

١. في المصدر: «فيقول له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: انظر، فينظر إلى العلو وينظر إلى ما لا تحيط به الألباب».

٢. العقبة: ما صعب سلوكه من الطرق في الجبال، راجع الطراز الأول.

٣. في المصدر: «ربض».

٤. الوحى: العجلة، راجع لسان العرب.

٥. الضعة: الذلّ، راجع لسان العرب؛ واتّضع فلان: صار وضيعاً، ويجيء متعدّيا (كما هنا) ومعناه الخضوع والتواضع.

فَيَقُولُ: اللَّهُ رَبِّي[١]، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَعَلِيٌّ وَصِيُّ مُحَمَّدٍ إِمَامِي، وَالْكَعْبَةُ قِبْلَتِي، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُوَالُونَ لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا وَأَوْلِيَاؤُهُمَا الْمُعَادُونَ لِأَعْدَائِهِمَا إِخْوَانِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ أَخَاهُ عَلِيّاً وَلِيُّ اللَّهِ، وَأَنَّ مَنْ نَصَبَهُمْ لِلْإِمَامَةِ مِنْ أَطَايِبِ عِتْرَتِهِ وَخِيَارِ ذُرِّيَّتِهِ خُلَفَاءُ الْأُمَّةِ وَوُلَاةُ الْحَقِّ وَالْقَوَّامُونَ بِالصِّدْقِ[٢]؛ فَيَقُولَانِ: عَلَى هٰذَا حَيِيتَ، وَعَلَى هٰذَا مِتَّ، وَعَلَى هٰذَا تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَكُونُ مَعَ مَنْ تَتَوَلَّاهُ فِي دَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ وَمُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وَإِنْ كَانَ لِأَوْلِيَائِنَا مُعَادِياً وَلِأَعْدَائِنَا مُوَالِياً وَلِأَضْدَادِنَا بِأَلْقَابِنَا مُلَقِّباً فَإِذَا جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِنَزْعِ رُوحِهِ مَثَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِذٰلِكَ الْفَاجِرِ سَادَتَهُ الَّذِينَ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ مَا يَكَادُ نَظَرُهُ إِلَيْهِمْ يُهْلِكُهُ وَلَا يَزَالُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ حَرِّ عَذَابِهِمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: يَا أَيُّهَا الْفَاجِرُ الْكَافِرُ تَرَكْتَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَى أَعْدَائِهِ[٣]، فَالْيَوْمَ لَا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئاً، وَلَا تَجِدُ إِلَى مَنَاصٍ[٤] سَبِيلاً، فَيَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَوْ قُسِمَ أَدْنَاهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا لَأَهْلَكَهُمْ، ثُمَّ إِذَا دُلِّيَ فِي قَبْرِهِ رَأَى بَاباً مِنَ الْجَنَّةِ مَفْتُوحاً إِلَى قَبْرِهِ يَرَى مِنْهُ خَيْرَاتِهَا؛ فَيَقُولُ لَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ: انْظُرْ إِلَى مَا حُرِمْتَ مِنْ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابٌ مِنَ النَّارِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ مِنْ عَذَابِهَا فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، يَا رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ.

بيان:

«الضرغام» بالكسر: الأسد.

٢٣٢٣. تفسير الإمام عليه السلام[٥]: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمُ اللِّقَاءَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ كَرَامَاتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: يَظُنُّونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ بِمَاذَا يُخْتَمُ لَهُمْ، وَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ عَنْهُمْ، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٦] إِلَى كَرَامَاتِهِ، وَنَعِيمِ جِنَانِهِ، لِإِيمَانِهِمْ وَخُشُوعِهِمْ، لَا يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ يَقِيناً لِأَنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ أَنْ يُغَيَّرُوا وَيُبَدَّلُوا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ خَائِفاً مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، لَا يَتَيَقَّنُ الْوُصُولَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ وَقْتُ نَزْعِ رُوحِهِ وَظُهُورِ مَلَكِ الْمَوْتِ لَهُ.

---

١. في التأويل مع زيادة: «والإسلام ديني».

٢. في المصدر: «القوامون بالعدل».

٣. في التأويل: «وملت إلى أعدائه».

٤. المناص: الملجأ والمفر، راجع لسان العرب.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٣٨، ح ١١٦ و١١٧؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٢٤؛ وفي تفسير البرهان، ج ١، ص٢٠٨، ذيل ح ٤٥٦، و ج ٤، ص ٧٨٨، ح ٩٤٣٦، مقطعا؛ وفي هذه المصادر مع اختلاف يسير.

٦. البقرة/٤٦.

وَذٰلِكَ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَرِدُ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ عِلَّةٍ، وَعَظِيمِ ضِيقِ صَدْرِهِ، بِمَا يُخَلِّفُ مِنْ أَمْوَالِهِ، وَلِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنِ اضْطِرَابِ[١] أَحْوَالِهِ فِي مُعَامِلِيهِ وَعِيَالِهِ، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي نَفْسِهِ مَرَارَتُهَا وَحَسَرَاتُهَا، وَاقْتَطَعَ دُونَ أَمَانِيِّهِ فَلَمْ يَنَلْهَا، فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: مَا لَكَ تَجَرَّعُ[٢] غُصَصَكَ؟ قَالَ: لِاضْطِرَابِ أَحْوَالِي وَاقْتِطَاعِكَ لِي دُونَ آمَالِي، فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: وَهَلْ يَحْزَنُ عَاقِلٌ مِنْ فَقْدِ دِرْهَمٍ زَائِفٍ[٣] وَاعْتِيَاضِ أَلْفِ أَلْفِ ضِعْفِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: فَانْظُرْ فَوْقَكَ، فَيَنْظُرُ فَيَرَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ وَقُصُورَهَا الَّتِي يَقْصُرُ دُونَهَا الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: تِلْكَ مَنَازِلُكَ وَنِعَمُكَ وَأَمْوَالُكَ وَأَهْلُكَ وَعِيَالُكَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِكَ هَاهُنَا وَذُرِّيَّتِكَ صَالِحاً فَهُمْ هُنَاكَ مَعَكَ، أَ فَتَرْضَى بِهِ بَدَلاً مِمَّا هُنَاكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى وَاللَّهِ.

ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرْ فَيَنْظُرُ فَيَرَى مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِمَا عليهما السلام فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَيَقُولُ: أَ وَتَرَاهُمْ؟ هٰؤُلَاءِ سَادَاتُكَ وَأَئِمَّتُكَ، هُمْ هُنَاكَ جُلَّاسُكَ وَآنَاسُكَ، أَ فَمَا تَرْضَى بِهِمْ بَدَلاً مِمَّنْ تُفَارِقُ هَاهُنَا؟ فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي، فَذٰلِكَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ فَمَا أَمَامَكُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ كُفِيتُمُوهَا، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا تُخَلِّفُونَهُ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالْعِيَالِ[٤]، فَهٰذَا الَّذِي شَاهَدْتُمُوهُ فِي الْجِنَانِ بَدَلاً مِنْهُمْ، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٥] هٰذِهِ مَنَازِلُكُمْ وَهٰؤُلَاءِ سَادَاتُكُمْ آنَاسُكُمْ وَجُلَّاسُكُمْ.

٢٣٢٤. كتاب حسين بن سعيد[٦]: النَّضْرُ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] يَقُولُ: إِنَّ أَشَدَّ مَا يَكُونُ عَدُوُّكُمْ كَرَاهِيَةً لِهٰذَا الْأَمْرِ حِينَ تَبْلُغُ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنْ آلِ عُثْمَانَ كَانَ سَبَّابَةً لِعَلِيٍّ عليه السلام فَحَدَّثَتْنِي مَوْلَاةٌ لَهُ كَانَتْ تَأْتِينَا قَالَتْ: لَمَّا احْتُضِرَ قَالَ: مَا لِي وَلَهُمْ؟ قُلْتُ: ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ مَا لَهُ قَالَ هٰذَا؟ فَقَالَ: لِمَا أُرِيَ مِنَ الْعَذَابِ، أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٨] هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ ثَبَاتُ الشَّيْءِ فِي الْقَلْبِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ.

---

١. في المصدر: «من شدة اضطراب».

٢. تجرّعه: بلعه، راجع لسان العرب.

٣. الدرهم الزائف: هو الرديء، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر والتأويل والبرهان مع زيادة: «والأموال».

٥. فصّلت/٣٠.

٦. الزهد، ص ٨٥، ح ٢٢٧؛ بصائر الدرجات، ص ٥٢٣، ح ١٨؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ١٢٢، ح ٢٥٣٢.

٧. في البصائر بهذا الإسناد: «الصفار، عن أحمد بن محمد، عن البرقي والنضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب، عن أبي جعفر عليه السلام».

٨. النساء/٦٥.

٢٣٢٥. تفسير العيّاشيّ[١]: عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٢]: إِنَّمَا أَحَدُكُمْ[٣] حِينَ يَبْلُغُ نَفْسُهُ هَاهُنَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَقَدْ أُعْطِيتَهُ، وَأَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَسْكَنِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَانْظُرْ هٰذَا رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام رُفَقَاؤُكَ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٤].

٢٣٢٦. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا يُصْنَعُ بِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَكَانَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَكَانَهُ مِنَّا[٦] إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا ـ ثُمَّ أَهْوَى[٧] بِيَدِهِ إِلَى نَحْرِهِ ـ أَ لَا أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَقَالَ: إِذَا كَانَ ذٰلِكَ أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام مَعَهُ، يَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ ـ إِذَا كَانَ ذٰلِكَ ـ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَ مَا تَعْرِفُنِي؟ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَمَا أَمَامَكَ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا خَلَّفْتَ، أَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُ فَقَدْ أَمِنْتَهُ، وَأَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَقَدْ هَجَمْتَ عَلَيْهِ، أَيَّتُهَا الرُّوحُ اخْرُجِي إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ؛ وَيَقُولُ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام: مِثْلَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ أَ لَا أُخْبِرُكَ بِذٰلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الْآيَةَ.

٢٣٢٧. المجالس للمفيد[٨]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ[٩]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ الْهَمْدَانِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام فِي نَفَرٍ مِنَ الشِّيعَةِ وَكُنْتُ فِيهِمْ، فَجَعَلَ الْحَارِثُ يَتَّئِدُ[١٠] فِي مِشْيَتِهِ وَيَخْبِطُ الْأَرْضَ بِمِحْجَنِهِ وَكَانَ مَرِيضاً، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ وَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ ـ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا حَارِثُ؟ فَقَالَ: نَالَ الدَّهْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنِّي، وَزَادَنِي أَوْباً غَلِيلاً اخْتِصَامُ أَصْحَابِكَ بِبَابِكَ، قَالَ: وَفِيمَ خُصُومَتُهُمْ؟ قَالَ: فِيكَ وَفِي الثَّلَاثَةِ مِنْ قَبْلِكَ، فَمِنْ مُفْرِطٍ مِنْهُمْ غَالٍ، وَمُقْتَصِدٍ تَالٍ، وَمِنْ مُتَرَدِّدٍ مُرْتَابٍ، لَا يَدْرِي أَ يُقْدِمُ أَمْ يُحْجِمُ؟! فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَخَا هَمْدَانَ، أَلَا إِنَّ

---

١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٤، ح ٣٢؛ وفي المحاسن، ج ١، ص ١٧٤، ح ١٥٢، بمضمونه؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٧٥.

٢. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد اللّه، عن جميل بن درّاج، عن كليب بن معاوية، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. في الدعائم: «إنما يغتبط أحدكم».

٤. يونس/٦٣ و ٦٤.

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٤؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٠، ح ٤٩٣٣.

٦. في المصدر مع زيادة: «يقرّ به عينه»، وفي البرهان: «مما تقرّ به عينه».

٧. أهويت بالشيء: إذا أومأت به، وفي الحديث: فأهوى بيده إليه أي مدّها نحوه وأمالها إليه، راجع لسان العرب.

٨. الأمالي (للمفيد)، ص ٣، ح ٣؛ بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٤؛ طُرف من الأنباء، ص ٢٩٢؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٩. في البشارة: «محمد بن عبد اللّه بن المطّلب الشيباني، عن محمد بن علي بن مهدي، ...».

١٠. في البشارة والطرف: «يتلوّذ».

خَيْرَ شِيعَتِي النَّمَطُ[١] الْأَوْسَطُ، إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي.

فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: لَوْ كَشَفْتَ ـ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ـ الرَّيْنَ[٢][٣] عَنْ قُلُوبِنَا وَجَعَلْتَنَا فِي ذٰلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، قَالَ: قَدْكَ، فَإِنَّكَ امْرُؤٌ مَلْبُوسٌ عَلَيْكَ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ؛ فَاعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ. يَا حَارِثُ إِنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَالصَّادِعَ[٤] بِهِ مُجَاهِدٌ، وَبِالْحَقِّ أُخْبِرُكَ فَأَرْعِنِي سَمْعَكَ، ثُمَّ خَبِّرْ بِهِ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَصَانَةٌ[٥] مِنْ أَصْحَابِكَ، أَلَا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخُو رَسُولِهِ، وَصَدِيقُهُ الْأَوَّلُ[٦] قَدْ صَدَّقْتُهُ وَآدَمُ عليه السلام بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، ثُمَّ إِنِّي صَدِيقُهُ الْأَوَّلُ فِي أُمَّتِكُمْ حَقّاً فَنَحْنُ الْأَوَّلُونَ، وَنَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ خَاصَّتُهُ ـ يَا حَارِثُ ـ وَخَالِصَتُهُ، وَأَنَا صَفْوُهُ[٧] وَوَصِيُّهُ وَوَلِيُّهُ، وَصَاحِبُ نَجْوَاهُ وَسِرِّهِ، أُوتِيتُ فَهْمَ الْكِتَابِ، وَفَصْلَ الْخِطَابِ وَعِلْمَ الْقُرُونِ وَالْأَسْبَابِ، وَاسْتُودِعْتُ[٨] أَلْفَ مِفْتَاحٍ يَفْتَحُ كُلُّ مِفْتَاحٍ أَلْفَ بَابٍ، يُفْضِي كُلُّ بَابٍ إِلَى أَلْفِ عَهْدٍ[٩]، وَأُيِّدْتُ وَاتُّخِذْتُ وَأُمْدِدْتُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ نَفْلاً، وَإِنَّ ذٰلِكَ لَيَجْرِي لِي وَلِمَنْ تَحَفَّظَ[١٠] مِنْ ذُرِّيَّتِي مَا جَرَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وَأُبَشِّرُكَ يَا حَارِثُ لَتَعْرِفُنِي عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، وَعِنْدَ الْحَوْضِ، وَعِنْدَ الْمُقَاسَمَةِ. قَالَ الْحَارِثُ: وَمَا الْمُقَاسَمَةُ؟ قَالَ: مُقَاسَمَةُ النَّارِ أُقَاسِمُهَا قِسْمَةً صَحِيحَةً، أَقُولُ: هٰذَا وَلِيِّي فَاتْرُكِيهِ، وَهٰذَا عَدُوِّي فَخُذِيهِ. ثُمَّ أَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِيَدِ الْحَارِثِ فَقَالَ: يَا حَارِثُ أَخَذْتُ بِيَدِكَ كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِيَدِي، فَقَالَ لِي ـ وَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ حَسَدَ قُرَيْشٍ وَالْمُنَافِقِينَ لِي ـ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَخَذْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَبِحُجْزَتِهِ - يَعْنِي عِصْمَتَهُ - مِنْ ذِي الْعَرْشِ تَعَالَى، وَأَخَذْتَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ بِحُجْزَتِي، وَأَخَذَ ذُرِّيَّتُكَ بِحُجْزَتِكَ، وَأَخَذَ شِيعَتُكُمْ بِحُجَزِكُمْ؛ فَمَا ذَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ؟ وَمَا يَصْنَعُ نَبِيُّهُ بِوَصِيِّهِ؟ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا حَارِثُ قَصِيرَةٌ مِنْ طَوِيلَةٍ، أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكَ مَا اكْتَسَبْتَ ـ يَقُولُهَا ثَلَاثاً. فَقَامَ الْحَارِثُ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ: مَا أُبَالِي بَعْدَهَا مَتَى لَقِيتُ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَنِي.

قَالَ جَمِيلُ بْنُ صَالِحٍ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو هَاشِمٍ السَّيِّدُ الْحِمْيَرِيُّ «رَحِمَهُ اللَّهُ» فِيمَا تَضَمَّنَهُ هٰذَا الْخَبَرُ:

---

١. النمط: الطريقة من الطرائق، والضرب من الضروب، والجماعة من الناس أمرهم واحد، راجع النهاية.

٢. الرين: الطبع والدنس، راجع لسان العرب.

٣. في البشارة والطرف: «الريب».

٤. صدع بالحق: تكلم به جهارا، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر: «حصافة».

٦. في البشارة والطرف: «صديقه الأكبر».

٧. في المصدر والبشارة والطرف: «صِنوه».

٨. في البشارة والطرف: «علم القرآن واستودعت ...».

٩. في نسخة: ألف ألف. (هامش المطبوع)

١٠. في نسخة: استحفظ. (هامش المطبوع)

قَــوْلُ عَــلِيٍّ لِــحَارِثٍ عَــجَبٌ كَــمْ ثَــمَّ أُعْــجُوبَةً لَــهُ حَــمَلاً
يَا حَـارِ هَـمْدَانَ مَـنْ يَـمُتْ يَـرَنِي مِــنْ مُــؤْمِنٍ أَوْ مُــنَافِقٍ قُــبُلاً
يَــعْرِفُنِي طَــرْفُهُ وَأَعْــرِفُهُ بِــنَعْتِهِ[1] وَاسْــمِهِ وَمَــا عَــمِلَا
وَأَنْتَ عِــنْدَ الصِّــرَاطِ تَــعْرِفُنِي فَــلَا تَــخَفْ عَــثْرَةً وَلَا زَلَــلاً
أَسْــقِيكَ مِــنْ بَــارِدٍ عَـلَى ظَـمَإٍ تَــخَالُهُ فِــي الْــحَلَاوَةِ الْـعَسَلاَ
أَقُولُ لِـلنَّارِ حِـينَ تُـوقَفُ لِـلْعَرْضِ دَعِــيهِ لَا تَــقْتُلِي الرَّجُــلاَ
دَعِــيهِ لَا تَــقْرَبِيهِ إِنَّ لَــهُ حَــبْلاً بِـحَبْلِ الْـوَصِيِّ مُـتَّصِلاً[2]

الأمالي للشيخ الطوسيّ[3]: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن عليّ بن مهديّ وغيره، عن محمّد بن عليّ بن عمرو مثله.

بيان:

«يتئّد»: أي يتثبّت ويتأنّى، من التؤدة؛ وفي الأمالي للطوسي: «يتأوّد»[4] أي يتعوّج. و«خبطه»: ضربه شديداً. و«المحجن» كمنبر: العصا المعوّجة. وأوب كفرح: غضب؛ وفي «الأمالي»: «أُواراً وغليلاً»[5]، والأُوار بالضمّ: حرارة الشمس، وحرارة العطش، و«الغليل»: الحقد والضغن، وحرارة الحبّ والحزن. و«أحجم عنه»: كفّ أو نكص هيبة. و«قد» إذا كانت اسميّة تكون على وجهين: اسم فعل مرادفة ليكفي، نحو قولهم: قدني درهم، واسم مرادف لحسب، ذكره الفيروزآباديّ. وقال عليه السلام: «أرعني سمعك» وراعني: استمع لمقالي. قوله عليه السلام: «نفلاً» أي زائداً على ما أعطيت من الفضائل والكرائم. قوله: «قُبُلاً» أي مقابلة وعياناً. وقوله: «تخاله» أي تظنّه.

٢٣٢٨. تفسير القمّيّ[6]: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا يَمُوتُ مُوَالٍ لَنَا مُبْغِضٌ

---

١. في نسخة: بعينه. (هامش المطبوع)

٢. في البشارة مع زيادة:

«هــذا لنــا شــيعة وشــيعتنا أعــطانا اللّــه فــيهم الأمــلا».

٣. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٢٥، ح ١٢٩٢.

٤. وكذا في الأمالي (للمفيد).

٥. وكذا في الأمالي (للمفيد).

٦. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٦٥؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ٣٥٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٤، ح ٣٦٩.

لِأَعْدَائِنَا إِلَّا وَيَحْضُرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ» فَيَرَوْنَهُ[١] وَيُبَشِّرُونَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُوَالٍ لَنَا يَرَاهُمْ بِحَيْثُ يَسُوؤُهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِحَارِثٍ الْهَمْدَانِي:

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي ... مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلاً

٢٣٢٩. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٢]: الْمُفِيدُ، عَنِ الْمَرَاغِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ السَّبِيعِيِّ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعُرَنِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقُلْتُ: حُبِّي لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: يَا حَارِثُ أَ تُحِبُّنِي[٣]؟ قُلْتُ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَمَا لَوْ بَلَغَتْ نَفْسُكَ الْحُلْقُومَ رَأَيْتَنِي حَيْثُ تُحِبُّ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَذُودُ[٤] الرِّجَالَ عَنِ الْحَوْضِ ذَوْدَ غَرِيبَةِ الْإِبِلِ لَرَأَيْتَنِي حَيْثُ تُحِبُّ؛ وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا مَارٌّ عَلَى الصِّرَاطِ بِلِوَاءِ الْحَمْدِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَرَأَيْتَنِي حَيْثُ تُحِبُّ.

٢٣٣٠. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٥]: المفيد، عن المرزبانيّ، عن عبد اللّه بن الحسن، عن محمّد بن رشيد قال: آخر شعر قاله السيّد بن محمّد «رحمه اللّه» قبل وفاته بساعة، وذلك أنّه أُغمي عليه وأسود لونه ثمّ أفاق وقد ابيضّ وجهه وهو يقول:

أحبُّ الذي من مات من أهل ودّه ... تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوي غيره من عدوّه ... فليس له إلّا إلى النار مسلك
أبا حسن! تفديك نفسي وأُسرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبا حسن! إنّي بفضلك عارف ... وإنّي بحبل من هواك لممسك
وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه ... وإنّا نعادي مبغضيك ونترك
مواليك ناج مؤمن بيّن الهدى ... وغاليك معروف الضلالة مشرك
ولاحٍ لحاني في عليّ وحزبه ... فقلت: لحاك اللّه إنّك أعفك

ومعنى أعفك أحمق.

توضيح:

لحا اللّه فلانا: قبّحه ولعنه؛ ولحيت الرجل ألحاه لحياً: لمته، والملاحاة: المنازعة.

---

١. في المصدر: «فيُسرّوه».

٢. الأمالي (للطوسي)، ص ٤٨، ح ٦١؛ بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٧٣؛ كشف الغمّة، ج ١، ص ١٤٠.

٣. لم يرد في البشارة من «ما جاء بك» إلى «أتحبّني».

٤. الذَّود: السَّوق والطرد والدفع، راجع لسان العرب.

٥. الأمالي (للطوسي)، ص ٤٩، ح ٦٣.

٢٣٣١. علل الشرائع[١]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنْ أَخِيهِ عَلِيٍّ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ[٢]، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَابُورَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ فِي الْمَيِّتِ تَدْمَعُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقَالَ: ذٰلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَرَى مَا يَسُرُّهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَ مَا تَرَى الرَّجُلَ إِذَا يَرَى مَا يَسُرُّهُ فَتَدْمَعُ عَيْنُهُ وَيَضْحَكُ؟

٢٣٣٢. الخصال[٣]: الْأَرْبَعُمِائَةِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَمَسَّكُوا بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ، فَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى مَا يُحِبُّ إِلَّا أَنْ يَحْضُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله،[٤] ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٥]؛ وَتَأْتِيهِ الْبِشَارَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٦] فَتَقَرُّ عَيْنُهُ وَيُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ.

٢٣٣٣. بصائر الدرجات[٧]: أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ يَحْيَى الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٨] فَقَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ، وَلَا كَافِرٍ فَيُوضَعُ فِي قَبْرِهِ، حَتَّى يُعْرَضَ عَمَلُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَهَلُمَّ جَرّاً إِلَى آخِرِ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى الْعِبَادِ.

٢٣٣٤. المحاسن[٩]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ النَّخَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٠] يَقُولُ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾[١١] فَنَحْنُ وَاللَّهِ ذُرِّيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٦، ح ١؛ الزهد، ص ٨٣، ح ٢٢١؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٣، ح ٦.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، ...».

٣. الخصال، ج ٢، ص ٦١٤، ح ١٠؛ تحف العقول، ص ١٠٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٦، ح ٣٧٢.

٤. **نقول:** يمكن أن يكون المراد من رسول اللّه ملك الموت، كما يمكن أن يكون إشارة إلى حضور روح رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام عند موت المؤمن.

٥. القصص/ ٦٠.

٦. في التحف: «وتأتيه البشارة واللّه».

٧. بصائر الدرجات، ص ٤٢٨، ح ٨؛ وفي تفسير القمي، ج ١، ص ٣٠٤، مع اختلاف يسير عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٤.

٨. التوبة/ ١٠٥.

٩. المحاسن، ج ١، ص ١٧٤، ح ١٥٣؛ وفي تفسير فرات الكوفي، ص ٢١٦، ذيل ح ٢٩١؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٤، ح ٥٣.

١٠. في تفسير الفرات: «إسماعيل بن إبراهيم معنعناً، عن عبد اللّه بن وليد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي تفسير العياشي: «علي بن عمر بن أبان الكلبي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١١. الرعد/ ٣٨.

٢٣٣٥. المحاسن[١]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ أَشَدَّ مَا يَكُونُ عَدُوُّكُمْ كَرَاهَةً لِهٰذَا الْأَمْرِ إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ، وَأَشَدَّ مَا يَكُونُ أَحَدُكُمُ اغْتِبَاطاً بِهٰذَا الْأَمْرِ إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ أَهْوَالُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ يُحَاذِرُ مِنْهَا وَيُقَالُ: أَمَامَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عليهما السلام، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا فَاطِمَةَ عليها السلام فَلَا تَذْكُرْهَا.

كتاب حسين بن سعيد[٢]: النضر مثله، وفي آخره: «وَ يُقَالُ لَهُ: أَمَامَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ والْأَئِمَّةُ عليهم السلام».

٢٣٣٦. المحاسن[٣]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِمَّا أُرَدِّدُ هٰذَا الْكَلَامَ عَلَيْكُمْ: مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هٰذِهِ ـ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ يَأْتِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام فَيَقُولَانِ لَهُ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَأَمَامَكَ.

٢٣٣٧. المحاسن[٤]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٥] أَنَا وَالْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ فَقَالَ: يَا عُقْبَةُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هٰذَا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ؛ وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هٰذَا ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْوَرِيدِ.

قَالَ: ثُمَّ اتَّكَأَ وَغَمَزَ إِلَيَّ الْمُعَلَّى أَنْ سَلْهُ فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هٰذِهِ فَأَيَّ شَيْءٍ يَرَى؟ ـ فَرَدَّدَ عَلَيْهِ بِضْعَةَ عَشَرَ[٦] مَرَّةً أَيَّ شَيْءٍ يَرَى[٧]؟ ـ فَقَالَ فِي كُلِّهَا: يَرَى؛ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جَلَسَ فِي آخِرِهَا فَقَالَ: يَا عُقْبَةُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّمَا دِينِي مَعَ دَمِي فَإِذَا ذَهَبَ دَمِي كَانَ ذٰلِكَ، وَكَيْفَ بِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ سَاعَةٍ؟ وَبَكَيْتُ، فَرَقَّ لِي فَقَالَ: يَرَاهُمَا وَاللَّهِ. قُلْتُ: ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ـ مَنْ هُمَا؟ فَقَالَ: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام، يَا عُقْبَةُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ أَبَداً حَتَّى تَرَاهُمَا. قُلْتُ: فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنُ أَ يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا؟ قَالَ: لَا، بَلْ يَمْضِي أَمَامَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَقُولَانِ شَيْئاً ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَدْخُلَانِ جَمِيعاً عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَيَجْلِسُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عِنْدَ رَأْسِهِ، وَعَلِيٌّ عليه السلام عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُكِبُّ عَلَيْهِ[٨] رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَبْشِرْ،

---

١. المحاسن، ج ١، ص ١٧٥، ح ١٥٦؛ وفي الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٨، ح ٣٧٨.

٢. الزهد، ص ٨٤، ح ٢٢٤.

٣. المحاسن، ج ١، ص ١٧٥، ح ١٥٧؛ أعلام الدين، ص ٤٥٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٧، ح ٣.

٤. المحاسن، ج ١، ص ١٧٥، ح ١٥٨؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ١٢٥، ح ٣٣؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٢٨، ح ١.

٥. في تفسير العياشي بهذا الإسناد: «عقبة بن خالد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن فضال،...».

٦. في المصدر: «بضع عشرة»، وهو الصحيح.

٧. في تفسير العياشي والكافي: «فقلت له بضع عشر مرة: أيّ شيء يرى؟».

٨. أكبّ على الشيء: أقبل عليه، راجع لسان العرب.

أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي خَيْرٌ لَكَ مِمَّا تَتْرُكُ مِنَ الدُّنْيَا؛ ثُمَّ يَنْهَضُ رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ[١] عَلِيٌّ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا» حَتَّى يُكِبَّ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَبْشِرْ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّنِي أَمَا لَأَنْفَعُكَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَمَا إِنَّ هٰذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قُلْتُ: أَيْنَ هٰذَا ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: فِي سُورَةِ يُونُسَ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَاهُنَا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢].

بيان:

«إنّما ديني مع دمي» المراد بالدم الحياة أي لا أترك طلب الدين ما دمت حيّاً، فإذا ذهب دمي أي متّ كان ذلك أي ترك الطلب؛ أو المعنى: أنّه إنّما يمكنني تحصيل الدين ما دمت حيّاً، فقوله: «فإذا ذهب دمي» استفهام إنكاريّ أي بعد الموت كيف يمكنني طلب الدين؟ وفي تفسير العيّاشيّ: «فإذا ذهب ديني كان ذلك»، فالمعنى: أنّ ديني مقرون بحياتي، فمع عدم الدين فكأنّي لست بحيّ. فقوله: «كان ذلك» أي كان الموت. وفي الكافي: «إنّما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك» أي إنّ ديني إنّما يستقيم إذا كان موافقاً لدينك، فإذا ذهب ديني لعدم علمي بما تعتقده كان ذلك أي الخسران والهلاك والعذاب الأبديّ، أشار إليه مبهماً لتفخيمه.

وأمّا استشهاده عليه السلام بالآية، فالظاهر أنّه فسّر «البشرى» في الحياة الدنيا بما يكون عند الموت؛ ويحتمل أن يكون عليه السلام فسّر «البشرى» في الآخرة بذلك لأنّ تلك الحالة من مقدّمات النشأة الآخرة، فالبشرى في الحياة الدنيا بالمنامات الحسنة، كما ورد في أخبار أُخر، أو بما بشّر اللّه في كتبه وعلى لسان أنبيائه عليهم السلام، والأوّل أظهر.

٢٣٣٨. المحاسن[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنِ الْخَطَّابِ الْكُوفِيِّ وَمُصْعَبٍ الْكُوفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِسَدِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ وَعَجَّلَ رُوحَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى سُرُوراً أَوْ تَبَيَّنَ لَهُ النَّدَامَةُ وَالْحَسْرَةُ إِلَّا أَنْ يُعَايِنَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٤] وَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِقَبْضِ رُوحِهِ فَيُنَادِي رُوحَهُ فَتَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَمَا يُحِسُّ بِخُرُوجِهَا، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٥] ثُمَّ قَالَ عليه السلام: ذٰلِكَ لِمَنْ كَانَ وَرِعاً مُوَاسِياً لِإِخْوَانِهِ، وَصُولاً لَهُمْ[٦]، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ وَرِعٍ

---

١. في المصدر وتفسير العياشي والكافي: «فيقدم عليه».

٢. يونس/٦٣ و ٦٤.

٣. المحاسن، ج ١، ص ١٧٧، ح ١٦١؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٧، ح ١.

٤. ق/١٧.

٥. الفجر/٢٧ـ٣٠.

وَلَا وَصُولٍ لِإِخْوَانِهِ قِيلَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْوَرَعِ وَالْمُوَاسَاةِ لِإِخْوَانِكَ؟ أَنْتَ مِمَّنِ انْتَحَلَ[٧] الْمَحَبَّةَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ ذٰلِكَ بِفِعْلٍ وَإِذَا لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَقِيَهُمَا مُعْرِضَيْنِ، مُقَطِّبَيْنِ فِي وَجْهِهِ[٨]، غَيْرَ شَافِعَيْنِ لَهُ[٩]. قَالَ سَدِيرٌ: مَنْ جَدَعَ اللَّهُ أَنْفَهُ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَهُوَ ذَاكَ.

بيان:

جدع الأنف أي قطعه، كناية عن المذلّة، أي من أذلّه اللّه يكون كذلك؛ ويحتمل أن يكون «من» استفهاماً، أي من يكون كذلك؟ فقوله: «جدع اللّه أنفه» جملة دعائيّة، فأجاب عليه السلام بأنّه هو الذي ذكرت لك سابقاً.

٢٣٣٩. المحاسن[١٠]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْعَلَاءِ[١١]، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَعِينُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِالْوَرَعِ وَالِاجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَشَدَّ مَا يَكُونُ أَحَدُكُمُ اغْتِبَاطاً بِمَا هُوَ عَلَيْهِ[١٢] لَوْ قَدْ صَارَ فِي حَدِّ الْآخِرَةِ وَانْقَطَعَتِ الدُّنْيَا عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ فِي ذٰلِكَ الْحَدِّ عَرَفَ أَنَّهُ قَدِ اسْتَقْبَلَ النَّعِيمَ وَالْكَرَامَةَ مِنَ اللَّهِ، وَالْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ، وَأَمِنَ مِمَّنْ كَانَ يَخَافُ، وَأَيْقَنَ أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ دِينَهُ عَلَى بَاطِلٍ هَالِكٌ.

٢٣٤٠. المحاسن[١٣]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ قُتَيْبَةَ الْأَعْشَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَمَا إِنَّ أَحْوَجَ مَا تَكُونُونَ فِيهِ إِلَى حُبِّنَا حِينَ تَبْلُغُ نَفْسُ أَحَدِكُمْ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْرِهِ ـ ثُمَّ قَالَ: لَا بَلْ إِلَى هَاهُنَا ـ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ فَيَأْتِيهِ الْبَشِيرُ فَيَقُولُ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ.

٢٣٤١. تفسير العيّاشيّ[١٤]: مُحَمَّدٌ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[١٥]: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

---

٦. أي كثير الإعطاء لهم. (هامش المطبوع)

٧. انتحله: ادّعاه، راجع القاموس المحيط.

٨. قطّب وجهه: عبس وغضب، راجع لسان العرب.

٩. إلى هنا تمت الرواية في النوادر.

١٠. المحاسن، ج ١، ص ١٧٧، ح ١٦٢؛ وفي الغيبة (للنعماني)، ص ٣٠٠، صدر ح ٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٧، ح ٢.

١١. في الغيبة: «ابن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، ...».

١٢. في الغيبة: «بما هو فيه من الدين».

١٣. المحاسن، ج ١، ص ١٧٧، ح ١٥٩.

١٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢١٠، ح ١٦٩؛ وفي مختصر البصائر، ص ٨٧، ضمن ح ٥٥، بمضمونه؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٧٢٠، ح ٢٠١٠.

١٥. في المصدر والبرهان: «محمد بن يونس، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام»، وفي المختصر بهذا الإسناد: «محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخّل بن جميل، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام».

الْمَوْتِ وَمَبْشُورَةٌ[١]، كَذَا نُزِلَ بِهَا عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله،[٢] إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا يَسْتَبْشِرُونَ[٣]، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيُبَشَّرُونَ[٤] إِلَى قُرَّةِ عَيْنٍ، وَأَمَّا الْفُجَّارُ فَيُبَشَّرُونَ إِلَى خِزْيِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ.

٢٣٤٢. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنِ الْمَشْرِقِيِّ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ[٦] فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٧] يَعْنِي بِذٰلِكَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، إِنَّهُ لَا يَمُوتُ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ أَبَداً[٨] حَتَّى يَعْرِفَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَنَّهُ قَدْ كَانَ بِهِ كَافِراً.

٢٣٤٣. تفسير العيّاشيّ[٩]: عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ يَمُوتُ إِلَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَقّاً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

٢٣٤٤. تفسير العيّاشيّ[١٠]: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا عِنْدَ مَوْتِهِ، يَأْتِيهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ لِيَصُدَّهُ[١١] عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ فَيَأْبَى اللَّهُ لَهُ ذٰلِكَ، وَكَذٰلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[١٢].

٢٣٤٥. كتاب حسين بن سعيد[١٣]: صَفْوَانُ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْبَزَّازِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[١٤] جُلُوساً فَقَامَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَخَرَجَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ[١٥] فَسَلَّمَ فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ

---

١. في المصدر والمختصر والبرهان: «منشورة».

٢. **نقول:** هذه الرواية مثل ما شابهه من الروايات ناظرة إلى تفسير الآية، لا متن الآية فلا تدلّ على التحريف.

٣. في المصدر: «سينشرون»، وفي المختصر والبرهان: «ينشر».

٤. في المصدر والمختصر والبرهان: «فينشرون» وكذا في الموضع التالي.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٠٢؛ الأُصول الستة عشر، ص ٢٥٠، ح ٣٢٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٣، ح ٣٦٦.

٦. في الأُصول بهذا الإسناد: «جعفر، عن أبي سعيد أو حميد، عن جابر قال: سمعته يقول».

٧. النساء/١٥٩.

٨. في المصدر: «أحدا أبدا».

٩. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٠٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٨؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٣، ح ٣٦٧.

١٠. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٥، ح ١٦؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٤، ح ٣٦٠؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٨٦.

١١. في الفقيه: «عن شماله ليضلّه».

١٢. إبراهيم/٢٧.

١٣. الزهد، ص ٨٥، ح ٢٢٨؛ وفي بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ١٣، صدر رواية بمضمونه.

١٤. في البشارة بهذا الإسناد: «إبراهيم بن الحسن، عن محمد بن الحسين بن عتبة، عن محمد بن الحسين الفقيه، عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبشي، عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، عن يحيى بن زكريا بن شيبان، عن نصر بن مزاحم، عن محمد بن عمران، عن أبيه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٥. عضادتا الباب: الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله، راجع لسان العرب.

رِيحَكُمْ[١] وَأَرْوَاحَكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ مَلَائِكَتِهِ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ وَقَالَ: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعِينُوا عَلَى ذٰلِكَ بِوَرَعٍ.

٢٣٤٦. تفسير الإمام عليه السلام[٢]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٣] قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ فِي رَدِّهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَوَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَآلِهِمَا عليهما السلام[٤] ﴿وَمَاتُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ يُوجِبُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الْبُعْدَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالسُّحْقَ[٥] مِنَ الثَّوَابِ، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ وَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ يَلْعَنُونَهُمْ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ كُلٌّ يَلْعَنُهُمْ، لِأَنَّ كُلّاً مِنَ الْمَأْمُورِينَ الْمُنْتَهِينَ[٦] يَلْعَنُونَ الْكَافِرِينَ وَالْكَافِرُونَ أَيْضاً يَقُولُونَ: لَعَنَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ، فَهُمْ فِي لَعْنِ أَنْفُسِهِمْ أَيْضاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فِي اللَّعْنَةِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يَوْماً وَلَا سَاعَةً ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لَا يُؤَخَّرُونَ سَاعَةً إِلَّا يَحِلُّ بِهِمُ[٧] الْعَذَابُ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْكَاتِمِينَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْجَاحِدِينَ لِحِلْيَةِ عَلِيٍّ وَلِيِّ اللَّهِ عليه السلام إِذَا أَتَاهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ، لِيَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ أَتَاهُمْ بِأَفْظَعِ الْمَنَاظِرِ وَأَقْبَحِ الْوُجُوهِ؛ فَيُحِيطُ بِهِمْ عِنْدَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ مَرَدَةُ شَيَاطِينِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: أَبْشِرِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ الْكَافِرَةُ بِرَبِّهَا بِجَحْدِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهَا صلى الله عليه وآله وَإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَصِيِّهِ عليه السلام، بِلَعْنَةٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ.

ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَطَرْفَكَ وَانْظُرْ، فَيَرَى دُونَ الْعَرْشِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلَى سَرِيرٍ بَيْنَ يَدَيْ عَرْشِ الرَّحْمٰنِ، وَيَرَى عَلِيّاً عليه السلام عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَائِرَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام عَلَى مَرَاتِبِهِمُ الشَّرِيفَةِ بِحَضْرَتِهِ، ثُمَّ يَرَى الْجِنَانَ قَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، وَيَرَى الْقُصُورَ وَالدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلَ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا أَمَانِيُّ الْمُتَمَنِّينَ، فَيَقُولُ لَهُ: لَوْ كُنْتَ لِأَوْلِيَائِكَ[٨] مُوَالِياً، كَانَتْ

---

١. في الزهد: «لأُحبّكم وأُحبّ ريحكم».

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٧٢، ح ٣٣٤ و ٣٣٥؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٥٨٠، ح ١ و ٢؛ وفي المصدر والبرهان مقطعا.

٣. البقرة/١٦١ و ١٦٢.

٤. لم يرد في المصدر والبرهان: «وآلهما».

٥. السحق: البعد، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر والبرهان: «المنهيّين».

٧. في المصدر: «ولا يُخَلُّ».

٨. في المصدر والبرهان: «لأُولئك».

رُوحُكَ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى حَضْرَتِهِمْ، وَكَانَ يَكُونُ مَأْوَاكَ فِي تِلْكَ الْجِنَانِ، وَكَانَتْ تَكُونُ مَنَازِلُكَ[١] وَأَوْلِيَاؤُكَ وَمُجَاوِرُوكَ وَمُقَارِبُوكَ، فَانْظُرْ، فَيُرْفَعُ حُجُبُ الْهَاوِيَةِ[٢] فَيَرَاهَا بِمَا فِيهَا مِنْ بَلَايَاهَا وَدَوَاهِيهَا وَعَقَارِبِهَا وَحَيَّاتِهَا وَأَفَاعِيهَا وَصُرُوفِ عَذَابِهَا[٣] وَنَكَالِهَا، فَيُقَالُ لَهُ: فَتِلْكَ إِذاً مَنَازِلُكَ. ثُمَّ تَمَثَّلُ لَهُ شَيَاطِينُهُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُغْوُونَهُ، وَيَقْبَلُ مِنْهُمْ مُقَرَّنِينَ[٤] هُنَاكَ فِي الْأَصْفَادِ[٥] وَالْأَغْلَالِ، فَيَكُونُ مَوْتُهُ بِأَشَدِّ حَسْرَةٍ وَأَعْظَمِ أَسَفٍ.

٢٣٤٧. كتاب حسين بن سعيد[٦]: صَفْوَانُ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هٰذِهِ، فَيَأْتِيَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولَ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَطْمَعُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ فَاتَكَ، فَأَمَّا مَا كُنْتَ تَطْمَعُ فِيهِ مِنَ الْآخِرَةِ فَقَدْ أَشْرَفْتَ عَلَيْهِ، وَأَمَامَكَ سَلَفُ[٧] صِدْقٍ، رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَإِبْرَاهِيمُ عليهم السلام.

٢٣٤٨. كتاب حسين بن سعيد[٨]: صَفْوَانُ، عَنْ قُتَيْبَةَ الْأَعْشَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٩] يَقُولُ: عَادَيْتُمْ فِينَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ وَالْأَزْوَاجَ، وَثَوَابُكُمْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ أَحْوَجَ مَا تَكُونُونَ فِيهِ إِلَى حُبِّنَا[١٠] إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ.

٢٣٤٩. المناقب لابن شهرآشوب[١١]: زُرَيْقٌ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٢] قَالَ: هُوَ أَنْ يُبَشِّرَاهُ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، يَعْنِي مُحَمَّداً وَعَلِيّاً عليهما السلام.

٢٣٥٠. الْفُضَيْلُ بْنُ يَسَارٍ، عَنِ الْبَاقِرَيْنِ عليهما السلام[١٣] قَالَا: حَرَامٌ عَلَى رُوحٍ أَنْ تُفَارِقَ جَسَدَهَا حَتَّى تَرَى مُحَمَّداً

---

١. في المصدر والبرهان: «وكانت تكون منازلك فيها، وإذ كنت على مخالفتهم فقد حرمت حضرتهم ومنعت مجاورتهم، وتلك منازلك، وأُولئك مجاوروك ومقاربوك، فانظر».

٢. من أسماء جهنم، معرفة ممنوعة من الصرف، وتدخلها «ال» للمح الصفة فيقال: الهاوية. (هامش المطبوع)

٣. في المصدر والبرهان: «ضروب عذابها».

٤. قَرنه إليه: شده إليه، راجع لسان العرب.

٥. الصفاد: حبل يوثق به أو غُلٌّ، راجع لسان العرب.

٦. الزهد، ص ٨٥، ح ٢٢٩.

٧. السلف: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك والذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالف، راجع لسان العرب.

٨. الزهد، ص ٨٦، ح ٢٣٠؛ الكافي، ج ٨، ص ٣٣٣، ح ٥١٩ (حديث فضل الشيعة).

٩. في الكافي بهذا الإسناد: «أحمد، عن علي بن الحكم، عن قتيبة الأعشي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٠. لم يرد في الكافي: «فيه إلى حبّنا».

١١. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٣، ص ٢٢٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١٩، ح ٣٧٩؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤١، ح ٤٩٣٥.

١٢. يونس/ ٦٤.

١٣. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٣، ص ٢٢٣؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٦٢٨، ح ١٢٩٣؛ كشف الغمة، ج ١، ص ٤١٤؛ وفي الأخيرين ذيل رواية.

وَعَلِيّاً[١] وَحَسَناً وَحُسَيْناً عليهم السلام بِحَيْثُ تَقَرُّ عَيْنُهَا.

٢٣٥١. الأمالي للصدوق[٢]: حَمْدَوَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ مَعاً، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ فُضَيْلٍ الرَّسَّانِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْبَزَّازِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ: أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: يَا أَعْوَرُ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: جَاءَ بِي وَاللَّهِ حُبُّكَ[٣]، قَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ لِشُكْرِهَا، أَمَا إِنَّهُ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يُحِبُّنِي فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ[٤] حَتَّى يَرَانِي حَيْثُ يُحِبُّ، وَلَا يَمُوتُ عَبْدٌ يُبْغِضُنِي فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ حَتَّى يَرَانِي حَيْثُ يَكْرَهُ[٥]. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ الشَّعْبِيُّ بَعْدُ: أَمَا إِنَّ حُبَّهُ لَا يَنْفَعُكَ، وَبُغْضَهُ لَا يَضُرُّكَ[٦].

٢٣٥٢. رجال الكشّيّ[٧]: مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ،[٨] أَنَّهُ حَضَرَ أَحَدَ ابْنَيْ سَابُورَ وَكَانَ لَهُمَا وَرَعٌ[٩] وَإِخْبَاتٌ[١٠]، فَمَرِضَ أَحَدُهُمَا ـ وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا زَكَرِيَّا بْنَ سَابُورَ ـ قَالَ: فَحَضَرْتُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، قَالَ: فَبَسَطَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: ابْيَضَّتْ يَدِي يَا عَلِيُّ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ـ وَعِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ـ فَلَمَّا قُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ ظَنَنْتُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ أَخْبَرَهُ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَأَتْبَعَنِي بِرَسُولٍ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي خَبَرَ الرَّجُلِ الَّذِي حَضَرْتَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَيَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قُلْتُ بَسَطَ يَدَهُ فَقَالَ: ابْيَضَّتْ يَدِي يَا عَلِيُّ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَآهُ وَاللَّهِ، رَآهُ وَاللَّهِ، رَآهُ وَاللَّهِ.

٢٣٥٣. كشف الغمّة[١١]: حَدَّثَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى السَّيِّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيِّ عَائِداً فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَوَجَدْتُهُ يُسَاقُ بِهِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَهُ جَمَاعَةً مِنْ جِيرَانِهِ وَكَانُوا عُثْمَانِيَّةً، وَكَانَ السَّيِّدُ جَمِيلَ الْوَجْهِ، رَحْبَ[١٢] الْجَبْهَةِ،

---

١. في الأمالي والكشف مع زيادة: «وفاطمة».

٢. رجال الكشي، ص ٨٨، ح ١٤٢؛ أعلام الدين، ص ٤٤٨.

٣. في الأعلام مع زيادة: «قال عليه السلام: اللّه اللّه ما جاء بك إلا حبي، فقلت: نعم».

٤. لم يرد في الأعلام: «فتخرج نفسه» في الموضعين.

٥. إلى هنا تمت الرواية في الأعلام.

٦. **نقول:** المراد أن المحتضر لو كان مؤمنا يرى الإمام عليه السلام وفي وجهه آثار البشارة والرضا، والمبغض يراه على آثار الغضب، وأما قول الشعبي إنكار لما رواه الحارث له عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وكأنه كان ممن لا يعتقد هذا الأمر.

٧. رجال الكشي، ص ٣٣٥، ح ٦١٤؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٠، ح ٣.

٨. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن سعيد بن يسار».

٩. في الكافي: «كان لهما فضل وورع».

١٠. الإخبات: الخشوع والتواضع، راجع لسان العرب.

١١. كشف الغمّة، ج ١، ص ٤١٤؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٦٢٧، ح ١٢٩٣؛ وفي الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٠، ح ٣٨٣ و ٣٨٤، مقطعا.

١٢. الرحب: الشيء الواسع، راجع لسان العرب.

عَرِيضَ مَا بَيْنَ السَّالِفَيْنِ، فَبَدَتْ فِي وَجْهِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ مِثْلُ النُّقْطَةِ مِنَ الْمِدَادِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَزِيدُ وَتَنْمِي حَتَّى طَبَّقَتْ[١] وَجْهَهُ بِسَوَادِهَا، فَاغْتَمَّ لِذٰلِكَ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الشِّيعَةِ، وَظَهَرَ مِنَ النَّاصِبَةِ سُرُورٌ وَشَمَاتَةٌ، فَلَمْ يَلْبَثْ بِذٰلِكَ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى بَدَتْ فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ مِنْ وَجْهِهِ لُمْعَةٌ بَيْضَاءُ فَلَمْ تَزَلْ تَزِيدُ أَيْضاً وَتَنْمِي حَتَّى أَسْفَرَ[٢] وَجْهُهُ وَأَشْرَقَ، وَافْتَرَّ السَّيِّدُ[٣] ضَاحِكاً مُسْتَبْشِراً[٤] فَقَالَ «شعر»:

كَـــذَبَ الزَّاعِـــمُونَ أَنَّ عَـــلِيّاً ... لَنْ يُنَجِّيَ مُحِبَّهُ مِـنْ هَـنَاتٍ[٥]
قَدْ وَرَبِّـي دَخَـلْتُ جَـنَّةَ عَـدْنٍ ... وَعَفَا لِـيَ الْإِلَـهُ عَـنْ سَـيِّئَاتِي
فَـــأَبْشِرُوا الْـيَوْمَ أَوْلِـيَاءَ عَـلِيٍّ ... وَتَوَالَوُا الْوَصِيَّ[٦] حَتَّى الْمَمَاتِ
ثُـــمَّ مِـــنْ بَـــعْدِهِ تَـوَلَّوْا بَـنِيهِ ... وَاحِـداً بَـعْدَ وَاحِـدٍ بِـالصِّفَاتِ

ثُمَّ أَتْبَعَ قَوْلَهُ هٰذَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ حَقّاً حَقّاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً حَقّاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقّاً حَقّاً، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ؛ ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَهُ لِنَفْسِهِ فَكَأَنَّمَا كَانَتْ رُوحُهُ ذُبَالَةً طَفِئَتْ أَوْ حَصَاةً سَقَطَتْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: قَالَ لِي أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَوْنٍ: وَكَانَ أُذَيْنَةُ حَاضِراً فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مَا مَنْ شَهِدَ كَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ؛ أَخْبَرَنِي ـ وَإِلَّا صَمَّتَا ـ الْفُضَيْلُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَعَنْ جَعْفَرٍ عليهما السلام أَنَّهُمَا قَالَا: حَرَامٌ عَلَى رُوحٍ أَنْ تُفَارِقَ جَسَدَهَا حَتَّى تَرَى الْخَمْسَةَ: مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً عليهم السلام بِحَيْثُ تَقَرُّ عَيْنُهَا، أَوْ تَسْخَنُ[٧] عَيْنُهَا، فَـانْتَشَرَ هٰـذَا الْحَدِيثُ فِي النَّاسِ فَشَهِدَ جِنَازَتَهُ وَاللَّهِ الْمُوَافِقُ وَالْمُفَارِقُ.

٢٣٥٤. المناقب لابن شهرآشوب[٨]: لَمَّا احْتُضِرَ السَّيِّدُ الْحِمْيَرِيُّ بَدَتْ فِي وَجْهِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ بِالصِّفَاتِ» ثُمَّ قَالَ:

أُحِبُّ الَّذِي مَنْ مَـاتَ مِـنْ أَهْـلِ وُدِّهِ ... تَلَقَّاهُ بِالْبُشْرَى لَدَى الْمَوْتِ يَضْحَكُ
وَمَنْ كَانَ يَهْوَى[٩] غَيْرَهُ مِـنْ عَـدُوِّهِ ... فَـلَيْسَ لَـهُ إِلَّا إِلَـى النَّـارِ مَسْـلَكُ

«الْقَصِيدَةَ»

---

١. طبق الشيء: عمّ، راجع لسان العرب.
٢. أسفر: أشرق، راجع لسان العرب.
٣. افترّ الإنسان: ضحك، راجع لسان العرب.
٤. لم يرد في المصدر والأمالي: «مستبشرا».
٥. الهنات: الداهية، راجع القاموس المحيط.
٦. في المصدر والمدينة: «تولّوا عليّ».
٧. سخنت عينه: بكت، راجع شمس العلوم.
٨. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٣، ص ٢٢٤.
٩. هوي يهوي: أحب، راجع مجمع البحرين.

بيان:

قال الجوهريّ: «السالفة»: ناحية مقدّم العنق من لدن معلّق القُرْط إلى قَلْتِ الترقوة. و«الذبالة» بـالضمّ: الفتيلة.

٢٣٥٥. بشارة المصطفى[١]: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَهْرَيَارَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْسِيِّ[٢]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَـلِيٍّ الْقُرَشِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْأَحْمَسِيِّ[٣]، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ كَثِيرٍ الْهِلَالِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسَاوِرٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُسَاوِرٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو خَالِدٍ الْوَاسِطِيُّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُفَارِقُ رُوحٌ جَسَدَ صَاحِبِهَا حَتَّى تَأْكُلَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، وَحِينَ تَرَى مَلَكَ الْمَوْتِ تَرَانِي وَتَرَى عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً عليهم السلام، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّنَا قُلْتُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنْ كَانَ يُبْغِضُنَا قُلْتُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ: شَـدِّدْ عَـلَيْهِ إِنَّـهُ كَـانَ يُبْغِضُنِي وَيُبْغِضُ أَهْلَ بَيْتِي[٤].

٢٣٥٦. تفسير فرات بن إبراهيم[٥]: عُبَيْدُ بْنُ كَثِيرٍ مُعَنْعَناً، عَـنْ جَـعْفَرِ بْـنِ مُـحَمَّدٍ، عَـنْ أَبِـيهِ عليهما السلام قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ إِنَّ فِيكَ مَثَلاً مِنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ «عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[٦]، يَا عَلِيُّ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ يَفْتَرِي عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ «عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَقُولَ فِيهِ الْحَقَّ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ شَيْئاً، وَإِنَّكَ عَلَى مَثَلِهِ، لَا يَمُوتُ عَدُوُّكَ حَتَّى يَرَاكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتَكُونَ عَلَيْهِ غَيْظاً وَحُزْناً حَتَّى يُقِرَّ بِالْحَقِّ مِنْ أَمْرِكَ وَيَقُولَ فِـيكَ الْحَقَّ، وَيُقِرَّ بِوَلَايَتِكَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ شَيْئاً، وَأَمَّا وَلِيُّكَ فَإِنَّهُ يَرَاكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتَكُونُ لَهُ شَفِيعاً وَمُبَشِّراً وَقُرَّةَ عَيْنٍ.

٢٣٥٧. دعوات الراونديّ[٧]: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام قَالَ: مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الرِّضَا عليه السلام فَعَادَهُ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: لَقِيتُ الْمَوْتَ بَعْدَكَ ـ يُرِيدُ مَا لَقِيَهُ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ ـ فَقَالَ: كَيْفَ لَقِيتَهُ؟ قَالَ: شَدِيداً أَلِيماً، قَالَ: مَا لَقِيتَهُ إِنَّمَا

---

١. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ٦؛ الدرّ النظيم، ص ٧٦٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٢، ح ٣٨٦.

٢. الموجود في بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله المطبوع: «النرسي». (هامش المطبوع)، وفي المصدر الموجود عندنا: «محمد بن محمد البُرسي».

٣. في بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله: «الأحمسي من أصل خط أبي سعيد بيده قال: أخبرنا أبو سعيد بن كثير الهلالي التمّار».

٤. في الدر النظيم مع زيادة: «لا يحبّنا إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي».

٥. تفسير فرات الكوفي، ص ١١٦، ح ١١٩؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٨، ح ٥.

٦. النساء/١٥٩.

٧. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٤٨، ح ٦٩٨؛ معاني الأخبار، ص ٢٨٩، ح ٧؛ وفي نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٥، ح ٨ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

لَقِيتَ مَا يَبْدَؤُكَ[١] بِهِ وَيُعَرِّفُكَ بَعْضَ حَالِهِ؛ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُسْتَرِيحٌ بِالْمَوْتِ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ[٢]، فَجَدِّدِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِالْوَلَايَةِ تَكُنْ مُسْتَرِيحاً. فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذٰلِكَ[٣].

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هٰذِهِ مَلَائِكَةُ رَبِّي بِالتَّحِيَّاتِ وَالتُّحَفِ[٤] يُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ وَهُمْ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْكَ فَأْذَنْ لَهُمْ فِي الْجُلُوسِ، فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: اجْلِسُوا مَلَائِكَةَ رَبِّي، ثُمَّ قَالَ لِلْمَرِيضِ: سَلْهُمْ أُمِرُوا بِالْقِيَامِ بِحَضْرَتِي؟ فَقَالَ الْمَرِيضُ: سَأَلْتُهُمْ فَذَكَرُوا[٥] أَنَّهُ لَوْ حَضَرَكَ كُلُّ مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ لَقَامُوا لَكَ وَلَمْ يَجْلِسُوا حَتَّى تَأْذَنَ لَهُمْ، هٰكَذَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ غَمَّضَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هٰذَا شَخْصُكَ مَاثِلٌ لِي مَعَ أَشْخَاصِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، وَقَضَى الرَّجُلُ.

٢٣٥٨. وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ[٦]: قَالَ: أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: حُبُّكَ وَاللَّهِ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً لَتَرَانِي فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ: حَيْثُ تَبْلُغُ نَفْسُكَ هٰذِهِ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَنْجَرَتِهِ ـ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، وَعِنْدَ الْحَوْضِ.

٢٣٥٩. الكافي[٧]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُنْدَارَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ إِلَّا وَكَّلَ بِهِ إِبْلِيسُ مِنْ شَيَاطِينِهِ مَنْ يَأْمُرُهُ[٨] بِالْكُفْرِ وَيُشَكِّكُهُ فِي دِينِهِ حَتَّى تَخْرُجَ نَفْسُهُ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ[٩]؛ فَإِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَلَقِّنُوهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ «صَلّى اللَّه عَلَيْه وَ آلِه» حَتَّى يَمُوتَ.

٢٣٦٠. الكافي[١٠]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ،

---

١. في المعاني والنوادر: «ما ينذرك».

٢. مستريح ومستراح منه: يعني ابن آدم إما مستريح وهو المؤمن يستريح من تعب الدنيا إلى رحمة اللّه، أو مستراح منه وهو الفاجر يستريح منه البلاد والأشجار والدواب، راجع مجمع البحرين.

٣. إلى هنا تمت الرواية في المعاني والنوادر.

٤. التحف: اللُّطَف والبِر، وهو جمع تحفة، راجع شمس العلوم.

٥. في المصدر: «فزعموا».

٦. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٤٩، ح ٦٩٩؛ بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله، ص ١٥٤؛ كشف الغمة، ج ١، ص ١٤٠؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٧. الكافي، ج ٣، باب تلقين الميت، ص ١٢٣، ح ٦؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٣، ح ٣٥٠؛ وفي طب الأئمة عليهم السلام، ص ٨٠، بمضمونه.

٨. في المصدر: «من شيطانه أن يأمره».

٩. لم يرد في الفقيه: «فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه».

١٠. الكافي، ج ٣، باب تلقين الميت، ص ١٢٤، ح ١٠؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٦١، ح ٢٦٤٩.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: حَضَرَ رَجُلاً الْمَوْتُ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَاناً قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَاهُ وَهُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ كُفَّ عَنِ الرَّجُلِ حَتَّى أَسْأَلَهُ، فَأَفَاقَ الرَّجُلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ بَيَاضاً كَثِيراً. وَسَوَاداً كَثِيراً. فَقَالَ: فَأَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: السَّوَادُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الْكَثِيرَ مِنْ مَعَاصِيكَ، وَاقْبَلْ مِنِّي الْيَسِيرَ مِنْ طَاعَتِكَ؛ فَقَالَهُ ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ خَفِّفْ عَنْهُ سَاعَةً[1] حَتَّى أَسْأَلَهُ. فَأَفَاقَ الرَّجُلُ: فَقَالَ: مَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ بَيَاضاً كَثِيراً وَسَوَاداً كَثِيراً، قَالَ: فَأَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: الْبَيَاضُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: غَفَرَ اللَّهُ لِصَاحِبِكُمْ.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا حَضَرْتُمْ مَيِّتاً فَقُولُوا لَهُ هٰذَا الْكَلَامَ لِيَقُولَهُ.

٢٣٦١. الكافي[2]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[3]: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ـ هَلْ يُكْرَهُ الْمُؤْمِنُ عَلَى قَبْضِ رُوحِهِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ إِذَا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِهِ جَزِعَ عِنْدَ ذٰلِكَ فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ لَا تَجْزَعْ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لَأَنَا أَبَرُّ بِكَ وَأَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ وَالِدٍ رَحِيمٍ لَوْ حَضَرَكَ، افْتَحْ عَيْنَيْكَ فَانْظُرْ.

قَالَ: وَيُمَثَّلُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ عليهم السلام فَيُقَالُ لَهُ: هٰذَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام رُفَقَاؤُكَ، قَالَ: فَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فَيَنْظُرُ فَيُنَادِي رُوحَهُ مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَيَقُولُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بِالْوَلَايَةِ، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ بِالثَّوَابِ، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ـ يَعْنِي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليهم السلام ـ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[4]، فَمَا مِنْ شَيْءٍ[5] أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنِ اسْتِلَالِ رُوحِهِ[6] وَاللُّحُوقِ بِالْمُنَادِي.

٢٣٦٢. الكافي[7]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ يَمِينِهِ،

---

١. لم يرد في المصدر والوسائل: «ساعة».

٢. الكافي، ج ٣، باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه، ص ١٢٧، ح ٢؛ فضائل الشيعة، ص ٣٠، ح ٢٤؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٧٠؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٣. في الفضائل والتأويل بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن عبّاد بن سليمان، عن سدير الصيرفي، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٤. الفجر/٢٧ـ٣٠.

٥. في المصدر: «فما شيء».

٦. السلّ: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، راجع لسان العرب.

٧. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص١٢٩، ح٢؛ وفي دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٢٠، مع نقصان؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٣٥٠.

وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ[١]، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَهُوَ ذَا أَمَامَكَ، وَأَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ.

ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ[٢] فَيَقُولُ: هٰذَا مَنْزِلُكَ فِي الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ رَدَدْنَاكَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَكَ فِيهَا ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ؛ فَيَقُولُ: لَا حَاجَةَ فِي الدُّنْيَا، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَبْيَضُّ لَوْنُهُ، وَيَرْشَحُ جَبِينُهُ[٣]، وَتَتَقَلَّصُ[٤] شَفَتَاهُ، وَتَنْتَشِرُ مَنْخِرَاهُ، وَتَدْمَعُ عَيْنُهُ الْيُسْرَى، فَأَيَّ هٰذِهِ الْعَلَامَاتِ رَأَيْتَ فَاكْتَفِ بِهَا، فَإِذَا خَرَجَتِ النَّفْسُ مِنَ الْجَسَدِ فَيُعْرَضُ عَلَيْهَا كَمَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ[٥] وَهِيَ فِي الْجَسَدِ فَيَخْتَارُ الْآخِرَةَ فَيُغَسِّلُهُ فِيمَنْ يُغَسِّلُهُ، وَيُقَلِّبُهُ فِيمَنْ يُقَلِّبُهُ، فَإِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ وَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ خَرَجَتْ رُوحُهُ تَمْشِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ قُدُماً، وَتَلَقَّاهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُبَشِّرُونَهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ النَّعِيمِ، فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ رُدَّ إِلَيْهِ الرُّوحُ إِلَى وَرِكَيْهِ[٦] ثُمَّ يُسْأَلُ عَمَّا يَعْلَمُ، فَإِذَا جَاءَ بِمَا يَعْلَمُ فُتِحَ لَهُ ذٰلِكَ الْبَابُ الَّذِي أَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ نُورِهَا وَبَرْدِهَا وَطِيبِ رِيحِهَا، قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَأَيْنَ ضَغْطَةُ الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ مَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا شَيْءٌ، وَاللَّهِ إِنَّ هٰذِهِ الْأَرْضَ لَتَفْتَخِرُ عَلَى هٰذِهِ فَتَقُولُ: وَطِئَ عَلَى ظَهْرِي مُؤْمِنٌ وَلَمْ يَطَأْ عَلَى ظَهْرِكِ مُؤْمِنٌ، وَتَقُولُ لَهُ الْأَرْضُ: لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّكَ وَأَنْتَ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِي، فَأَمَّا إِذَا وُلِّيتُكَ فَسَتَعْلَمُ مَا أَصْنَعُ بِكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ[٧] مَدَّ بَصَرِهِ.

بيان:

يشكل الجمع بين هذا الخبر وخبر فاطمة بنت أسد وسعد بن معاذ، إلّا أن يقال: كان ذلك العموم في صدر الإسلام ثمّ نسخه اللّه ورفعه عن كمّل المؤمنين، أو يخصّ المؤمن في هذا الخبر بالمعصومين[٨]؛ ويمكن أن يقال في خبر فاطمة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما فعل ذلك لما وعدها لمزيد اطمئنانها واللّه يعلم.

٢٣٦٣. الكافي[٩]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ

---

١. في الدعائم: «ويأتي علي عليه السلام فيجلس عن يساره».

٢. في المصدر: «من الجنة».

٣. رشح جبينه: عرق، راجع تاج العروس.

٤. تقلص: انضم وانزوى، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر: «كما عرض عليه».

٦. الورك: ما فوق الفَخذ، راجع لسان العرب.

٧. في المصدر: «فتفسح له».

٨. يبعّده مورد الخبر؛ ويمكن أن يخصّص المؤمنين بمن لم يأتوا ما يوجب الضغطة. (هامش المطبوع)

٩. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣١، ح ٤؛ الزهد، ص ٨١، ح ٢١٩؛ وفي شرح الأخبار، ج ٣، ص ٤٩٢، ح ١٤٢٢، مع نقصان واختلاف يسير.

سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] يَقُولُ: مِنْكُمْ وَاللَّهِ يُقْبَلُ، وَلَكُمْ وَاللَّهِ يُغْفَرُ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى السُّرُورَ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذٰلِكَ وَاحْتُضِرَ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢] وَعَلِيٌّ وَجَبْرَئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ عليهم السلام فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هٰذَا كَانَ يُحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَحِبَّهُ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّ هٰذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ، وَيَقُولُ جَبْرَئِيلُ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: إِنَّ هٰذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ وَارْفُقْ بِهِ. فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخَذْتَ فَكَاكَ رَقَبَتِكَ؟ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ؟ تَمَسَّكْتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُوَفِّقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: وَمَا ذَاكَ؟ فَيَقُولُ: وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُهُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَرْجُوهُ فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ، أَبْشِرْ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مُرَافَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهم السلام[٣].

ثُمَّ يَسُلُّ نَفْسَهُ سَلّاً رَفِيقاً، ثُمَّ يُنْزَلُ بِكَفَنِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِمِسْكٍ أَذْفَرَ[٤]، فَيُكَفَّنُ بِذٰلِكَ الْكَفَنِ وَيُحَنَّطُ بِذٰلِكَ الْحَنُوطِ، ثُمَّ يُكْسَى حُلَّةً صَفْرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرَيْحَانِهَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ عَنْ أَمَامِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ عَلَى فِرَاشِهَا، أَبْشِرْ بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، ثُمَّ يَزُورُ آلَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فِي جِنَانِ رَضْوَى، فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَيَشْرَبُ مَعَهُمْ مِنْ شَرَابِهِمْ، وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ فَأَقْبَلُوا مَعَهُ يُلَبُّونَ زُمَراً زُمَراً، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ، وَيَضْمَحِلُّ الْمُحِلُّونَ ـ وَقَلِيلٌ مَا يَكُونُونَ ـ هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ، وَنَجَا الْمُقَرَّبُونَ، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ عليه السلام: أَنْتَ أَخِي، وَمِيعَادُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَادِي السَّلَامِ.

قَالَ عليه السلام: وَإِذَا احْتُضِرَ الْكَافِرُ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَجَبْرَئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ عليهم السلام[٥] فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هٰذَا كَانَ يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَبْغِضْهُ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّ هٰذَا كَانَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَبْغِضْهُ[٦]، وَيَقُولُ جَبْرَئِيلُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ إِنَّ هٰذَا كَانَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ

---

١. في الزهد بهذا الإسناد: «محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي شرح الأخبار: «عبد الحميد بن سعيد، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٢. في الزهد مع زيادة: «والأئمة».

٣. في الزهد مع زيادة: «والأئمة من ولده».

٤. مسك أذفر: طيّب الريح، راجع النهاية.

٥. في الزهد: «حضره رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلي والأئمة وجبرئيل وميكائيل وملك الموت عليهم السلام».

٦. في نسخة: فأبغضه وأعنف عليه. (هامش المطبوع)

رَسُولِهِ فَأَبْغِضْهُ وَأَعْنِفْ عَلَيْهِ. فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخَذْتَ فَكَاكَ رِهَانِكَ[١]؟ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ مِنَ النَّارِ؟ تَمَسَّكْتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَذَابِهِ وَالنَّارِ، أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُهُ فَقَدْ نَزَلَ بِكَ. ثُمَّ يَسُلُّ نَفْسَهُ سَلّاً عَنِيفاً. ثُمَّ يُوَكِّلُ بِرُوحِهِ ثَلَاثَمِائَةِ شَيْطَانٍ كُلُّهُمْ يَبْزُقُ[٢] فِي وَجْهِهِ وَيَتَأَذَّى بِرُوحِهِ. فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ قَيْحِهَا[٣] وَلَهَبِهَا[٤].

بيان:

«المحلّون»: الذين لا يرون حرمة الأئمّة عليهم السلام ولا يتابعونهم، قال الفيروزآباديّ: رجل محلّ: منتهك للحرام، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة. ويقال: رجل محضير أي كثير العدوّ، و«المحاضير» جمعه أي الذين يستعجلون في طلب الفرج بقيام القائم عليه السلام، و«المقرّبون» ـ بفتح الراء ـ أي أهل التسليم والانقياد، فإنّهم المقرّبون عند اللّه؛ أو ـ بكسر الراء ـ أي الذين يقولون: الفرج قريب، ولا يستبطؤونه.

٢٣٦٤. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مِيثَمٍ، عَنْ عَبَايَةَ الْأَسَدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيّاً عليه السلام يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يُبْغِضُنِي عَبْدٌ أَبَداً يَمُوتُ عَلَى بُغْضِي إِلَّا رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يَكْرَهُ، وَلَا يُحِبُّنِي عَبْدٌ أَبَداً فَيَمُوتُ عَلَى حُبِّي إِلَّا رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَعَمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْيَمِينِ.

٢٣٦٥. الكافي[٦]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبْدِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: كَانَ خَطَّابُ الْجُهَنِيُّ خَلِيطاً لَنَا، وَكَانَ شَدِيدَ النَّصْبِ لِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَكَانَ يَصْحَبُ نَجْدَةَ الْحَرُورِيَّ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَعُودُهُ لِلْخُلْطَةِ[٧] وَالتَّقِيَّةِ، فَإِذَا هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ فِي حَدِّ الْمَوْتِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا لِي وَلَكَ يَا عَلِيُّ؟ فَأَخْبَرْتُ بِذٰلِكَ أَبَاعَبْدِاللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَآهُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، رَآهُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، رَآهُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[٨].

---

١. في نسخة: رقبتك. (هامش المطبوع)

٢. البزاق بالضم: ماء الفمّ إذا خرج منه، ومادام فيه فهو ريق، راجع مجمع البحرين.

٣. القيح: المِدّة الخالصة لا يُخالطها دم، راجع لسان العرب.

٤. في الزهد: «فيدخل عليه من نفح ريحها قيحها ولهبها».

٥. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٢، ح ٥؛ الزهد، ص ٨٣، ح ٢٢٢؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٣٥٣.

٦. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٣، ح ٩؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٠٧، ح ٣٥٦؛ مدينة المعاجز، ج٣، ص ١١٢، ح ٧٧٣.

٧. الخلطة: الشركة، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر والفصول عبارة: «رآه وربّ الكعبة» مرتين.

٢٣٦٦. الكافي[١]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ[٢]، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَوَّاضٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ أَحَدِكُمْ هٰذِهِ قِيلَ لَهُ: أَمَّا مَا كُنْتَ تَحْذَرُ مِنْ هَمِّ الدُّنْيَا وَحُزْنِهَا فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ، وَيُقَالُ لَهُ: رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام أَمَامَكَ.

٢٣٦٧. كتاب حسين بن سعيد[٣]: النَّضْرُ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ الْآيَاتِ[٤]، قَالَ: إِنَّ نَفْسَ الْمُحْتَضَرِ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَكَانَ مُؤْمِناً رَأَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: رُدُّونِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُخْبِرَ أَهْلَهَا[٥] بِمَا أَرَى، فَيُقَالُ لَهُ: لَيْسَ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلٌ.

٢٣٦٨. كتاب حسين بن سعيد[٦]: حَمَّادُ بْنُ عِيسَى، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيّاً عليه السلام بِحَضْرَتِهِ[٨].

أقول:

قد مرّ كثير من أخبار هذا الباب في الأبواب السابقة، وسيأتي كثير منها في باب البرزخ وغيرها.

وَقَالَ الْبُرْسِيُّ فِي مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ[٩]: رَوَى الْمُفِيدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ عليه السلام: يَا عَلِيُّ إِنَّ مُحِبِّيكَ يَفْرَحُونَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ خُرُوجِ أَنْفُسِهِمْ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَشْهَدُهُمْ، وَعِنْدَ الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تُلَقِّنُهُمْ، وَعِنْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَعْرِفُهُمْ.

تذييل:

اعلم أنّ حضور النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة «صلوات اللّه عليهم» عند الموت ممّا قد ورد به الأخبار المستفيضة،

---

١. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٤، ح ١٠؛ المحاسن، ج ١، ص ١٧٥، ح ١٥٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٠٨، ح ٣٥٧.

٢. في المحاسن: «البرقي، عن ابن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، ...».

٣. الزهد، ص ٨٤، ح ٢٢٣؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٥، ح ١٥؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٦، ح ٣٦٧؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٤. الواقعة/٨٣-٩١.

٥. في الكافي والفقيه: «أهلي».

٦. الزهد، ص ٨٤، ح ٢٢٥؛ تفسير فرات الكوفي، ص ١٠٤، ح ٩٦؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣١١، ح ٣٦١.

٧. في تفسير الفرات بهذا الإسناد: «جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٨. في تفسير الفرات: «يحضرانه».

٩. مشارق أنوار اليقين، ص ٧٠.

وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام، وما يقال: من أنّ هذا خلاف الحسّ والعقل، أمّا الأوّل فلأنّا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأمّا الثاني فلأنّه يمكن أن يتّفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة. فيمكن الجواب عن الأوّل بوجوه:

الأوّل: أنّ اللّه تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿**جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً**﴾[٢] أنّ اللّه تعالى أخفى شخص النبيّ صلى الله عليه وآله عن أعدائه مع أنّ أوليائه كانوا يرونه، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكريّ عليه السلام التصريح بهذا الوجه[٣].

الثاني: أنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثاليّ لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه، وسيأتي الأخبار[٤] في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة، وأمّا الحيّ من الأئمّة عليهم السلام فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثاليّ أيضاً.

الثالث: أنّه يمكن أن يخلق اللّه تعالى لكلّ منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشّرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنّه يمكن أن يرتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في المبرسم[٥].

الخامس: ما ذكره السيّد المرتضى «رضي اللّه عنه» وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم، لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنّه من أهل الجنّة، وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النار[٦]، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيليّة. ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار، وطعن في الآثار.

---

١. التبيان، ج ٦، ص ٤٨٣؛ أحكام القرآن (للجصاص)، ج ٥، ص ٢٩.

٢. الإسراء/ ٤٥.

٣. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب الهداية والإضلال والتوفيق والخذلان.

٤. يأتي في الباب الآتي.

٥. البرسام بالكسر: علّة يُهدى فيها، وهو ورم حار يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء، ثم يتصل إلى الدماغ، راجع تاج العروس.

٦. رسائل الشريف المرتضى، ج ٣، ص ١٣٣.

وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنّما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثاليّة يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة لما جعل اللّه لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر. وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحّتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر، والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرّض لخصوصيّاتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام كما مرّ في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم[1]، **وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.**



١. بحار الأنوار، كتاب العقل والعلم والجهل، أبواب العلم، باب أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب، وأن كلامهم ذو وجوه كثيرة.

﴿باب ٨﴾

«أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلّق بذلك»

الآيات:

البقرة/١٥٤: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[١]

آل عمران/١٦٩ـ١٧١: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إبراهيم/٢٧: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ...﴾[٢]

---

١. **نقول:** بحث في خلود الشهداء:

للمفسرين آراء مختلفة في معنى حياة الشهداء وخلودهم. ظاهر الآية يشير دون شك إلى أنهم يتمتعون بنوع من الحياة البرزخية الروحية، لأن أجسامهم قد تلاشت، فهم يعيشون تلك الحياة بجسم مثالي، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام. من المفسرين من قال: إنها حياة غيبية خاصة بالشهداء لا تتوفر لدينا تفاصيلها وخصائصها؛ وقيل: إن الحياة المذكورة في الآية تعني الهداية، والموت يعني الضلال، فتكون الآية قد نهت عن وصف الشهداء بالضلالة، بل هم مهتدون؛ وقيل: إن الشهداء أحياء لأن هدفهم حي ورسالتهم حية. ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار التفسير الأول للحياة يتضح أن المعاني في الأُخرى غير مقبولة، فلا حاجة لأن نتكلف التفسيرين التاليين، ولا أن الحياة البرزخية مختصة بالشهداء، فهم يحيون حياة برزخية روحانية، ويتنعمون كذلك بالقرب من رحمة اللَّه وبأنواع نعمه. (الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ج ١، ص ٤٣٧)

٢. **نقول:** هل القصد من الآخرة في الآية هو القبر؟

نقرأ في روايات متعددة أن اللَّه يثبت الإنسان على خط الإيمان عند ما يواجه أسئلة الملائكة في القبر، وهذا معنى الآية ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. ولقد وردت كلمة القبر بصراحة في بعض هذه الروايات، ولكن هنا رواية شريفة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضلّه عما هو عليه، فيأبى اللَّه عز وجل له ذلك، وهو

←

طه/١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[١]

المؤمنون/٩٩ و ١٠٠: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢]

← قول اللّه عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، وأكثر المفسرين يميلون إلى هذا التفسير، طبقا لما نقله المفسر الكبير العلامة الطبرسي في مجمع البيان، ولعل ذلك يعود إلى أن الآخرة ليست محلا للأعمال ولا للانحراف، بل هي محل الحصول على النتائج فحسب، ولكن عند وقوع الموت وحتى في البرزخ ـ الذي هو عالم بين الدنيا والآخرة ـ قد تحصل بعض الهفوات، فهنا يكون اللطف الإلهي عاملا في حفظ وثبات الإنسان. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ٧، ص ٥٠٤).

١. **نقول:** هنا بحث في عمى البصر وعمى البصيرة:

لقد حدّدت عقوبتان لأُولئك الذين يعرضون عن ذكر اللّه: إحداهما: المعيشة الضنك في هذه الدنيا ، والأُخرى: العمى في الآخرة. وقلنا إن عالم الآخرة هو تجسم أوسع لعالم الدنيا، وكل حقائق هذا العالم تتجسد هناك بما يناسبها هنا، فأُولئك الذين عميت بصيرتهم عن مشاهدة الحقائق في هذه الدنيا، ستعمى هناك عيون أجسامهم، ولذلك فإنهم حين يتساءلون بأنا كنا قبل هذا صحيحي البصر، فلما ذا حشرنا عميا؟ يقال لهم: لأنكم قد نسيتم آيات اللّه، وهذه الحالة انعكاس لتلك الحالة. وهنا ينقدح سؤال، وهو: إن ظاهر بعض الآيات القرآنية هو أن كل الناس يبصرون في يوم القيامة، ويقال لهم: اقرؤوا صحيفة أعمالكم ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ (الإسراء/١٤)، أو أن المجرمين يرون نار جهنم بأعينهم ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ (الكهف/ ٥٣)، فكيف تناسب هذه التعبيرات كون جماعة عميا؟

قال بعض المفسرين: إن حال ذلك العالم تختلف عن حال هذا العالم، فربما كان بعض الأفراد مبصرين في مشاهدة بعض الأُمور، وعميانا عن مشاهدة البعض الآخر، وعلى ما ينقل العلامة الطبرسي عن بعض المفسرين: إنه أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها، لأن نظام ذلك العالم يختلف عن نظام هذا العالم؛ ويحتمل أيضا أن يكون هؤلاء في بعض المنازل والمواقف عميا، وفي بعضها مبصرين. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٠، ص ١٠١)

٢. **نقول:** ما هو عالم البرزخ؟ وأين هو؟ وما هو الدليل لإثبات وجود هذا العالم بين الدنيا والآخرة؟ وهل يكون البرزخ للجميع، أم لمجموعة معينة؟ وأخيرا ماذا سيكون وضع المؤمنين والصالحين والكفار والمسيئين فيه؟

تعني كلمة البرزخ في الأصل الشيء الذي يقع حائلا بين شيئين، ثم استعملت لكل ما يقع بين أمرين. ولهذا أتت كلمة البرزخ للدلالة على عالم يقع بين عالم الدنيا والآخرة. والدليل على وجود عالم البرزخ، أو عالم القبر، أو عالم الأرواح، نجده في الأدلة النقلية، فقد دل عليه صريح آيات القرآن أحيانا وظاهرها أحيانا أُخرى. والآية موضع البحث ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ظاهرة في وجود عالم البرزخ، رغم أن البعث رغب في القول بأن كلمة «البرزخ» في هذه الآية تعني العائق والمانع من العودة إلى الدنيا، غير أن هذا المعنى يبدو غريبا، لأن عبارة ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ دليل على وقوع عالم البرزخ بين الدنيا والآخرة، وليس بين الإنسان والدنيا.

ومن الآيات التي تصرّح بوجود مثل هذا العالم، الآيات الخاصة بحياة الشهداء، مثل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ الآية (١٦٩) من سورة آل عمران، والخطاب فيها موجّه إلى النّبي ﷺ. أما الآية (١٥٤) من سورة البقرة فإنها خطاب لجميع المؤمنين: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

وعالم «البرزخ» ليس للمؤمنين ذوي الدرجة الرفيعة كالشهداء فقط، بل للكفّار الطغاة كفرعون وأعوانه أيضا، وهذا ما صرّحت به الآية (٤٦) من سورة المؤمن: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وعَشِيّاً ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. وذكرت آيات أُخرى عالم البرزخ ←

غافر/١١: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[1]

← ولكن لا تصل إلى صراحة وظهور الآيات السابقة.

ما يجب الانتباه إليه في موضع البرزخ هو أن الآيات ـ باستثناء الآية التي نحن بصددها والتي ذكرته بشكل عام ـ استعرضت البرزخ بشكل خاصّ، كما في ذكره عن الشهداء أو آل فرعون إلا أن الواضح أنه لا خصوصية لآل فرعون لأن في العالم الكثير من أمثالهم، ولا للشهداء، لأن القرآن الكريم اعتبر النبيين والصديقين والصالحين مع الشهداء، كما جاء في الآية (٦٩) من سورة النساء: ﴿فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

أما الروايات في هذا المجال عديدة، وقد رتّبت في أبواب مختلفة نشير إلى قسم منها:

أحاديث تتحدّث عن سؤال القبر وعذابه؛ وأحاديث تتناول اتصال الأرواح مع أسرها ومشاهدة وضعهم؛ أحاديث تتحدّث عن ليلة المعراج واتصال النبي ﷺ مع أرواح الأنبياء والمرسلين؛ أحاديث تنصّ على ابتلاء الإنسان بنتائج أعماله سواء كانت طيبة أم سيئة بعد موته ... وأمثالها. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٠، ص ٥٠٦)

١. **نقول:** ذكر المفسرون عدة تفاسير حول المقصود من قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ ومن بين هذه التفاسير هناك ثلاثة آراء نقف عليها فيما يلي:

أولا: أن يكون المقصود من ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هو الموت في نهاية العمر، والموت في نهاية البرزخ. أما المقصود من ﴿أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ فهي الإحياء في نهاية البرزخ والإحياء في القيامة. ولتوضيح لذلك، نرى أن للإنسان حياة أُخرى بعد الموت تسمى الحياة البرزخية، وهذه الحياة هي نفس حياة الشهداء التي يحكي عنها قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩)، وهي نفس حياة النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث يسمعون سلامنا ويردون عليه. وهي أيضا نفس حياة الطغاة والأشقياء كالفراعنة الذين يعاقبون صباحا ومساءاً بمقتضى قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وعَشِيّاً﴾ (غافر/٤٦). ومن جانب آخر نعرف أن الجميع، من الملائكة والبشر والأرواح، ستموت في نهاية هذا العالم مع أول نفخة من الصور: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ومَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الزمر/ ٦٨) ولا يبقى أحد سوى الذات الإلهية. وعلى هذا الأساس فإن هناك حياة جسمانية وحياة برزخية، ففي نهاية العمر يحل الموت بحياتنا الجسمانية، لكن في نهاية العالم يحل بحياتنا البرزخية. يترتب على ذلك أن تكون هناك حياتان بعد هذين الموتتين: حياة برزخية، وحياة في يوم القيامة.

وهنا قد يطرح البعض هذا السؤال: إننا في الواقع نملك حياة ثالثة هي حياتنا في هذه الدنيا، وهي غير هاتين الحياتين، وقبلها أيضا كنّا في موت قبل أن نأتي إلى هذه الدنيا، وبهذا سيكون لدينا ثلاث موتات وثلاثة إحياءات. ولكن الجواب يتوضح عند التدقيق في نفس الآية، فالموت قبل الحياة الدنيا ـ أي في الحالة التي كنّا فيها ترابا ـ يعتبر «موتا» لا «إماتة»، وأما الحياة في هذه الدنيا فالبرغم من أنّها مصداق للإحياء، إلا أن القرآن لم يشر إلى هذا الجانب في الآية أعلاه، لإن هذا الإحياء لا يشكّل عبرة كافية بالنسبة للكافرين، إذ الشيء الذي جعلهم يعون ويعترفون بذنوبهم هو الحياة البرزخية أولا، والحياة عند البعث ثانيا.

ثانيا: إن المقصود بالحياتين، هو الإحياء في القبر لأجل بعض الأسئلة، والإحياء في يوم القيامة، وإن المقصود بالموتتين، هما الموتة في نهاية العمر، والموتة في القبر. لذلك اعتبر بعض المفسرين هذه الآية دليلا على الحياة المؤقتة في القبر. أما عن كيفية حياة القبر، وفيما إذا كانت جسمانية أو برزخية، أو نصف جسمانية، فهذه كلها بحوث ليس هنا مجال الخوض فيها.

ثالثا: إن المقصود بالموتة الأُولى هو الموت قبل وجود الإنسان في هذه الدنيا، إذ أنه كان ترابا في السابق، لذا فإن الحياة الأُولى هي الحياة في هذه الدنيا، والموت الثاني هو الموت في نهاية هذا العالم، فيما الحياة الثانية هي الحياة عند البعث. والذين يعتقدون بهذا التفسير يستدلون

←

تفسير:

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: قوله تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ فيه أقوال: أحدها ـ وهو الصحيح ـ: أنّهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، وإليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، واختاره الجبّائيّ والرمّانيّ وجميع المفسّرين.

الثاني: أنّ المشركين كانوا يقولون: أصحاب محمّد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب، ثمّ يموتون فيذهبون، فأعلمهم اللّه أنّه ليس الأمر على ما قالوه وأنّهم سيحيون يوم القيامة ويثابون، عن البلخيّ، ولم يذكر ذلك غيره.

والثالث: معناه: لا تقولوا: هم أموات في الدين بل هم أحياء بالطاعة والهدى، ومثله قوله سبحانه: ﴿**أَ وَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾[1] فجعل الضلال موتاً والهداية حياة، عن الأصمّ.

و الرابع: أنّ المراد أنّهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[2] مِنْ قَوْلِهِ: «**هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَالْعُلَمَاءُ بَاقَونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُم مَفْقُودَةٌ، وَآثَارُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ**». والمعتمد هو القول الأوّل لأنّ عليه إجماع المفسّرين، ولأنّ الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أنّ الشهداء على الحقّ والهدى وأنّهم ينشرون ويحيون يوم القيامة، فلا يجوز أن يقال لهم: ﴿**وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ من حيث إنّهم كانوا يشعرون بذلك ويقرّون به، ولأنّ حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر، ولو كانوا أيضاً أحياءاً بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضاً: ﴿**وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ لأنهم كانوا يشعرون بذلك، ووجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياءاً ـ وإن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياءاً في البرزخ ـ أنّه على جهة البشارة بذكر حالهم ثمّ البيان لما يختصّون به من أنّهم يرزقون كما في الآية الأُخرى.

فإن قيل: فنحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الأرض لا يتصرّف ولا يرى فيها شيء من علامات

← بالآية (٢٨) من سورة البقرة حيث قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، إلا أن الآية التي نبحثها تتحدث عن إماتتين، في حين أن آية سورة البقرة تتحدّث عن حياة واحدة وإماتة واحدة.

يتّضح من مجموع التفاسير الثلاثة هذه أن التفسير الأوّل هو الأرجح. ولا بأس أن نشير إلى أن بعض مؤيدي التناسخ أرادوا الاستدلال بهذه الآية على الحياة والموت المكرر للإنسان، وعودة الروح إلى الأجساد الجديدة في هذه الدنيا، في حين أن الآية أعلاه تعتبر إحدى الأدلة الحية على نفي التناسخ، لأنها تتحدّد الموت والحياة في مرتين، إلا أن أنصار عقيدة التناسخ يقولون بالموت والحياة المتعددة والمتوالي، ويعتقدون بأن روح الإنسان الواحد يمكن أن تتجسّد وتحل مرات أُخرى في أجساد جديدة، ونطف جديدة وترجع إلى هذه الدنيا. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٢١٠)

١. الأنعام/١٢٢.

٢. الغارات، ج ١، ص ١٥١، نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٤٩٦، ح ١٤٧؛ وفيهما: «أمثالهم في القلوب موجودة».

الأحياء! فالجواب ـ على مذهب من يقول بأنّ الإنسان هو الروح من أصحابنا ـ أنّ اللّه تعالى جعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعّمون فيها دون أجسامهم التي في القبور فإنّ النعيم والعذاب إنّما يصل عنده إلى النفس التي هي الإنسان المكلّف عنده، دون الجثّة ويؤيّده كثير من الأخبار.

وأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الإنسان هذه الجثّة المشاهدة، وإنّ الروح هو النفس المتردّد في مخارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ، فيقول: إنّه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ منها، يوصل إليها النعيم، وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها، لأنّه لا معتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحيّ حيّاً، فإنّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً؛ وربّما قيل: بأنّ الجثّة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة ولا يكون ميّتاً فيصل إليها اللذّات، كما أنّ النائم حيّ وتصل إليه اللذّات مع أنّه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يحدثه السرور والالتذاذ، حتّى أنّه يودّ أن يطول نومه ولا ينتبه، **وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَفْسَحُ لَهُ مَدّ بَصَرِهِ**[1]، **وَيُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ**[2]؛ وقوله: ﴿**وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ أي لا تعلمون أنّهم أحياء، وفي هذه الآية دلالة على صحّة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الأخبار، وإنّما حمل البلخيّ الآية على حياة الحشر، لإنكاره عذاب القبر[3]. انتهى كلامه «رفع اللّه مقامه».

وقال الرازيّ في تفسير تلك الآية، بعد نقل ما ذكره الطبرسيّ «رحمه اللّه» من الأقوال الأربعة واختيار القول الأوّل: وهذا قول أكثر المفسّرين، وهذا دليل على أنّ المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبر؛ فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ قلنا: أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة، ولا امتناع في أنّ اللّه تعالى يعيد الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذرّات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف. وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد اللّه الحياة إلى الأجزاء التي لا بدّ منها في مائيّة الحياة بغير الأطراف؛ ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا.

ثمّ قال: وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول، ويدلّ عليه وجوه: أحدها: أنّ الآيات الدالّة على عذاب القبر كثيرة كقوله تعالى: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[4] والموتان لا يحصلان إلّا عند حصول الحياة في القبر، وقال تعالى: ﴿**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً**﴾[5] و«الفاء» للتعقيب، وقال: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً**

---

١. الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٠، ذيل ح ٢.

٢. المصدر السابق، ص ١٣١، ضمن ح ٤.

٣. مجمع البيان، ج ١، ٤٣٣ـ٤٣٥.

٤. غافر/١١.

٥. نوح/٢٥.

وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[١] وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً لأنّ العذاب حقّ اللّه تعالى على العبد، والثواب حقّ العبد على اللّه تعالى، فإسقاط العذاب أحسن من إسقاط الثواب، فحيث ما أسقط العقاب إلى القيامة بل حقّقه في القبر كان ذلك في الثواب أولى.

وثانيها: أنّ المعنى لو كان على ما قيل في سائر الأقوال لم يكن لقوله: **﴿وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** معنى، لأنّ الخطاب للمؤمنين وقد كانوا يعلمون أنّهم سيحيون يوم القيامة، وأنّهم ماتوا على هدى ونور.

وثالثها: أنّ قوله: **﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾** دليل على حصول الحياة في البرزخ مثل المبعث.

ورابعها: قوله صلى الله عليه وآله[٢]: **«الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ»** والأخبار في ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، **وَكَانَ** صلى الله عليه وآله **يَقُولُ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ**[٣]: **«وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»**.

وخامسها: لو كان المراد بقوله: «إنّهم أحياء» أنّهم سيحيون، فحينئذ لا يبقى لتخصيصهم بهذا فائدة.

وسادسها: أنّ الناس يزورون قبور الشهداء ويعظّمونها، وذلك يدلّ من بعض الوجوه على ما ذكرناه.

واعلم أنّ في الآية قولاً آخر وهو أنّ ثواب القبر وعذابه للروح لا للقالب، وهذا القول مبنيّ على معرفة الروح، ولنشر إلى حاصل قول هؤلاء، فنقول: إنّهم قالوا: إنّه لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المخصوص لوجهين: الأوّل: أنّ أجزاء هذا الهيكل أبداً في النموّ والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان[٤]، ولا شكّ أنّ الإنسان من حيث هو هو، باق من أوّل عمره إلى آخره، والباقي غير ما هو غير باق، فالمشار إليه عند كلّ أحد بقوله: «أنا» وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل.

الثاني: أنّي أكون عالماً بأنّي «أنا» حال ما أكون غافلاً عن هذه الأعضاء الظاهرة، فما دلّ عليه قولنا: «أنا» مغاير لهذه الأعضاء والأبعاض، ثمّ اختلفوا عند ذلك في أنّ الذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: «أنا» أيّ شيء هو؟ والأقوال فيها كثيرة، إلّا أنّ أشدّها تحصيلاً وجهان: أحدهما: أنّها أجزاء جسمانيّة سارية في هذا الهيكل، سريان النار في الفحم، والدهن في السمسم، وماء الورد في الورد، والقائلون بهذا القول فريقان:

أحدهما: الذين اعتقدوا تماثل الأجسام، فقالوا: إنّ تلك الأجسام متماثلة لسائر الأجزاء التي منها يؤلّف هذا الهيكل، إلّا أنّ القادر المختار سبحانه يبقي بعض الأجزاء من أوّل العمر إلى آخره، فتلك الأجزاء هي التي

---

١. غافر/٤٦.

٢. في الغارات، ج ١، ص ٢٣٩، ضمن رواية.

٣. مسند أحمد، ج ١، ص ٢٩٣؛ وأوصى به أئمتنا عليهم السلام، راجع الكافي، ج ٢، باب القول عند الإصباح والإمساء، ص ٥٢٥، ح ١٣.

٤. ذاب جسم الرجل: هزل، راجع أساس البلاغة.

يشير إليها كلّ أحد بـ«أنا»، ثمّ إنّ تلك الأجزاء حيّة بحياة يخلقها اللّه فيها، فإذا أزال الحياة عنها ماتت، وهذا قول أكثر المتكلّمين.

وثانيهما: أنّ الذين اعتقدوا اختلاف الأجسام زعموا أنّ الأجسام التي هي باقية من أوّل العمر إلى آخره أجسام مخالفة بالماهيّة للأجسام التي منها ائتلف هذا الهيكل وتلك الأجسام حيّة لذاتها، مدركة لذاتها، نورانيّة لذاتها؛ فإذا خالطت هذا البدن وصارت سارية في هذا الهيكل سريان النار في الفحم، صار هذا الهيكل مستنيراً بنور ذلك الروح، متحرّكاً بتحريكه، ثمّ إنّ هذا الهيكل أبداً في الذوبان والتحليل إلّا أنّ تلك الأجزاء باقية بحالها، وإنّما لا يعرض لها التحليل لأنّها مخالفة بالماهيّة لهذه الأجسام، فإذا فسد هذا القالب انفصلت تلك الأجسام اللطيفة النورانيّة إلى عالم السماوات والقدس والطهارة، إن كانت من جملة السعداء، أو إلى الجحيم وعالم الآفات، إن كانت من جملة الأشقياء.

والقول الثاني: إنّ الذي يشير إليه كلّ أحد بقوله «أنا» موجود ليس بمتحيّز ولا قائم بالمتحيّز، وإنّه ليس داخل العالم ولا خارجاً عنه، ولا يلزم من كونه كذلك أن يكون مثلاً للّه تعالى، لأنّ الاشتراك في السلوب لا يوجب الاشتراك في الماهيّة، وقالوا: هذه الأرواح بعد مفارقة الأبدان تتألّم وتلتذّ إلى أن يردّها اللّه تعالى إلى الأبدان يوم القيامة، فهناك يحصل الالتذاذ والتألّم للأبدان، فهذا قول، قال به عالم من الناس، قالوا: وإن لم يقم عليه برهان قاهر على القول به، ولكن لم يقم دليل على فساده، وأنّه ممّا يزيل الشكوك والشبهات عمّا ورد في كتاب اللّه من ثواب القبر وعقابه، فوجب المصير إليه فهذا هو الإنسان في توجيه هذا القول[1].

أقول:

ثمّ قال الرازيّ في تفسير آية آل عمران بعد اختيار القول الأوّل فيها أيضاً: يحتمل أن يكون الروح جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجثّة سريان النار في الفحم؛ ويحتمل أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، ليس بجسم ولا حال في الجسم، وعلى كلا المذهبين فإنّه لا يبعد أنّه لمّا مات البدن انفصل ذلك الشيء حيّاً، وإن قلنا أماته اللّه إلّا أنّه تعالى يعيد الحياة إليه، وعلى هذا التقدير تزول الشبهات بالكلّيّة عن ثواب القبر كما في هذه الآية، وعن عذابه كما في قوله تعالى: ﴿**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً**﴾[2] فثبت أنّه لا امتناع في ذلك، وظاهر الآية دالّة عليه، فوجب المصير إليه، والذي يؤكّد ما قلناه القرآن والحديث والعقل.

أمّا القرآن فآيات: إحداها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**﴾ الآية، ولا شكّ أنّ

---

١. مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١٢٥ ـ ١٢٨.

٢. نوح/٢٥.

المراد بقوله: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ بالموت، ثمّ قال: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾[١] و«فاء» التعقيب يدلّ على أنّ حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت. وثانيها قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٢] وهذا عبارة عن موت البدن؛ ثمّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾[٣] فقوله: ﴿رُدُّوا﴾ ضمير عنهم، وإنّما هو هو بحياته وذاته المخصوصة، فدلّ على أنّ ذلك باق بعد موت البدن. وثالثها قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٤] و«فاء» التعقيب يدلّ على أنّ قيامة كلّ أحد حاصلة بعد موته، وأمّا قيامته الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند اللّه.

وأيضاً رُوِيَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله[٥] يَوْمَ بَدْرٍ كَانَ يُنَادِي الْمَقْتُولِينَ وَيَقُولُ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ أَمْوَاتٌ فَكَيْفَ تُنَادِيهِمْ؟ فَقَالَ: إِنَّهُمْ أَسْمَعُ مِنْكُمْ. وَأَيْضاً قَالَ[٦]: أَنْبِيَاءُ اللَّهِ لَا يَمُوتُونَ بَلْ يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ.

وأمّا المعقول فمن وجوه: الأوّل: أنّ وقت النوم يضعف البدن وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى عند النوم، فتشاهد الأحوال وتطّلع على المغيّبات، فهذا يقوي الظنّ، في أنّ موت البدن لا يستعقب موت النفس.

الثاني: أنّ كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ، وجفافه مؤدّ إلى الموت، وهذه الأفكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الإلهيّة، وهو غاية كمال النفس، فما هو سبب لكمال النفس، فهو سبب لنقصان البدن، فهذا يقوي الظنّ في أنّ النفس لا تموت بموت البدن.

الثالث: أنّ أحوال النفس على ضدّ أحوال البدن، وذلك لأنّ النفس إنّما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهيّة، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٧]. وَقَالَ صلى الله عليه وآله[٨]: «أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي». ولا شكّ أنّ ذلك الشراب ليس إلّا عبارة عن المعرفة والمحبّة والاستنارة بأنوار عالم الغيب، وأيضاً فإنّا نرى أنّ الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان أو الفوز بمنصب أو بالوصول إلى معشوق قد ينسى الطعام والشراب، وبالجملة فالسعادات النفسانيّة كالمضادّات للسعادات الجسمانيّة، وكلّ ذلك يغلب على الظنّ، أنّ النفس مستقلّة بذاتها ولا تعلّق لها بالبدن، ومتى كان كذلك وجب أن لا تموت النفس بموت البدن.

---

١. الفجر/ ٢٧-٢٩.

٢. في المصحف الشريف ﴿... أَحَدَكُمُ ...﴾ (الأنعام/ ٦١).

٣. الأنعام/ ٦٢.

٤. الواقعة/ ٨٨ و ٨٩.

٥. إعلام الورى، ص ٧٧؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١٨٢.

٦. التعرف لمذهب أهل التصوف (للكلاباذي)، ص ١٥٨.

٧. الرعد/ ٢٨.

٨. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ١، ص ٢١٤؛ مسند الحميدي، ج ٢، ص ٤٤١.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ فاعلم أنّ المتكلّمين قالوا: الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى المنفعة، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إشارة إلى الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم. وأمّا الحكماء فإنّهم قالوا: إذا أشرقت جواهر الأرواح القدسيّة بالأنوار الإلهيّة كانت مبتهجة من وجهين: أحدهما: بكون ذواتها مستنيرة، مشرقة، متلألئة بتلك المعارف الإلهيّة. والثاني: بكونها ناظرة إلى ينبوع النور ومصدر الرحمة والجلالة، قالوا: وابتهاجها بهذا القسم الثاني أتمّ من ابتهاجها بالأوّل، فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى الدرجة الأُولى، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إلى الدرجة الثانية، ولذا قال: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني فرحهم ليس بالرزق، بل بإيتاء الرزق، لأنّ المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق، ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب[1]. انتهى.

وقال الشيخ الطبرسيّ «رحمه اللّه» في تفسير تلك الآية: قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنّهم بحيث لا يملك أحد لهم نفعاً ولا ضرّاً إلّا ربّهم، وليس المراد في ذلك قرب المسافة، لأنّه مستحيل عليه سبحانه، والآخر: أنّهم عند ربّهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعودٍ وَجَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله[2] قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا.

وَرُوِيَ عَنْهُ صلى الله عليه وآله[3] أَنَّهُ قَالَ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ وَقَدْ اسْتُشْهِدَ فِي غَزَاةِ مُؤْتَةَ ـ: رَأَيْتُهُ لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ.

وأنكر بعضهم حديث الأرواح وقال: إنّ الروح عرض لا يجوز أن يتنعّم، وهذا لا يجوز، لأنّ الروح جسم رقيق هوائيّ مأخوذ من الريح، ويدلّ على ذلك أنّه يخرج من البدن ويرد عليه وهي الحسّاسة الفعّالة دون البدن، وليست من الحياة في شيء لأنّ ضدّ الحياة الموت، وليس كذلك الروح وهذا قول عليّ بن عيسى. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من نعيم الجنة ﴿غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[4]؛ وقيل: يرزقون النعيم في قبورهم.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي مسرورين بما أعطاهم اللّه من ضروب نعمه في الجنّة؛ وقيل: في قبورهم؛ وقيل: فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي يسرّون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد، لعلمهم بأنّهم إذا

---

١. مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٤٢٧ـ٤٣٠.

٢. ورد أيضا في أحكام القرآن (للجصّاص)، ج ٢، ص ٣٣٢.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣؛ المعجم الأوسط (للطبراني)، ج ٧، ص ٨٨.

٤. غافر/٤٦.

استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة اللّه تعالى إلى مثل ما صاروا إليه، يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا، فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا؛ وقيل: إنّه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدّم عليه من إخوانه فيسرّ بذلك ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا؛ وقيل: معناه: لم يلحقوا بهم في الفضل إلّا أنّ لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم.

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم، وذلك لأنّه بدل من قوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ لأنّ الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن، والاستبشار هنا إنّما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين، ومعناه: لا خوف عليهم فيمن خلّفوه من ذرّيتهم لأنّ اللّه تعالى يتولّاهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوا من أموالهم لأنّ اللّه قد أجزل لهم ما عوّضهم؛ وقيل: معناه: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، لأنّ اللّه تعالى محّص ذنوبهم بالشهادة؛ ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل اللّه، ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الفضل والنعمة عبارتان يعبّر بهما عن معنى واحد؛ وقيل: النعمة: ما استحقّوه بطاعتهم، والفضل: ما زادهم سبحانه من المضاعفة[١].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يثبّتهم في كرامته وثوابه بقولهم الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان، لأنّه ثابت بالحجج والأدلّة؛ وقيل: معناه: يثبّت اللّه المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الحقّ، ويثبّتهم بها في الآخرة حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الجنّة؛ وقيل: معناه: يثبّتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا، وبإسكانهم الجنّة في الآخرة. وقال أكثر المفسّرين أنّ المراد بقوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾[٢] في القبر والآية وردت في سؤال القبر، وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود، وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام[٣].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني أنّ هؤلاء الكفّار إذا أشرفوا على الموت سألوا اللّه تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف، فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ وفي معناه قولان: أحدهما: أنّهم استغاثوا أوّلاً باللّه ثمّ رجعوا إلى مساءلة الملائكة فقال لهم: ارجعوني، أي ردّوني إلى الدنيا؛ والآخر أنّه على عادة العرب في تعظيم المخاطب.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي في تركتي[٤]، أو في دنياي، فإنّه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة، أو

---

١. مجمع البيان، ج ٢، ٨٨٣ و ٨٨٤.

٢. إبراهيم/٢٧.

٣. مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٨٢.

٤. تركة الميت: تراثه المتروك، راجع الصحاح.

فيما ضيّعت وفرّطت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي؛ ثمّ قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم: ﴿كَلَّا﴾ أي لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ أي مسألة الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك، أو كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة، مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[١]. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي ومن بين أيديهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز بين الموت والبعث في القيامة من القبور؛ وقيل: حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ وقيل: البرزخ: الإمهال إلى يوم القيامة وهو القبر، وكلّ فصل بين شيئين فهو برزخ[٢].

وقال «رضي اللّه عنه» في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ اختلف في معناه على وجوه: أحدها: أنّ الإماتة الأُولى في الدنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الأُولى في القبر للمساءلة، والثانية في الحشر، عن السدّيّ، وهو اختيار البلخيّ.

وثانيها: أنّ الإماتة الأُولى حال كونهم نطفاً فأحياهم اللّه في الدنيا، ثمّ أماتهم الموتة الثانية، ثمّ أحياهم للبعث، فهاتان حياتان ومماتان.

وثالثها: أنّ الحياة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة، والموتة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر[٣]. انتهى.

أقول:

اختار الرازيّ في تفسيره[٤] الوجه الأوّل، ثمّ ذكر عليه وجوهاً من الاعتراض وأجاب عنها ولا نطيل الكلام بذكرها.

وقال الشيخ البهائيّ «قدس اللّه روحه»: اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلاميّة في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى ـ حكاية عن الكفّار ـ: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الآية؛ وتقريره أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين وإحيائين، فإحدى الإماتتين في الدنيا، والأُخرى في القبر بعد السؤال، وأحد الإحيائين فيه للسؤال، والآخر في القيامة؛ وأمّا الإحياء في الدنيا فإنّما سكتوا لأنّ غرضهم الإحياء الذي عرفوا فيه قدرة اللّه سبحانه على البعث، ولهذا قالوا: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أي بالذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم[٥].

---

١. الأنعام/٢٨.

٢. مجمع البيان، ج ٧، ص ١٨٧.

٣. المصدر السابق، ج ٨، ص ٨٠٤.

٤. مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٤٩٤.

٥. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

قال المحقّق الشريف في شرح المواقف: إنّ تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسّرين، ثمّ قال: وأمّا حمل الإماتة الأُولى على خلقهم أمواتاً في أطوار النطفة، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارية على الحياة، وحمل الإحيائين على الإحياء في الدنيا والحشر فقد ردّ بأنّ الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة، ولا حياة في أطوار النطفة، وبأنّه قول شذاذ من المفسّرين، والمعتمد هو قول الأكثرين[١]. انتهى كلامه.

فقد جعل التفسير بالوجه الأوّل مستفيضاً، وبالوجه الثاني شاذّاً، ويخطر بالبال أنّ الأمر بالعكس، فإنّ الشائع المستفيض بين المفسّرين هو ما جعله شاذّاً، والشاذّ النادر هو ما جعله مستفيضاً، ولعلّ هذا من سهو قلمه، فإنّ التفاسير المشهورة التي عليها المدار في هذه الأعصار هي الكشّاف، ومفاتح الغيب، ومعالم التنزيل، ومجمع البيان، وجوامع الجامع، وتفسير النيشابوريّ، وتفسير البيضاويّ، ولم يختر أحد من هؤلاء تفسير الآية بالوجه الأوّل، بل أكثرهم إنّما اختاروا التفسير الثاني.

وأمّا التفسير الأوّل فبعضهم نقله ثمّ زيّفه وبعضهم اقتصر على مجرّد نقله من غير ترجيح؛ فلو كان هو الشائع المستفيض ـ كما زعمه السيّد المحقّق ـ لما كان الحال على هذا المنوال، قال في الكشّاف: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائين الإحياء الأُولى، وإحياء البعث.

ثمّ قال بعد ذلك: فإن قلت: كيف صحّ أن يسمّى خلقهم أمواتاً إماتة؟ قلت: كما صحّ أن تقول: سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل، وقولك للحفّار: ضيّق فم الركيّة[٢] ووسّع أسفلها، وليس ثَمّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات، والسبب في صحّته أنّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكّن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه، ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا، والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن، إلّا أن يتمحّل فيجعل إحداها غير معتدّ بها، أو يزعم أنّ اللّه يحييهم في القبور وتستمرّ بهم تلك الحياة، فلا يموتون بعدها، ويعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾[٣].

فإن قلت: كيف تسبّب هذا لقوله: ﴿**فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا**﴾؟ قلت: قد أنكروا البعث، فكفروا وتبع ذلك من

---

١. شرح المواقف، ج ٨، ص ٣١٨.

٢. الركية: البئر، راجع لسان العرب.

٣. النمل /٨٧.

الذنوب ما لا يحصى، لأنّ من لم يخش العاقبة تخرّق[١] في المعاصي، فلمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا بأنّ اللّه تعالى قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث، وما تبعه من معاصيهم[٢]. انتهى كلامه.

وقال الشيخ أمين الإسلام في جوامع الجامع: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائين الإحياء الأُولى، وإحياء البعث؛ وقيل: الإماتتان هما التي في الدنيا بعد الحياة، والتي في القبر قبل البعث، والإحياءان هما التي في القبر للمساءلة، والتي في البعث[٣]. انتهى. وفي كلام هذين الفاضلين كفاية واللّه الموفّق.

ثمّ قال «رحمه اللّه»: وعساك تقول: إنّ تفسير الآية على ما هو الشائع المستفيض كما ذكرته يقتضي سكوت الكفّار عن الإحياء والإماتة الواقعين في القبر، فما السبب في سكوتهم عنهما؟ فنقول: إنّ الحياة في القبر حياة برزخيّة ناقصة، ليس معها من آثار الحياة سوى الإحساس بالألم أو اللذّة، حتّى أنّه قد توقّف بعض الأُمّة في عود الروح إلى الميّت، فلذلك لم يعتدّوا بها في جنب الحياتين الأُخريين، قال في شرح المقاصد: اتّفق أهل الحقّ على أنّه تعالى يعيد إلى الميّت في القبر نوع حياة قدر ما يتألّم ويلتذّ، لكن توقّفوا في أنّه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهّم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنّما ذلك في الحياة الكاملة التي تكون معها القدرة والأفعال الاختياريّة[٤]. انتهى كلامه.

والحقّ أنّ الروح يتعلّق به وإلّا لما قدر على إجابة الملكين، ولكنّه تعلّق ضعيف، كما يشعر به **مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام[٥] فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مَلَكَا الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَيُلْقِيَانِ فِيهِ الرُّوحَ إِلَى حَقْوَيْهِ[٦]؛ الْحَدِيثَ.**

وقد يستبعد تعلّق الروح بمن أكلته السباع، أو أُحرق وتفرّقت أجزاؤه يميناً وشمالاً، ولا استبعاد فيه نظراً إلى قدرة اللّه سبحانه على حفظ أجزائه الأصليّة عن التفرّق، أو جمعها بعده، وتعلّق الروح بها تعلّقاً ما، وقد روي عن أئمّتنا عليهم السلام ما يدلّ على أنّ الأجزاء الأصليّة محفوظة إلى يوم القيامة[٧]. انتهى كلامه «ضاعف اللّه إكرامه».

---

١. تخرّق: اتّسع، راجع لسان العرب.

٢. الكشاف، ج ٤، ص ١٥٤ و ١٥٥.

٣. جوامع الجامع، ج ٤، ص ٤.

٤. شرح المقاصد، ج ٥، ص ١١٧.

٥. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٩، ح ١٢.

٦. الحقوان: الخاصرتان، راجع لسان العرب.

٧. شرح المقاصد، ج ٥، ص ١٠٥.

أقول:

الشيخ الطبرسيّ «رحمه اللّه» وإن اختار في الجوامع التفسير الثاني، اختار في المجمع التفسير الأوّل حيث قدّمه على غيره، والرازيّ بالغ في اختيار الأوّل وذبّ عنه قول من أنكره، وقال: احتجّ أكثر العلماء بهذه الآية على إثبات عذاب القبر[١]، والبيضاويّ ذكرهما وقدّم الثاني، لأنّه يقتصّ أثر الزمخشريّ غالباً، فظهر أنّ ما ذكر السيّد الشريف ليس ببعيد عن الصواب في هذا الباب.

الروايات:

٢٣٦٩. تفسير القمّيّ[٢]: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ[٣]، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٤] قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ شِيعَتُنَا، إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَاسْتَقْبَلُوا الْكَرَامَةَ مِنَ اللَّهِ[٥]، اسْتَبْشَرُوا بِمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦]، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ يُبْطِلُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٢٣٧٠. تفسير القمّيّ[٧]: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ[٨]. قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٩] قَالَ: الْبَرْزَخُ هُوَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَهُوَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام: وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْبَرْزَخَ، فَأَمَّا إِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا فَنَحْنُ أَوْلَى بِكُمْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: إِنَّ الْقَبْرَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

---

١. مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٤٩٤.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ١٢٧؛ الكافي، ج ٨، ص ١٥٦، ح ١٤٦، (حديث تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا﴾)؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٩٩.

٣. آل عمران/١٦٩ و ١٧٠.

٤. في الكافي بهذا الإسناد: «ابن محبوب، عن الحارث بن محمد بن نعمان، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام».

٥. في الكافي والصافي مع زيادة: «واستيقنوا أنهم كانوا على الحق وعلى دين اللّه عز وجل».

٦. آل عمران/١٧٠.

٧. تفسير القمي، ج ٢، ص ٩٣؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤١٠؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٦، ح ٧٥٢٧.

٨. في المصدر: «في مانع الزكاة والخمس».

٩. المؤمنون/٩٩ و ١٠٠.

وأقول:

قد مضى خبر عليّ بن الحسين عليهما السلام في باب الموت[١] **أَنَّهُ تَلَا: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قَالَ عليه السلام: هُوَ الْقَبْرُ، وَإِنَّ لَهُمْ فِيهِ لَ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾**[٢]**، وَاللَّهِ إِنَّ الْقَبْرَ لَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.**

أقول:

هذا الخبر يدلّ على أنّ المراد بالمعيشة الضنك في الآية هو عذاب القبر، ويؤيّده ذكر القيامة بعدها، وإليه ذهب كثير من المفسّرين، ولا يجوز أن يراد بها سوء الحال في الدنيا لأنّ كثيراً من الكفّار في الدنيا في معيشة طيّبة هنيئة غير ضنك، والمؤمنين بالضدّ من ذلك.

قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: **﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾** أي عيشاً ضيّقاً، وهو أن يقتُر اللّه عليه الرزق[٣]؛ عقوبة له على إعراضه، فإن وسّع عليه فإنّه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه، وإن أنفقه فإنّ الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه. وقيل: هو عذاب القبر، عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدريّ والسدّيّ، ورواه أبو هريرة مرفوعاً؛ وقيل: هو طعام الزقّوم والضريع في جهنّم لأنّ مآله إليها وإن كان في سعة من الدنيا؛ وقيل: معناه: أن يكون عيشه منغّصاً بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف؛ وقيل: وهو الحرام في الدنيا والذي يؤدّي إلى النار؛ وقيل: عيشاً ضيّقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدّرها، وإنّما العيش الرغد[٤] في الجنّة[٥].

٢٣٧١. الكافي[٦]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَ رَأَيْتَ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ لِمَ تُجْعَلُ مَعَهُ الْجَرِيدَةُ؟ قَالَ: يَتَجَافَى عَنْهُ الْعَذَابُ[٧] وَالْحِسَابُ مَا دَامَ الْعُودُ رَطْباً، قَالَ: وَالْعَذَابُ كُلُّهُ[٨] فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ،

---

١. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب الموت، باب سكرات الموت، ضمن رواية عن الخصال.

٢. طه/١٢٤.

٣. أقتر اللّه رزقه: ضيّقه وقلّله، راجع لسان العرب.

٤. الرغد: السعة في العيش، راجع جمهرة اللغة.

٥. مجمع البيان، ج ٧، ص ٥٥.

٦. الكافي، ج ٣، باب الجريدة، ص ١٥٢، ح ٤؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب وضع الجريدتين، ص ١٤٥، ح ٤٠٧؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٠، ح ٢٩١٨.

٧. يتجافى عنه العذاب: يرتفع عنه عذاب القبر، راجع مجمع البحرين.

٨. في الفقيه والوسائل: «إنما الحساب والعذاب كله».

فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْرَ مَا يُدْخَلُ الْقَبْرَ وَيَرْجِعُ الْقَوْمُ، وَإِنَّمَا جُعِلَتِ السَّعَفَتَانِ[١] لِذٰلِكَ فَلَا يُصِيبُهُ عَذَابٌ وَلَا حِسَابٌ بَعْدَ جُفُوفِهِمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ[٢].

٢٣٧٢. كتاب حسين بن سعيد[٣]: ابْنُ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَتَاكَ فَتَّانَا الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَتَّانَا الْقَبْرِ؟ قَالَ: مَلَكَانِ فَظَّانِ غَلِيظَانِ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ[٤]، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، يَطَئَانِ فِي أَشْعَارِهِمَا، وَيَحْفِرَانِ[٥] بِأَنْيَابِهِمَا، فَيَسْأَلَانِكَ، قَالَ: وَأَنَا عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ الْحَالِ؟ قَالَ: وَأَنْتَ عَلَى مِثْلِ حَالِكَ هٰذِهِ، قَالَ: إِذَنْ أَكْفِيَهُمَا.

٢٣٧٣. كشف اليقين[٦]: مِنْ تَفْسِيرِ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ مُؤْمِنٍ الشِّيرَازِيِّ بِإِسْنَادِهِ رَفَعَهُ قَالَ: أَقْبَلَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هٰذَا الْأَمْرُ لَنَا بَعْدَكَ أَمْ لِمَنْ؟ قَالَ: يَا صَخْرُ الْأَمْرُ بَعْدِي لِمَنْ هُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يَعْنِي يَسْأَلُكَ أَهْلُ مَكَّةَ عَنْ خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ مِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ بِوَلَايَتِهِ وَخِلَافَتِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ[٧]. ﴿كَلَّا﴾ رَدٌّ عَلَيْهِمْ ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سَيَعْرِفُونَ خِلَافَتَهُ بَعْدَكَ أَنَّهَا حَقٌّ يَكُونُ. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٨] سَيَعْرِفُونَ خِلَافَتَهُ وَوَلَايَتَهُ إِذْ يُسْأَلُونَ عَنْهَا فِي قُبُورِهِمْ، فَلَا يَبْقَى مَيِّتٌ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ وَلَا فِي بَرٍّ وَلَا فِي بَحْرٍ إِلَّا وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَسْأَلَانِهِ عَنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَعْدَ الْمَوْتِ، يَقُولَانِ لِلْمَيِّتِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَنْ إِمَامُكَ؟

٢٣٧٤. الكافي[٩]: أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ جَمِيعاً، عَنْ صَفْوَانَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ الصَّيْقَلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْجَرِيدَةُ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ.

---

١. السعف: أغصان النخلة، راجع لسان العرب.

٢. **نقول:** يظهر من بعض الروايات أن الجريدة من سنّة آدم عليه السلام وكان ذلك لأُنسه بالنخلة في حياته، ثم استنّ بها سائر الانبياء عليهم السلام وماتت في الجاهلية، فأحياها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولعل تخفيف العذاب بهما إنما هو للاحترام بسنة آدم والأنبياء عليهم السلام أو لأُمور أُخر لا نعلمه. ولعله يشمل المؤمن والكافر، ولكن في الكافر من قبيل تخفيف العذاب في مدة معدودة.

٣. الزهد، ص ٨٨، ح ٢٣٨.

٤. رعد قاصف: شديد الصوت، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر: «يحفران الأرض بأنيابهما».

٦. اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، ص ٤١٠؛ شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٤١٨، ح ١٠٧٥؛ المناقب (لابن شهرآشوب)، ج٣، ص ٧٩.

٧. لم يرد في المصدر: «منهم المكذّب».

٨. النبأ/١ـ٥.

٩. في الكافي، ج ٣، باب الجريدة، ص ١٥١، ذيل ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب وضع الجريدتين، ص ١٤٥، ح ٤٠٦؛ تهذيب الأحكام، ج ١، باب تلقين المحتضرين، ص ٣٢٧، ح ٩٥٤.

٢٣٧٥. الإحتجاج[١]: فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ مَسَائِلَ أَنْ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السِّرَاجِ إِذَا انْطَفَأَ أَيْنَ يَذْهَبُ نُورُهُ؟ قَالَ: يَذْهَبُ فَلَا يَعُودُ. قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ ذٰلِكَ إِذَا مَاتَ وَفَارَقَ الرُّوحُ الْبَدَنَ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ أَبَداً، كَمَا لَا يَرْجِعُ ضَوْءُ السِّرَاجِ إِلَيْهِ إِذَا انْطَفَأَ؟ قَالَ: لَمْ تُصِبِ الْقِيَاسَ، إِنَّ النَّارَ فِي الْأَجْسَامِ كَامِنَةٌ وَالْأَجْسَامَ قَائِمَةٌ بِأَعْيَانِهَا كَالْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ، فَإِذَا ضُرِبَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ سَطَعَتْ مِنْ بَيْنِهِمَا نَارٌ تُقْتَبَسُ مِنْهَا سِرَاجٌ لَهُ الضَّوْءُ، فَالنَّارُ ثَابِتَةٌ فِي أَجْسَامِهَا وَالضَّوْءُ ذَاهِبٌ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ رَقِيقٌ قَدْ أُلْبِسَ قَالَباً كَثِيفاً لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ السِّرَاجِ الَّذِي ذَكَرْتَ، إِنَّ الَّذِي خَلَقَ فِي الرَّحِمِ جَنِيناً مِنْ مَاءٍ صَافٍ، وَرَكَّبَ فِيهِ ضُرُوباً مُخْتَلِفَةً مِنْ عُرُوقٍ وَعَصَبٍ وَأَسْنَانٍ وَشَعْرٍ وَعِظَامٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ هُوَ يُحْيِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَيُعِيدُهُ بَعْدَ فَنَائِهِ.

قَالَ: فَأَيْنَ الرُّوحُ؟ قَالَ: فِي بَطْنِ الْأَرْضِ حَيْثُ مَصْرَعُ الْبَدَنِ إِلَى وَقْتِ الْبَعْثِ. قَالَ: فَمَنْ صُلِبَ أَيْنَ رُوحُهُ؟ قَالَ: فِي كَفِّ الْمَلَكِ الَّذِي قَبَضَهَا حَتَّى يُودِعَهَا الْأَرْضَ[٢]. قَالَ: أَ فَيَتَلَاشَى الرُّوحُ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْ قَالَبِهِ أَمْ هُوَ بَاقٍ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ بَاقٍ إِلَى وَقْتٍ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَبْطُلُ الْأَشْيَاءُ وَتَفْنَى، فَلَا حِسَّ وَلَا مَحْسُوسَ، ثُمَّ أُعِيدَتِ الْأَشْيَاءُ كَمَا بَدَأَهَا مُدَبِّرُهَا، وَذٰلِكَ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ تَسْبِتُ[٣] فِيهَا الْخَلْقُ، وَذٰلِكَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.

أقول:

سيأتي تمام الخبر مشروحاً في كتاب الاحتجاجات[٤].

٢٣٧٦. تفسير القمّيّ[٥]: أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦] يَقُولُ[٧]: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ قَالَ: فِي قَبْرِهِ، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ قَالَ: فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ فِي الْقَبْرِ، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٨] فِي الْآخِرَةِ.

---

١. الإحتجاج (للطبرسي)، ج ٢، ص ٣٤٩؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٩، ح ١.

٢. **نقول:** الظاهر أن كون الروح في بطن الأرض إنما هو في بعض الأحيان وفي زمان آخر على ظهر الأرض وأحيانا في السماء.

٣. سبت: استراح وسكن، راجع لسان العرب.

٤. بحارالأنوار، كتاب الاحتجاج، أبواب احتجاجات أمير المؤمنين «صلوات اللّه عليه» باب احتجاجات الصادق «صلوات اللّه عليه».

٥. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٥٠؛ وفي الأمالي (للصدوق)، ص ٢٩٠، ضمن ح ١٢، وص ٤٧٤، ح ١١؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٢٧٣.

٦. في الأمالي، ح ١٢ بهذا الإسناد: «ابن حاتم، عن علي بن الحسين، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن خالد، عن سليمان بن مقبل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام»، وح ١١: «الحسين بن علي بن شعيب، عن عيسى بن محمد، عن الحسين بن الحسن، عن الحسن بن الحسين العرني، عن عمرو بن جُميع، عن أبي المقدام، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٧. في الأمالي، ح ١١، والروضة مع زيادة في صدره: «هاتان الآيتان في أهل ولايتنا وأهل عداوتنا».

٨. الواقعة/٨٨ـ٩٤.

٢٣٧٧. تفسير القمّيّ[١]: وَأَمَّا الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[٢] فَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ[٣] تُبَدَّلُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[٤] فَأَمَّا الْغُدُوُّ وَالْعَشِيُّ إِنَّمَا يَكُونَانِ فِي الدُّنْيَا فِي دَارِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَلَا يَكُونُ غُدُوٌّ وَلَا عَشِيٌّ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[٥] يَعْنِي فِي جِنَانِ الدُّنْيَا الَّتِي يُنْقَلُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ فَلَا يَكُونُ غُدُوٌّ وَلَا عَشِيٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٦] فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: الْبَرْزَخُ: الْقَبْرُ، وَهُوَ الثَّوَابُ[٧] وَالْعِقَابُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ أَيْضاً قَوْلُ الْعَالِمِ عليه السلام: وَاللَّهِ مَا يُخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْبَرْزَخُ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٨] وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: يَسْتَبْشِرُونَ وَاللَّهِ فِي الْجَنَّةِ بِمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ مِمَّا هُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ.

٢٣٧٨. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٩]: فِيمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[١٠]: يَا عِبَادَ اللَّهِ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ لَا يُغْفَرُ لَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ، الْقَبْرُ فَاحْذَرُوا ضِيقَهُ وَضَنْكَهُ وَظُلْمَتَهُ وَغُرْبَتَهُ، إِنَّ الْقَبْرَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ، أَنَا بَيْتُ التُّرَابِ، أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ، أَنَا بَيْتُ الدُّودِ وَالْهَوَامِّ[١١]؛ وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ، إِنَّ

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ١٩؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٨٦.

٢. هود/١٠٥-١٠٧.

٣. في المصدر: «وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ إنّما هو في الدنيا، فإذا قامت القيامة».

٤. غافر/٤٦.

٥. مريم/٦٢.

٦. المؤمنون/١٠٠.

٧. في المصدر والبرهان: «فيه الثواب».

٨. آل عمران/١٦٩ و ١٧٠.

٩. الأمالي (للطوسي)، ص ٢٨، ح ٣١؛ الغارات، ج ١، ص ٢٣٩؛ الكافي، ج ٣، باب ما ينطق به موضع القبر، ص ٢٤١، ح ١؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

١٠. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١١. الهوامّ: حشرات الأرض، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا دُفِنَ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ أُحِبُّ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِي، فَإِذَا وُلِّيتُكَ[١] فَسَتَعْلَمُ كَيْفَ صَنِيعِي بِكَ، فَيُتَّسَعُ لَهُ مَدَّ الْبَصَرِ؛ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا دُفِنَ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: لَا مَرْحَباً بِكَ وَلَا أَهْلاً، لَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَبْغَضِ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي، فَإِذَا وُلِّيتُكَ فَسَتَعْلَمُ كَيْفَ صَنِيعِي بِكَ، فَتَضُمُّهُ حَتَّى تَلْتَقِيَ أَضْلَاعُهُ؛ وَإِنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهَا عَدُوَّهُ عَذَابُ الْقَبْرِ، إِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّيناً[٢] فَيَنْهَشْنَ[٣] لَحْمَهُ، وَيَكْسِرْنَ عَظْمَهُ، يَتَرَدَّدْنَ عَلَيْهِ كَذٰلِكَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ؛ لَوْ أَنَّ تِنِّيناً مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ لَمْ تُنْبِتْ[٤] زَرْعاً[٥].

يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْفُسَكُمُ الضَّعِيفَةَ وَأَجْسَادَكُمُ النَّاعِمَةَ الرَّقِيقَةَ الَّتِي يَكْفِيهَا الْيَسِيرُ تَضْعُفُ عَنْ هٰذَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَجْزَعُوا لِأَجْسَادِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ بِمَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ وَلَا صَبْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ فَاعْمَلُوا بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ وَاتْرُكُوا مَا كَرِهَ اللَّهُ.

بيان:

قوله عليه السلام: «تسعة وتسعين تنّيناً» قال الشيخ البهائي «رحمه اللّه»: قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن يتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والريا والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الرديّة، فإنّها تنشعب وتتنوّع أنواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة[٦]. انتهى كلامه.

ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهريّ إقناعيّ، محصّله أنّه قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ[٧]: أَنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. ومعنى إحصائها الإذعان باتّصافه عزّ وعلا، بكلّ منها. وَرَوَى الصَّادِقُ عليه السلام عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ[٨]: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ[٩] رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ.

فتبيّن من الحديث الأوّل، أنّه سبحانه بيّن لعباده معالم معرفته بهذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن

---

١. الولى: القرب والدنو، أو من ولى أمراً: قام به، راجع لسان العرب.

٢. التنين كسكين: الحية العظيمة، راجع مجمع البحرين.

٣. نهشه: عضّه أو أخذه بأضراسه، راجع القاموس المحيط.

٤. **نقول:** الذى ظهر لنا من ملاحظة الروايات أن عذاب القبر وضيقه وسعته وضغطه إنما هو بالنسبة إلى الروح في الجسد البرزخي لا في الجسم المادي العنصري الذي يصير ترابا بعد زمان.

٥. في المصدر مع زيادة: «أبداً».

٦. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٤٠.

٧. التوحيد (للصدوق)، ص ١٩٥، ح ٩.

٨. الطرائف، ج ٢، ص ٣٢٢.

٩. الظاهر صحيحه: «تسعا وتسعين» وكذا في البيان.

الحديث الثاني، أنّ لهم عنده في النشأة الأُخرويّة تسعةً وتسعين رحمة، وحيث إنّ الكافر لم يعرف اللّه سبحانه بشيء من تلك الأسماء جعل له في مقابل كلّ اسم رحمة، تنّين ينهشه في قبره. هذا حاصل كلامه وهو كما ترى.

٢٣٧٩. علل الشرائع، الأمالي للصدوق[١]: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الشُّقَيْرِ الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ بُزُرْجَ الْخَيَّاطِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْيَسَعِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْيَسَعِ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَدْ مَاتَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَامَ أَصْحَابُهُ مَعَهُ، فَأَمَرَ بِغُسْلِ سَعْدٍ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى عِضَادَةِ الْبَابِ[٣]، فَلَمَّا أَنْ حُنِّطَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ، تَبِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِلَا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ، ثُمَّ كَانَ يَأْخُذُ يَمْنَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً وَيَسْرَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى الْقَبْرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى لَحَّدَهُ وَسَوَّى اللَّبِنَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: نَاوِلُونِي حَجَراً، نَاوِلُونِي تُرَاباً رَطْباً يَسُدُّ بِهِ مَا بَيْنَ اللَّبِنِ. فَلَمَّا أَنْ فَرَغَ وَحَثَا التُّرَابَ عَلَيْهِ وَسَوَّى قَبْرَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْلَى وَيَصِلُ الْبِلَى إِلَيْهِ، وَلٰكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْداً إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَحْكَمَهُ، فَلَمَّا أَنْ سَوَّى التُّرْبَةَ عَلَيْهِ قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: يَا سَعْدُ هَنِيئاً لَكَ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا أُمَّ سَعْدٍ مَهْ، لَا تَجْزِمِي عَلَى رَبِّكِ فَإِنَّ سَعْداً قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ.

قَالَ: فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَرَجَعَ النَّاسُ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ عَلَى سَعْدٍ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ عَلَى أَحَدٍ، إِنَّكَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ بِلَا رِدَاءٍ وَلَا حِذَاءٍ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ بِلَا رِدَاءٍ وَلَا حِذَاءٍ فَتَأَسَّيْتُ بِهَا، قَالُوا: وَكُنْتَ تَأْخُذُ يَمْنَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً، وَيَسْرَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً، قَالَ: كَانَتْ يَدِي فِي يَدِ جَبْرَئِيلَ آخُذُ حَيْثُ يَأْخُذُ. قَالُوا: أَمَرْتَ بِغُسْلِهِ وَصَلَّيْتَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَلَحَّدْتَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ قُلْتَ: إِنَّ سَعْداً قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ! قَالَ: فَقَالَ صلى الله عليه وآله: نَعَمْ إِنَّهُ كَانَ فِي خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِهِ سُوءٌ.

٢٣٨٠. الأمالي للصدوق[٤]: الْعَطَّارُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنِ التَّفْلِيسِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الصَّادِقِ[٥]، عَنْ آبائه عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَرَّ عِيسَى ابْنُ مريم عليهما السلام بِقَبْرٍ يُعَذَّبُ صَاحِبُهُ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنْ قَابِلٍ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ يُعَذَّبُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَرَرْتُ بِهٰذَا الْقَبْرِ عَامَ أَوَّلَ فَكَانَ صَاحِبُهُ يُعَذَّبُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِهِ الْعَامَ

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٩، ح ٤؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٣٨٤، ح ٢؛ الأمالي (للطوسي)، ص ٤٢٧، ح ٩٥٥.

٢. في المصدرين والأمالي: «عمرو بن اليسع، عن عبد اللّه بن سنان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. عضادة الباب: ناحيته، راجع جمهرة اللغة.

٤. الأمالي (للصدوق)، ص ٥١٢، ح ٨؛ الكافي، ج ٦، باب فضل الولد، ص ٣، ح ١٢؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٢٩.

٥. في الكافي بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن البرقي، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

فَإِذَا هُوَ لَيْسَ يُعَذَّبُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا رُوحَ اللَّهِ إِنَّهُ أَدْرَكَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ، فَأَصْلَحَ طَرِيقاً وَآوَى يَتِيماً فَغَفَرْتُ لَهُ بِمَا عَمِلَ ابْنُهُ.

٢٣٨١. ثواب الأعمال، الأمالي للصدوق[١]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام[٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ضَغْطَةُ الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِ كَفَّارَةٌ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَضْيِيعِ النِّعَمِ.

٢٣٨٢. الأمالي للصدوق[٣]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ وَالْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ مَعاً، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام[٤] قَالَ: مَنْ مَاتَ مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ[٥].

٢٣٨٣. علل الشرائع[٦]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ السِّنْدِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] قَالَ: أُقْعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْأَخْيَارِ[٨] فِي قَبْرِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّا جَالِدُوكَ مِائَةَ جَلْدَةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا أُطِيقُهَا، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ[٩] حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى جَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالُوا: لَيْسَ مِنْهَا بُدٌّ، قَالَ: فَبِمَا تَجْلِدُونِيهَا؟ قَالُوا: نَجْلِدُكَ لِأَنَّكَ صَلَّيْتَ يَوْماً بِغَيْرِ وُضُوءٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى ضَعِيفٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ؛ قَالَ: فَجَلَدُوهُ جَلْدَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ نَاراً.

٢٣٨٤. كتاب حسين بن سعيد[١٠]: فَضَالَةُ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ بَشِيرٍ النَّبَّالِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: خَاطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَبْرَ سَعْدٍ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ وَاخْتَلَجَ[١١] بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ خَاطَبْتَ وَاخْتَلَجَ بَيْنَ كَتِفَيْكَ وَقُلْتَ: سَعْدٌ يُفْعَلُ بِهِ هٰذَا! فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ضَمَّةٌ[١٢].

---

١. ثواب الأعمال، ص ١٩٧؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٥٤٠، ح ٢؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٩، ح ٣.

٢. في العلل بهذا الإسناد: «أبي، عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٨١، ح ١١؛ ثواب الأعمال، ص ١٩٤؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٣٣١.

٤. في ثواب الأعمال بهذا الإسناد: «أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعري، عن علي بن إسماعيل، عن حمّاد، عن حريز، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٥. **نقول:** لعل الاختلاف الوارد في الروايات بالنسبة إلى الأمن من عذاب القبر إنما هو باختلاف الأشخاص وأزمان الموت.

٦. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٩، ح ١؛ المحاسن، ج ١، ص ٧٨، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب فيمن ترك الوضوء، ص ٥٨، ح ١٣٠.

٧. في المحاسن بهذا الإسناد: «البرقي، عن محمد بن حسّان، عن محمد بن علي، عن ابن أبي نجران، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبداللّه عليه السلام».

٨. في المصدر والمحاسن والفقيه: «الأحبار».

٩. في المصدر: «لم يفعلوا».

١٠. الزهد، ص ٨٨، ح ٢٣٥.

١١. إختلج: إذا اضطرب وتحرك، راجع لسان العرب.

١٢. **نقول:** لعل عموم الضغط في القبر حتى للمؤمن إنما هو بالنسبة إلى أول ما يدخل القبر مثل ما يكون عند ولادة الطفل عن رحم أُمّه من دون فرق بين الناس، ثم بعد ذلك يكون الفرق بين المؤمن والكافر.

٢٣٨٥. كتاب حسين بن سعيد[١]: عَلِيُّ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢] عَمَّا يَلْقَى صَاحِبُ الْقَبْرِ، فَقَالَ: إِنَّ مَلَكَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَأْتِيَانِ صَاحِبَ الْقَبْرِ فَيَسْأَلَانِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَيَقُولَانِ: مَا تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولَانِ: الَّذِي كَانَ يَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، أَ حَقٌّ ذٰلِكَ؟ قَالَ: فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ قَالَ: مَا أَدْرِي؟ قَدْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَلَسْتُ أَدْرِي أَ حَقٌّ ذٰلِكَ أَمْ كَذِبٌ؟ فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا الْمُشْرِكِينَ. وَإِذَا كَانَ مُتَيَقِّناً فَإِنَّهُ لَا يَفْزَعُ فَيَقُولُ: أَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَسْأَلَانِي؟ فَيَقُولَانِ: أَ تَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً، جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. قَالَ: فَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُفْسَحُ لَهُ عَنْ قَبْرِهِ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: نَمْ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلُمٌ[٣] فِي أَطْيَبِ مَا يَكُونُ النَّائِمُ.

٢٣٨٦. علل الشرائع[٤]: عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ مِنَ النَّمِيمَةِ وَالْبَوْلِ وَعَزَبِ الرَّجُلِ[٥] عَنْ أَهْلِهِ[٦].

٢٣٨٧. الأمالي للصدوق[٧]: عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ النَّحْوِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُقْبِلٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى قَبْرِهِ، فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيُقْعِدَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي[٨]، فَيَفْسَحَانِ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيَانِهِ بِالطَّعَامِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُدْخِلَانِ عَلَيْهِ الرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يَعْنِي فِي قَبْرِهِ، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٩] يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِذَا مَاتَ الْكَافِرُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الزَّبَانِيَةِ[١٠] إِلَى قَبْرِهِ، وَإِنَّهُ لَيُنَاشِدُ حَامِلِيهِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ

---

١. الزهد، ص ٨٨، ح ٢٣٦؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٧، ح ١٩؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٥٧٣٥؛ وفي الأخيرين مع اختلاف العبارات.

٢. في تفسير العياشي والبرهان بهذا الإسناد: «محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام».

٣. الحُلُم: الرؤيا، راجع لسان العرب.

٤. علل الشرائع، ج ١، ص ٣٠٩، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٣٩، ح ٨٩٤.

٥. عزب عنه: ذهب وغاب، راجع لسان العرب.

٦. **نقول:** يظهر من الروايات أنهم كانوا لا يبالون بإصابة البول من أجسادهم في أول الأمر، مع أنه من النجاسات الواضحة ويوجب بطلان الصلاة، فشُدّد الأمر عليهم حتى يجتنبوا عنه، ومن المعلوم أن عذاب القبر لا ينحصر بهذه الثلاثة ولكنها من أهم ما يوجبه.

٧. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٩٠، ح ١٢؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٢٩٧؛ جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٦.

٨. في جامع الأخبار مع زيادة: «وعلي إمامي».

٩. الواقعة/٨٨ و٨٩.

١٠. الزبانية عند العرب: الشُّرَط، وسمّي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهلَ النار إليها، راجع الصحاح.

إِلَّا الثَّقَلَانِ[١] وَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقُولُ: ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ، فَتُجِيبُهُ الزَّبَانِيَةُ: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ أَنْتَ قَائِلُهَا، وَيُنَادِيهِمْ مَلَكٌ: لَوْ رُدَّ لَعَادَ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ، فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ وَفَارَقَهُ النَّاسُ، أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فِي أَهْوَلِ صُورَةٍ فَيُقِيمَانِهِ ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَتَلَجْلَجُ لِسَانُهُ[٢] وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْجَوَابِ، فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ[٣] يُذْعَرُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا هَدَيْتَ وَلَا أَفْلَحْتَ. ثُمَّ يَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ وَيُنْزِلَانِ إِلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ مِنْ جَهَنَّمَ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يَعْنِي فِي الْقَبْرِ، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٤] يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ.

٢٣٨٨. الأمالي للصدوق[٥]: الْقَطَّانُ، عَنِ السُّكَّرِيِّ، عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: مَنْ أَنْكَرَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَلَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا: الْمِعْرَاجَ، وَالْمُسَاءَلَةَ فِي الْقَبْرِ، وَالشَّفَاعَةَ.

٢٣٨٩. الأمالي للصدوق[٦]: أَبِي، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ[٧]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» يَعِظُ النَّاسَ وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي أَعْمَالِ الْآخِرَةِ بِهٰذَا الْكَلَامِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَحُفِظَ عَنْهُ وَكُتِبَ، كَانَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، فَ ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٨]، وَيْحَكَ ابْنَ آدَمَ الْغَافِلَ! وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ! ابْنَ آدَمَ إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكَ، قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ حَثِيثاً[٩] يَطْلُبُكَ، وَيُوشِكُ أَنْ يُدْرِكَكَ، وَكَأَنْ قَدْ أَوْفَيْتَ أَجَلَكَ، وَقَبَضَ الْمَلَكُ رُوحَكَ، وَصِرْتَ إِلَى مَنْزِلٍ[١٠] وَحِيداً فَرَدَّ إِلَيْكَ فِيهِ رُوحَكَ، وَاقْتَحَمَ[١١] عَلَيْكَ فِيهِ مَلَكَاكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ لِمُسَاءَلَتِكَ وَشَدِيدِ امْتِحَانِكَ.

---

١. في الروضة: «إلا الثقلان الجن والإنس».

٢. اللَّجْلَجة: ثقل اللسان والتردد في الكلام، راجع لسان العرب.

٣. في الروضة: «من عذاب أليم».

٤. الواقعة/٩٢ـ٩٤.

٥. الأمالي (للصدوق)، ص ٢٩٤، ح ٥؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٥٠١؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣١٨، ح ١.

٦. الأمالي (للصدوق)، ص ٥٠٣، ح ١؛ الكافي، ج ٨، ص ٧٢، ح ٢٩ (خطبة علي بن الحسين عليهما السلام)؛ تحف العقول، ص ٢٤٩.

٧. في الكافي: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه جميعا، عن الحسن بن محبوب، ...».

٨. آل عمران/٣٠.

٩. ولّى حثيثا: مسرعا حريصا، راجع لسان العرب.

١٠. في التحف والكافي: «صرت إلى قبرك».

١١. اقتحم الأمر: دخل فيه، راجع شمس العلوم؛ واقتحم عليك أي ورد عليك فجئة وبلا إذن منك.

أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَسْأَلَانِكَ عَنْ رَبِّكَ الَّذِي كُنْتَ تَعْبُدُهُ، وَعَنْ نَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكَ، وَعَنْ دِينِكَ الَّذِي كُنْتَ تَدِينُ بِهِ، وَعَنْ كِتَابِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتْلُوهُ، وَعَنْ إِمَامِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ[١]؟ وَمَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَا أَتْلَفْتَهُ؟ فَخُذْ حِذْرَكَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَأَعِدْ لِلْجَوَابِ قَبْلَ الِامْتِحَانِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالِاخْتِبَارِ، فَإِنْ تَكُ مُؤْمِناً تَقِيّاً، عَارِفاً بِدِينِكَ، مُتَّبِعاً لِلصَّادِقِينَ، مُوَالِياً لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَقَّاكَ اللَّهُ حُجَّتَكَ، وَأَنْطَقَ لِسَانَكَ بِالصَّوَابِ، فَأَحْسَنْتَ الْجَوَابَ، فَبُشِّرْتَ بِالْجَنَّةِ وَالرِّضْوَانِ مِنَ اللَّهِ، وَالْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ، وَاسْتَقْبَلَتْكَ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذٰلِكَ تَلَجْلَجَ لِسَانُكَ، وَدَحَضَتْ حُجَّتُكَ[٢]، وَعَمِيتَ عَنِ الْجَوَابِ، وَبُشِّرْتَ بِالنَّارِ، وَاسْتَقْبَلَتْكَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ.

أقول:

تمامه في أبواب المواعظ[٣].

٢٣٩٠. تفسير القمّيّ[٤]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مُنْكَرٌ فَفَزِعَ مِنْهُ يَسْأَلُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَيَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِناً قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ بِالْحَقِّ، فَيُقَالُ لَهُ: ارْقُدْ رَقْدَةً[٥] لَا حُلُمَ فِيهَا، وَيَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَإِذَا كَانَ كَافِراً قَالَ: مَا أَدْرِي، فَيُضْرَبُ ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَسُلِّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ عَيْنَانِ مِنْ نُحَاسٍ أَوْ نَارٍ[٦] كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا أَخُوكَ، وَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ الْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ، وَيُظْلَمُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، ثُمَّ يَضْغَطُهُ ضَغْطَةً يَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ بِأَصَابِعِهِ[٧] فَشَرَجَهَا.

بيان:

«ثمّ قال بأصابعه» القول هنا بمعنى الفعل، أي أدخل أصابعه بعضها في بعض لتوضيح اختلاف الأضلاع، أي تدخل أضلاعه من جانب في أضلاعه من جانب آخر. وقوله عليه السلام: «شرجها»، في أكثر النسخ بالجيم، قال

---

١. في التحف والكافي: «أنفقته».

٢. دحضت حجته: بطلت، راجع لسان العرب.

٣. بحار الأنوار، كتاب الروضة، أبواب المواعظ والحكم، باب وصايا علي بن الحسين عليهما السلام ومواعظه وحكمه.

٤. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٤٣؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ٩٩؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٨١، ح ٨١٨٠.

٥. الرقدة: النومة، راجع لسان العرب.

٦. في المصدر والبرهان: «نار يلمعان»، وفي الصافي: «تلمعان».

٧. في المصدر: «ثم نال بأصابعه».

الفيروزآباديّ: الشَرْج: الفِرقة، والمَزْج والجمع ونضْد اللبن، والتشريج: الخياطة المتباعدة، وتشرّج اللحمُ بالشحم: تداخل. انتهى. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة أي أوضح وبيّن اختلاف الأضلاع.

٢٣٩١. تفسير القمّيّ[١]: أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»[٢] قَالَ: إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ[٣] وَوَلَدُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَلْتَفِتُ إِلَى مَالِهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ لَحَرِيصاً شَحِيحاً، فَمَا لِي عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: خُذْ مِنِّي كَفَنَكَ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى وَلَدِهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَكُمْ لَمُحِبّاً، وَإِنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمُحَامِياً، فَمَاذَا لِي عِنْدَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نُؤَدِّيكَ إِلَى حُفْرَتِكَ وَنُوَارِيكَ[٤] فِيهَا، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى عَمَلِهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِيكَ لَزَاهِداً، وَإِنَّكَ كُنْتَ عَلَيَّ لَثَقِيلاً، فَمَاذَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ، وَيَوْمِ حَشْرِكَ[٥] حَتَّى أُعْرَضَ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى رَبِّكَ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَلِيّاً أَتَاهُ أَطْيَبَ النَّاسِ رِيحاً، وَأَحْسَنَهُمْ مَنْظَراً، وَأَزْيَنَهُمْ رِيَاشاً، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِرَوْحٍ مِنَ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ، قَدْ قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، ارْتَحِلْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ، وَيُنَاشِدُ حَامِلَهُ أَنْ يُعَجِّلَهُ[٦]، فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ وَهُمَا فَتَّانَا الْقَبْرِ، يَجُرَّانِ أَشْعَارَهُمَا، وَيَبْحَثَانِ[٧] الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا[٨]، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، فَيَقُولَانِ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ فِيمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الْآيَةَ[٩]، فَيَفْسَحَانِ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٩؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٧، ح ٢٠؛ الكافي، ج ٣، باب أن الميت يمثّل له، ص ٢٣١، ح ١.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن البزنطي والحسن بن علي جميعا، عن مفضّل بن صالح، عن جابر بن عبد الأعلى؛ وعلي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن إبراهيم، عن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام».

٣. في نسخة: مثّل له أهله وما له ... . (هامش المطبوع)

٤. واريت الشيء: إذا سترته وأخفيته، راجع مجمع البحرين.

٥. في تفسير العياشي والكافي: «يوم نشرك».

٦. قال المصنف «قدس سره» في مرآة العقول [ج ١٤، ص ١٩٩]: قوله عليه السلام: «ارتحل» بصيغة الأمر، وفي قوله عليه السلام: «و إنه ليعرف غاسله» فعل مقدر يدلّ عليه السياق، و«الواو» حالية، والتقدير: فيرتحل والحال أنه ليعرف غاسله؛ ويحتمل أن تكون عاطفة على «أتاه» فلا تقدير. «ويناشد حامله» في الصحاح: نشدت فلاناً أنشده نشداً إذا قلت له: نشدتك اللّه، أي سألتك باللّه، وملكا القبر: مبشّر وبشير. (هامش المطبوع)

٧. في المصدر: «ينحتان».

٨. في الكافي: «أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض بأقدامهما».

٩. إبراهيم/٢٧.

الْجَنَّةِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَوْمَ الشَّابِّ النَّاعِمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[١].

وَإِذَا كَانَ لِرَبِّهِ عَدُوّاً فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ أَقْبَحَ خَلْقِ اللَّهِ رِيَاشاً[٢]، وَأَنْتَنَهُ رِيحاً، فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ[٣] بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ، وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ؛ وَإِنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ، وَيُنَاشِدُ حَامِلَهُ أَنْ يَحْبِسَهُ، فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَيَاهُ مُمْتَحِنَا[٤] الْقَبْرِ فَأَلْقَيَا عَنْهُ أَكْفَانَهُ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دَرَيْتَ وَلَا هَدَيْتَ، فَيَضْرِبَانِهِ[٥] بِمِرْزَبَةٍ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ دَابَّةً إِلَّا وَتُذْعَرُ[٦] لَهَا مَا خَلَا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ يَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: نَمْ بِشَرِّ حَالٍ. فَهُوَ مِنَ الضَّيْقِ مِثْلُ مَا فِيهِ الْقَنَا مِنَ الزُّجِّ حَتَّى إِنَّ دِمَاغَهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ظُفُرِهِ وَلَحْمِهِ، وَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ حَيَّاتِ الْأَرْضِ وَعَقَارِبَهَا وَهَوَامَّهَا فَتَنْهَشُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَمَنَّى قِيَامَ السَّاعَةِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ.

٢٣٩٢. الكافي[٧]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ جَمِيعاً، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى؛ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ مِثْلَهُ؛ وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَقَالَ جَابِرٌ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنِّي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَأَنَا أَرْعَاهَا ـ وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ[٨] ـ وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَهِيَ مُتَمَكِّنَةٌ فِي الْمَكِينَةِ مَا حَوْلَهَا شَيْءٌ يُهَيِّجُهَا حَتَّى تُذْعَرَ فَتَطِيرَ، فَأَقُولُ: مَا هٰذَا؟ وَأَعْجَبُ، حَتَّى حَدَّثَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام أَنَّ الْكَافِرَ يُضْرَبُ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا سَمِعَهَا وَيُذْعَرُ لَهَا إِلَّا الثَّقَلَيْنِ؛ فَقُلْنَا: ذٰلِكَ لِضَرْبَةِ الْكَافِرِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

بيان:

قوله عليه السلام: «مثّل له» أي صوّر له كلّ من الثلاثة بصورة مثاليّة يخاطبها وتخاطبه؛ ويجوز أن يراد بالتمثّل

---

١. الفرقان/٢٤.

٢. في الكافي: «أقبح مَن خلق اللّه زيّاً ورُؤيَا».

٣. في المصدر: «فيقول له: من أنت؟ فيقول له: أنا عملك أبشر».

٤. في المصدر: «مفتحيا».

٥. في تفسير العياشي والكافي: «فيضربان يافوخه».

٦. الذعر: الخوف والفزع، راجع لسان العرب.

٧. في الكافي، ج ٣، باب أن الميت يمثّل له ماله، ص ٢٣٣، ذيل ح ١؛ وفي تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢١، مع اختلاف يسير؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٣٥٩.

٨. **نقول:** لا يبعد أن يكون هذا حكما غالبيا، والوجه فيه ظاهر لأن رعي الغنم يستلزم الصبر على مشكلاتها والمعرفة بطرق هدايتها إلى ما هو مصالحها، وهذا يوجب مزيد بصيرة في هداية الجاهلين المتعصبين إلى ما هو مصلحة لدنياهم وآخرتهم.

خطور هذه الثلاثة بالبال وحضور صورها في الخيال، وحينئذ يكون المخاطبة بلسان الحال لا بلسان المقال. و«الشحّ»: البخل مع الحرص، والزهد في الشيء: ضدّ الرغبة فيه. و«الرياش»: اللباس الفاخر، وقال الجزريّ: فيه: تفتنون في القبور. يريد مساءلة منكر ونكير من فتنة الامتحان والاختبار.

قوله عليه السلام: «يخدّان الأرض»[١] أي يشقّانها. و«القاصف»: الشديد الصوت. قوله عليه السلام: «وهو قول اللّه» الضمير عائد إلى قول الملكين: «ثبّتك اللّه»، والمضاف محذوف، والتقدير: هو مدلول قول اللّه عزّ وجلّ. وقيل: هو عائد إلى تثبيت المؤمن على ما يجيب به الملكين، **كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٢] أَنَّهُ ذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: ثُمَّ يُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾**[٣].

و«الفسحة» بالضمّ السعة، والمراد بمدّ البصر مداه وغايته التي ينتهي إليها. و«قرّة العين»: برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه، والقرّة بالضمّ: ضدّ الحرّ، والعرب تزعم أنّ دمع الباكي من شدّة السرور بارد، ودمع الباكي من الحزن حارّ، فقرّة العين كناية عن الفرح والسرور. و«الناعم» من النعمة بالكسر: وهو ما يتنعّم به من المال ونحوه، أو بالفتح: وهي نفس التنعّم، ولعلّ الثاني أولى.

قوله تعالى: **﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾** المراد اليوم المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾**[٤]، وهذا الحديث يدلّ على أنّ المراد بذلك اليوم يوم الموت، وبالملائكة ملائكة الموت، وهو قول كثير من المفسّرين، وفسّر بعضهم ذلك اليوم بيوم القيامة، والملائكة بملائكة النار، والمراد بـ«المستقرّ» المكان الذي يستقرّ فيه، وبـ«المقيل» مكان الاستراحة، مأخوذ من مكان القيلولة؛ قال الشيخ البهائي «رحمه اللّه»: ويحتمل أن يراد بأحدهما الزمان أي إنّ مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيّل من الأمكنة والأزمان؛ ويحتمل المصدريّة فيهما، أو في أحدهما[٥].

«أبشر بنزل من حميم» البشارة هنا على سبيل التهكّم[٦]، و«النزل» بضمّتين: ما يعدّ للضيف النازل على

---

١. لم يرد في تفسير القمي: «يخدّان الأرض»، ولكن هذه العبارة موجودة في الكافي التي أشرنا إليه سابقا.

٢. مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٨٧.

٣. إبراهيم/٢٧.

٤. الفرقان/٢٢-٢٤.

٥. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٣٧.

٦. التهكم: الاستهزاء، راجع لسان العرب.

الإنسان من الطعام والشراب، وفيه تهكّم أيضاً. و«الحميم»: الماء الشديدة الحرارة، يسقى منه أهل النار، أو يصبّ على أبدانهم، والأنسب بالنزل السقي. و«التصلية»: التلويح على النار. «أتاه ممتحنا القبر» إضافة اسم الفاعل إمّا إلى معموله على حذف المضاف أي ممتحنا صاحب القبر، أو إلى غير معموله كمصارع مصر وهذا أولى، وتخصيص إلقاء الأكفان بعدوّ اللّه ظاهر لما فيه من الشناعة المناسبة لحاله. و«اليافوخ»[١]: هو الموضع الذي يتحرّك من رأس الطفل إذا كان قريب عهد بالولادة. و«المرزبة» بالراء المهملة والزاء المعجمة والباء الموحّدة: عصاة من حديد. و«القنا»: جمع قناة وهي الرمح. و«الزجّ»: الحديدة التي في أسفل الرمح.

٢٣٩٣. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٢]: الْحَفَّارُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ الدِّعْبِلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَخِي دِعْبِلٍ، عَنْ شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْيَدٍ[٣]، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ[٤]، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٥] قَالَ: فِي الْقَبْرِ إِذَا سُئِلَ الْمَوْتَى.

أقول:

سيأتي في باب الدفن[٦] في خَبَرِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أَنَّهُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله[٧]: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَمِعَتْ فَاطِمَةُ تَصْفِيقَ[٨] يَمِينِي عَلَى شِمَالِي.

٢٣٩٤. تفسير القمّيّ[٩]: فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾[١٠] يَعْنِي أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، سَبَقَ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ بِمِثْلِ الدُّنْيَا، وَأَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ إِلَى النَّارِ بِمِثْلِ ذٰلِكَ.

٢٣٩٥. تفسير الإمام عليه السلام[١١]: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: مَنْ قَوَّى مِسْكِيناً فِي دِينِهِ، ضَعِيفاً فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى نَاصِبٍ مُخَالِفٍ فَأَفْحَمَهُ لَقَّنَهُ اللَّهُ يَوْمَ يُدْلَى فِي قَبْرِهِ[١٢] أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَعَلِيٌّ وَلِيِّي، وَالْكَعْبَةُ قِبْلَتِي،

---

١. لم يرد في تفسير القمي: «اليافوخ»، وهي مأخوذة من الكافي وقد أشرنا إليه في موضعه.

٢. الأمالي (للطوسي)، ص ٣٧٧، ح ٨٠٧؛ متشابه القرآن (لابن شهرآشوب)، ج ٢، ص ٩٩؛ وفي تأويل الآيات الظاهرة، ص ٢٤٧، بمضمونه.

٣. في المصدر: «علقمة بن مرثد».

٤. في المتشابه بهذا الإسناد: «قال ابن عباس وقتادة».

٥. إبراهيم/٢٧.

٦. بحار الأنوار، كتاب الطهارة، أبواب الجنائز، باب التكفين وآدابه وأحكامه.

٧. في الأمالي (للصدوق)، ص ٣١٤، ضمن ح ١٤.

٨. التصفيق: التصفيح، وهو ضرب اليدين بعضهما ببعض، راجع شمس العلوم.

٩. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٣؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٧٩؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٥٧٥، ح ١١٣٥٨.

١٠. النازعات/٤.

١١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٣٤٦، ح ٢٢٨؛ الإحتجاج (للطبرسي)، ج ١، ص ١٨؛ الصراط المستقيم، ج ٣، ص ٥٧.

١٢. أدليتُ الدلو: إذا أرسلتها في البئر، راجع لسان العرب.

وَالْقُرْآنُ بَهْجَتِي[١] وَعُدَّتِي، وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَانِي، وَالْمُؤْمِنَاتُ أَخَوَاتِي[٢]، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَدْلَيْتَ بِالْحُجَّةِ[٣] فَوَجَبَتْ لَكَ أَعَالِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَحَوَّلُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ أَنْزَهَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

٢٣٩٦. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٤]: الْمُفِيدُ، عَنِ ابْنِ قُولَوَيْهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٥] فَقَالَ: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ: فِي حَوَاصِلِ[٦] طُيُورٍ خُضْرٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ، إِذَا كَانَ ذٰلِكَ أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام وَمَعَهُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُقَرَّبُونَ، فَإِنْ أَنْطَقَ اللَّهُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَلِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ، وَالْوَلَايَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعَهُمْ؛ وَإِنِ اعْتُقِلَ لِسَانُهُ[٧] خَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله بِعِلْمِ مَا فِي قَلْبِهِ[٨] مِنْ ذٰلِكَ فَشَهِدَ بِهِ، وَشَهِدَ عَلَى شَهَادَةِ النَّبِيِّ، عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ «عَلَى جَمَاعَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ السَّلَامِ»، وَمَنْ حَضَرَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِذَا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ صَيَّرَ تِلْكَ الرُّوحَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي صُورَةٍ كَصُورَتِهِ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ عَرَفَهُمْ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا.

٢٣٩٧. الأمالي للصدوق[٩]: ابْنُ سَعِيدٍ الْهَاشِمِيُّ، عَنْ فُرَاتٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّامِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَرِيرٍ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ غَنْمٍ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله مَرَّ عَلَى شَيْخٍ قَاعِدٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحَوْلَهُ أَطْفَالٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ هٰذَا الشَّيْخُ يَا جَبْرَئِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا أَبُوكَ

---

١. لم يرد في الصراط: «بهجتي».

٢. لم يرد في المصدر والإحتجاج والصراط: «والمؤمنات أخواتي».

٣. أدلى بحجّته: أحضرها واحتج بها، راجع لسان العرب.

٤. الأمالي (للطوسي)، ص ٤١٨، ح ٩٤٢؛ الزهد، ص ٨٩، ح ٢٤١؛ الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٥، ح ٦؛ وفي الأخيرين مع نقصان واختلاف يسير.

٥. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن محمد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، والزهد: «القاسم، عن الحسين بن حمّاد، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٦. الحَوصل والحوصلة من الطائر: بمنزلة المعدة من الإنسان، راجع لسان العرب.

٧. اعتقل لسانه: إذا لم يقدر على الكلام، راجع لسان العرب.

٨. في المصدر: «وإن اعتقل لسانه فإن نبيّه يعلم ما في قلبه».

٩. الأمالي (للصدوق)، ص ٤٥١، ح ٢؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٥٨؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٨٦، ح ٦٢٠٣؛ وفي هذه المصادر ضمن رواية.

إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. قَالَ: فَمَا هٰؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ حَوْلَهُ؟ قَالَ: هٰؤُلَاءِ أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ حَوْلَهُ يَغْذُوهُمْ[١].

٢٣٩٨. تفسير القمّيّ[٢]: أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَطْفَالَ شِيعَتِنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تُرَبِّيهِمْ فَاطِمَةُ عليها السلام.

٢٣٩٩. ثواب الأعمال[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ[٤]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْحُومٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً؛ قَالَ: فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ[٥].

بيان:

«أطلّ عليه»: أشرف، وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة.

٢٤٠٠. المحاسن[٦]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنِ ابْنِ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٧] قَالَ: مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أُعْتِقَ مِنَ النَّارِ[٨].

٢٤٠١. وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٩]: بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رُفِعَ عَنْهُ عَذَابُ الْقَبْرِ.

٢٤٠٢. بصائر الدرجات[١٠]: عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلَاءِ بْنِ يَحْيَى الْمَكْفُوفِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ عَطِيَّةَ الْأَبْزَارِيِّ[١١] قَالَ: طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا آدَمُ بِحِذَاءِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى الْحَجَرِ فَإِذَا نُوحٌ عليه السلام بِحِذَائِهِ رَجُلٌ طَوِيلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

---

١. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ١٩٩٩.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٣٢؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ١٧٨، ح ١٠١٦٥.

٣. ثواب الأعمال، ص ١٧٠؛ الكافي، ج ٢، باب الصبر، ص ٩٠، ح ٨؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٦.

٤. في الكافي: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، ...».

٥. **نقول:** الصبر والاستقامة هو الإكسير الأعظم، وهو أساس جميع العبادات وأداء الواجبات وترك المنهيات، وبدونه لا تدوم الإطاعة، ولا يكون دوام ترك المعصية، ولا يكون شكر عند المصيبة.

٦. المحاسن، ج ١، ص ٦٠، ح ١٠٠؛ الكافي، ج ٣، باب فضل يوم الجمعة، ص ٤١٥، ح ٨؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ١٨٠؛ وفي الأخيرين مع تقديم وتأخير.

٧. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن نعمان، عن عمر بن يزيد، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام».

٨. **نقول:** لا شك في أن الموت يوم الجمعة بعض أسباب النجاة لا كلّه، وهذا توفيق من اللّه لعباده الصالحين.

٩. في المحاسن، ج ١، ص ٦٠، ذيل ح ١٠٠؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب غسل الميت، ص ١٣٨، ح ٣٧١.

١٠. بصائر الدرجات، ص ٢٧٨، ح ١٣؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨١٩، ح ٣١؛ مختصر البصائر، ص ٣٠٩، ح ٣٢٥.

١١. في المختصر: «علا بن يحيى المكفوف، عن أبيه، عن محمد بن أبي زياد، عن عطيّة الأبزاري».

٢٤٠٣. المحاسن[١]: عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ جُلَّ[٢] عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ.

٢٤٠٤. منتخب البصائر، بصائر الدرجات[٣]: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى، عَنْ أَبِي الْفَضْلِ الْمَدِينِيِّ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ مِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام يَقُولُ[٤]: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ اسْمُهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، ثُمَّ عَنْ نَبِيِّهِ، ثُمَّ عَنْ وَلِيِّهِ، فَإِنْ أَجَابَ نَجَا، وَإِنْ عَجَزَ عَذَّبَاهُ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا لِمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ وَلَمْ يَعْرِفْ وَلِيَّهُ؟ فَقَالَ: مُذَبْذَبٌ[٥] لَا إِلَى هٰؤُلَاءِ، وَلَا إِلَى هٰؤُلَاءِ، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[٦]، ذٰلِكَ لَا سَبِيلَ لَهُ.

وَقَدْ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: مَنِ الْوَلِيُّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلِيُّكُمْ فِي هٰذَا الزَّمَانِ عَلِيٌّ، وَمِنْ بَعْدِهِ وَصِيُّهُ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ عَالِمٌ يَحْتَجُّ اللَّهُ بِهِ لِئَلَّا يَكُونَ كَمَا قَالَ الضُّلَّالُ قَبْلَهُمْ حِينَ فَارَقَتْهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ: ﴿رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾. تَمَامُ ضَلَالَتِهِمْ جَهَالَتُهُمْ بِالْآيَاتِ وَهُمُ الْأَوْصِيَاءُ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[٧] وَإِنَّمَا كَانَ تَرَبُّصُهُمْ أَنْ قَالُوا: نَحْنُ فِي سَعَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَوْصِيَاءِ حَتَّى نَعْرِفَ إِمَاماً، فَعَيَّرَهُمُ[٨] اللَّهُ بِذٰلِكَ، وَالْأَوْصِيَاءُ هُمْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ، وُقُوفٌ عَلَيْهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ لِأَنَّهُمْ عُرَفَاءُ اللَّهِ، عَرَّفَهُمْ عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَخْذِ الْمَوَاثِيقِ عَلَيْهِمْ، وَوَصَفَهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[٩]، هُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَالنَّبِيُّ الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ، أَخَذَ لَهُمْ مَوَاثِيقَ الْعِبَادِ بِالطَّاعَةِ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَلَيْهِمُ الْمَوَاثِيقَ بِالطَّاعَةِ، فَجَرَتْ نُبُوَّتُهُ عَلَيْهِمْ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٧٨، ح ٢؛ ثواب الأعمال، ص ٢٢٨؛ الدعوات (للراوندي)، ص ٢٨٠، ح ٨١٣.

٢. جلّ الشيء: معظمه، راجع لسان العرب.

٣. مختصر البصائر، ص ١٧٥، ح ١٥٣؛ بصائر الدرجات، ص ٤٨٩، ح ٩؛ وفي كشف المحجّة، ص ٢٧٠، بمضمونه.

٤. في كشف المحجّة بهذا الإسناد: «محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن وغيرهما، عن سهل بن زياد، عن العباس بن عمران، عن محمد بن القاسم بن الوليد الصيرفي، عن المفضّل، عن سنان بن طريف، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بهذه الخطبة إلى بعض أكابر أصحابه، وفيها كلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٥. المذبذب: المتردد والمتحير، راجع مقدمة الأدب.

٦. النساء/٨٨.

٧. طه/١٣٤ و ١٣٥.

٨. في المصدر: «فعرّفهم».

٩. الأعراف/٤٦.

بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيداً * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾[١].

٢٤٠٥. المحاسن[٢]: أَبِي، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ أَصْعَدَ اللَّهُ بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَضَى لَهُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ جَعَلَهُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ كُنُوزِ[٤] رَحْمَتِهِ، وَنُورِ عِزَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهَا الْمَوْتَ بَعَثَ بِهَا مَعَ أُمَنَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَبْدَانِ الَّتِي هِيَ فِيهَا[٥].

٢٤٠٦. المحاسن[٦]: ابْنُ فَضَّالٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٧] قَالَ: ذَكَرَ الْأَرْوَاحَ: أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَلْتَقُونَ. قُلْتُ: يَلْتَقُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَتَسَاءَلُونَ وَيَتَعَارَفُونَ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُ قُلْتَ: فُلَانٌ.

٢٤٠٧. المحاسن[٨]: ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْجَازِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٩]: أَيْنَ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُجُرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا، وَيَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَقِمْ لَنَا السَّاعَةَ لِتُنْجِزَ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا[١٠]. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ؟ فَقَالَ: فِي حُجُرَاتِ النَّارِ، يَأْكُلُونَ

---

١. النساء/٤١ و ٤٢.

٢. المحاسن، ج ١، ص ١٧٨، ح ١٦٣؛ الكافي، ج ٨، ص ٢١٣، ح ٢٥٩ (حديث فضل الشيعة)؛ الأمالي (للصدوق)، ص ٦٢٧، ح ٤؛ وفي الأخيرين ذيل رواية بمضمونه.

٣. في الكافي بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الأمالي: «محمد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن أبي عمير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. في المصدر والكافي والأمالي: «في كنوز رحمته».

٥. **نقول:** هناك جماعة يموتون في حال النوم أو الإغماء الذي هو شبيه النوم في كل عصر وزمان وإن كان عددهم قليلا بالنسبة إلى الذين يموتون في حال اليقظة؛ والرواية إشارة إلى ما ورد في الآية الشريفه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ الآية (زمر/٤٢).

٦. المحاسن، ج ١، ص ١٧٨، ح ١٦٤؛ وفي تهذيب الأحكام، ج ١، باب تلقين المحتضرين، ص ٤٦٦، ح ١٧٢، بمضمونه.

٧. في المصدر: «... حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي التهذيب بهذا الإسناد: «علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٨. المحاسن، ج ١، ص ١٧٨، ح ١٦٥؛ الزهد، ص ٨٩، ح ٢٣٩ و ٢٤٠؛ الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٤، ح ٤، وباب في أرواح الكفار، ص ٢٤٥، ح ٢؛ وفي الزهد والكافي مقطعا مع اختلاف يسير.

٩. في الزهد بهذا الإسناد: «ابن أبي عمير، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي، ح ٤: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام» وفي ح ٢: «عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن مثنى، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٠. في الزهد والكافي مع زيادة: «وألحق آخرنا بأوّلنا».

مِنْ طَعَامِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا، وَيَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا تُقِمْ لَنَا السَّاعَةَ لِتُنْجِزَ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا[١].

٢٤٠٨. المحاسن[٢]: ابْنُ أَبِي نَجْرَانَ وَالْبَزَنْطِيُّ مَعاً، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ[٣]: إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ دَخَلَ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ سِتَّةُ صُوَرٍ، فِيهِنَّ صُورَةٌ أَحْسَنُهُنَّ وَجْهاً، وَأَبْهَاهُنَّ[٤] هَيْئَةً، وَأَطْيَبُهُنَّ رِيحاً، وَأَنْظَفُهُنَّ صُورَةً؛ قَالَ عليه السلام: فَيَقِفُ صُورَةٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَأُخْرَى عَنْ يَسَارِهِ، وَأُخْرَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُخْرَى خَلْفَهُ، وَأُخْرَى عِنْدَ رِجْلِهِ، وَتَقِفُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُهُنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ، فَإِنْ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ مَنَعَتْهُ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ يُؤْتَى مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ، قَالَ: فَتَقُولُ أَحْسَنُهُنَّ صُورَةً: وَمَنْ أَنْتُمْ جَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْراً؟ فَتَقُولُ الَّتِي عَنْ يَمِينِ الْعَبْدِ: أَنَا الصَّلَاةُ، وَتَقُولُ الَّتِي عَنْ يَسَارِهِ: أَنَا الزَّكَاةُ، وَتَقُولُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ: أَنَا الصِّيَامُ، وَتَقُولُ الَّتِي خَلْفَهُ: أَنَا الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ، وَتَقُولُ الَّتِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: أَنَا بِرُّ مَنْ وَصَلْتِ مِنْ إِخْوَانِكِ؛ ثُمَّ يَقُلْنَ: مَنْ أَنْتِ؟ فَأَنْتِ أَحْسَنُنَا وَجْهاً، وَأَطْيَبُنَا رِيحاً، وَأَبْهَانَا هَيْئَةً، فَتَقُولُ: أَنَا الْوَلَايَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ».

٢٤٠٩. تفسير العيّاشيّ[٥]: عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام حَدَّثَنَا أَنَّ رَجُلاً أَتَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ فَقَالَ: حَدِّثْنِي؛ فَسَكَتَ عَنْهُ، ثُمَّ عَادَ فَسَكَتَ، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَيَتْلُو هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾[٦] فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، إِنَّا لَوْ وَجَدْنَا أَمِيناً لَحَدَّثْنَاهُ، وَلٰكِنْ أَعِدَّ[٧] لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِذَا أَتَيَاكَ فِي الْقَبْرِ فَسَأَلَاكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَإِنْ شَكَكْتَ أَوِ الْتَوَيْتَ ضَرَبَاكَ عَلَى رَأْسِكَ بِمِطْرَقَةٍ[٨] مَعَهُمَا تَصِيرُ مِنْهُ رَمَاداً، قَالَ: فَقُلْتُ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: تَعُودُ، ثُمَّ تُعَذَّبُ، قُلْتُ؟ وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟ قَالَ: هُمَا قَعِيدَا الْقَبْرِ، قُلْتُ: أَ مَلَكَانِ يُعَذِّبَانِ النَّاسَ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

٢٤١٠. تفسير الإمام عليه السلام[٩]: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

---

١. في الزهد والكافي مع زيادة: «ولا تلحق آخرنا بأوّلنا».

٢. المحاسن، ج ١، ص ٢٨٨، ح ٤٣٢؛ وفي شرح الأخبار، ج ٣، ص ٤٥٨، ح ١٣٤١، مع اختلاف يسير؛ وفي مصادقة الإخوان، ص ٦٤، ح ١، بمضمونه.

٣. في المصادقة بهذا الإسناد: «درست الواسطي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. الأُبَّهة: العظمة والبهاء، راجع لسان العرب.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٧١، ح ١٣٨؛ تفسير البرهان، ج ١، ص ٣٦٥، ح ٧٣٩.

٦. البقرة/١٥٩.

٧. أعدّه: هيأه، راجع القاموس المحيط.

٨. المطرقة بالكسر: ما يضرب به الحديد، راجع مجمع البحرين.

٩. في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢١٠، ح ٩٧ و٩٨، مقطعا؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٢٢.

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١] قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَالْيَهُودِ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي دَلَّكُمْ عَلَى طُرُقِ الْهُدَى، وَجَنَّبَكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ سُبُلَ الرَّدَى، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ فَأَحْيَاكُمْ، أَخْرَجَكُمْ أَحْيَاءاً ثُمَّ يُمِيتُكُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا وَيُقْبِرُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ فِي الْقُبُورِ، وَيُنْعِمُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام، وَيُعَذِّبُ فِيهَا الْكَافِرِينَ بِهِمَا، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ تَمُوتُوا فِي الْقُبُورِ بَعْدُ، ثُمَّ تُحْيَوْا لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تُرْجَعُونَ إِلَى مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَاتِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيهَا، وَمِنَ الْعِقَابِ عَلَى الْمَعَاصِي إِنْ كُنْتُمْ مُقَارِفِيهَا[٢].

فَقِيلَ لَهُ[٣]: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَفِي الْقُبُورِ نَعِيمٌ وَعَذَابٌ؟ قَالَ عليه السلام: إِي وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، وَجَعَلَهُ زَكِيّاً، هَادِياً، مَهْدِيّاً وَجَعَلَ أَخَاهُ عَلِيّاً بِالْعَهْدِ وَفِيّاً، وَبِالْحَقِّ مَلِيّاً وَلَدَى اللَّهِ مَرْضِيّاً، وَإِلَى الْجِهَادِ سَابِقاً، وَلِلَّهِ فِي أَحْوَالِهِ مُوَافِقاً، وَلِلْمَكَارِمِ حَائِزاً، وَبِنَصْرِ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ فَائِزاً، وَلِلْعُلُومِ حَاوِياً، وَلِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُوَالِياً، وَلِأَعْدَائِهِ مُنَاوِياً، وَبِالْخَيْرَاتِ نَاوِياً[٤]، وَلِلْقَبَائِحِ رَافِضاً، وَلِلشَّيْطَانِ مُخْزِياً، وَلِلْفَسَقَةِ الْمَرَدَةِ مُقْصِياً[٥]، وَلِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله نَفْساً، وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَدَى الْمَكَارِهِ جُنَّةً وَتُرْساً[٦]، آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبِي[٧] عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ رَبِّ الْأَرْبَابِ، الْمُفَضَّلُ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ، الْحَاوِي لِعُلُومِ الْكِتَابِ، زَيْنُ مَنْ يُوَافِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عَرَصَاتِ الْحِسَابِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَفِيِّ الْكَرِيمِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، إِنَّ فِي الْقَبْرِ نَعِيماً يُوَفِّرُ اللَّهُ بِهِ حُظُوظَ أَوْلِيَائِهِ، وَإِنَّ فِي الْقَبْرِ عَذَاباً يُشَدِّدُ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَشْقِيَاءِ[٨] أَعْدَائِهِ[٩].

أقول:

تمامه في باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت[١٠] من قوله: «إنّ المؤمن الموالي» إلى آخر الخبر.

٢٤١١. تفسير العيّاشيّ[١١]: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[١٢] قَالَ: إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكَانِ:

---

١. البقرة/٢٨.

٢. قارف الذنب: داناه ولاصقه، راجع لسان العرب.

٣. تبدأ الرواية في التأويل من هنا.

٤. في المصدر والتأويل: «وبالخيرات ناهضاً».

٥. قصا عنه: بعُد، راجع لسان العرب.

٦. الترس من السلاح: المتوقّى بها، راجع لسان العرب.

٧. في التأويل: «وهو أبي».

٨. لم يرد في المصدر: «أشقياء».

٩. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

١٠. بحار الأنوار، كتاب العدل والمعاد، أبواب الموت وما يلحقه إلى وقت البعث، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

١١. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٧، ح ١٩؛ الزهد، ص ٨٦، ح ٢٣١؛ الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٨، ح ١٠؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَمَلَكٌ عَنْ شِمَالِهِ، وَأُقِيمَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ، عَيْنَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، فَيُقَالُ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ[١]؟ قَالَ: فَيَفْزَعُ لِذٰلِكَ، فَيَقُولُ ـ إِنْ كَانَ مُؤْمِناً ـ: عَنْ مُحَمَّدٍ تَسْأَلَانِي؟ فَيَقُولَانِ لَهُ عِنْدَ ذٰلِكَ: نَمْ نَوْمَةً لَا حُلُمَ فِيهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ[٢]، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ كَافِراً قِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ؟ فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي! وَيُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، وَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ يَسْمَعُ صَوْتَهُ كُلُّ شَيْءٍ[٣]، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٤].

٢٤١٢. المناقب لابن شهرآشوب[٥]: كِتَابُ الشِّيرَازِيِّ، سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، قَالَ: هٰذَا فِي الْقَبْرِ يَدْخُلَانِ عَلَيْهِ مَلَكَانِ فَظَّانِ غَلِيظَانِ، يَحْفِرَانِ الْقَبْرَ بِأَنْيَابِهِمَا، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ[٦]، وَأَعْيُنُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِرْزَبَةٌ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ عُقْدَةً، فِي كُلِّ عُقْدَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ حَلْقَةً، وَزْنُ كُلِّ حَلْقَةٍ كَوَزْنِ حَدِيدِ الدُّنْيَا، لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يُقِلُّوهَا[٧] مَا أَقَلُّوهَا، هِيَ فِي أَيْدِيهِمْ أَخَفُّ مِنْ جَنَاحِ بَعُوضٍ، فَيَدْخُلَانِ الْقَبْرَ عَلَى الْمَيِّتِ، وَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ، وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي، ثُمَّ يَقُولَانِ: فَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: مُحَمَّدٌ نَبِيِّي، فَيَقُولَانِ: مَا قِبْلَتُكَ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: الْكَعْبَةُ قِبْلَتِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ إِمَامُكَ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: إِمَامِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ فَيَقُولَانِ لَهُ: صَدَقْتَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يَعْنِي عَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي الْقَبْرِ، وَاللَّهِ لَيُسْأَلُنَّ عَنْ وَلَايَتِهِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَاللَّهِ لَيُسْأَلُنَّ عَنْ وَلَايَتِهِ فِي الْحِسَابِ[٨]. ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: وَمَنْ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: الْقُرْآنُ إِمَامِي فَقَدْ أَصَابَ أَيْضاً، وَذٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَ إِمَامَةَ عَلِيٍّ عليه السلام فِي الْقُرْآنِ.

---

١٢. في الزهد والكافي بهذا الإسناد: «عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١. بين ظهرانيهم: بينهم، راجع المصباح المنير.

٢. في الزهد والكافي: «تسعة أذرع».

٣. لم يرد في الزهد والكافي: «ويضرب بمرزبة من حديد يسمع صوته كل شيء».

٤. إبراهيم/٢٧.

٥. المناقب (لابن شهرآشوب)، ج ٣، ص ٢٢٤.

٦. في المصدر: «العاصف».

٧. يُقِلُّها: يحملها، راجع المصباح المنير.

٨. في المصدر: «يوم الحساب».

٢٤١٣. المجالس للمفيد[١]: عَلِيُّ بْنُ بِلَالٍ الْمُهَلَّبِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَدٍ الْأَصْفَهَانِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِلْحٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيِّ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ مُزَاحِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ وَاقِدٍ الْمُزَنِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ مَوْلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَيْسٍ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[٢] قَالَ: إِنَّ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ قَرِيباً مِنَ الْجَبَلِ بِصِفِّينَ، فَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ فَأَمْعَنَ[٣] بَعِيداً، ثُمَّ أَذَّنَ، فَلَمَّا فَرَغَ عَنْ أَذَانِهِ إِذَا رَجُلٌ مُقْبِلٌ نَحْوَ الْجَبَلِ، أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ وَالْوَجْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مَرْحَباً بِوَصِيِّ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَالْأَعَزِّ[٤] الْمَأْمُونِ، وَالْفَاضِلِ الْفَائِزِ بِثَوَابِ الصِّدِّيقِينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ؛ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، كَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: بِخَيْرٍ أَنَا مُنْتَظِرُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً أَعْظَمَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْمُهُ بَلَاءً وَلَا أَحْسَنَ ثَوَاباً مِنْكَ، وَلَا أَرْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ مَكَاناً[٥]، اصْبِرْ يَا أَخِي عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْقَى الْحَبِيبَ، فَقَدْ رَأَيْتَ أَصْحَابَنَا مَا لَقُوا بِالْأَمْسِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، نَشَرُوهُمْ بِالْمَنَاشِيرِ، وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الْخَشَبِ، وَلَوْ تَعْلَمُ هٰذِهِ الْوُجُوهُ التَّرِبَةُ الشَّائِهَةُ[٦] ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ـ مَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي قِتَالِكَ مِنْ عَذَابٍ وَسُوءِ نَكَالٍ لَأَقْصَرُوا، وَلَوْ تَعْلَمُ هٰذِهِ الْوُجُوهُ الْمُبْيَضَّةُ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ ـ مَا ذَا لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ فِي طَاعَتِكَ لَوَدَّتْ أَنَّهَا قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ غَابَ مِنْ مَوْضِعِهِ، فَقَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَهَاشِمُ الْمِرْقَالُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ وَقَدْ كَانُوا سَمِعُوا كَلَامَ الرَّجُلِ ـ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ هٰذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: هٰذَا شَمْعُونُ وَصِيُّ عِيسَى عليه السلام، بَعَثَهُ اللَّهُ يُصَبِّرُنِي عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِ[٧]. فَقَالُوا لَهُ: ـ فِدَاكَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ـ وَاللَّهِ لَنَنْصُرَنَّكَ نَصْرَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا شَقِيٌّ. فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَعْرُوفاً.

---

١. الأمالي (للمفيد)، ص ١٠٤، ح ٥؛ بصائر الدرجات، ص ٢٨٠، ح ١٦؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٤٣، ح ٦٢؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

٢. في البصائر والخرائج بهذا الإسناد: «الحسن بن علي بن عبد اللّه، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير مولى محمد بن علي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. أمعن: تباعد، راجع لسان العرب.

٤. في المصدر: «الأغرّ».

٥. **نقول:** المراد أن أمير المؤمنين عليه السلام أرفع مكانا من جميع الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله كما هو كذلك في نظائره من الروايات.

٦. ترب الرجل: افتقر، كأنه لصق بالتراب. شاهت الوجوه: قبحت، راجع الصحاح.

٧. **نقول:** حضور شمعون عنده وعند أصحابه كان في عالم المكاشفة وهو غير بعيد.

٢٤١٤. تفسير القمّيّ[١]: فِي الْخَبَرِ الطَّوِيلِ فِي الْمِعْرَاجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَوَائِدُ مِنْ لَحْمٍ طَيِّبٍ وَلَحْمٍ خَبِيثٍ وَهُمْ يَأْكُلُونَ الْخَبِيثَ وَيَدَعُونَ الطَّيِّبَ، فَسَأَلْتُ جَبْرَئِيلَ عليه السلام مَنْ هٰؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَيَدَعُونَ الْحَلَالَ مِنْ أُمَّتِكَ. قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ لَهُمْ مَشَافِرُ[٢] كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ، يُقْرَضُ اللَّحْمُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ[٣]، وَيُلْقَى فِي أَفْوَاهِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا جَبْرَئِيلُ؟ فَقَالَ: هُمُ الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ تُرْضَخُ[٤] وُجُوهُهُمْ وَرُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ[٥]، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا جَبْرَئِيلُ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ يَتْرُكُونَ[٦] صَلَاةَ الْعِشَاءِ. ثُمَّ مَضَيْتُ فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْذَفُ بِالنَّارِ فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ؟ قَالَ: هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً.

ثُمَّ مَضَيْتُ فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُومَ فَلَا يَقْدِرُ مِنْ عِظَمِ بَطْنِهِ! فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا جَبْرَئِيلُ؟ قَالَ: فَهُمُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، وَإِنَّهُمْ لَبِسَبِيلِ آلِ فِرْعَوْنَ، يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوّاً وَعَشِيّاً يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ السَّاعَةَ أَدْهى وَأَمَرُّ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِثَدْيِهِنَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا جَبْرَئِيلُ؟ فَقَالَ: هُنَّ اللَّوَاتِي يُوَرِّثْنَ أَمْوَالَ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْلَادَ غَيْرِهِمْ.

أقول:

سيأتي الخبر بإسناده تماماً في باب المعراج[٧].

٢٤١٥. الفضائل لابن شاذان، كتاب الروضة[٨]: قِيلَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بَاكِياً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَا يُبْكِيكَ؟ لَا أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَكَ، قَالَ: تَوَفَّتْ وَالِدَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: بَلْ وَوَالِدَتِي يَا عَلِيُّ، فَلَقَدْ كَانَتْ تُجَوِّعُ أَوْلَادَهَا وَتُشْبِعُنِي، وَتُشَعِّثُ[٩] أَوْلَادَهَا وَتُدَهِّنُنِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ فِي دَارِ أَبِي طَالِبٍ نَخْلَةٌ فَكَانَتْ تُسَابِقُ إِلَيْهَا مِنَ الْغَدَاةِ لِتَلْتَقِطَ، ثُمَّ تَجْنِيَهُ[١٠] «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» فَإِذَا خَرَجُوا بَنُو عَمِّي

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٦؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ١٤٥، ح ١؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٧٥، ح ٦١٩٧.

٢. المشفَر للبعير: كالشفة للإنسان، راجع لسان العرب.

٣. في المصدر والنوادر والبرهان: «من جنوبهم».

٤. الرضخ: الدق والكسر، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر والنوادر والبرهان: «ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر».

٦. في المصدر والنوادر والبرهان: «هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء».

٧. بحار الأنوار، كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله، أبواب أحواله من البعثة إلى نزول المدينة، باب إثبات المعراج ومعناه وكيفيته.

٨. الفضائل (لابن شاذان القمي)، ص ١٠٢؛ الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٤٠؛ وفيهما مع اختلاف يسير؛ وفي كشف اليقين، ص ١٩٣ مع اختلاف العبارة.

٩. شعِث الشعر: تغيّر وتلبّد لقلّة تعهده بالدهن، وتلبّد أي لصق، راجع المصباح المنير ولسان العرب.

١٠. جَنْي الثمر: هو أخذه من الشجر، راجع المغرب.

تُنَاوِلُنِي ذٰلِكَ. ثُمَّ نَهَضَ ﷺ فَأَخَذَ فِي جَهَازِهَا وَكَفَّنَهَا بِقَمِيصِهِ، وَكَانَ فِي حَالِ تَشْيِيعِ جَنَازَتِهَا يَرْفَعُ قَدَماً وَيَتَأَنَّى فِي رَفْعِ الْآخَرِ، وَهُوَ حَافِي الْقَدَمِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهَا كَبَّرَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً، ثُمَّ لَحَدَهَا فِي قَبْرِهَا بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ أَنْ نَامَ فِي قَبْرِهَا، وَلَقَّنَهَا الشَّهَادَةَ، فَلَمَّا أُهِيلَ عَلَيْهَا التُّرَابُ[١] وَأَرَادَ النَّاسُ الِانْصِرَافَ، جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: ابْنُكِ، ابْنُكِ، ابْنُكِ، لَا جَعْفَرٌ، وَلَا عَقِيلٌ، ابْنُكِ، ابْنُكِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلْتَ فِعْلاً مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ: مَشْيُكَ حَافِيَ الْقَدَمِ، وَكَبَّرْتَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً، وَنَوْمُكَ فِي لَحْدِهَا، وَقَمِيصُكَ عَلَيْهَا، وَقَوْلُكَ لَهَا: ابْنُكِ، ابْنُكِ، لَا جَعْفَرٌ، وَلَا عَقِيلٌ، فَقَالَ ﷺ: أَمَّا التَّأَنِّي فِي وَضْعِ أَقْدَامِي وَرَفْعِهَا فِي حَالِ التَّشْيِيعِ لِلْجَنَازَةِ فَلِكَثْرَةِ ازْدِحَامِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا تَكْبِيرِي سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً فَإِنَّهَا صَلَّى عَلَيْهَا سَبْعُونَ صَفّاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ[٢]، وَأَمَّا نَوْمِي فِي لَحْدِهَا فَإِنِّي ذَكَرْتُ فِي حَالِ حَيَاتِهَا ضَغْطَةَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ: وَا ضَعْفَاهْ، فَنِمْتُ فِي لَحْدِهَا لِأَجْلِ ذٰلِكَ حَتَّى كَفَيْتُهَا ذٰلِكَ، وَأَمَّا تَكْفِينِي لَهَا بِقَمِيصِي فَإِنِّي ذَكَرْتُ لَهَا فِي حَيَاتِهَا الْقِيَامَةَ وَحَشْرَ النَّاسِ عُرَاةً فَقَالَتْ: وَا سَوْأَتَاهْ، فَكَفَّنْتُهَا بِهِ، لِتَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْتُورَةً، وَأَمَّا قَوْلِي لَهَا: ابْنُكِ، ابْنُكِ، لَا جَعْفَرٌ وَلَا عَقِيلٌ فَإِنَّهَا لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَلَكَانِ وَسَأَلَاهَا عَنْ رَبِّهَا فَقَالَتْ: اللَّهُ رَبِّي، وَقَالَا: مَنْ نَبِيُّكِ؟ قَالَتْ: مُحَمَّدٌ نَبِيِّي، فَقَالَا: مَنْ وَلِيُّكِ وَإِمَامُكِ؟ فَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَقُولَ: وَلَدِي، فَقُلْتُ لَهَا: قُولِي: ابْنُكِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَرَّ اللَّهُ بِذٰلِكَ عَيْنَهَا.

٢٤١٦. رجال الكشّيّ[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ[٤]، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِي: مَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ دَخَلَ النَّارَ. قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْإِمَامِ بَعْدَ مُوسَى أَبِي فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ إِمَاماً بَعْدَهُ، فَقِيلَ: لَا؟ فَضُرِبَ فِي قَبْرِهِ ضَرْبَةً اشْتَعَلَ قَبْرُهُ نَاراً.

بيان:

«فقيل: لا» هذا استفهام إنكاريّ.

٢٤١٧. جامع الأخبار[٥]: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ لَيْسَ أَقَلَّ مِنْهُ[٦].

---

١. هال عليه التراب: صبّه، راجع تاج العروس.

٢. لم يرد في الفضائل: «وأما تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلّى عليها سبعون صفّاً من الملائكة».

٣. رجال الكشي، ص ٤٤٤، ح ٨٣٣، وص ٤٠٣، ح ٧٥٥، بمضمونه؛ روضة المتقين، ج ١٤، ص ١٨٥.

٤. في المصدر: «محمد بن الحسن».

٥. جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٦٩؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٩٤؛ وفي الدعوات (للراوندي)، ص ٢٥٩، ح ٧٣٧؛ مع زيادة في صدره.

٦. في الروضة: «فما بعده أشدّ منه»، وفي الدعوات: «فما بعده شرّ منه».

٢٤١٨. كتاب المحتضر للحسن بن سليمان[١]: قَالَ: رَوَى الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ فِي كِتَابِ الْقَائِمِ عليه السلام عَنِ ابْنِ طَرِيفٍ، عَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ وَمَرَّ حَتَّى أَتَى الْغَرِيَّيْنِ فَجَازَهُ فَلَحِقْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى الْأَرْضِ بِجَسَدِهِ لَيْسَ تَحْتَهُ ثَوْبٌ، فَقَالَ لَهُ قَنْبَرٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَ لَا أَبْسُطُ ثَوْبِي تَحْتَكَ؟ قَالَ: لَا، هَلْ هِيَ إِلَّا تُرْبَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُزَاحَمَتُهُ فِي مَجْلِسِهِ؟ قَالَ الْأَصْبَغُ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُرْبَةُ مُؤْمِنٍ قَدْ عَرَفْنَاهُ كَانَتْ أَوْ تَكُونُ، فَمَا مُزَاحَمَتُهُ فِي مَجْلِسِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ نُبَاتَةَ لَوْ كُشِفَ لَكُمْ لَرَأَيْتُمْ[٢] أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هٰذَا الظَّهْرِ حَلَقاً يَتَزَاوَرُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ،[٣] إِنَّ فِي هٰذَا الظَّهْرِ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَبِوَادِي بَرَهُوتَ نَسَمَةَ[٤] كُلِّ كَافِرٍ.

٢٤١٩. ومن الكتاب المذكور[٥]: لِلْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦] قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ آلَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فِي جِبَالِ رَضْوَى فَتَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَتَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ، وَتُحَدِّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عليه السلام فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ وَأَقْبَلُوا مَعَهُ يُلَبُّونَ زُمَراً فَزُمَراً، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ، وَيَضْمَحِلُّ الْمُنْتَحِلُونَ، وَيَنْجُو الْمُقَرَّبُونَ[٧].[٨]

٢٤٢٠. ومن كتاب الشفاء والجلاء[٩]: عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُقَالُ لِرُوحِهِ وَهُوَ يُغَسَّلُ: أَ يَسُرُّكَ أَنْ تُرَدَّ إِلَى الْجَسَدِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: مَا أَصْنَعُ بِالْبَلَاءِ وَالْخُسْرَانِ وَالْغَمِّ.

٢٤٢١. الكافي[١٠]: بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْأَحْلَامَ لَمْ تَكُنْ فِي مَا مَضَى فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا حَدَثَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا الْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ بَعَثَ رَسُولاً إِلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَقَالُوا: إِنْ فَعَلْنَا ذٰلِكَ فَمَا لَنَا؟ مَا أَنْتَ بِأَكْثَرِنَا مَالاً وَلَا بِأَعَزِّنَا

---

١. المحتضر، ص ١٨، ح ٨؛ سرور أهل الإيمان، ص ١١٧.

٢. في المصدر والسرور: «لألفيتم».

٣. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

٤. النسمة: النفس والروح، راجع لسان العرب.

٥. المحتضر، ص ٢٠، ح ١٠؛ وفي الزهد، ص ٨٢، ضمن ح ٢١٩؛ الكافي، ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ص ١٣٢، ح ٤؛ وفي الأخيرين ضمن رواية.

٦. في الزهد بهذا الإسناد: «الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الكافي: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عمن سمع أبا عبد اللّه عليه السلام».

٧. في الزهد والكافي: «يضمحلّ المحلّون وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير ونجا المقربون».

٨. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

٩. لم نعثر عليه ولكن قد ورد في المؤمن (للحسين بن سعيد)، ص ٢٤، ح ٣٢ وفيه: «عن علي بن الحسين وأبي جعفر عليهما السلام».

١٠. الكافي، ج ٨، ص ٩٠، ح ٥٧ (حديث الأحلام).

عَشِيرَةً، فَقَالَ: إِنْ أَطَعْتُمُونِي أَدْخَلَكُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُونِي أَدْخَلَكُمُ اللَّهُ النَّارَ. فَقَالُوا: وَمَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؟ فَوَصَفَ لَهُمْ ذٰلِكَ، فَقَالُوا: مَتَى نَصِيرُ إِلَى ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: إِذَا مِتُّمْ. فَقَالُوا: لَقَدْ رَأَيْنَا أَمْوَاتَنَا صَارُوا عِظَاماً وَرُفَاتاً[١]، فَازْدَادُوا لَهُ تَكْذِيباً وَبِهِ اسْتِخْفَافاً، فَأَحْدَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمُ الْأَحْلَامَ فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا رَأَوْا وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ أَنْ يَحْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِهٰذَا، هٰكَذَا تَكُونُ أَرْوَاحُكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَإِنْ بُلِيَتْ أَبْدَانُكُمْ تَصِيرُ الْأَرْوَاحُ إِلَى عِقَابٍ حَتَّى تُبْعَثَ الْأَبْدَانُ.

٢٤٢٢. نهج البلاغة[٢]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ: حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ[٣]، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ[٤].

بيان:

«بهته»: أخذه بغتة، وبهت أي دهش وتحيّر. وفورة الحرّ: شدّته.

٢٤٢٣. نهج البلاغة[٥]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ: وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ[٦]، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ، وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ، وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ[٧]، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ[٨].

---

١. الرفات: كل ما دقّ وكسر، راجع تاج العروس.

٢. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ١١٣، الخطبة ٨٣.

٣. في المصدر مع زيادة: «وسورات الزفير».

٤. «الفترة»: السكون، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح من الألم. و«الدعة»: الراحة وخفض العيش. و«المزيح»: المزيل، أي لا تكون له راحة تزيل ما أصابه من تعب العذاب وألمه. و«الحاجز»: المانع. و«الناجز»: الحاضر، أي لا تكون له موتة حاضرة تذهب بإحساسه عن الشعور بتلك الآلام. و«السنة» بالكسر والتخفيف: فتور يتقدّم النوم. و«المسلّية»: المذهلة والملهية عن العذاب والآلام. و«أطوار الموتات»: أنواعها وألوانها، وكل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدّتها. أشار عليه السلام بهذه الجملات إلى شدة العذاب والخلود فيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (الزخرف/ ٧٤ و ٧٥)؛ وفي قوله عليه السلام: «ولا موتة ناجزة» إشارة إلى عدم الفناء. (هامش المطبوع)

٥. نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٨١، الخطبة ١٩٠؛ غرر الحكم، ص ٣٠٨، ح ١٧، وص ٢٤٢، ح ٢٥٤؛ عيون الحكم والمواعظ (لليثي)، ص ١٩٢، ح ٣٩٤٣، وص ١٥٨، ح ٣٤٢٣؛ وفي الأخيرين مقطعا مع تقديم وتأخير.

٦. غمرات الموت: شدائده، راجع الصحاح.

٧. الاستكاك: الصَّمَم وذهاب السمع، راجع لسان العرب.

٨. لم يرد في الغرر والعيون: «وظلمة اللحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح».

بيان:

«الأرماس»: جمع الرمس وهو القبر، و«الإبلاس»: اليأس والانكسار والحزن. وقال الجزريّ: «المطّلع»: مكان الاطّلاع من الموضع العالي، ومنه الحديث: «لافتديت من هول المطّلع» أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبّهه بالمطّلع الذي يشرف عليه من موضع عال. و«اختلاف الأضلاع»: كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع واختلافها. و«الضريح»: الشقّ في وسط القبر، واللحد في الجانب. و«الصفيح»: الحجر، والمراد بردمه هنا سدّ القبر به.

٢٤٢٤. دعوات الراوندي[١]: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَنْ أَتَمَّ رُكُوعَهُ[٢] لَمْ يَدْخُلْهُ وَحْشَةُ الْقَبْرِ[٣].

٢٤٢٥. وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ[٤]: عَذَابُ الْقَبْرِ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ: ثُلُثٌ لِلْغِيبَةِ، وَثُلُثٌ لِلنَّمِيمَةِ، وَثُلُثٌ لِلْبَوْلِ[٥].[٦]

٢٤٢٦. وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٧] أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا: نَاكِرٌ وَنَكِيرٌ يَنْزِلَانِ عَلَى الْمَيِّتِ فَيَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ وَنَبِيِّهِ وَدِينِهِ وَإِمَامِهِ، فَإِنْ أَجَابَ بِالْحَقِّ سَلَّمُوهُ إِلَى مَلَائِكَةِ النَّعِيمِ، وَإِنْ أُرْتِجَ عَلَيْهِ[٨] سَلَّمُوهُ إِلَى مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ.

٢٤٢٧. المحاسن[٩]: أَبِي، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ الْمَيِّتَ مِنْكُمْ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ شَهِيدٌ، قُلْتُ: وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ؟ قَالَ: وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ[١٠] حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يُرْزَقُ[١١].

٢٤٢٨. بصائرالدرجات[١٢]: أَحْمَدُبْنُمُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ[١٣] قَالَ:

---

١. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٧٦، ح ٧٩٥؛ الكافي، ج ٣، باب الركوع، ص ٣٢١، ح ٧؛ ثواب الأعمال، ص ٣٣.

٢. في الثواب: «من أتمّ ركعة».

٣. **نقول:** هناك جماعة متسرّعون لا ينحنى أحدهم للركوع إلا ويقوم فورا ويكون ركوعه ناقصا وكذا صلاته، فيدخله وحشة القبر جزاءاً لفعله، ولكن من أتمّ ركوعه لم يدخله وحشة القبر ثوابا له، وعلى كل حال هذا أحد أسباب وحشة القبر وهناك أسباب أُخرى.

٤. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٧٩، ح ٨١٢؛ وفي جامع الأخبار (للشعيري)، ص ١٤٧، ذيل رواية مع نقصان.

٥. في الجامع: «والكذب» بدلا من: «للبول».

٦. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٨٦.

٧. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٨٠، ح ٨١٦؛ تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٩٩.

٨. أُرتج عليه: استُغلق عليه الكلام، راجع لسان العرب.

٩. المحاسن، ج ١، ص ١٦٤، ح ١١٦؛ وفي الكافي، ج ٨، ص ١٤٦، ذيل ح ١٢٠ (حديث فضل الشيعة)؛ تأويل الآيات الظاهرة، ص ٦٤٠.

١٠. في المصدر والكافي: «إي واللّه وإن مات على فراشه».

١١. **نقول:** ورد التصريح في بعض الروايات بأن من مات وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وحق أهل بيته مات شهيدا أي له مقام الشهداء، ولا شك أن مقاماتهم مختلفة لا يكون كلهم في درجة واحدة لاختلاف درجات معرفتهم. (راجع نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٢٨٣، الخطبه ١٩٠)

١٢. بصائر الدرجات، ص ٤٠٥، ح ٥؛ دلائل الإمامة، ص ٢٨٤، ح ٢٣١؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ١٦٧، ح ١٠٨.

كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَرَكَضَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ فَإِذَا بَحْرٌ فِيهِ سُفُنٌ مِنْ فِضَّةٍ فَرَكِبَ وَرَكِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ خِيَامٌ مِنْ فِضَّةٍ فَدَخَلَهَا ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: رَأَيْتَ الْخَيْمَةَ الَّتِي دَخَلْتُهَا أَوَّلاً؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: تِلْكَ خَيْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَالْأُخْرَى خَيْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالثَّالِثَةُ خَيْمَةُ فَاطِمَةَ، وَالرَّابِعَةُ خَيْمَةُ خَدِيجَةَ، وَالْخَامِسَةُ خَيْمَةُ الْحَسَنِ، وَالسَّادِسَةُ خَيْمَةُ الْحُسَيْنِ، وَالسَّابِعَةُ خَيْمَةُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَالثَّامِنَةُ خَيْمَةُ أَبِي[١٤]، وَالتَّاسِعَةُ خَيْمَتِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَمُوتُ إِلَّا وَلَهُ خَيْمَةٌ يَسْكُنُ فِيهَا.

٢٤٢٩. تفسير النعمانيّ[١٥]: فِيمَا سَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْقُرْآنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: وَأَمَّا الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْمَوْتِ قَبْلَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الْآيَةَ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[١٦] يَعْنِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَتِ الْقِيَامَةُ بُدِّلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٧] وَهُوَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَهُوَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾[١٨] وَالْغُدُوُّ وَالْعَشِيُّ لَا يَكُونَانِ فِي الْقِيَامَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْخُلُودِ، وَإِنَّمَا يَكُونَانِ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[١٩] وَالْبُكْرَةُ وَالْعَشِيُّ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي جَنَّةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً﴾[٢٠]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الْآيَةَ[٢١].

---

١٣. في الدلائل بهذا الإسناد: «محمد بن هارون بن موسى، عن أبيه، عن محمد بن همّام، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن أحمد بن مدبّر، عن محمد بن عمّار، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

١٤. في الدلائل مع زيادة: «وهي التي بكيت فيها».

١٥. لم نعثر عليه، ولكن قد ورد عنه في نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢٠، ح ٢؛ وقد ورد في تفسير القمي، ج ١، ص ١٩، مع اختلاف يسير.

١٦. هود/١٠٥ـ١٠٨.

١٧. المؤمنون/١٠٠.

١٨. غافر/٤٦.

١٩. مريم/٦٢.

٢٠. الإنسان/١٣.

٢١. آل عمران/١٦٩ و ١٧٠.

٢٤٣٠. تفسير القمّيّ[١]: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ قَالَ: مِنْكُمْ يَعْنِي مِنَ الشِّيعَةِ ﴿إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[٢] قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» وَتَبَرَّأَ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ثُمَّ دَخَلَ فِي الذُّنُوبِ وَلَمْ يَتُبْ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ لَهَا فِي الْبَرْزَخِ، وَيَخْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٢٤٣١. تفسير فرات بن إبراهيم[٣]: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الزُّهْرِيِّ رَفَعَهُ إِلَى أَصْبَغَ بْنِ نُبَاتَةَ[٤] قَالَ: تَوَجَّهْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِأُسَلِّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فَقُمْتُ قَائِماً عَلَى رِجْلِي فَاسْتَقْبَلْتُهُ فَضَرَبَ بِكَفِّهِ إِلَى كَفِّي فَشَبَّكَ[٥] أَصَابِعَهُ فِي أَصَابِعِي ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَصْبَغَ بْنَ نُبَاتَةَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنَّ وَلِيَّنَا وَلِيُّ اللَّهِ، فَإِذَا مَاتَ كَانَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَسَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهَرٍ أَبْرَدَ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ. فَقُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ وَإِنْ كَانَ مُذْنِباً[٦]؟ قَالَ: نَعَمْ، أَ لَمْ تَقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ: ﴿فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٧]؟[٨]

٢٤٣٢. الأمالي للصدوق[٩]: الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى[١٠]، عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَيْفَ كَانَ وِلَادَةُ فاطمة عليها السلام؟ فَقَالَ عليه السلام ـ وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ ـ: فَبَيْنَا هِيَ كَذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا أَرْبَعُ نِسْوَةٍ سُمْرٍ[١١] طِوَالٍ كَأَنَّهُنَّ مِنْ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ، فَفَزِعَتْ مِنْهُنَّ لَمَّا رَأَتْهُنَّ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: لَا تَحْزَنِي يَا

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٥؛ تفسير الصافي، ج ٥، ص ١١٢؛ تفسير البرهان، ج ٥، ص ٢٣٩، ح ١٠٣٣١.

٢. الرحمن/٣٩.

٣. تفسير فرات الكوفي، ص ٢٩٣، ح ٣٩٦؛ الإختصاص، ص ٦٥؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ١٥٣، ح ٧٨٤٤؛ وفي الأخيرين مع زيادة.

٤. في الإختصاص والبرهان بهذا الإسناد: «محمد بن الحسن الشحّاذ، عن سعد بن عبد اللّه، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن إسماعيل، عن ابن الهيثم الحضرمي، عن علي بن الحسين الفزاري، عن آدم التمّار الحضرمي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته».

٥. شبك بين أصابعه: إذا داخل بينها، راجع شمس العلوم.

٦. في الإختصاص والبرهان: «أحلى من الشهد، وألين من الزبد. فقلت: ـ بأبي أنت وأُمي ـ وإن كان مذنبا؟».

٧. الفرقان/٧٠.

٨. **نقول:** ومن الجدير بالذكر أنه ورد في صدر الآية ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾، فالمقامات المذكورة في الرواية مشروطة بهذه الشروط.

٩. الأمالي (للصدوق)، ص ٥٩٤، ح ١؛ دلائل الإمامة، ص ٧٨، ح ١٧؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ١٤٣.

١٠. في المصدر بهذا الإسناد: «الصدوق، عن أحمد بن محمد،...»، وفي الدلائل: «محمد بن عبد اللّه الشيباني، عن موسى بن محمد الأشعري، عن ابن أبي الشورى، عن عبيد اللّه بن علي بن أشيم، عن يعقوب بن يزيد، عن حمّاد بن عيسى،...».

١١. السمرة: أحد الألوان المركبة بين البياض و السواد، راجع مفردات ألفاظ القرآن.

خَدِيجَةُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكِ إِلَيْكِ، وَنَحْنُ أَخَوَاتُكِ، أَنَا سَارَةُ، وَهٰذِهِ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ وَهِيَ رَفِيقَتُكِ فِي الْجَنَّةِ، وَهٰذِهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَهٰذِهِ كُلْثُمُ أُخْتُ مُوسَى[١]، بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْكِ لِنَلِيَ مِنْكِ مَا تَلِي النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ؛ الْحَدِيثَ.

٢٤٣٣. بصائر الدرجات[٢]: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُكَيْمٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: قَالَ لِيَ الرِّضَا عليه السلام بِخُرَاسَانَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هَاهُنَا وَالْتَزَمْتُهُ.

٢٤٣٤. الإختصاص[٣]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَجَّالُ، عَنِ اللُّؤْلُؤِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيِّ، عَنْ أَخِيهِ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا وَأَبِي مُتَوَجِّهَيْنِ إِلَى مَكَّةَ وَأَبِي قَدْ تَقَدَّمَنِي فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: ضَجْنَانُ[٤]، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ يَجُرُّهَا فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: اسْقِنِي اسْقِنِي، فَصَاحَ بِي أَبِي: لَا تَسْقِهِ لَا سَقَاهُ اللَّهُ، قَالَ عليه السلام: وَفِي طَلَبِهِ رَجُلٌ يَتْبَعُهُ فَجَذَبَ سِلْسِلَتَهُ جَذْبَةً طَرَحَهُ بِهَا فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ النَّارِ[٥].

٢٤٣٥. بصائر الدرجات[٦]: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِشْرٍ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ[٧] أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ أَبِي وَهُوَ يُرِيدُ الْعُرَيْضَ[٨]، فَقَالَ: فَلَقِيَهُ شَيْخٌ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ يَمْشِي، قَالَ: فَنَزَلَ إِلَيْهِ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنَّهُ قَبَّلَ يَدَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَالشَّيْخُ يُوصِيهِ[٩]، قَالَ: وَقَامَ أَبِي حَتَّى تَوَارَى الشَّيْخُ ثُمَّ رَكِبَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ مَنْ هٰذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِهِ مَا لَمْ أَرَكَ صَنَعْتَهُ بِأَحَدٍ؟ قَالَ: هٰذَا أَبِي يَا بُنَيَّ.

٢٤٣٦. بصائر الدرجات[١٠]: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَرْوَانَ،

---

١. في المصدر: «هذه كلثوم أُخت موسى بن عمران»، وفي الدلائل: «هذه صفوراء بنت شعيب».

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٧٤، ح ١؛ قرب الإسناد، ص ٣٤٨، ح ١٢٥٩؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨١٧، ح ٢٦.

٣. الإختصاص، ص ٢٧٦؛ بصائر الدرجات، ص ٢٨٥، ح ٢؛ وفي الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨١٤، ح ٢٣، مع اختلاف يسير.

٤. ضجنان: جبل بناحية مكة، راجع الصحاح.

٥. في الخرائج مع زيادة: «قال لي أبي: هذا الشامي لعنه اللّه».

٦. بصائر الدرجات، ص ٢٧٤، ح ٣؛ وفي الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨١٧، ح ٢٧، مع اختلاف يسير.

٧. في البصائر والخرائج: «عن أبيك».

٨. عريض كزبير: واد بالمدينة به أموال لأهلها، راجع القاموس المحيط.

٩. في المصدر مع زيادة: «فكان في آخر ما قال له: أنظر الأربع ركعات فلا تدعها»، وفي الخرائج: «فكان آخر ما وصّاه به: انظر لا تدع الأربع ركعات».

١٠. بصائر الدرجات، ص ٢٧٦، ح ٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢٤، ح ٧؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ٢٥١، ح ٥٦.

عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام[١] فَأَطَلْتُ الْجُلُوسَ عِنْدَهُ فَقَالَ: أَ تُحِبُّ أَنْ تَرَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؟ فَقُلْتُ: وَدِدْتُ وَاللَّهِ، فَقَالَ: قُمْ وَادْخُلْ ذٰلِكَ الْبَيْتَ، فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ فَإِذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَاعِدٌ.

٢٤٣٧. بصائر الدرجات[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ أُمِّ الطَّوِيلِ قَالَ: صَحِبْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام[٣] مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ وَأَنَا عَلَى رَاحِلَةٍ، فَجُزْنَا وَادِيَ ضَجْنَانَ فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ فِي رَقَبَتِهِ سِلْسِلَةٌ وَهُوَ يَقُولُ: يَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ اسْقِنِي[٤]، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ حَرَّكَ دَابَّتَهُ، قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا بِرَجُلٍ يَجْذِبُهُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا تَسْقِهِ لَا سَقَاهُ اللَّهُ، قَالَ: فَحَرَّكْتُ رَاحِلَتِي وَلَحِقْتُ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَقَالَ لِي: أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ذٰلِكَ مُعَاوِيَةُ لَعَنَهُ اللَّهُ.

٢٤٣٨. العقائد[٥]: اعتقادنا في النفوس أنّها هي الأرواح التي بها الحياة، وأنّها الخلق الأوّل، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَوَّلَ مَا أَبْدَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِيَ النُّفُوسُ مُقَدَّسَةٌ مُطَهَّرَةٌ، فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ ذٰلِكَ سَائِرِ خَلْقِهِ».

واعتقادنا فيها أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «مَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ، بَلْ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ»، وأنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة.

واعتقادنا فيها أنّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية، منها منعّمة، ومنها معذّبة، إلى أن يردّها اللّه عزّ وجلّ بقدرته إلى أبدانها.

وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام لِلْحَوَارِيِّينَ: «بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا مَا نَزَلَ مِنْهَا».

وقال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٦] فما لم يرفع منها إلى الملكوت فهي تهوي[٧] في الهاوية، وذلك لأنّ الجنّة درجات، والنار دركات، وقال عزّ وجلّ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٨]، وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ

---

١. في المصدر: «... معلّى بن محمد، عن بشير، عن عثمان بن مروان، عن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام»، وفي الإثبات: «... معلّى بن بشير، عن عمّار بن مروان، عن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام».

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٨٦، ح ٦؛ وفي الإختصاص، ص ٢٧٥، بمضمونه؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢٤، ح ٩.

٣. في الإختصاص بهذا الإسناد: «أيوب بن نوح والحسن بن علي بن عبد اللّه بن مغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان بن عثمان، عن بشير النبّال، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت خلف أبي عليه السلام ...».

٤. في المصدر: «اسقني، سقاك اللّه».

٥. في اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٤٧ ـ ٥٠.

٦. الأعراف/١٧٦.

٧. في المصدر: «... إلى الملكوت بقي يهوي ...».

٨. المعارج/٤.

مُقْتَدِرٍ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ﴾ إلى آخرها[٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ إلى آخرها[٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ[٤]، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ آخَى بَيْنَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَظِلَّةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَبْدَانَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَلَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام لَوُرِّثَ الْأَخُ الَّذِي آخَى بَيْنَهُمَا فِي الْأَظِلَّةِ، وَلَمْ يُوَرَّثِ[٥] الْأَخُ مِنَ الْوِلَادَةِ».

وَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ لَتَلْتَقِي فِي الْهَوَاءِ فَتَعَارَفُ وَتَسَائَلُ، فَإِذَا أَقْبَلَ رُوحٌ مِنَ الْأَرْضِ قَالُوا: دَعُوهُ[٦] فَقَدْ أَفْلَتَ[٧] مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ سَأَلُوهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَكُلَّمَا قَالَ: قَدْ بَقِيَ رَجَوْهُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ، وَكُلَّمَا قَالَ: قَدْ مَاتَ قَالُوا: هَوَى هَوَى[٨]».

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[١٠]. ومثل الدنيا كمثل البحر والملّاح والسفينة.

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ وَقَدْ هَلَكَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ، فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَاجْعَلْ زَادَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ، وَاجْعَلْ شِرَاعَهَا[١١] التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِكَ».

وأشدّ ساعاته يوم يولد، ويوم يموت، ويوم يبعث. ولقد سلّم اللّه تعالى على يحيى عليه السلام في هذه السّاعات، فقال اللّه تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[١٢] وقد سلّم عيسى على نفسه فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[١٣].

---

١. القمر/٥٤ و ٥٥.

٢. آل عمران/١٦٩ و ١٧٠.

٣. البقرة/١٥٤.

٤. المجندة: المجموعة، راجع لسان العرب.

٥. في المصدر: «لم يرث».

٦. في المصدر: «قالت الأرواح: دعوه».

٧. أفلتُّه من الهلكة: خلّصته، راجع لسان العرب.

٨. هوى: سقط من علو إلى سفل، وقولهم: هوى هوى أي هلك هلك، راجع مجمع البحرين.

٩. طه/٨١.

١٠. القارعة/٨-١١.

١١. شراع السفينة: ما يرفع فوقها من ثوب لتدخل فيه الريح فيجريها، راجع لسان العرب.

١٢. مريم/١٥.

١٣. مريم/٣٣.

والاعتقاد في الروح أنّه ليس من جنس البدن وأنّه خلق آخر، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١].

واعتقادنا في الأنبياء والرسل والائمّة عليهم السلام أنّ فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج[٢]. وفي المؤمنين أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[٣] فإنّه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، كان مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله ومع الأئمّة عليهم السلام[٤] وهو من الملكوت.

أقول:

قال الشيخ المفيد «قدس اللّه روحه» في شرح هذا الكلام: كلام أبي جعفر في النفس والروح ليس على مذهب التحقيق، فلو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه.

ثمّ قال «رحمه اللّه»: النفس عبارة عن معان: أحدها ذات الشيء، والآخر الدم السائل، والآخر النفس الذي هو الهواء، والرابع هو الهوى وميل الطبع؛ فأمّا شاهد المعنى الأوّل فهو قولهم: هذا نفس الشيء، أي ذاته وعينه؛ وشاهد الثاني قولهم: كلّما كانت النفس سائلة فحكمه كذا وكذا؛ وشاهد الثالث قولهم: فلان هلكت نفسه إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من حواسّه؛ وشاهد الرابع قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٥] يعني الهوى داع إلى القبيح، وقد يعبّر بالنفس عن النقمة، قال اللّه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٦] يريد به نقمته وعقابه[٧].

---

١. المؤمنون/١٤.

٢. **نقول:** المراد من روح «المدرج» هو الحس والحركة التي قد يعبر عنه بالروح الحيواني، وهو مشترك بين الإنسان والحيوان، وكذلك روح القوة والشهوة؛ ومن المعلوم أن الروح واحد ولكن له شؤون وآثار مختلفة وباعتبارها يسمّى أرواحا.

٣. الإسراء/٨٥.

٤. في المصدر: «والأئمة عليهم السلام ومع الملائكة».

٥. يوسف/٥٣.

٦. آل عمران/٢٨.

٧. وللنفس معنى آخر يستعمل كثيرا في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة/٢) و﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر/٢٧ و٢٨)، وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/٧ و٨)، وقوله: ﴿وَنَهَى

←

وأمّا الروح فعبارة عن معان: أحدها الحياة، والثاني القرآن، والثالث ملك من ملائكة اللّه، والرابع جبرئيل عليه السلام؛ فشاهد الأوّل قولهم: كلّ ذي روح فحكمه كذا، يريدون كل ذي حياة، وقولهم فيمن مات: قد خرجت منه الروح يعنون الحياة؛ وشاهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[1] يعني القرآن؛ وشاهد الثالث قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[2]؛ وشاهد الرابع قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾[3] يعني جبرئيل عليه السلام.

فأمّا ما ذكره أبو جعفر ورواه أنّ الأرواح مخلوقة قبل الأجسام بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فهو حديث من أحاديث الآحاد، وخبر من طرق الأفراد، وله وجه غير ما ظنّه من لا علم له بحقائق الأشياء، وهو أنّ اللّه تعالى خلق الملائكة عليهم السلام قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التناسخ، ودخلت الشبهة فيه على حشويّة الشيعة فتوهّموا أنّ الذوات الفعّالة المأمورة المنهيّة كانت مخلوقة في الذرّ، وتتعارف وتعقل وتفهم وتنطق، ثمّ خلق اللّه لها أجساداً من بعد ذلك فركّبها فيها، ولو كان ذلك كذلك لكنّا نعرف ما كنّا عليه، وإذا ذكّرنا به ذكرناه، ولا يخفى علينا الحال فيه. ألا ترى أنّ من نشأ ببلد من البلاد فأقام فيها حولاً ثمّ انتقل إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك، وإن خفي عليه لسهوه عنه فذكّر به ذكره، ولولا أنّ الأمر كذلك لجاز أن يولد إنسان منّا ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثمّ ينتقل منها إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً وإن ذكر به وعدّد عليه علامات حاله ومكانه ونشوه، وهذا ما لا يذهب إليه عاقل.

والذي صرّح به أبو جعفر في معنى الروح والنفس هو قول التناسخيّة بعينه من غير أن يعلم أنّه قولهم، فالجناية بذلك على نفسه وغيره عظيمة.

← النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (النازعات/٤٠)، وكقول علي عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

كما أن للروح معنى آخر كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء/٨٥)، وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (الأنبياء/٩١) وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر/٢٩) وهو الذي يسمّى بالنفس الناطقة والروح الإنساني وهو جوهر مجرّد مدرك للكلّيات والمعقولات ومبدأ لجميع الأفاعيل الصادرة عن الإنسان، ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، لكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وهو الذي يشير الإنسان إليه بقوله: «أنا»، وعلى هذا المعنى استقر رأي الفلاسفة الإسلامية والحكماء الإلهيين، وأكثر المتكلمين من المذهب الإسلامية، وسيجيء منه إيعاز إلى ذلك وإشارة إلى تجرّده. (هامش المطبوع)

١. الشورى/٥٢.

٢. النباء/٣٨.

٣. النحل/١٠٢.

وأمّا ما ذكره من أنّ الأنفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن، قال اللّه تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[1] والذي حكاه من ذلك وتوهّمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الذين زعموا أنّ الأنفس لا يلحقها الكون والفساد وأنّها باقية، وإنّما تفنى وتفسد الأجسام المركّبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ، وزعموا أنّ الأنفس لم تزل تتكرّر في الصور والهَياكِل لم تحدث ولم تفن ولم تعدم وأنّها باقية غير فانية، وهذا من أخبث قول وأبعده من الصواب، وشنّع به الناصبة على الشيعة ونسبوهم به إلى الزندقة، ولو عرف مثبته ما فيه لما تعرّض له، لكنّ أصحابنا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلّة فطنة، يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفرّقون بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصلون معاني ما يطلقونه منها؛ والذي ثبت من الحديث في هذا الباب أنّ الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين: منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب.

وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبيّنّاه، **فَسُئِلَ عَمَّنْ مَاتَ فِي هٰذِهِ الدَّارِ أَيْنَ تَكُونُ رُوحُهُ؟ فَقَالَ** عليه السلام: **مَنْ مَاتَ وَهُوَ مَاحِضٌ لِلْإِيمَانِ مَحْضاً أَوْ مَاحِضٌ لِلْكُفْرِ مَحْضاً نُقِلَتْ رُوحُهُ مِنْ هَيْكَلِهِ إِلَى مِثْلِهِ فِي الصُّورَةِ، وَجُوزِيَ بِأَعْمَالِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا بَعَثَ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ أَنْشَأَ جِسْمَهُ وَرَدَّ رُوحَهُ إِلَى جَسَدِهِ وَحَشَرَهُ لِيُوَفِّيَهُ أَعْمَالَهُ، فَالْمُؤْمِنُ يَنْتَقِلُ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ إِلَى مِثْلِ جَسَدِهِ فِي الصُّورَةِ فَيُجْعَلُ فِي جَنَّاتٍ مِنْ جِنَانِ الدُّنْيَا يَتَنَعَّمُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ، وَالْكَافِرُ يَنْتَقِلُ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ إِلَى مِثْلِهِ بِعَيْنِهِ وَيُجْعَلُ فِي نَارٍ فَيُعَذَّبُ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.**

وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي**﴾[2]، وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيًّا**﴾[3] فأخبر سبحانه أنّ مؤمناً قال بعد موته وقد أُدخل الجنة: ﴿**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾، وأخبر أنّ كافراً يعذّب بعد موته **غدوّا وعشيّا ويوم تقوم السّاعة** يخلد في النار، والضرب الآخر من يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتّى يبعث، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً، ولا الكفر محضاً، وقد بيّن اللّه تعالى ذلك عند قوله: ﴿**إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً**﴾[4]، فبيّن أنّ قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور، حتّى يظنّ بعضهم أنّ ذلك كان عشراً، أو يظنّ بعضهم: أنّ ذلك كان يوماً، وليس يجوز أن يكون ذلك

---

١. الرحمن/٢٦ و٢٧.

٢. يس/٢٦ و٢٧.

٣. غافر/٤٦.

٤. طه/١٠٤.

من وصف من عذّب إلى بعثه، ونعّم إلى بعثه، لأنّ من لم يزل منعّماً أو معذّباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً، أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً، فَأَمَّا مَا سِوَى هٰذَيْنِ فَإِنَّهُ يُلْهَى عَنْهُ، وَقَالَ[٢] فِي الرَّجْعَةِ: إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ عليه السلام مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً، فَأَمَّا مَا سِوَى هٰذَيْنِ فَلَا رُجُوعَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ.

وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعّم ويعذّب بعد موته فقال بعضهم: المنعّم والمعذّب هو الروح التي توجّه إليها الأمر والنهي والتكليف، وسمّوها جوهراً، وقال آخرون: بل الروح، الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا، وكلا الأمرين يجوزان في العقل، والأظهر عندي قول من قال: إنّها الجوهر المخاطب، وهو الذي تسمّيه الفلاسفة البسيط، وقد جاء في الحديث: أنّ الأنبياء «صلوات اللّه عليهم» خاصّة والأئمّة عليهم السلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء، فينعّمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاصّ بحجج اللّه دون من سواهم من الناس.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٣] أَنَّهُ قَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ بَعِيدٍ بُلِّغْتُهُ.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله[٤]: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْراً صَلَّيْتُ عَلَيْهِ مِائَةً، فَلْيُكْثِرِ امْرُؤٌ مِنْكُمُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، أَوْ فَلْيُقِلَّ.

فبيّن أنّه صلى الله عليه وآله بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه، ولا يكون كذلك إلّا وهو حيّ عند اللّه تعالى، وكذلك أئمّة الهدى «صلوات اللّه عليهم» يسمعون سلام المسلّم عليهم من قرب ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم، وقد قال اللّه تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ الآية[٥].

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَلِيبٍ[٦] بَدْرٍ فَقَالَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ وَقَدْ أُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ: لَقَدْ كُنْتُمْ جِيرَانَ سَوْءٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، أَخْرَجْتُمُوهُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَطَرَدْتُمُوهُ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ فَحَارَبْتُمُوهُ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا

---

١. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٥، ح ١.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣١؛ الهداية الكبرى، ص ٤٠٢؛ وفيهما بمضمونه.

٣. تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥٩.

٤. ورد في صحيح مسلم، ج ٢، ص ٤، بمضمونه.

٥. آل عمران/١٦٩.

٦. القليب: البئر، راجع لسان العرب.

وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً[١]، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا خِطَابُكَ لِهَامٍ[٢] قَدْ صَدِيَتْ[٣]؟ فَقَالَ لَهُ: مَهْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَأْخُذَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ[٤] إِلَّا أَنْ أُعْرِضَ بِوَجْهِي هٰكَذَا عَنْهُمْ.

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» أَنَّهُ رَكِبَ بَعْدَ انْفِصَالِ الْأَمْرِ مِنْ حَرْبِ الْبَصْرَةِ فَصَارَ يَتَخَلَّلُ بَيْنَ الصُّفُوفِ حَتَّى مَرَّ عَلَى كَعْبِ بْنِ سَوْرَةَ ـ وَكَانَ هٰذَا قَاضِيَ الْبَصْرَةِ وَلَّاهُ إِيَّاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَقَامَ بِهَا قَاضِياً بَيْنَ أَهْلِهَا زَمَنَ عُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالْبَصْرَةِ عَلَّقَ فِي عُنُقِهِ مُصْحَفاً وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ يُقَاتِلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقُتِلُوا بِأَجْمَعِهِمْ ـ فَوَقَفَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَهُوَ صَرِيعٌ بَيْنَ الْقَتْلَى فَقَالَ: أَجْلِسُوا كَعْبَ بْنَ سَوْرَةَ، فَأُجْلِسَ بَيْنَ نَفْسَيْنِ، فَقَالَ: يَا كَعْبَ بْنَ سَورَةَ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقّاً؟ ثُمَّ قَالَ: أَضْجِعُوا كَعْباً. وَسَارَ قَلِيلاً فَمَرَّ بِطَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَرِيعاً فَقَالَ: أَجْلِسُوا طَلْحَةَ، فَأَجْلَسُوهُ، فَقَالَ: يَا طَلْحَةُ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقّاً؟ ثُمَّ قَالَ: أَضْجِعُوا طَلْحَةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَلَامُكَ لِقَتِيلَيْنِ لَا يَسْمَعَانِ مِنْكَ؟ فَقَالَ: يَا رَجُلُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعَا كَلَامِي كَمَا سَمِعَ أَهْلُ الْقَلِيبِ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

وهذا من الأخبار الدالّة على أنّ بعض من يموت تردّ إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه، وليس ذلك بعامّ في كلّ من يموت بل هو على ما بيّنّاه[٥]. انتهى كلامه «رحمه اللَّه».

وأقول:

أمّا تشنيعه على الصدوق «رحمه اللَّه» بالقول بسبق الأرواح، فسيأتي في كتاب السماء والعالم[٦] أخبار مستفيضة في ذلك ولا استبعاد فيه، ولم يقم برهان تامّ على نفيه، وما ذكره من أنّه لا بدّ أن يذكر الإنسان تلك الحالة فغير مسلّم مع بعد العهد وتخلّل حالة الجنينيّة والطفوليّة وغيرهما بينهما، ولا استبعاد في أن ينسيه اللَّه تعالى ذلك لكثير من المصالح، مع أنّا لا نذكر أكثر أحوال الطفوليّة فأيّ استبعاد في نسيان ما قبلها؟

وأمّا القول ببقاء الأرواح، فقد قال «رحمه اللَّه» به في بعضها فأيّ استبعاد في القول بذلك في جميعها؟ وما ذكره من الأخبار لا يدلّ على فناء الأرواح الملهوّ عنهم، بل على عدم إثابتها وتعذيبها، وإن كان الطعن على الصدوق في أنّه يتضمّن كلامه أنّه لا يفني اللَّه الأرواح في وقت من الأوقات فليس كلامه مصرّحاً بذلك مع

---

١. في تصحيح الاعتقادات مع زيادة: «فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّا».

٢. الهامة: الرأس، ورئيس القوم، وجماعة الناس، والجمع من كل ذلك هام، راجع لسان العرب.

٣. أصدى الرجل: مات، راجع تاج العروس.

٤. في نسخة: بمقامع من حديد، والمقامع جمع المقمعة، وهي خشبة أو حديدة يضرب بها الإنسان ليذلّ. (هامش المطبوع)

٥. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٧٩ـ٩٣.

٦. بحار الأنوار، كتاب السماء والعالم، أبواب الإنسان والروح والبدن، باب حقيقة النفس والروح وأحوالهما.

أنّ في إفنائها أيضاً كلاماً سيأتي في موضعه[١].

٢٤٣٩. الأمالي للشيخ الطوسيّ[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاذَانَ الْقُمِّيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ بُطَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ النَّهْدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَزُرْهُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ضِيقٍ وُسِّعَ عَلَيْهِ؛ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ يَعْلَمُونَ بِمَنْ أَتَاهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ كَانُوا سُدًى. قُلْتُ: فَيَعْلَمُونَ بِمَنْ أَتَاهُمْ فَيَفْرَحُونَ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَسْتَوْحِشُونَ لَهُ إِذَا انْصَرَفَ عَنْهُمْ.

بيان:

«السدى» بالضمّ ويفتح: المهمل، ولعلّ المعنى: أنّهم يوم الجمعة بعد طلوع الشمس أيضاً مهملون غير معذّبين، أو المعنى أنّه يوسّع عليهم في يوم الجمعة أو الزيارة في يوم الجمعة تصير سبباً لذلك. وقوله عليه السلام: «ما بين طلوع الفجر» استئناف كلام، أي في كلّ يوم يطّلعون على زوّارهم في ذلك الوقت لأنّهم في القبور فإذا طلعت الشمس يرخّص لهم فيخرجون من قبورهم.

٢٤٤٠. الكافي[٣]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَزُورُ أَهْلَهُ فَيَرَى مَا يُحِبُّ، وَيُسْتَرُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَزُورُ أَهْلَهُ فَيَرَى مَا يَكْرَهُ وَيُسْتَرُ عَنْهُ مَا يُحِبُّ[٤]. قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ.

٢٤٤١. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذٰلِكَ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرُ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً.

٢٤٤٢. الكافي[٦]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ

---

١. بحار الأنوار، كتاب السماء والعالم، أبواب الإنسان والروح والبدن، باب حقيقة النفس والروح وأحوالها.

٢. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٨٨، ح ١٤٦٢؛ وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٤١٥، ح ٩٧٣٢.

٣. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يزور أهله، ص ٢٣٠، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب التعزية، ص ١٨١، ح ٥٤٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٦، ح ٣٩٥.

٤. في الفقيه: «إن الكافر ليزور أهله، فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ» فحسب.

٥. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يزور أهله، ص ٢٣٠، ح ٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٧، ح ٣٩٦.

٦. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يزور أهله، ص ٢٣٠، ح ٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٧، ح ٣٩٧.

عَنِ الْمَيِّتِ يَزُورُ أَهْلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: فِي كَمْ يَزُورُ؟ قَالَ: فِي الْجُمُعَةِ وَفِي الشَّهْرِ وَفِي السَّنَةِ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ، فَقُلْتُ: فِي أَيِّ صُورَةٍ يَأْتِيهِمْ؟ قَالَ: فِي صُورَةِ طَائِرٍ لَطِيفٍ يَسْقُطُ عَلَى جُدُرِهِمْ وَيُشْرِفُ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ رَآهُمْ بِخَيْرٍ فَرِحَ، وَإِنْ رَآهُمْ بِشَرٍّ وَحَاجَةٍ وَحُزْنٍ اغْتَمَّ[١].

٢٤٤٣. الكافي[٢]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ دُرُسْتَ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الْمُؤْمِنُ يَزُورُ أَهْلَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ فَيَأْذَنُ لَهُ فَيَبْعَثُ مَعَهُ مَلَكَيْنِ فَيَأْتِيهِمْ فِي بَعْضِ صُوَرِ الطَّيْرِ يَقَعُ فِي دَارِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ.

٢٤٤٤. الكافي[٣]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام: يَزُورُ الْمُؤْمِنُ أَهْلَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: فِي كَمْ؟ قَالَ: عَلَى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْرَى كَلَامِهِ يَقُولُ: أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ. قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ سَاعَةٍ؟ قَالَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَمِثْلِ ذٰلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ صُورَةٍ؟ قَالَ: فِي صُورَةِ الْعُصْفُورِ أَوْ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ[٤]، يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ مَلَكاً فَيُرِيهِ مَا يَسُرُّهُ، وَيَسْتُرُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، فَيَرَى مَا يَسُرُّهُ وَيَرْجِعُ إِلَى قُرَّةِ عَيْنٍ.

أقول: رَوَى السَّيِّدُ فِي سَعْدِ السُّعُودِ[٥]، مِنْ كِتَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: كَانَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام فِي دَارِ أَبِيهِ فَتَحَوَّلَ مِنْهَا بِعِيَالِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ أَ تَحَوَّلْتَ مِنْ دَارِ أَبِيكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُوَسِّعَ عَلَى عِيَالِ أَبِي، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضِيقٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ أَنِّي وَسَّعْتُ عَلَى عِيَالِهِ. قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ هٰذَا لِلْإِمَامِ خَاصَّةً أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هٰذَا لِلْإِمَامِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَهُوَ يُلِمُّ[٦] بِأَهْلِهِ كُلَّ جُمُعَةٍ، فَإِنْ رَأَى خَيْراً حَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ رَأَى غَيْرَ ذٰلِكَ اسْتَغْفَرَ وَاسْتَرْجَعَ.

٢٤٤٥. الكافي[٧]: الْعِدَّةُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؛ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ،

---

١. في المصدر والفصول: «حزن واغتم».

٢. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يزور أهله، ص ٢٣٠، ح ٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٧، ح ٣٩٨.

٣. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يزور أهله، ص ٢٣١، ح ٥؛ وفي من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب التعزية، ص ١٨١، ح ٥٤٢، مع اختلاف يسير؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٨، ح ٣٩٩.

٤. لم يرد في الفقيه: «قلت: في أيّ صورة؟ قال: في صورة العصفور أو أصغر من ذلك».

٥. سعد السعود، ص ٢٣٦.

٦. ألمّ به: نزل به، زاره، راجع لسان العرب.

٧. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يمثّل له، ص ٢٣٣، ح ٢؛ تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، ج ٢، ص ٢٢٤؛ إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ١، ص ٦٣؛ وفي الأخيرين بمضمونه.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا حُمِلَ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَى قَبْرِهِ نَادَى حَمَلَتَهُ: أَ لَا تَسْمَعُونَ يَا إِخْوَتَاهْ، إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكُمْ مَا وَقَعَ فِيهِ أَخُوكُمُ الشَّقِيُّ، أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ[١] خَدَعَنِي فَأَوْرَدَنِي ثُمَّ لَمْ يُصْدِرْنِي[٢]، وَأَقْسَمَ لِي أَنَّهُ نَاصِحٌ لِي فَغَشَّنِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ دُنْيَا غَرَّتْنِي حَتَّى إِذَا اطْمَأْنَنْتُ إِلَيْهَا صَرَعَتْنِي[٣]، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ أَخِلَّاءَ الْهَوَى مَنَّوْنِي[٤] ثُمَّ تَبَرَّؤُوا مِنِّي وَخَذَلُونِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ أَوْلَاداً حَمَيْتُ عَنْهُمْ وَآثَرْتُهُمْ عَلَى نَفْسِي فَأَكَلُوا مَالِي وَأَسْلَمُونِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ مَالاً مَنَعْتُ فِيهِ[٥] حَقَّ اللَّهِ فَكَانَ وَبَالُهُ عَلَيَّ وَكَانَ نَفْعُهُ لِغَيْرِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ دَاراً أَنْفَقْتُ عَلَيْهَا حَرِيبَتِي وَصَارَ سُكَّانُهَا غَيْرِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ طُولَ الثَّوَى[٦] فِي قَبْرِي يُنَادِي: أَنَا بَيْتُ الدُّودِ، أَنَا بَيْتُ الظُّلْمَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالضِّيقِ، يَا إِخْوَتَاهْ فَاحْبِسُونِي مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا لَقِيتُ، فَإِنِّي قَدْ بُشِّرْتُ بِالنَّارِ وَالذُّلِّ وَالصَّغَارِ وَغَضَبِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، وَا حَسْرَتَاهْ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ[٧]، وَيَا طُولَ عَوْلَتَاهْ[٨] فَمَا لِي مِنْ شَفِيعٍ يُطَاعُ، وَلَا صَدِيقٍ يَرْحَمُنِي، فَلَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً[٩] فَأَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٢٤٤٦. الكافي[١٠]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مِثْلَهُ، وَزَادَ فِيهِ: فَمَا يَفْتُرُ[١١] يُنَادِي حَتَّى يُدْخَلَ قَبْرَهُ، فَإِذَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ رُدَّتِ الرُّوحُ فِي جَسَدِهِ، وَجَاءَ مَلَكَا الْقَبْرِ فَامْتَحَنَاهُ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَبْكِي إِذَا ذَكَرَ هٰذَا الْحَدِيثَ.

٢٤٤٧. الكافي[١٢]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: مَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِالنَّاسِ؟! إِنْ حَدَّثْنَاهُمْ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ضَحِكُوا، وَإِنْ سَكَتْنَا لَمْ

---

١. أراد الشيطان. (هامش المطبوع)

٢. أصدرته: رجعته، والصَّدَر نقيض الوِرد، راجع لسان العرب.

٣. الصرع: الطرح بالأرض، راجع لسان العرب.

٤. مَنَوْتُه ومَنَيْته: إذا ابتليته، راجع لسان العرب، مادة «مني».

٥. في المصدر: «منعت منه».

٦. الصحيح كما في الكافي «الثواء» بالمد، وهو الإقامة. (هامش المطبوع)

٧. أي في طاعة اللَّه. (هامش المطبوع)

٨. العَول والعولة: رفع الصوت بالبكاء، راجع لسان العرب.

٩. الكرّة: الرجعة، راجع مجمع البحرين.

١٠. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يمثّل له، ص ٢٣٤، ح ٣.

١١. فتر الشيء: سكن بعد حدّة ولانَ بعد شدّة، راجع لسان العرب.

١٢. الكافي، ج ٣، باب أن الميت يمثّل له، ص ٢٣٤، ح ٤؛ وفي الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٨٦، ح ٨، مع نقصان بمضمونه؛ إثبات الهداة، ج ٤، ص ٦٤، ح ٨.

يَسَعْنَا. قَالَ: فَقَالَ ضَمْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ: حَدِّثْنَا، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ إِذَا حُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ لِحَمَلَتِهِ: أَ لَا تَسْمَعُونَ أَنِّي أَشْكُو إِلَيْكُمْ عَدُوَّ اللَّهِ خَدَعَنِي وَأَوْرَدَنِي ثُمَّ لَمْ يُصْدِرْنِي، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ إِخْوَاناً وَاخَيْتُهُمْ فَخَذَلُونِي[١]، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ داراً[٢] أَنْفَقْتُ فِيهَا حَرِيبَتِي فَصَارَ سُكَّانُهَا غَيْرِي؟ فَارْفُقُوا بِي وَلَا تَسْتَعْجِلُوا.

قَالَ ضَمْرَةُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنْ كَانَ هٰذَا يَتَكَلَّمُ بِهٰذَا الْكَلَامِ يُوشِكُ أَنْ يَثِبَ عَلَى أَعْنَاقِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَهُ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ضَمْرَةُ هَزِأَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِكَ فَخُذْهُ أَخْذَ أَسَفٍ.

قَالَ: فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ مَاتَ، فَحَضَرَهُ مَوْلًى لَهُ قَالَ: فَلَمَّا دُفِنَ أَتَى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: مِنْ جِنَازَةِ ضَمْرَةَ، فَوَضَعْتُ وَجْهِي عَلَيْهِ حِينَ سُوِّيَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَهُ وَاللَّهِ أَعْرِفُهُ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَهُوَ حَيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ضَمْرَةَ بْنَ مَعْبَدٍ! الْيَوْمَ خَذْلِكَ كُلُّ خَلِيلٍ وَصَارَ مَصِيرُكَ إِلَى الْجَحِيمِ فِيهَا مَسْكَنُكَ وَمَبِيتُكَ وَالْمَقِيلُ[٣]. قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يَهْزَأُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

توضيح:

حريبة الرجل: ماله الذي يعيش به.

٢٤٤٨. الكافي[٤]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً، أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً[٥].

بيان:

«من محض» بفتح الميم اسم موصول، وبكسر الميم حرف جرّ، وقراءة محض مصدراً ليكون المعنى: أنّه

---

١. في الكافي مع زيادة: «وأشكو إليكم أولادا حاميت عليهم فخذلوني».

٢. في الإثبات: «وأشكوا إليكم أولادا».

٣. المقيل: الموضع، راجع لسان العرب.

٤. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٦، ح ٤؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب التعزية، ص ١٧٨، ح ٥٣٠؛ تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٩٠؛ وفي الأخيرين مع زيادة في ذيله.

٥. **نقول:** يظهر من غير واحد من الروايات أن ثواب البرزخ وعقابه يختص بخواص المؤمنين وزعماء الكفار، والباقون يلهى عنهم، وذلك لأن البرزخ ليس دار الثوب والعقاب إلا لمن كان ثوابه عظيما كالشهداء فهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم ربهم من فضله، ومن كان عقابه عظيماً يسرى من القيامة إلى البرزخ مثل فرعون وأعوانه و﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ (غافر/٤٦)، كما صرّح به الآيات القرآنية؛ وأما غيرهم إذا قامت القيامة يقول بعضهم لبعض: إن لبثنا (أي في البرزخ) إلا يوما أو بعض يوم، وهذا دليل على كونهم على حالة شبيه النائم، واللّه العالم».

لا يسأل عن الأعمال بل عن العقائد تصحيف يأباه صريح الأخبار، بل المعنى: أنّه لا يسأل عن المستضعفين المتوسّطين بين الإيمان والكفر.

٢٤٤٩. الكافي[١]: بِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يُسْأَلُ وَهُوَ مَضْغُوطٌ

بيان:

لعلّ المعنى أنّ الضغطة والسؤال متلازمان، فكلّ من لا يضغط لا يسأل وبالعكس؛ أو يسأل في حالة الضغطة؛ ويحتمل أن يكون الغرض إثبات الحالتين حسب.

٢٤٥٠. الكافي[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ[٣]، عَنْ غَالِبِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: يَجِيءُ الْمَلَكَانِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ إِلَى الْمَيِّتِ حِينَ يُدْفَنُ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، يَخُطَّانِ[٤] الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا، وَيَطَآنِ فِي شُعُورِهِمَا، فَيَسْأَلَانِ الْمَيِّتَ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ عليه السلام: فَإِذَا كَانَ مُؤْمِناً قَالَ: اللَّهُ رَبِّي، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ؟ فَيَقُولُ: أَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ تَسْأَلَانِي؟ فَيَقُولَانِ لَهُ: تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: نَمْ نَوْمَةً لَا حُلُمَ فِيهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِراً دَخَلَا عَلَيْهِ وَأُقِيمَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ، عَيْنَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْكُمْ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُخَلِّيَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ فَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّيناً[٥].[٦] وَلَوْ أَنَّ تِنِّيناً وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَجَراً أَبَداً، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا.

---

١. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٦، ح ٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٤، ح ٣٨٩.

٢. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٦، ح ٧؛ وفي الزهد، ص ٨٦، ح ٢٣١، بمضمونه؛ إثبات الهداة، ج ١، ص ١١٨، ح ٧٨؛ وفي الأخيرين مع نقصان.

٣. في المصدر: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي، ...»، وفي الزهد بهذا الإسناد: «الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام»، وفي الإثبات: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن عيسى، ...».

٤. خطّ له مضجعاً: إذا حفر له ضريحا، راجع أساس البلاغة؛ ويخطّان الأرض أي يحفران ويشقّان.

٥. التنين: الحية العظيمة، راجع مجمع البحرين.

٦. إلى هنا تمّت الرواية في الإثبات.

إيضاح:

قال الجزريّ: فيه: الرؤيا من اللّه والحُلْم من الشيطان؛ الحلم عبارة عمّا يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، والحلم على ما يراه من الشرّ والشيء القبيح.

٢٤٥١. الكافي[١]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَمُّونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ مَنِ الْمَسْؤُولُونَ فِي قُبُورِهِمْ؟ قَالَ: مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ وَمَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ، قَالَ: قُلْتُ فَبَقِيَّةُ هٰذَا الْخَلْقِ؟ قَالَ: يُلْهَوْنَ وَاللَّهِ عَنْهُمْ مَا يُعْبَأُ بِهِمْ، قَالَ: وَقُلْتُ: وَعَمَّ يُسْأَلُونَ؟ قَالَ: عَنِ الْحُجَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَيُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ: مَا تَقُولُ فِي فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ؟ فَيَقُولُ: ذَاكَ إِمَامِي، فَيَقُولُ: نَمْ أَنَامَ اللَّهُ عَيْنَيْكَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَمَا يَزَالُ يُتْحِفُهُ مِنْ رَوْحِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: مَا تَقُولُ فِي فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَمَا أَدْرِي مَا هُوَ! فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يُتْحِفُهُ مِنْ حَرِّهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢٤٥٢. الكافي[٢]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَشْعَثِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣] يَقُولُ: يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ[٤] فَإِذَا أَثْبَتَ فُسِحَ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَقِيلَ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ قَرِيرَ الْعَيْنِ[٥].

٢٤٥٣. الكافي[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ فِي قَبْرِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: اللَّهُ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: الْإِسْلَامُ. فَيُقَالُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله. فَيُقَالُ: مَنْ إِمَامُكَ؟ فَيَقُولُ: فُلَانٌ[٧]، فَيُقَالُ: كَيْفَ عَلِمْتَ بِذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَمْرٌ هَدَانِيَ اللَّهُ لَهُ وَثَبَّتَنِي عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةً لَا حُلُمَ فِيهَا نَوْمَةَ الْعَرُوسِ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرَيْحَانِهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ. فَيُقَالُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيُقَالُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: الْإِسْلَامُ. فَيُقَالُ: مِنْ

---

١. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٧، ح ٨؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٢٥، ح ٣٩٤.

٢. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٨، ح ٩؛ شرح الأخبار، ج ٣، ص ٤٨٧، ح ١٤١٠.

٣. في شرح الأخبار بهذا الإسناد: «ابن شعيب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. في شرح الأخبار مع زيادة: «عن إمام زمانه».

٥. قرّة العين: برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه، فقرّة العين كناية عن الفرح والسرور، راجع مجمع البحرين.

٦. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٨، ح ١١؛ الزهد، ص ٨٧، ح ٢٣٢.

٧. في الزهد: «فيقول علي عليه السلام».

أَيْنَ عَلِمْتَ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ[١]، فَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ[٢] لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، لَمْ يُطِيقُوهَا. قَالَ عليه السلام: فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، ثُمَّ يُعِيدَانِ فِيهِ الرُّوحَ فَيُوضَعُ قَلْبُهُ بَيْنَ لَوْحَيْنِ مِنْ نَارٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَخِّرْ قِيَامَ السَّاعَةِ.

بيان:

هذا الخبر يدلّ على أنّ إسلام المخالفين لعدم توسّلهم بأئمّة الهدى عليهم السلام ظنّيّ تقليديّ لم يهدهم اللّه للرسوخ فيه، وإنّما الهداية واليقين مع متابعتهم عليهم السلام.

٢٤٥٤. الكافي[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أُخْرِجَ مِنْ بَيْتِهِ شَيَّعَهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى قَبْرِهِ يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا انْتُهِيَ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: مَرْحَباً بِكَ وَأَهْلاً، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيَّ مِثْلُكَ، لَتَرَيَنَّ مَا أَصْنَعُ بِكَ؛ فَيُوَسَّعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ مَلَكَا الْقَبْرِ وَهُمَا قَعِيدَا الْقَبْرِ[٤]: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَيُلْقِيَانِ فِيهِ الرُّوحَ إِلَى حَقْوَيْهِ[٥]، فَيُقْعِدَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ. فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله. فَيَقُولَانِ: وَمَنْ إِمَامُكَ؟ فَيَقُولُ: فُلَانٌ.

قَالَ عليه السلام: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: صَدَقَ عَبْدِي، افْرُشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَأْتِيَنَا، وَمَا عِنْدَنَا خَيْرٌ لَهُ؛ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ، نَمْ نَوْمَةً لَا حُلُمَ فِيهَا.

قَالَ عليه السلام: وَإِنْ كَانَ كَافِراً خَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ تُشَيِّعُهُ إِلَى قَبْرِهِ يَلْعَنُونَهُ حَتَّى إِذَا انْتُهِيَ إِلَى قَبْرِهِ، قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: لَا مَرْحَباً بِكَ وَلَا أَهْلاً، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُبْغِضُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيَّ مِثْلُكَ، لَا جَرَمَ لَتَرَيَنَّ مَا أَصْنَعُ بِكَ الْيَوْمَ، فَتَضِيقُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ جَوَانِحُهُ[٦]؛ قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَلَكَا الْقَبْرِ وَهُمَا قَعِيدَا الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ. قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ يَدْخُلَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرُ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: لَا، قَالَ عليه السلام: فَيُقْعِدَانِهِ وَيُلْقِيَانِ فِيهِ الرُّوحَ إِلَى حَقْوَيْهِ[٧]

---

١. في الزهد مع زيادة: «فيقال له: من وليّك؟ فيقول: لا أدري».

٢. المرزبة: عُصيّة من حديد، راجع لسان العرب.

٣. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٣٩، ح ١٢؛ وفي تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٥، ح ١٨، مع اختلاف يسير؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣٠٠، ح ٥٧٢٨.

٤. القعيد: الذي يصاحبك في قعودك، راجع لسان العرب.

٥. الحقوان: الخاصرتان، راجع لسان العرب.

٦. الجوانح: الأضلاع مما يلي الصدر، واحدها جانحة، راجع مجمع البحرين.

٧. لم يرد في تفسير العياشي: «ويلقيان فيه الروح إلى حقويه».

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَتَلَجْلَجُ[١] وَيَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، وَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ؟ فَيَتَلَجْلَجُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، وَيُسْأَلُ مِنْ إِمَامِ زَمَانِهِ.

قَالَ عليه السلام: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: كَذَبَ عَبْدِي، افْرُشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ ثِيَابِ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَنَا، وَمَا عِنْدَنَا شَرٌّ لَهُ، فَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ لَيْسَ مِنْهَا ضَرْبَةٌ إِلَّا يَتَطَايَرُ قَبْرُهُ نَاراً، لَوْ ضُرِبَ بِتِلْكَ الْمِرْزَبَةِ جِبَالُ تِهَامَةَ لَكَانَتْ رَمِيماً.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ الْحَيَّاتِ تَنْهَشُهُ نَهْشاً، وَالشَّيْطَانَ يَغُمُّهُ غَمّاً، قَالَ عليه السلام: وَيَسْمَعُ عَذَابَهُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، قَالَ عليه السلام: وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ[٢] نِعَالِهِمْ وَنَفْضَ[٣] أَيْدِيهِمْ[٤]، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٥].

بيان:

قوله: «لا دريت» دعاء عليه، أو استفهام إنكاريّ أي علمت وتمّت الحجّة عليك في الدنيا وإنّما جحدت بشقاوتك.

٢٤٥٥. الكافي[٦]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ الْخُرَاسَانِي، عَنْ أَبِيهِ[٧] قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ مُثِّلَ لَهُ شَخْصٌ فَقَالَ لَهُ: يَا هٰذَا كُنَّا ثَلَاثَةً، كَانَ رِزْقَكَ فَانْقَطَعَ بِانْقِطَاعِ أَجَلِكَ، وَكَانَ أَهْلَكَ فَخَلَّفُوكَ وَانْصَرَفُوا عَنْكَ، وَكُنْتُ عَمَلَكَ فَبَقِيتُ مَعَكَ، أَمَا إِنِّي كُنْتُ أَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَيْكَ.

٢٤٥٦. الكافي[٨]: عَنْهُ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يُسْأَلُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ صَلَاتِهِ، وَزَكَاتِهِ، وَحَجِّهِ، وَصِيَامِهِ، وَوَلَايَتِهِ إِيَّانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَتَقُولُ الْوَلَايَةُ عَنْ جَانِبِ الْقَبْرِ لِلْأَرْبَعِ: مَا دَخَلَ فِيكُنَّ مِنْ نَقْصٍ فَعَلَيَّ تَمَامُهُ.

---

١. اللجلجة والتلجلج: ثقل اللسان والتردد في الكلام، راجع لسان العرب.

٢. الخفق: صوت النعل، راجع مجمع البحرين.

٣. النفض: الحركة، راجع النهاية.

٤. في المصدر: «نقض أيديهم».

٥. إبراهيم/٢٧.

٦. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٤٠، ح ١٤.

٧. في المصدر: «عن محمد بن أحمد الخراساني، عن أبيه».

٨. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٤١، ح ١٥.

٢٤٥٧. الكافي[١]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ قَالَ: سَأَلْتُهُ عليه السلام عَنِ الْمَصْلُوبِ، يُعَذَّبُ عَذَابَ الْقَبْرِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ الْهَوَاءَ أَنْ يَضْغَطَهُ.

٢٤٥٨. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى[٢]: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْمَصْلُوبِ يُصِيبُهُ عَذَابُ الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّ الْأَرْضِ هُوَ رَبُّ الْهَوَاءِ، فَيُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْهَوَاءِ فَيَضْغَطُهُ ضَغْطَةً أَشَدَّ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ.

٢٤٥٩. الكافي[٣]: حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ رُقَيَّةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الْحَقِي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَأَصْحَابِهِ؛ قَالَ عليه السلام وَفاطمة عليها السلام عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ تَنْحَدِرُ دُمُوعُهَا فِي الْقَبْرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتَلَقَّاهُ[٤] بِثَوْبِهِ قَائِمٌ يَدْعُو، قَالَ صلى الله عليه وآله: إِنِّي لَأَعْرِفُ ضَعْفَهَا وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجِيرَهَا مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ.

٢٤٦٠. الكافي[٥]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ قَبْرٍ[٦] إِلَّا وَهُوَ يَنْطِقُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَنَا بَيْتُ التُّرَابِ، أَنَا بَيْتُ الْبِلَى، أَنَا بَيْتُ الدُّودِ؛ قَالَ: فَإِذَا دَخَلَهُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ قَالَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّكَ وَأَنْتَ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِي، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلْتَ بَطْنِي؟! فَسَتَرَى ذٰلِكَ؛ قَالَ: فَيُفْسَحُ لَهُ مَدَّ الْبَصَرِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَيَخْرُجُ مِنْ ذٰلِكَ رَجُلٌ لَمْ تَرَ عَيْنَاهُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْكَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَأْيُكَ الْحَسَنُ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ وَعَمَلُكَ الصَّالِحُ الَّذِي كُنْتَ تَعْمَلُهُ؛ قَالَ: ثُمَّ تُؤْخَذُ رُوحُهُ فَتُوضَعُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ رَأَى مَنْزِلَهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُ نَفْحَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ تُصِيبُ جَسَدَهُ، يَجِدُ لَذَّتَهَا وَطِيبَهَا حَتَّى يُبْعَثَ.

قَالَ عليه السلام: وَإِذَا دَخَلَ الْكَافِرُ قَالَتْ: لَا مَرْحَباً بِكَ وَلَا أَهْلاً، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُبْغِضُكَ وَأَنْتَ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِي، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلْتَ بَطْنِي؟ سَتَرَى ذٰلِكَ؛ فَتَضُمُّ عَلَيْهِ فَتَجْعَلُهُ رَمِيماً وَيُعَادُ كَمَا كَانَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ؛ ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ رَجُلٌ أَقْبَحُ مَنْ رَأَى قَطُّ قَالَ: فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَقْبَحَ مِنْكَ! قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ الَّذِي كُنْتَ تَعْمَلُهُ، وَرَأْيُكَ الْخَبِيثُ؛ قَالَ: ثُمَّ تُؤْخَذُ رُوحُهُ فَتُوضَعُ حَيْثُ رَأَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ نَفْحَةٌ مِنَ النَّارِ تُصِيبُ جَسَدَهُ فَيَجِدُ أَلَمَهَا وَحَرَّهَا إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، وَيُسَلَّطُ عَلَى رُوحِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً تَنْهَشُهُ لَيْسَ فِيهَا تِنِّينٌ تَنْفُخُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَتُنْبِتَ شَيْئاً.

---

١. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٤١، ح ١٦؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٤٨٨.

٢. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٤١، ح ١٧؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب النوادر، ص ١٩٢، ح ٥٨٤.

٣. الكافي، ج ٣، باب المسألة في القبر، ص ٢٤١، ح ١٨؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٤٨٨؛ وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٧٩، ح ٣٤٦٩.

٤. أي يحفظ دموعه. (هامش المطبوع)

٥. الكافي، ج ٣، باب ما ينطق به موضع القبر، ص ٢٤١، ح ١؛ روضة المتقين، ج ١، ص ٣٦٢.

٦. في الكافي والروضة: «ما من موضع قبر».

٢٤٦١. الكافي[١]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ: كُلُّ شِيعَتِنَا فِي الْجَنَّةِ عَلَى مَا كَانَ فِيهِمْ، قَالَ: صَدَّقْتُكَ، كُلُّهُمْ وَاللَّهِ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: قُلْتُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ إِنَّ الذُّنُوبَ كَثِيرَةٌ كَبَائِرُ، فَقَالَ: أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ،[٢] وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ. قُلْتُ: وَمَا الْبَرْزَخُ؟ قَالَ: الْقَبْرُ مُنْذُ حِينِ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢٤٦٢. الكافي[٣]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنِ الْمُرْتَجِلِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ ذَرِيحٍ الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ عَبَايَةَ الْأَسَدِيِّ[٤]، عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الظُّهْرِ فَوَقَفَ بِوَادِي السَّلَامِ كَأَنَّهُ مُخَاطِبٌ لِأَقْوَامٍ فَقُمْتُ بِقِيَامِهِ حَتَّى أَعْيَيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ حَتَّى نَالَنِي مِثْلُ مَا نَالَنِي أَوَّلاً، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ وَجَمَعْتُ رِدَائِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ فَرَاحَةَ سَاعَةٍ، ثُمَّ طَرَحْتُ الرِّدَاءَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ فَقَالَ عليه السلام: يَا حَبَّةُ إِنْ هُوَ إِلَّا مُحَادَثَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤَانَسَتُهُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُمْ لَكَذٰلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْ كُشِفَ لَكَ لَرَأَيْتَهُمْ حَلَقاً حَلَقاً مُحْتَبِينَ[٥] يَتَحَادَثُونَ، فَقُلْتُ: أَجْسَامٌ أَمْ أَرْوَاحٌ؟ فَقَالَ: أَرْوَاحٌ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ إِلَّا قِيلَ لِرُوحِهِ: الْحَقِي بِوَادِي السَّلَامِ، وَإِنَّهَا لَبُقْعَةٌ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ.

٢٤٦٣. الكافي[٦]: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ رَفَعَهُ، عَنْ

---

١. الكافي، ج ٣، باب ما ينطق به موضع القبر، ص ٢٤٢، ح ٣؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤١٠؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٦، ح ٧٥٢٨.

٢. **نقول:** لا شك أن الشفاعة لهم مشروطة بكونهم من الشيعة وهم الذين يشايعون عليّا عليه السلام في أعماله وإن صدر منهم بعض الزلّات أحيانا، وليس في هذه الروايات ترخيصا لمن يدّعي التشيع لفعل الكبائر والفواحش كما قد يتوهّم، وهناك شعر بالفارسية فيه لطف خاص، وإن شاعرا من شعراء أهل البيت يسمّى حاجبا قال في شعره:

حاجب اگر معامله حشر با علی است — من ضامنم كه هر چه بخواهی گناه كن!

فرأى في المنام عليّا عليه السلام فقال له: لماذا لم تقل هكذا:

حاجب اگر معامله حشر با علی است — شرم از رخ علی كن وكمتر گناه كن!

٣. الكافي، ج ٣، باب في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٣، ح ١؛ وفي الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٤٠٣، مع نقصان.

٤. في المصدر: «عبادة الأسدي».

٥. الاحتباء: أن يضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، راجع لسان العرب.

٦. الكافي، ج ٣، باب في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٣، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، ج ١، باب تلقين المحتضرين، ص ٤٦٦، ح ١٥٢٥؛ وفي إرشاد القلوب (للديلمي)، ج ٢، ص ٤٤٠، مع اختلاف يسير.

أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَخِي بِبَغْدَادَ وَأَخَافُ أَنْ يَمُوتَ بِهَا، فَقَالَ: مَا تُبَالِي حَيْثُمَا مَاتَ، أَمَا إِنَّهُ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ[٢] فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا إِلَّا حَشَرَهُ اللَّهُ رُوحَهُ[٣] إِلَى وَادِي السَّلَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَأَيْنَ وَادِي السَّلَامِ؟ قَالَ: ظَهْرَ الْكُوفَةِ، أَمَا إِنِّي كَأَنِّي بِهِمْ حَلَقٌ حَلَقٌ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ[٤].

٢٤٦٤. الكافي[٥]: سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الْأَجْسَادِ فِي شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسَائَلُ، فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الْأَرْوَاحِ تَقُولُ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا قَدْ أَفْلَتَتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهَا: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ: تَرَكْتُهُ حَيّاً ارْتَجَوْهُ، وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ: قَدْ هَلَكَ قَالُوا: قَدْ هَوَى هَوَى[٦].

٢٤٦٥. الكافي[٧]: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٨] قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: فِي حُجُرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَقِمْ لَنَا السَّاعَةَ، وَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا، وَأَلْحِقْ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا[٩].

٢٤٦٦. الكافي[١٠]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ يَسْأَلُونَهُ عَمَّنْ مَضَى وَعَمَّنْ بَقِيَ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ قَالُوا: قَدْ هَوَى هَوَى، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعُوهُ حَتَّى يَسْكُنَ مِمَّا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ.

٢٤٦٧. الكافي[١١]: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ[١٢]، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَخِيهِ الْحَسَنِ، عَنْ زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ

---

١. في التهذيب بهذا الإسناد: «العباس، عن الحسن بن علي، عن أحمد بن عمر، عن مروان بن مسلم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٢. في التهذيب: «لا يبقى أحد».

٣. في المصدر: «حشر اللّه روحه».

٤. في الإرشاد: «يتحدّثون على منابر من نور».

٥. الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٤، ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب النوادر، ص ١٩٣، ح ٥٩٣؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٤٠٢.

٦. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

٧. الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٤، ح ٤، وفي ح ٢، مع اختلاف يسير؛ الزهد، ص ٨٩، ح ٢٣٩.

٨. في الكافي، ح ٢ بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنّى الحناط، عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي الزهد: «ابن أبي عمير، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٩. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

١٠. الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٤، ح ٥؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٢، ح ٤٠٦.

١١. الكافي، ج ٣، باب آخر في أرواح المؤمنين، ص ٢٤٥، ح ٧؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٣، ح ٤٠٨.

١٢. في الكافي: «محمد، عن أحمد».

لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ[١][٢] خُضْرٍ تَرْعَى فِي الْجَنَّةِ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ[٣] تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقَالَ: لَا، إِذاً مَا هِيَ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ، قُلْتُ: فَأَيْنَ هِيَ؟ قَالَ: فِي رَوْضَةٍ كَهَيْئَةِ الْأَجْسَادِ فِي الْجَنَّةِ[٤].

٢٤٦٨. الكافي[٥]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٦] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا تُقِمْ لَنَا السَّاعَةَ وَلَا تُنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا، وَلَا تُلْحِقْ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا.

٢٤٦٩. دعوات الراونديّ[٧]: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ.

فذلكة[٨]:

اعلم أنّ الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أنّ النفس باقية بعد الموت، إمّا معذّبة إن كان ممّن محض الكفر، أو منعّمة إن كان ممّن محض الإيمان، أو يلهى عنه[٩] إن كان من المستضعفين، ويرد إليه الحياة في القبر، إمّا كاملاً أو إلى بعض بدنه كما مرّ في بعض الأخبار، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنّما السؤال والضغطة في الأجساد الأصليّة، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقّن، كما سيأتي، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك ممّا مرّ، وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب؛ ثمّ تتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ والملائكة، المضاهية[١٠] في الصورة للأبدان الأصليّة فينعّم ويعذّب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصليّة لسبق تعلّقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما

---

١. الحوصلة من الطائر: بمنزلة المعدة من الإنسان، راجع لسان العرب.

٢. في المصدر والفصول: «حواصل طيور».

٣. القنديل: مصباح من زجاج، والجمع القناديل، راجع تاج العروس.

٤. **نقول:** هنا فائدة نبّهنا عليها في ذيل رواية رقم ٢٣٧٥.

٥. في الكافي، ج ٣، باب في أرواح الكفار، ص ٢٤٥، ح ١، وفي ح ٢، مع اختلاف يسير؛ الزهد، ص ٨٩، ح ٢٤٠.

٦. في الكافي، ح ٢ بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنّى الحناط، عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي الزهد: «ابن أبي عمير، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٧. الدعوات (للراوندي)، ص ٢٣٦، ح ٦٥٢؛ وفي نهج البلاغة (لصبحي الصالح)، ص ٩٥، ضمن الخطبة ٦٤.

٨. الفذلكة: بمعنى مجمل الكلام وخلاصته، راجع كشاف اصطلاحات الفنون.

٩. لهى عنه: تركه وأعرض عنه، راجع الصحاح.

١٠. المضاهية: مشاكلة الشيء بالشيء، راجع لسان العرب.

ورد في ثواب القبر وعذابه واتّساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله، ورؤية الأئمّة عليهم السلام بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذّبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك ممّا مرّ وسيأتي.

فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهذا يتمّ على تجسّم الروح وتجرّده، وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الروح أيضاً بدون الأجساد المثاليّة، لكن مع ورود الأجساد المثاليّة في الأخبار المعتبرة المؤيّدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء، إذ التناسخ لم يتمّ دليل عقليّ على امتناعه، إذ أكثرها عليلة مدخولة، ولو تمّت لا تجري أكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبّر فيها، والعمدة في نفيه[1] ضرورة الدين وإجماع المسلمين، وظاهر أنّ هذا غير داخل فيما انعقد الإجماع والضرورة على نفيه، كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد «قدّس اللّه روحه» وغيره من علمائنا المتكلّمين والمحدّثين؟ بل لا يبعد القول بتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة عند النوم أيضاً، كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مرّ، بل يمكن أن يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثاليّة كثيرة كأئمّتنا «صلوات اللّه عليهم» حتّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كلّ ميّت، وسائر ما سيأتي في كتاب الإمامة في غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السماوات كلّ ليلة جمعة وغير ذلك[2].

ثمّ اعلم أنّ عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأُمّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلّا شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة والخاصّة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملّيّين والفلاسفة، ولم ينكره إلّا فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج وأمثاله ممّن لا يعبأ بهم ولا بكلامهم، وقد عرفت ما يدلّ عليه من الأخبار الجليّة، وقد أُقيمت عليه البراهين العقليّة، ولنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملّة والدين «قدّس اللّه روحه» في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه[3].

---

١. العمدة في نفي التناسخ لزوم رجوع الشيء بعد الفعليّة إلى القوّة وهو من الممتنعات بالضرورة، لكنها لا تجري إلا في البدن العنصري دون المثالي الذي هو من شؤون النفس ومراتبها ولوازم وجودها. (هامش المطبوع نقلا عن مصطفى الطباطبائي القمي)

٢. بحار الأنوار، كتاب الإمامة، أبواب علومهم عليهم السلام، باب أنهم عليهم السلام، يزدادون ولولا ذلك لنفد ما عندهم، وإن أرواحهم تعرج إلى السماء في ليلة الجمعة.

٣. تجريد الاعتقاد، ص ٣٠٨.

وقال العلاّمة الحلّيّ «نوّر اللّه ضريحه» في شرحه: نقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه[١].

وقال الشيخ المفيد «رحمه اللّه» في أجوبة المسائل السرويّة حيث سئل: ما قوله «أدام اللّه تأييده» في عذاب القبر وكيفيّته؟ ومتى يكون؟ وهل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟

الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقة السمع دون العقل. وقد ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّهم قالوا: ليس يعذّب في القبر كلّ ميّت، وإنّما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعّم كلّ ماض لسبيله، وإنّما ينعّم منهم من محض الإيمان محضاً، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم، وكذلك روي أنّه لا يسأل في قبره إلّا هذان الصنفان خاصّة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه.

فأمّا عذاب الكافر في قبره، ونعيم المؤمنين فيه، فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ اللّه تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنّة من جنّاته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزّق، ثمّ أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنّة الخلد، فلا يزال منعّماً ببقاء اللّه عزّ وجلّ غير أنّ جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسّه نصب في الجنّة ولا لغوب[٢]؛ والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به، ونار يعذّب بها حتّى الساعة، ثمّ أُنشئ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثمّ يعذّب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه، وقد قال اللّه عزَّ وجلَّ اسمه: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[٣]، وقال في قصة الشهداء: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[٤] فدلّ على أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح هاهنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة التي يصحّ معها العلم والقدرة، لأنّ هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصحّ الإعادة فيه، فهذا ما عوّل عليه بالنقل، وجاء به الخبر على ما بيّنّاه.

ثمّ سئل «رحمه اللّه»: ما قوله «أدام اللّه تمكينه» في معنى قول اللّه تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي**

---

١. كشف المراد، ص ٤٢٤.

٢. اللُّغوب: التعب والإعياء، راجع لسان العرب.

٣. غافر/٤٦.

٤. آل عمران/١٦٩.

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية، أم الآية مجاز؟ وأنّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنّة؟ فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إنّ اللّه تعالى ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاءاً قدر ما يتعلّق به الروح، وإنّه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

الجواب: هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم، لأنّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب المأمور المنهيّ هو البنية التي لا تصحّ الحياة إلّا بها، وما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، وإن كان القوم يزعمون أنّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذّب أو ينعّم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية التي ذكروها هو المكلّف المأمور المنهيّ، وباقي جسده في القبر، إلّا أنّهم لم يذكروا كيف يعذّب من عذّب ويثاب من أُثيب؟ أ في دار غير الدنيا أم فيها؟ وهل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثمّ لم يحك عنهم في أيّ محلّ يعذّبون ويثابون؟ وفيما قالوه من ذلك، فليس به أثر ولا يدلّ عليه العقل، وإنّما هو يخرج منهم على الظنّ والحساب، ومن بنى مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثمّ الذي يفسد قولهم من بعد ما دلّ على أنّ الإنسان المأمور المنهيّ هو الجوهر البسيط، وأنّ الأجزاء المؤلّفة لا يصحّ أن تكون فعّالة، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، وفيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلّق به السؤال، وباللّه التوفيق[1].

وسئل عنه «قدّس اللّه روحه» في المسائل العكبريّة عن قول اللّه تعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** الآية، هل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر؟

فأجاب «رحمه اللّه» بأنّ الرزق لا يكون عندنا إلّا للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام، بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، وتعذّر عليهم كثير من الأفعال إلّا بها، فإن أُغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللذّات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء، فأمّا قوله: ما صورة هذه الحياة؟ فالحياة لا صورة لها، لأنّها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد التي تقوم بها حياة النموّ دون الحياة التي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض. وقوله: إنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً فليس ذلك كما ظنّ، ولو كان كما توهّم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض، كما توجد حياة النموّ لبعض الأجساد وترفع من بعض

---

١. المسائل السروية، ص ٦٢ـ٦٨.

بالاتّفاق، ولو قلنا: إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللذّات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب[١]. انتهى.

وقال شارح المقاصد: اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفّار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخّرين منهم: حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلى المعتزلة ـ وهم برآء منه ـ لمخالطة ضرار إيّاهم، وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ ونحوه[٢].

قال في المواقف[٣] وقال المحقّق الدوانيّ في شرح العقائد العضديّة: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حقّ، لقوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً**﴾ الآية[٤]، وقوله: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[٥]، وَلِقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله[٦]: **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هٰذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى نَبْعَثَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.** وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله[٧]: **اسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ.** وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله[٨]: **الْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.**

ونقل العلّامة التفتازاني عن السيّد أبي الشجاع: أنّ الصبيان يسألون وكذا الأنبياء عليهم السلام[٩]. وقيل: إنّ الأنبياء لا يسألون، لأنّ السؤال على ما ورد في الحديث عن ربّه وعن دينه وعن نبيّه، ولا يعقل السؤال عن النبيّ صلى الله عليه وآله من نفس النبيّ، وأنت خبير بأنّه لا يدلّ على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيّه فقط، وذلك أيضاً في الذي لا يكون على ملّة نبيّ آخر. واختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكلّيّة وأثبته آخرون، ثمّ اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب وأنكر الإحياء وهو خلاف العقل، وبعضهم لم يثبت العذاب بالفعل، بل قال: تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بها دفعة، وهذا إنكار لعذاب القبر حقيقة،

---

١. المسائل العكبرية، ص ٨٠و٨١.

٢. شرح المقاصد، ج ٥، ص ١١٣.

٣. شرح المواقف، ج ٨، ص ٣١٧.

٤. غافر/٤٦.

٥. غافر/١١.

٦. وأيضا ورد في عوالي اللئالي، ج ١، ص ١٤٥، ح ٧٠.

٧. وأيضا ورد في الانتصار، ص ٤٢٧.

٨. وأيضا ورد في الأمالي (للمفيد)، ص ٢٦٥، ضمن ح ٣.

٩. أورده في شرح العقائد النسفية، ص ٦٧.

ومنهم من قال بإحيائه، لكن من غير إعادة الروح، ومنهم من قال بالإحياء وإعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه، حتّى أنّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى ويسأل وينعّم ويعذّب، ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعيم.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها ـ وهو الأظهر والأصحّ ـ أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميّت، ولكنّا لا نشاهد ذلك، فإنّ ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأُمور الملكوتيّة، وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام، وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون أنّه صلى الله عليه وآله يشاهده، فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب، وإن آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله ما لا تشاهده الأُمّة فكيف لا تجوّز هذا في الميّت؟

المقام الثاني: أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه وهو يتألّم بذلك، حتّى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه، كلّ ذلك يدرك من نفسه ويتأذّى به كما يتأذى اليقظان، وأنت ترى ظاهره ساكناً، ولا ترى في حواليه حيّة، والحيّة موجودة في حقّه، والعذاب حاصل، ولكنّه في حقّك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهد.

المقام الثالث: أنّ الحيّة بنفسها لا تؤلم، بل الذي يلقاك منها هو السمّ، ثمّ السمّ ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السمّ، فلو حصل مثل ذلك من غير سمّ فكان ذلك العذاب قد توفّر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب، إلّا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت، فتكون آلامها كآلام لدغ الحيّات من غير وجود الحيّات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أنّ من الناس من لم يثبت إلّا الثالث، وإنّما الحقّ الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أنّ كلّ ذلك في حيّز الإمكان، وأنّ من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتّساع قدرة اللّه وعجائب تدبيره منكر من أفعال اللّه تعالى ما لم يأنس به ولم يألفه، وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن، والتصديق بها واجب، وربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة؛ هذا هو الحقّ، فصدّق به.

ثمّ قال: وسؤال منكر ونكير حقّ لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله[1]: **إِذَا أُقْبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَلِلْآخَرِ نَكِيرٌ، يَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِناً فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا**

---

١. وأيضا ورد في سنن الترمذي، ج ٢، ص ٢٦٧، ح ١٠٧٧.

اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هٰذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِينَ ذِرَاعاً، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذٰلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذٰلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي[1] عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهِ مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذٰلِكَ[2].

وأنكر الجبّائيّ وابنه والبلخيّ تسمية الملكين منكراً ونكيراً، وقالوا: إنّما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنّما هو تقريع الكافر، وهو خلاف ظاهر الحديث، والأحاديث الصحيحة الدالّة على عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حدّ التواتر، وإن كان كلّ منها خبر الآحاد، واتّفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف، وأنكره مطلقاً ضرار بن عمرو وأكثر متأخّري المعتزلة، وبعض الروافض متمسّكين بأنّ الميّت جماد فلا يعذّب، وما سبق حجّة عليهم، ومن تأمّل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذا، فإنّ للنفس نشآت، وفي كلّ نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنّها تشاهد في المنام أُموراً لم تكن تشاهد في اليقظة، فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أُموراً لم تكن تشاهد في الحياة، وإلى هذا يشير من قال[3]: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا[4]. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنّ ما نسبه هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلا مرية، ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك، ولعلّه رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيليّة وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقّة فنسب ذلك إليهم مجملاً، وهذا تدليس قبيح ولا سيّما من الفضلاء.

ثمّ اعلم أنّه رَوَى الْعَامَّةُ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله[5] قَالَ: إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ وَسَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عِنْدَ قَبْرِهِ ثُمَّ لْيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَلَا يُجِيبُ، ثُمَّ لْيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةٍ ـ الثَّانِيَةَ ـ فَيَسْتَوِي قَاعِداً، ثُمَّ لْيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً،

---

١. تلاءم الشيئان: إذا اجتمعا واتّصلا، راجع لسان العرب؛ والتَئِمي عليه أي انضمّي والتَصِقي.

٢. انتهى كلام الغزالي إلى هنا في إحياء علوم الدين، ج ١٦، ص ٦ـ٩.

٣. قاله أمير المؤمنين عليه السلام في آخر عمره لما ضربه ابن ملجم «لعنه اللّه»، راجع خصائص الأئمة، ص ١١٢.

٤.التعليقات على شرح العقائد العضدية، ص ١٢٨ـ١٣١.

٥. الدعاء (للطبراني)، ص ٣٦٤، ح ١٢١٤.

وَبِالْقُرْآنِ إِمَاماً، فَإِنَّ مُنْكَراً وَنَكِيراً يَتَأَخَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَمَا يُقْعِدُنَا عِنْدَ هٰذَا وَقَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ؟ قَالَ: فَلْيَنْسِبْهُ إِلَى حَوَّاءَ.

وقال الشيخ البهائيّ «قدّس اللّه روحه»: قد يتوهّم أنّ القول بتعلّق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصريّة بأشباح أُخر ـ كما دلّت عليه الأحاديث ـ قول بالتناسخ، وهذا توهّم سخيف، لأنّ التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أُخر في هذا العالم، إمّا عنصرية كما يزعم بعضهم، ويقسّمه إلى النسخ والمسخ والرسخ، أو فلكيّة ابتداءاً أو بعد تردّدها في الأبدان العنصريّة على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها، وأمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدّة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوّليّة بإذن مبدعها، إمّا بجمع أجزائها المتشتّتة، أو بإيجادها من كتم العدم، كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء، وإن سمّيته تناسخاً فلا مشاحّة[1] في التسمية إذا اختلف المسمّى، وليس إنكارنا على التناسخيّة وحكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإنّ المعاد الجسمانيّ كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس وتردّدها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسمانيّ في النشأة الأُخرويّة.

قال الفخر الرازيّ في نهاية العقول: إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخيّة يقولون بقدمها وردّها إليها في هذا العالم، وينكرون الآخرة والجنّة والنار، وإنّما كفروا من أجل هذا الإنكار. انتهى كلامه ملخّصاً. فقد ظهر البون البعيد[2] بين القولين[3]. انتهى كلامه «زاد اللّه في إكرامه».

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدليّة وظواهر النصوص الماضية والآتية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلّفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، وأمّا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقّن وأمثالهم وما مرّ أنّه يسأل وهو مضغوط على بعض محتملاته وغيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم لكن لمّا لم نر فيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفياً وإثباتاً، ولذا لم يتعرّض له علماؤنا «رضوان اللّه عليهم».

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنّة في أنّ الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا، وكذا في الأطفال؟ فقيل: الأصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يسألون. وقال الصفّار: ليس في هذا نصّ ولا خبر ولادليل فانتفى ذلك عنهم، وما روي عنه صلى الله عليه وآله من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في

---

١. تشاحّا على الأمر: تنازعاه، راجع تاج العروس.

٢. بينهما بَوْن بعيد: فرق، راجع معجم مقاييس اللغة.

٣. الأربعون (للشيخ البهائي)، ص ٢٥٢ و ٢٥٣.

إظهار الافتقار إلى اللّه تعالى؛ وقيل: هو تحكّم محض لجواز أن يقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾[١]، فكما جاز أن يسأل المؤمن عمّا آمن به، فيقال: من ربّك؟ وما دينك؟ فكذا الرسول يسأل عمّا آمن به، فعلم أنّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل، ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّما بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى اللّه تعالى، فلم لا يجوز أن يسأل عمّا كان في عهدته؟ حتّى قيل: وسؤالهما الأنبياء بهذه العبارة: على ما ذا تركتم أُمّتكم؟ والحقّ أنّ الأئمّة كالأنبياء «صلوات اللّه عليهم أجمعين» في هذه الأُمور كلّها، ولم أر في كتب الإماميّة هذه المسألة لا نفياً ولا إثباتاً، والذي يطمئنّ إليه قلبي أنّهم مع الأئمّة «سلام اللّه عليهم» مستثنون من هذه الأحكام. انتهى.

وقال الصدوق «رحمه اللّه» في رسالة العقائد: **اعتقادنا في المساءلة في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره وبجنّة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة، وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول. وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجّام**[٢]، **ويكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة النزف عند الموت، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَفَّنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ فِي قَمِيصِهِ بَعْدَ مَا فَرَغَتِ النِّسَاءُ مِنْ غَسْلِهَا، وَحَمَلَ جَنَازَتَهَا عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى أَوْرَدَهَا قَبْرَهَا، ثُمَّ وَضَعَهَا وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَاضْطَجَعَ فِيهِ ثُمَّ قَامَ فَأَخَذَهَا عَلَى يَدَيْهِ وَوَضَعَهَا فِي قَبْرِهَا، ثُمَّ انْكَبَّ عَلَيْهَا يُنَاجِيهَا طَوِيلاً وَيَقُولُ لَهَا: ابْنُكِ ابْنُكِ، ثُمَّ خَرَجَ وَسَوَّى عَلَيْهَا التُّرَابَ، ثُمَّ انْكَبَّ عَلَى قَبْرِهَا فَسَمِعُوهُ وَهُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوْدَعْتُهَا إِيَّاكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ.**

فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئاً لَمْ تَصْنَعْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: الْيَوْمَ فَقَدْتُ بِرَّ أَبِي طَالِبٍ، إِنَّهَا كَانَتْ يَكُونُ عِنْدَهَا الشَّيْءُ فَتُؤْثِرُنِي بِهِ عَلَى نَفْسِهَا وَوَلَدِهَا. وَإِنِّي ذَكَرْتُ الْقِيَامَةَ وَأَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عُرَاةً فَقَالَتْ: وَا سَوْأَتَاهْ، فَضَمِنْتُ لَهَا أَنْ يَبْعَثَهَا اللَّهُ تَعَالَى كَاسِيَةً. وَذَكَرْتُ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ: وَا ضَعْفَاهُ، فَضَمِنْتُ لَهَا أَنْ يَكْفِيَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ. فَكَفَّنْتُهَا بِقَمِيصِي وَاضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِذٰلِكَ وَانْكَبَبْتُ عَلَيْهَا فَلَقَّنْتُهَا مَا تُسْأَلُ عَنْهُ. وَإِنَّمَا سُئِلَتْ عَنْ رَبِّهَا فَقَالَتْ: اللَّهُ، وَسُئِلَتْ عَنْ نَبِيِّهَا فَأَجَابَتْ، وَسُئِلَتْ عَنْ وَلِيِّهَا وَإِمَامِهَا فَأُرْتِجَ عَلَيْهَا[٣]، **فَقُلْتُ لَهَا: ابْنُكِ ابْنُكِ**[٤].

أقول:

وقال الشيخ المفيد «نوّر اللّه ضريحه» في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ

---

١. البقرة/٢٨٥.

٢. اختلاج العين: هو اضطرابها. والشَرْط: الشق، وبه سمي شرط الحجام، راجع جمهرة اللغة.

٣. أُرتج عليه: استُغلق عليه الكلام، راجع لسان العرب.

٤. اعتقادات الإمامية (للصدوق)، ص ٥٨ و٥٩.

الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين للّه تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أُرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب؛ وقيل في بعض الأخبار: إنّ اسمي الملكين الذين ينزلان على المؤمن مبشّر وبَشير؛ وقيل: إنّه إنّما سمّي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنّه ينكر الحقّ، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمّي ملكا المؤمن مبشّراً وبشيراً لأنّهما يبشّرانه من اللّه تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإنّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وإنّهما عبارة عن فعلهما، وهذه أُمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها، واللّه أعلم بحقيقة الأمر فيها. وقد قلنا فيما سلف: إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهى عنه، وبيّنّا أنّ الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

فصل:

وليس ينزل الملكان إلّا على حيّ، ولا يسألان إلّا من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ اللّه تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة، ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقّه، أو بعذاب إن كان يستحقّه[1] ـ نعوذ باللّه من سخطه ونسأله التوفيق لما يرضيه برحمته ـ والغرض من نزول الملكين ومسألتهما العبد أنّ اللّه يوكّل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى ما يستحقّه العبد إلّا بإعلام اللّه تعالى ذلك لهم، فالملكان اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم، والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكّلا به استفهما حال العبد بالمساءلة، فإن أجاب بما يستحقّ به النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكّل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم. وقد قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالنعيم والعقاب غير الملكين الموكّلين بالمساءلة، وإنّما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا سائلا العبد وظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء، وعرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السماء، وهذا كلّه جائز ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة، والعادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقّف والتجويز.

---

١. لعل المراد أن الإنسان لا يبطل بعد الموت ولا ينعدم بالكلّية بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسّية التي يفقدها بالموت، قال ﷺ: وإنما تنتقلون من دار إلى دار الحديث. وأما الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر فهي تمثيل للمساءلة كما أن الروايات الدالة على قولهما له: «نم نومة العروس» وإنامتهما له وغير ذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البعث. (هامش المطبوع نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

فصل:

وإنّما وكّل اللّه تعالى ملائكة المساءلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبّداً لهم بذلك، كما وكّل الكتبة من الملائكة عليهم السلام بحفظ أعمال الخلق وكتبها ونسخها ورفعها تعبّداً لهم بذلك، وكما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم وطائفة منهم بإهلاك الأُمم، وطائفة بحمل العرش، وطائفة بالطواف حول البيت المعمور، وطائفة بالتسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين، وطائفة بتنعيم أهل الجنّة، وطائفة بتعذيب أهل النار والتعبّد لهم بذلك ليثيبهم عليها، ولم يتعبّد اللّه الملائكة بذلك عبثاً، كما لم يتعبّد البشر والجنّ بما تعبّدهم به لعباً بل تعبّد الكلّ للجزاء، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النعمة عليهم، وقد كان اللّه تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة، وينعّم المطيع من غير واسطة، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه وبيّنّا وجه الحكمة فيه ووصفناه، وطريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع، وطريق العلم برد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل، إذ لا تصحّ مساءلة الأموات واستخبار الجمادات، وإنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلّم به، وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مساءل تردّ إليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له، فالخبر بذلك أكّد ما في العقل، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه[1]. انتهى كلامه «رحمه اللّه».

وأقول:

لمّا كانت هذه المسألة من أعظم الأُصول الإسلاميّة، وقد أكثرت المتفلسفة والملاحدة الشبه فيها، ورام بعض من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه تأويلها وتحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب، وأرجو من فضل ربّي أن يوفّقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب، واللّه الموفّق لكلّ خير وصواب.

وقد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار، وباب الجريدتين، وباب الدفن، وباب التلقين وغيرها من أبواب الجنائز، وباب أحوال أولاد آدم عليه السلام، وأبواب معجزات الأئمّة عليهم السلام وغرائب أحوالهم، وسيأتي خبر طويل في تكلّم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله «رضي اللّه عنه»، وسيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لا سيّما في باب فضل فاطمة بنت أسد «رضي اللّه عنها»، وباب فضل ليلة الجمعة ويومها، وأبواب المواعظ، وأبواب فضائل الأعمال وغيرها ممّا تطول الإشارة إليها، فكيف ذكرها؟

---

١. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٩٩-١٠٢.

﴿باب ٩﴾

«باب آخر في جنّة الدنيا ونارها وهو من الباب الأوّل»

الآيات:

مريم/٦١ و٦٢: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾

الحجّ/٥٨ و٥٩: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

يس/٢٥-٢٧: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[1]

غافر/٤٥ و٤٦: ﴿... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2]

---

١. **نقول:** واضح أن المقصود من الجنة هنا، هي جنة البرزخ لأنه يستفاد من الآيات ومن الروايات أن الجنة الخالدة في يوم القيامة ستكون نصيب المؤمنين، كما أن جهنم ستكون نصيب المجرمين. وعليه فإن هناك جنة وجهنم أُخريين في عالم البرزخ، وهما نموذج من جنة وجهنم يوم القيامة، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي «عليه أفضل الصلاة والسلام» أنه قال: «و القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار». وما احتمله البعض من أن هذه الجملة إشارة إلى خطاب يخاطب به هذا المؤمن الشهم في يوم القيامة، وأنّها تحوي جنبة مستقبلية، فهو خلاف لظاهر الآية. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٤، ص ١٥٩)

٢. **نقول:** هنا ملاحظة: تقول الآية: إنهم يعرضون على النار صباحا ومساءاً، ثم تقول: في يوم القيامة يكون العذاب أشد ما يمكن. وهذا دليل على أن العذاب الأول يختص بعالم البرزخ، وهو مما يلي موت الإنسان ومغادرة روحه جسده، ويقع قبل يوم القيامة. إن العرض على نار جهنم يهزّ الإنسان ويجعله يرتعد خوفا وهلعا. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٥، ص ٢٧٢)

نوح/٢٥: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً ...﴾[١]

تفسير:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي جنّات إقامة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي وعدها إيّاهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب، ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ الذي هو الجنّة ﴿مَأْتِيّاً﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم؛ وقيل: المفعول بمعنى الفاعل أي آتيا. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾ أي فضول كلام ﴿إِلَّا سَلَاماً﴾ أي ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، أو إلّا تسليم الملائكة عليهم، أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ قال الطبرسيّ «رحمه اللّه»: قال المفسّرون: ليس في الجنّة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيّ، والمراد: أنّهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداة والعشيّ؛ وقيل: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، وكانت تكره الأكلة الواحدة في اليوم، فأخبر اللّه تعالى أنّ لهم في الجنّة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل وإنّما هو ضوء ونور؛ وقيل: إنّهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وفتح الأبواب[٢]. انتهى.

أقول:

سيأتي نقلاً من تفسير عليّ بن إبراهيم أنّ هذا في جنّة الدنيا[٣]، فلا يحتاج إلى هذه التكلّفات.

قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ قيل[٤]: هذا في جنّة الدنيا كقوله تعالى في الآية الأُخرى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥].

وقال الطبرسيّ في قصّة مؤمن آل يس عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ عن ابن مسعود

---

١. **نقول:** تشير الآية إلى ورودهم النار بعد الطوفان، ومما يثير العجب هو دخولهم النار بعد الدخول في الماء! وهذه النار هي نار البرزخ، لأن بعض الناس يعاقبون بعد الموت، وذلك في عالم البرزخ كما هو ظاهر سياق بعض الآيات القرآنية، وكذا ذكرت الروايات أن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

وقيل: من المحتمل أن يكون المراد بالنار هو يوم القيامة، ولكن بما أن وقوع يوم القيامة أمر حتمي وهو غير بعيد، فإنّها ذكرت بصورة الفعل الماضي.

واحتمل البعض أن المراد هي النار في الدنيا، حيث يقولون أن نارا قد ظهرت بين تلك الأمواج بأمر من اللّه تعالى وابتلعتهم. (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج ١٩، ص ٦٧)

٢. مجمع البيان، ج ٦، ص ٨٠٥.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٥٢.

٤. راجع بحر العلوم، ج ٢، ص ٤٦٧؛ كشف الأسرار وعدة الأبرار، ج ٦، ص ٣٩٦.

٥. آل عمران/ ١٦٩.

قال: إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك القول منه وطئوه بأرجلهم حتّى مات فأدخله اللّه الجنّة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾. وقيل: رجموه حتّى قتلوه؛ وقيل: إنّ القوم لمّا أرادوا أن يقتلوه رفعه اللّه إليه فهو في الجنّة ولا يموت إلّا بفناء الدنيا وهلاك الجنّة، عن الحسن ومجاهد، وقالا: إنّ الجنّة التي دخلها يجوز هلاكها. وقيل: إنّهم قتلوه إلّا أنّ اللّه سبحانه أحياه وأدخله الجنّة فلمّا دخلها قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية. وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنّه إنّما قال ذلك وقومه أحياء، وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإنّ الخلاف فيهما واحد[١].

وقال «رحمه اللّه» في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي أحاط ونزل بهم ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي مكروهه وما يسوء منه، وسوء العذاب في الدنيا الغرق، وفي الآخرة النار، وذلك قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ أي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساءاً فيعذّبون.

وَعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنَ النَّارِ، يُقَالُ: هٰذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَوْرَدَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٢].

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: ذٰلِكَ فِي الدُّنْيَا، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ نَارَ الْقِيَامَةِ لَا تَكُونُ غُدُوّاً وَعَشِيّاً، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانُوا إِنَّمَا يُعَذَّبُونَ غُدُوّاً وَعَشِيّاً فَفِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ هُمْ مِنَ السُّعَدَاءِ، وَلٰكِنْ هٰذَا فِي نَارِ الْبَرْزَخِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٤].

وقال البيضاويّ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي من أجل خطيئاتهم، و«ما» مزيدة للتأكيد والتفخيم. ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا﴾ ناراً، المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأنّ المسبّب كالمتعقّب للسبب، وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع[٥].

الروايات:

٢٤٧٠. الخصال[٦]: أَبِي، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنِ ابْنِ حُمَيْدٍ، عَنِ ابْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

---

١. مجمع البيان، ج ٨، ص ٦٥٨.

٢. صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٠٣، صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٦٠.

٣. ورد في تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٨، بمضمونه.

٤. مجمع البيان، ج ٨، ص ٨١٨.

٥. أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٥٠.

٦. الخصال، ج ٢، ص ٤٤٠، ح ٣٣؛ تحف العقول، ص ٢٢٩؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٤٥.

سَأَلَ الشَّامِيُّ الَّذِي بَعَثَهُ مُعَاوِيَةُ لِيَسْأَلَ عَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَصْفَرِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام عَنِ الْعَيْنِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: هِيَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: سَلْمَى[١]؛ الْخَبَرَ.

٢٤٧١. علل الشرائع[٢]: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٣] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ جَنَّةِ آدَمَ فَقَالَ: جَنَّةٌ مِنْ جِنَانِ الدُّنْيَا تَطْلُعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ مَا خَرَجَ مِنْهَا أَبَداً.

الكافي[٤]: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن الحسين بن ميسّر، عنه عليه السلام مثله.

٢٤٧٢. تفسير القمّيّ[٥]: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[٦] قَالَ: ذٰلِكَ فِي جَنَّاتِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ فَالْبُكْرَةُ وَالْعَشِيُّ لَا تَكُونَانِ فِي الْآخِرَةِ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْغُدُوُّ وَالْعَشِيُّ فِي جِنَانِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنْقُلُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَطْلُعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

٢٤٧٣. تفسير القمّيّ[٧]: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فَهٰذَا هُوَ فِي نَارِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ[٨]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يَعْنِي فِي جِنَانِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنْقُلُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٩] يَعْنِي غَيْرَ مَقْطُوعٍ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ يَكُونُ مُتَّصِلاً بِهِ.

٢٤٧٤. تفسير القمّيّ[١٠]: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ قَالَ: ذٰلِكَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ، وَذٰلِكَ أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ لَا يَكُونُ غُدُوّاً وَلَا عَشِيّاً، لِأَنَّ الْغُدُوَّ وَالْعِشَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَلَيْسَ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ وَنِيرَانِهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، قَالَ[١١]: وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

---

١. في المصدر والتحف والروضة: «عين يقال لها: برهوت، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها: سلمى».

٢. علل الشرائع، ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٥٥؛ وفي تفسير القمي، ج ١، ص ٤٣، مع اختلاف يسير.

٣. في تفسير القمي: «علي بن إبراهيم، عن أبيه رفعه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٤. الكافي، ج ٣، باب جنة الدنيا، ص ٢٤٧، ح ٢.

٥. تفسير القمي، ج ٢، ص ٥٢؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٨٧؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٧٢٣، ح ٦٩١١.

٦. مريم/٦٢.

٧. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٣٨؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢١، ح ٦؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٣٦، ح ٥١٨٦.

٨. في المصدر مع زيادة: «ما دامت السماوات والأرض».

٩. هود/١٠٤ـ١٠٨.

١٠. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٨؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ٣٤٤؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٤، ح ٤١١.

١١. تبدأ الرواية في الفصول من هنا.

غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهَا؟ فَقَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّهَا فِي نَارِ الْخُلْدِ وَهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ، فَقَالَ عليه السلام: فَهُمْ مِنَ السُّعَدَاءِ! فَقِيلَ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فَكَيْفَ هٰذَا؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هٰذَا فِي الدُّنْيَا. فَأَمَّا فِي نَارِ الْخُلْدِ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1].

٢٤٧٥. تفسير القمّيّ[2]: الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّكَيْنِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْبَجَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هَارُونَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ آبَائِهِ «صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» قَالَ: كَانَ فِيمَا سَأَلَ مَلِكُ الرُّومِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام أَنْ سَأَلَهُ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَ يَكُونُونَ إِذَا مَاتُوا؟ قَالَ: تَجْتَمِعُ عِنْدَ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ عَرْشُ اللَّهِ الْأَدْنَى مِنْهَا يَبْسُطُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَإِلَيْهَا يَطْوِيهَا، وَإِلَيْهِ الْمَحْشَرُ، وَمِنْهَا اسْتَوَى رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ[3]. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ أَيْنَ تَجْتَمِعُ؟ قَالَ: تَجْتَمِعُ فِي وَادِي حَضْرَمَوْتَ وَرَاءَ مَدِينَةِ الْيَمَنِ.

٢٤٧٦. الإختصاص، بصائر الدرجات[4]: الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَقَّاحٍ، عَنِ ابْنِ جَبَلَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْحَوْضِ فَقَالَ لِي: حَوْضٌ مَا بَيْنَ بُصْرَى إِلَى صَنْعَاءَ، أَ تُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَخْرَجَنِي إِلَى ظَهْرِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ رِجْلَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى نَهَرٍ يَجْرِي لَا تُدْرِكُ حَافَتَيْهِ[5] إِلَّا الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنَا فِيهِ قَائِمٌ، فَإِنَّهُ شَبِيهٌ بِالْجَزِيرَةِ فَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ وُقُوفاً[6]، فَنَظَرْتُ إِلَى نَهَرٍ يَجْرِي مِنْ جَانِبِهِ هٰذَا مَاءٌ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَمِنْ جَانِبِهِ هٰذَا لَبَنٌ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَفِي وَسَطِهِ خَمْرٌ أَحْسَنُ مِنَ الْيَاقُوتِ، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ تِلْكَ الْخَمْرِ بَيْنَ اللَّبَنِ وَالْمَاءِ، فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ هٰذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ مَجْرَاهُ؟ فَقَالَ: هٰذِهِ الْعُيُونُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنْهَارٌ فِي الْجَنَّةِ، عَيْنٌ مِنْ مَاءٍ، وَعَيْنٌ مِنْ لَبَنٍ، وَعَيْنٌ مِنْ خَمْرٍ تَجْرِي فِي هٰذَا النَّهَرِ، وَرَأَيْتُ حَافَتَيْهِ عَلَيْهِمَا شَجَرٌ[7] فِيهِنَّ حُورٌ[8] مُعَلَّقَاتٌ بِرُؤُوسِهِنَّ شَعْرٌ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُنَّ، وَبِأَيْدِيهِنَّ آنِيَةٌ مَا رَأَيْتُ آنِيَةً أَحْسَنَ مِنْهَا لَيْسَتْ مِنْ آنِيَةِ الدُّنْيَا، فَدَنَا مِنْ إِحْدَاهُنَّ فَأَوْمَأَ إِلَيْهَا بِيَدِهِ لِتَسْقِيَهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ مَالَتْ لِتَغْرِفَ مِنَ النَّهَرِ، فَمَالَ

---

١. غافر/٤٦.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٧١؛ تحف العقول، ص ٢٤٢؛ الفصول المهمة (للحر العاملي)، ج ١، ص ٣٣٦، ح ٤١٣.

٣. في التحف: «واليها يطويها ومنها استوى إلى السماء».

٤. الإختصاص، ص ٣٢١؛ بصائر الدرجات، ص ٤٠٣، ح ٣؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢٢، ح ١.

٥. الحافة: الناحية، الجانب، راجع لسان العرب.

٦. لم يرد في الإختصاص من «فنظرت إلى نهر يجري لاتدرك حافتيه» إلى «وهو وقوفا».

٧. في نسخة: ورأيت حافاته عليها شجر. (هامش المطبوع)

٨. في الإختصاص: «جوارٍ».

الشَّجَرُ مَعَهَا، فَاغْتَرَفَتْ ثُمَّ نَاوَلَتْهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَهَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهَا، فَمَالَتْ لِتَغْرِفَ فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ مَعَهَا فَاغْتَرَفَتْ، ثُمَّ نَاوَلَتْهُ فَنَاوَلَنِي فَشَرِبْتُ فَمَا رَأَيْتُ شَرَاباً كَانَ أَلْيَنَ مِنْهُ وَلَا أَلَذَّ مِنْهُ، وَكَانَتْ رَائِحَتُهُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ، فَنَظَرْتُ فِي الْكَأْسِ فَإِذَا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَلْوَانٍ مِنَ الشَّرَابِ.

فَقُلْتُ لَهُ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، وَلَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْأَمْرَ هٰكَذَا، فَقَالَ لِي: هٰذَا أَقَلُّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِشِيعَتِنَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا تُوُفِّيَ صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى هٰذَا النَّهَرِ، وَرَعَتْ فِي رِيَاضِهِ، وَشَرِبَتْ مِنْ شَرَابِهِ، وَإِنَّ عَدُوَّنَا إِذَا تُوُفِّيَ صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى وَادِي بَرَهُوتَ[1] فَأُخْلِدَتْ فِي عَذَابِهِ، وَأُطْعِمَتْ مِنْ زَقُّومِهِ، وَأُسْقِيَتْ مِنْ حَمِيمِهِ، فَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ الْوَادِي.

٢٤٧٧. الكافي[2]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ لَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: شَرُّ بِئْرٍ فِي النَّارِ بَرَهُوتُ الَّذِي فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ[3].

٢٤٧٨. الكافي[4]: عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[5]: شَرُّ الْيَهُودِ يَهُودُ بَيْسَانَ[6]، وَشَرُّ النَّصَارَى نَصَارَى نَجْرَانَ[7]، وَخَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ بَرَهُوتَ، وَهُوَ وَادٍ بِحَضْرَمَوْتَ تَرِدُ عَلَيْهِ هَامُ الْكُفَّارِ وَصَدَاهُمْ.

بيان:

قال الجزريّ: فيه: لا عدوى ولا هامة، «الهامة»: الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث، وذلك أنّهم كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل؛ وقيل: هي البومة؛ وقيل: إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الذي لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثاره طارت؛ وقيل: كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت ـ وقيل: روحه ـ تصير هامة فتطير، ويسمّونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه. انتهى. والمراد بالهام

---

١. **نقول:** قال الطريحي في مجمع البحرين: «برهوت بئر بحضرموت» وفي هامشه: «برهوت واد في حضرموت فيه بئر يتصاعد منه لهيب الأسفلت مع صوت الغليان وروائح كريهة. واشتهر عنها: أن أرواح الكفار تجتمع في هذا البئر».

٢. الكافي، ج ٣، باب في أرواح الكفار، ص ٢٤٦، ح ٣؛ وفي الغارات، ج ١، ص ١٨٨، ضمن رواية؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد)، ج١٩، ص ١٢٨.

٣.في الغارات بهذه العبارة: «تأوي أرواح المشركين في جبّ في النار تسمّى برهوت».

٤. الكافي، ج ٣، باب في أرواح الكفار، ص ٢٤٦، ح ٥؛ الجعفريات (الأشعثيات)، ص ١٩٠؛ النوادر (للراوندي)، ص ١٠.

٥. في الجعفريات بهذا الإسناد: «عبد اللّه بن محمد، عن محمد بن محمد، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٦. بيسان: موضع بنواحي الشام، راجع لسان العرب.

٧. نجران: موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن، راجع لسان العرب.

والصدى في الخبر أرواح الكفّار، وإنّما عبّر عنها بهما لأنّهم كانوا هكذا يعبّرون عنها، وإن كان ما زعموه في ذلك باطلاً.

٢٤٧٩. الكافي[١]: الْعِدَّةُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّ النَّاسَ يَذْكُرُونَ أَنَّ فُرَاتَنَا[٢] يَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَكَيْفَ هُوَ وَهُوَ يُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ وَتُصَبُّ فِيهِ الْعُيُونُ وَالْأَوْدِيَةُ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام ـ وَأَنَا أَسْمَعُ ـ: إِنَّ لِلَّهِ جَنَّةً خَلَقَهَا اللَّهُ فِي الْمَغْرِبِ، وَمَاءُ فُرَاتِكُمْ هٰذِهِ يَخْرُجُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا تَخْرُجُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُفَرِهِمْ عِنْدَ كُلِّ مَسَاءٍ، فَتَسْقُطُ عَلَى ثِمَارِهَا وَتَأْكُلُ مِنْهَا وَتَتَنَعَّمُ فِيهَا وَتَتَلَاقَى وَتَتَعَارَفُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَاجَتْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَكَانَتْ فِي الْهَوَاءِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَطِيرُ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً وَتَعْهَدُ حُفَرَهَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَتَتَلَاقَى فِي الْهَوَاءِ وَتَتَعَارَفُ.

قَالَ: وَإِنَّ لِلَّهِ نَاراً فِي الْمَشْرِقِ خَلَقَهَا لِيُسْكِنَهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ زَقُّومِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ حَمِيمِهَا لَيْلَهُمْ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَاجَتْ إِلَى وَادٍ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: بَرَهُوتُ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ نِيرَانِ الدُّنْيَا، كَانُوا فِيهِ يَتَلَاقَوْنَ وَيَتَعَارَفُونَ، فَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ عَادُوا إِلَى النَّارِ، فَهُمْ كَذٰلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ[٣]: قُلْتُ ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ مَا حَالُ الْمُوَحِّدِينَ الْمُقِرِّينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ وَلَا يَعْرِفُونَ وَلَايَتَكُمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا هٰؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ فِي حُفَرِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ وَلَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ عَدَاوَةٌ فَإِنَّهُ يُخَدُّ لَهُ خَدٌّ[٤] إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فِي الْمَغْرِبِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهَا الرَّوْحُ فِي حُفْرَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَلْقَى اللَّهَ فَيُحَاسِبُهُ بِحَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَى نَارٍ، فَهٰؤُلَاءِ مَوْقُوفُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ. قَالَ: وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْبُلْهِ[٥] وَالْأَطْفَالِ وَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ، فَأَمَّا النُّصَّابُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَإِنَّهُمْ يُخَدُّ لَهُمْ خَدٌّ إِلَى النَّارِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فِي الْمَشْرِقِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا اللَّهَبُ وَالشَّرَرُ وَالدُّخَانُ وَفَوْرَةُ

---

١. الكافي، ج ٣، باب جنة الدنيا، ص ٢٤٦، ح ١؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٦٠؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٧٢٣، ح ٦٩١٢.

٢. الفرات نهر عظيم مبدأ نبعه في أرْمِينِيّة إحدى الممالك الجمهورية في روسيّا، ثم يجري في جبال طوروس من تركيا، ثم يجتاز السورية والعراق، ثم يتّحد بدجلة فيكون منهما شطّ العرب فينصب في بحر العمّان؛ وللتوراة الموجودة عناية في شأن هذا النهر وتبريكه وتقديسه وأنها من أنهار الجنة؛ وهذا مما يؤكّد احتمال الدسّ في هذه الرواية وما يقرب منها مضمونا، ولو كانت صحيحة مقبولة كان المراد بكون جنة الدنيا في أرمينيّة مثال كون نار الدنيا في برهوت؛ والجنة والنار في حفرة القبر كناية عن نحو من التعلق بها. (هامش المطبوع، نقلا عن العلامة الطباطبائي «رحمه اللّه»)

٣. تبدأ الرواية في تفسير القمي من هنا.

٤. الخدّ: الشق في الأرض، راجع شمس العلوم.

٥. بَلِهَ: ضعُفَ عقله، فهو أبْله، وهي بَلْهاء والجمع بُلْه، راجع المصباح المنير.

الْحَمِيمِ[١] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ[٢] مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ أَيْنَ إِمَامُكُمُ الَّذِي اتَّخَذْتُمُوهُ دُونَ الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً؟

٢٤٨٠. الكافي[٣]: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْيَمَنِ وَادِياً يُقَالُ لَهُ: وَادِي بَرَهُوتَ، وَلَا يُجَاوِرُ[٤] ذٰلِكَ الْوَادِيَ إِلَّا الْحَيَّاتُ السُّودُ وَالْبُومُ مِنَ الطَّيْرِ، فِي ذٰلِكَ الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهَا: بَلَهُوتُ يُغْدَى وَيُرَاحُ[٥] إِلَيْهَا بِأَرْوَاحِ الْمُشْرِكِينَ يُسْقَوْنَ مِنْ مَاءِ الصَّدِيدِ.

٢٤٨١. بصائر الدرجات[٦]: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا أَعْرَابِيُّ؟ قَالَ: مِنَ الْأَحْقَافِ، أَحْقَافِ عَادٍ، قَالَ: رَأَيْتُ وَادِياً مُظْلِماً فِيهِ الْهَامُ وَالْبُومُ لَا يُبْصَرُ قَعْرُهُ، قَالَ عليه السلام: وَتَدْرِي مَا ذَاكَ الْوَادِي؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، قَالَ عليه السلام: ذَاكَ بَرَهُوتُ فِيهِ نَسَمَةُ[٧] كُلِّ كَافِرٍ.

٢٤٨٢. كتاب زيد النرسيّ[٨]: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَا الْعِيدَيْنِ، أَمَرَ اللَّهُ رِضْوَانَ خَازِنَ الْجِنَانِ أَنْ يُنَادِيَ فِي أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْجِنَانِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمُ الْجُمُعَةَ[٩] بِالزِّيَارَةِ إِلَى أَهَالِيكُمْ وَأَحِبَّائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ رِضْوَانَ أَنْ يَأْتِيَ لِكُلِّ رُوحٍ بِنَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ، عَلَيْهَا قُبَّةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ غِشَاؤُهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ رَطْبَةٍ صَفْرَاءَ، عَلَى النُّوقِ جِلَالٌ وَبَرَاقِعُ مِنْ سُنْدُسِ الْجِنَانِ وَإِسْتَبْرَقِهَا، فَيَرْكَبُونَ تِلْكَ النُّوقَ، عَلَيْهِمْ حُلَلُ الْجَنَّةِ، مُتَوَّجُونَ بِتِيجَانِ الدُّرِّ الرَّطْبِ، تُضِيءُ كَمَا تُضِيءُ الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مِنْ قُرْبِ النَّاظِرِ إِلَيْهَا لَا مِنَ الْبُعْدِ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي الْعَرْصَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ جَبْرَئِيلَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ أَنْ تَسْتَقْبِلُوهُمْ فَتَسْتَقْبِلُهُمْ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ وَتُشَيِّعُهُمْ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى السَّمَاءِ الْأُخْرَى، فَيَنْزِلُونَ بِوَادِي السَّلَامِ وَهُوَ وَادٍ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ فِي الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ حَتَّى يَزُورُوا أَهَالِيَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَمَعَهُمْ مَلَائِكَةٌ تُصَرِّفُونَ وُجُوهَهُمْ

---

١. فورة الحر: شدته، راجع شمس العلوم.

٢. في تفسير القمي: «أين ما كنتم تشركون».

٣. في الكافي، ج ٨، ص ٢٦١، صدر ح ٣٧٥ (قصة آل الذريح وإيمانهم).

٤. في المصدر: «لا يجاوز».

٥. الرواح: نقيض الصباح، وراح فلان: من ذهابه أو سيره بالعشيّ، راجع لسان العرب.

٦. بصائر الدرجات، ص ٥٠٨، ح ٩؛ مختصر البصائر، ص ١٨٨، ح ١٦٨؛ وفيهما ضمن رواية؛ نوادر الأخبار (للفيض)، ص ٣٢٣، ح ٢.

٧. النسمة: النفس والروح، راجع لسان العرب.

٨. الأُصول الستة عشر، كتاب زيد النرسي، ص ١٨٧، ح ١.

٩. لم يرد في المصدر: «الجمعة».

عَمَّا يَكْرَهُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ إِلَى مَا يُحِبُّونَ، وَيَزُورُونَ حُفَرَ الْأَبْدَانِ حَتَّى مَا إِذَا صَلَّى النَّاسُ، وَرَاحَ أَهْلُ الدُّنْيَا إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ مُصَلَّاهُمْ، نَادَى فِيهِمْ جَبْرَئِيلُ بِالرَّحِيلِ إِلَى غُرُفَاتِ الْجِنَانِ فَيَرْحَلُونَ.

قَالَ: فَبَكَى رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ هٰذَا لِلْمُؤْمِنِ فَمَا حَالُ الْكَافِرِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَبْدَانٌ مَلْعُونَةٌ تَحْتَ الثَّرَى فِي بِقَاعِ النَّارِ، وَأَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ مَسْكُونَةٌ بِوَادِي بَرَهُوتَ[1] مِنْ بِئْرِ الْكِبْرِيتِ فِي مُرَكَّبَاتِ الْخَبِيثَاتِ الْمَلْعُونَاتِ، يُؤَدِّي ذٰلِكَ الْفَزَعَ وَالْأَهْوَالَ إِلَى الْأَبْدَانِ الْمَلْعُونَةِ الْخَبِيثَةِ، تَحْتَ الثَّرَى فِي بِقَاعِ النَّارِ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ النَّائِمِ إِذَا رَأَى الْأَهْوَالَ، فَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْأَبْدَانُ فَزِعَةً زَعِرَةً، وَتِلْكَ الْأَرْوَاحُ مُعَذَّبَةً بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ فِي أَنْوَاعِ الْمُرَكَّبَاتِ الْمَسْخُوطَاتِ الْمَلْعُونَاتِ الْمَصْفُوفَاتِ[2] مَسْجُونَاتٍ فِيهَا، لَا تَرَى رَوْحاً وَلَا رَاحَةً إِلَى مَبْعَثِ قَائِمِنَا، فَيَحْشُرُهَا اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْمُرَكَّبَاتِ فَتُرَدُّ فِي الْأَبْدَانِ، وَذٰلِكَ عِنْدَ النَّشَرَاتِ فَتُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

بيان:

ظاهره كون أرواح السعداء في عالم البرزخ في الجنّة التي في السماء؛ ويمكن تخصيصها ببعض المقرّبين. والمراد بالمركّبات الخبيثات الأجساد المثاليّة المناسبة لأرواحهم الملعونة، ويدلّ على أنّ للأجساد الأصليّة أيضاً حظّاً من العذاب.

---

١. في المصدر: «أرواح خبيثة ملعونة تجري بوادي برهوت».

٢. في المصدر: «المصفّدات».

﴿باب ١٠﴾

«ما يلحق الرجل بعد موته من الأجر»

الروايات:

٢٤٨٣. الخصال[١]: أَبِي، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٢] قَالَ: لَيْسَ يَتْبَعُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا ثَلَاثُ خِصَالٍ: صَدَقَةٌ أَجْرَاهَا فِي حَيَاتِهِ فَهِيَ تَجْرِي بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، صَدَقَةً مَوْقُوفَةً لَا تُورَثُ، أَوْ سُنَّةُ هُدًى سَنَّهَا، وَكَانَ يَعْمَلُ بِهَا، وَعَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ غَيْرُهُ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ.

٢٤٨٤. الخصال[٣]: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنِ الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي كَهْمَشٍ[٤]، عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام[٥] قَالَ: سِتُّ خِصَالٍ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَمُصْحَفٌ يُقْرَأُ فِيهِ، وَقَلِيبٌ[٦] يَحْفِرُهُ، وَغَرْسٌ يَغْرِسُهُ، وَصَدَقَةُ مَاءٍ يُجْرِيهِ، وَسُنَّةٌ حَسَنَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا بَعْدَهُ.

---

١. الخصال، ج ١، ص ١٥١، ح ١٨٤؛ وفي الكافي، ج ٧، باب ما يلحق الميت بعد موته، ص ٥٦، ح ٢، مع اختلاف يسير؛ وفي الأمالي (للطوسي)، ص ٢٣٧، ح ٤٢٠، بمضمونه.

٢. في الكافي بهذا الإسناد: «محمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن محمد الحلبي، عن أبي عبداللّه عليه السلام»، وفي الأمالي: «المفيد، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن السري بن عيسى، عن عبد الخالق بن عبد ربّه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٣. الخصال، ج ١، ص ٣٢٣، ح ٩؛ الكافي، ج ٧، باب ما يلحق الميّت بعد موته، ص ٥٧، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب التعزية، ص ١٨٥، ح ٥٥٥؛ وفي الأخيرين مع اختلاف يسير.

٤. هكذا في النسخ ولكن الصحيح: الهيثم أبي كَهْمَس. (هامش المطبوع) وكذا في المصدر.

٥. في الكافي بهذا الإسناد: «عدة من أصحابنا، عن البرقي، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن شعيب، عن أبي كهمس، عن أبي عبد اللّه عليه السلام».

٦. القليب: البئر، راجع لسان العرب.

٢٤٨٥. المحاسن[١]: أَبِي، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّ شَيْءٍ يَلْحَقُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: يَلْحَقُهُ الْحَجُّ عَنْهُ، وَالصَّدَقَةُ عَنْهُ، وَالصَّوْمُ عَنْهُ.



١. المحاسن، ج ١، ص ٧٢، ح ١٥٢؛ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٥، ح ٢٦٠٥.

الفهرس

المجلّد الثالث: «كتاب العدل والمعاد» ٥

أبواب العدل ٧

باب ١: «نفي الظلم والجور عنه تعالى، وإبطال الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين، وإثبات الاختيار والاستطاعة» ٧

باب ٢: «باب آخر وهو من الباب الأوّل» «وفيه رسالة أبي الحسن الثالث «صلوات اللّه عليه» في الردّ على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط ممّا مرّ» ٦٥

باب ٣: «القضاء والقدر والمشيّة والإرادة وسائر أسباب الفعل» ٨١

باب ٤: «الآجال» ١٢٩

باب ٥: «الأرزاق والأسعار» ١٣٨

باب ٦: «السعادة والشقاوة، والخير والشرّ، وخالقهما ومقدّرهما» ١٥٠

باب ٧: «الهداية والإضلال، والتوفيق والخذلان» ١٦٠

باب ٨: «التمحيص والاستدراج والابتلاء والاختبار» ٢٠٩

باب ٩: «أنّ المعرفة منه تعالى» ٢٢٧

باب ١٠: «الطينة والميثاق» ٢٣٢

باب ١١: «علّة عذاب الاستيصال، وحال ولد الزنا، وعلّة اختلاف أحوال الخلق» ٢٧٦

باب ١٢: «الأطفال ومن لم يتمّ عليهم الحجّة في الدنيا» ٢٨٥

باب ١٣: «من رفع عنه القلم، ونفي الحرج في الدين، وشرائط صحّة التكليف، وما يعذر فيه الجاهل، وأنّه يلزم على اللّه التعريف» ٢٩٥

باب ١٤: «علّة خلق العباد وتكليفهم، والعلّة التي من أجلها جعل اللّه في الدنيا اللذّات والآلام والمحن» ٣٠٩

باب ١٥: «عموم التكاليف» ٣٢٣

باب ١٦: «أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد» ٣٢٥
باب ١٧: «الوعد والوعيد، والحبط والتكفير» ٣٤٠
باب ١٨: «عفو اللّه تعالى وغفرانه وسعة رحمته ونعمه على العباد» ٣٤٨
باب ١٩: «التوبة وأنواعها وشرائطها» ٣٥٩
باب ٢٠: «نفي العبث وما يوجب النقص من الاستهزاء والسخريّة والمكر والخديعة عنه تعالى، وتأويل الآيات فيها» ٣٩٩
باب ٢١: «عقاب الكفّار والفجّار في الدنيا» ٤٠٢
باب ٢٢: «علل الشرائع والأحكام» ٤٠٧
الفصل الأوّل: «العلل التي رواها الفضل بن شاذان» ٤١٠
الفصل الثاني: «ما ورد من ذلك برواية ابن سنان» ٤٤٠
الفصل الثالث: «في نوادر العلل ومتفرّقاتها» ٤٥٣
*** أبواب الموت وما يلحقه إلى وقت البعث والنشور *** ٤٦١
باب ١: «حكمة الموت وحقيقته، وما ينبغي أن يعبّر عنه» ٤٦١
باب ٢: «علامات الكبر، وأنّ ما بين الستّين إلى السبعين معترك المنايا، وتفسير أرذل العمر» ٤٦٤
باب ٣: «الطاعون والفرار منه» ٤٦٧
باب ٤: «حبّ لقاء اللّه، وذمّ الفرار من الموت» ٤٧١
باب ٥: «ملك الموت وأحواله وأعوانه وكيفيّة نزعه للروح» ٤٨٨
باب ٦: «سكرات الموت وشدائده، وما يلحق المؤمن والكافر عنده» ٤٩٥
باب ٧: «ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت، وحضور الأئمّة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن، وعرض الأعمال عليهم صلوات اللّه عليهم» ٥٢٥
باب ٨: «أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلّق بذلك» ٥٥١
باب ٩: «باب آخر في جنّة الدنيا ونارها وهو من الباب الأوّل» ٦٢٤
باب ١٠: «ما يلحق الرجل بعد موته من الأجر» ٦٣٣
الفهرس ٦٣٥
المآخذ والمنابع ٦٣٧

المآخذ والمنابع

١. **القرآن الكريم**.

٢. **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)/ منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٥ ق/ ط: الأُولى.

٣. **إثبات الوصيّة للإمام عليّ بن أبي طالب** عليه السلام/ المسعوديّ، عليّ بن الحسين (م ٣٤٦ ق)/ مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر/ قم - إيران/ ١٤٢٦ ق/ ط: الثالثة.

٤. **الإحتجاج على أهل اللجاج**/ الطبرسيّ، أحمد بن عليّ (م ٥٨٨ ق)/ منشورات الشريف المرتضى/ مشهد - إيران/ ١٤٠٣ ق/ ط: الأُولى.

٥. **أحكام القرآن**/ الجصّاص، أحمد بن عليّ (م ٣٧٠ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٥ ق.

٦. **إحياء علوم الدين**/ الغزاليّ، أبو حامد محمّد بن محمّد (م ٥٠٥ ق)/ دار الكتاب العربيّ/ بيروت - لبنان.

٧. **الإختصاص**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

٨. **الأربعون**/ البهائيّ العامليّ، محمّد بن الحسين (م ١٠٣٠ ق)/ مكتب نويد الإسلام/ قم - إيران/ ١٤١٦ ق.

٩. **الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٠. **إرشاد القلوب إلى الصواب**/ الديلميّ، الحسن بن محمّد (م ٨٤١ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٤١٢ ق/ ط: الأُولى.

١١. **أساس البلاغة**/ الزمخشريّ، محمود بن عمر (م٥٣٨ ق)/ دار صادر/ بيروت - لبنان/ ١٩٧٩ م/ ط: الأُولى.

١٢. **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار**/ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ ق)/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٣٩٠ ق/ ط: الأُولى.

١٣. **الأُصول الستّة عشر**/ ثلّة من العلماء (مقرن٣ق)/ مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة/ قم - إيران/ ١٤٢٣ق/ ط: الأُولى.

١٤. **اعتقادات الإماميّة**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٢٩ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٤ ق/ ط: الثانية.

١٥. **أعلام الدين في صفات المؤمنين**/ الديلميّ، الحسن بن محمّد (م ٨٤١ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم - إيران/ ١٤٠٨ ق/ ط: الأُولى.

١٦. **إعلام الورى بأعلام الهدى**/ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (م ٥٤٨ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم - إيران/ ١٤١٧ ق/ ط: الأُولى.

١٧. **الأغانيّ**/ أبوالفرج الأصبهانيّ، عليّ بن الحسين (م٣٥٦ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤١٤ ق.

١٨. **الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٣٧٦ ش/ ط: الأُولى.

١٩. **إكمال الدين وتمام النعمة** (كمال الدين وتمام النعمة)/ ابن بابوية، محمّد بن عليّ الصدوق (م٣٨١ق) / دار الكتب الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٣٩٥ ق/ ط: الثانية.

٢٠. **الأمالي**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م٣٨١ق)/ مكتبة الكتابجي/ طهران - إيران/ ١٣٧٦ ش/ ط: السادسة.

٢١. **الأمالي**/ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ ق)/ دار الثقافة/ قم - إيران/ ١٤١٤ ق/ ط: الأُولى.

٢٢. **أمالي المرتضى** (غرر الفوائد ودرر القلائد)/ الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين (م ٤٣٦ ق)/ دار الفكر العربيّ/ قاهرة - مصر/ ١٩٩٨ م.

٢٣. **الأمالي**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

٢٤. **الإمامة والتبصرة من الحيرة**/ ابن بابويه، عليّ بن الحسين (م ٣٢٩ ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الأُولى.

٢٥. **الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل**/ مكارم الشيرازيّ، ناصر/ دار نشر الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام/ قم - إيران/ ١٤٢١ ق/ ط: الأُولى.

٢٦. **الانتصار في انفرادات الإماميّة**/ الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين (م ٤٣٦ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤١٥ ق/ ط: الأُولى.

٢٧. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**/ البيضاويّ، عبد اللّه بن عمر(م ٦٨٥ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤١٨ ق/ ط: الأُولى.

٢٨. **الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة**/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)/ منشورات نويد/ طهران - إيران / ١٣٦٢ ش/ ط: الأُولى.

٢٩. **بحر العلوم**/ السمرقنديّ، نصر بن محمّد بن أحمد (م قرن ٤ ق).

٣٠. **البحر المحيط في التفسير**/ الأندلسيّ، أبو حيّان محمّد بن يوسف (م قرن ٨ ق)/ دار الفكر/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٠ ق.

٣١. **البرهان في تفسير القرآن**/ البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان (م ١١٠٧ ق)/ مؤسّسة البعثة/ قم - إيران/ ١٣٧٤ ش/ ط: الأُولى.

٣٢. **بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام**/ الطبريّ الآمليّ، عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم (م٥٥٣ ق)/ منشورات مكتبة الحيدريّة/ النجف الأشرف - العراق/ ١٣٨٣ ق/ ط: الثانية.

٣٣. **بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد عليهم السلام**/ الصفّار، محمّد بن الحسن (م ٢٩٠ ق)/ مكتبة آية اللّه العظمى المرعشيّ النجفيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الثانية.

٣٤. **بلاغات النساء**/ ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (م ٢٨٠ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران.

٣٥. **بهجة المجالس وأُنس المُجالس**/ ابن عبد البرّ النمريّ، أبو عمر يوسف بن عبد اللّه (م ٤٦٣ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٩١٨ م/ ط: الثانية.

٣٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**/ الحسينيّ الزبيديّ، محمّد مرتضى (م ١٢٠٥ ق)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ١٤١٤ق/ ط: الأُولى.

٣٧. **تاريخ بغداد**/ الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (م ٤٦٣ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤١٧ ق/ ط: الأُولى.

٣٨. **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة** عليهم السلام/ الحسينيّ الإسترآباديّ، السيّد شرف الدين عليّ (م ٩٤٠ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٣٩. **التبيان في تفسير القرآن**/ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان.

٤٠. **تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام** (تجريد الاعتقاد)/ نصير الدين الطوسيّ، محمّد بن محمّد بن الحسن (م ٦٧٢ ق)/ مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الأُولى.

٤١. **تحف العقول عن آل الرسول** عليهم السلام/ ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ (م قرن ٤ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الثانية.

٤٢. **التذكرة الحمدونيّة**/ ابن حمدون، محمّد بن حسن بن محمّد (م ٣٠٩ ق)/ دار صادر/ بيروت - لبنان/ ١٩٩٦ م/ ط: الأُولى.

٤٣. **تصحيح اعتقادات الإماميّة**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

٤٤. **التعليقات على شرح العقائد العضديّة**/ السيّد جمال الدين الحسينيّ الأفغانيّ (الأسدآباديّ) (م١٣١٤ ق)/ ١٤٢٣ ق.

٤٥. **التعرّف لمذهب أهل التصوّف**/ الكلاباذيّ، أبوبكر محمّد (م ٣٨٠ ق)/ منشورات مؤسّسة النصر/ طهران - إيران/ ١٣٨٠ ق.

٤٦. **تفسير جوامع الجامع**/ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (م ٥٤٨ ق)/ منشورات جامعة طهران ومديريّة الحوزة العلميّة بقم المقدّسة/ طهران - إيران/ ١٣٧٧ ش/ ط: الأُولى.

٤٧. **تفسير الصافي**/ الفيض الكاشانيّ، محمّد محسن بن شاه مرتضى (م ١٠٩١ ق)/ مكتبة الصدر/ طهران - إيران/ ١٤١٥ ق/ ط: الثانية.

٤٨. **تفسير العيّاشيّ**/ العيّاشيّ، محمّد بن مسعود (م٣٢٠ ق)/ المطبعة العلميّة/ طهران - إيران/ ١٣٨٠ ق/ ط: الأُولى.

٤٩. **تفسير فرات الكوفيّ**/ الكوفيّ، فرات بن إبراهيم (م ٣٠٧ ق)/ مؤسّسة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ/ طهران - إيران/ ١٤١٠ ق/ ط:الأُولى.

٥٠. **تفسير القمّيّ**/ القمّيّ، عليّ بن إبراهيم (م قرن ٤ق)/ دار الكتاب/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الثانية.

٥١. **التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ** عليه السلام/ الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام (ش ٢٦٠ ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٥٢. **التمحيص**/ ابن همام الإسكافيّ، محمّد بن همام بن سهيل (م ٣٣٦ ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه

تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط:الأُولى.

٥٣. **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** (مجموعة ورّام)/ ورّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ، مسعود بن عيسى (م ٦٠٥ ق)/ مكتبة الفقيه/ قم - إيران/ ١٤١٠ ق/ ط: الأُولى.

٥٤. **تهذيب الأحكام**/ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (م٤٦٠ق) / دار الكتب الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الرابعة.

٥٥. **تهذيب اللغة**/ الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد (م ٣٧٠ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ط: الأُولى.

٥٦. **التوحيد**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م٣٨١ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٣٩٨ ق/ ط: الأُولى.

٥٧. **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٦ ق/ ط: الثانية.

٥٨. **جامع الأخبار**/ الشعيريّ، محمّد بن محمّد (مقرن٦ق)/ منشورات مكتبة الحيدريّة/ النجف الأشرف - العراق/ ط: الأُولى.

٥٩. **الجامع لأحكام القرآن**/ القرطبيّ، محمّد بن أحمد (م ٦٧١ ق)/ منشورات ناصر خسرو/ طهران - إيران/ ١٣٦٤ ش/ ط: الأُولى.

٦٠. **الجعفريّات**/ ابن الأشعث، محمّد بن محمّد (مقرن٤ق)/ مكتبة النينوى الحديثة/ طهران - إيران/ ط: الأُولى.

٦١. **جمهرة اللغة**/ ابن دريد، محمّد بن الحسن (م ٣٢١ ق)/ دار العلم للملايين/ بيروت - لبنان/ ط: الأُولى.

٦٢. **الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة**/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)/ منشورات دهقان/ ١٣٨٠ ش/ ط: الثالثة.

٦٣. **الحاشية على أُصول الكافي**/ الإسترآباديّ، محمّد أمين (م ١٠٣٦ ق)/ دار الحديث/ قم - إيران/ ١٤٣٠ ق/ ط: الأُولى.

٦٤. **الحاشية على أُصول الكافي**/ العلويّ العامليّ، السيّد أحمد بن زين العابدين (م حدود ١٠٥٧ ق)/ دار الحديث/ قم - إيران/ ١٤٢٧ ق/ ط: الأُولى.

٦٥. **الحاشية على أُصول الكافي**/ النائينيّ، محمّد بن حيدر (م ١٠٨٢ ق)/ دار الحديث/ قم - إيران/ ١٤٢٤ ق/ ط: الأُولى.

٦٦. **الخرائج والجرائح**/ قطب الدين الراونديّ، سعيد بن هبة اللّه (م ٥٧٣ ق)/ مؤسّسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٦٧. **خصائص الأئمّة** عليهم السلام/ الشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين (م ٤٠٦ ق)/ الآستانة الرضويّة المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة/ مشهد - إيران/ ١٤٠٦ق/ ط: الأُولى.

٦٨. **الخصال**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م٣٨١ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٣٦٢ ش/ ط:الأُولى.

٦٩. **الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة**/ الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّيّ (م ٧٨٦ ق)/ منشورات زائر/ قم - إيران/ ١٣٧٩ ش/ ط: الأُولى.

٧٠. **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم**/ الشاميّ،

يوسف بن حاتم (م ٦٦٤ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم -إيران/ ١٤٢٠ ق/ ط: الأُولى.

٧١. **الدعاء**/ الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (م ٣٦٠ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

٧٢. **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام**/ ابن حيّون المغربيّ، النعمان بن محمّد (م٣٦٣ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم -إيران/ ١٣٨٥ ق/ ط: الثانية.

٧٣. **الدعوات** (سلوة الحزين)/ قطب الدين الراونديّ، سعيد بن هبة اللّه (م ٥٧٣ ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم -إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الأُولى.

٧٤. **دلائل الإمامة**/ الطبريّ الصغير، محمّد بن جرير بن رستم (م قرن ٥ ق)/ مؤسّسة البعثة/ قم -إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

٧٥. **الذريعة إلى حافظ الشريعة**/ الجيلانيّ، رفيع الدين محمّد بن محمّد مؤمن (كان حيّاً سنة ١٠٨٨ ق)/ دار الحديث/ قم -إيران/ ١٤٢٩ ق/ ط: الأُولى.

٧٦. **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة**/ الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّيّ (م ٧٨٦ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم -إيران/ ١٤١٩ ق/ ط: الأُولى.

٧٧. **رجال الكشّيّ** (اختيار معرفة الرجال)/ الكشّيّ، محمّد بن عمر(م قرن ٤ ق)/ مؤسّسة جامعة مشهد للنشر/ مشهد -إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٧٨. **رسائل الشريف المرتضى**/ الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين (م ٤٣٦ ق)/ دار القرآن الكريم/ قم -إيران/ ١٤٠٥ ق/ ط: الأُولى.

٧٩. **الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام/ ابن شاذان القمّيّ، شاذان بن جبرئيل (م ٦٦٠ ق)/ مكتبة الأمين صلى الله عليه وآله/ قم -إيران/ ١٤٢٣ ق/ ط: الأُولى.

٨٠. **روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه**/ المجلسيّ، محمّد تقي بن مقصود علي (م ١٠٧٠ ق)/ مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشانبور/ قم -إيران/ ١٤٠٦ ق/ ط: الثانية.

٨١. **روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين**/ الفتّال النيشابوريّ، محمّد بن أحمد (م ٥٠٨ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم -إيران/ ١٣٧٥ ش/ ط:الأُولى.

٨٢. **الزهد**/ الكوفيّ الأهوازيّ، الحسين بن سعيد (م قرن ٣ ق)/ المطبعة العلميّة/ قم -إيران/ ١٤٠٢ ق/ ط:الثانية.

٨٣. **السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي (والمستطرفات)**/ ابن إدريس، محمّد بن منصور (م٥٩٨ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم -إيران/ ١٤١٠ ق/ ط: الثانية.

٨٤. **سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان** (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ الحسينيّ النيليّ النجفيّ، عليّ بن عبد الكريم (كان حيّاً سنة ٨٠٣ ق)/ منشورات دليل ما/ قم -إيران/ ١٤٢٦ق/ ط: الأُولى.

٨٥. **سعد السعود للنفوس منضود**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ دار الذخائر للمطبوعات/ قم -إيران/ ط: الأُولى.

٨٦. **السقيفة وفدك**/ الجوهريّ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (م ٣٢٣ ق)/ مكتبة النينوى الحديثة/ طهران - إيران.

٨٧. **سنن الترمذي** /الترمذي، أبي عبد اللّه محمّد بن عيسى (م ٢٧٩ ق)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٣ ق/ ط: الثانية.

٨٨. **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار** عليهم السلام/ ابن حيّون المغربيّ، النعمان بن محمّد (م ٣٦٣ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٨٩. **شرح أُصول الكافي**/ صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم (م ١٠٥٠ ق)/ مؤسّسة البحوث والدراسات الثقافيّة/ طهران - إيران/ ١٣٨٣ ش/ ط: الأُولى.

٩٠. **شرح السنّة**/ البغويّ، أبو محمّد الحسين بن مسعود (م ٥١٦ ق)/ المكتب الإسلاميّ/ دمشق - سورية وبيروت - لبنان/ ١٤٠٣ ق/ ط: الثانية.

٩١. **شرح صحيح مسلم**/ النوويّ، أبو زكريّا يحيي بن شرف (م ٦٧٦ ق)/ دار الكتاب العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٧ ق.

٩٢. **شرح العقائد النسفيّة**/ سعد الدين التفتازانيّ، مسعود بن عمر بن عبد اللّه (م ٧٩٣ ق)/ مكتبة الكليّات الأزهريّة/ قاهرة - مصر.

٩٣. **شرح فارسى شهاب الأخبار**/ القضاعيّ، محمّد بن سلامة (م ٤٥٤ ق)/ مركز منشورات العلميّة والثقافيّة/ طهران - إيران/ ١٣٦١ ش/ ط: الأُولى.

٩٤. **شرح الكافي - الأُصول و الروضة**/ المازندرانيّ، محمّد صالح بن أحمد (م ١٠٨١ ق)/ المكتبة الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٣٨٢ ق/ ط: الأُولى.

٩٥. **شرح المقاصد**/ سعد الدين التفتازانيّ، مسعود بن عمر بن عبد اللّه (م ٧٩٣ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

٩٦. **شرح المواقف**/ الجرجانيّ، السيّد الشريف عليّ بن محمّد (م ٨١٦ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٣٢٥ ق/ ط: الأُولى.

٩٧. **شرح نهج البلاغة**/ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة اللّه (م ٦٥٦ ق)/ مكتبة آية اللّه العظمى المرعشيّ النجفيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الأُولى.

٩٨. **شرح نهج البلاغة**/ ابن ميثم البحرانيّ، ميثم بن عليّ بن ميثم (م ٦٧٨ ق)/ دار الكتاب للنشر/ ١٤٠٤ق/ ط: الثانية.

٩٩. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**/ الحميريّ، نشوان بن سعيد (م ٥٧٣ ق)/ دار الفكر المعاصر/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٠ ق/ ط: الأُولى.

١٠٠. **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**/ الحسكانيّ، عبيد اللّه بن عبد اللّه (م ٤٩٠ ق)/ مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ/ طهران - إيران/ ١٤١١ ق/ ط: الأُولى.

١٠١. **الصحاح** (تاج اللغة وصحاح العربيّة)/ الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد (م ٣٩٣ ق)/ دار العلم للملايين/ بيروت - لبنان/ ١٤١٠ ق/ ط: الأُولى.

١٠٢. **صحيح البخاريّ**/ البخاريّ، محمد بن إسماعيل (م٢٥٦ ق)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ١٤٠١ ق.

١٠٣. **صحيح مسلم** (الجامع الصحيح)/ النيسابوريّ،

مسلم بن الحجّاج (م ٢٦١ ق)/ دار الفكر/ بيروت - لبنان.

١٠٤. **صحيفة الإمام الرضا** عليه السلام/ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام (ش ٢٠٣ ق)/ المؤتمر الإمام الرضا عليه السلام/ مشهد - إيران/ ١٤٠٦ ق/ ط: الأُولى.

١٠٥. **الصحيفة السجّاديّة**/ الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليهما السلام (ش ٩٤ أو ٩٥ ق)/ منشورات الهاديّ/ قم - إيران/ ١٣٧٦ ش/ ط: الأُولى.

١٠٦. **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم**/ العامليّ النباطيّ، عليّ بن محمّد (م ٨٧٧ ق)/ المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة/ طهران - إيران/ ١٣٨٤ ش/ ط: الأُولى.

١٠٧. **صفات الشيعة**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ق)/ مؤسّسة الأعلميّ للمنشورات/ طهران - إيران/ ١٣٦٢ ش/ ط: الأُولى.

١٠٨. **طبّ الأئمّة** عليهم السلام/ ابنا بسطام النيسابوريّان، عبد اللّه والحسين (م قرن ٤ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٤١١ ق/ ط: الثانية.

١٠٩. **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ دار الخيّام/ قم - إيران/ ١٤٠٠ ق/ ط: الأُولى.

١١٠. **طراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوّل**/ المدنيّ الشيرازيّ، السيّد علي خان الكبير بن أحمد (م ١١٢٠ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ مشهد - إيران/ ١٣٨٤ ش/ ط: الأُولى.

١١١. **طرف من الأنباء والمناقب**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ منشورات تاسوعا/ مشهد - إيران/ ١٤٢٠ ق/ ط: الأُولى.

١١٢. **عدّة الداعي ونجاح الساعي**/ ابن فهد الحلّيّ، أحمد بن محمّد (م ٨٤١ ق)/ دار الكتاب الإسلاميّ/ ١٤٠٧ ق/ ط: الأُولى.

١١٣. **العدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة**/ الحلّيّ، رضي الدين عليّ بن يوسف بن المطهّر (م ٧٠٣ ق)/ مكتبة آية اللّه العظمى المرعشيّ النجفيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٨ ق/ ط: الأُولى.

١١٤. **علل الشرائع**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ مكتبة الداوريّ/ قم - إيران/ ١٣٨٥ش/ ط: الأُولى.

١١٥. **عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة**/ ابن أبي جمهور، محمّد بن زين الدين (كان حيّاً سنة ٩٠١ ق)/ دار سيّد الشهداء للنشر/ قم - إيران/ ١٤٠٥ ق/ ط: الأُولى.

١١٦. **عيون أخبار الرضا** عليه السلام/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ منشورات جهان للنشر/ طهران - إيران/ ١٣٧٨ ق/ ط: الأُولى.

١١٧. **عيون الحكم والمواعظ**/ الليثيّ الواسطيّ، عليّ بن محمّد (م قرن ٦ ق)/ دار الحديث/ طهران - إيران/ ١٣٧٦ ش/ ط: الأُولى.

١١٨. **الغارات أو الاستغفار والغارات**/ الثقفيّ، إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال (م ٢٨٣ ق)/ مجمع الآثار الملّيّة/ طهران - إيران/ ١٣٩٥ ق/ ط: الأُولى.

١١٩. **غرر الحكم ودرر الكلم**/ التميميّ الآمديّ، عبدالواحد بن محمّد (م ٥٥٠ ق)/ دار الكتاب الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٤١٠ ق/ ط: الثانية.

١٢٠. **الغيبة** (إثبات الغيبة)/ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ ق)/ مؤسّسة المعارف الإسلاميّة/ قم - إيران/ ١٤١١ ق/ ط: الأُولى.

١٢١. **الغيبة**/ النعمانيّ، محمّد بن إبراهيم (م قرن ٤ ق)/ منشورات الصدوق/ طهران - إيران/ ١٣٩٧ ق/ ط:الأُولى.

١٢٢. **الفتن**/ المروزيّ، أبي عبد اللّه نعيم بن حمّاد (م٢٢٩ق)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ١٤١٤ ق.

١٢٣. **الفصول المختارة**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٢٤. **الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة** عليهم السلام (تكملة الوسائل)/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م١١٠٤ق)/ مؤسّسة الإمام الرضا عليه السلام في معارف الإسلاميّة/ قم - إيران/ ١٤١٨ ق/ ط: الأُولى.

١٢٥. **الفضائل**/ ابن شاذان القمّيّ، شاذان بن جبرئيل (م٦٦٠ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٣٦٣ ش/ ط: الثانية.

١٢٦. **فضائل أمير المؤمنين** عليه السلام/ ابن عقدة الكوفيّ، أحمد بن محمّد (م ٣٣٢ ق)/ منشورات دليل ما/ قم - إيران/ ١٤٢٤ ق/ ط: الأُولى.

١٢٧. **فضائل الشيعة**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ مؤسّسة الأعلميّ للمنشورات/ طهران - إيران/ ط: الأُولى.

١٢٨. **الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا** عليه السلام/ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام (م ٢٠٣ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ مشهد - إيران/ ١٤٠٦ق/ ط: الأُولى.

١٢٩. **فلاح السائل ونجاح المسائل**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ منشورات مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٤٠٦ ق/ ط: الأُولى.

١٣٠. **القاموس المحيط**/ الفيروزآباديّ، محمّد بن يعقوب (م ٨١٧ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ط: الأُولى.

١٣١. **قرب الإسناد**/ الحميريّ، عبد اللّه بن جعفر (م قرن ٣ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٣٢. **قصص الأنبياء** عليهم السلام/ قطب الدين الراونديّ، سعيد بن هبة اللّه (م ٥٧٣ ق)/ مؤسّسة الهاديّ عليه السلام/ قم - إيران/ ١٤١٨ ق/ ط: الأُولى.

١٣٣. **الكافي**/ الكلينيّ، محمّد بن يعقوب (م ٣٢٩ق)/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الرابعة.

١٣٤. **الكافي في الفقه**/ أبو الصلاح الحلبيّ، تقيّ بن نجم بن عبيد اللّه (م ٤٤٧ ق)/ منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامّة/ إصفهان - إيران/ ١٤٠٣ ق/ ط: الأُولى.

١٣٥. **كتاب الماء**/ الأزديّ، عبد اللّه بن محمّد (م ٤٦٦ ق)/ مؤسّسة المطالعات التاريخيّ للطبّ الإسلاميّ والطبّ التكميليّ/ طهران - إيران/ ١٣٨٧ ش/ ط:الأُولى.

١٣٦. **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**/ الزمخشريّ، جار اللّه أبي القاسم محمود بن عمر (م٥٣٨ ق)/ دار الكتاب العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٧ ق/ ط: الثالثة.

١٣٧. **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**/ التهانويّ، محمّد عليّ بن عليّ (م ١١٥٨ ق)/ مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت - لبنان/ ط: الأُولى.

١٣٨. **كشف الأسرار وعدّة الأبرار**/ رشيد الدين الميبديّ، أحمد بن أبي سعد (م قرن ٦ ق)/ منشورات أمير كبير/ طهران - إيران/ ١٣٧١ ش/ ط: الخامسة.
١٣٩. **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** عليهم السلام/ الإربليّ، عليّ بن عيسى (م ٦٩٢ ق)/ منشورات بني هاشميّ/ تبريز - إيران/ ١٣٨١ ق/ ط: الأُولى.
١٤٠. **كشف المحجّة لثمرة المهجة**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م ٦٦٤ ق)/ مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٣٧٥ ش/ ط: الثانية.
١٤١. **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**/ الحلّيّ، الحسن بن يوسف ابن المطهّر (م ٧٢٦ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الرابعة.
١٤٢. **الكشف الوافي في شرح أُصول الكافي**/ الشريف الشيرازيّ، محمّد هادي بن محمّد (م١٠٨١ق)/ دار الحديث/ قم - إيران/ ١٤٣٠ ق/ ط: الأُولى.
١٤٣. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**/ الثعلبيّ النيسابوريّ، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (م قرن ٤٢٧ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٢ ق/ ط: الأُولى.
١٤٤. **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين** عليه السلام/ الحلّيّ، الحسن بن يوسف ابن المطهّر (م ٧٢٦ ق)/ مجمع إحياء الثقافيّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ/ طهران - إيران/ ١٤١١ ق/ ط: الأُولى.
١٤٥. **كنز الفوائد**/ الكراجكيّ، محمّد بن عليّ (م٤٤٩ق)/ دار الذخائر للمطبوعات/ قم - إيران/ ١٤١٠ ق/ ط: الأُولى.
١٤٦. **لباب التأويل في معاني التأويل** (تفسير الخازن)/ الخازن البغداديّ، علاء الدين عليّ بن محمّد (م قرن ٨ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤١٥ ق/ ط: الأُولى.
١٤٧. **لسان العرب**/ ابن منظور، محمّد بن مكرم (م٧١١ق)/ دار صادر/ بيروت - لبنان/ ط: الثالثة.
١٤٨. **مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب والأئمّة من ولده** عليهم السلام **من طريق العامّة**/ ابن شاذان القمّيّ، محمّد بن أحمد (م٤٦٠ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الأُولى.
١٤٩. **المؤمن**/ الكوفيّ الأهوازيّ، الحسين بن سعيد (مقرن ٣ ق)/ مؤسّسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق.
١٥٠. **متشابه القرآن ومختلفه**/ ابن شهرآشوب المازندرانيّ، محمّد بن عليّ (م ٥٨٨ ق)/ دار بيدار للنشر/ قم - إيران/ ١٣٦٩ ق/ ط: الأُولى.
١٥١. **المجازات النبويّة**/ الشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين (م ٤٠٦ ق)/ دار الحديث/ قم - إيران/ ١٤٢٢ ق/ ط: الأُولى.
١٥٢. **مجمع البحرين**/ الطريحيّ، فخر الدين بن محمّد (م١٠٨٥ ق)/ مكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة/ طهران - إيران/ ١٣٧٥ ش/ ط: الثالثة.
١٥٣. **مجمع البيان في تفسير القرآن**/ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (م ٥٤٨ ق)/ منشورات ناصر خسرو/ طهران - إيران/ ١٣٧٢ ش/ ط: الثانية.
١٥٤. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر (م ٨٠٧ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٨ ق.
١٥٥. **محاسبة النفس**/ ابن طاووس، عليّ بن موسى (م٦٦٤ ق)/ منشورات المكتبة المرتضويّة لإحياء

الآثار الجعفريّة/ طهران - إيران/ ١٣٧٦ ش/ ط:الرابعة.

١٥٦. **المحاسن**/ البرقيّ، أحمد بن محمّد بن خالد (م ٢٧٤ ق أو ٢٨٠ ق)/ دار الكتب الإسلاميّة / قم - إيران/ ١٣٧١ ق/ ط: الثانية.

١٥٧. **المحتضر**/ الحلّيّ، أبو محمّد الحسن بن سليمان (مقرن ٨ ق)/ منشورات مكتبة الحيدريّة/ ١٤٢٤ ق/ ط: الأُولى.

١٥٨. **المحيط في اللغة**/ الصاحب، إسماعيل بن عَبّاد (م٣٨٥ ق)/ عالم الكتب/ بيروت - لبنان/ ١٤١٤ ق/ ط: الأُولى.

١٥٩. **مختصر البصائر**/ الحلّيّ، الحسن بن سليمان بن محمّد (م قرن ٨ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٢١ق/ ط: الأُولى.

١٦٠. **مدينة معاجز الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام ودلائل الحجج على البشر**/ البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان (م ١١٠٧ ق)/ مؤسّسة المعارف الإسلاميّة/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٦١. **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليهم السلام**/ المجلسيّ، محمّد باقر بن محمّد تقي (م١١١٠ ق)/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الثانية.

١٦٢. **مسائل السرويّة**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٦٣. **مسائل العكبريّة**/ المفيد، محمّد بن محمّد (م٤١٣ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٦٤. **مسائل عليّ بن جعفر**/ العريضيّ، عليّ بن جعفر (م ٢٢٠ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

١٦٥. **مسند أحمد**/ أحمد بن محمّد بن حنبل (م ٢٤١ ق)/ دار صادر/ بيروت - لبنان.

١٦٦. **مسند الحميدي**/ الحميدي، أبو بكر عبد اللّه بن زبير (م ٢١٩ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

١٦٧. **مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام**/ الحافظ البرسيّ، رجب بن محمّد (م ٨١٣ ق)/ منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٢ ق/ ط: الأُولى.

١٦٨. **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**/ الطبرسيّ، عليّ بن الحسن (م ٦٠٠ ق)/ منشورات مكتبة الحيدريّة/ النجف الأشرف - العراق/ ١٣٨٥ ق/ ط: الثانية.

١٦٩. **مصادقة الإخوان**/ ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ مكتبة الإمام صاحب الزمان (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف) العامّة/ الكاظميّة - العراق/ ١٤٠٢ ق/ ط: الأُولى.

١٧٠. **مصباح الشريعة**/ المنسوب إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام (ش ١٤٨ ق)/ منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٠ ق/ ط: الأُولى.

١٧١. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**/ المقريّ الفيّوميّ، أحمد بن محمّد (م ٧٧٠ ق)/ مؤسّسة دار الهجرة/ قم - إيران/ ١٤١٤ ق/ ط:الثانية.

١٧٢. **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام**/ الشافعيّ، محمّد بن طلحة (م ٦٥٢ ق).

١٧٣. **معاني الأخبار** /ابن بابوية، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٠٣ ق/ ط:الأُولى.

١٧٤. **معجم الأدبا** (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)/ الحمويّ، أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه (م ٦٢٦ق)/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت - لبنان /١٤٠٠ق/ ط: الثانية.

١٧٥. **معجم مقاييس اللغة** /ابن فارس، أحمد بن فارس (م ٣٩٥ ق)/ مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الأُولى.

١٧٦. **المعجم الأوسط** / الطبرانيّ، سليمان بن أحمد (م ٣٦٠ ق)/ دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٥ ق.

١٧٧. **معدن الجواهر ورياضة الخواطر** /الكراجكيّ، محمّد بن عليّ (م ٤٤٩ ق)/ المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة/ طهران - إيران/ ١٣٩٤ ق/ ط: الثانية.

١٧٨. **المغرب في ترتيب المعرب** / الخوارزميّ المُطَرِّزيّ، ناصر بن عبد السيّد أبي المكارم ابن عليّ (م ٦١٠ ق)/ مكتبة أُسامة بن زيد/ حلب - سورية/ ط: الأُولى.

١٧٩. **مفاتيح الغيب** / فخر الدين الرازيّ، أبو عبد اللّه محمّد بن عمر بن الحسين (م ٦٠٦ ق)/ دار إحياء التراث العربيّ/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٠ ق/ ط:الثالثة.

١٨٠. **مفردات ألفاظ القرآن** / الراغب الأصفهانيّ، الحسين بن محمّد (م ٥٠٢ ق)/ دار القلم/ بيروت - لبنان/ دار الشامية/ دمشق - سورية/ ١٤١٢ ق/ ط:الأُولى.

١٨١. **مقدّمة الأدب** / الزمخشريّ، جار اللّه أبي القاسم محمود بن عمر (م ٥٣٨ ق)/ مؤسّسة المطالعات الإسلاميّ/ طهران - إيران/ ١٣٨٦ ش/ ط: الأُولى.

١٨٢. **المقنعة** / المفيد، محمّد بن محمّد (م ٤١٣ ق)/ المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.

١٨٣. **مكارم الأخلاق** / الطبرسيّ، الحسن بن الفضل (م٥٤٨ ق)/ منشورات الشريف الرضيّ/ قم - إيران/ ١٤١٢ ق/ ط: الرابعة.

١٨٤. **مناقب آل أبي طالب** عليهم السلام/ ابن شهرآشوب المازندرانيّ، محمّد بن عليّ بن الحسين (م ٥٨٨ ق)/ منشورات دليل ما/ قم - إيران/ ١٤٢٨ ق/ ط: الأُولى.

١٨٥. **من لا يحضره الفقيه** /ابن بابويه، محمّد بن عليّ الصدوق (م ٣٨١ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الثانية.

١٨٦. **المهذّب البارع في شرح المختصر النافع** /ابن فهد الحلّيّ، أحمد بن محمّد (م ٨٤١ ق)/ مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة/ قم - إيران/ ١٤٠٧ ق/ ط: الأُولى.

١٨٧. **ناسخ القرآن ومنسوخه** / الأشعريّ القميّ، أبوالقاسم سعد بن عبد اللّه (م ٣٠١ ق)/ مكتبة العلّامة المجلسيّ «رحمه اللّه»/ قم - إيران/ ١٤٣٢ق/ ط: الأُولى.

١٨٨. **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر** /الحلوانيّ، الحسين بن محمّد (م قرن ٥ ق)/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل

اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٨ ق/ ط: الأُولى.

١٨٩. **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ ابن الأثير الجزريّ، مبارك بن محمّد (م ٦٠٦ ق)/ مؤسّسة إسماعيليان/ قم - إيران/ ١٣٦٧ ش/ ط: الرابعة.

١٩٠. **نهج البلاغة** (لصبحي الصالح)/ الشريف الرضيّ، محمّد بن الحسين (م ٤٠٦ ق)/ منشورات دار الهجرة/ قم - إيران/ ١٤١٤ ق/ ط: الأُولى.

١٩١. **نهج الحقّ وكشف الصدق**/ الحلّيّ، الحسن بن يوسف ابن المطهّر (م ٧٢٦ ق)/ دار الكتاب اللبنانيّ/ بيروت - لبنان/ ١٩٨٢ م/ ط: الأُولى.

١٩٢. **النوادر**/ الأشعريّ القميّ، أحمد بن محمّد بن عيسي/ مدرسة الإمام المهديّ (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف)/ قم - إيران/ ١٤٠٨ ق/ ط: الأُولى.

١٩٣. **نوادر الأخبار فيما يتعلّق بأُصول الدين**/ الفيض الكاشانيّ، محمّد محسن بن شاه مرتضى (م١٠٩١ ق)/ مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة/ طهران - إيران/ ١٣٧١ ش/ ط: الأُولى.

١٩٤. **هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة** عليهم السلام/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)/ الآستانة الرضويّة المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة/ مشهد - إيران/ ١٤١٤ ق/ ط: الأُولى.

١٩٥. **الهداية الكبرى**/ الخُصيبيّ، الحسين بن حمدان (م٣٣٤ ق)/ مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ١٤١٩ ق.

١٩٦. **الوافي**/ الفيض الكاشانيّ، محمّد محسن بن شاه مرتضى(م ١٠٩١ ق)/ منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامّة/ إصفهان - إيران/ ١٤٠٦ق/ ط: الأُولى.

١٩٧. **وسائل الشيعة** (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)/ الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)/ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ قم - إيران/ ١٤٠٩ ق/ ط: الأُولى.

١٩٨. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**/ الواحديّ النيسابوريّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد (م ٤٦٨ ق)/ دار الكتب العلميّة/ بيروت - لبنان/ ١٤١٥ ق/ ط:الأُولى.

١٩٩. **وقعة الصفّين**/ ابن مزاحم المنقريّ، نصر بن مزاحم بن سيّار (م ٢١٢ ق)/ منشورات مكتبة آية اللّه العظمي المرعشيّ النجفيّ/ قم - إيران/ ١٤٠٤ ق/ ط: الثانية.

٢٠٠. **اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين**/ ابن طاووس، عليّ بن موسي (م ٦٦٤ ق)/ دار الكتاب الجزائريّ/ قم - إيران/ ١٤١٣ ق/ ط: الأُولى.